



International Journal of Sharia and Islamic Studies

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

عدد خاص

بمؤتمر المدينة المنورة الدولي
للشريعة والدراسات الإسلامية
ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة



المملكة العربية السعودية
المدينة المنورة

26 - 24 شوال 1445 هـ
3 - 5 مايو 2024 م



المجلة الدولية للشريعة

والدراسات الإسلامية

مجلة دولية علمية محكمة وفق

معايير النشر الدولي (ISI)

للمجلات العلمية المحكمة تعنى

بنشر البحوث والدراسات في مجال

الشريعة والدراسات الإسلامية وكل

ما له صلة في هذه العلوم.

الرقم المعياري الدولي
ISSN 1658-9564



تنويه : جميع الآراء المطروحة في البحوث والدراسات المنشورة بالمجلة
تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر عن رأي هيئة تحرير المجلة .



مجلة دورية - علمية - محكمة - ومصنفة دولياً
تُصدر أربعة أعداد في العام (يناير - أبريل - يوليو - أكتوبر)
تُنشر المجلة البحوث والدراسات والأوراق العلمية التي لم يسبق نشرها، باللغة العربية
أو الإنجليزية، التي تتميز بالأصالة والابتكار.

ترخيص إعلامي رقم: 111487 - رقم الإيداع بمكتبة فهد الوطنية 1444/2771

الرؤية:

تعمل المجلة على الرقي بمواصفات النشر العلمي المتميز محلياً ودولياً في مختلف مجالات
الشريعة والدراسات الإسلامية.

الرسالة:

تسعى المجلة لتأصيل البحث العلمي والرفع من شأنه بحيث تصبح المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في
مختلف فروع الشريعة والدراسات الإسلامية.

الأهداف:

- المساهمة في تطوير الدراسات الإسلامية وتطبيقاتها من خلال نشر البحوث النظرية والتطبيقية.
- نشر الأبحاث المتميزة التي تتسم بالجودة العالية والأصالة والابتكار وترتبط بالواقع المحلي والعالمي.
- توفير وعاء نشر للباحثين المتميزين والتسويق لأبحاثهم محلياً ودولياً.
- عرض التجارب العالمية وذلك من خلال ما يصدر من كتب وأبحاث تتعلق بالشريعة والدراسات الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة:

لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه دون الحصول على موافقة كتابية من المشرف العام أو
رئيس التحرير، علماً بأن جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
مركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي - المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية
ص.ب: 26523 الطائف - المملكة العربية السعودية

هاتف وفاكس: 00966127272778 جوال واتساب: 00966500205551

البريد الإلكتروني: IJSIS@kefeac.com

kefeac.pub@gmail.com



هيئة تحرير المجلة

المشرف العام

د. عبد الرحمن محمد الزهراني

الرئيس التنفيذي لمركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي.

رئيس التحرير

أ.د. عبدالله بن محمد بن منصور آل الشيخ

أستاذ الحديث وعلومه - جامعة بيشة.

مدير التحرير

د. عدنان بخيت المالكي

دكتورة في المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية - جامعة أم القرى.

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. صفية عبدالله بخيت

أستاذ أصول التربية الإسلامية بجامعة أم القرى.

أ.د. حياة عبد العزيز نياز

أستاذ أصول التربية الإسلامية بجامعة أم القرى.

د. ناجي حسين صالح

دكتورة في التفسير وعلوم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

د. محمد بن عبيد الله ناصر الثبيتي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الباحة

د. بشري حسن هادي اليمني

أستاذ القراءات والدراسات الإسلامية المشارك بجامعة جدة.

د.خلود بنت محمد زين الدين

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة طيبة.

أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي

أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة طيبة.

د. سالم بن عبد الله بن تركي الشهراني

أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة بيشة



الهيئة الإستشارية

أ.د. أحمد بن محمد بن صالح عذب
أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

أ.د. معن سعود أبو بكر
أستاذ الفقه المقارن وأصوله بجامعة زايد - الإمارات العربية المتحدة

أ.د. الجوهرة بنت محمد العمراني
أستاذ البحث العلمي بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية

أ.د. وفاء بنت إبراهيم الفريح
أستاذ أصول التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. محمد حسن زاهر الشهري
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الباحة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الدراسات الإسلامية

أ.د. سعيد المغناوي
أستاذ السيرة النبوية وعلوم الحديث بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

أ.د. نوال عمر عبد الله باسعد
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة جدة

أ.د. هدى دياب أحمد صالح
الأستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية - السودان

أ.د. حنان صبحي عبيد
رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الأمريكية مينييسوتا - أمريكا

د. عبد الحق غانم سيف سالم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة صنعاء - اليمن



مجالات النشر في المجلة

- القرآن الكريم وعلومه.
- السنة النبوية وعلومها.
- العقيدة الإسلامية.
- المذاهب والتيارات المعاصرة.
- الفقه وأصوله وقواعده.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- الدعوة والثقافة الإسلامية.
- الوقف .
- الدراسات القضائية.
- القانون والأنظمة.
- المحاكم الشرعية وكتابة العدل.
- المحاماة والادعاء العام.
- الموارد.
- الحدود والتعزيرات.
- دراسات المقارنة بين الشريعة والقانون.
- الاقتصاد والمالية الإسلامية.
- التربية الإسلامية.
- النظم الاجتماعية.
- الهوية الإسلامية.
- تراجم وأعلام.
- الأمن الفكري.
- الوسيطة والغلو.
- الفكر الإسلامي.
- المناظرة وأدب الخلاف.
- نظم التربية والتعليم الإسلامية.
- طرق تدريس الشريعة والدارسات الإسلامية.
- التاريخ والحضارة الإسلامية.
- الفنون الإسلامية.
- المرأة المسلمة ودورها في المجتمع.
- مؤسسات تعزيز الثقافة الإسلامية.
- الإعلام والاتصال في العالم الإسلامي.
- مؤسسات المجتمع المدني.
- تنمية الموارد البشرية وإدارتها.
- القضايا المعاصرة في الدراسات الإسلامية.
- العمل التطوعي والإنساني.
- الأديان السابقة.
- مقارنة الأديان.
- الاستشراق في الدراسات الإسلامية.

المجلة تقبل نشر جميع الأبحاث والدراسات ذات العلاقة
بالشريعة والدارسات الإسلامية



شروط النشر

تمهيد:

تصدر المجلة إصداراتها المتعددة للبحوث العلمية الأصلية المحكمة وفق معايير النشر الدولي للمجلات العلمية المحكمة (ISI).
لذلك يجب أن يكون البحث المراد نشره أصيلاً مكتمل الأركان، وفق أسس ومعايير البحث العلمي وضمن مجالات المجلة، ولم يسبق نشره من قبل، أو تم إرساله لمجلة أخرى للنشر حسب المعايير التالية:

معايير التحكيم الأولى لقبول النشر في المجلات:

- 1 - أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والحدثة في الموضوع والعرض.
- 2 - ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى مجلة أخرى.
- 3 - أن يكون البحث مكتمل العناصر.
- 4 - مراعاة صحة اللغة وسلامة الأسلوب في البحث ويجب مراجعة البحث جيداً قبل إرساله.
- 5 - مطابقة البحث لتنسيقات البحوث المعتمدة في المجلة.
- 6 - أن لا يتجاوز عدد صفحات البحث 20 صفحة.
- 7 - أن يكون البحث بإحدى اللغتين: (العربية، الإنجليزية).

عناصر البحث:

- 1 - العنوان الكامل للبحث باللغة العربية وترجمة له باللغة الإنجليزية.
- 2 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والمؤسسة التابع لها، واسم الدولة باللغتين العربية والانجليزية والبريد الإلكتروني.
- 3 - مستخلص للبحث (عربي، إنجليزي) في حدود (400) كلمة للمستخلصين (لكل مستخلص 200 كلمة) حيث لا يزيد عدد أسطر المستخلص الواحد عن " 10 " أسطر بخط " 12 " Time New Roman للمستخلص العربي و" 12 " Calibri للمستخلص باللغة الإنجليزية.
- 4 - الكلمات المفتاحية من 3 - 6 كلمات باللغتين العربية والانجليزية.
- 5 - المقدمة ويجب أن تتضمن: مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وأهميته وحدوده ومصطلحاته.
- 6 - الأطار النظري والدراسات السابقة.
- 7 - منهج البحث ويجب إيضاح المنهجية العلمية المتبعة في اعداد الدراسة مع ذكر المبررات لاختياره.
- 8 - نتائج البحث ومناقشتها ، التوصيات والمقترحات ، الخاتمة والمراجع.

تنسيقات البحث:

- 1 - ملف البحث يجب أن يكون ملف ميكروسوفت وورد (word.docs,.doc) غير محمي.
- 2 - يجب أن يكون البحث في صفحات مفردة وليست مدمجة بأعمدة في نفس الصفحة.
- 3 - لا تتجاوز عدد صفحات البحث 20 صفحة ولا تقل عن 12 صفحة وأن تكون هوامش الصفحة عادية (أعلى وأسفل 254 سم وأيمن وأيسر 318 سم).
- 4 - تكتب المادة العلمية العربية بخط Time New Roman بحجم (12) والتباعد بين السطور (1.15).
- 5 - تكتب المادة العلمية الإنجليزية بخط Calibri بحجم (12) والتباعد بين السطور (1.15).
- 6 - ترتيب العناوين الرئيسية والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- 7 - ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- 8 - يجب استخدام نموذج موحد للمعادلات الرياضية في محتويات البحث.
- 9 - أن يلتزم الباحث باستخدام الأرقام (1 2- 3- ...) سواء في متن البحث، أو في الجداول والأشكال أو في المراجع.
- 10 - يكون الترقيم لصفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة، حتى آخر صفحة من صفحات البحث التي تتضمن المراجع.
- 11 - المراجع .

خطوات النشر:

- 1 - استلام البحث العلمي المراد نشره بالمجلة.
- 2 - الفحص الأولي لتنسيقات البحث ومطابقة شروط النشر في المجلة.
- 3 - إخطار الباحث بنتيجة الفحص الأولي خلال (10 أيام عمل) من استلام البحث.
- 4 - إرسال البحث إلى المحكمين للتحكيم النهائي.
- 5 - إخطار الباحث بنتيجة التحكيم النهائي.
- 6 - إجراء التعديلات أو الملاحظات أن وجدت بناءً على قرار اللجنة العلمية قبل النشر النهائي للبحث.
- 7 - استيفاء رسوم النشر، في حال قبول البحث للنشر.
- 8 - إصدار شهادة قبول نشر البحث في المجلة.
- 9 - نشر البحث في الإصدار القادم للمجلة والأولية في النشر حسب تاريخ الاستلام.

رسوم النشر:

تبلغ رسوم التحكيم والنشر في المجلة 400 دولار وتساوي 1500 ريال سعودي و يتم سداد الرسوم بعد القبول الأولي للبحث.



كلمة هيئة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بنينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

وبعد:

يسعى مؤتمر المدينة المنورة الدولي للشريعة والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة إلى تحفيز طاقات الباحثين للبحث والنشر في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية، وإبراز جهود العلماء في الاجتهاد والتجديد لمواكبة العصر، والتأكيد العلمي بأن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان؛ لأنها شاملة لجميع مجالات الحياة، وأن البحث العلمي في الدراسات الإسلامية هو رأس الأمر في التجديد وتحرير العلوم الإسلامية من قيود الماضي، ووضع الأسس المنطقية لحل الكثير من القضايا المعاصرة التي يعاني منها العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية الأخرى، إضافة إلى توظيف نتائج وتوصيات البحوث، والدراسات، مجال الشريعة والدراسات الإسلامية في معالجة واقعنا المعاصر، وذلك للأخذ بالأسباب في مواكبة العصر ومعالجة قضاياها.

يسرنا أن نضع بين يدي الباحثين والمهتمين بالشريعة والدراسات الإسلامية هذا العدد الخاص من المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية، هو عدد خاص بأبحاث والدراسات المقبولة للمشاركة في مؤتمر المدينة المنورة الدولي للشريعة والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة، بعد تحكيمها وإظهارها بجودة عالية تتماشى مع سياسة النشر في المجلة، حيث تشكل الثراء المعرفي المطلوب والتنوع في مجالات الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة، مما يؤكد على الجهود العلمية المبذولة فيها من قبل الباحثين.

وفي هذا المقام يطيب لنا في هيئة تحرير المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية أن نقدم لهم أوفى عبارات الشكر والتقدير، ويمتد الشكر والثناء لهيئة تحرير المجلة، الفريق الفني والإداري، ولجان التحكيم والمراجعة، التي لم تدخر جهداً لتصويب الأبحاث وتقويمها وتدقيقها لتخرج وفي الصورة المرجوة.

وننتهز فرصة صدور العدد الخاص مؤتمر المدينة المنورة الدولي للشريعة والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة، لنكرر الدعوة لجميع الباحثين والمختصين في مجال اهتمام المجلة إلى تقديم أبحاثهم وأعمالهم العلمية، لنشرها في ضوء الشروط والضوابط والمعايير المعتمدة والمعلنة مسبقاً، علماً بأن المجلة تصدر بشكل ربع سنوي بواقع أربعة أعداد في السنة بشكل منتظم.

عضو هيئة التحرير
أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي



فهرس المحتويات

م	الاسم	عنوان البحث	رقم الصفحة
١	د. أبو القاسم بن أحمد إبراهيم مسلمي	تقييد المباح وعلاقته بمقاصد الشريعة.	٦-١
٢	د. علوي عبد الرحيم الرناي	نور أحكام التجويد والصوت في إبراز معاني القرآن.	١٦-٧
٣	د. أميمة بنت عبد الرحمن بن عبد القادر حلي	القراءات القرآنية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة.	٢٥-١٧
٤	أ. أماني بنت عبد الله بن عبد العزيز خالد	أثر المساندة في تقوية العلاقة بين الزوجين-أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها أئمونجاً -	٣١-٢٦
٥	د. نهيل فيصل التيتي	حفظ النفس بالأمن الغذائي [آليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي أئمونجاً] دراسة مقاصدية.	٤٢-٣٢
٦	أ.د. تليف بن خالد الوقاع	الأمن الفكري التطبيقي في القطاعات العسكرية والأمنية.	٥٦-٤٣
٧	د. أبرار عبد الله إسحاق عطار	إضاءات على القراءات في آيات سجدة التلاوة.	٦٢-٥٧
٨	أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي	نظام التمثيل الدبلوماسي الإسلامي في العصور الوسطى: أعراض الرفود والمبعوثين أئمونجاً "دراسة تاريخية في ضوء كتب الفقه والقانون والإدارة".	٧٤-٦٣
٩	د. منال حمزة عبد الله بنونة	الأديان التشاؤمية في الهند عرض ونقد.	٩٠-٧٥
١٠	أ.د. حمود بن محسن الدعجاني	الإرهاب الإلكتروني (المفهوم والأسباب والأهداف والخصائص والأساليب).	٩٥-٩١
١١	د. أمل مطر العصيمي	موقف اليهود والمنافقين في المدينة من النبي صلى الله عليه وسلم.	١٠٤-٩٦
١٢	د. فاطمة مصطفى محمد داوود	الحوار في القرآن الكريم وأثره في التعايش السلمي بين الأفراد- سورة الأحقاف أئمونجاً.	١١٩-١٠٥
١٣	د. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيلي	نحو الشباب المسلمين في العالم وتحدياتهم: حل أزمة الشباب المسلمين في الصين من خلال تثبيت الإيمان في قلوبهم، وتهذيب الأخلاق في سلوكهم، وتنوير بصيرتهم في عقولهم أئمونجاً.	١٣٠-١٢٠
١٤	أ. حنان ناهس براك السحيمي	أبرز كتابات المستشرقين.	١٤٦-١٣١
١٥	أ. فاطمة راشد عوض الرشدي	أخلاقيات الإدارة في السنة النبوية.	١٥٥-١٤٧
١٦	د. نورة عبد العزيز المانع	بسط الرزق في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية..	١٦٠-١٥٦
١٧	د. أمل عبد الجبار ظفر	مسائل مختارة في فقه العوام.. دراسة تأصيلية تطبيقية.	١٧١-١٦١
١٨	أ. أماني عبد التطيف جبر الفهرود	دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث: دراسة حديثة في أساليب وأدوات تخريج الأحاديث الشريفة والحكم عليها.	١٨٣-١٧٢
١٩	أ. بندر عبد الرزاق مال ^(١) أ.د. ربحانة بنت حاج عبد الله ^(٢) د. ماهاماتا يودينج سلماه ^(٣)	حقوق اللاجئين بالمملكة العربية السعودية وأهداف التنمية المستدامة.	١٨٨-١٨٤
٢٠	د. عبد الهادي مدهث عبد الله العجمي	بيع المرابحة الرقسي "دراسة فقهية".	١٩٥-١٨٩
٢١	د. فاطمة علي فهد الأحمدي	التأصيل الفقهي في نوازل البنوك، إعادة التمويل أئمونجاً دراسة فقهية مقارنة.	٢٠٤-١٩٦
٢٢	د. حاتم بن رشيد بن حمد السيلبي ^(١) أ. دارين بنت علي بن محمد الجابرية ^(٢)	فقه الأولويات في الدعوة الضوابط والآثار.	٢١١-٢٠٥
٢٣	د. فاطمة محمد عيسى محنشي	كسوة الكعبة (الداخلية) عبر العصور التاريخية العصر السعودي أئمونجاً (١٣٥٥هـ - ١٤٠٣هـ / ١٩٣٦م - ١٩٨٣م) (دراسة تاريخية حضارية).	٢٢٥-٢١٢

م	الاسم	عنوان البحث	رقم الصفحة
٢٤	د. مريم محمد نجيب عليوة	اعتبار المآلات وأثره في أحكام مجهول النسب.	٢٢٧-٢٢٦
٢٥	د. مروء محمد أحمد الانماوي	فتوى في حكم اجتماع النساء والرجال للذكر للإمام محمد بن محمد بن العلاء البخاري الحنفي (٨٤١هـ) دراسة وتحقيقاً.	٢٤٩-٢٣٨
٢٦	د. هنادي بنت رشيد بن رشيد الصاعدي	التجيين بين العقل البشري والآلي وأثره على المكلف.	٢٦١-٢٥٠
٢٧	د. عزيزة بنت سعيد بن شاهر الصاعدي	معلم من هديه صلى الله عليه وسلم في تعليم الصغار التوحيد.	٢٦٩-٢٦٢
٢٨	د. أمل بنت سليمان بن عبد الرحمن السعمران	التخلف عن المغازي النبوية (تبوك نموذجاً عام ٦٢٩م).	٢٧٨-٢٧٠
٢٩	د. منال طارق القصبي	جهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف الاستدامة وفق رؤية ٢٠٣٠	٢٨٥-٢٧٩
٣٠	أ. مريم حمد جابر الغيثيين المري	القائمة بين الذكر والأنثى عند الحداثيين والمفسرين دراسة مقارنة.	٢٩٩-٢٨٦
٣١	د. خديجة علي هادي آل هادي	المخالفات العقدية المعاصرة الأسباب والعلاج - دراسة استقرائية.	٣٠٧-٣٠٠
٣٢	د. صديقة كامل سلامة النقس	عقيدة التوحيد وأثرها في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب.	٣١٧-٣٠٨
٣٣	د. إنعام بنت محمد عقيل	فرضية الأكوان الموازية من خلال الكتاب والسنة (دراسة عقدية نقدية).	٣٣٠-٣١٨
٣٤	د. إيمان أحمد محمد خليل الهاشمي	من صور التمويل بالفروض الحسنة المعاصرة	٣٤١-٣٣١
٣٥	د. لؤلؤه بنت عبد الله بن أحمد بخيت	المواضع التي ذكر فيها قوله تعالى {فستجبنا له} تفسيراً لموضوعنا الأنبياء نوح وأيوب عليهما السلام أنموذجاً.	٣٤٨-٣٤٢
٣٦	د. مزنة بنت عبد العزيز بن علي التحيدان	علاقة القيم الخلقية بالأرومة العربية دراسة تلصيلية.	٣٥٤-٣٤٩
المختصات العلمية			
٣٧	د. ناصر بن عيسى بن أحمد بن محمد البلوشي الزهراني	التعريف بعلماء الحضارة الإسلامية من خلال الأنشطة الجامعية اللاصفية.	٣٥٥
٣٨	أ.د. إندونيسيا بنت خالد حمون	منظومة التنمية الاقتصادية المستدامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.	٣٥٦
٣٩	د. عائشة محمد القرني	العمل التطوعي والمجهود الدعوي وقت الازمات والكوارث الطبيعية.	٣٥٧
٤٠	د. جميلة بنت عادل بن سعد فته	حكم التصويق للشبكي (الهرمي) "دراسة فقهية".	٣٥٨
٤١	د. العنود بنت عويضة بن عواض الحرب	العمل التطوعي في ضوء رؤية ٢٠٣٠	٣٥٩
٤٢	د. احلام محمد محسن عقيل	احكام استخدام الذكاء الاصطناعي في رعاية كبار السن وضوابطه الشرعية.	٤٠٠
٤٣	د. منيرة بنت صياغ فالح العمري	(فن القراءة- الطلاقة في القراءة).	٤٠١
٤٤	أ. لؤلؤه بنت خالد الحميد	الاستشراق ودعوى الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية في مصر (أحمد أمين وتوفيق صنفى نموذجان).	٤٠٢
٤٥	أ. ريم عبد الرحمن مسفر الغامدي	العلاقة بين العلم والدين بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي.	٤٠٣
٤٦	أ. هيفاء ركاكرار محمد	الصفة الكاشفة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير.	٤٠٤

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Restricting what is permissible and its relationship to the objectives of Sharia.

Dr.Abu Al-Qasim Bin Ahmad Ibrahim MasMaLi *

*Assistant Professor at the Sharia Department-
College of Sharia and Low- University of Jazan-KSA.

تقييد المباح وعلاقته بمقاصد الشريعة.

د. أبو القاسم بن أحمد إبراهيم مسملي *

*أستاذ مساعد بقسم الشريعة - أصول الفقه - قسم الشريعة بكلية
الشريعة والقانون - جامعة جازان - المملكة العربية السعودية.

E-mail: Amasmaly@jazanu.edu.sa

KEY WORDS

restriction, permissibility, objectives of Sharia, relationship.

الكلمات المفتاحية

تقييد، المباح، مقاصد، الشريعة، العلاقة.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

The research tended to show the relationship between restricting what is permissible and the objectives of Sharia, as the science of the objectives of Sharia is defined as: "the purpose of Sharia and the secrets that Allah has described at each of its rulings." Among the Sharia rulings that are governed by the objectives of Sharia is the permissible, which indicates forgiveness in one's action. And It is one of the broadest areas of legal rulings, so does the pardon rule remain? Or are there restrictions on transferring it to the demand department? Whether the action is requested by obligation, recommended, or requested to be abandoned by prohibition or dislike? This transition means to take it more into account in the objectives of Sharia law.

And I followed the inductive, descriptive approach through fundamentalist works. The research concluded by clarifying the concept of restricting what is permissible and how it is fundamentally linked to the objectives of Sharia, and that fundamentalist opinions are consistent to some extent in the permissibility of restricting what is permissible whenever its controls and conditions are met, and showing care in determining the relationship between restricting what is permissible and the objectives of Sharia according to Imam Al-Shatibi (d. 790 AH), may Allah have mercy on him, and explaining that it is a close relationship that cannot be broken under any circumstances, whether restricting what is permissible is an obligation or a recommendation, or in a way that is forbidden or disliked.

And recommending the establishment of the Maqasid rules related to restricting what is permissible, as well as paying attention to jurisprudential revelation of the objectives to restrict what is permissible.

اتجه البحث إلى إظهار العلاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة، إذ يُعرّف علم مقاصد الشريعة بأنه: "الغاية من الشريعة والأسرار التي وصفها الشارع عند كل حكم من أحكامها"، ومن جملة الأحكام الشرعية التي ترعاها المقاصد الشرعية، المباح الذي يدل على العفو في فعله، وهو من أوسع دوائر الأحكام الشرعية، فهل يبقى على حكم العفو؟ أم أن هناك قيود تنقله لدائرة الطلب؟ سواء طلب الفعل بالوجوب، أو الندب، أو طلب الترك بالتحريم، أو الكراهة؟، وهذا الانتقال لا يعدو عن مراعاة مقاصد الشريعة، وقد اتبعت في ذلك المنهج الاستقرائي الوصفي من خلال المصنفات الأصولية.

وقد خلّص البحث إلى بيان مفهوم تقييد المباح، وأنه مرتبط ارتباطاً جذرياً بمقاصد الشريعة، وأن الآراء الأصولية متوافقة لحد ما في جواز تقييد المباح متى ما توفرت ضوابطه، وشروطه، وإظهار العناية بتقرير العلاقة بين تقييد المباح، ومقاصد الشريعة لدى الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، وبيان أنها علاقة وثيقة، لا تتفك بحال، سواء أكان التقييد للمباح على وجه الأمر إيجاباً، أو ندباً، أو على وجه النهي تحريماً، أو كراهة.

والتوصية بتقرير القواعد المقصدية المتعلقة بتقييد المباح، وكذلك الاهتمام بالتنزيل الفقهي المقاصد لتقييد المباح.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،
وبعد:

فإن المتأمل لنصوص الكتاب والسنة، وما اشتملت عليه من أحكام شرعية دالة على الفعل، أو عدمه، يلحظ العناية الربانية بالعباد في تقرير الشريعة الإسلامية، وأنها صالحة للتطبيق زماناً ومكاناً، وذلك من خلال أن الأوامر والنواهي في تلك النصوص محصورة، ومن ثم جعل سبحانه مساحة واسعة للحكم الشرعي "المباح".

قال الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى: " معلوم بالضرورة من الدين أن شريعة الإسلام جاءت شريعة عامة داعية جميع البشر إلى اتباعها، لأنها لما كانت خاتمة الشرائع استلزم ذلك عمومها - لا محالة - سائر أقطار المعمورة، وفي سائر أزمنة هذا العالم " (ابن عاشور، ١٤٤٠هـ، ص: ٢٦٨).

ثم يقول: " ومن أعظم ما يقتضيه عموم الشريعة أن تكون أحكامها سواء لسائر الأمم المتبعين لها بقدر الاستطاعة، لأن التماثل في إجراء الأحكام والقوانين عون على حصول الوحدة الاجتماعية في الأمة " (ابن عاشور، ١٤٤٠هـ، ص: ٢٧٠).

ثم يقول: "فتعين أن يكون معنى صلوحية شريعة الإسلام لكل زمان أن تكون أحكامها كليات ومعاني مشتملة على حكم ومصالح، صالحة لأن تنفرد منها أحكام مختلفة الصور متحددة المقاصد. ولذلك كانت أصول التشريع الإسلامي تتجنب التفريع والتحديد " (ابن عاشور، ١٤٤٠هـ، ص: ٢٧٧).

وبعد المباح كغيره من الأحكام الشرعية المرتبطة بالمقاصد الشرعية المتضمنة لجلب مصلحة في ذلك الحكم، أو دفع مفسدة، ومن هنا ظهر مصطلح ما يعرف بتقييد المباح سواء عن طريق المقاصد أو غيرها من الأمور الخارجة. إلا أن الارتباط الوثيق بين مقاصد الشريعة والحكم الشرعي المباح جعل العلماء الأوائل ينظرون لذلك من خلال تفسير تلك العلاقة، وبينها كما يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: " أصل المسألة إنما هو في المباح من حيث هو مباح متساوي الطرفين، ولم يتكلم فيما إذا كان ذريعة إلى أمر آخر، فإنه إذا كان ذريعة إلى ممنوع؛ صار ممنوعاً من باب سد الذرائع، لا من جهة كونه مباحاً وعلى هذا ينتزل قول من قال: "كنا ندع ما لا بأس به؛ حذراً لما به البأس" (الشاطبي، ١٤١٧هـ، ١/١٧٧).

وللتطور في أعمال المقاصد الشرعية، وأن الشريعة المحمدية صالحة للتطبيق الزماني والمكاني، وما تناولته دراسات مستفيضة في بيان مصطلح تقييد المباح، وما يتطلب إعماله من ضوابط، وشروط معتبرة يراعيها المجتهد عند بيان الحكم الشرعي، تدل على أهمية العناية بتلك المسائل وتقديرها.

وتأسيساً على ما سبق، وفي ضوء الأهمية والمكانة التي يحظى بها علم مقاصد الشريعة من ناحية التأصيل والتطبيق، وعلاوة على تأكيد الدراسات السابقة، واستجابة للتوصيات البحثية، ونظراً لعدم وجود دراسات سابقة تتناول العلاقة بين تقييد المباح والمقاصد الشرعية، تلمس الباحث هذا الجانب بالبيان والإيضاح.

مشكلة البحث:

وفي ضوء ما سبق، ومن خلال القراءة للأبحاث العلمية، والدراسات الشرعية المتعلقة بالمقاصد الشرعية، أمكن تحديد مشكلة البحث الحالي الموسوم بـ: "تقييد المباح وعلاقته بمقاصد الشريعة، لتجلية تلك العلاقة ما أمكن.

والله أسأل أن ينفع بما كتب وقرر في هذا البحث،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
• أسئلة البحث:

تكم أسئلة البحث في الإجابة عن سؤالين هما كالآتي:

السؤال الأول: ماذا نعني بتقييد المباح؟

السؤال الثاني: هل هناك علاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة؟

• أسباب اختيار الموضوع:

١. مكانة النص الشرعي من خلال ربط الأحكام الشرعية بالمقاصد الشرعية.
٢. أهمية الموضوع لا سيما وأنه يتعلق بأحد الأحكام الشرعية وهو: المباح.
٣. عدم تناول البحثي لربط العلاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة.

• أهداف البحث:

تتلخص أهداف البحث في الآتي:

١. بيان مفهوم تقييد المباح.
٢. بيان العلاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة.

الدراسات السابقة:

تنوعت البحوث والرسائل العلمية المتعلقة بدراسة تقييد المباح عموماً، وهي تزيد عن عشرين دراسة سواء علمية، أو بحثية قصيرة منشورة، إلا أن بيان العلاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة لم تسبق بالبحث والنظر المفرد. ولذا جاء البحث ليسلط الضوء على تلك العلاقة من منظور فكر الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى.

• حدود البحث:

تناول العلاقة بين تقييد المباح ومقاصد الشريعة من خلال ما قرره الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى في كتابه: الموافقات.

منهج البحث:

يتخلص منهج البحث في الآتي:

١. المنهج الوصفي: وذلك ببيان مفهوم تقييد المباح، ومقاصد الشريعة في اللغة والاصطلاح.
٢. المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع نصوص الأئمة في بيان حكم تقييد المباح وعلاقته بمقاصد الشريعة.

• إجراءات البحث:

وتتلخص في الآتي:

١. كتابة البحث وفق المنهجية العلمية في كتابة البحوث الشرعية الأصولية.
٢. العناية بالتعريف من الناحية اللغوية والاصطلاحية.
٣. العناية بالتوثيق.

التعريف بتقييد المباح من جهة الأفراد أو علماء مركباً.

التقييد في اللغة: مصدر مفرده قيد وهو: بخلاف المطلق، إذ القاف والياء والادال الحَبْس يقال: الْقَيْدُ وَقَيْدُهُ تَقْيِيدًا جَعَلْتُ الْقَيْدَ فِي رَجُلِهِ، وَمِنْهُ تَقْيِيدُ الْأَفَاطِ بِمَا يَمْنَعُ الْإِخْتِلَاطَ وَيُرِيلُ الْإِلْتِبَاسَ. (ابن فارس، ١٣٩٩، ٤٤/٥) (الحموي، بدون، ٥٢١/٢).

واصطلاحاً: لا يخرج عن مدلوله اللغوي من الحَبْس، فالمباح مأذون بفعله، فكان الناظر بتقييده يحبس حكمه، وذلك بالانتقال إلى غيره من الأحكام الشرعية.

المباح لغة: مأخوذة من لفظة بَوَّحَ وهي: سَعَةُ الشَّيْءِ وَبُرُوزُهُ وَظُهُورُهُ، ومنه: إِبَاحَةُ الشَّيْءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَحْظُورٍ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ وَاسِعٌ غَيْرُ مُضَيِّقٍ. (ابن فارس، ١٣٩٩، ٣١٥/١)

واصطلاحاً: فقد عرف بتعاريف عدة في كتب الأصوليين ومن أبرز تلك التعريفات:

تعريف الإمام الشاطبي (ت ٥٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى بقوله: "المخير فيه بين الفعل والترك، من غير مدح ولا ذم، لا على الفعل ولا على الترك". (الشاطبي، ٥١٤١٧، ١/١٧٢)

وقد أسهب رحمه الله تعالى في بيان ما يتعلق بالمباح من حيث حكمه، وأنه غير مطلوب الفعل، أو مطلوب الاجتناب. والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح: ظاهرة، إذ أن المباح في اللغة ما كان ذي سعة، وهو كذلك في الاصطلاح، غير مقيد بطلب فعل أو طلب كف؛ لبروزه ووضوحه للمكلف.

وأما تعريف تقييد المباح باعتباره علماء مركباً: فإن الناظر لما قرره العلماء الأوائل في مصنفاتهم، لا يجد تعريفاً ينبه إلى تقييد المباح، إلا ما فهم من كلام الشاطبي (ت ٥٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، عند بيان رأيه في أن المباح لا يكون مطلوب الفعل، ولا مطلوب الاجتناب، حيث قال: "أن الكلام في أصل المسألة إنما هو في المباح من حيث هو مباح متساوي الطرفين، ولم يتكلم فيما إذا كان ذريعة إلى أمر

آخر، فإنه إذا كان ذريعة إلى ممنوع؛ صار ممنوعاً من باب سد الذرائع، لا من جهة كونه مباحاً... أنا إذا نظرنا إلى كونه وسيلة؛ فليس تركه أفضل بإطلاق، بل هو ثلاثة أقسام: قسم يكون ذريعة إلى منهي عنه؛ فيكون من تلك الجهة مطوب الترك. وقسم يكون ذريعة إلى مأمور به؛ كالمستعان به على أمر أخروي..." (الشاطبي، ٥١٤١٧، ١/١٧٨).

وهذا الكلام يشعر بما اصطلاح عليه مؤخراً عند العلماء بتقييد المباح، وقد تعددت التعاريف في بيان مصطلح تقييد المباح. ويمكن أن نعرفه: استناداً لما قرره الشاطبي رحمه الله تعالى بأنه: (العدول من التخيير بالفعل إلى الطلب بالفعل أو الكف؛ مراعاة لجلب مصلحة أو درء مفسدة).

التعريف بمقاصد الشريعة من جهة الأفراد أو علماء مركباً:

المقاصد في اللغة: جَمْعٌ مفرده مَقْصَدٌ، والمقصد مصدر قَصَدَ يَقْصِدُ قصداً ومَقْصِداً. من باب ضَرَبَ.

ويأتي في اللغة على عدة معاني لعل أقربها لتعريف مقاصد الشريعة باعتبارها علماء: أنه طلب الشيء بعينه يقال: قَصَدْتُ الشَّيْءَ وَلَهُ وَإِلَيْهِ قَصْداً: طَلَبْتُهُ بِعَيْنِهِ، وَإِلَيْهِ قَصْدِي وَمَقْصِدِي بَفَتْحِ الصَّادِ وَيَكْسُرُهَا اسْمُ الْمَكَانِ نَحْوُ مَقْصِدِ مُعَيِّنٍ (ينظر: الجوهري، ٥١٤٠٧، ٥٢٤/٢). ابن فارس، ١٣٩٩، ٥١٤٢٢، ٩٥/٥)، الفيومي، بدون، (٢/٥٠٤)، الزبيدي، ٥١٤٢٢، ٣٥/٩).

واصطلاحاً: "هي إرادة حصول المرام من تشريع الأحكام" (ابن ربيعة، ٥١٤٣٣، ص: ٢٠).

الشريعة في اللغة: قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) (رحمه الله): "الشَّيْءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّرِيعَةُ، وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الْمَاءِ وَاشْتَقَّ مِنْ ذَلِكَ الشَّرْعَةُ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةُ" (ابن فارس، ١٣٩٩، ٢٦٢/٣).

قَالَ تَعَالَى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} سورة المائدة من الآية: (٤٨).

واصطلاحاً: "هِيَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ وَالسُّنَنُ وَالْأَحْكَامُ" (ابن تيمية، ٥١٤٢٥، ٣٦٢/٣).

وأما تعريف مقاصد الشريعة باعتبارها علماء: فإن الناظر فيما كتبه الأوائل من موضوعات مقاصدية لم يتطرقوا إلى وضع حدٍّ للمقاصد في الاصطلاح، حتى أن الإمام الشاطبي (ت ٥٧٩٠هـ) (رحمه الله) وهو من الأوائل الذين ألفوا في المقاصد الشرعية لم يتطرق لتعريفها اصطلاحاً، ولعل ذلك لوضوح المعنى آنذاك.

بينما اجتهد العلماء المعاصرون في وضع حدٍّ للمقاصد في الاصطلاح، والناظر لتلك الحدود يرى أنها لا تخرج عن

فالناظر في المثال المذكور: وهو بيان أن الأصل في الأكل والشرب الإباحة، وقد قيد كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكله مما يليه، وقد نبه رحمه الله إلى أن ذلك التقييد؛ أدباً في الأكل.

وكذلك الإمام أبو يعلى (ت ٥٨٨هـ) رحمه الله تعالى، عند الحديث عن القاعدة الفقهية، إذا اجتمع حاضر ومبطل يغلب ماذا؟ فقال: "أن يكون أحدهما حاضراً، والآخر مبيحاً، فالحاضر أولى؛ لأن في الحظر احتياطاً؛ لأن ترك المباح لا إثم فيه، وفعل المحظور إثم، فكان تركه أولى من الفعل ها هنا" (أبو يعلى، ١٤١٠هـ، ٣/ ١٠٤١).

وقد سار على ذلك جمع ممن دون في أصول الفقه. ثم جاء بعد ذلك الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ) رحمه الله تعالى، فوضح جانباً من تصوير مصطلح تقييد المباح، من خلال الربط المقاصدي، فقال: "فالمباحات مقصودة منتحاة بقصد الإباحة وليست مقصودة بالإيجاب ... ونحن لا ننكر أن المباحات تقع ذرائع إلى الانكفاف عن المحظورات" (الجويني، ١٤١٨هـ، ١/ ١٠١).

ثم جاء الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، وتحدث بإسهاب عن المباح، وما يتعلق به من مسائل فأجاد وأفاد، ولعل ذلك يرجع لربطه رحمه الله تعالى الحديث عن المباح من خلال مقاصد الشريعة، وما يعترى ذلك الحكم من قيود وضوابط تمنع من بقائه على الحكم الأصلي "الإباحة".

قال رحمه الله تعالى: "أن الكلام في أصل المسألة إنما هو في المباح من حيث هو مباح متساوي الطرفين، ولم يتكلم فيما إذا كان ذريعة إلى أمر آخر، فإنه إذا كان ذريعة إلى ممنوع؛ صار ممنوعاً من باب سد الذرائع، لا من جهة كونه مباحاً..." (الشاطبي، ١٤١٧هـ، ١/ ١٧٨).

والإمام الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى، تناول الحديث عن تقييد المباح، من خلال كتابه: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، سيراً على مقرر الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، ومزيد تأكيد لفكرته، حيث قال: "أن المباح ليس فيه مصلحة لازمة ولا مفسدة معتبرة لزم أن يراعى ذلك في العوائد. فمتى اشتملت على مصلحة ضرورية أو حاجية للأمة كلها، أو ظهرت فيها مفسدة معتبرة لأهلها لزم أن يصار بتلك العوائد إلى الانزواء تحت القواعد التشريعية العامة من وجوب أو تحريم" (ابن عاشور، ١٤٤٠هـ، ص: ٢٧٢).

ومن خلال ما تم عرضه ونقله عن الأئمة الأعلام، نلاحظ أن جانب العناية بتقييد المباح ظاهرة. وقد توصلت بعد النظر في نصوص الأئمة، ومجال الأعمال لمسألة: تقييد المباح، أنه جائز متى ما توفرت الشروط، والضوابط، التي تُحدد آلية التقييد، دون أن تكون راجعة إلى داعية شهوة، أو هوى، والله تعالى أعلم.

معنى واحد مشترك وهو الغايات، والأهداف، والمآلات، التي قصدها الشارع من أجل سعادة الإنسان في الدارين. ولعل من أجود التعاريف ما ذكره الأستاذ علال الفاسي (ت ١٣٩٤هـ) (رحمه الله) وهو أنها: "الغاية من الشريعة، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (الفاسي، ١٤٣٤هـ، ص: ٣).

فإن الناظر للتعريف يلحظ الشمولية، والإيضاح والبيان، ومن جاء بعده سار على نسقه، وإن اختلفت الصياغة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

من خلال ما تقدم في بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، يظهر أن ثمة علاقة بين المعنيين وذلك أن المجتهد يطلب الغاية أو السر الذي وضعه الشارع الحكيم في النص الشرعي من أجل الوصول إلى حكم شرعي صحيح، وهذا ما أفاده المعنى اللغوي وتضمنه المعنى الاصطلاحي.

آراء الأصوليين في حكم تقييد المباح:

يعد ظهور مصطلح تقييد المباح، مصطلح معاصر لدى المتأخرين من العلماء من حيث التأصيل، إذ لم ينقل عن أحد من العلماء المتقدمين، تناول هذا المصطلح بالبيان والإيضاح، إلا ما ورد من استعمال للفظ، دون التعرض لبيان حقيقته، كما جاء عن الإمام السرخسي رحمه الله تعالى (ت ٤٨٣هـ) حيث قال: "وتقييد المباح بشرط فيه خطر مستقيم في الشرع، كالرمي إلى الصيد مباح، بشرط أن لا يصيب آدمياً، وهذا لأنه متمكن من ترك هذا الترخيص بالتأخير، ولا ينكر كونه مندوباً للمسارعة إلى الأداء، قال الله تعالى: {فاستبقوا الخيرات} فقلنا بأنه يتمكن من البناء على الظاهر من التأخير ما دام يرجو أن يبقى حياً عادة، وإن مات كان مفراطاً؛ لتمكنه من ترك الترخيص بالتأخير" (السرخسي، ١٤٢٥هـ، ص: ٢٢).

وأما تناول من حيث التطبيق والتنزيل فهو مقرر في كتبهم، لا سيما حال الحديث عن تعريف المباح، وبيان محترزاته، وبيان الفروق بينه وبين طلب الفعل، أو طلب الكف.

والمأمل لما قرره العلماء الأوائل في حديثهم عن المباح، وما يتعلق به من مسائل، تؤكد أن المباح لا يمكن تقييده عن داعية تشهي أو هوى، وإنما يكون تقييده بضابط، تراعه القواعد الأصولية والفقهية، أو مقاصد الشريعة عموماً.

ويعد من أوائل من تناول تقييد المباح، الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى في كتابه: "الرسالة" عن طريق الأعمال، عند بيان صفة نهي الله، ونهي نبيه بقوله: " ولم يكن أمره أن يأكل من بين يديه، ولا يأكل من رأس الطعام إذا كان مباحاً له أن يأكل ما بين يديه، وجميع الطعام إلا أدباً في الأكل من بين يديه؛ لأنه أجمل به عند موكلته، وأبعد له من قُبْح الطَعْمَةِ والنَّهْم..." (الشافعي ١٣٥٧هـ، ص: ٣٥٢).

وبعد عرض تلك النصوص يتضح بأن مكانة الأحكام الشرعية، وعلاقتها بالمقاصد الشرعية ظاهرة، وواضحة، إلا أن الإيضاح التام والبيان الشافي يتعلق بالحكم التكليفي المباح فكيف يتعلق بالمباح مقاصد، وهو غير ملزم بفعل أو ترك.

ولذا ناسب في هذا المبحث أن نوضح تلك العلاقة، إذ المباح لا يخلو من مصلحة أو مفسدة، وهذه المصلحة، أو المفسدة، هي المقياس؛ لبقاء المباح على حكمه، بالعفو في فعله، أو انتقاله إلى رتبة أعلى، بكونه طلب فعل إيجاب، أو نذب، أو طلب كف تحريم، أو كراهة.

ومن هنا يمكن أن نحدد علاقة مقاصد الشريعة بتقييد المباح، فالمباح يتأثر بمراعاة مقاصد الشريعة عموماً.

وبعد الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، من أوائل من أوضح تلك العلاقة، وبينها بياناً شافياً، وأجاب عن ذلك جواباً إجمالياً، وآخر تفصيلياً.

فأما الإجمالي: فقال رحمه الله تعالى: "إذا ثبت أن المباح عند الشارع هو المتساوي الطرفين؛ فكل ما ترجح أحد طرفيه؛ فهو خارج عن كونه مباحاً، إما لأنه ليس بمباح حقيقة وإن أطلق عليه لفظ المباح، وإما لأنه مباح في أصله، ثم صار غير مباح لأمر خارج، وقد يسلم أن المباح يصير غير مباح بالمقاصد والأمور الخارجة" (الشاطبي، ١٤١٧هـ، ١/ ٢٠٣).

وأما التفصيلي: فيرى رحمه الله تعالى أن تلك العلاقة بين تقييد المباح، والمقاصد الشرعية مرتبطة بثلاثة أحوال، وهي كالآتي:

الحالة الأولى: أن يرتبط المباح بمقصد وجودي، إما ضروري، أو حاجي، أو تكميلي، فيكون المباح مأموراً به على وجه الإيجاب، أو النذب، ومثال ذلك: الأكل والشرب في أصله مباح، إلا أنه خادماً لمقصد ضروري وهو: إقامة الحياة، فحينئذ يقيد بما يخدم ذلك المقصد.

الحالة الثانية: أن يرتبط المباح بمقصد عدمي، إما ضروري، أو حاجي، أو تكميلي، فيكون منهياً عنه من جهة التحريم، أو الكراهة، ومثال ذلك: الطلاق في أصله مباح، وهو يُنقض بالمقصد الكلي من إقامة النسل، فحينئذ يقيد بما يخدم ذلك المقصد.

الحالة الثالثة: ألا يرتبط به مقصد وجودي أو عدمي فهو حينئذ باقي على أصله الإباحة دون تقييده. (ينظر: الشاطبي، ١٤١٧هـ، ١/ ٢٠٢).

ويمكن أن تُلخص فكرة الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى، في بيان علاقة تقييد المباح بمقاصد الشريعة، من خلال أنها علاقة وثيقة، لا تنفك بحال، سواء أكان التقييد للمباح على وجه الأمر إيجاباً، أو نذباً، أو على وجه النهي تحريماً، أو كراهة.

ولذلك يقول الزركشي (ت ٧٩٤هـ) رحمه الله تعالى: "والحاصل: أن حكم المباح يتغير بمراعاة غيره فيصير واجباً إذا كان في تركه الهلاك، ويصير محرماً إذا كان في فعله فوات فريضة أو حصول مفسدة كالبيع وقت النداء ويصير مكروهاً إذا اقترنت به نية مكروه، ويصير مندوباً إذا قصد به العون على الطاعة" (الزركشي، ١٤١٤هـ، ١/ ٣٦٥).

علاقة تقييد المباح بمقاصد الشريعة:

يعد الحديث عن الأحكام الشرعية، من أهم مباحث علم أصول الفقه، التي استقر التدوين الأصولي عليها، وذلك باعتبارها أحد أساسات هذا العلم الجليل، فالإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) رحمه الله تعالى حدد الأقطاب الأربعة لعلم أصول الفقه، ومن جملتها الأحكام الشرعية، فقال: "أعلم أنك إذا فهمت أن نظر الأصولي في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية لم يخف عليك أن المقصود معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة، فوجب النظر في الأحكام، ثم في الأدلة وأقسامها، ثم في كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة، ثم في صفات المقتبس الذي له أن يقتبس الأحكام، فإن الأحكام ثمرات وكل ثمرة فلها صفة وحقيقة في نفسها ولها ثمرة ومستثمر وطريق في الاستثمار" (الغزالي، ١٤١٣هـ، ص ٧).

ثم إن المتأمل للأحكام الشرعية، وما تتضمنه من أوامر أو نواهي، يلحظ الارتباط بمقاصد الشريعة من خلال ما يتعلق بتلك الأوامر والنواهي، من جلب المصالح، أو درء المفساد، ولذا يقول الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ) رحمه الله تعالى: "ومن لم يفتن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة" (الجويني، ١٤١٨هـ، ١/ ١٠١).

وفي هذا المقام أيضاً يقول الإمام العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) رحمه الله تعالى، مقررًا اشتغال الأحكام على جلب المصالح، أو درء المفساد بقوله: "فائدة إذا عظمت المصلحة أوجبها الرب في كل شريعة، وكذلك إذا عظمت المفسدة، حرمها في كل شريعة، وإن تفاوتت رتب المصالح والمفساد فقد يقدم الشرع بعض المصالح في بعض الشرائع على غيرها" (العز بن عبد السلام، بدون ١/ ٤٤).

ويقول الشاطبي (٩٧٠هـ) رحمه الله تعالى: "إن التكليف معللة بمصالح العباد..." (لشاطبي ١٤١٢هـ، ٢/ ٦٣٠). أي: مشتملة على المصلحة عرفت لنا أم لا.

ويقول الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى: "اختلاف مقاصد الأحكام الشرعية بين أصلية وتابعة لها. فمنها المنصوص عليه، ومنها المشار إليه، ومنها ما وقع استقراءه من النصوص كما تقدم" (ابن عاشور، ١٤٢٥هـ، ٢/ ٤٧٨).

ابن فارس، أحمد، (١٣٩٩هـ)، مقاييس اللغة، الأولى، دمشق، دار الفكر.

أبو يعلى، محمد، (١٤١٠هـ)، العدة في أصول الفقه، الأولى، الرياض، الرشد.

الجهري، إسماعيل، (١٤٠٧هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الرابعة. دار العلم. بيروت.

الجويني، عبد الملك، (١٤١٨هـ)، البرهان في أصول الفقه، بيروت، دار الكتب العلمية.

الزبيدي، محمد. (بدون). تاج العروس من جواهر القاموس. بدون. دار الهداية.

الزركشي، محمد، (١٤١٠هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، الأولى، دار الكتبي.

السرخسي، محمد، (١٤٢٥هـ)، أصول السرخسي، الأولى، بيروت، دار الفكر.

الشاطبي، إبراهيم، (١٤١٢هـ)، الاعتصام، الأولى، الرياض، دار ابن عفان.

الشاطبي، إبراهيم، (١٤١٧هـ)، الموافقات، الأولى، الرياض، دار ابن عفان.

الشافعي، محمد، (١٣٥٧هـ)، الرسالة، الأولى، مصر.

الغزالي، محمد، (١٤١٣هـ)، المستصفى في أصول الفقه، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

الفاسي، علل، (١٤١٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الثانية، مصر، دار السلام.

الفيومي، أحمد. (بدون). المصباح المنير شرح غريب الشرح الكبير. بدون. دار الكتب العلمية. بيروت.

وأن تقيد المباح بقياسه الأهم، والأبرز، هو: ربطه بمقاصد الشريعة ربطاً صحيحاً، وتصوراً دقيقاً لذلك المقصد؛ ليتحقق مراد الشرع.

كما أن تقيد المباح، لا يكون عن داعية هوى، أو شهوة، مالم يرد ما يقيد به ويصرفه عن أصل الإباحة، ولذا استطرده الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى في بيان ذلك، وتقريره.

وختاماً: لا أدل على تلك العلاقة الوثيقة بين تقيد المباح، ومقاصد الشريعة، من أعمال النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنه، وذلك من خلال جملة من التصرفات المنوطة بالمصلحة جلباً، أو درءاً للمفسدة.

الخاتمة:

واشتملت على أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. يعد مفهوم تقيد المباح مرتبطاً ارتباطاً جذرياً بمقاصد الشريعة ولذا عرف بأنه: (العدول من التخيير بالفعل إلى الطلب بالفعل أو الكف؛ مراعاة لجلب مصلحة أو درء مفسدة).

٢. تُعد الآراء الأصولية متوافقة لحد ما في جواز تقيد المباح متى ما توفرت ضوابطه، وشروطه.

٣. اعتنى الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى بتقرير العلاقة بين تقيد المباح ومقاصد الشريعة.

٤. تعتبر العلاقة بين تقيد المباح ومقاصد الشريعة علاقة وثيقة لا تنفك بحال سواء أكان التقيد للمباح على وجه الأمر إيجاباً أو ندباً، أو على وجه النهي تحريماً أو كراهة.

ثانياً: التوصيات:

يعتبر البحث نواة أولى في بيان العلاقة، ويمكن من خلاله فتح أفق أرحب للنظر المقاصدي في الأحكام الشرعية تأصيلاً وتطبيقاً.

وتتلخص التوصيات في الآتي:

١. تقرير القواعد المقاصدية المتعلقة بتقيد المباح.

٢. التنزيل الفقهي المقاصدي للتقيد المباح.

فهرس المصادر والمراجع:

ابن تيمية، أحمد، (١٤١٦هـ)، مجموع الفتاوى، الأولى، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن ربيعة، عبد العزيز، (١٤٣٣هـ)، علم مقاصد الشارع، الثالثة، الرياض، العبيكان.

ابن عاشور، محمد. (١٤٤٠هـ). مقاصد الشريعة الإسلامية. الأولى. دار النفائس. الأردن.

ابن عبد السلام. عبد العزيز. (١٤٢٩هـ). قواعد الأحكام في إصلاح الأنام. الأولى. دار القلم. دمشق.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The role of Tajweed provisions in highlighting the meanings of the Qur'an.

Dr. Alawi Abdul Rahim Al – Raddadi*

*Associate Professor at the Islamic University - Readings section- KSA.

دور أحكام التجويد والصوت في إبراز معاني القرآن.

د. علوي عبد الرحيم الرادادي*

*أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية، قسم القراءات- المملكة العربية السعودية.

E-mail: alwi1285@gmail.com

KEY WORDS

rulings of intonation - meanings - the Noble Qur'an - recitation.

الكلمات المفتاحية

أحكام التجويد - معاني - القرآن الكريم - التلاوة.

ABSTRACT

The study aims to exist the relationship between the provisions of intonation and its role in clarifying the meanings of the Noble Qur'an mainly by identifying the concept of intonation and its origins in the beginning, thus clarifying the main provisions of intonation and highlighting the relationship between the provisions of intonation and highlighting the correct meaning of the verses of the Holy Qur'an theoretically, and by examining a set of detailed models that Clarifies this relationship.

In order to achieve the objectives of the study and cover its questions, the descriptive approach was adopted by referring to the most prominent books and studies in the science of intonation and interpretation, in order to stand on all that was mentioned by scholars about the provisions of intonation and its relationship to highlight meanings. The study has come up with several results, the most important of which is the existence of a close link between adherence to the provisions of intonation in its various and diversity, and ensuring an understanding of the intended and desired meaning in every verse in the Holy Qur'an.

The study also recommended the necessity of conducting more studies related to the current topic of the study because of its importance in memorizing the miracles in the verses of the Holy Qur'an and preserving their meanings, and the additional efforts that this field needs in view of its magnitude and greatness of its impact on the individual and society.

مستخلص البحث:

تهدف الدراسة إلى وجود العلاقة بين أحكام التجويد والصوت، ودورها في توضيح معاني القرآن الكريم بصورة أساسية من خلال التعريف بمفهوم التجويد ونشأته بدايةً، وتوضيح العلاقة بين أحكام التجويد والصوت، وإبراز المعنى الصحيح لآيات القرآن الكريم نظرياً، وبتناول مجموعة من النماذج التفصيلية التي توضح هذه العلاقة.

ولتحقيق أهداف الدراسة وتغطية تساؤلاتها، تم الاعتماد على **المنهج الوصفي** بالرجوع إلى أبرز الكتب والدراسات في علم التجويد والتفسير، من أجل الوقوف على كل ما ذكره العلماء حول أحكام التجويد وعلاقتها في إبراز المعاني.

وننتج عن هذه الدراسة الوصول إلى عدة نتائج أهمها: وجود ارتباط وثيق بين الالتزام بأحكام التجويد على اختلافها وتنوعها، وضمان فهم المعنى المقصود في كل آية من آيات القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال التنغيم يُبرز معاني آيات القرآن الكريم ويُبين غاياتها.

كما **أوصت** الدراسة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية؛ لما لها من أهمية في حفظ الإعجاز في آيات القرآن الكريم وحفظ معانيها، ولما يحتاجه هذا المجال من جهود إضافية نظراً لضخامته وعظمته تأثيره على الفرد والمجتمع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

كتاب الله هو أعظم كتاب أنزل على خاتم المرسلين محمد ﷺ، وهو كلام الله تعالى المعجز الذي أمرنا سبحانه بقرآته مرتلاً، قال تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرِثَ الْفَرَّانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وأمرنا رسولنا الكريم أن نقرأه كما أنزل عليه عبر إعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات، ومستحقها من المد والغنة والإدغام والإخفاء وغير ذلك.

ولما كان علم التجويد من أشرف العلوم منزلةً وأولها ذكراً؛ وجب علينا التدبر في أحكامه، والتساؤل عن دور أحكامه في إبراز معاني القرآن الكريم، وقد تطرقت في هذا البحث إلى دور مخارج الحروف وصفاتها في إظهار المعاني، حيث وجدت من خلال بحثي العديد من الدلائل الهامة التي تحتاج إلى التأمل الطويل، وأشارت فيه إلى أمثلة محدودة نظراً لصعوبة النقاش في البحث، لعلّي أفتح المجال أمام الباحثين اللاحقين للاجتهاد فيه والوقوف على معالم هذا العلم (علم التجويد).

لقد نشأ علم التجويد بصورة أساسية حينما كثرت الفتوحات الإسلامية، وما نتج عنها من اختلاط مختلف الثقافات، وتفشي اللحن بين المسلمين الجدد، وفي بداية الأمر لم يكن مصطلح التجويد هو المصطلح المستخدم، وإنما انتشرت ألفاظ أخرى في البداية مثل التزيين، والتغني، والتحسين، وفي القرن الخامس الهجري بدأ التدوين وعُرف مصطلح التجويد.

ويعرف التجويد بأنه إعطاء الحروف حقها ومستحقها من المخارج والصفات الأصلية لها، وإن الغاية الأساسية منه هو صون كتاب الله تعالى من اللحن بمختلف أنواعه (الجلي والخفي منه)، إضافةً إلى أن تطبيق أحكام التجويد من غنة ومد وغيرها يسهم في إيصال المعنى المطلوب للقارئ والسامع على حدٍ سواء^(١).

والبحث يُمثل امتداداً للأبحاث والدراسات المرتبطة بدراسة علم التجويد، فهذه العلوم الدينية تُعنى بفهم ما جاء في كتاب الله عز وجل الذي يُعتبر أساس صلاحنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة، وتناول أحكام التجويد في القرآن الكريم بطريقة تعليمية يُمثل مساعدة لكل من يُحاول تعلم أحكام تجويد القرآن الكريم بسهولة ويُسر.

مشكلة البحث:

لقد برزت ادعاءات مغلوطة تُشير إلى أن تجويد آيات القرآن الكريم يُشغل القارئ عن التدبر في معاني آياته، إلا

أن هذا البحث يُمثل إجابة لمن يدعي إلى أن التجويد يُلهي القارئ ويُشغله عن تدبر الآيات، ومثل هذا الادعاء ناتج عن الجهل بأحكام التجويد وأهميته ومغزاه، حيث إن التجويد لا يمنع القارئ من تدبر معاني آيات كتاب الله، وإنما تعتبر من أعظم الأمور التي تؤدي إلى تدبر معاني آيات القرآن الكريم، حيث يُشعر السامع بلذة المعاني.

كما أن تجويد آيات كتاب الله تُظهر المعاني الحقيقية للنصوص القرآنية، وتُمكن المسلم من استنتاج الأحكام المتعلقة بقضايا معينة، وهذا يؤكد على ضرورة اهتمام أهل الفكر الإسلامي في مختلف البقاع بموضوع تجويد القرآن الكريم، وإنه يحتاج إلى دراسات وأبحاث مستفيضة التي تؤكد على أهميته وضرورته وغاياته، وإنما هو علم يحتاج إلى المزيد من التدبر والتفقه فيه. وأمل أن يساهم هذا البحث - ولو جزءاً - في التأكيد على أهمية علم التجويد ودوره في إبراز معاني القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية الموضوع البحثي الذي يتناوله وهو تجويد القرآن الكريم، حيث إن تدبر كلام الله عز وجل وتجويد كلماته وحروفه من أركى الأعمال وأعظمها عند الله عز وجل، وقد أكد القرآن الكريم على هذا الأمر ونوّه إليه في العديد من مواضعه، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وفي هذا تأكيد على ضرورة تدبر معاني آيات الله وتجويد ألفاظه والعناية بمخارج حروفه وإظهار صفاتها وتحسين أداء آيات كتاب الله، مما يُمكن المسلم من تحقيق أمر الله سبحانه وتعالى والاستجابة له.

كما يُمكن توضيح أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

١. يُركّز البحث على دراسة أحكام تجويد محددة، وهي أحكام النون، والميم الساكنة، والقلقلة، والمد، ومخارج الحروف وصفاتها بصورة تُعزّز مستوى معرفة القارئ بأهمية الالتزام في تطبيق هذه الأحكام ودورها في إبراز معاني القرآن الكريم.

٢. إبراز أهمية وضرورة تدبر معاني القرآن الكريم وتجويد كلماته؛ لما في ذلك من أثر في حياة الأمة ومنهجها وصلاح أمرها وتعزيز قوتها ومنعتها، فالقرآن الكريم لا يكون بمجرد تلاوته، فعلى الرغم من الأجر الكبير الذي يناله المسلم من تلاوة القرآن الكريم، إلا أن التدبر في معانيه يُعتبر ضرورة شرعية؛ لما له من أهمية من إبراز المقصود من آيات الله تعالى وكلماته، فالمغزى الأساسي من تجويد آيات كتاب الله هي تحفيز المسلم على الاستجابة والعمل.

(١) أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد، حمدي بن حامد السيد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (٢٠١٤م).

إبراز جمال الصوت ودوره في إبراز المعاني، وقد ركزت هذه الدراسة بتناول أهمية النبر في إيضاح المعاني، وتوضيح صفات الحروف في إبراز المعاني بالتطبيق عليها لسورتين من سور القرآن وهي سورة النازعات وسورة التكويد، وبينت الدراسة أن اتباع أحكام التجويد السليمة لها دور في توضيح السياق القرآني العام^(٢).

٢. **دراسة عبد الكريم الدهشان (٢٠١٩م)**، جاءت بهدف الكشف عن ملامح الإعجاز البياني في القرآن الكريم وأثره في توضيح أحكام التلاوة والتجويد، بالإضافة إلى توضيح المعاني القرآنية من خلال تطبيق الأحكام الصحيحة في التجويد من خلال تمحيص وإيضاح إichاءات أحكام التجويد. وتبرز أهمية الموضوع من ارتباطه المباشر بكلام الله في آية في القرآن الكريم، وقد أوضحت الدراسة أن ظواهر أداء القرآن وتلاوته لها الدور البارز في تجسيد المعاني المرجوة من الآيات القرآنية على الوجه الصحيح، وبأن القراءة السليمة والتجويد الصحيح لآيات القرآن الكريم هو الأساس في حسن تدبر معانيه والتأثير من خلاله^(٣).

٣. **دراسة مصطفى كاظم شغيدل (٢٠١٦م)** بعنوان: (فونولوجيا أحكام التجويد وأثرها في دلالة النص القرآني)، جاءت هذه الدراسة بهدف الكشف عن الأسرار الخفية الموجودة في القرآن الكريم وتوضيح أهمية أحكام التجويد، إلى جانب أحكام الصرف والنحو لتوضيح دلالات النصوص القرآنية ومعانيها، وقد كان تركيز هذه الدراسة على الأحكام الصوتية تحديداً في التجويد، ومنها فقد خرجت الدراسة بنتيجة أن القرآن بأصواته وتراكيبه ومفرداته له الأثر الواضح في تفسير دلالات النصوص القرآنية، أي بتناول أحكام القرآن الصوتية وتوضيح أثره في دلالة النص من خلال السياق الذي وردت فيه من الناحية الفونولوجية^(٤).

التعقيب على الدراسات السابقة:

بناءً على استعراض الدراسات السابقة يمكن ملاحظة ما يلي:

١. قلة الدراسات التي تناولت العلاقة بين أحكام التجويد وأثرها المباشر في المعاني ودلالات القرآن الكريم، مما يؤكد ويشير إلى حاجة الأدب النظري إلى دراسات إضافية تدعم المكتبة العربية في هذا الموضوع.
٢. على الرغم من وجود عدد محدود من الدراسات التي شابهت موضوعنا كما اتضح أعلاه، لكن دراستنا تعتبر أشمل وأعمق؛ وبالتالي توضيح أثرها على إبراز المعاني بشكل أكثر وضوحاً.
٣. أغلب الدراسات السابقة ركزت على الأحكام الصوتية للتجويد وربطها بعلم الصوتيات أكثر من دراسة الأحكام الأخرى، وخاصة اللغوية، وعلاقتها على إبراز المعاني بالأداء القرآني.

٣. يُبرز البحث الحالي أهمية دلالة الصوت في إظهار معاني الآيات القرآنية والتأكيد عليها، وفي ذلك تأكيد على أهمية جمال الصوت ونبراته المختلفة في إضافة معاني للآيات القرآنية وتحريك المشاعر ولمس الوجدان.

٤. يسعى البحث إلى تحفيز معلمي القرآن الكريم (منهج التلاوة) بالتركيز على تطبيق أحكام التجويد وتدريب الطلاب على أسس إتقان التجويد الصحيحة وأهمية تطبيقها في إبراز معاني القرآن الكريم وتوضيح معانيه.

٥. يُمهّد البحث المجال للباحثين بإجراء المزيد من الدراسات المرتبطة فيه بما في ذلك إجراء دراسات تطبيقية على تأثير القراءة المجودة على نفوس السامعين بصورة تدعم نتائج البحث وتؤكد عليها.

سبب اختيار الموضوع:

يكمن السبب الرئيسي وراء اختيار موضوع الدراسة الحالي ما لاحظته من وجود ارتباط وثيق بين أحكام التجويد وقواعده بتوضيح السياق القرآني وإبراز المعنى الصحيح لآياته، ولما لهذا الموضوع من أهمية في تحقيق أحكام التلاوة والتجويد الصحيحة، فهو موضوع جدير بالدراسة والتمحيص؛ لما له من دور رئيس في تحقيق الغرض الرئيسي من نزول القرآن والمعني بتدبر معانيه.

وأخيراً والأهم هو ابتغاء للأجر والثواب من الله تعالى، والرغبة في خدمة كتاب الله عز وجل، وكذلك إثراء المكتبة القرآنية ببحث متوسع يختص بدراسة هذا المجال بصورة مفصلة ودقيقة.

أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف البحث بالتالي:

١. جمع ومعالجة أحكام التجويد في القرآن الكريم، وما يتعلق بها من أحكام النون والميم الساكنة والقلقلة والمد ومخارج وصفات ودراسة أثرها في المعاني.
٢. مناقشة العلاقة بين أحكام التجويد ودوره في توضيح معاني القرآن الكريم وتصويب ما كان بحاجة إلى تصويب لضمان إظهار المعنى.

٣. صحة الأداء في الحروف ومخارجها وإظهار دورها في إبراز المعاني وتوضيح المقاصد من مراعاة أحكام التجويد والصوت.

الدراسات السابقة:

جاء هذا القسم من البحث لاستعراض أبرز الدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث الحالي، وعلى حد علم وإطلاع الباحث لم يكتب أي بحث مستقل في هذا الموضوع، إلا أن هناك دراسات معاصرة لها صلة بموضوع البحث، ومنها:

١. **في دراسة عبد السميع خميس العرابيد (٢٠٠٥م)**، إذ جاءت هذه الدراسة بهدف الكشف عن دور أحكام التلاوة في إظهار المعاني لآيات القرآن الكريم، إذ تناولت الدراسة

في القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين (٢٠١٩م) (٣٥٠ - ٣٨٨).

(٤) أحكام التجويد وأثرها في دلالة النص القرآني، مصطفى كاظم شغيدل، فونولوجيا، مجلة هرمس، جامعة القاهرة (ج٥) (٢٤) (٢٠١٦م).

(٢) دور أحكام التلاوة في إبراز معاني القرآن الكريم، عبد السميع خميس العرابيد، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية (٦٤) (٢٠٠٥م) (١٣٧ - ١٦٦).

(٣) الإعجاز البياني في أحكام التلاوة والتجويد، عبد الكريم حمدي الدهشان، دراسة وصفية تحليلية، المؤتمر الثالث للإعجاز البياني

القرآنية والأعلام حول كل ما يتعلق بضوابط تلاوة وترتيل آيات القرآن بما يشمل من ضوابط مخارج الحروف ومعرفة المتجانس والمثل من المفردات.

وفي المقابل يتجسد التجويد العملي في التطبيق الفعلي لكافة الأحكام المتعلقة بتلاوة وترتيل القرآن الكريم من أحكام الحروف وضوابط نطقها الفعلي بضمان خروجها من مخرجها الطبيعي والصحيح ومنح كل حرف حقه ومستحقه كما تم إيضاح معناه مسبقاً.

حكم التجويد فهو واجب على الكفاية وفق رأي أهل العلم، وهو مندوب وليس واجب فيما يخص القسم العلمي من أحكامه، بينما واجب وجوباً عينياً فيما يتعلق بالقسم العملي لكل من حفظ جزء من القرآن الكريم أو كافته، فلكل راوي حافظاً للقرآن ولأحكام تلاوته، فهو مأجور على التجويد السليم، بينما من اعتمد اللفظ الفاسد رغم معرفته واطلاعه ورغبته لاتباع ما ألف من حفظه واستكباراً عن الأخذ من العلماء، فيعتبر آثم نظراً لتقصيره عمداً^(٧).

المطلب الثاني: نماذج للبحث والدراسة:

تتعدد أحكام التجويد الأساسية في القرآن الكريم والتي سيتم حصرها في البحث الحالي بالقواعد التالية:

أحكام النون الساكنة:

النون الساكنة: هي حرف من الحروف العربية الهجائية وتكون خالية من الحركة (الفتحة والضمة والكسرة)، وتأتي في الأسماء والأفعال والحروف، ومن الأمثلة على ذلك دخولها على الاسم فتلفظ ساكنة كما في اسم: (منذر)، أو تأتي على الفعل كما في لفظة: (أنعمت)، وقد تأتي على الحرف كما في لفظة: (من). وكافة الأمثلة السابقة تظهر أن النون الساكنة مكتوبة ومنطوقة، سواء في الوصل أو حتى عند الوقف.

بينما تعتبر التثنية هي نون زائدة عن أصل الكلمة لا حركة لها، غير مثبتة في بناء الكلمة، ولا تأتي إلا في الأسماء، ولا تكون إلا متطرفة ويثبت لفظها في حالة الوصل، بينما تحذف سواء كتابةً أو لفظاً في حالة الوقف، تتجسد بالفتحتين أو الكسرتين أو الضمتين اللتان ترسمان في نهاية الجملة، كما هو الحال في الأسماء التالية كأمثلة: (شراباً، شرابٍ وشرابٍ).

ففي حالة الوصل تلفظ شرابٍ بـ (شرابين) وعند الوقف تختفي النون فتلفظ شراب.

كما في مفردة (ملحمة) والتي تلفظ بـ (ملحمتين) بينما تختفي في حال الوقف لتلفظ (ملحمة)؛ أي بلفظ التاء كهاء مربوطة^(٨)، والجدول أدناه يوضح بعض الأحكام التي تتعلق بالنون الساكنة والتثنية والفروقات بينها:

٤. تناولت معظم الدراسات الجانب النظري، بينما هذه الدراسة اهتمت بالجانب التطبيقي لإظهار العلاقة بين أحكام التجويد والصوت في إبراز معاني القرآن.

منهج البحث:

١. اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي لتحقيق أهدافه.
٢. اقتصر نطاق البحث وموضوعه على التعريف بالتجويد ونشأته وبدايته، ثم التوسع بأحكام علم التجويد للوصول إلى توضيح العلاقة بين أحكام التجويد وأثرها في إيضاح إبراز معاني القرآن وهو لب الدراسة الحالية.
٣. نماذج من القرآن الكريم حول أحكام التجويد والصوت وأثرها على المعنى.

وقد تم اختيار سورة (التكوير) و(النازعات) وبعض الآيات من سورة (مريم) و(يونس) لتوضيح بعض الدلالات والمعاني التي أراد الله تعالى تضمينها في الأحكام والحروف التي ورد ذكرها في هذه الآيات.

وأسأل الله أن يبارك لي في هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بالتجويد ونشأته وأحكامه

يتناول هذا المبحث توضيح لمفهوم التجويد ونشأته، إلى جانب توضيح أهم الأحكام الخاصة بتجويد القرآن الكريم وكيفية ضبطها في التلاوة.

المطلب الأول: تعريف التجويد ونشأته:

التجويد لغة يأتي بمعنى التحسين والإتقان وبلوغ الغاية في الأحكام، إذ يأتي من مفردة جود، واسمه جودة، إذ يقال: (جود فلان كذا) بما يعني أنقن فعله بصورة جيدة، فالمقصود بالجلود بلوغ النهاية في تحسين القراءة والإتيان بها بصورة حسنة ومجودة لفظاً وتلاوة^(٩).

والتجويد اصطلاحاً هو: إعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفاته اللازمة له، ومستحقه من الصفة العارضة^(١٠).

نشأة علم التجويد: ينبغي الإشارة إلى أن نشأته تعود إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي يُعدّ المؤسس لقواعد تجويد القرآن الكريم، ويرجع سبب نشأة هذا العلم لحماية كتاب الله من التحريف، خاصة بعد دخول الكثير من الأعاجم وغير العرب؛ لذا تمّ الحرص على وضع قواعد التجويد لضمان التزام كل قارئ بها وبعدهم عن أي مسببات لأي تحريف وتجنّب عند تلاوة آيات القرآن الحكيم، ومن الجدير بالذكر هنا أن أقدم نص تمّ نظمه وفق أحكام علم التجويد يرجع إلى قصيدة أبي مزاحم الخاقاني المتوفى في عام (٣٢٥هـ).

فالتجويد العلمي يتناول كافة القواعد المتناقلة من أئمة العلوم

(٧) الدقائق المحكمة لذكرا الأنصاري (ص٣٧)، الحواشي المفهمة لابن الناظم (ص٦٣)، الجواهر المضوية لسيف الدين (ص١٤٩ - ١٥١).

(٨) التمهيد لابن الجزري (ص١٦٥)، النشر لابن الجزري (ص٢٢/٢).

(٩) لسان العرب، ابن منظور (١٣٥/٣) كلمة جود.

(١٠) التحديد والإتقان في التجويد للذاني (٦٨)، والمنح الفكرية لملا قاري (١٢)، والفرائد السرية في شرح الجزرية لرضي الدين الحنبلي (٥٠).

جدول (١)

الفرق بين أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة	التنوين
١. تكون في الأسماء والأفعال والحروف. ٢. تقع في مواقع مختلفة من الكلمة. ٣. أصلية في الكلمة. ٤. ثابتة لفظاً وخطاً ووصلاً ووقفاً.	١. لا تكون إلا في آخر الأسماء. ٢. نون زائدة. ٣. ثابتة لفظاً حال الوصل فقط.

أحكام الميم الساكنة:

الميم الساكنة هي الميم الخالية من أي حركة لفظاً وكتابةً، مثل: (لم)، (منكم)، (لكم)، والتي تعتبر من أمثلة الحروف الشفوية التي تخرج من بين الشفتين، وتعتبر الغنة من أبرز صفات الميم والنون الملازمة لها، ومن أبرز أحكام الميم الساكنة: (الإخفاء الشفوي) و(الإظهار الشفوي)، و(إدغام المتمثلين الصغير).

فالإخفاء الشفوي يتجسد بالكلمات التي ترد بها الميم الساكنة ملحقة بحرف الباء مباشرة من مثل قول: ﴿هُم بَارِزُونَ﴾ [غافر: ١٦].

بينما يتجسد الإظهار الشفوي في كافة حروف اللغة ما عدا حروف الإدغام والإخفاء والمتمثلة بستة وعشرين حرفاً، ففي حال وقوع أيها في كلمة أو كلمتين، فذلك يبرز ضرورة إظهارها، وهو ما يعرف بالإظهار الشفوي. وأخيراً يظهر حكم إدغام المتمثلين الصغير حيث ورود الميم الساكنة يليها ميم متحركة وجب إدغامهما مع إضافة الغنة أيضاً مثل قوله: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].^(٩)

أحكام القلقة:

القلقة لغة هي الاضطراب^(١٠)، واصطلاحاً تعني الاضطراب عند نطق الحرف لسماع نبرة قوية للفظ، وتأتي القلقة في خمس أحرف رئيسية ألا وهي: (ق، ط، ب، ج، د) والتي يمكن تلخيصها في لفظ (قطب جد)، فهي واجبة القلقة عند السكون، حتى وإن جاءت ساكنة طبيعة أو عند الوقف مثل قول كلمة: (حق، وهب، عتيذ... إلخ)^(١١).

أحكام المد:

ومعنى المد لغة يأتي بمفهوم المط^(١٢)، واصطلاحاً الإطالة في الصوت حين لفظ بعض الحروف. ويأتي المد في ثلاثة حروف رئيسية ألا وهي (الألف الساكنة المفتوح ما قبلها) و(الواو الساكنة المضموم قبلها)، و(الباء الساكنة المكسور ما قبلها)، والتي يمكن دمجها وتجسيدها في لفظة (نوحيا)، والتي تم تسميتها بحروف المد وفق امتداد الصوت حين لفظها^(١٣).

وغالباً ما يقسم المد إلى ثلاثة أقسام رئيسية، ألا وهي: المد الأصلي، والمد الفرعي، والمد اللازم، إذ يشير المد الأصلي إلى المد الطبيعي، إذ يمد حركتين وفقاً ووصلاً، والذي لا يتم نطق الحرف إلا به. والمد اللازم هو بأن يتبع حرف المد بساكن ملازم به، سواء أكان وقفاً أو وصلاً، سواء في حرف أو كلمة مثل في قول: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١] ﴿ن﴾ [القلم: ١] إلخ.

بينما يعرف المد الفرعي بالمد الزائد على الأصل والذي يأتي وفق سكون أو همز، والذي يتم تقسيمه إلى ثلاث أقسام رئيسية كالتالي^(١٤):

- **المد المتصل:** وهو ما يأتي في لفظة واحدة مثل في قول: (وراء، السماء... إلخ).

- **المد المنفصل:** وهو ما يأتي في كلمتين بحيث يأتي حرف المد في آخر الكلمة الأولى ومتبوعاً بالهمز في بداية الثانية، مثل في قول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر: ١].

- **المد البدل:** وهو ما يأتي في كلمة واحدة ولكن مسبقاً بالهمز كما في قول: (إيماناً، ءامنوا... إلخ).

دور أداء الأحكام التجويدية والصوت في إبراز معاني القرآن

يتضمن المبحث الحالي مناقشة أهمية جمال الصوت في التجويد في إظهار معاني آيات كتاب الله، بالإضافة إلى توضيح صفات ومخارج الحروف ودورها في إظهار المعاني.

المطلب الأول: دور الأداء الصوتي والنبرة في إظهار المعنى القرآني:

يُعتبر الصوت من مظاهر الانفعال التي تُشير إلى الحالة النفسية للفرد، حيث إن تنوع نغمات الصوت والنبرة بما في ذلك من المد والإدغام ورفع الصوت وخفضه وإظهار بعض الكلمات والتشديد عليها يمنح الكلمات معانٍ خاصة ويُضيف عليها رونقاً خاصاً يؤثر في الأعماق، وهذا ينطبق بالتأكيد على الكلمات التي يقرأها المسلم لكتاب الله تعالى.

حيث إنه يُميز الكلمات عن بعضها ويمنحها حقها، فيُخفِّقها في بعض المواضع، ويُشدِّدها في مواضع أخرى، مما يمنح الحب لآيات كتاب الله تعالى، ويُعزِّز في نفس الإنسان مخافة الله تعالى ويدفعه لأن يرفع يديه لله تعالى ليشهد بأن هذه الكلمات وما فيها من معاني لا يمكن أن تكون من تأليف البشر؛ وإنما هي قول الله تعالى عز وجل.

إنَّ تجويد الكلمات وتحسينها ومنح الحروف صفاتها عند نطقها يؤثر في النفس والوجدان، ويُحرِّك مشاعر الإنسان، لذلك جاء أمر الله تعالى بتجويد آيات كتاب الله وترتيلها والخشوع فيها، وهذا يظهر من كلام الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

(١٣) النشر لابن الجزري (٣١٣/١)، الحواشي المفهمة لابن الناظم (٨٦).

(١٤) النشر لابن الجزري (٣١٣/١)، الحواشي المفهمة لابن الناظم (٨٦).

(٩) التحديد والإيقان في التجويد للداني (١٦٥)، النشر لابن الجزري (٢٢٢/١).

(١٠) لسان العرب (٨٥/١٤) قلل.

(١١) المنح الفكرية لملا القاري (ص ١٠٧).

(١٢) لسان العرب، ابن منظور (ص ٤٠٣/٤) مدد.

وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكَبُونَ * [الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩].
ونتيجة لسماع هذا الصوت الخاشع والإحساس الكبير يسجد المسلم باكياً وداعياً لله عز وجل ومليئاً لأوامره ونواهيه.

القارئ الماهر هو الذي يركز على إظهار معاني كلمات الآيات، فإن قرأ آية تشير إلى الوعيد خاف وخشع، وإن قرأ آية تدل على المغفرة والرحمة فرح واستبشر، وإن قرأ صفات الله تعالى استشعر فيها وأدرك معانيها، وإن ذكر الجنة تشوق لها، وإن ذكر النار خاف منها وردع، وهذا بالتحديد ما كان رسولنا الكريم محمد ﷺ يحرص على توظيفه (١٥).

فقد روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ ثم ركع (١٦).

كما إن أم سلمة وصفت قراءة الرسول ﷺ فتقول: قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١٧).

ويصف البراء رضي الله عنه قراءة رسول الله ﷺ فيقول: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء: ﴿وَالَّذِينَ وَالْزَّيُّونَ * وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢] فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه (١٨).

والنبي ﷺ أمر المسلمين بأن يترتلا آيات كتاب الله ويجمّلوا أصواتهم عند قراءته، حيث قال ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً) (١٩).
والزينة هنا المقصود بها إظهار معاني كتاب الله والتدبر في معانيها، حيث أشار النبي ﷺ إلى ضرورة التغني بكلام الله تعالى، وشدد على المخالفين لذلك بقوله: (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن) (٢٠)؛ حيث أن التغني بكلمات كتاب الله يُظهر جمال معانيها ويوضحها ويبيّن معناها.

المطلب الثاني: أهمية مخارج الحروف وصفاتها في إظهار المعاني:

كل حرف من الحروف له صفته الخاصة وله مخرجه الخاص الذي ينشأ منه، كما أن له ميزات تميّزه عن غيره

من الحروف، وهذه الصفة التي تميز الحرف تختلف في النبرة الصوتية باختلاف الكلمة التي يوجد فيها الحرف، فكل كلمة لها نسق خاص فيها وطريقة معينة لتركيبه، فبعض الحروف متحدة في المخرج ومختلفة في الصفات، مثل حرف (طاء والذال والتاء)، وبعضها قد يكون متحد في الصفات، إلا أنه مختلف في المخرج مثل حرف (الكاف والتاء)، وحروف أخرى قد تكون متقاربة في المخرج ومختلفة في الصفات مثل (الذال والسين)، وأخرى متباعدة في المخرج ومتقاربة في الصفات مثل (السين والشين). وهناك حروف لا يمكن أن تتلاقى حيث أنها متنافرة مثل (الجيم) مع كل من (الطاء والقاف والضاد والذال) (٢١).

إن الطريقة التي تظهر فيها تناسق الحروف وتلاقيها في كتاب الله تعالى تُعتبر إبداعاً في التنظيم والتنسيق والترتيب، وهذا التنظيم نتج عنه السحر عند النطق فيها وتوليد الانفعال النفسي لدى السامعين والقارئ على حد سواء، بحيث تدفع القارئ إلى الاسترسال بها للتمتع في معانيها.

والقارئ في تنويعه لنغمات الصوت ينبثق بالدرجة الأولى من النبرات المنظمة التي تشملها الكلمة الواحدة، فالكلمة تحتوي على أكثر من نغمة ونبرة لاشتمالها على حروف عديدة التي تحمل صفاتاً مختلفة ومتنوعة، فيقرأها القارئ كأنها نغم موسيقي عذب يخرق القلب والفؤاد.

كما قال الرافعي عن القرآن الكريم: (تألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه في حرف آخر لكان ذلك خللاً بيناً أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرايت هجنة في السمع) (٢٢).

فالكلمة الواحدة مؤلفة من مجموعة من الحروف التي يحمل كل حرف منها مدلول معين، وتُشكّل في مجموعها دلالة نفسية تُعبّر عن المعنى العام وتُشير إلى مضمون محدد، وبناءً على ذلك فقد اجتهد العلماء في تقسيم الحروف إلى مجموعات بحيث تحمل كل مجموعة سمة مميزة ومحددة، فبعض الحروف تُعتبر من حروف الصفير التي تُحدث نبرة معينة عند النطق بها مثل حرف (السين والصاد والزاي)، وبعض الحروف التي يسهل النطق بها، ويوجد

العشاء (٣٩٩/١) (ح ٤٦٤).

(١٩) رواه البخاري (٧٥٤٤)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل بالقراءة (٧٤/٢) (ح ١٤٦٨)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب ترتيب القرآن بالصوت (١٧٩/٢، ١٨٠).

(٢٠) رواه البخاري (٧٥٢٧)، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (٧٥، ٧٤/٢)، (ح ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١)، والإمام أحمد في المسند (١٧٢/١، ١٧٥، ١٧٩)، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب حسن الصوت بالقرآن (٤٢٤/١) (ح ١٣٣٧).

(٢١) التحديد للداني (ص ١٠٢) الحواشي الأزهري لخالد الأزهرى (ص ٢٨)، المنح الفكرية لملا القاري (ص ٧١).

(٢٢) إعجاز القرآن، الرافعي (ص ١٨٥).

(١٥) المدخل إلى علم الأصوات العربية لغانم قدوري (ص ١٨٧).

(١٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويع القراءة في صلاة الليل (٥٣٦/١) (ح ٧٧٢)، والإمام أحمد في مسنده (٣٨٤/٥، ٣٩٧).

(١٧) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القرآن (٧٣/٢، ٧٤) (ح ١٤٦٦)، والترمذي، كتاب ثواب القرآن (١٨٢/٥) (ح ٢٩٢٣)، والنسائي، كتاب صلاة الليل، باب ذكر صلاة الرسول (٢١٤/٣)، والإمام أحمد في المسند (٢٩٤/٦، ٣٠٠). وذكر الألباني صحة الحديث.

(١٨) رواه البخاري، كتاب صلاة الجهر في العشاء، وباب القراءة في العشاء، وفي تفسير سورة (وَالَّذِينَ وَالزَّيُّونَ) (٢٦٦/١) (ح ٧٣٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في

تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٢. أكثر الحروف هي الواو يليها الفاء يليه الهمزة، حيث أن كلاً من الواو والفاء هي حروف تُفيد العطف والتعقيب والترتيب، وهذا من شأنه أن يُحقق الترابط بين المعاني ويُسهّم في توحيد النبرة والوزن، في حين أنّ الهمزة تُفيد التحقيق والتنبيه نظراً لخروجه من أقصى الحلق.

٣. بعد الحرف الأول كان اللام هو أكثر الحروف استخداماً، وهو حرف ذلّقي، ويخرج بخفة وسهولة.

٤. أكثر الحروف وقوعاً بعد الواو هو الهمزة والألف، حيث أن الهمزة تُفيد التحقيق، والألف يُعتبر من الحروف التي توصل بالحروف الأخرى لتسهيل نطق الحروف القوية.

٥. كثر استخدام كل من حرف النون والميم وهما من حروف الترّنم والتنغيم ليمنح الصوت جمالاً أكثر ويُحقق التأثير العظيم في النفس

نماذج تطبيقية على ما سبق، والوقوف على بعض السور
يتضمن القسم الحالي أمثلة تطبيقية تُبرز أهمية مخارج الحروف وصفاتها ودورها في إظهار معاني القرآن الكريم، ومن أهم هذه الأمثلة:

١. **سورة النازعات:** تُعتبر سورة النازعات من السور القرآنية التي تتناول اليوم الآخر، وتتحدث عما يدور فيه من أمور جسام توقع الهول والخوف في نفس الإنسان وتحثّه على العمل الخالص لوجه الله تعالى، وتُجهّزه للاستعداد لاستقبال هذا اليوم. في المقطع الأول من السورة يظهر لنا شيء من الغموض والتوجس والهبة وبمقاطع متقطعة تدل على المفاجأة والانبهار والأحداث المتتالية، حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا * وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا * وَالسَّابِقَاتُ سَبَاحًا * فَالسَّابِقَاتُ سَبَاحًا * فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥].

ومن خلال الآيات القرآنية السابقة يُلاحظ ما يلي:
أ. انتهاء الآيات القرآنية بحرف الألف كدلالة على انقطاع النفس واللهث، فحرف الألف هو مد طبيعي ينتهي الصوت عنده ويُمد بمقدار لا يزيد حوالي حركتين.

ب. تبتدئ السورة بنبض سريع ومتقطع وفي ذات الوقت شديد الرجفة، كما أنه يُشير إلى الانسجام والاتزان من خلال الكلمات: النَّازِعَاتُ، النَّاشِطَاتُ، السَّابِقَاتُ، المُدَبِّرَاتُ، حيث تحتوي كافة هذه الكلمات على ألفات مرققة ومفخمة، كما أنّ الكلمات: غُرَقًا، نَشْطًا، سَبَاحًا، سَبَاحًا، قد توسّطتها كلمة (سبحاً) ذات الألف المرققة، حيث يُلاحظ النسق الواضح والجلي بين نغمة هذه الكلمات.

ج. لم تتضمن الآيات مدوداً فرعية تماشياً مع الحركة الرشيقية في الكلمات: النَّازِعَاتُ، النَّاشِطَاتُ، السَّابِقَاتُ، المُدَبِّرَاتُ.

(٢٥) انظر جميع ما سبق: إعجاز القرآن، الراجعي (ص ١٥٢).
(٢٦) دور أحكام التلاوة في إبراز معاني القرآن الكريم، عبد السمیع خمیس العرابید، مرجع سبق ذكره (ص ١٥٤، ١٥٥).

كذلك حروف القفلة وهي حرف (القاف والطاء والباء والجيم والدال) والتي يصدر عنها صدق جميل عند النطق بها، وكذلك حروف (الاستعلاء) (٢٣) و(الاستطالة) (٢٤) وغيرها (٢٥).

إلا أنه ما تجدر الإشارة إليه هو ضرورة تحقيق التتابع الصحيح الخاص بحروف الكلمة، وتحقيق التوافق بينها بحيث تظهر مترابطة ومتزنة، وهذا الاتزان من شأنه أن يؤثر على مسامع السامعين والناصتين ويحقق المعنى المراد منها.

وقد اجتهد الباحثون في إحصاء الحروف التي ابتدأت فيها آيات كتاب الله والتي تُشير إلى تحقيق التوافق بين هذه الحروف من حيث مخارجها، والجدول التالي يتضمن أكثر الحروف شيوعاً والتي ابتدأت فيها آيات كتاب الله وعدد المرات التي وردت فيها.

جدول (٢)

أكثر الحروف شيوعاً والتي ابتدأت فيها آيات كتاب الله وعدد المرات التي وردت فيها (26)

الحروف	عدد مرات ورودها في القرآن الكريم	طريقة تمثيلها
الثاء مع الميم	١١٠	تمثل بكلمة تَمَّ
الهمزة مع اللام	٤٠٦	
الهمزة مع النون	٤٦٤	
القاف مع الألف	٣٤٠	تمثلت بكلمة قال
القاف مع اللام	١٨٧	تمثلت بكلمة قل
اللام مع الألف	٧٨	تمثلت بكلمة لا
الفاء مع الألف	٢٨٣	
الفاء مع اللام	١١٤	
الواو مع الهمز والألف	٨٢٥	
الواو مع الميم	٣٢٠	
الواو مع الباء	١١٢	
الباء مع الألف	١٦٨	
الواو مع القاف	١٥٨	
الواو مع اللام	٤٤٤	

ومن خلال النظر في هذه الحروف يُلاحظ ما يلي:

١. الآيات القرآنية الكريمة ابتدأت غالباً بحروف الترقيق (إلا في حالات نادرة ابتدأت بحروف الاستعلاء)، وذلك حتى يبدأ القارئ نطق الحروف بسهولة ويسر، وهذا الصوت الرقيق هو الذي يُخاطب العقل والقلب ويُسهّل على القارئ قراءة القرآن، وذلك

(٢٣) الاستعلاء: سمنٌ يعتري الحرف عند النطق به، فيمتلئ الفم بصداه حروفه (خص ضغط قط). النشر لابن الجزري (٢٠٢/١)، الدقائق المحكمة لذكرى الأنصاري (٣٢).
(٢٤) هي الامتداد من أول حافة اللسان إلى آخرها وحرفه (الضاد) فقط. التحديد للداني (١٨٠)، النشر لابن الجزري (٢٠٥/١).

وبعدها تُواصل الآيات القرآنية وصف يوم القيامة بنبرات وكلمات أشد وقعاً وأثراً على النفس الإنسانية، حيث تدق القلب دقاً وتُرهبه وتُشعر الإنسان بالأهوال كأنها تحدث الآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَنِنَا لَمَمْرُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِنَّا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ٦ - ١٤]، حيث يُلاحظ من خلال هذه الآيات القرآنية ما يلي:

أ. انتهت الكلمات بحرف الهاء (الْراجِفَةُ، الرَّادِفَةُ، وَاجِفَةٌ، خَاشِعَةٌ، الْحَافِرَةُ، نَخْرَةً، خَاسِرَةٌ، وَاحِدَةٌ، بِالسَّاهِرَةِ)، حيث يُعتبر هذا الحرف من الحروف التي تخرج من أقصى الحلق قريب من الصدر، وفي هذا إشارة على الارتعاش والخوف والرغبة الذي تُثيره هذه الكلمات في النفس عند النطق بها.

ب. ويظهر بصورة جلية مصاحبة الكلمات المذكورة في الآيات لحرف الراء، وفي ذلك دلالة على التكرار وديمومة الحدث واستمراره.

ج. لم تتضمن الآيات مدوداً فرعية للتأكيد على رشاقة الحدث وسرعته.

وبعد الانتهاء من وصف أهوال يوم القيامة يأتي مشهد آخر يتضمن نهاية أحد الطغاة الذين كذبوا بآيات الله تعالى وأعرضوا عنها، حيث يُلاحظ بعد ذلك هدوء الإيقاع وانخفاض حدة النبرات للدلالة على العبرة والموعظة، حيث يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَخَشَرَ فَقَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

حيث يظهر من خلال الآيات السابقة الحركة البطيئة التي تتسجم مع الأسلوب القصصي، فتكثر المدات والغنات ويزداد استخدام الأفعال.

ثم يصف الله قدرته عز وجل المبدعة والمنشئة لهذا الكون بمختلف مظاهره، حيث يقول تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣].

حيث يُلاحظ استخدام الصور التعبيرية المعبرة والأسرة للقلب في ضمن نسق متزن ومنسجم، كما يُلاحظ استخدام المدود بكثرة تماشياً مع مضمون الآية الذي يوحي للقارئ بالتفكير في خلق الله تعالى والتدبر في ملكوته وآياته المعجزة.

وبعدها يبين الله عز وجل لنا عرض مشاهد من الطامة الكبرى ضمن نسق جميل ومبهر يتناسب مع أوزان الآيات

السابقة، ويظهر فيها جلياً استخدام المد اللازم مصاحباً للميم المشددة كدلالة للترهيب والتخويف من هذا اليوم، حيث يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَاتَّرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يسألونك عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٤ - ٤٦].

إن سورة النازعات بأكملها اتسمت بتناسق وتلاحم بين معانيها ومقاطعها، حيث يتضح ذلك بصورة واضحة من التجانس بين الحروف والحركات وطبيعة المدود المستخدمة، والتي ساهمت في خلق الترتم والتناغم بين الكلمات والآيات، حيث تم استخدام الفتحة في السورة (٣٣٨) مرة، وتم استخدام الكسرة فيها (٧٩) مرة، وتم استخدام الضمة فيها (٥٥) مرة، وعلى الرغم من قصر السورة القرآنية الكريمة وعدد كلماتها التي لم تتجاوز (١٨٠) كلمة، إلا أنه كثر فيها استخدام مختلف وسائل التعبير من الترتم والإخفاء والإظهار والمدود وغيرها.

٢. سورة التكويد: تبتدئ السورة بعرض الأحداث التي سيشهدها الكون (من الآية: ١ - ١٤)، والتي تتضمن الانقلاب الكامل وتناثر أجزاء الكون وانطفاء الشمس وحلول الظلام وزوال الجبال وتغيير معالم الكون وملاحمه بصورة متتابعة، فقد جرى وصف هذه الأحداث من خلال استخدام كلمة (إذا) مقرونة مع واو العطف التي تُفيد الإطناب والتتابع، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعُشُورُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّخُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ﴾ [التكويد: ١ - ١٤].

وعند التأمل في الآيات القرآنية السابقة يُمكن ملاحظة أن الحروف والأحكام في هذه الآيات خدمت المعنى الذي تسعى الآية القرآنية إلى توضيحه من خلال:

أ. اختتمت الآيات القرآنية بحرف التاء الذي يتسم بأنه من حروف الهمس (٢٧) والشدة (٢٨)، أي أن الإنسان يقف مذهولاً أمام ما يحدث أمامه عاجز عن الكلام.

ب. الآيات القرآنية لم تتضمن أحكام النون الساكنة والتنوين والنون المشددة التي تُفيد التطريب الذي يتناسب مع رشاقة الحركة، حيث تضمنت الآيات أسلوباً يضرب في القلب ضربات متتالية حتى توفيق الإنسان من الغفلة التي هو فيها.

ج. بلغ السكون في الآيات القرآنية السابقة (٣٨) سكون، وهذا دليل على شدة خوف الإنسان وذوهله من الأحداث الكونية.

(٢٨) الشدة: هي التي يمنع فيها جريان الصوت. الحواشي المفهومة لابن الناطم (ص ١١٦)، الحواشي الأزهريّة لخالد الأزهرى (ص ١٣).

(٢٧) الهمس: يُقال عن المجرى الذي يجري معه النفس في المخرج بسهولة. المنح الفكرية لملا القاري (ص ٩٨)، هداية القاري للمرصفي (ص ٧٩/١).

مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [يونس: ٧١، ٧٢] يلاحظ النسق والترابط ما بين الجو العام للآيات وارتباطها الكبير بصفات الحروف المستخدمة فيها، فموقف الآية هو موقف تحدي جلي وواضح، ويتضح ذلك من كثرة استخدام الإظهاران في النص في الكلمات (أَمْرُكُمْ)، و(وَشُرَكَاءُكُمْ)، و(لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ)، و(أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ)، و(عَلَيْكُمْ غُمَةٌ)، و(تَوَلَّيْتُمْ فَمَا)، و(مَنْ أَجْرٍ)، و(أَجْرٍ إِنَّ)، و(إِنْ أَجْرِي)، و(أَنْ أَكُونَ)، حيث ورد الإظهار عشرة مرات.

كما يلاحظ سمات الحروف التي تم استخدامها في الآيات القرآنية، حيث كثر استخدام أصوات الشدة والاستعلاء متمثلة في: الكاف (١٣ مرة)، والهمزة (١٧ مرة)، والتاء (١٠ مرات)، والعين (٥ مرات)، والجيم (٣ مرات)، والقاف (٣ مرات)، والباء (مرتان)، والغين (مرة)، والضاد (مرة)، والظاء (مرة)، حيث أن هذه الحروف تضافرت لتبرز موقف التحدي والاستعلاء من جانب نوح عليه السلام وهو ما يتضح في الآيات القرآنية السابقة.

ومن خلال ما سبق عرضه من الآيات القرآنية يتضح أن الله عز وجل جعل في كتابه الكريم لكل حرف من حروف القرآن دلالة، ولكل حكم من أحكامه معنى يُفيد إظهار المعنى والمراد من الآيات القرآنية، ومن الضرورة التنبيه إلى أن علم التجويد هو بحر واسع يحتاج إلى الكثير من الجهود العظيمة لتحليل معاني الأحكام والحروف القرآنية وتقييم مستوى ارتباطها بالجو العام بالآية القرآنية.

الخاتمة

أهم النتائج من خلال هذا البحث:

١. إبراز معاني آيات القرآن الكريم وبيان غايته من خلال التناغم في آياته.
٢. يمتلك كل حرف من حروف القرآن معنى ودور في إظهار معاني القرآن الكريم، حيث أن العلم الخاص بالحروف هو علم واسع ويحتاج إلى الجهود العظيمة لدراسة هذه الحروف والتحقيق في معانيها ومدى مناسبتها وملامتها للآيات الكريمة.

٣. أكثر الحروف التي بدأت فيها الآيات القرآنية هي حروف الاستفقال لتسهيل النطق على القارئ في تلاوة القرآن الكريم.

التوصيات:

من خلال استعراض ما سبق من الدراسة والبحث في جانب من جوانب هذا القرآن ودور أحكام التجويد في إبراز المعاني أرى أنه من الضروري إجراء المزيد من الأبحاث العلمية التي تدعم مجال تلاوة القرآن وتجويده، حيث أن هذا العلم يحتاج إلى جهود عظيمة وجماعية للتأكيد على الإعجاز القرآني.

وصلى الله وسلم تسليماً كثيراً على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أما في المقطع الثاني من الآية القرآنية، فيظهر أن الآيات ابتدأت بالحركة الوانية؛ أي أن النبرات تبدأ، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ * الْجَوَارِ الْكُنُوسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ١٥ - ٢٩].

ومن خلال هذه الآيات يُلاحظ ما يلي:

أ. المقطع الأول من الآيات انتهى بحرف السين الذي يتسم بأنه مهموس رخو، ويمكن ملاحظة أن الله عز وجل اختار أن يكون حرف السين هو الحرف الذي تنتهي به الآيات بعد حرف التاء في الآيات السابقة، ذلك أن حرف السين يُعتبر من الحروف الصغيرة التي تهدف إلى إيقاظ الإنسان من صمته.

ب. كثرت في هذا المقطع الغنات والمدود بصورة تتوافق مع إيقاع الآيات والمعنى الذي تسعى لإيصاله.

ج. كثرت المدود في هذه الآيات وبصورة خاصة في نهاية الآيات القرآنية التي تمثلت بالمد العارض للسكون تماشياً مع جو المقطع.

وكثر استخدام حروف الترتم والتنعيم وهما حرف الميم والنون والتتوين، حيث بلغ عدد تكرار الحرفان ما يزيد عن (٥٠) مرة.

٣. سورة مريم: حيث يُمكننا الإشارة إلى المحاورة التي جرت بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبيه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥].

عند قراءة الآيات القرآنية يُلاحظ بأن الجو العام للآيات في بداياتها هو الدعوة، لذلك فاللين والانخفاض هو المسيطر من جانب سيدنا إبراهيم عليه السلام، وعند ربط الجو بصفات الحروف يُمكن ملاحظة الحضور الكبير لحروف اللين وحروف (الاستفقال) التي تعني الانخفاض (حرف الياء والنون واللام)، كما يُلاحظ ندرة حروف (الاستعلاء)، حيث تكرر حرف الصاد (٣) مرات فقط لدالتها على الهمس والذي لا يُناسب الجو العام للآيات القرآنية الذي يُفيد الدعوة.

٤. سورة يونس: ففي قوله تعالى: ﴿وَائْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَةً ثُمَّ افْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ

(٢٩) نحول يعنري الحرف عند النطق به، فلا يمتلئ الفم بصداه. النشر لابن الجزري (٢٠٢١)، الدقائق المحكمة لذكرى الأنصاري (٣٢).

فهرس المصادر والمراجع

- ابن حبان، أبو حاتم ابن حبان: صحيح ابن حبان، بيت الأفكار (٢٠٠٤م).
- ابن منظور، حمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة بولاق.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
- أبو عمرو الداني: التحديد في الإتيان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري، دار ابن عمار (١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ).
- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: عادل مرشد، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- أحمد بن عبد اللطيف: الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد مؤسسة قرطبة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- حمدي بن حامد السيد: أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد، دار الحضارة للنشر والتوزيع في الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (٢٠١٤م).
- خالد الأزهرى، خالد بن عبد الله الوقاد: الحواشي الأزرهية في حل ألفاظ الجزرية، تحقيق: محمد بركات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق (١٤٢٠هـ).
- زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، مكتبة الإرشاد صنعاء (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- زيدان العقرباوي: المرشد في علم التجويد، دار الفرقان، الأردن (١٩٨٨م).
- عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل، وهيفاء عبد الرؤوف إبراهيم رضوان: جمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين ودورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات العشر المتواترة، أعمال مؤتمر القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة، الجامعة الإسلامية، غزة (٢٠٠٨م).
- عبد السميع خميس العرابيد: دور أحكام التلاوة في إبراز معاني القرآن الكريم، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية (٦٤) (٢٠٠٥م).
- عبد الفتاح المرصفي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة.
- عبد الكريم حمدي الدهشان: الإعجاز البياني في أحكام التلاوة والتجويد، دراسة وصفية تحليلية، المؤتمر الثالث للإعجاز البياني في القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين (٢٠١٩م).
- عزة عبيد دعاس: فن التجويد، مكتبة الغزالي، حمص (٢٠٠٦م).
- القطار، أبو العلاء الحسن الهمذاني: التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- عطية قابل نصر: غاية المريد في علم التجويد، الطبعة الرابعة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية (١٩٩٤م).
- عطية قابل نصر: غاية المريد في علم التجويد، مكتبة الحرمين، الرياض (١٤١٠هـ).
- علي قاري، ملا علي بن سلطان المكي: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم الأصوات، دار عمار، عمان (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- الفضالي، سيف الدين بن عطاء الله المصري: الجوار المضية على المقدمة الجزرية، تحقيق: عزة بنت هاشم معيني، مكتبة الرشد، الرياض (١٤٢٥هـ).
- محمد بن إبراهيم الحلبي: الفوائد السرية في شرح الجزرية، مخطوط في المكتبة الأزرهية.
- محمد بن محمد بن الجزري: التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري، القاهرة (١٩٢٣م).
- محمد بن محمد بن الجزري: الحواشي المفهومة في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: عمر عبد الرزاق مصراتي، دمشق (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).
- محمد بن محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر، مراجعة على الضباع، القاهرة.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري: صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة التاسعة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
- مصطفى كاظم شغيدل: فونولوجيا أحكام التجويد وأثرها في دلالة النص القرآني، مجلة هرمس، جامعة القاهرة (ج٥) (٢٤) (٢٠١٦م).
- مصطفى محمد عبد الله حديد: ضوابط تعلم القرآن الكريم وتعليمه، بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن وعلومه، مجلد (٥) (٢٠١٥م).
- معن عبد الكريم محمد الحوراني، وأحمد توفيق الطعاني: استخدام الحاسوب لمعالجة أحكام التجويد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المفرق (٢٠٠٥م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي، بيت الأفكار الدولية (١٩٩٩م).

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Quranic readings and their role in confronting contemporary issues.

Dr. Omaimah Abdulrahman Halabi*

*Assistant Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture, Al-Lith University College, Umm Al-Qura University.

E-mail: oahalabi@uqu.edu.sa

القراءات القرآنية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة.

د. أميمة بنت عبد الرحمن بن عبد القادر حليبي*

*أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - بالكلية الجامعية بالليث - جامعة أم القرى - السعودية.

KEY WORDS

Quran, readings, multiple readings, contemporary issues.

الكلمات المفتاحية

القرآن، القراءات، تعدد القراءات، القضايا المعاصرة.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

This research aims to explain the origins of the differences in the various readings of the Quran and its importance in addressing contemporary issues surrounding this field of study. The research adopts an analytical-inductive approach, and is structured into an introduction, eight chapters, and a conclusion, with references provided. The research defines the Quran and its readings, outlines the development of the science of Quranic recitations and the conditions of mutawatir (mass-transmitted) narrations, and presents the most famous qira'at (readings) that have been transmitted through mutawatir channels. Through this, it concludes that the Quranic readings constitute the words of Allah, and that any variation lies in their transmission and attribution rather than a contradictory nature, as claimed by some Orientalists, Jews, Christians, and atheists, whose doubts in this regard are almost untenable and weak, failing to undermine the Quran. The research also addresses attempts by modern provocateurs to distort these doubts and arguments. It provides practical examples of the differences in Quranic readings and concludes that there is a significant relationship between the Quranic readings and many contemporary issues with historical roots, especially concerning criticism of the Quranic readings by Orientalists and atheists. It reveals that all doubts and suspicions raised about the Quran have been refuted, demonstrating the authenticity and reliability of the transmitted Quranic readings based on rigorous academic, narrative, scholarly, and linguistic principles. The researcher recommends further studying the relationship between Quranic readings and social, ethical, and familial issues.

يهدف هذا البحث إلى تحرير منشأ الخلاف في تعدد القراءات أهميته في مواجهة بعض القضايا المعاصرة التي تدور حول هذا العلم وتوجيهه، وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، واقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة، وثمانية مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر، فقام بتعريف القرآن والقراءات، ثم أشرت إلى نشأت علم القراءات وشروط المتواتر، وأشهر القراءات الذين نقلت عنهم القراءات المتواترة، فقررت من خلال ذلك بأن القراءات القرآنية، هي من جملة كلام الله تعالى، أن الاختلاف إنما في طرق نقلها وعزوها، وليس من ضرب اختلاف التعارض الذي زعمه بعض المستشرقين من اليهود والنصارى، والملاحدة، وشبهاتهم في هذا الباب، لا تكاد تخرج إلى على أنها شبه متهافت، ضعيفة لا ترتقي أن تطعن في القرآن، وإن كان المثيرون لها من المعاصرين يحاولون تغيير ألوانها وصيغها، وقد حاولت استيعاب أبرز شبههم وتنزيلها على بعض الأمثلة التطبيقية لاختلاف القراءات القرآنية، وقد خلصت من خلال البحث إلى: أن هناك علاقة كبيرة بين القراءات القرآنية وكثير من القضايا المعاصرة ذات الجذور التاريخية، وخاصة من جهة الطاعنين في القراءات القرآنية، من المستشرقين والملاحدة، وقد حاول بعض المشككين أن يثيروا بعض الشبه القديمة بحلى وزخرفات حديثة بغية الطعن في القرآن الكريم خصوصاً والقراءات عموماً، وتبين أن جميع الشبه التي أثيرت حول القرآن انكفأت عكساً، حيث تبين أن ما روي من القراءات القرآنية، يعد صحيحاً مأثوراً من حيث الرواية والدراية جميعاً، وكل ذلك مستند إلى أصول علمية روائية، ودرائية ولغوية، وقد أوصت الباحثة باستكمال دراسة العلاقة بين القراءات القرآنية والقضايا الاجتماعية، الخلقية، والأسرية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الله عز وجلَّ شَرَّفَ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ بالقرآن الكريم، المنزل على نبيِّنا محمد بن عبد الله ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر إلى قيام الساعة، وتكفل الله بحفظ لفظه ورسمه في الصدور والسطور على الوجه الذي أنزله الله عز وجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل الأمين عليه السلام؛ فهو أحسن الحديث وخير الكلام وأصدق، وبه تعلقت جميع العلوم الشرعية، وقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله على سبعة أحرف، قيل هي لغات العرب ولهجاتها؛ وقيل غير ذلك، ومقصدها التيسير لتلاوته عليهم، ورحمة من الله بهم، ونقل ذلك نقلاً متواتراً، وصدق ذلك واقع القرآن، وما وجد فيه من القراءات فهي كلها تنزيل من حكيم حميد.

ومن بين أهم خصائص القرآن أنه صالح لكل زمان ومكان، فقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ"^١، وهذا أبرز دليل على أن قضايا القرآن هي بمثابة دليل لكل مسلم ومسلمة في مواجهة وتبوير القضايا المعاصرة؛ ذلك أن القرآن مهما كانت القضايا المعاصرة التي تحيط به، إلا أن مكانته المرموقة تجعله دائماً قابلاً للربط بأي نوع من القضايا المعاصرة، فعلى سبيل التمثيل، لا الحصر، نجد علم القراءات مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنزول القرآن الكريم، فإن القراءات بإجماع الأمة والقرآن شيء واحد، فكل قضية تتعلق بالقراءات تتعلق وترتبط بالقرآن الكريم، وعلمه، ومقاصده.

وبكن لم ي زال هناك فئة - قديمة معاصرة - تدعي بأن في القراءات تحريف، ويزعم أن فيها تناقض وتضارب، وإن كانت هذه الدعوة باطلة؛ ولكن يحتاج إلى دحضها وملاحقتها وبيان وجه الحق في هذا الأمر؛ لعل وعسى أن يهديهم إلى صراط مستقيم.

وعند اطلاعي على المؤتمر المدينة المنورة الدولي للشرعية والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة، رأيت من واجبي أن أبذل جهداً في سبيل إجلاء الحقيقة وتوضيحها لمن التبس عليه طريقها، فأحببت أن أشارك وأن أتناول جانباً مما أثاره المعاصرون من المستشرقين والطاعين وعوام الجهلة ممن يوفقونهم ويلتوثون خلف آرائهم، من خلال دراسة قضيتين مهمتين في علم القراءات، والرد عليها، وهي: زعمهم أن تعدد القراءات يدل على اختلاف فيها، وأنه نوع من التحريف؟، والثانية، تبين أن تعدد القراءات لا يشمل كل كلمات القرآن، وأن هناك

كلمات كثيرة أجمع القراء على قراءتها بوجه واحد، وقد عزمت على مناقشة هاتين الشبهتين والانتصار للقراءات القرآنية، من خلال هذا البحث الذي أسميته: (القراءات القرآنية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة).

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تجدد بعض الشبه التي أثيرت حول القراءات القرآنية، وتأثر كثير من الباحثين والعوام بهذه القضية القديمة المعاصرة، وما توقعه في قلوب شباب الأمة من الريب والتشكك في دينها، ويمكن صياغة هذه المشكلة من خلال السؤال الآتي:

- ما هي الشبه المعاصرة التي تتم إثارتها حول القرآن الكريم والقراءات القرآنية، وكيف يمكن الرد عليها؟

ويتفرع عن هذا السؤال، ما يلي؟

- ما هو القرآن الكريم؟ وما هو علم القراءات؟

- ما هي شروط القراءات الصحيحة؟

- هل تعدد القراءات يدل على الاختلاف فيه، وهل هو نوع من التحريف؟

- هل القراءات تشمل كل كلمات القرآن؟ أم تفردت به بعض الحروف والكلمات؟

أهداف البحث:

- تعريف القرآن وعلم القراءات، وبيان نشأة القراءات، وبشروط القراءة الصحيحة.

- إبراز جهود العلماء في العناية بالقرآن والقراءات، والذب عنهما.

- إيضاح أن تعدد القراءات ليس من اختلاف التعارض، ولا من التحريف.

- الرد على بعض أشهر الشبه المعاصرة التي يزعم مثيروها أن من اختلاف التعارض والتحريف.

أهمية البحث:

- تبرز أهمية البحث أنه يتناول بعض القضايا المعاصرة التي تتمثل في بعض الشبه التي أثيرت قديماً، وتجددت إثارتها؛ لغرض الطعن في القرآن الكريم من خلال الطعن في القراءات القرآنية، وستحاول الباحثة الإجابة عن تساؤلات كثير من الناس حول تعدد القراءات وإمكانية وصفها بأن من التحريف أو اختلاف التعارض، التي يمكن أن يعتبر مدخلا للطعن في القرآن الكريم.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة، وتسعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر.

أما المقدمة: فتضمنت أدبيات البحث وأبعدياته من أهداف وأهمية ومشكلة ومنهجية البحث والدراسات السابقة والخطة الهيكلية، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقرآن والقراءات.

^١ ينظر: أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٢١٨)، رقم (١٢١٨)

المبحث الثاني: نشأة علم القراءات.

المبحث الثالث: شروط القراءات الصحيحة.

المبحث الرابع: القراءات المتواترة، وأشهر القراء.

المبحث الخامس: تقرير أن علم القراءات من جملة ما تكلم الله به

المبحث السادس: إيضاح أن شبهة تعدد القراءات لا يدل على الاختلاف في القرآن، ولا التعارض، ولا التحريف.

المبحث السابع: أمثلة تطبيقية على شبهة تعدد علم القراءات، وردّها:

المبحث الثامن: بيان أن تعدد القراءات القرآنية ورد في كلمات وحروف معينة، ودحض الشبهة المعاصرة التي تزعم خلاف ذلك.

المبحث التاسع: أمثلة تطبيقية على أن القراءات لا تشمل كل كلمات القرآن.

ثم الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج، والتوصيات، ثم ثبت المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهرس المكتبات في المملكة العربية السعودية وكذلك البحث في محركات البحث لم أجد - حسب علمي- من بحث هذا الموضوع، ولكن هناك بحثاً قد تناولت جزئيات بسيطة، ومنها:

- تعدد القراءات القرآنية حكمه وفوائده، لعبد المحمود يوسف، نشر في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في مجلة كلية القرآن الكريم وقد تناول فيه تعريف القراءات وبيان عددها، والتيسير والتخفيف، وإعجاز القرآن، وبيان فضل الأمة المحمدية، واشتمال القراءات على بعض الأحرف السبعة.

- تعدد القراءات إعجاز وفوائد، لخالد أحمد هواس، في جامعة تكريت مجلة بحوث اللغات، وقد احتوى البحث على محورين: المحور الأول: الإعجاز ويتمثل في الإيجاز مع ثراء المعنى، فتعدد القراءات يقوم مقام تعدد كلمات القرآن وتعدد الآيات، وخلوها من التناقض على الرغم من وجود الاختلاف والتبديل بين القراءات، فقد تختلف القراءتان في لفظ قرآني، ولكن هذا الاختلاف يكون اختلاف تنوع لا من اختلاف التعارض والتضاد وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف. والمحور الثاني: الفوائد وتتمثل في إقرار القواعد اللغوية التي ما كانت لتعرف لولا القراءات القرآنية، مثل: الإشمام، والفصل بين المتصايفين، ومعرفة اللهجات، التخفيف وسهولة النطق، وذلك من حيث إبدال بعض الحروف أو اختلاف الظواهر الصوتية من لهجة إلى أخرى.

وهذان البحثان يتطابقان معي في معنى تعدد القراءات، ولكن اختلفا معي من حيث إنهما لم يتناولوا أي قضية تتعلق بالشبه المعاصرة المتعلقة بالقراءات، في حين تناول هذا

البحث شبهتين رئيسيتين معاصرتين في القراءات من حيث تعدد القراءات واختلافها تعارض، وتحريف، وقد بينت الباحثة الشبهتين وناقشت القضيتين، وبينت نماذج من ذلك.

منهجي في البحث:

اعتمد بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان منهجي كالاتي:

١. كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها وأرقامها في المتن بين معقوفتين.

٢. توثيق النصوص والمسائل العلمية من مصادرها الأصلية.

التعريف بالقرآن والقراءات.

القرآن في اللغة: قرأ قرءاً وقرآنأ، وهو مصدر قرأ بمعنى تلا، أو بمعنى جمع، لجمعه الأخبار والأحكام.^٥

والقرآن شرعاً: هو كلام الله تعالى حقيقة، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل (عليه السلام) المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه المجموع بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.^٦

القراءات لغة: جمع قراءة وهي بمعنى الجمع والضم، يقال قرأت الشيء أي جمعته.^٧

وقراءات القرآن مصطلح خاص لا يراد به المعنى اللغوي المطلق، الذي يفهم من اطلاع أي قارئ على أي مكتوب، بل لها في علوم القرآن معنى خاص من إضافة كلمة قراءة أو قراءات للقرآن الكريم، بإضافة " قراءة " أو "قراءات " إلى القرآن تخصص معنى القراءة أو القراءات من ذلك المعنى اللغوي العام، فالمعنى اللغوي العام يطلق ويراد منه قراءة أي مكتوب، سواء كان صحيفة أو كتاباً، أو حتى القرآن نفسه إذا قرأه قارئ من المصحف أو تلاه بلسانه من ذاكرته الحافظة لما يقرؤه من القرآن.^٨

واصطلاحاً: قد وضع العلماء له تعريفات كثيرة سأذكر تعريف ابن الجزري: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة.^٩

ومما تجب ملاحظته أن القراءات القرآنية وحي من عند الله عز وجل، فهي إذن قرآن؛ وهي من جملة ما تكلم الله به، فهي متعلقة بكلام الله.

نشأة علم القراءات:

القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنزول القرآن الكريم، الذي نزل على سبعة أحرف، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ الصحابة رضي الله عنهم بهذه الأحرف، وكل واحد منهم يأخذ القراءة، ويقرأ ويقرئ بحسب ما تعلم، وانتشر الصحابة في الأمصار وتلقى منهم التابعون هذه

٥ ينظر: معاني القرآن، الفراء (١٧٧/٣).

٦ ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ص ٩.

٢ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي (٢٦٣/١).

٣ ينظر: أصول التفسير، العثيمين، ص ٣.

٤ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي (٢٦٣/١).

الأحرف، وأخذ الأئمة عن التابعين حتى وصلت إلى زمن التدوين.^٧

ومن الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٨) فوجه الدلالة واضح في أن القراءات تزامن نزولها مع نزول القرآن الكريم، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف، أي: بداية نزول القرآن الكريم، وهكذا كان يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل الزيادة»^٩.

فقد كان بداية نزول القراءات القرآنية في المدينة^(١٠)، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاعة بني غفار قال: فاتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيمأ حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»، فالحديث يدل على الوقت الذي رخص فيه أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف، وهو في المدينة بعد الهجرة، بدليل أن (أضاعة بني غفار) هو مستنقع ماء قرب المدينة^{١١}.

ثم تتلمذ جماعة من الصحابة والتابعين على جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عنهم القراءات، فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأبو العالية الرياحي على أبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان، وقرأ الأسود بن يزيد النخعي على عبد الله بن مسعود^{١٢}.

ثم بدأ نقل بعض وجوه القراءة المختلفة بالرواية، وقد ذكر ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه في (القراءات)، وهو من أوائل الكتب المؤلفة في علم القراءات، وهذه النقطة انحصرت في القرن الأول الهجري، وبدأت تشيع ظاهرة اختلاف القراءات في النصف الأول من القرن الأول؛ وذلك عند مقتل كثير من قراء الصحابة، حيث قام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتعيين مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة

أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الأغلب، وقد كتبت المصاحف موافقة للعرضة الأخيرة، والمشهور أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار خمسة، وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتمدة، والقراءات الشاذة، وبدأت تنتشر الروايات الشاذة، وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني، ومن هنا بدأ وضع شروط القراءات الصحيحة^{١٣}.

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم^{١٤}.

بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ).

بمكة: عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ).

بالكوفة: عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٩ هـ)، وحمزة الزيات (ت ١٥٦ هـ)، والكسائي (ت ١٨٩ هـ).

بالبصرة: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ).

بالشام: عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ).

وكانت هذه الفترة تمهيداً للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها، ثم بدأ التأليف في القراءات والتدوين وتنامى هذا الاتجاه حتى نضوج علم القراءات، ونضوج التأليف فيه، واستقراره، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٢٥ هـ)، وقيل غير ذلك، ولكن الذي يبدو أن يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ) هو أول من ألف في علم القراءات ثم تتابع التأليف من بعده، وهنا تظهر عناية المسلمين بالقرآن والقراءات، وصونه عن التحريف والتبديل^{١٥}.

شروط القراءات الصحيحة:

وضع العلماء عدة ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة،

١- أن تكون القراءة متواترة، وهذا يؤكد سماع القراءة عن رسول الله ﷺ.

٢- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه.

٣- أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. وهي التي أجمعت الأمة عليها في خلافة عثمان رضي الله عنه، فالصحابة الذين نسخوا القرآن في المصحف في خلافة عثمان، نقلوه كما هو مكتوب بلا تغيير أو تبديل، ورسم المصحف الذي بين أيدينا الآن موافق لذلك الرسم؛ ولذلك

١١ ينظر: القراءات أحكامها ومصدرها، ص ٤٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٨/٩).

١٢ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٦.

١٣ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٦.

١٤ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٨.

١٥ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٨.

٧ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٢.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (١١٣/٤) رقم: (٣٢١٩).

٩ ينظر: مقدمات في علم القراءات ص ٥٢.

(١٠) على خلاف بين العلماء في ذلك، فمنهم من قال في المدينة، ومنهم من قال في مكة. ينظر: القراءات أحكامها ومصدرها، ص ٤٧.

- عن يحيى الزبيدي.
٤. قراءة ابن عامر، وراوييه هشام وابن ذكوان عن أصحابهما عنه.
 ٥. قراءة عاصم، وراوييه شعبة وحفص.
 ٦. قراءة حمزة، وراوييه خلف وخالد عن سليم عنه.
 ٧. قراءة الكسائي وراوييه أبي الحارث والدوري.
 ٨. قراءة أبي جعفر، وراوييه ابن وردان وابن جمار.
 ٩. قراءة يعقوب، وراوييه رويس وروح.
 ١٠. قراءة خلف وراوييه إسحاق وإدريس.
- فهذه القراءات متواترة وقد أجمع عليها قراء السلف، والخلف.

تقرير أن علم القراءات من جملة ما تكلم الله به:

القرآن كلام الله جل وعلا، أخذه جبريل عن الله، وأقرأه محمدا صلى الله عليه وسلم، فأخذه عنه كما تكلم به الله جل وعلا، وحفظه الله تعالى في قلب محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: ١٠٢]؛ فالقرآن وحى سماوي، معجز من جميع الوجوه، وهو الكتاب الوحيد الذي تمت كتابته في عهد النبي الذي نزل عليه وبقي كتابه إلى بعد وفاته، وسيبقى إلى يوم الدين، فقد تكفل الله بحفظه ومعجزته باقية بخلاف معجزات الرسل الأخرى انقضت بانقضاء أوقاتها قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، ولو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافات واضطرابات كثيرة، فالقرآن محكم النسخ، مترابط المعنى، متناسق في الآيات فقد قال تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [سورة النساء: ٨٢]، وقد جزم أهل القراءات بأنها منقولة كلها عن الله تعالى، ولذا تجد أسانيدهم في المشرق والمغرب يذكر في آخر السند عن جبريل عن الله تعالى، فهذا صريح في أن القراءات كلها تكلم بها الله سبحانه وتعالى^{٢١}.

وأما الأحرف السبعة فقد نزل بها القرآن من عند الله تعالى، كما يدل له ما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها. فكدت أن أعجل عليه. ثم أمهله حتى انصرف. ثم ليبيته بردائه. فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: يا رسول الله؛ إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله. أقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ. فقال

أجمع أئمة المذاهب الفقهية على تحريم كتابة المصحف في أي زمن من الأزمان، على غير الرسم المعروف بالرسم العثماني للمصحف الشريف، ونقل هذا الإجماع عنهم كثير من علماء تاريخ القرآن، وإن كان هناك من قال بجواز رسم بالخط القياسي، وهم قلة^{٢٢}، وعلى هذا إن تخلف شرط من هذه الشروط فإن القراءة لا تقبل ولا يعتد بها.

وعملًا بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة، فلم يكتف علماء السلف بهذا، بل وضعوا مصنفات عديدة حصروا فيها القراءات الصحيحة، ووجهوها من حيث اللغة، ومن حيث المعنى، وكذلك القراءات الشاذة، فقد جمع العلامة ابن جنى القراءات الشاذة، واجتهد أن يقومها تقويمًا أفرغ ما ملك من طاقاته فيه، وأخرجها في جزءين كبيرين^{٢٣}.

أما الصحابي عثمان بن عفان رضى الله عنه، حين أمر بنسخ المصحف الذي نسخ في عهد أبي بكر في المصاحف، فقد أراد منه هدفين، كما ذكر الإمام محمد عبد الله دراز في كتابه، حيث قال: "...وفى رأينا أن نشر المصحف بعناية عثمان كان يستهدف أمرين: أولهما: إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة، التي كانت تدخل في إطار النص المدون يعنى المصحف، ولها أصل نبوي مجمع عليه، وحمايتها فيه منعًا لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها؛ لأن عثمان كان يعتبر التماري -أي الجدل- في القرآن نوعًا من الكفر. ثانيهما: استبعاد ما لا يتطابق تطابقًا مطلقًا مع النص الأصلي وقاية للمسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحماية للنص ذاته من أي تحريف، نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعًا ما، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها إلى مصاحفهم"^{٢٤}.

هذه هي بعض الجهود في عناية المسلمين بالقرآن الكريم وتعدد قراءاته، وحماية كتاب الله من كل دخيل على نصوص الوحي الإلهي.

القراءات المتواترة، وأشهر القراء:

التواتر لغة: التتابع، ويقال: واترت الكتب فتواترت أي جاءت بعضها في إثر بعض وترا وترا من غير أن تنقطع^{٢٥}. واصطلاحًا: هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، من غير تعيين عدد على الصحيح^{٢٦}. فالقراءات المتواترة التي تواترت وتلفتها الأمة بالقبول، عشر قراءات، وهي:

١. قراءة نافع، وراوييه قالون وورش.
٢. قراءة ابن كثير، وراوييه البزي وقنبل عن أصحابهما.
٣. قراءة أبي عمرو البصري وراوييه الدوري والسوسي

١٦ ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣٧٩/١) والإتقان للسيوطي (١٤٦/٤).

١٧ ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليلي مقارن، محمد بن عبد الله دراز، ص ٤٥.

١٨ ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليلي مقارن، محمد بن عبد الله دراز، ص ٤٥.

١٩ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢٧٥/٥).
٢٠ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٢٦٤/١)، منجد المقرئين، ابن الجزري، ص ٨.
٢١ ينظر: فتوى القراءات كلها تكلم بها الله، ونزول القرآن على سبعة أحرف ومذاهب العلماء في بقائها، إسلام ويب، ٢٠١٤م/١٤٣٥م.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ، فقرأت. فقال: هكذا أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف. فاقروا ما تيسر منه^(٢٢). اهـ

وقد ذهب بعض السلف إلى أن كتابة الصحابة للمصحف في عهد عثمان - رضي الله عنه - اقتضت على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو ما كان في العريضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام؛ لأن نزول القرآن على سبعة أحرف كان تسهيلاً وتيسيراً على الأمة الأمية في بداية أمرها، وليس إلزاماً لها، فكان للقارئ أن يختار من هذه الأحرف ما تيسرت له القراءة به^(٢٣).

إيضاح أن شبهة تعدد القراءات لا يدل على الاختلاف في القرآن، ولا التعارض، ولا التحريف:

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله على سبعة أحرف، ونقل ذلك نقلاً متواتراً، وصدق ذلك واقع القرآن، وما وجد فيه من القراءات فهي كلها تنزيل من حكيم حميد، فليس في تعددها تحريف أو تبديل ولا لبس في معانيها ولا تناقض في مقاصدها ولا اضطراب، بل بعضها يصدق بعضاً ويبين مغزاه، وقد تتنوع معاني بعض القراءات فيفيد كل منها حكماً يحقق مقصداً من مقاصد الشرع ومصلحة من مصالح العباد، مع اتساق معانيها فهي محكمة كاملة لا تعارض بينها ولا تضارب فيها.

فنزول القرآن بتعدد القراءات فيها تخفيف على الأمة الإسلامية والتيسير عليها كالإمالة والتسهيل والترقيق والتفخيم والإشمام ونحوه، فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن ميسراً؛ وهذا من سماحة الإسلام ويسره، فلا تكلف أحداً بما لا يطيق، فمن شق عليه قراءة حرف قرأ بالحرف الآخر، فلو حملت جميعاً على حروف، أو قراءة واحدة - في بادئ الأمر - لصعب عليهم الامتثال، فقد روي عن أبي بن كعب أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عند أضامة بني غفار فأتاه جبريل (عليه السلام) فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف قال أسألك الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين قال أسألك الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسألك الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف قال فأئما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا^(٢٤).

وأخيراً رغم تعدد قراءات القرآن الكريم وكثرة وجوه القراءات، لم يستطع أحد من أعداء الأمة التربص والطنن في آيات الله، ولم يظهر أي تناقض أو تضاد في القرآن، فهذا يدل على إعجاز من رب العالمين.

أمثلة تطبيقية على تعدد علم القراءات:

فمن ذلك ما ورد من القراءات في الآية، وهي قوله تعالى: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) [الإسراء: ١٣]

اختلف القراء في (نخرج)، فقرأ أبو جعفر بالياء وضمها وفتح الراء، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضم الراء، وقرأ الباقون بالنون وضمها وكسر الراء^(٢٥).

والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتاباً هو صحيفة عمله، يصل إليه حال كونه مفتوحاً، فيأخذه بيمينه إن كان سعيداً أو بشماله إن كان شقيماً. وقرأ (يُلْقَاهُ مَنشُورًا) بضم الياء وتشديد القاف^(٢٦)، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتاباً - هو صحيفة (عمله) - يعطى الإنسان ذلك الكتاب حال كونه مفتوحاً، فمعنى كل من القراءتين يتفق في النهاية مع الآخر فإن من يلقي إليه الكتاب فقد وصل إليه ومن وصل إليه الكتاب فقد ألقى إليه^(٢٧).

ومنه قوله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [البقرة: ٩]

يخادعون: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال. وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف.

والمعنى على قراءة (يخادعون): أي: يخادعون الله، مضارع خادع. وعلى قراءة (يخدعون)، مضارع خدع لمجرد، ويمكن توجيه معنى القراءتين على النحو الآتي: قراءة (يخدعون): مضارع (خدع) أي: أن المفاعلة من جانب واحد، وهو جانب المنافقين، والمعاقبة من الله.

قراءة (يخادعون): من باب (المفاعلة)، فتكون المخادعة من جانبين؛ إذ هم يخادعون أنفسهم بما يمنونها من الأباطيل، وتمنيهم أنفسهم كذلك، والله يخادعهم على المقابلة والمشاكلة، وقيل: خدع وخادع بمعنى واحد، والخداع: إظهار خلاف ما في النفس، ويؤيدها الرسم المصحفي تحقيقاً^(٢٨).

قال أبو حيان: "...ويحتمل قوله: يخادعون الله أن يكون مستأنفاً، كأن قائلًا يقول: لم يتظاهروا بالإيمان وليسوا بمؤمنين في الحقيقة؟ فقيل: يخادعون، ويحتمل أن يكون بدلاً من قوله: يقول آمناً، ويكون ذلك بياناً، لأن قولهم: آمناً وليسوا بمؤمنين في الحقيقة مخادعة، وخادع هنا إما لموافقة الفعل المجرد فيكون بمعنى خدع، وكأنه قال: يخدعون الله،

٢٥ ينظر: النشر (٣٠٦/٢).

(٢٦) اختلف القراء في (ويلقاه): فقرأ أبو جعفر وابن عامر: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف، ينظر: النشر في القراءات العشر (٣٤٤/٢)

(٢٧) البحر المحیط في التفسير (٢٢/٧)

(٢٨) صفحات في علوم القراءات، أبو طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، الناشر: المكتبة الأمداية، الطبعة الأولى- ١٤١٥ هـ (ص٣١٥)

(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٦/ ١٨٤)، رقم: (٤٩٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦٠/١) رقم: (٨١٨)

٢٣ ينظر: فتوى القراءات كلها تكلم بها الله، ونزول القرآن على سبعة أحرف ومذاهب العلماء في بقائها، إسلام ويب، ٤٣٥/١٤٠١م.

٢٤ أخرجه مسلم في صحيحه، اب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦٢/١) رقم: (٨٢١)

وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه: ورويت هذه القراءة عن رسول الله ﷺ بفتح الفاء وكسر السين، ومعناها: لقد جاءكم رسول من أركانكم وأطهركم^{٣٦}.

و "أنفس" هنا أفعل تفضيل من النفاسة. فكلمة "أنفسكم" كما ترى قرئت على وجهين من حيث النطق، وهذا هو معنى القراءة والقراءات القرآنية.

ومنه قوله تعالى: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) (سبأ: ١٩)

قرأ يعقوب برفع الباء من (ربُّنا)، وبصيغة الماضي (باعد) (بصيغة الدعاء، والمعنى على قراءة جمهور السبعة (بصيغة الطلب) أنهم طلبوا وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاز ليركبوا الرواحل فيها، وعلى قراءة يعقوب (بصيغة الماضي) أنهم يشكون ممَّا حلَّ بهم من بُعد الأسفار. وعلى الرغم من وجود اختلاف في المعنى على القراءتين المذكورتين، فإنه اختلاف لا يصل إلى حد التناقض؛ إذ إن القراءتين تجتمعان في وصف هؤلاء القوم بالتعمر والرفاهية، فلما كانوا منعمين مترفين بطروا النعمة ومأوا العافية فطلبوا الكد والتعب (هذا على القراءة بصيغة الطلب) ولأنهم مترفون منعمون فقد رأوا هذه الأسفار بعيدة، مع أنهم كانوا آمنين من الخوف والجوع والعطش وغير ذلك، فلفظ تنعمهم رأوا هذه الأسفار شاقة واشتكوا ربهم فقالوا (ربُّنا باعد)، كما أنه ليس في الآية حكم شرعي حتى يقال إن تعدد القراءات يؤدي إلى تعدد الأحكام^{٣٨}.

بيان أن تعدد القراءات القرآنية ورد في كلمات وحروف معينة، ودحض الشبهة المعاصرة التي تزعم خلاف ذلك.

أن كلمات الآية لم تشملها القراءات، بل كانت في كلمة واحدة، وهذا هو شأن القراءات في جميع القرآن، كما ينبغي أن نستحضر دائماً أن كثيراً من الآيات خلت من تعدد القراءات خلواً تاماً.

ثم إن اختلاف القراءات لا يشمل كل كلمات القرآن، بل يرد في كلمات محددة، ومن ثم فلا أثر على المعنى، إذ لا يوجد تدافع بين المعاني الناشئة عن ذلك الاختلاف، ولا على الأحكام في عمومها وجملتها.

ويحتمل أن يكون خادع من باب المفاعلة، ومخادعة الله لهم حيث أجرى عليهم أحكام المسلمين، فمعنى كل من القراءتين لا يعارض الآخر ولا يناقض كل منهما^{٣٩}.

ومن ذلك قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [البقرة: ١٠].

قرأ الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد^{٤٠}.

والمعنى: يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين، وقرئ (يَكْذِبُونَ) بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال المكسورة^(٤١)، بمعنى: يكذبون الرسل فيما جاءوا به من عند الله من الوحي. فمعنى كل من القراءتين لا يعارض الآخر ولا يناقضه، بل كل منهما ذكر وصفاً من أوصاف المنافقين، وصفتهم الأولى بالكذب في الخبر عن الله ورسله وعن الناس، ووصفتهم الثانية بتكذيبهم رسل الله فيما أوحى إليهم من التشريع وكل حق فإن المنافقين جمعوا بين الكذب والتكذيب^(٤٢).

ومن ذلك يتبين أن تعدد القراءات كان بوحى من الله لحكمة، لا عن تحريف وتبديل، وأنه لا يترتب عليه أمور شائنة ولا تناقض أو اضطراب، بل معانيها ومقاصدها متفقة^{٤٣}.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) وَلَقَدْ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [البقرة: ٣٦].

فأزلهما: قرأ حمزة فأزلهما بالفتح بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بالحذف والتشديد^{٤٤}.

والمعنى أزل: من الزلل، وهو عثر القدم. يقال: زلت قدمه، وزلت به النعل. والزلل في الرأي والنظر مجاز، وأزال: من الزوال، وأصله التنحية. والهمزة في كلا الفعلين للتعدية^{٤٥}.

وأيضاً قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ١٢٨].

أنفسكم: قرأ القراء العشرة بضم الفاء وكسر السين، وهي جمع: "نفس" بسكون الفاء، ومعناها: لقد جاءكم رسول ليس غريباً عليكم تعرفونه كما تعرفون أنفسكم لأنه منكم نسباً ومولداً ونشأة، وبيئة، ولغة.

٢٩ ينظر: النشر، (٢٠٧/٢)، تفسير البحر المحيط (٩١/١).

٣٠ ينظر: النشر (٣٠٨/٢).

(٣١) اختلاف القراء في ضم الياء والتشديد وفتحها وتخفيف في قوله {يكذبون}، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {بما كانوا يكذبون} بتشديد الذال وضم الياء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي {يكذبون} خفيفة بفتح الياء وتخفيف الذال، ينظر: كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن، العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ: (١/٤٣)، النشر: (٢٨٢/١).

(٣٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم،

الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ: (ص ٦٨).

٣٣ ينظر: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٥/٣٩٧).

٣٤ ينظر: النشر (٢١١/٢).

٣٥ ينظر: تفسير البحر المحيط، (٢٥٨/١).

٣٦ ينظر: وهي قراءة شاذة، تفسير البحر المحيط (١٣٣/٥).

(٣٧) اختلاف القراء في (ربنا باعد) "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال وقرأ الباقون، بالألف والتخفيف، ينظر: التيسير: (ص ١٨١)، النشر: (٢/٣٩٠).

٣٨ ينظر: مقدمات في علم القراءات (ص ٢٢).

بمعنى اللمم والخيال، وقيل: الطيف النخيل، والطائف الشيطان، وقال مجاهد: الطيف الغضب ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لأنه لمة من الشيطان، وهذه كلها أقوال متقاربة لا تناقض فيها^{٤٥}.

وأيضاً في قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) [القم: ٤٢].

"يُكْشَفُ" فيها قراءتان الأولى قراءة جمهور القراء، وهي "يُكْشَفُ" بضم الياء وسكون الكاف، وفتح الشين. بالبناء للمفعول، والثانية قراءة ابن عباس "يُكْشَفُ" بفتح التاء وسكون الكاف، وكسر الشين، بالبناء للفاعل^(٤٦)، وهو الساعة، أي يوم تكشف الساعة عن ساق. قرأها بالتاء، والبناء للمعلوم، وقرأها الجمهور بالياء والبناء للمجهول^{٤٧}.

الخاتمة

وتشمل، النتائج، والتوصيات:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فهذا ما يسره الله بفضل من بحث: القراءات القرآنية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة، وفيما يلي أبرز النتائج المستخلصة منه:

- كان هناك علاقة كبيرة بين القراءات القرآنية وكثير من القضايا المعاصرة ذات الجذور التاريخية، وخاصة من جهة الطاعنين في القراءات القرآنية، من المستشرقين والملاحدة.

- حاول بعض المشككين أن يثيروا بعض الشبه القديمة بحلى وزخرفات حديثة بغية الطعن في القرآن الكريم خصوصاً والقراءات عموماً.

- جميع الشبه التي أثيرت حول القرآن انكفأت عكسا، حيث تبين أن ما روي من القراءات القرآنية، يعد صحيحاً مأثوراً من حيث الرواية والدراية جميعاً، وكل ذلك مستند إلى أصول علمية روائية، ودراية ولغوية.

- إن القراءات مُنَزَّلَةٌ من عند الله عز وجل ومصدرها وَحْي رَّبَّانِي، لا يجوز أخذها بالقياس أو الاجتهاد في ألفاظ القرآن الكريم، وهي وإن كانت تشتمل على اللغات واللهجات لكن لا يجوز الأخذ ولا القراءة بلهجة أو بِلُغَةٍ إِلَّا بِإِثْرٍ ورواية مُسْنَدَةٍ.

- إن القراءات القرآنية لا تدخل كل كلمات القرآن، بل لها كلمات محصورة وردت فيها، وقد أحصاها العلماء وبيّنوا وجوه القراءات فيها.

- إن الكلمة التي تقرأ على وجهين أو أكثر يكون لكل قراءة معنى مقبولا يزيد المعنى ويثريه.

- الاختلاف بين القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع وتغاير

وهذا الاختلاف -بين القراءات القرآنية- إنما هو من اختلاف التنوع والتغاير، لا اختلاف التضاد والتناقض، فإن ذلك لو كان من عند غير الله، لاختلّت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض، قال تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢]^{٣٩}.

كما أن تعدد القراءات يستفاد منه تعدد المعاني، إذ كل قراءة زادت معنى جديداً قد لا تبينه أو توضحه القراءة الأخرى بشكل جلي، وبهذا اتسعت المعاني بتعدد القراءات؛ إذ إن تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية، يقول ابن تيمية: "ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده؛ بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا"^{٤٠}.

أمثلة تطبيقية على أن القراءات لا تشمل كل كلمات القرآن:

فمن ذلك ما ورد من القراءات القرآنية في الآية قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ) [سورة الفاتحة: ٤]، والشاهد في الآية كلمة "مالك"، وفيها قراءتان^{٤١}:

"مالك" اسم فاعل من "مَلِكٌ" وهي قراءة حفص وآخرين.

"مَلِكٌ" صفة لاسم فاعل، وهي قراءة: نافع وآخرين^{٤٢}.

ومعنى (مالك) أي: القاضي المتصرف في شئون يوم الدين، وهو يوم القيامة. أما (مَلِكٌ) فهو أعم من معنى (مالك) أي من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء. ما ظهر منها وما خفي، وكلا المعنيين لائق بالله تعالى، وهما مدح لله عز وجل، ولما كانت هذه الكلمة تحتمل القراءتين كتبت في الرسم هكذا (ملك) بحذف الألف بعد حرف الميم، مع وضع شرطة صغيرة رأسية بين الميم واللام، ليصلح رسمها للنطق بالقراءتين^(٤٣).

وأيضاً في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) [الأعراف: ٢٠١].

قرأ البصريان، وابن كثير والكسائي، (طيف) بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة، ولا ألف، وقرأ الباقون بألف بعد الطاء، وهمزة مكسورة بعدها^{٤٤}.

فمن قرأ: (طيف) احتمل أن يكون مصدراً من طاف يطيف طيفاً، واحتمل أن يكون مخففاً من طيف كميته وميت أو كليين من لين؛ لأن طاف المشددة يحتمل أن يكون من طاف يطيف، ويحتمل أن يكون من طاف يطوف، وقرأ باقي السبعة طائف اسم فاعل من طاف، وقال الكسائي: الطيف اللمم والطائف ما طاف حول الإنسان، وقال أبو زيد: طاف أقبل وأدبر يطوف طوفاً وطوفاً وأطاف استدار القوم وأتاهم من نواحيهم، وقال أبو عمرو: هما بمعنى الوسوسة، وقيل: هما

^{٣٩} ينظر: تفسير الطبري (٥٦٧/٨).

^{٤٠} ينظر: مجموع الفتاوى (٣٩٣/١٣).

^{٤١} ينظر: النشر (٢٧١/١).

^{٤٢} ينظر: النشر (٢٧١/١).

^(٤٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص ٦٢).

^{٤٤} ينظر: النشر (٢٧٥/٢).

^{٤٥} ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرع، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م (ص ٣٠٥)، البحر المحيط (٢٥٨/٥).

^(٤٦) وهي قراءة شاذة، ينظر: المحتسب في تبين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٢/٣٢٦).

^{٤٧} ينظر: البحر المحيط (٣٠٧/٨).

أثير الدين الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ - البخاري، محمد بن إسماعيل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢ هـ، الطبعة: الأولى.

- دراز، محمد بن عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليلي مقارنة، دار القلم - الكويت، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

- السندي، أبو طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات، الناشر: المكتبة الأمداية، الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

- شعبان، محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، دار السلام | القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨ م | ١٤٢٩ هـ.

- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

- العثيمين، محمد بن صالح، أصول التفسير، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى.

- فتوى القراءات كلها تكلم بها الله، ونزول القرآن على سبعة أحرف ومذاهب العلماء في بقائها، إسلام ويب، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى

- الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، مكتبة الفكر، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، الطبعة: الرابعة.

- القضاة، محمد أحمد مفلح، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، دار عمار - عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد، سنن النسائي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م، الطبعة: الأولى.

- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، دار الفكر، بيروت.

في المعنى وليس اختلاف تضاد وتناقض فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد.

التوصيات والمقترحات:

توصي الباحثة باستكمال دراسة العلاقة بين القراءات القرآنية والقضايا الاجتماعية، الخلقية، والأسرية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، الطبعة: الأولى.

- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٩ هـ.

- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

- ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ١٤١٦ هـ، الطبعة: الأولى.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.

- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن، العباس التميمي، أبو بكر، البغداد (المتوفى: ٣٢٤ هـ)، كتاب السبعة في القراءات، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ.

- ابن مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين، الأنصاري (ت: ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١١١٤ هـ.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية – دورية – محكمة – مصنفة دولياً

Support and its impact on strengthening the relationship between spouses Khadijah's -may Allah be pleased with her – support for the prophet be upon him, in an example.

Amani Abdullah Abdulaziz Khaled*

*A lawyer licensed by the Ministry of Justice
Master of Law - Jeddah-Saudi Arabia.

أثر المساندة في تقوية العلاقة بين الزوجين
-أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها أنموذجاً -

أ. أماني بنت عبد الله بن عبد العزيز خالد*

* محامية مرخصة من وزارة العدل، خريجة ماجستير قانون
جدة - المملكة العربية السعودية.

E-mail: Amaniabdullah.kh@gmail.com

KEY WORDS

community - family – marriage.

الكلمات المفتاحية

المجتمع - الأسرة - الزواج.

ABSTRACT

In the name of Allah, the most gracious, the most merciful.

The stability of marital life is one of the goals that Islam has ensured and promoted. For this reason, the bond that united the spouses is one of the most sacred bonds, and what enhances the continuity of this relationship and its maintenance in its fullest and best way is the existence of the principle of support between them. Therefore, the topic of this paper was chosen to study the effect of support in strengthening the relationship between spouses, taking "the mother of the Believers, Mrs. Khadija, may Allah be pleased with her, as an example and a role model for that great principle."

The approach followed:

The inductive and deductive method was followed in this research by inducting and deducing from the noble hadiths and the Prophet's biography that spoke about the positions of "the mother of the Believers, Mrs. Khadija, may Allah be pleased with her," in supporting "her husband, Profit Mohammed peace be up on him," while attributing those texts and positions to their sources, in addition to Refer to biographies and scientific theses. The Research problem is about, the researcher discusses an issue that touches the core of society and affects the cohesion of its family entity, which is the large number of disputes between spouses, which are due to several reasons, the most important of which is the absence of the principle of support between them. The main question of the study was: What is the effect of support in strengthening the relationship between spouses? The most important results for this study is emphasizing the importance of both spouses making a sound choice for each other because of its great implications, and moral support is an innate quality in women, stemming from a sense of responsibility towards her family and society.

مستخلص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم إن استقرار الحياة الزوجية من الغايات التي حرص عليها الإسلام وعززها؛ لأجل ذلك كانت الرابطة التي تجمع الزوجين من أقدم الروابط، ومما يُعزز استمرارية هذه العلاقة وبقاؤها على أتم وجه وأحسنه هو وجود مبدأ المساندة بينهما؛ ولذا تم اختيار موضوع بحث أثر المساندة في تقوية العلاقة بين الزوجين، مُتخذةً "أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها مثلاً وأنموذجاً أعلى لذلك المبدأ العظيم. تم استخدام المنهج الاستقرائي والاستنباطي في هذا البحث وذلك بالاستقراء والاستنباط من الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية التي تحدثت عن مواقف «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» في مساندة «زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم»، واستنباط مع عزو تلك النصوص والمواقف إلى مصادرها، إضافةً إلى الرجوع لكتب التراجم، والرسائل العلمية، وتتلخص مشكلة الدراسة أن الباحثة وجدت نفسها أنها أمام قضية تمس صُلب المجتمع وتهدد تماسك كيانه الأسري وهي كثرة الخلافات والنزاعات والتي ترجع لعدة أسباب أهمها غياب مبدأ المساندة بين الزوجين «السيدة خديجة أنموذجاً». فكان التساؤل الرئيس للدراسة: ما أثر المساندة في تقوية العلاقة بين الزوجين؟ وتوصلت نتائج الدراسة إلى التأكيد على أهمية اختيار كلا الزوجين لبعضهما اختياراً سليماً لما يترتب عليه من آثار عظيمة، والمساندة المعنوية خلق فطري عند المرأة منبعه الحس بالمسؤولية تجاه اسرتها ومجتمعها، إضافة إلى المساندة المثمرة تحتاج إلى حكمه في نوعيتها وكيفيةها وزمانها، حتى تكون عاملاً بناءً في تقوية الروابط الزوجية.

المقدمة

إن الزواج في الإسلام عقد مبارك بين الرجل والمرأة، بيد أن به رحلة الحياة الطويلة، متحابين متعاونين متآلفين متسامحين، يسكن كل منهما للآخر، «وقد صور القرآن الكريم تلك العلاقة الشرعية السامية بين الرجل والمرأة تصويراً «دقيقاً يشبع فيه ندى المحبة والألفة والثقة والتفاهم والمساندة والرحمة» قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [١].

مشكلة البحث:

إن التساؤل الرئيس للدراسة: ما أثر المساندة في تقوية العلاقة بين الزوجين؟ ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

- ما الإطار المفاهيمي للبحث؟
- ماهي جوانب مساندة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها لزوجها النبي صلى الله عليه وسلم» وأثرها ذلك عليه؟
- ما التطبيقات المعاصرة في المساندة الزوجية؟

أهداف الدراسة:

الهدف العام: توضيح مساندة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم» وأثر ذلك لقيام حياة سعيدة مطمئنة بينهما.

الأهداف الفرعية:

- ١- إبراز أهمية الرجوع إلى المصادر الرئيسية للتربية الإسلامية، الكتاب والسنة في التربية الاجتماعية ومنها التماسك الأسري.
- ٢- تعزيز مبدأ المساندة من خلال ضرب المثل في علاقة «أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بزوجها بالنبي عليه الصلاة والسلام».
- ٣- توضيح أثر مساندة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها على حياة زوجها النبي صلى الله عليه وسلم».
- ٤- إرشاد الفتاة المسلمة لتطبيق مبدأ المساندة في الحياة الزوجية.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والاستنباطي من وذلك بالاستقراء والاستنباط من الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية التي تحدثت عن مواقف «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» في مساندة "زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم"، حيث تم عزو الآيات والأحاديث ولم يتم ترجمة تلك النصوص والمواقف إلى مصادرها، إضافة إلى الرجوع لكتب التراجم، والرسائل العلمية واشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة مقسمة على النحو الآتي:

الإطار المفاهيمي:

معنى المساندة لغةً واصطلاحاً.

المساندة لغةً:

(١) **سَنَدَ: فعل:** سَنَدَ يَسْنُدُ، تَسْنِئِدًا، فهو مُسْنِدٌ، والمفعول مُسْنَدٌ، سَنَدَ شَيْئًا: سَنَدَهُ، وَثَقَهُ، دَعَّمَهُ، جعل له عِمَادًا يرتكز عليه. سَنَدَ: لَيْسَ السَّنَدُ. سَنَدَ فِي الْجَبَلِ: رَفِيَ، صَعِدَ [٢].

(٢) **سَنَدَ: فعل:** أَسْنَدَ يُسْنِدُ، إِسْنَادًا، فهو مُسْنِدٌ، والمفعول مُسْنَدٌ، أَسْنَدَ فِي الْعَدُوِّ: اشْتَدَّ وَجْدٌ، أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْحَائِطِ: جَعَلَهُ مُتَّكِّئًا لَهُ، **تَسَانَدَ: فعل** تَسَانَدَ: سَانَدَ إِلَى يَتَسَانَدُ، تَسَانَدًا، فهو مُتَسَانِدٌ، والمفعول مُتَسَانِدٌ إِلَيْهِ. تَسَانَدَ إِلَى أَبِيهِ: اسْتَنَدَ إِلَيْهِ، اعْتَمَدَ عَلَيْهِ، ارْتَكَزَ إِلَيْهِ، اسْتَعَانَ بِهِ، **مُسَانَدَةٌ:** هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى مُسَانَدَةٍ فِي أَرْمَتِهِ: -: مُعَاوَنَةٌ، مُسَاعَدَةٌ [٣].

المساندة اصطلاحاً: تبنت الباحثة مفهوم المساندة الذي يركز على جوهر المشاركة المعنوية والمادية التي تقوم بها زوجة تجاه زوجها لترسيخ وتقوية العلاقة بينهما في الأسرة المسلمة.

يعتبر مصطلح المساندة حديثاً في العلوم الإنسانية؛ لذلك قدّم المنظرون والباحثون تعريفات لمفهوم المساندة وتباينت تلك التعريفات من حيث العمومية والنوعية، فقد ركز بعضهم على العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الأشخاص بينما ركز البعض الآخر على جوانب محددة في تلك العلاقات باعتبارها تمثل جوهر المساندة، كالمشاركة الوجدانية أو الامداد بالمعارف أو السلوكيات والأفعال التي يقوم بها الفرد بهدف مساعدة الآخرين في مواقف الأزمات إضافة إلى المساندة المادية التي تعين الزوج على أعباء ومتطلبات الحياة [٤].

فالباحث "حسين علي فايد" يرى أن المساندة " إدراك الفرد أنه يوجد عدد كاف من الأشخاص في حياته تمكنه من الرجوع إليهم عند الحاجة وأن يكون لدى هذا الفرد درجة من الرضا عن هذه المساندة المتاحة له" [٥].

ومن خلال الاطلاع على عدة تعاريف للمساندة ومرادفاتها مثل (المعاونة – المؤازرة – المساعدة) يتبين أن مفهوم المساندة هو: مدى إدراك الأفراد لما يبذله الآخرون من أجلهم بلا مشاركة أو مئة، وكيف أنه يمكن الاعتماد عليهم للحصول على المساندة المرجوة عند الأزمات، فيشتبغ بذلك حاجتهم المعنوية بالشكل الأكثر تأثيراً يلي ذلك المادية.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، ولدت سنة ٦٨ هـ أي قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة، واتصفت بالحزم والعقل والعفة حتى دعاها قومها في الجاهلية الطاهرة كانت سيدة قومها الحازمة الشريفة اللبيرة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن

[٤] المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق الشخصي والاجتماعي، جبران يوسف عاقل، ٢٣/٣.

[٥] تعريف الباحث حسين علي فايد عام ٢٠٠١.

[١] سورة الروم: ٢١

[٢] القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر ص ٢٩٠.

[٣] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٥٤ ص.

عنها»، قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، فلما كان يوم الفتح جاءه السائب فقال له: "مرحباً بأخي وشريكي كان لا يُداري ولا يُماري"^[١٣].

ازدادت قناعة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» لما أخبرها ميسرة الذي سافر مع محمد صلى الله عليه وسلم مدة من الزمن ورأى منه في السفر الصدق والأمانة. وما أدل بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما شهد عنده رجل فقال: من يزيك؟ قال رجل: أنا فقال: هل سافرت معه؟ فقال: لا، قال: عاملته بالدرهم والدينار؟، قال: لا، قال: والله الذي لا إله إلا هو ما تعرفه^[١٤].

يتبين لنا مما سبق عمق تفكير خديجة رضي الله عنها بملازمة غلامها لمحمد صلى الله عليه وسلم مدة من الزمن تحديداً في حال سفر، فالسفر هو الذي يكشف حقيقة الرجل، ويظهر خفاياه.

هكذا كانت «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» السيدة الناضجة المجربة التي بليت الدنيا وعرفت الناس وتزوجت من قبل ذلك رجلين من سادة قريش، وعاملت رجالاً آخرين كانوا يخرجون في مالها إلى الشام، وإن في إعجاب مثلها بمحمد عليه الصلاة والسلام وحرصها على أن يدير أمور تجارتها وبعدها الزواج منه لدليل على أنها وجدت في شخصيته الأسرة اللافتة، مالم تجده في أي رجل ممن تزاحموا على تجارتها، فاخترته بناءً على خلقه وأمانته دون التوقع إلى أن يكون زوجاً أو نبياً منتظراً، فمهد هذا كله سبيله إلى قلبها الذي كانت قد أغلقته دون الرجال جميعاً مما دفعها إلى إرسال من أفصح للمحمد صلى الله عليه وسلم برغبتها بالزواج منه فأبدى رغبته بالزواج منها وعرض الأمر على أعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب ودخلا على خويلد بن أسد فخطبها إليه وتزوجها.

كان لهذه المساندة أثر كبير في حياته صلى الله عليه وسلم حيث أنه كان إذا ذكر خديجة يقول "وواستني بمالها إذ حرمني الناس..^[١٥]

والجميل في كل ما قدمته «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» أنها ما كانت تمثّل على زوجها بما قدمت ولم تقل له يوماً: أنت أفقر مني، أو: أنت موظف عندي، بل كانت تقدم تلك المساندة لزوجها، وكأن المال ماله، ولم تقصر قط في تقديم الجهد والبذل له وكأنه واجبٌ عليها.

لذلك كانت علاقتهما الزوجية قوية جداً وتركت أثراً جلياً في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلا ينبغي للزوجين أن يلغي أحدهما الآخر أو ينكر الفضل الذي قدمه له ولهذا حفظ النبي محمد صلى الله عليه وسلم فضل زوجته خديجة وتضحياتها حتى بعد وفاتها وتبين ذلك في موقفه عندما غارت منها السيدة عائشة رضي الله عنها كما ذكر في الحديث أن مما

شرفاً، وأكثرهنّ مالا، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة ولها أربعون سنة وفي رواية ابن عباس أن خديجة كانت يوم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ابنة ثمان وعشرين سنة، وقال سعد عقب ذلك: ومن عندنا من أهل العلم على أن خديجة ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة «وأنها كانت يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة أربعين»، «وقد أنجبت منه ذكرين هما القاسم وعبدالله، وأربعة بنات هنّ زينب وأم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية»، «فأمّا القاسم وعبدالله فماتا قبل الإسلام»، «وأدركت البنات الإسلام فأسلمن^[١٦] لقبت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين»؛ لكونها أولى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة من فضائل نساء النبي الكريم حيث قال تعالى: "النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"^[١٧]، «ولم يتزوج في حياتها غيرها، توفيت سنة ٣ قبل الهجرة بمكة ولها من العمر خمس وستين سنة» ولما حضرته الوفاة دخل عليها «النبي صلى الله عليه وسلم» فقال تكرر ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيراً، وعند دفنها نزل عليه الصلاة والسلام في حفرتها وأدخلها القبر بيده في «الحجون» -جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها-، فكانت وفاتها مصيبة عظيمة حيث سُمي عام وفاتها بعام الحزن^[١٨].

جوانب مساندة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها»، وأثرها على «زوجها النبي صلى الله عليه وسلم» وفيه مطلبين:

المطلب الأول: جوانب المساندة المادية^[١٩]، وأثرها على النبي صلى الله عليه وسلم.

مساندتها له مهنيًا بتسليمه أموالها وتجارته:

لما سرت أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم في أرجاء مكة، وعرف القاصي والداني أمانته وصدقه وحسن خلقه رغبت خديجة بنت خويلد في أن يدير لها تجارتها، ولأنها رضي الله عنها كانت من أكثر نساء قريش مالاً وحسباً، فاخترت محمداً صلى الله عليه وسلم ليسافر بتجارته مرتين إلى بلاد الشام وإلى سوق حباشة بتهامة جنوب مكة، فربحت تجارتها ربحاً وفيراً بفضل إدارته صلى الله عليه وسلم وكان غلامها ميسرة قد صحبه في تلك الرحلات فلما عاد حدثها بما شاهده من أخلاقه وصدقه وأمانته^[٢٠]، فعن جابر رضي الله عنه قال: استأجرت خديجة رضوان الله عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرتين إلى جرش^[٢١] كل سفره بقلوص^[٢٢].

ظهرت أمانة محمد صلى الله عليه وسلم أبين الظهور حين اشتغل بالتجارة، فقد جاء في الأثر أنه شارك السائب بن أبي السائب بمساندة من «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله

[١٦] العمري السيرة النبوية الصحيحة، ص ١٣٧

[١٧] سورة الأحزاب: ٦

[١٨] ع. كحاله في اعلام النساء في عالمي العرب والإسلام فصل خديجة بنت خويلد ص ٣٢٦-٣٣٠.

[١٩] عللت سابقاً سبب تقديم المساندة المادية على المعنوية انظر: ٥.

[٢٠] موسوعة نضرة النعيم ١/١٩٨.

[٢١] جرش: مدينة أردنية.

[٢٢] القلوص: من النوق الشابة.

[٢٣] أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٥/٣.

[٢٤] ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٣٠.

[٢٥] حديث صحيح رواه أحمد (١١٧/٦).

كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة رضي الله عنها في الدنيا : أنه لم يتزوج في حياتها غيرها فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت " [١٦].

إن المدقق في حياة أكثر العلماء والمفكرين المشهورين، لرأينا كمأ من المواقف الزوجية التي كانت سر نجاحهم في الحياة وتحقيق آمالهم، بما قدمت زوجاتهم من تضحيات مالية.

جوانب المساندة المعنوية، وأثرها على النبي صلى الله عليه وسلم.

• **خلوته في غار حراء ومبادرة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها»:**

حُبب إلى النبي صلى الله عليه وسلم الخلوة؛ لما فيها من فراغ القلب والعقل والروح، وهي معينة على الفكر، وينقطع بها عن مألوفات البشر، فلفظ الله تعالى به في بدء أمره، فكان دخوله الخلوة بإلهام من الله تعالى لا من تلقاء نفسه، لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار حراء للتأمل والتفكير حين رأى أن من كانوا على الجاهلية قد أحاطت بهم ظلمات الشرك والضللال، وغرقوا في عبادة الأصنام والأوثان.

كان يأخذ معه سويفاً وماء، ويخلو بنفسه شهر رمضان في كل سنة، فإذا انقضى رجع إلى زوجته «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» [١٧].

«ولما قارب الأربعين بدأ ما يدل على أن الله عز وجل سيخصه بأمر عظيم، فكان لا يمشي في طرقات مكة إلا ناداه الحجر " السلام عليك يا نبي الله " فالتفت ولا يرى أحد، وخشى أن يكون به جنن، فذكر ما أحس به لزوجته خديجة رضي الله عنها فقالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت له، فقال: إن يك صادقاً، فإن هذا ناموسٌ مثل ناموس موسى، فإن بُعث وأنا حي، فسأعززه، وأنصره، وأومن به» [١٨].

يُبين لنا هذا الموقف بعد النظر عند الزوجة الوفية وسعة الأفق التي تملكها «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» التي جعلتها تنطق بتذكيره صلى الله عليه وسلم بالله دون التشكيك في قوله، أو تهويل ما أحس به، مع المبادرة بالنقصي لإيجاد تفسير لما يحصل معه صلى الله عليه وسلم.

• **حادثة نزول الوحي وحكمة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها»:**

وفيما روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن حادثة نزول الوحي على الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "فجاءه الملك" [١٩] فقال: اقرأ.. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني

فغطني [٢٠] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" حتى بلغ " ما لم يعلم" [٢١]. فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال: زملوني.. زملوني.. حتى ذهب عنه الروح. فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: كلا والله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل [٢٢]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب [٢٣] الحق ثم انطلقت به حتى أتت به ورقة بن نوفل بن وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان شيخاً كبيراً قد عمي... فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله به على موسى، يا ليتني فيها جذعاً [٢٤]، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، قال: "أو مخرجي هم" قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً [٢٥].

• **بداية الرسالة وحنان «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها»:**

أيقن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول بعد أن نقشت تلك الآيات من سورة «اقرأ» في صدره، وبعد حديث ورقة بن نوفل له، وازداد يقينه بعد نزول الآيات الأولى من سورة المدثر فيما رواه يحيى عند سؤاله أبي سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر فقلت: أو اقرأ؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر فقلت أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «جاورث بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى نزلت فاستنبتت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نُدِيت فنظرت فلم أرَ أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء «يعني جبريل عليه السلام» فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، دثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: «يا أيها المدثر قم فأنذر ربك فكير وثيابك فطهر» [٢٦] [٢٧].

تدل تلك الحادثة العظيمة على تأثير مساندة «أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها» على زوجها «النبي صلى الله عليه وسلم» في المواقف الصعبة من حياته، فكانت مساندتها رضي الله عنها في بُعدين أساسيين هما:

[٢٢] الكل: المحتاج أي تقوم بشأن العجزة والضعفاء.

[٢٣] النوائب: الناقبة: ما ينزل بالرجل من كوارث وحوادث مؤلمة.

[٢٤] أي: شاباً قوياً.

[٢٥] رواه البخاري ٢٣/١ كتاب بدء الوحي: باب حديث عائشة أول ما

بدئ به الوحي ص ٢.

[٢٦] سورة المدثر ٢

[٢٧] رواه مسلم ١٤٤/١ حديث ١٦١.

[١٦] رواه مسلم ٢٤٣٦

[١٧] الطويان، "المجلد الأول" «في الحياة النبوية الكريمة لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الوسيلة والفضيلة»، ص ١٧٥.

[١٨] مسند أحمد ٢٨٤٥.

[١٩] كان الوحي يأتي عليه صلى الله عليه وسلم على ستة أشكال منها: الرؤيا الصادقة وكانت مبداً وحياً ومنها أن يراه في صورته الحقيقة، لم أتطرق لبقيّة الأشكال؛ لأنها لا تُفيد موضوع البحث.

[٢٠] غطني: غطه غطاه: ستره.

[٢١] سورة العلق ١-٥.

كانت تجد في شخصه صلى الله عليه وسلم الحُب و التقدير والوفاء ، وهذا ما جعلها تُعطيهِ أكثر فأكثر ، وهذه صفة فطرية في المرأة أنها تُبادر بالبوح بمشاعرها و التعبير عن حُبها بالقول و الفعل ، خاصةً إن وجدت التقبل و مشاركة الشعور من قِبل شريك حياتها.

التطبيقات العملية المعاصرة في المساندة الزوجية.

تطبيقات عملية معاصرة في المساندة الزوجية المعنوية.

• التذكير بالإنجازات:

تأسياً بالسيدة خديجة رضي الله عنها ينبغي على كل زوجة اليوم حين يأتيها زوجها ليشكر إليها من المواقف والأزمات قد تواجهه في حياته العملية أو محيطه الاجتماعي، فتضمه بحنانها وتذكره بنقاط قوته وجمال أخلاقه الكريمة وكثرة مواقفه النبيلة وإنجازاته العظيمة في تاريخه المليء بالمواقف المشرفة، فيتذكر معها هذه الإنجازات وتسكن نفسه عند سماعها^[٣٢].

• نجاح الزوج بمساندة زوجته:

إن مساندة الزوجة لزوجها وتحفيزه على التقدم في هذه الحياة من صفات كُمل النساء، فمساندة الزوج بمثابة الوقود الذي توفره الزوجة لاستقراره داخلياً مما ينعكس على عطائه خارجياً، فهو ليس بالأمر الثانوي الذي يُطبق في مواقف ويُهمل في غيرها، بل هو منهج تربوي في الحياة الزوجية السليمة، بأن يشارك الاثنان النجاح والإنجاز، فيقدر مساندة الزوجة لزوجها يكون بذل جهده، ومن الوسائل لحماس الزوج ونجاحه ما ذكرته «دوروثي كارنيجي» في كتابها المشهور « ادفعي زوجك إلى النجاح » وقد تعرضت للوسائل الست ناصحة بها الزوجات ليساهموا في مساندة أزواجهن معنوياً لمواصلة النجاح وهي كالتالي:

- (١) «اطلبي إلى زوجك أن يلّم بكل ما يستطيع الإمام به عن العمل الذي يزاوله».
- (٢) «عاوني زوجك على أن يحدد هدفه، وألا يحيد عنه».
- (٣) «عودي زوجك على التحدث إلى نفسه حديث الأمل والتفاؤل».
- (٤) «اطلبي من زوجك أن يدرب نفسه على إسداء الخدمات للآخرين».
- (٥) «دعي زوجك يخالط المتحمسين، فسرعان ما تسري الحماسة إليه».
- (٦) «دعي زوجك يتظاهر بالحماسة، إن لم يكن يحس بها فلن يلبث حتى يستشعرها»^[٣٣].

التطبيقات المعاصرة في المساندة الزوجية المادية:

«كما هو معلوم بأن الزواج شراكة دائمة وتكامل بين الزوج والزوجة تؤدي بإذن الله إلى حياة سعيدة متى ما توفرت لها

الأول: المساندة النفسية التي قامت بها عندما بشرته «صلى الله عليه وسلم» بما وجده، ثم عززته بجميل أفعاله وطيب خصاله؛ ليطمئن قلبه وتهدئ من روعه.

الثاني: المساندة الفكرية وذلك باقتراحها عليه صلى الله عليه وسلم باستشارة من هو على دراية في مثل هذه الحالات النفسية - «ورقة بن نوفل» -، ليتسنى له أن يستمع لقول يجعله يزداد يقيناً بأن ما لاقاه هو الحق.

إنّ ما قامت به خديجة رضي الله عنها هو ما استخلصته أحدث نظريات علم النفس اليوم في كيفية التعامل مع الشخص الذي يمر بموقف فيه ريبة ويدخل الروح في قلبه، بأن يتم تذكيره بالمواقف الإيجابية في حياته وإيجابياته.

ومما يؤكد ذلك بتعليق ذكرته الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ- على هذا الموقف إذ تقول: " هل كان لزوج عداها، أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء، بمثل ما استقبلته هي به من حنانٍ مُستثار، وعطف فياض وإيمانٍ راسخ دون أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتخلّى عنها يقينها في أن الله غير مخزيه أبداً؟"^[٣٤].

• عشر سنوات من الدعم المعنوي المتواصل:

(١) أول من آمن بدعوته، وأول من أسلم معه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس...^[٣٥]

(٢) سخرت علاقاتها من أجله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت صاحبة نفوذ سلطة ومال في قومها.

(٣) تحملت طلاق أبناء أبي لهب لابنتيها (رقية وأم كلثوم) وكان سبب الطلاق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام.

(٤) صبرت على هجرت ابنتها (رقية) إلى الحبشة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) صبرت مع المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنين وهي الغنية المترفة من أجل دعوة زوجها، وقد أنهكها الحصار فتوفيت بعده مباشرة^[٣٦].

كل ما سبق كان له الأثر على حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ أنه لم يسأم من الثناء عليها بعد وفاتها والاستغفار لها رضي الله عنها كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة"^[٣٧]، كان ذلك من حُسن عهده ومن مظاهر الوفاء الزوجي و امتناناً بما قدمته له صلى الله عليه وسلم فقد حفظت له بيته من الداخل، وسخرت كل جهدها ومالها وعلاقتها في سبيل نجاح دعوته إلى الدين الإسلامي، ولقيت من أجل ذلك الآلام العظيمة، ولكنها كانت لا تكثر لها لأنها

^[٣٢] برنامج على مائدة الإفطار، حلقة ادعمي زوجك، الدكتور علي الشبيلي

^[٣٣] https://www.youtube.com/watch?v=3PdZB_N5gIM.
^[٣٤]د. كارنيجي، في ادفعي زوجك للنجاح، ص ٢٨-٣٢.

^[٣٥]ع. عبد الرحمن، في تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن ٢٣٧.

^[٣٦]رواه البخاري ٣٨٢١

^[٣٧] ج. المطوع، في زوجات النبي في واقعنا المعاصر، ١، الكويت.

^[٣٨]رواه البخاري ٣٨١٦.

(٤) مدارسة السيرة النبوية والاطلاع على المواقف النبوية السامية.

(٥) استئثار مواقع التواصل الاجتماعي بذكر نماذج إيجابية لزيجات ناجحة برز فيها مبدأ المساندة.

المراجع:

- [١] «القران الكريم».
- [٢] «مجد الدين الفيروز أبادي "المجلد الأول" في القاموس المحيط، ٨، بيروت. لبنان».
- [٣] «مجمع اللغة العربية "المجلد الثاني" في المعجم الوسيط، القاهرة. مصر».
- [٤] «جبران يوسف عاقل، رسالة ماجستير بعنوان المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق الشخصي والاجتماعي ٢٠١٧-٢٠١٨».
- [٥] «محمد بن إسماعيل البخاري "المجلد الجامع" في صحيح البخاري، ٢، الرياض. السعودية».
- [٦] «عمر رضا كحالة، "المجلد الأول" في أعلام النساء في علمي العرب والإسلام، بيروت. لبنان».
- [٧] «مجموعة من المختصين، "المجلد الأول" في نضرة النعيم، ١، جدة. السعودية».
- [٨] مسند أحمد
- [٩] ابن الجوزي، الوفاء بأحوال المصطفى، ١، الرياض. السعودية».
- [١٠] «أحمد بن صالح الطويان، "المجلد الأول" في الحياة النبوية الكريمة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الوسيلة والفضيلة»، ١، الرياض. السعودية».
- [١١] «عائشة عبد الرحمن، في تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن، بيروت. لبنان».
- [١٢] «جاسم محمد المطوع، «في زوجات النبي في واقعنا المعاصر»، ١، الكويت. الكويت».
- [١٣] «على الشبيلي، برنامج على مائدة الإفطار. ادعمي زوجك
- https://www.youtube.com/watch?v=3PdZB_N5gIM
- [١٤] دوروثي كارنيجي، "النسخة العربية" في ادفعي زوجك للنجاح، ٢، واشنطن. أمريكا».
- [١٥] «حامد عباس، «في طبق الزواج الناجح»، ٢، جدة. السعودية».
- [١٦] «زيد بن عبد الكريم الزيد، في فقه السيرة، ٧، الرياض. السعودية».
- [١٧] «أكرم ضياء العمري، في السيرة النبوية الصحيحة، ٧، الرياض. السعودية».

عوامل الثقة والتقدير، والمساندة من كل طرف نحو الآخر متى ما تطلب الأمر ذلك».

«وعندما تكون الزوجة عاملة ولها دخلها الخاص بها، وعلى الرغم من أنها غير مطالبة شرعاً بمساعدة زوجها مادياً، فإنه سيكون شئياً جميلاً أن تقوم بالمساعدة أحياناً في بعض المصاريف المنزلية ودون التزام بذلك.

وقد يمر الزوج بظروف أو أحداث عملية أو مادية يمكن أن تؤدي إلى أن تؤثر عليه نفسياً بسبب عجزه عن تجاوز تلك الظروف، وهنا يأتي دور الزوجة لتقديم المساندة المادية وهي بطبيعة الحال لا تقتصر على المال فقط بل تتمثل أيضاً بتهيئة المنزل وحرصه على نظافته وترتيبه، إعداد طبقه المفضل وغيرها من الوسائل الممكنة لتعينه على تجاوز تلك الحالة، ومن ثم العودة إلى الحياة الطبيعية، وعلى أن تكون تلك المساندة بطريقة واضحة ومنظمة تكفل حق كل طرف، وعلى ألا يُصاحب ذلك طمع من الزوج أم من الزوجة وتُعتبر المساندة المادية متى ما حدثت بين الزوجين بعيداً عن الطمع أو المنّ من أسباب استقرار الحياة الزوجية العاطفية والمادية، حيث يجب أن يتفاهم الزوجان على القضايا المالية حتى لا يؤثر خلافهما على حياتهما الزوجية»^[٣٤].

النتائج:

- (١) أن أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها هي أول من نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقته.
- (٢) التأكيد على أهمية اختيار كلا الزوجين لبعضهما اختياراً سليماً لما يترتب عليه من آثار عظيمة.
- (٣) المساندة المعنوية خلق فطري عند المرأة منبعه الحس بالمسؤولية تجاه اسرتها ومجتمعها.
- (٤) المساندة المثمرة تحتاج إلى حكمه في نوعيتها وكيفية وزمانها، حتى تكون عاملاً بناءً في تقوية الروابط الزوجية.

الخلاصة:

بعد صُحبة لا تُملّ مع سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، برز لنا جمال المنهج التربوي الإسلامي الكامل للحياة الزوجية المستقرة، القائم على المودة والرحمة، وبالرغم من اختلاف طبيعة الحياة المعاصرة عن تلك الحياة التي عاشتها أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، فإن الحاجة إلى التذكير بمساندة كلا الزوجين لأحدهما أصبحت ضرورة لا بُد من القيام بها؛ لضمان حياة سعيدة ومباركة في كل جوانبها.

التوصيات:

- (١) حبذا لو اعتنت الجهات بإنشاء مؤتمرات توضح أهمية المساندة وأثرها في تقوية العلاقة بين الزوجين.
- (٢) إرشاد الفتيات المقبلات على الزواج بأهمية المشاركة في الحياة الزوجية.
- (٣) إشاعة مفهوم المساندة بين الزوجين في المجتمع.

[٣٤] «ح. عباس، «في طبق الزواج الناجح»، ٢/ ص ٧٧-٨٠».

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Preserving oneself with food security [Saudi Arabia's mechanisms for sustaining food security as a model] Maqasid study.

Dr. Nahil Faisal Al-Thubaiti*

*Assistant Professor in the Principles of Islamic Jurisprudence - University College of Al-Qunfudhah (Umm Al-Qura University) - Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: nfthobity@uqu.edu.sa

حفظ النفس بالأمن الغذائي [آليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي نموذجاً] دراسة مقاصدية.

د. نهيل فيصل الثبتي*

*الأستاذ المساعد في تخصص أصول الفقه - الكلية الجامعية بالقفزة (جامعة أم القرى) المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

food security - self-preservation - Maqasidah study - Saudi Arabia's mechanisms for sustaining food security

الكلمات المفتاحية

الأمن الغذائي - حفظ النفس - دراسة مقاصدية - آليات المملكة العربية السعودية في استدامة الأمن الغذائي.

ABSTRACT

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, his family and all his companions. As for what follows... The research aims to study one of the purposes of Islamic law (self-preservation) and its relationship to a human right in Islam (food security) and the efforts of the State of the Kingdom of Saudi Arabia to sustain food security in accordance with Sharia controls and rulings, tagged: (self-preservation with food security [The Kingdom of Saudi Arabia's mechanisms for sustaining food security as a model] [Maqasid study].

The research contains an introduction to the definition of the vocabulary of the title, and three sections. The first topic: preserving oneself from the aspect of existence and from the aspect of nothingness and their connection to food security. It contains two requirements: The first requirement: preserving oneself from the aspect of existence. The second requirement: preserving oneself from nothingness.

The second topic: Preserving oneself with necessities, needs, and improvements, contains three demands: The first requirement: Preserving oneself with necessities. The second requirement: Preserving oneself with one's needs. The third requirement: preserving oneself through improvement.

The third topic: Saudi Arabia's mechanisms for sustaining food security.

The conclusion contains: the most important results and recommendations.

مستخلص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين. أما بعد... يهدف البحث لدراسة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية (حفظ النفس) وعلاقته بحق من حقوق الإنسان في الإسلام (الأمن الغذائي) وجهود دولة المملكة العربية السعودية في استدامة الأمن الغذائي وفق الضوابط والأحكام الشرعية، الموسوم: (حفظ النفس بالأمن الغذائي [آليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي نموذجاً] دراسة مقاصدية).

فالباحث يحتوي على تمهيد لتعريف بمفردات العنوان، وثلاث مباحث فالمبحث الأول: حفظ النفس من جانب الوجود ومن جانب العدم وارتباطهما بالأمن الغذائي، يحوي على مطلبان: المطلب الأول: حفظ النفس من جانب الوجود. المطلب الثاني: حفظ النفس من جانب العدم. فالمبحث الثاني: حفظ النفس بالضروريات والحاجيات والتحسينات، يحوي على ثلاث مطالب: المطلب الأول: حفظ النفس بالضروريات. المطلب الثاني: حفظ النفس بالحاجيات. المطلب الثالث: حفظ النفس بالتحسينات. فالمبحث الثالث: آليات المملكة العربية السعودية في استدامة الأمن الغذائي.

الخاتمة تحتوي: أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أشرف الخلق وسيد المرسلين، وبعد:

اهتمت الشريعة الإسلامية بالمقاصد الخمس اهتماماً بالغاً، لتُكون نظاماً شاملاً دقيقاً لشؤون الحياة، الذي لا بد منه لقيام مصالح الدين والدنيا، ولا تستقيم الحياة إلا بوجودها وتحصيلها، وعند اختلالها يؤدي إلى فساد الأمة وتلاشيها.

فمن تلك المقاصد التي عنيت الشريعة الإسلامية الاهتمام بها (النفس الإنسانية) على وجه العموم، والنفس المؤمنة على وجه الخصوص، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها ويدفع المفساد عنها، فمن الأحكام الشرعية التي تكفل صونها والمحافظة عليها هي (الأمر بتناول الطعام الحلال الطيب النافع، وتحريم المحرمات من الطعام الضار الخبيث المستقذر)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِعَيْتُونَ﴾ [سورة البقرة: آية (١٧٢)]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة: آية (١٦٨)].

فالأمن الغذائي من ضروريات المحافظة على النفس الإنسانية من هلاكها وإزهاقها، وحق من حقوقه وكرامته التي وهبها الله له في هذه الحياة.

فجاءت هذه الدراسة بعنوان (حفظ النفس بالأمن الغذائي [آليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي أنموذجاً] دراسة مقاصدية)، لدراسة مقصد حفظ النفس من ناحية الأمن الغذائي، واستقراء النصوص الشرعية لمعرفة الحلال والحرام من الأطعمة والحكم الشرعية المترتبة على ذلك، ونموذجاً لجهود آليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي.

مشكلة البحث وأسئلته:

١. ما دور الشريعة الإسلامية في حفظ النفس؟
٢. هل راعت الشريعة الإسلامية ضوابط الأمن الغذائي؟
٣. ما علاقة حفظ النفس بالأمن الغذائي وغيرها من المقاصد؟

٤. هل طبقت المملكة العربية السعودية ضوابط الشريعة في الأمن الغذائي واستدامته؟

أهمية الموضوع:

١. بيان عناية الشريعة الإسلامية بالضروريات الخمس ومنها (النفس) من خلال الأحكام التشريعية.
٢. أهمية هذه الدراسة نابع من أهمية علم المقاصد الشرعية، واهتمام العلماء والباحثين بها.
٣. تتجلى أهمية هذه الدراسة بتسليط الضوء على حق من حقوق الإنسان، ولا يتصور حياته بدون الأمن الغذائي وتوفره للفرد والمجتمع في حالات السعة والاضطرار.

٤. معرفة جهود المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي بضوابط الشريعة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

١. المقاصد الشرعية وأثرها في الحفاظ على النفس البشرية، د: مها بنت سعد الحمدي، الأستاذ المساعد في أصول الفقه بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، بحث منشور. تناولت الباحثة دراسة المقاصد الشرعية وأقسامها ومن ثم حفظ النفس بشكل عام من جميع الأحكام التشريعية.

٢. أثر الأطعمة في تحقيق مقاصد الشريعة الضرورية، محمد النقيب ومحمد السكر، بحث منشور في مجلة علوم الشريعة والقانون، المجلد (٤٦) العدد (٢) (٢٠١٩). تناول الباحثان دراسة تحقيق الأطعمة في مقصد الدين والنفس والمال وما يترتب على ذلك من مصالح ودرء مفسد.

فدراستي تختلف عن الدراستين السابقتين، بدراسة مقصد حفظ النفس من جانب الأمن الغذائي فقط، وجهود المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث باستقراء النصوص الشرعية وأقوال العلماء من المصادر الموثوقة، المتعلقة بحفظ النفس وتناول الأطعمة وبيان أحكامها الشرعية، على النحو التالي:

١. كتابة الآيات بالرسم العثماني بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرنا بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، إن كانت من الصحيحين اكتفيت بهما، وذكر الحكم إن كانت في غيرها من السنن.

٣. تعريف المفردات الوارد ذكرها في صلب البحث.

٤. التوثيق من المصادر العلمية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاث مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تشمل أهمية الموضوع، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد اشتمل على تعريف مفردات البحث في مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأمن الغذائي.

المطلب الثاني: تعريف حفظ النفس.

المبحث الأول: حفظ النفس من جانب الوجود ومن جانب عدم وارتباطهما بالأمن الغذائي: المطلب الأول: حفظ النفس من جانب الوجود.

المطلب الثاني: حفظ النفس من جانب عدم.

المبحث الثاني: حفظ النفس بالضروريات والحاجيات والتحسينات:

المطلب الأول: حفظ النفس بالضروريات.

المطلب الثاني: حفظ النفس بالحاجيات.

المطلب الثالث: حفظ النفس بالتحسينات.

المبحث الثالث: أليات وجهود المملكة العربية السعودية في استدامة الأمن الغذائي.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

والفهارس: فهرس موضوعات ومصادر.

التمهيد

المطلب الأول: الأمن الغذائي:

يُعد الأمن بجمع مجالاته الصحي والمجتمعي والغذائي من الشروط الأساسية للتنمية والتطوير، ولعيش الإنسان في كنف الاستقرار والطمأنينة، لتحقيق المصالح ودفع المفسدات. فالأمن هو الطمأنينة التي يحتاج إليها الإنسان، وزوال الخوف، وراحة البال والاستقرار في جميع الأحوال^١. وهو شعور بالطمأنينة والأمان، وأن يحس الإنسان بأن مصالحه وحياته، ومصالح وطنه وجماعته، وأسرته مصونة محمية^٢.

فالأمن الذي يدور عليه محور البحث هو الأمن الغذائي، الذي نشأ مفهومه من خلال القمة العالمية للأغذية الذي انعقد عام (١٩٩٦م)، والنقاشات التي جرت حيال المشاكل الغذائية الدولية أثناء فتره أزمة الغذاء العالمية^٣.

فالأمن من الأمور التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية لحفظ مقصد من مقاصدها الضرورية وهي حفظ (النفس)، فقد ورد ذكر أصناف عدة من الأغذية (الحيوانية والنباتية والأشربة) في القرآن الكريم وبيان الحلال والحرام منها، وما ينفع الإنسان ويحافظ على حياته وبقائه وما يضرها ويؤدي إلى هلاكها واتلافها، فالغذاء يُعد من الخيرات التي وهبها الله تعالى للإنسان للقيام بإعمار الأرض والاستخلاف فيها وعبادة الله ﷻ لتستقيم الحياة وتستمر.

فالأيات القرآنية كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة: آية (١٦٨)]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مِنْ بَيْنِ قَرْيَةٍ وَدِمٍ لَبِئَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: آية (٦٦ - ٦٩)]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا

مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يس: آية (٧١) - (٧٣)] وغيرها من الآيات القرآنية المبينة للحلال والحرام. فالأمن الغذائي هو "الوصول إلى الدرجة الوسطى من الوفرة في الضروريات والحاجيات والتحسينات الغذائية"^٤، وهو الحصول على الأغذية الأساسية التي يحتاجها السكان في جميع الأوقات^٥.

فمن الضروري لحفظ مقصد النفس من الهلاك، لا بد من توفر الضروريات الغذائية حد الكفاية من الحبوب والماء؛ لأن ما دونها يتعذر العيش ويوصل لحد المجاعة، والماء لا عوض عنه^٦.

وتوفير الحاجيات من الأطعمة التي تمد الإنسان بالصحة والطاقة، من البقوليات والخضروات والسكريات من التمر والزبيب؛ لأنها قابلة للادخار الطويل والتخزين لسنوات^٧. والتحسينات من الفواكه واللحوم والعسل واللبن والحليب؛ لأنها بديلة عن الغذاء الضروري والحاجي، في الحالات الطارئة^٨ من حروب وأوبئة وغيرها، فجميع أصناف الأغذية من طعام وشراب فيها للإنسان المنفعة التي تمده بالطاقة والصحة والفيتامينات والمعادن اللازمة لصحة الجسم وحيويته، وتدرء عنه الأمراض والعلل المستعصية. فلا بد من اتخاذ كافة الوسائل الموصلة إلى توفير الأمن الغذائي للحفاظ على النفس البشرية وعدم إلقائها إلى التهلكة بانعدام الغذاء الضروري والحاجي والتحسيني، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: آية (١٩٥)]. وقول النبي ﷺ [مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَاوِيً فِي جَسَدِهِ، أَمِنَ فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا]^٩، فيه دلالة على توفير الغذاء الذي يحافظ به على نفسه من هلاكها، وركن من أركان الحياة الأمنة المستقرة.

فالأمن الغذائي له علاقة بجميع أنواع الأمن لدولة من أمن سياسي وصحي واجتماعي لقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ * وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش: آية (٤)]، في الآية دلالة واضحة على ارتباط الأمن الغذائي بالأمن السياسي، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: الآية (١١٢)]، فالله عز وجل عاقب أهل القرية بأن أذاقهم طعم الجوع والخوف مقابل كفرهم بالنعم التي وهبها لهم ولم يشكروه، ف شكر الله ﷻ أمر لا بد منه ليستمر الأمن

^٦ - انظر: المقدمة في فقه العصر، فضل مراد، (١/١٨٦).

^٧ - انظر: المصدر السابق، (١/١٨٧).

^٨ - انظر: المصدر السابق.

^٩ - أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب القناعة، برقم (٤١٤١)، (٢٥٣/٥)، حسن بمجموعه من الشواهد، والألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم (٦٠٤٢)، (٢/١٠٤٤).

^١ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٣/٥٥).

^٢ - انظر: الأمن في ضوء الكتاب والسنة، عبد العزيز العتيبي، (ص ٢١).

^٣ - انظر: انعدام الأمن الغذائي الأسباب وسبل المعالجة، حسين السرحان، (ص ١٣٨).

^٤ - المقدمة في فقه العصر، فضل مراد، (١/١٨٥).

^٥ - انظر: الغذاء والتغذية، المصيفر، (١٥٨).

الحلال النافع، وحفظها من الهلاك في حالات الرخص^{١٨} عند الضرورة، والسفر، والمخصة^{١٩}.

فالله عز وجل أمر عبادة بتناول الطعام والشراب الطيب الحلال في أكثر من موضع في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُم بِإِيَّاهِ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: آية (١٧٢)]، في الآية دلالة بتخصيص ذكر المؤمنين تفضيلاً، وهي النفس التي أمر الله بحفظها^{٢٠}.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: آية (٣١)]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة: آية (١٦٨)]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة المؤمنين: آية (٥١)]، وغيرها من النصوص الدالة على تناول الطعام الطيب الحلال النافع، الذي فيه تقوية للبدن وحفظ النفس من هلاكها واتلافها؛ لأنها من المقاصد التي تضافرت النصوص الشرعية على وجوب المحافظة عليها، لتستقيم الحياة بوجودها ومراعاتها^{٢١}.

فالمؤمن يكفي أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبية، والله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم، بل بما فيه صلاحهم^{٢٢}.

فالغذاء الحلال الطيب النافع للإنسان لحفظ نفسه متنوع ذكرها في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الْزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة النحل: آية (١١)] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّعْنَةُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة النحل: آية (٥)] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [سورة النحل: آية (١٤)] فذكرها في كتابه العزيز دلالة واضحة بنفعها للإنسان وحفظ نفسه من هلاكها.

والماء هو الأساس في هذه الحياة لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [سورة النحل: آية (١٠)] وقوله تعالى: ﴿أَنَا صَبِّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَكْهَةً وَأَبَا (٣١) مَثْعًا لَّكُمْ وَلَآئِعُكُمْ﴾ [سورة عبس: آية (٢٥-٣١)] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [سورة النحل: آية (٢٥-٣١)]

بجميع مجالاته على الإنسان وأهله وبلده لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُم بِإِيَّاهِ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: آية (١٧٢)].

المطلب الثاني: مقصد حفظ النفس:

اعتنت الشريعة الإسلامية بالنفس عناية فائقة، وهي من الضروريات الخمس التي أمرت بحفظها ورعايتها، وشرعت لها من الأحكام، ما يجلب المصلحة لها ويدفع المفسدة عنها، فمن هذه الأحكام الغذاء وما له من دور في حفظ النفس البشرية والعناية بها، فالمقصود بالنفس في منظور الإسلام: هي الأنفس المعصومة بالإسلام أو الجزية^{١١} أو الأمان^{١٢}.

وعرف العلماء حفظ النفس بعدة تعاريف منها: "حفظ النفوس والأرواح المقصود بقائها في الشرع"^{١٣} و"صيانتها من التلف أفراداً وجماعات"^{١٤} و"مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة ... ومن أجل حفظ النفس شرعت أحكام كثيرة"^{١٥}.

من خلال التعريفات يظهر لنا أهمية حفظ النفس من هلاكها واتلافها ومن كل أذى يؤدي إلى إزهاقها؛ لأنه بتعرضها للهلاك والضياع يؤدي إلى ضياع الدين بفقدان المكلف الذي يتعبد الله تعالى، وهو المقصد الأول في حفظ الضروريات لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: آية (٥٦)].

المبحث الأول: حفظ النفس من جانب الوجود ومن جانب عدم وارتباطهما بالأمن الغذائي

سلكت الشريعة الإسلامية لحفظ الضروريات الخمس (الدين - النفس - العقل - المال - النسل) مسلكين:

الأول: حفظ النفس من جانب الوجود.

الثاني: حفظ النفس من جانب عدم.

ولا يكون الحفظ لها إلا بأمرين: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وهي مراعاتها من جانب الوجود، وما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع وهي مراعاتها من جانب عدم^{١٦}. ولم ترد هذه الأمور الضرورية في الحفظ من جانب عدم إلا وحفظها من جانب الوجود حاصل^{١٧}.

المطلب الأول: حفظ النفس من جانب الوجود:

جاءت الشريعة الإسلامية بوسائل لحفظ النفس من هلاكها وإزهاقها، فمن تلك الوسائل الأمر بتناول الطعام والشراب

^{١٠} - الجزية: هي ما يأخذ من الكفار لإقامتهم في دار الإسلام كل عام. انظر: المغني، لابن قدامة، (٣٢٨/٩).

^{١١} - الأمان: هو ما يعطى لأهل الحرب، فيحرم قتالهم ومالههم والتعرض لهم. انظر: المغني، لابن قدامة، (٢٤١/٩).

^{١٢} - انظر: الأم للشافعي، (٢٥٢/٤)، أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق الزهراني، (٦٠/٦٩).

^{١٣} - شفاء الغليل، (ص ١٦٠).

^{١٤} - مقاصد الشريعة الإسلامية، (١٩٣/٢).

^{١٥} - علم المقاصد الشرعية، (ص ١٨٠).

^{١٦} - انظر: الموافقات للشاطبي، (١٨٨/٢).

^{١٧} - انظر: الفروق، القرافي، (٢٣٨/٣).

^{١٨} - الرخصة: هي "المشروع لعذر مع قيام المحرم لولا العذر". الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، (٤٢٣/١).

^{١٩} - المخصة: هي "المجاعة". مختار الصحاح، للرازي، (خ م ص)، (ص ٩٧).

^{٢٠} - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢١٥/٢).

^{٢١} - انظر: الموافقات، للشاطبي، (١٩/٢)، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، للنجار، (١١٧/١-١١٨).

^{٢٢} - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٩١/٢٧).

من خلال استقراء النصوص الشرعية الدالة على حفظ النفس من الهلاك وعلاقتها بالأمن الغذائي، تبينت جملة من المقاصد الضرورية:

١. الأمن الغذائي له دور مهم لتحقيق مقصد حفظ الدين؛ لأنها وسيلة لإقامة العبادات التي تقوي الإنسان لطاعة الله عز وجل، بالقيام بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، مما يحفظ للمكلف دينه^{٢٢}، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: آية (٥٦)].

٢. الامتثال لأمر الله عز وجل وطاعة له واستحقاق الثواب والأجر^{٢٣}، بالاعتصام على تناول الأطعمة المباحة، لقوله تعالى: ﴿وَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [سورة الأعراف: آية (١٥٧)].

٣. الأمن الغذائي له ارتباط لحفظ مقصد المال؛ لأن الغذاء هو الوسيلة لحفظ النفس ولا يمكن الحصول على الغذاء إلا بوجود المال، فالشرعية الإسلامية حثت على التكسب عن طريق العمل بالزراعة والصناعة وغيرها من الأعمال التي يحصل بها التملك المشروع^{٢٤}.

فمن النصوص الدالة على أهمية الكسب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: آية (١٠٩)].

وقول الرسول ﷺ: ﴿ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده﴾^{٢٥}.

فالنصوص دلت على الكسب والعمل؛ لما يعود من منفعة عليه بتوفير قوت يومه، وترك البطالة والتعفف عن السؤال^{٢٦}.

المطلب الثاني: حفظ النفس من جانب العدم:

حرمت الشريعة الإسلامية جميع الوسائل التي تؤدي إلى هلاك النفس وإتلافها، من خلال الاعتداء على النفس بالقتل أو تناول الأطعمة المحرمة الضارة أو الإعراض عن الغذاء. فالمؤمن يكفيه أن يعلم أن الله ما نهى عنه مفسدة محضة أو غالبية، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً به عليهم، بل نهاهم عما فيه فسادهم^{٢٧}.

فمن المفاسد التي نهى الله عنها عبادة الأطعمة المحرمة: تناول الميتة في غير الضرورة والمخمصة؛ لأنها تؤثر على

[سورة الأنبياء: آية (٣٠)]، فهو مهم للإنسان ليعالج مشاكل الهضم والتخلص من سموم الجسم بالتعرق وضبط معدلات ضغط الدم^{٢٨}، ولا يكون ملوث أو نجس.

والعسل في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [سورة النحل: آية (٦٩)] وقول النبي ﷺ: [الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مَخْجَمٍ، وَكَيَّةُ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ]^{٢٩}، فالعسل فيه شفاء من الأمراض والعلل التي تحافظ النفس من هلاكها، فهو علاج للكلية والعيون وأمراض الجلد والمعدة والكبد^{٣٠}.

فالشرعية الإسلامية أباحت المحظورات من الأطعمة المحرمة في حال الضرورة؛ لحفظ النفس من الهلاك، كآكل الميتة للمضطر حال المخمصة، فيها صيانة للنفس، واستبقاء للمهجة^{٣١/٣٢}، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: آية (١٧٣)]، فالضرورة هي الحالة التي تطرأ على الإنسان حال المشقة والضرر الذي يؤدي إلى هلاك النفس وإزهاقها، ولا يدفعها إلا بفعل ما حُرِّمَ عليه^{٣٢}.

وكذلك الرخص الشرعية أحلت لحفظ النفس وحمايتها كرخصة الفطر في رمضان والمرض^{٣٣}، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: آية (١٨٤)]، فالمرضى والمسافر لهما الفطر في رمضان والقضاء فيما بعد، وهي دلالة على حفظ النفس من الهلاك بتناول الغذاء الحلال الطيب، الذي يمددهم بقوة البدن والصحة.

فالشرعية الإسلامية جعلت المحظور والمحرّم مشروع ومباح؛ لأن حفظ النفس من الضروريات^{٣٤}.

فحفظ النفس متوقف على الأمن الغذائي؛ لما فيه من السلامة من المجاعة والأمراض، وقوة البدن لأداء العبادات والأعمال الصالحة والفرائض المطلوبة من المكلف؛ لحفظ مقصد الدين^{٣٥}.

ما يترتب على حفظ النفس من تحقيق مقاصد ضرورية:

^{٢٢} - انظر: مقال علمي عن الماء وأهميته لحياة الإنسان، يارا محمد.

^{٢٤} - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، برقم (٥٣٥٦)، (٢١٥١/٥).

^{٢٥} - انظر استعمالات العسل وفوائده في: الحارثي في الطب، الرازي، القانون في الطب، ابن سينا، الطب النبوي، لابن القيم.

^{٢٦} - المهجة: هو دم القلب، فلا بقاء للنفس والروح بعد إراقة المهجة. انظر: العين، للفراهيدي، باب الهاء والشين والذال، (٣٩٧/٣).

^{٢٧} - انظر: روضة الناظر، لابن قدامة، (٢٨٤/٢).

^{٢٨} - انظر: المقاصد العامة للشرعية الإسلامية، يوسف المعلم، (٢٩١).

^{٢٩} - انظر: الأم، للشافعي، (١١٢/٢).

^{٣٠} - انظر: شرح المعالم في أصول الفقه، ابن التلمساني، (٤٠٠/٢).

^{٣١} - انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (٧٤/٣)، موسوعة الفقه الإسلامي، التوجيهي، (٢٧٧/٤-٢٧٩).

^{٣٢} - إحياء علوم الدين، الغزالي، (٧٤/٣)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٨٦/٢٩).

^{٣٣} - انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، التوجيهي، (٢٧٩/٤).

^{٣٤} - انظر: مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لليوبي، (٢٨٣-٢٨٤).

^{٣٥} - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم (٢٠٧٢)، (٥٧/٣).

^{٣٦} - انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، العيني، (١٨٧/١١).

^{٣٧} - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٩١/٢٧).

فالارتباط بين الأمن الغذائي ومقصد حفظ النفس واضحاً جلياً، بالتغذية السليمة من الطعام الحلال الطيب النافع، في تقوية البدن وصحته، لضمان حياة صحية خالية من العلل والأمراض، وهي حق من حقوق الإنسان وكرامته التي تكفل بها الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [سورة الإسراء: آية (٧٠)]، وجعل الغذاء من مكملات منحه للحياة التي وهبها الله تعالى للإنسان على الأرض، منذ خلقه نطفة إلى مماته.

المبحث الثاني: حفظ النفس بالضروريات والحاجيات والتحسينات

صنف العلماء حفظ النفس في المقاصد الكلية الشرعية المرتبة الثانية بعد حفظ الدين؛ لما هذه النفس من دور في الاستخلاف في الأرض واستعمارها واستمرار العبادة لله عزوجل، والنفس لها حق المراعاة في الحياة الإسلامية من الكرامة والعزة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: آية (٧٠)]، في هذا المبحث سنتعرف على حفظ النفس في كل جانب من جوانب المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية.

المطلب الأول: حفظ النفس بالضروريات:

جاءت الأحكام الشرعية بحفظ الضروريات الخمس (الدين – النفس – العقل – المال – النسل) التي اعتنى الإسلام بها من الخلل والعبث ولا تستقيم الدنيا إلا بحفظها واستمرارها. **فعرف العلماء الضروريات بعدة تعريفات منها:** هي " لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين"^{٤٥}، و "التي تكون الأمة بمجموعها وأحاديها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام باختلالها"^{٤٦}. و "التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين"^{٤٧}.

فالشرعية الإسلامية شرعت أحكام كثيرة لحفظ النفس من هلاكها وإتلافها، ومن تلك الأحكام التي شرعتها الأمر بتناول الأطعمة المباحة النافعة وتحريم الأطعمة الضارة كما ذكرت ذلك آنفاً، وهي من الضروريات التي لا تستقيم حياة المجتمع وقيام مصالح الدارين إلا بالنفس المستمدة قوتها

سلامة البدن وصحته مما يؤدي إلى هلاكها، والحكمة من تحريمها ظاهراً جلياً: وهي "أن تحريم الميتة موافق لما في العقول؛ لأن الدم جوهر لطيف جداً، فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد، وحصل من أكله مضار عظيمة"^{٤٨}. فالنفس الإنسانية تعاف وتنفر من الميتة؛ لأنها مستندرة في ذاتها"^{٤٩}.

والدم المسفوح من أفضل البيئات التي تنمو فيها الجراثيم الضارة الممرضة، فهو صالح لنمو الجراثيم وتكاثرها، ويحمل الكثير من المواد المتعفنة الميتة التي تنحل من الجسم وقد يكون فيه بعض جراثيم الأمراض المعدية ويكتسب رائحة كريهة عند لقائه الهواء^{٥٠}، والحكمة من تحريمه: "حرم الدم المسفوح؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية، وزيادته توجب طغيان هذه القوى، وهو مجرى الشيطان في البدن، لقول النبي ﷺ: [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ]^{٥١}"^{٥٢}.

ولحم الخنزير ليس بأفضل حال من الميتة والدم، فهو حيوان يتغذى على القاذورات والنجاسات، فالذي يتغذى من لحمه يكتسب أخلاقه وصفاته القبيحة والذميمة^{٥٣}. وما تعافه النفس الإنسانية من حشرات وحيات، وكل ذي ناب من السباع، والجلالة^{٥٤} من الأنعام^{٥٥}، والأطعمة الفاسدة ومنتهية الصلاحية^{٥٦}، فجميعها لا تقل عن غيرها من الضرر والأذى الذي يعود على النفس والبدن من الأمراض التي تضعف البدن والصحة والعافية؛ المؤدية لهلاك النفس وضياح مقصد ضروري.

ونهى النبي ﷺ عن صوم الوصال وهو: صيام يومين لا يفطر بينهما^{٥٧}؛ لأنه يُضعف الإنسان مما يُشكل عليه خطورة هلاك النفس.

فالشرعية الإسلامية راعت أحوال المكلفين وما يطرأ عليهم من متغيرات، في حال المخمصة والحروب والأوبئة، فأباح لهم المحرمات عند الضرورات والإشراف على الهالك، فله أن يأكل ما يسد رمقه بالإجماع^{٥٨}، فالحكمة من ذلك هو صيانة النفس من هلاكها بالجوع والعطش، فمصلحة بقاء النفس بإباحة المحرم للمضطر مقدم على دفع المفسدة بتحريمها^{٥٩}.

^{٤٤} - الجلالة: هي الحيوانات التي غالب أكلها نجاسة، سواء من الأنعام أو الطير. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، (٣٩/٥).
^{٤٥} - انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، (٣٦/٥)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٩٠/٢).
^{٤٦} - انظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، النجار، (٧٩/١).
^{٤٧} - انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، (٧٩/٢).
^{٤٨} - انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٣٢١/٣)، المبسوط، السرخسي، (٤٩/٢٤).
^{٤٩} - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٤١/٢٠).
^{٥٠} - الموافقات، الشاطبي، (١٨-١٧/٢).
^{٥١} - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، (١٣٨/٢).
^{٥٢} - علم المقاصد الشرعية، الخادمي، (ص٧٢).

^{٣٨} - مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٨٣/١١).
^{٣٩} - انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٢٠٢٨/٤).
^{٤٠} - انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٠/٦)، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، النجار، (١٩٩/١)، حكم صحية في محرمات قرآنية في تحريم تناول الدم المسفوح، كرام السيد غنيم، مقال في الأنترنت.
^{٤١} - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، برقم (١٩٣٣)، (٧١٧/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له، برقم (٢٣)، (٨/٧).
^{٤٢} - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٩/١٧).
^{٤٣} - انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٨٣/١١)، زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٢٠٢٩/٤).

قد تؤدي إلى هلاك النفس^{٥٧}، لقول النبي ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ تَوْتَى رُحْصَهُ كَمَا يَحِبُّ أَنْ تَوْتَى عِزَانُهُ]^{٥٨}.

المطلب الثالث: حفظ النفس بالتحسينات:

لم تغفل ولم تهمل الشريعة الإسلامية المقاصد التحسينية، التي تُعد زائدة عن المقاصد الضرورية والحاجية، والتي تُحسن حال الإنسان وتجعله في أحسن الأحوال، وفقدانها لا يُخل بالضروري والحاجي.

وعرفوها بأنها: "الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق"^{٥٩}. وهي "المصالح التحسينية، ونهى ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها، حتى تعيش أمانة مطمئنة، ولها منظر المجتمع في قرار بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الإدماج فيها أو التقريب منها"^{٦٠}.

فالتحسينات في الأمن الغذائي وحفظ النفس من خلال آداب الأكل والشرب، والابتعاد عن الأغذية النجسة والخبيثة، وعدم الإسراف والتبذير في الأكل^{٦١}.

الأمن الغذائي لا بد أن يكون بضرورة الاعتدال في الأكل والشرب دون الإسراف، فإله عز وجل جمع الطب^{٦٢} في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: آية (٣١)]، فالإسراف فيه من الضرر المانع من الصحة الجالب للمرض الذي يؤدي إلى هلاك النفس وإزهاقها^{٦٣}، فالإسراف في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم، مما يعود على البدن بأضرار وأمراض مُعضلة، فلاية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء، فالنهي عن الإسراف نهي إرشاد لا نهي تحريم^{٦٤}.

وقال النبي ﷺ: [مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، قَتَلَتْ طَعَامٌ، وَتَلَّتْ شَرَابٌ، وَتَلَّتْ لِنَفْسِهِ]^{٦٥} فيه دلالة واضحة على أن الاعتدال مطلوب، وزيادة كميات الطعام تسبب الكثير من الأمراض.

فالأكل المعتدل المتوسط الذي يمد الجسم بالصحة والقوة يكون الشخص فيها أصح جسماً، وأجود حفظاً، وأذكى فهماً، وأقل نوماً، وأخف نفساً^{٦٦}.

وصحتها وسلامتها من الأمراض والعلل بالطعام المباح النافع والابتعاد عن الطعام الضار الذي يؤدي إلى هلاك النفس واتلافها.

المطلب الثاني: حفظ النفس بالحاجيات:

راعت الشريعة الإسلامية أيضاً في حفظ النفس الحاجيات، وهي ما تحتاجه من سعة ورفع الحرج والمشقة والضييق عنها، ولا يُعتبر تركها مفوت لمصالح الدين والدنيا، لكنها توقع النفس في ضيق وحرَج شديد.

فالحاجيات هي: "مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب"^{٦٧}. وهي ما تحتاجه الأمة لاقتناء مصالحها وانتظام أمرها على وجه حسن، بحيث لولا مراعاته لفسد النظام، ولكنه يكون على حالة غير منتظمة فلا يبلغ مبلغ الضروري^{٦٨}.

فمن الحاجيات التي راعتها الشريعة لحفظ النفس بالأمن الغذائي رخصة التخفيف للمريض والمسافر والحامل والمرضع بالتمتع بالطعام الطيب الحلال.

لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: آية (١٨٤)]،

فالمريض والمسافر إذا شعرا بمشقة تُصاحب مرضه وسفره حال الصوم، فعندئذ يجوز له الفطر برخصة المرض والسفر، ويلزمهما القضاء بعد ذلك، فالحاجة هنا تكمن في غذائه الذي يمدّه بالشفاء وتجاوز الحالة المرضية وصحة البدن والقوة حال سفره.

كذلك الحامل والمرضع يسقط عنهما الصوم في حال الخوف على الجنين والولد وعلى نفسيهما^{٦٩}، لقول النبي ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ وَالْحَامِلِ أَوْ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ - أَوْ الصَّيَّامَ -] ^{٧٠} فالحاجة هنا هو دفع الحرج والمشقة عن الأم وطفلها وجنينها ونفسيهما بالتغذية السليمة وإمدادهما بالغذاء الكافي، فسوء التغذية يعود عليهم بالمشكلات الصحية المحتمل حدوثها خلال هذه الفترة، فلاهتمام بالحامل والمرضع بالتغذية السليمة يُنشئ أطفال أصحاء ويحافظ على صحة الأم من الأمراض والعلل التي

^{٥٣} - الموافقات، الشاطبي، (٢١/٢).

^{٥٤} - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، (١٤١/٢).

^{٥٥} - انظر: الأم، الشافعي، (١٣٣/٢)، المغني، لابن قدامة، (١٤٩/٣).

^{٥٦} - أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الصيام، باب ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع، برقم (١٦٦٧)، (٤٧٥/٢)، والنسائي في سننه، كتاب الصيام، ذكر اختلاف معاوية بن سلام وعلي بن المبارك في هذا الحديث، برقم (٢٢٧٥)، (١٨٠/٤)، والألباني في صحيح سنن النسائي [صحيح الاسناد]، برقم (٢١٤٤)، (٤٨٤/٢).

^{٥٧} - انظر: الغذاء والتغذية، عبد الرحمن مصيقر، (ص ٣٦٧).

^{٥٨} - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأدب، باب الأخذ بالرخص، برقم (٢٨١٦٨)، (٤٦٣/١٤)، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الصوم، باب ترهيب المسافر من الصوم ... وترغيبه في الإفطار، برقم (١٠٦٠)، (٦١٧/١).

^{٥٩} - الموافقات، الشاطبي، (٢٢/٢).

^{٦٠} - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، (١٤٢/٢).

^{٦١} - انظر: الموافقات، الشاطبي، (٢٣/٢).

^{٦٢} - انظر: معالم التنزيل، البغوي، (١٨٩/٢).

^{٦٣} - انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، المقدسي الرامني، (٣٦٧/٢).

^{٦٤} - انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٥/٨).

^{٦٥} - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع، برقم (٣٣٤٩)، (٤٤٨/٤)، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم (٢٣٨٠)، (٥٩٠/٤)، وقال حديث حسن صحيح.

^{٦٦} - انظر: المحيط البرهاني، أبي حنيفة، (٣٥١/٥).

ويهدف برنامج الإنتاج الزراعي المستدام إلى: الاكتفاء الذاتي المحلي من الدواجن والأسماك، والقمح، والتمور والحليب الطازج.

فالمملكة العربية السعودية تسعى جاهدة لتحقيق الأمن الغذائي واستدامته ضمن الضوابط الشرعية من الأحكام المتعلقة بإباحة الأغذية وسلامتها من الضرر الذي يلحق النفس البشرية بالعلل والأمراض التي تؤدي إلى هلاكها واتلافها.

فالهيئة العامة للغذاء والدواء^{٦٨} في المملكة العربية السعودية لها دور فعال في سلامة الأغذية بتقييم المخاطر الفيزيائية والكيميائية والميكروبية والمخاطر الصحية والتغذوية المرتبطة بالأغذية، استناداً على الأسس العلمية لدعم عملية اتخاذ القرار، وتقييم سلامة وفعالية المنتجات الغذائية، واستقصاء الأمراض المنقولة بالغذاء، والتيقظ لمنتجات الأعلاف والمبيدات.

وانشئت الهيئة العامة للغذاء والدواء (المركز السعودي للحلال) وهو الرائد إسلامياً في المنتجات الحلال، وأكبر مركز للمنتجات والأغذية الحلال في العالم، بما يعكس العمق الإسلامي والعربي للمملكة العربية السعودية ودورها الرائد في خدمة المسلمين.

ورسالته أن تكون اللحوم والدواجن مذبوحة ومخزّنة بحسب ما نصت عليه الشريعة الإسلامية، وتصنيع الأغذية بطريقة تضمن خلوها من أي مستحضر يخالف الشريعة الإسلامية. وعقدت الهيئة المؤتمر العالمي الأول للرقابة على الغذاء الحلال والمعرض المصاحب له والذي تم عقده برعاية خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - خلال الفترة من ٢٠-٢٣/٣/١٤٣٣ هـ الموافق ١٢-١٥/٢/٢٠٢٤م، وبمشاركة أكثر من ١٤ دولة إسلامية وغير إسلامية مهتمة بالغذاء الحلال، كأمريكا والبرازيل والهند وفرنسا وروسيا وكندا وإيطاليا وكرواتيا ونيوزلندا وبنجلاديش والإمارات العربية المتحدة وماليزيا وتركيا.

وناقشت الهيئة العامة للغذاء والدواء في المؤتمر رقابة ٦٠ ورقة علمية، تتناول الغذاء الحلال في ضوء الكتاب والسنة وأثر البعد الاقتصادي والإستراتيجي لتجارة الغذاء الحلال، وعرض تجارب بعض الدول الإسلامية في مجال الرقابة على الغذاء الحلال، وطرق الكشف عن المواد المحرمة في الغذاء الحلال.

فهي بذلك حققت مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية (حفظ النفس)، وحق من حقوق الإنسان وكرامته من كرامته (الأمن الغذائي) بالضوابط والأحكام الشرعية كونه حلالاً طبيئاً نافعاً.

وكذلك الابتعاد عن المأكولات التي تعافها النفس لاستفادها وما تحتويه من أمراض وعلل تؤذي البدن وتضعفه مما يؤدي إلى هلاك النفس، كما ذكرت ذلك أنفاً.

فالشريعة الإسلامية راعت حق الإنسان في حفظ نفسه من هلاكها وإتلافها بالأمن الغذائي، عن طريق الأوامر والنواهي الشرعية المتعلقة بأحكام الأطعمة، والمقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية.

المبحث الثالث: آليات المملكة العربية السعودية في استدامة الأمن الغذائي^{٦٩}.

تُعد المملكة العربية السعودية كغيرها من الدول، التي رسمت لها آلية وخطط استراتيجية للأمن الغذائي واستدامته لمواطنيها ومقيمها في حال الاستقرار والطوارئ، وأن يكون الغذاء والشراب متوفر للجميع بدون استثناء لحفظ النفس الإنسانية التي تُعد مقصد من مقاصد الشريعة وحق من حقوق الإنسان بالضوابط والأحكام الشرعية.

فآليات المملكة العربية السعودية لسد الاحتياجات من السلع الغذائية حال الاستقرار: أن توفر غذاء آمن ومغذ للجميع بطريقة مستقرة ومستدامة، وفي حال الطوارئ: التأمين السريع والموثوق لسلع آمنه وإساسية بأسعار سائدة للجميع خلال الأزمات.

وكغيرها من الدول تواجه المملكة تحديات لتحقيق الأمن الغذائي مثل: شح ومحدودية الموارد الطبيعية، مواجهة الأزمات، مخاطر التلوث خلال نقل الغذاء، الاعتماد الكبير على الإمدادات الغذائية المستوردة، وغيرها من التحديات.

ومن مهام المملكة العربية السعودية في حال الطوارئ: هو رصد مستويات المخزون الاستراتيجي من الحبوب (القمح والشعير والدقيق)، والإنتاج المحلي الزراعي والسمكي، واللحوم الحمراء والدجاج والبيض والحليب الطازج، والتمور، والخضروات والفواكه، والسلع التموينية.

ومن الخطط الاستراتيجية التي رسمتها المملكة لاستدامة الأمن الغذائي (الزراعة الذكية): وهي الزراعة التي تزيد بشكل مستدام الإنتاجية والقدرة على الصمود (التكيف)، وتقلل أو تزيل غازات الدفيئة (التخفيف)، وتعزز تحقيق الأمن الغذائي الوطني والأهداف الإنمائية.

أدوات الزراعة الذكية:

١. إدارة المحاصيل والمزارع والثروة الحيوانية وتربية الأحياء المائية ومصائد الأسماك الطبيعية.
 ٢. إدارة المناظر الطبيعية أو النظام البيئي.
 ٣. خدمات مالية للمزارعين ومديري الأراضي.
 ٤. التغييرات في نظام الغذاء الأوسع.
- فالأهداف المرجوة من الممارسات الزراعية الجيدة:** سلامة الغذاء، حماية البيئة، صحة وسلامة الحيوانات.

^{٦٨} - انظر: موقع الهيئة العامة للغذاء والدواء.

^{٦٩} - انظر: موقع الهيئة العامة للأمن الغذائي (KSA).

الأمن الغذائي حق من حقوق الإنسان التي تضمن له استمرار حياته، ويحفظ نفسه من هلاكها وإتلافها، ومن الكرامة التي وهبها الله له في هذه الحياة.

ترجيح مصلحة حفظ النفس على دفع مقسدة المحرمات، بإباحة الشريعة الإسلامية المحظورات من الأطعمة عند الحالات الطارئة من المخصصة والحروب والأوبئة، لحفظ النفس من هلاكها.

التغذية السليمة تعود على الفرد والمجتمع بالقيام بالواجبات والتنمية والتطوير.

الأمن الغذائي يمد الإنسان بالصحة وتقوية البدن؛ لإداء العبادات والطاعات لحفظ مقصد الدين.

الأمن الغذائي يحافظ على مقصد المال، بالسعي في كسب المال بالعمل وتأمين غذائه وغذاء من يعوله.

الشريعة الإسلامية راعت مصالح النفس ومقاصدها في كل جانب من جوانب الحياة من الضروري إلى التحسيني.

غياب الأمن الغذائي له تأثير سلبي على الأفراد والمجتمعات.

جهود المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي وفق الضوابط والأحكام الشرعية بإنشاء المركز السعودي الحلال لخدمة المسلمين في العالم، وإنشاء جمعيات حفظ النعمة لتقليل من الهدر والفقد الغذائي.

وفي الختام اوصي الباحثين بدراسة حقوق الإنسان من منظور المقاصد الشرعية واهتمام الدول ومعرفة جهودها.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.

٤- أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، المؤلف: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، عدد المجلدات: ١.

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار

ومن أليات المملكة العربية السعودية لاستدامة الأمن الغذائي ١- والمحافظة على النعمة، تبنت وزارة البيئة والمياه والزراعة مبادرة [البرنامج الوطني للحد من الفقد والهدر^{٦٩} في الغذاء]^{٧٠} وأسند تنفيذه إلى الهيئة العامة للأمن الغذائي. ٢-

والمبادرة تُعد إحدى برامج التحول الوطني لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، القائم على المعايير والتجارب العالمية والممارسات الجيدة للحد من الهدر والفقد الغذائي في المملكة، بتدريب أصحاب المصلحة في القطاع ٣-

الخاص في سلسلة التوريد لتحسين إعادة استخدام المنتجات وإعادة تدوير مخلفات الغذاء الغير صالح للاستهلاك ٤-

الأدمي.

والمحافظة على الأمن الغذائي واستدامته يكون بنشر ٥- الوعي للحد من الفقد في سلسلة الإمداد من إنتاج ونقل

وتصنيع وتسويق، والهدر في الاستهلاك لتقليل فائض ٦- الغذاء، الذي يكون له تأثير سلبي على استدامة الأمن الغذائي

المؤثر على اقتصاد الدولة، ونشر الوعي لحفظ النعم وعدم ٧- الإسراف هي من تعاليم ديننا الإسلامي.

ولتقدير نعمة الغذاء من الهدر والاستفادة من الفائض ٨- وتوجيهه لمستحقه، أنشئت الجمعيات تحت مسمى [جمعيات

حفظ النعمة] في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية، مثل: جمعية حفظ النعمة بمنطقة الرياض، وعسير،

وطعامي، وإطعام، وخيرات لحفظ النعمة، وغيرها من الجمعيات.

وهذه الجمعيات تقوم بعمل نبيل بتوجيه الفائض من النعم الغذائية والاهتمام به وتجهيزه بجودة عالية لإيصاله إلى

مستحقه^{٧١}.

فمن خلال ذلك اتضح دور المملكة العربية السعودية وآلياتها لاستدامة الأمن الغذائي، من بداية توفيره بالضوابط الشرعية كونه حلالاً طيباً نافعاً والتأكد من سلامته من

الأمراض والميكروبات وصلاحيته للأكل إلى الاستفادة منه بتوزيعه لمستحقه وعدم هدره وفقده، من أجل حفظ النفس

عن كل ما يلحقها من ضرر وأذى متعلق بالغذاء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء:

آية (٢٩)].

الخاتمة:

الحمد لله على تمام النعمة، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً متقبلاً، وأن أكون قد وفقت فيما بحثت، فبعد إتمام هذا

البحث توصلت لعدد من النتائج على النحو التالي:

الإمدادات الغذائية (في المزارع والمصانع وغيرها) فلا تصل إلى المستهلك النهائي". موقع المؤسسة العامة للحبوب.

٧٠ - انظر: موقع المؤسسة العامة للحبوب.

٧١ - انظر: موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية والإسكان.

٦٩ - الهدر: "هو ما يتم هدره من الغذاء المخصص للاستهلاك بعد مراحل الإنتاج والتوزيع لدى المستهلك النهائي في المطاعم والفنادق وغيرها. الفقد: هو كميات الأغذية التي تتم خسارتها على طول سلسلة

١٧- الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، المؤلف: محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي (ت ٧٨٦ هـ)، المحقق: ج ١ (ضيف الله بن صالح بن عون العمري)، ج ٢ (ترحيب بن ربيعان الدوسري)، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٨- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجعافيلي (٥٤١ - ٦٢٠ هـ)، قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهد: الدكتور شعبان محمد إسماعيل [ت ١٤٤٣ هـ]، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٩- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٠- سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القرويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

٢١- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥.

٢٢- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٢.

٢٣- شرح المعالم في أصول الفقه، المؤلف: ابن التلمساني عبد الله بن محمد علي شرف الدين أبو محمد الفهري المصري (ت ٦٤٤ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٤- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، المحقق: د. حمد الكبيسي، الناشر: مطبعة الإرشاد - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

٢٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية، عدد الأجزاء: ٢.

الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٤.

٦- الأم، المؤلف: الإمام الشافعي؛ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلب، أبو عبد الله، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة، الناشر: دار الوفاء، سنة النشر: ١٤٢٢ - ٢٠٠١، عدد المجلدات: ١١.

٧- الأمن في ضوء الكتاب والسنة، عبد العزيز عبد الله راجح العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة الكويت، عام ١٤٢٠ هـ.

٨- انعدام الامن الغذائي الاسباب وسبل المعالجة، حسين أحمد السرحان، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، إنساني، ٢٠١٧.

٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣، عدد المجلدات: ١٠.

١٠- التحرير والتنوير، المؤلف: ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، عدد المجلدات: ٣٠.

١١- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: القرطبي؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦، عدد المجلدات: ٢٤.

١٢- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، المؤلف: ابن جرير الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، عدد المجلدات: ٢٥، رقم الطبعة: ١.

١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.

١٤- الجامع الصحيح «صحيح مسلم»، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامة - تركيا عام النشر: ١٣٣٤ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

١٥- الحاوي في الطب، المؤلف: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب، المحقق: محمد محمد إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد المجلدات: ٨.

١٦- حكم صحية في محرمات قرآنية - تحريم تناول الدم المسفوح، د/ كرام السيد غنيم، أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر، عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام ٢٠١٩، مقال في الانترنت.

٢٦- الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت. ٢٧- علم المقاصد الشرعية، المؤلف: نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. ٢٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥. ٢٩- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨. ٣٠- الغذاء والتغذية، المؤلف: عبد الرحمن عبيد عوض مصيق، الناشر: أكاديميا. ٣١- الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤. ٣١- القانون في الطب، المؤلف: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت ٤٢٨هـ)، المحقق: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، عدد الأجزاء: ٣. ٣٢- الماء وأهميته لحياة الإنسان، يارا محمد ٢٠٢٠/٠٩/٢٤، مقال علمي في الانترنت. ٣٣- المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، باشر تصحيحه: جمع من أفاضل العلماء، الناشر: مطبعة السعادة - مصر، وصورتها: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٣١. ٣٤- مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. ٣٥- المحيط البرهاني في الفقه النعماني: فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: برهان الدين أبو المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري الحنفي (ت ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩. ٣٦- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية -

الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ٣٧- معالم التنزيل (مختصر تفسير البغوي)، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ. ٣٨- المغني، المؤلف: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (٥٤١ - ٦٢٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٥. ٣٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ. ٤٠- مقاصد الشريعة بأبعاد جديد، المؤلف: د. عبد المجيد النجار، دار النشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ٢٠٠٨م، الطبعة: الثانية. ٤١- مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٣. ٤٢- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، المؤلف: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، الناشر: دار الهجرة، سنة النشر: ١٤١٨ - ١٩٩٨م. ٤٣- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المؤلف: يوسف حامد المعلم، دار النشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سنة النشر: ١٩٩١م. ٤٤- المقدمة في فقه العصر، المؤلف: د. فضل بن عبد الله مراد، الناشر: الجيل الجديد ناشرون - صنعاء، الطبعة: الثانية، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، عدد الأجزاء: ٢. ٤٥- الموافقات، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧. ٤٦- موسوعة الفقه الإسلامي، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٥. ٤٧- الهيئة العامة للأمن الغذائي. ٤٨- الهيئة العامة للغذاء والدواء.

٢٦- الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت. ٢٧- علم المقاصد الشرعية، المؤلف: نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. ٢٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥. ٢٩- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨. ٣٠- الغذاء والتغذية، المؤلف: عبد الرحمن عبيد عوض مصيق، الناشر: أكاديميا. ٣١- الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤. ٣١- القانون في الطب، المؤلف: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت ٤٢٨هـ)، المحقق: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، عدد الأجزاء: ٣. ٣٢- الماء وأهميته لحياة الإنسان، يارا محمد ٢٠٢٠/٠٩/٢٤، مقال علمي في الانترنت. ٣٣- المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، باشر تصحيحه: جمع من أفاضل العلماء، الناشر: مطبعة السعادة - مصر، وصورتها: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٣١. ٣٤- مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. ٣٥- المحيط البرهاني في الفقه النعماني: فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: برهان الدين أبو المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري الحنفي (ت ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩. ٣٦- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية -

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Applied intellectual security in the military and security sectors.

prof. naif bin Khalid Al-Waqa*

*Researcher at Prince Nayef Chair for Extremism Studies - King Saud University - And the (collaborating) professor at the Saudi Electronic University.

الأمن الفكري التطبيقي في القطاعات العسكرية والأمنية

أ.د. نايف بن خالد الوقاع*

*الباحث بكريسي الأمير نايف لدراسات التطرف جامعة الملك سعود والأستاذ (المتعاون) بالجامعة السعودية الإلكترونية.

E-mail: Naifk56@gmail.com

KEY WORDS

Security, intellectual, applied, sectors, military, security, Saudi Arabia.

الكلمات المفتاحية

أمن، فكري، تطبيقي، قطاعات، عسكرية، أمنية، السعودية.

ABSTRACT

This research addresses the applied intellectual security programs for the military and security sectors in the Kingdom of Saudi Arabia, revealing the importance of these intellectual programs and their effectiveness in these important military sectors, and how they are designed and implemented in the military work environment, accompanied by evaluation standards and governance, and performance guarantees

ولتحقيق هذه الغاية وغيرها، اعتمدت بعض الدول، تأسيس برامج وطنية مستمرة، للأمن الفكري، لتحقيق الحصانة الفكرية لشعوبها، من أي تأثيرات سلبية قادمة، أو للاستفادة من المنتجات الفكرية المميزة التي أبدعتها الحضارة الحالية وفقاً للمتطلبات الوطنية للدولة واحتياجاته التنموية والثقافية والفكرية.

وتشهد منطقة الشرق الأوسط بما فيها منطقة الخليج العربي تنامي موجات العنف السياسي المتمثلة في الجماعات المسلحة مخلفة الدمار والإرهاب تحت ستار من الأفكار والفتاوى التي تسيّر بها يخدم أهدافها وخطتها، وقد لا يكون الخلل في هذه الأفكار تحديداً بل في فهمها وتفسيرها وإسقاطها في غير محلها من الزمان والمكان.

وتمددت تنظيمات العنف والإرهاب والتطرف في المنطقة عبر أساليب مختلفة ومتنامية القوة على المستوى التسليحي والعدي والتكنولوجي، فوظفت أدوات التواصل الاجتماعي والاتصال المبتكر لتخترق ما يسمى بـ "الحاجز النفسي" وتتوسع في عمليات التجنيد متعدد المخاطر لتخلق تحديات مزدوجة بالنسبة لدول الخليج العربي، مرتبطة من ناحية بخطورة هذه الجماعات على "الأمن الصلب" للدولة من حيث سلامة أراضيها واستقرارها السياسي، وعلى "الأمن الناعم" المرتبط بمسارات التفاعلات المجتمعية وطبيعة الأفكار السائدة فيها من ناحية أخرى.

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث برامج الأمن الفكري التطبيقي للقطاعات العسكرية والأمنية، في المملكة العربية السعودية، كاشفاً عن أهمية هذه البرامج الفكرية وفعاليتها، في تلك القطاعات العسكرية المهمة، وطريقة تصميمهما وتنفيذها في بيئة العمل العسكري، مصحوبة بمعايير التقويم والحوكمة، وضمانات الأداء.

المقدمة:

تسعى الدول كافة، لتعزيز الشخصية الوطنية، وتقوية الانتماء الوطني، ولولاء للقيادة، وذلك من خلال تقوية منظومة القيم العليا للدولة، والعمل على بناء اللحمة الوطنية القوية، المستمدة من تاريخ الدولة، ومنجزاتها الحضارية والتاريخية. وهذا لا يتأتى إلا من خلال سلسلة من الدارسات والبحوث، بمختلف أنواعها، والتي يمكن في ضوء النتائج المستخلصة منها، تكوين صورة دقيقة للمتطلبات الأساسية؛ الحالية والمستقبلية، للدولة ومؤسساتها، والمجتمع وتطلعاته.

إن أهم ما يميز المرحلة الحالية من تاريخ الحضارة الإنسانية، القدرة على التواصل الفعال والسريع، وبقنوات متعددة. وقامت كل دولة باستغلال تلك الثورة الاتصالية والرقمية، في العمل الجاد، لتصدير ثقافتها ومنتجاتها، الثقافية والفكرية للعالم، بغية تكوين صورة ذهنية قوية ومؤثرة.

ولهذا أصبحت الدول والمجتمعات بحاجة ماسة، في كيفية التعامل مع هذا الوضع المستجد والأخذ في التسارع الكبير. وبناء على ذلك أصبح المحافظة على القيم الوطنية العليا، أمراً في غاية الأهمية، بل وتحويل هذه القيم الوطنية إلى مصدر مهم من مصادر القوة الناعمة، والتي أضحت في هذا العصر لا تقل تأثيراً ونتائج عن القوة الصلبة.

وفي الختام لا يسعني إلا التقدم بالشكر لكرسي الأمير نايف لدراسات التطرف في جامعة الملك سعود، لدعمها المستمر، لكل ما من شأنه تعزيز الأمن الفكري بمفهومه الشامل.

التمهيد:

أسباب اختيار الموضوع:

١. تجدد التهديدات الفكرية وتطورها وتنوعها في الفترة الأخيرة.
 ٢. دخول الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية ميدان الصراع العسكري.
 ٣. شمولية الاستهداف وتميزه بالدقة والاتقان مما يفوق قدرة بعض العسكريين على مواجهته بمفردهم.
 ٤. المساهمة العلمية في خدمة قطاعاتنا العسكرية ومنسوبيها، وتأدية شئناً من الواجب الذي في أعناقنا لمنسوبي هذه القطاعات العظيمة.
 ٥. المساهمة - أو محاولة متواضعة- في إثراء المكتبة البحثية العسكرية.
 ٦. لعل هذا البحث يكون حافزاً لمزيد من الأبحاث في مجال تحويل الأمن الفكري من الإطار النظري إلى الإطار العملي التطبيقي الأكثر فاعلية وتأثيراً.
 ٧. سيفرض واقع حروب المستقبل، أهمية الأمن الفكري بشقيه النظري والتطبيقي، بحيث يكون مساوياً لأهمية المعدات العسكرية، وسلاسل الإمداد والتموين، وأنظمة القيادة والسيطرة، والقوى البشرية.
 ٨. السعي لربط الأمن الفكري التطبيقي في القطاعات العسكرية، بمستويات الأمن الأخرى كالأمن الداخلي، والأمن الوطني، والأمن ما دون الإقليمي، والأمن الإقليمي، والأمن القومي مستقبلاً.
- الرؤية:** التميز في تحقيق الحصانة والوقاية الفكرية لمنسوبي القطاعات العسكرية والأمنية في المملكة العربية السعودية.
- الرسالة:** رفع قدرات منسوبي القطاعات العسكرية الفكرية، من خلال إقرار عدد من برامج ومقررات، الأمن الفكري التطبيقي، وعقد الدورات، والمحاضرات، وورش العمل، في القطاعات العسكرية، والأمنية، في المملكة العربية السعودية.

الأهداف:

١. تعزيز الولاء المطلق للقيادة، والانتماء للوطن، وبذل كل الجهد والطاقة في حمايته والدود عن أمنه ووحدته ومقدراته.
٢. الوصول إلى الحصانة الفكرية التامة لمنسوبي القطاعات العسكرية في المملكة العربية السعودية كافة.

وبضاعف من هذه التحديات تطور آليات صناعة التطرف وترويجها في مواجهة استراتيجيات تحقيق الأمن الثقافي والفكري، وبالنتيجة تنامي الأفكار المتطرفة الخارجة عن قيم الوسطية والاعتدال وجعلها عابرة للحدود فيما يشبه "الفيروس المتجول" الذي يتبنى تكتيكات غير تقليدية من أجل غزو الروح الوطنية والنسيج المجتمعي وإضعاف الهوية الجامعة وقواعد الأمن الوطني التي تعتبر "المناعة الطبيعية" في مواجهة خطابها المتطرف وإصابتها بالهشاشة الأمنية تمهيداً لتشكيل حاضنات شعبية لها في مختلف المناطق، ومما يزيد الأمور خطورة انخراط بعض الشباب الخليجي في الصراعات المسلحة والقيام بأعمال عنف تعكس الأفكار التي تروجها الجماعات المتطرفة بغية هدم العقول قبل إلغاء الحدود.

ولما كانت الدول تسعى إلى الحفاظ على أمنها القومي، كاستراتيجية أساسية لحماية حدودها ومواطنيها ومصالحها كما يشير جي بيتر بورغيس (٢٠٠٩) J. Peter Burgess، فإن الحفاظ على الأمن الثقافي يدخل في صميم هذه الاستراتيجية عبر مسارين مهمين هما حماية العقول وبناءها، فحماية العقول تعني تعزيز المناعة الثقافية بوجه الأفكار المتطرفة المنحرفة عن وسطية الدين وتعاليمه وثقافة المجتمع، ووضع الخطط والبرامج لحماية المجتمع من شروها، أما بناء العقول فيكون عن طريق ترسيخ ثقافة الوسطية والاعتدال والحوار^١.

ومن المؤكد أن بناء برامج وقائية للأمن الفكري، أقل كلفة من جهة المال أو الجهد، مقابل البرامج العلاجية، والتي قد لا تكون مجدية بعد فوات الأوان.

كما أن نتائج البرامج الوقائية والإثرائية، ذات أثر إيجابي وواضح على التنمية والاستقرار الاجتماعي والسياسي للدولة، مما يعزز من مقومات أمنها الوطني، الذي يتأثر بشكل مباشر بالأمن الفكري سلباً وإيجاباً.

وانطلاقاً من واجبات ومهام كليات التعليم العسكري العالي وكليات القيادة والأركان ومعاهد وأكاديميات التعليم والتدريب في القطاعات العسكرية والأمنية، فإنه يصبح لزاماً عليها الاعتناء بالعلوم التطبيقية للأمن الفكري وفروعه المختلفة، والتي تستهدف تعزيز الانتماء الوطني، والولاء للقيادة الرشيدة، وحماية البيئة الاجتماعية والعسكرية من الاختراق الفكري، ورفع الكفاءة الذهنية والفكرية لمنسوبي تلك القطاعات، خصوصاً وأن العالم يعمل على تفعيل الجبل الجديد من الحروب، اعتماداً على الاستهداف الفكري ومنظومة القيم والأخلاق التي يتميز بها عن غيره.

١ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، د. حسن عبد الله جوهر - قسم العلوم السياسية - جامعة الكويت
د. حامد حافظ العبد الله - قسم العلوم السياسية - جامعة الكويت المجلد (٤٥، العدد ١٧٤)، يوليو ٢٠١٩ (ص. ٦٤-٢١) بتصرف يسير.

منهج البحث:

إن طبيعة البحث التطبيقية والعملية، تفرض على الباحث الاستعانة بخبراته التراكمية والاعتماد عليها، ومع ذلك تم الاستعانة بالمنهج التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة الدقيقة والتجارب العملية، بما يسهم في معرفة الحقائق، والقدرة على استخراج النظريات والمسلمات، ويتسم هذا المنهج بموافقته لفطرة الإنسان الفضولية، ورغبته في التجريب.

أهمية تأسيس برنامج للأمن الفكري في مرافق التعليم العالي العسكرية:

يهدف تأسيس برنامج الأمن الفكري التطبيقي في القطاعات العسكرية إلى المحافظة على مقومات الأمن الوطني للدولة، من خلال طرح المبادرات التطبيقية والبرامج العملية للتصدي لأنواع الحروب الحالية والجديدة، واستشراف المستقبل للتطورات الصراعات الدولية وتوظيف التقنيات والعلوم الجديد في ميادين الحرب القادمة. ومما يؤكد هذه الأهمية الفائقة للأمن الفكري بأبعاده المختلفة، ومن خلال تجربة شخصية ثرية خضتها مع عدد من الزملاء، في قطاع عسكري مهم، ومن خلال تشكيل فريق متخصص ومكون من عدد من الاستشاريين من أعضاء هيئة التدريس والضباط، وبعد جولة استمرت شهر على إدارات ووحدات هذا القطاع، انخفضت المخالفات والوقوعات المختلفة بنسبة لا تقل عن ٩٠٪ في الإدارات والوحدات التي استهدفها البرنامج، مما شجع المسؤولين على تعميم هذه التجربة على كل إدارات ووحدات القطاع.

مفهوم الأمن الوطني:

هناك مجموعة من المبادئ والأسس ينبغي الإلمام بها ومعرفتها عند الحديث عن مفهوم الأمن الوطني، كما أن هذه المبادئ والأسس تختلف من دولة إلى دولة ومن مجتمع إلى آخر.

ولهذا نرى التباين في تعريف الأمن الوطني، وهو أمر مفهوم ومقبول.

وفيما يلي نورد بعض التعاريف للأمن الوطني:

الأمن الوطني: كما جاء في موسوعة دائرة معارف العلوم الاجتماعية "قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية،

٣. تطوير مبادرات ومشاريع لتمكين القدرات البشرية العسكرية في مجالات الأمن الفكري التطبيقي.

أسئلة البحث: يمكن اختصار أسئلة البحث بالتالي:

ما إمكانية الاستفادة من الأمن الفكري التطبيقي في قطاعات التعليم العسكري العالي، وكيفية تطبيقه في الواقع العملي، وما المبادرات والبرامج التي تناسب القطاعات العسكرية؟

مفاهيم الأمن الفكري وماهيته:

لقد تعددت المفاهيم والتعاريف التي وردت بيان ماهية الأمن الفكري^٢ ومنها:

١. أن يعيش الأفراد في مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات شخصيتهم وتميز ثقافتهم ومنظومتهم الفكرية.

٢. حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق أو الاحتواء من الخارج، ويعني أيضا الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف.

٣. السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

٤. طمأنينة الفرد والمجتمع إلى أن منظومته الفكرية والثقافية والخلفية ومبادئه وقيمه ليست موضع تهديد من أي فكر أو معتقد منحرف أو متطرف

٥. صيانة عقول أفراد المجتمع ضد أية انحرافات فكرية وأنظمة المجتمع وتقاليد.

٦. سلوك هادف يعزز سلامة الإدراك ويؤدي إلى صحة القرار وصواب الاختيار.

٨. "تحقيق الاستقرار العقدي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي وإيجاد الوسائل للوقاية من غزوها، والسبل المناسبة للعلاج من الغزو إن وقع"^٣.

ومما تقدم يمكن صياغة تعريف الأمن الفكري أنه:

اكتساب معارف ومهارات وعادات، تؤدي إلى سلامة المعتقد، وصحة السلوك، وحماية الهوية، والتفوق في المهارات.

^٢ - من المراجع التي تم الاستفادة منها ما يلي: الأمن الاجتماعي- مقوماته وتقنياته، د. مصطفى العوجي مؤسسة نوفل، بيروت، ط: ١، الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى محمود منجود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: ١. النظرية العامة للأمن، العميد د. محمد ياسر الأيوبي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠٠٨. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الأمن الفكري، ط: ١، الرياض، ٢٠٠٦. نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، عيد الحفيظ عبد الله المالكي، بحث غير منشور. جامعة نايف للعلوم الأمنية، التخطيط الأمني لمواجهة عصر العولمة، ط: ١. د. عبد الله عبد المحسن التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، (بحث منشور على شبكة الإنترنت، (موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، دون بيانات نشر)، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به د.

عبد الله عبد المحسن التركي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.

^٣ - انظر: مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمني، دكتور محمد السيد عرفة، مجلة البحوث الأمنية - مجلة دورية - علمية - محكمة - تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية - المجلد ١٤ - العدد ٣٠ - ربيع الآخر ١٤٢٦هـ مايو ٢٠٠٥م.

^٤ - في العام (٢٠٢٣م) ستطلق المملكة العربية السعودية، لأول مرة على الإطلاق استراتيجية عسكرية وطنية واستراتيجية دفاع وطني، تقن رؤية المملكة العربية السعودية الاستراتيجية للأمن الوطني، والأمن القومي، والإقليمي، تركز على بناء قوة عسكرية حديثة ومبتكرة. (وزارة الخارجية الأمريكية؛ إيجاز صحفي هاتف مع الجنرال: مايكل كوريلا، قائد القيادة المركزية الأمريكية، المكتب الإعلامي الإقليمي في دبي، ٢٢/ ديسمبر / ٢٠٢٢).

٥. أهمية المقوم الديني في مفهوم الأمن الوطني، حيث يكون دافعاً لتنمية الأبعاد الأخرى ووسيلة إلى مقاومة المهددات، وقيمة أولى بالحماية؛ بل وغاية غالياً.

ومما سبق نستنتج أن الأمن الوطني نشاط تقوم به الدولة على صعيدين، أحدهما تنموي من خلال توفير وتعزيز حماية مصالح الدولة، والثاني منع التهديدات والمخاطر، سواء الداخلية أو الخارجية، التي قد تتعرض لها الدولة أو النظام السياسي ذاته.

وتأسيساً على ما سبق يمكن تعريف الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية بأنه: "العمل على تحقيق الأمن والتنمية في الدولة، من خلال توفير التنمية وحماية جميع المقومات الوطنية، بالتكامل والتنسيق بين المؤسسات كافة، ومرتبطة بعلاقة وثيقة بالمواطنة والانتماء والولاء والهوية الوطنية"^٨.

مقومات الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية.

يتكون الأمن الوطني لأي دولة من مقومات تتناسب مع وضعها الديني والثقافي والسياسي والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي، والمملكة العربية السعودية؛ تنفرد عن غيرها من الدول بخصائص أمنها الوطني، كونها قبلة المسلمين وحامية الحرمين، ونظامها الأساسي للحكم ينص على أن الكتاب والسنة هم مصدر التشريع فيها، كما نصت عليه المادة الأولى: "المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض"^٩.

وأيضاً والمادة السابعة: "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله. وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمتها".

ومن هنا جاءت أبرز مقومات الأمن الوطني السعودي التالية:

١. المقوم الديني.
٢. المقوم السياسي.
٣. المقوم الأمني.
٤. المقوم الاقتصادي.
٥. المقوم الدفاعي والعسكري.
٦. المقوم المعلوماتي والتقني.
٧. المقوم الصحي والدوائي.
٨. المقوم الغذائي والمائي.
٩. المقوم الجيوسياسي.

من التهديدات الخارجية"^٥، ويقتصر هذا التعريف على حماية القيم الداخلية للدولة، من التهديدات الخارجية، ولا يتطرق لحفظ مقدرات الدولة التنويه الأخرى، أو إلى مصادر التهديد الداخلية، وبالتالي فهو تعريف يركز على مستوى واحد من مستويات الأمن الوطني.

كما جاء في صفحة تعريف مركز الأمن الوطني السعودي: "جهة حكومية مختصة بشؤون الأمن الوطني بمفهومه الشامل في المملكة العربية السعودية، وتوفير خيارات استراتيجية لصانع القرار، بهدف دعم عملية صنع القرار، وتعزيز قدرات الجهات الحكومية المختصة على الرصد والاستجابة للتهديدات والأخطار، والتنسيق معها في هذا الشأن".

وهذا التعريف واسع ويتصف بالعموميات والاجمال، بينما يحتاج تعريف الأمن الوطني إلى الدقة والوضوح؛ لأنه يختص بمسائل جوهرية ذات تأثير مباشر على قدرات الدولة واستمرار قوتها ووحدتها ومنعتها وسلامتها أمام الأخطار والمهددات.

وقد عرف الأمن الوطني أنه: "حالة قابلة للقياس لقدرة الأمة على التغلب على المهددات متعددة الأبعاد، للرفاهية الظاهرة لشعبها وبقيائها كدولة قومية في أي وقت من الأوقات، من خلال موازنة جميع أدوات الدولة السياسية من خلال الحكم، ويمكن تمديدها للأمن العالمي عن طريق متغيرات خارجها"^٦.

وعُرف الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية أنه: "جميع ما تتخذه المملكة العربية السعودية، من استراتيجيات وسياسات لتسخير كافة الإمكانيات والموارد المتاحة بشرياً كانت أو مادية، لتحقيق التنمية الشاملة وتأمينها داخلياً وخارجياً، بجميع الوسائل المتيسرة بما يحقق الرفاهية والأمن والاستقرار للوطن والمواطنين، ويخدم تعاليم الإسلام، وتوظيف جميع المكتسبات الوطنية لخدمة الإسلام والمسلمين داخل وخارج المملكة"^٧.

وبتحليل التعريفات السابقة لمفهوم الأمن الوطني وغيرها من التعريفات الأخرى نستنتج ما يلي:

١. إن الأمن الوطني يشمل أبعاداً متعددة، اقتصادية وسياسية واجتماعية وأمنية، ذات مكونات عديدة وهي: الأبعاد الرئيسة للأمن الوطني.
٢. يركز الأمن الوطني على قوى متنوعة ومتكئة لحمايته.
٣. مفهوم الأمن الوطني مفهوم متغير وغير ثابت.
٤. يرتبط مفهوم الأمن الوطني ارتباطاً وثيقاً بالتنمية المستدامة.

^٨ - للمزيد أنظر: موسوعة مقاتل من الصحراء، التعريفات العربية لمفهوم الأمن القومي العربي:

http://www.mokatel.com/openshare/Behoth/Askria6/OsosAmnWat/sec08.doc_cvt.htm

^٩ - النظام الأساسي للحكم، المادة الأولى.

^٥ - دائرة معارف العلوم الاجتماعية.

^٦ - الأمن الوطني سعيد محمد الغامدي وآخرون، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، ص ٢٥

^٧ - أمن الخليج: المنظور الوطني، خالد بن سلطان آل سعود، ورقة بحثية مركز الإمارات للدراسات والبحوث، دبي، ١٩٩٧م.

القدرة على إحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر في طرفي النزاع.

استراتيجيتها نشأت من الصراع المستمر والطويل في نوعية القتال مما حتم عليها اتخاذ تدابير معينة ومحددة تبعاً للوسيلة والغاية فكان أسلوب المفاجأة والمباغطة في القتال ضد التنظيمات العسكرية التقليدية من إبرز سماتها ، وكانت المجموعات التي تعمل بأسلوبها مدعمة بتسليح أقل عدداً ونوعاً وتقاتل في ظروف غير ملائمة للجيش النظامي الخصم بما يحقق ضربات موجعة له في معارك ومواجهات صغيرة ومتعددة تحقق لهم الهدف الأساسي وهو إضعاف قدرة الخصم وجعله يتراجع عن أهدافه تحت وطء الضربات المتلاحقة من خصم يظهر ويختفي ويقاتل وفق عمليات يفرض فيها نفسه وشروطه يحدد فيها مكانها وزمانها بما يضمن له النجاح ، وتعتمد حرب العصابات على مساندة الإعلام بشكل رئيسي وذلك لتصوير ونشر العمليات العسكرية قبل وأثناء وبعد أي عملية عسكرية ، وتميزت أيضاً بالاستخدام المكثف للحرب النفسي بكل أدواتها للتأثير المباشر في الخصم.

انتشرت هذه النوعية من الحروب في كثير من دول العالم ولعل أهم ما يميزها هو أنه ليس هناك مقياس محدد لتسليح العناصر القتالية في حرب العصابات ولكن لطبيعة ديناميكية الحركة والمناورة المستمرة فيها تكون الأسلحة الخفيفة والمتوسطة بأنواعها المتعددة هي المفضلة والمعتمدة خلال عملياتها.

٣. حروب الجيل الثالث:

ظهرت حروب الجيل الثالث من وحي نظرية الردع بالشك وهي نظرية سياسية عسكرية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية عقب انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وهي تعني عملياً الضربة الاستباقية وشن الحرب ضد ما من شأنه أن يهدد الأمن القومي الأمريكي أو السلم العالمي على حد تعبير الإدارة الأمريكية.

ويطلق عليها كذلك حرب المناورات وهي استراتيجية طورت سابقاً من قبل الألمان في الحرب العالمية الثانية واستخدمت ضد بريطانيا بقصفها المتواصل بالطائرات وصواريخ V٢ وتميزت العمليات الخاصة بحروب الجيل الثالث بالمرونة والسرعة في الحركة واستخدام فيها عنصر المفاجأة وأيضاً الضرب بشدة وراء خطوط العدو ويستخدم فيها عادة سلاح الطيران والقاذفات الاستراتيجية البعيدة المدى والصواريخ الموجهة على وجه الخصوص ولعل ما شاهده وسمع العالم عنه في حرب العراق الثانية يلقي كثيراً

١٠. المقوم الاجتماعي.

١١. المقوم الحقوقي والقانوني.

١٢. المقوم الإعلامي.

١٣. المقوم البيئي.

١٤. السببراني.

هذه هي المقومات الرئيسة للأمن الوطني السعودي، ويمكن أن يُضاف لها مقومات أخرى مستقبلاً، والحفاظ على هذه المقومات مسؤولية عظيمة ويجب القيام بها بكل ولاء وإخلاص وتحت كل الظروف.

كما أن الحفاظ عليها مسؤولية مشتركة وواجب على الجهات الرسمية والمواطنين جميعاً تأدياً للواجب الشرعي المتحتم علينا كلنا، ووفقاً للمادة الرابعة والثلاثون من النظام الأساسي للحكم، ونصها: "الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والمجتمع، والوطن واجب على كل مواطن، ويبين النظام أحكام الخدمة العسكرية"^{١٠}.

أنواع وأساليب الاستهداف والتأثير في الحرب قديماً وحديثاً.

١. حروب الجيل الأول^{١١}:

أطلقت تسمية الجيل الأول من الحروب على الحروب التقليدية التي دارت رحاها بين جيشين على أرض واحدة وفي ميدان محدد تكون فيها المواجهات المباشرة بين الخصمين في جبهة واحدة بشكل تصادمي وهذا الجيل من الحروب سمته الرئيسية بروز مقومات الفروسية والشجاعة والإقدام على مستوى القادة والأفراد والقادة وتسمى أيضاً بالقتال الخطي والتلاحمي

نفذت خلال حروب الجيل الأول عدد محدود من العمليات العسكرية وحقق نجاحات كبيرة كعمليات المناورة والالتفاف لتطويق الخصم وضربه في أجنحته للقضاء عليه وتدميره بدأت هذه النوعية من الحروب مبكراً مع تطور محدود وعرفت البشرية منذ القدم واستمرت حتى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية.

٢. حروب الجيل الثاني:

تطورت حروب الجيل الثاني لتأخذ أشكالاً جديدة وتدخل عملياً لمرحلة ما يعرف بحرب العصابات أو الحرب الثورية والتي تكون عادة بين جيش نظامي تقليدي وبين مجموعات مقاتلة ذات هدف واحد صغيرة العدد نسبياً مقارنة بجيش متكامل وهي شبيهة إلى حد ما بحروب الجيل الأول ولكن التطور الذي حصل في تقنيات استخدام النيران ووسائل قذفها وإدارتها من دبابات وطيران ووسائل بحرية بين الأطراف المتنازعة جعل لها خصوصية أكثر دقة من ناحية

^{١١} - حروب الجيل الخامس... التحولات الرئيسة في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم، مركز المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، أبو ظبي، ٢٠١٧.

^{١٠} - النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، المادة ٣٧

واقتصادية واجتماعية داخل الدولة المستهدفة، لاستنزاف هذه الدولة وجعلها تعاني من صراعات داخلية تدعمها تهديدات خارجية عنيفة.

وتتميز عمليات الجيل الخامس بأنها صراع مفتوح تنفذ عملياته دون قيود أخلاقية تستخدم فيه كافة وسائل القوة المتوفرة المسلحة وغير المسلحة لإجبار الخصوم للخضوع لإرادة من يشن الحرب حتى وإن تضمن ذلك سقوط الضحايا دون وجه حق مع ما يصاحب عمليات الحروب من تعدي وظلم وطغيان حيث لا سبيل لتحقيق الغايات إلا بالدمار والقتل.

ومن مظاهر الجيل الخامس للحروب سعي الأفراد والمجموعات المقاتلة للوصول إلى المعرفة المتطورة والتكنولوجيا الحديثة واستخدامها كوسائل هجومية في معارك غير متماثلة لتحقيق المصالح الفردية والجماعية وذلك من خلال القدرة على تنفيذ الأعمال التخريبية من خلال الإنترنت والوسائط الإلكترونية المختلفة فيما بات يعرف بالحرب الرقمية التي ستكون عاملاً مهماً في سياق إدارة الأزمات وفن الحرب واستخدام تكتيكات جديدة في العمليات العسكرية والأمنية.

٦. حروب الجيل السادس:

يمكن أن نطلق عليها تسمية الحرب عن بعد وهي حرب تعتمد التقنية عالية الدقة لإدارة وسائطها القتالية التي تدار عن بعد أسلحتها ومعداتها ذكية ، وهذا التصنيف يعتبر الأحدث في أجيال الحروب أطلقته روسيا باعتبار أن هذا النوع من الحروب لا يعتمد على الاتصال بشكل مباشر بالخصم وبمعنى آخر أنها حرب تدار بشكل كامل عن بعد وتتسع دائرتها لتشمل كل ما هو معني بمفهوم الحرب سواء كانت أسلحة أو إمكانيات بدءاً من الأسلحة النووية التكتيكية إلى إدارة الصراع الاقتصادي والمعلوماتي الى استهداف الأفراد أنفسهم عن بعد سواء كانوا فرادى أو مجموعات وقد صاغ مصطلح "الجيل السادس للحرب" لأول مرة الجنرال الروسي "فلاديمير سليبيتشنيكو" عند استخدام أنظمة تسليح عالية الدقة يمكنها أن تجعل من تسليح وتنظيم الجيوش التقليدية أمور عفا عليها الزمن .

وأخطر ما في حروب الجيل السادس هو استهدافها للإنسان وعقله وعواطفه واستغلال كل ما في الطبيعة من حوله كسلاح يدار ويسيطر عليه كمشاريع التحكم في الطبيعة "مشروع هارب" وأيضاً تصرفات الكائنات

من الضوء على نوعية هذه الحروب وتصاحبها في العادة حملات إعلامية مركزة .

٤. حروب الجيل الرابع:

تسمية الجيل الرابع أطلقها الأمريكيان في الحرب على المنظمات الإرهابية وحسب المفهوم الأمريكي يكون طرفها جيش نظامي لدولة ما مقابل لا دولة أو خصم على صورة خلايا خفية منتشرة في أنحاء العالم وقد اتفق الخبراء العسكريين على أن حرب الجيل الرابع هي حرب أمريكية النشأة والصناعة طورت من قبل قيادة الجيش الأمريكي وأسماها بالحرب اللا متماثلة.

هذه النوعية من الحروب نشأت عندما وجد الأمريكيان أنفسهم يحاربون كياناً لا يعتمد وطناً له ولا دولة ولا جيش نظامي بل تنظيم يحمل طابع ديني أو سياسي بأيدولوجية محددة تنتشر حول العالم ويمتلك إمكانيات جيدة لضرب مصالح حيوية لدول أخرى لإضعافها أمام الرأي العام العالمي ، ومثال على هذه التنظيمات : تنظيم القاعدة بمختلف فروعه ، حزب الله الإرهابي ، وجماعة الحوثي الإرهابية ، تنظيم داعش الإرهابي وآخرها جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية والتي صنفته مؤخراً في عدد من الدول كتتنظيم إرهابي وفي هذا الجيل من الحروب تستغل وسائل الإعلام التقليدية والحديثة إلى جانب العمليات الاستخباراتية للقيام بدور كبير لإضعاف الخصم والتأثير عليه ومثالها الحرب على الإرهاب التي قادتها أمريكا في العراق وفي اليمن وفي أفغانستان وفي باكستان بضربات ماحقة وستقودها أينما استشعرت الخطر على أمنها ومصالحها .

٥. حروب الجيل الخامس^{١٢}:

يطلق عليها تسمية الحرب الهجينة وهي نوع متميز من القتال يعجز فيه الجيش النظامي على الإطاحة بخصمه المحنك الذي يخوض حرباً غير نظامية بأفكار مبتكرة تستخدم خليطاً من كل مفاهيم الحروب السابقة "حرب شعبية وحرب ثورية وأسلوب حرب العصابات ووسائل الحرب الحديثة" وتتمتع الحرب الهجينة بتكنولوجيا فائقة لا تخضع لشكل معين وقواعد ثابتة بدءاً من القيادة وانتهاءً بالعمليات الجارية خلالها.

يستخدم في حروب الجيل الخامس العنف المسلح عبر مجموعات عقائدية مسلحة وعصابات التهريب منظمة وتنظيمات صغيرة مدربة لها خصوصية منهجية دينياً وعقائدياً وسياسياً، لصناعة نزاعات داخلية سياسية

^{١٢} تحليل الغلاف الأبوني والبحث في إمكانية تطوير وتعزيز تكنولوجيا المجال الأبوني لأغراض الاتصالات اللاسلكية والمراقبة العمل في مشروع هارب، بدأ عام ١٩٩٣، وانتهى انشائه بنظامه الحالي عام ٢٠٠٧، حتى عام ٢٠٠٨، استهلك مشروع هارب، ما يزيد عن ٢٥٠ مليون دولار أمريكي، تم اغلاقه مؤقتاً عام ٢٠١٣، بسبب مشاكل مع المتعاقدين على سلسلة الزلازل التي ضربت بغداد ومناطق واسعة من العراق تنذر بانتقاله لمرحلة اشد خطورة تطله منذ أكثر من

^{١٢} - انظر: دراسات المستقبل، سلسلة دراسات تصدر شهرياً عن المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، العدد ١١ نوفمبر ٢٠١٧، ص ٩ وما بعدها.

^{١٣} - هذا المشروع الثوري تمّ بتمويل مشترك من القوات الجوية الأمريكية، والبحرية الأمريكية، وجامعة ألاسكا فيربانكس، ووكالة مشاريع البحوث المتقدمة للدفاع (داربا)، وتم ابتكار وتطوير هذا البرنامج عن طريق شركة BAET للتكنولوجيات المتقدمة ، بغرض

خصائص الحرب المعلوماتية واللامتماثلة^{١٥}:

بالاستناد إلى نص تقرير "هيئة التقديرات" في البنتاغون، ترسم ملامح وخصائص الحرب "اللامتماثلة" كما يلي:

١- ليس هناك ميدان يتقابل فيه المتحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالالتفاف.

٢- يلي ذلك أن السلاح "ليس متماثلاً" حتى وإن اختلفت درجات قوته.

٣- ليست هناك صلة بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.

٤- يترتب على ذلك أن حفظ السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي منطق أو تصور يمكن توقعه. ومع أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب. . . إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة، مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو أحد، لأنه على حد تعبير ورد في تقرير الجنرال شلتون: "تفكير يوسوس به الهذيان والجنون ولا يؤدي إليه العلم أو توازن القوة مهما كانت دقة حساباته".

٥- إن هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب في الحرب مصنفة، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية، مما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.

٦- هذا النوع من الحرب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة لأن الخسارة بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، وبالتالي فإن أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها.

٧- وهذا النوع من الحرب يمارس دورة بخلطة مزيج قوي المفعول بين ما هو "مادي" وما هو "نفسي"، وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب "اللامتماثلة" التي يستعملها.

٨- يمتاز العدو في هذه الحرب بروح معنوية عالية لدى أفرادها وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر بجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات أو من ضروب الجنون.

٩- كما تقتضي هذه الحرب "إرادة قوية" و "تنظيماً جديداً" و "صبراً" يراقب على مهل؛ لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه

الحية وغيرها من المشاريع المتطورة التي تستهدف إلحاق أكبر ضرر بالجنس البشري واستغلال الحشرات والطيور والأسماك وغيرها من الكائنات كأدوات للتجسس والسيطرة.

من سمات حروب الجيل السادس البراعة العالية في استخدام الوسائط القتالية والتفوق في تحقيق الأهداف والمصالح والسيطرة على الآخرين بأقصر الطرق وأقل الخسائر وبذلك ستغدو معها كل تلك الترسانات من الأسلحة والمعدات وكأنها أسلحة شخصية لن تستطيع الجيوش استخدامها مطلقاً.

وبذلك أعتقد أن أجيال الحروب ستستمر في التقدم بصورة مضطربة وستشمل في صورها الجديدة أنواع متعددة سابقة وحديثة متداخلة من فنون القتال وأنواعه وستستغل كل ما تصل إليه التقنية والتطور العلمي في مختلف المجالات ولذلك فحروب المستقبل ستكون غير محددة بنوع ونمط قتالي معين عرفه العالم من قبل، الغاية فيه تبرير الوسيلة وهدفها الأسمى هو سحق الخصم حتى قبل أن يستعد للحرب والسيطرة على العالم ومصادر الماء والطاقة فيه بالقوة العسكرية المطلقة.

لم يتفق العالم وخبراء السياسة والعسكر على مقومات معينة تحدد أجيال الحروب وتركزت لاجتهاد المحللين فهناك من لا يزال يعتقد بأن الحروب والأعمال العدائية والنزاعات المسلحة لا تزال ضمن الجيل الرابع وشخصياً أعتبر بأن الأمر قد تجاوز في تسارع كبير نحو الجيل السادس من الحروب التي بدأت وسائطه المعتمدة على التفوق التقني والذكاء الصناعي في الدخول للمناوبات القتالية والخدمة العملية في كثير من الجيوش وقد تداخلت فيها أجيال الحروب حتى أمتزج قديمها بجديدها في تطور فكري عسكري مستمر متناسق مع التطور العلمي الذي يسبق الزمن وظهرت نتائج ذلك في تدريب المقاتلين واحترافيتهم العالية والتطور النوعي في دقة الوسائط القتالية المستخدمة من الأسلحة الذكية والطائرات بدون طيار والمركبات المسيرة الغير مأهولة وأسلحة الفتك ذات الدقة العالية وتطور عمليات القيادة والسيطرة عبر الأقمار الصناعية^{١٤}.

وانظر: أجيال الحرب: دراسة في محددات تطور الأجيال الخمس للحرب، زينب فريخ، مجلة دفاتر السياسة والقانون، (مجلد ١٣، الإصدار ٢، وتاريخ ٢٠٢١/٥/١٥م).

١٥ - انظر: المركز الأوروبي، لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات ECCI، الحروب اللامتماثلة، تغيير مفاهيم الاستراتيجيات الأمنية. بقلم الدكتورة نور تركي، مايو ٢٠٢١، أمن دولي، دراسات، مكافحة الإرهاب.

عقدين من الزمن، ناشئة عن حرب تدميرية خفية تفوق بأضرارها آثار الغزو والاحتلال والمواجهات العسكرية، حرب غامضة.

١٤ - بتصرف: تطور أجيال الحروب، العميد صلاح الدين الزيداني الأنصاري (٢٠٢١م) دفاع العرب.

<https://defensearabia.com/2021/04/%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1-%D8%A3%D8%AC%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8/>

(لنوع كثيرة)، أن يواجه فعلاً حيث يتوقع الطرف الآخر أن يجيء (زماناً ومكاناً).

١٠- إن الخصم في الحرب اللامتناهية لا يقوم بعملية "اضرب واهرب" كما في حروب العصابات، فهو موجود داخل المجتمعات الغربية، وربما يقوم بأدوار مختلفة، أي أنه ضمن تشكيل المؤسسات وبالتالي فإن أهدافه حساسة ولا متناهية، وفي الوقت نفسه لا يمكن إصابته بشكل مباشر لأنه يبقى ضمن النظام الاجتماعي قبل تنفيذه لأي عمل، أو حتى بعد التنفيذ، وبهذا الشكل يمكن اعتبار الخصم جزءاً منك طوال فترة الصراع اللامتناهية.

١١- الحرب اللامتناهية هي حرب ممتدة. إذ لا يمكن القضاء على الخصم بشكل نهائي. وبالتالي هي سلسلة من الجولات والجهد المتواصل والرقابة في محاولة للحد من عمليات التحول تجاه الإرهاب من غير أن يوجد ضمان أكيد لنهايتها طالما أنها تقوم على عدم التماثل. أي أنها تقوم على مبدأ خصب لإظهار العدو ولتأكيد الذات من قبل الخصوم اللامتناهين. وتشكل حرب المعلومات واحدة من أهم مرتكزات استراتيجية الحرب اللامتناهية. والبعد المعلوماتي في الصراع خاصية مشتركة بين أنماط الحروب، لا يقتصر فقط على الحرب اللامتناهية. وقد أصبح هذا البعد حاضراً منذ أن أوجدت الثورة المعلوماتية ما يسمى بالمجال المعلوماتي العالمي الموحد. وحول خطورة هذا البعد في الصراع تشير إلى تأكيد الخبراء والمحللين العسكريين الأميركيين والروس والصينيين إلى حجم الضرر الذي قد يلحق باقتصاد البلد، جراء حدوث خلل جوهري في الأداء الوظيفي لمنظومة الحواسيب الموجودة بكثافة في كافة التنظيمات القيادية الحكومية والمؤسسات المالية والمصرفية. ضرر يمكن مقارنته من حيث العواقب باستخدام السلاح النووي، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج كارثية في بعض الحالات على مستوى حياة السكان. قد يؤدي بدوره إلى الاستياء العام والثورة الاجتماعية، وسقوط الدولة أحياناً، وغالباً ما يترافق ذلك مع وقوع ضحايا بشرية. فالحسارة في المجابهة المعلوماتية يمكن أن تشكل ظروفًا ومقدمات ليصبح فيها البلد الخاسر متخلفاً كثيراً عن ركب الدول ويتحول إلى بلد هامشي. بعبارة أخرى يحصل المنتصر على إمكانات غير محددة للتحكم بالدول المهزومة في الصراع المعلوماتي.

أقسام حرب المعلومات ومستوياتها:

تتكون حرب المعلومات من عدة مستويات، أبرزها ما يلي:

١- المستوى الأول يستهدف الفرد. وفق هذا المستوى فإن أي فرد مذنب حتى تثبت براءته (وذلك بعكس القاعدة الحقوقية السائدة)، وفي هذا المستوى تكون أسرار الأشخاص غير محمية، وكذلك الأسماء والرموز التي تمارس بشكل

اعتيادي، تصبح مجال متاجرة. وبهذا الشكل فعند نشوب نزاع لا شيء يمنع الخصم من تهديد زعماء الناتو (أو أي من الجنود في المعركة)، عبر استهداف عائلاتهم، مستخدماً محتويات الحواسيب والمعلومات التي توفرها لتنفيذ اعتداءات.

٢- المستوى الثاني، ويشمل حرب المعلومات من خلال التجسس الصناعي والاقتصادي على الدول والمنظمات غير الحكومية. ووفقاً لمعلومات مكتب التحقيقات الفيدرالية الأميركية هناك (١٢٢) بلداً يمارس تجسساً مستمراً على الولايات المتحدة في المجال الصناعي والاقتصادي، وتقدر الخسائر الناجمة عن هذا الموضوع بـ(٣٠٠) مليار دولار سنوياً.

٣- المستوى الثالث، حرب معلومات موجه من أمة ضد أمة، ويمكن أن يتضمن التجسس على المجموعات المنظمة في إطار الحكومات، أو مجموعات الحرس الوطني، أو التشكيلات "الإرهابية" التي تمتلك نفس أدوات الحكومة. تجدر الإشارة إلى أن الولايات المتحدة قد بدأت بدراسة قضية تحضير وتنفيذ حرب المعلومات في بداية التسعينات. وقد خلصت إلى تعريف لحرب المعلومات نصه: بأنها "التأثير المركب على منظومة القيادة الحكومية والعسكرية للطرف المقاوم وعلى قيادته السياسية والعسكرية، بحيث يؤدي هذا التأثير زمن السلم إلى اتخاذ القرارات الملائمة لأمريكا بحيث لا يسبب خلال سير المعارك شللاً كاملاً لبنية قيادة القوات".

وفي وثيقة لجنة رؤساء أركان القوات الأميركية حملت اسم "الآفاق الموحدة-٢٠١٠" جاء: "إن السمة المميزة الأساسية للصراع المسلح سوف تكون التحول نحو التركيز على مجال الصراع المعلوماتي، وكذلك التركيز على أن تحقيق "التفوق المعلوماتي: سيكون الشرط اللازم لتحقيق النصر على أي عدو.

كما أن الوثيقة التي اعتمدها رئيس اللجنة الموحدة لرؤساء أركان القوات المسلحة الأميركية الجنرال هنري شلتون بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٩م. عبارة عن ملخص لمجمل وجهات نظر القيادة العسكرية الأميركية حول طبيعة وتنظيم التأثير على الموارد المعلوماتية للعدو وحماية الموارد المعلوماتية الذاتية من التأثيرات المماثلة. وقد ذكر شلتون في مقدمة الوثيقة: "إن قدرة القوات المسلحة الأميركية على تحقيق سبق أو تلافي حدوث أزمات ونزاعات في زمن السلم وكذلك تحقيق النصر في زمن الحرب تتوقف بشكل أساسي

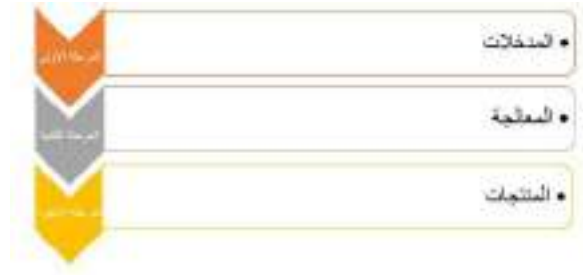
١. المشرف العام على البرنامج.
 ٢. وحدة المستشارين.
 ٣. إدارة الرصد والتحليل.
 ٤. إدارة تصميم البرامج.
 ٥. إدارة تنفيذ البرامج.
 ٦. إدارة المتابعة والتغذية الراجعة.
 - الخيار الثاني: على المستوى المتوسط والأدنى:
 ١. يتكون من فريق مرن من ٦-٨ ضباط _ ويمكن الاستعانة بمتخصصين مدنيين أكاديميين كمستشارين للفريق -مؤهلين في التخصصات التالية:
 - ضابط إدارة وأنظمة.
 - ضابط استخبارات وأمن.
 - ضابط علم نفس (مؤثرات عقلية).
 - ضابط أمن فكري ودراسات شرعية.
 - ضابط إعلام وعلاقات عامة.
 - من ٢-٤ احتياط.
 - ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:
- على درجة فاعلية العمليات المعلوماتية في كافة مستويات الحرب وفي كامل طيف الأعمال القتالية المسلحة^{١٦}.
 - أسس برنامج الأمن الفكري في مرافق التعليم العسكري العالي في المملكة العربية السعودية.
 ١. الشريعة الإسلامية.
 ٢. النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.
 ٣. القيم العليا للدولة.
 ٤. الأنظمة العسكرية واللوائح التنفيذية.
 ٥. الموروث الثقافي والفكري والتاريخي للمجتمع السعودي.
 ٦. تحقيق المصالح العليا للدولة والمحافظة عليها.
 ٧. رؤية ٢٠٣٠م
 ٨. تحقيق الأمن بمفهومه الشامل.
 ٩. مواجهة الشبهات والأفكار المتطرفة والتشدد بصوره كافة.
 ١٠. التصدي المبكر لآثار حروب الجيل الجديد.
- الهيكل التنظيمي المقترح للبرنامج:**
- يتكون الهيكل التنظيمي للبرنامج من خيارين للتطبيق:
- الخيار الأول: على المستوى الأعلى في القطاع، ويتكون من:

الرتبة	إدارة وأنظمة	استخبارات وأمن ومعلومات	علم نفس	أمن فكري ودراسات إسلامية	علاقات عامة وإعلام	صحة نفسية	اقتصاد وإدارة مالية	العدد الكلي
ضابط	١	١			١			٣
أكاديمي			١	١		١	١	٤
احتياط (عند الحاجة)	•	•	•	•	•	•	•	•
المجموع	١	١	١	١	١	١	١	٧

- حوكمة البرنامج:**
١. ورش العمل والعصف الذهني.
 ٢. الوحدات والمقررات والمحاضرات الدراسية والأنشطة الطلابية.
 ٣. الندوات والمعارض والرسم والنحت.
 ٤. المؤتمرات المحلية والدولية.
 ٥. الدورات المكثفة والمتوسطة.
 ٦. البحوث والمسابقات العلمية.
 ٧. التأليف والنشر.
 ٨. الإنتاج المرئي والمسموع.
 ٩. الذكاء الاصطناعي.
- حسب التوجيهات وطبيعة كل مبادرة وبرنامج.
- مؤشرات قياس الأداء:**
- حسب طبيعة كل مبادرة وبرنامج.
- القطاعات المستهدفة في المرحلة الأولى.**
١. المرافق التعليمية والتعليم العالي في القطاعات العسكرية كافة.
 ٢. القطاعات العسكرية (المكتبية والميدانية) في القطاعات العسكرية كافة.

وانظر: الارجاف وآثاره على مقومات الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية، ورقة علمية مقدمة إلى ندوة الإرجاف؛ المفهوم الشرعي والأثر الاجتماعي، والمقامة بإمارة منطقة القصيم، برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور: فيصل بن مشعل ابن سعود بن عبد العزيز آل سعود، أمير منطقة القصيم، إعداد: الأستاذ الدكتور: نايف بن خالد الوقاف، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة، مستشار الأمن الفكري، بريدة - القصيم - (١٤٤٤هـ)، وسلسلة دراسات وتقارير متخصصة (١٣) مركز الإعلام والدراسات العربية الروسية ٢٠٢٢م.

¹⁶[http://www.alma3raka.net/spip.php?page=article&id_article=106#:~:text=24%20%D8%A2%D8%B0%D8%A7%D8%B1%20\(%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3,%D9%88%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20E2%80%9C%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%E2%80%9D](http://www.alma3raka.net/spip.php?page=article&id_article=106#:~:text=24%20%D8%A2%D8%B0%D8%A7%D8%B1%20(%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3,%D9%88%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20E2%80%9C%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%E2%80%9D)



مصادر تهديد الأمن الفكري^{١٧}:

١. اللافتات على ولاية الأمر، وازدراء العلماء.
 ٢. حروب الجيل الرابع وما بعدها.
 ٣. الشبهات الدينية والفكرية، والخروج عن الوسطية والاعتدال، والتعصب في الرؤى الفكرية.
 ٤. الغزو العسكري والفكري والثقافي الخارجي.
 ٥. محتوى القنوات الفضائية والوسائل الرقمية الموجهة التي تؤثر سلباً على المعتقد والثقافة والأخلاق.
 ٦. الفهم الخاطئ لمفهوم الأمن الفكري وأنه أساليب وإجراءات أمنيّة فقط.
 ٧. المساس بالثوابت الوطنية وتهديد الوحدة الوطنية.
 ٨. التركيز على السلبيات وتضخيمها والتقليل من المنجزات الوطنية.
 ٩. نشر ثقافة الإحباط واليأس بين الناس.
 ١٠. الانبهار بالحضارات المادية^{١٨}.
 ١١. حملات تشويه المعتقد الإسلامي وما بني عليه من ثقافة وأخلاق.
 ١٢. الدعايات المعادية وحملات التضليل.
 ١٣. استهداف الروح المعنوية للقطاعات العسكرية بشكل خاص من خلال الارجاف والإشاعات والأخبار الكاذبة.
 ١٤. الذكاء الاصطناعي.
- #### العوامل المسببة للانحراف الفكري:
١. العوامل الدينية والمذهبية.
 ٢. العوامل السياسية.
 ٣. العوامل الاجتماعية.
 ٤. العوامل الاقتصادية.
 ٥. العوامل التربوية والتعليمية.
 ٦. العوامل الإعلامية.
 ٧. العوامل الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.
 ٨. التعصب وأحادية الرأي^{١٩}.

ومن أهم الأدوات والوسائل التي يستخدمها العدو لزعزعة الأمن الفكري القيام بعمليات التخريب المباشر:

ويقصد به التأثير الضار على معنويات العاملين بالمنشأة العسكرية، للتأثير على قدراتهم على الإنتاج، أو إغرائهم بارتكاب جريمة التخريب.

وأهم وسائل التخريب المعنوي ما يأتي:

١. نشر السخط واليأس بين العاملين.
٢. إثارة الخلافات وتحريك العداءات بين فئات العاملين المختلفة.
٣. إطلاق الشائعات والأنشطة الهدامة.
٤. نشر الشكوك التي تهدف إلى هدم القيم وإحباط الروح المعنوية للعاملين.
٥. حث العاملين على التقدم بمطالب تبدو في ظاهرها مطالب مشروعة لهم، وهي في الحقيقة تخفي وراءها دافعاً خبيثاً مثل: المطالبة برفع الراتب أو تحديد ساعات العمل، أو نظام الإجازات والمكافآت، أو الترقيات، أو محاولة المقارنة بين بعض الفئات الأخرى.
- ولا يترك المخرب فرصة تتاح إلا انتهزها لدس سمومه في نفوس العاملين في القطاعات العسكرية وغيرها لهدم معنوياتهم.

أهداف وغايات برنامج الأمن الفكري الخاصة:

يتكون البرنامج من عدة مبادرات لتحقيق الأهداف التالية:

١. غرس القيم والمبادئ الوطنية وتعزيز الانتماء للدولة والقيادة السياسية.
٢. تعزيز قيم الوسطية والتسامح والانفتاح.
٣. تعزيز قيم الانضباط والالتقان والتضحية والإيثار.
٤. تعزيز قيم العدالة والشفافية.
٥. تعزيز قيم العزيمة والمثابرة.
٦. تعزيز الوعي القانوني والتشريعي المحلي والدولي.
٧. تعزيز الوعي الاجتماعي.
٨. تعزيز القوة الناعمة.
٩. تعزيز قيمة العلاقات الدولية والإنسانية.
١٠. تعزيز قيمة الوعي البيئي.
١١. تعزيز الصحة النفسية والعقلية.
١٢. القدرة على إدارة الموارد المالية بفاعلية.

أهداف برنامج الأمن الفكري العامة:

١. تحقيق أهداف فكرية وذهنية.
٢. تحقيق أهداف تعليمية.
٣. تحقيق أهداف سلوكية ومهارية.
٤. ربط الأمن الفكري بمستويات الأمن الأخرى.

غايات الأمن الفكري:

١. غرس القيم والمبادئ الدينية والإنسانية.
٢. ترسيخ مفهوم الفكر الوسطي.

^{١٨} - انظر: المعيار، دورية علمية محكمة؛ تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، تصدرها كلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، (العدد ٢٧ محرم ١٤٣٣)، ص ٩

^{١٩} - العوامل المسببة للانحراف الفكري وعلاقتها بالإرهاب، د. علي بن فايز الجحني، مجلة العدل العدد (مج ١٠، ع ٣٩) / ٢٠٠٨م، ص ٢٠٩

^{١٧} - انظر: مهددات الأمن الفكري: دراسة تحليلية تربوية، مستقبل التربية العربية، الناشر: المركز العربي للتعليم والتنمية، علي سعيد إسماعيل وآخرون، (مج ٢٦، ع ١٢٢)، ٢٠١٩م، ص ٦١ - ٨٠

مبادرات وبرنامج الأمن الفكري التطبيقية في مرافق التعليم العسكري العليا.

أ-المبادرات والبرامج العامة:

١. مبادرة الوعي الوطني.
٢. مبادرة الوعي الشرعي.
٣. مبادرة الوعي الرقمي والتقني والذكاء الاصطناعي.
٤. مبادرة الوعي القانوني.
٥. مبادرة الوعي المالي والاقتصادي.
٦. مبادرة الوعي النفسي والصحة النفسية.
٧. مبادرة الوعي المهني والتخصصي.
٨. مبادرة الوعي العالمي وحوار الحضارات.
٩. مبادرة الوعي البيئي والتغيرات المناخية.
١٠. مبادرة الوعي الإعلامي والحرب الإعلامية.

ب-المبادرات والبرامج التخصصية للقطاعات العسكرية.

١. مبادرة حماية البيئة العسكرية من الاختراق الفكري في مرافق التعليم العسكري العالي.
٢. مبادرة استغلال الأنشطة العسكرية لتعزيز قيم الولاء والانتماء ولاعتزاز بالهوية الوطنية.
٣. مبادرة تعزيز الروح المعنوية في مرافق التعليم العسكري العالي.
٤. مبادرة الوقاية من الوقوع في المخالفات السلوكية في مرافق التعليم العسكري العليا.
٥. مبادرة الوقاية من ارتكاب الجرائم الكبرى في مرافق التعليم العسكري العليا.
٦. مبادرة الوقاية من آثار الحرب النفسية الموجهة من الأعداء لمنسوبي مرافق التعليم العسكري العليا.
٧. مبادرة تعزيز المهارات الفكرية الصحيحة لمنسوبي مرافق التعليم العسكري العليا.
٨. مبادرة تعزيز الصورة الذهنية الإيجابية لمرافق التعليم العسكري العليا بين المنسوبين والمجتمع.
٩. مبادرة حماية منشوبي مرافق التعليم العالي العسكري من الحرب الإعلامية والسيبرانية المعادية.
١٠. مبادرة تثقيف منشوبي مرافق التعليم العسكري العليا بمهمة وأهداف وهيكله الجيوش السيبرانية العالمية.

٣. تحسين أفكار الناشئة من التيارات الفكرية.

٤. تربية الفرد العسكري على التفكير الصحيح.

٥. إشاعة روح المحبة والتعاون والايثار بين منشوبي القطاعات العسكرية.

١. ترسيخ مبدأ المسؤولية تجاه أمن الوطن.

٢. حماية العقول من الغزو الفكري.

٣. حماية المكتسبات والوقوف بحزم ضد الاخلال بالأمن الوطني ومقوماته.

٤. توظيف الأمن الفكري في الوقاية من ثقافة العنف وآثارها.

٥. تزويد العسكريين بمعارف ومهارات تحصنهم من الوقوع تحت تأثير الدعايات المعادية.

الإجراءات العملية لتعزيز الأمن الفكري في القطاعات العسكرية:

١. نشر العقيدة الصحيحة وكشف العقائد الباطلة بين منشوبي القطاعات العسكرية.
 ٢. تعزيز الولاء للقيادة والانتماء للوطن من خلال برامج مستمرة.
 ٣. المحافظة على الروح المعنوية العالية بين أفراد القطاعات العسكرية.
 ٤. تأسيس تدابير محددة وواضحة وتوحيد الجهود ووضع سياسات موحدة للقطاعات العسكرية كافة.
 ٥. حماية المجتمع العسكري من المؤثرات السلبية الداخلية والخارجية.
 ٦. إبراز الجوانب الإيجابية في الدولة وتعزيزها من خلال اظهار عناصر القوة فيها.
 ٧. النظر بإيجابية للمستقبل وتعزيز ثقافة التفاؤل بين أفراد القوات العسكرية.
 ٨. تطوير الأنظمة بما يضمن العدالة والمساواة في القطاعات العسكرية.
 ٩. تعزيز هيئات وإدارات الأمن والاستخبارات والمتابعة لرصد الظواهر السلبية مبكراً.
 ١٠. تأسيس مراكز أبحاث متخصصة لمعالجة السلبيات الفكرية الحالية والمستقبلية.
- وسوف تكون مسارات برامج المبادرة – بعد دراسة الوضع الراهن كالتالي:



معايير مبادرات الأمن الفكري في المرافق التعليمية العسكرية:

المعيار الشرعي	المعيار الوطني	المعيار القيمي والمجتمعي	المعيار التخصصي	المعيار التكاليف	المعيار البيئة العسكرية	المعيار الأمن الوطني	معيار التعليم	معيار التحكيم	معيار الاعتماد
✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓

مراحل وخطة التطبيق العملي للمبادرات والبرامج -مثال-:

المبادرة/البرنامج	الفئة المستهدفة	دراسة الوضع الراهن	إعداد المحتوى العلمي	تصميم الحقيبة التدريبية	تحكيم الحقيبة العلمية	التنفيذ
مبادرة الوعي الوطني	• ضباط • ضباط صف • جنود • آخر	• تحليل التقارير المتوفرة • استبانات • مقابلات • ورش عمل • إعداد التقرير النهائي والتوصيات	• اختيار فريق التأليف. • إعداد موضوعات المحتوى.	• تصميم الحقيبة وفق المعايير المحددة. • إخراج وطباعة	• تحكيم المحتوى العلمي. • تحكيم التصميم والأشكال والألوان.	• عرض الحقيبة على صاحب الصلاحية. • صدور الموافقة البدء في التنفيذ
حماية البيئة العسكرية من الاختراق الفكري.	• ضباط • ضباط صف • جنود • آخر	• تحليل التقارير المتوفرة • استبانات • مقابلات • ورش عمل • إعداد التقرير النهائي والتوصيات	• اختيار فريق التأليف. • إعداد موضوعات المحتوى.	• تصميم الحقيبة وفق المعايير المحددة. • إخراج وطباعة	• تحكيم المحتوى العلمي. • تحكيم التصميم والأشكال والألوان.	• عرض الحقيبة على صاحب الصلاحية. • صدور الموافقة البدء في التنفيذ

مصطلحات الخطة التنفيذية

المصطلح	البيان
مؤشرات تحقيق الهدف	هي الوسيلة لقياس التقدم نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجية، وتساعد على اتخاذ القرارات المبينة على الأداء الفعلي.
أنواع المؤشرات	المؤشرات الكمية: وتستخدم لقياس (حجم/عدد/كمية) الإنجاز المتوقع. • المؤشرات النوعية: وتستخدم لقياس دقة وجودة الإنجاز المتوقع.
مواصفات المؤشرات	• أن يكون قابلاً للقياس. • أن يكون المؤشر واضحاً ومفهوماً. • أن يكون المؤشر حالة أو ظاهرة أو عملية متغيرة يمكن تتبعها. • أن يساهم المؤشر في اتخاذ القرارات داخل القطاع العسكري. • أن يكون المؤشر ذو علاقة بالهدف الاستراتيجي.
المبادرات التنفيذية	هي: المبادرات والبرامج والأنشطة النوعية المراد تنفيذها لتحقيق الهدف الاستراتيجي.
متطلبات التنفيذ	هي المتطلبات البشرية والإدارية والمالية والتقنية والتعاقدية، المطلوبة لتنفيذ المبادرات المخططة.

الإطار التفصيلي للخطة التنفيذية للبرنامج:

الهدف التنفيذي (١):				مبادرة الوعي الوطني.
المبادرة ١-١:				تعزيز احترام الرموز الوطنية. (القيادة، العلم، النظام الأساسي للحكم، أهمية موقع المملكة وما تضمنه من مقدسات)، والمحافظة على المكتسبات الوطنية وحمايتها.
الأنشطة:	الجهة المسؤولة	مدة التنفيذ	الميزانية	مؤشرات تحقيق الهدف
- بيان الواجب الشرعي تجاه ولاية الأمر (حقوقهم ...) - بيان فضائل وأدوار وجهود ومنجزات القيادات والرموز الوطنية في النهوض بالوطن. - تقدير الرموز الوطنية والاعتزاز بهم. - إبراز المنجزات الوطنية والفخر بها. - حماية المنجزات الوطنية. - تعزيز الصورة الذهنية الإيجابية للدولة.	يحدد لاحقاً	مستمر	لاحقاً	- عدد البرامج المقدمة. - نسبة المشاركين من الفئات المستهدفة في هذه البرامج. - نسبة الجهات المشاركة في تنفيذ هذا البرنامج. - نسبة شركاء النجاح في هذا البرنامج.
المبادرة ١-٢:				استغلال الأنشطة العسكرية في تعزيز الانتماء الوطني.
الأنشطة	الجهة المسؤولة	مدة التنفيذ	الميزانية	مؤشرات تحقيق الهدف
١-٢-١ وضع خطة لزيادة المناسبات الوطنية داخل القطاعات العسكرية.	لاحقاً	مستمر	لاحقاً	- عدد المناسبات الوطنية الجديدة. - عدد المناسبات الوطنية المفعلة. - نوعية المناسبات الوطنية المنفذة. - عدد المستفيدين.
استرشادي دليل ١-٢-٢ وضع للاحتفال بالمناسبات الوطنية.	لاحقاً	مستمر	لاحقاً	نسخة من الدليل الإسترشادي.
المبادرة ١-٣:				غرس الولاء والانتماء للقيادة والوطن من خلال الخدمة العسكرية
الأنشطة	الجهة المسؤولة	مدة التنفيذ	الميزانية	مؤشرات تحقيق الهدف
	لاحقاً	مستمر	لاحقاً	- عدد البرامج المنفذة - نوعية البرامج المنفذة - عدد الجهات المشاركة - عدد المشاركين في البرنامج - عدد من أتموا البرنامج
المبادرة ١-٤:				المحافظة على المكتسبات الوطنية وحمايتها.
الأنشطة	الجهة المسؤولة	مدة التنفيذ	الميزانية	مؤشرات تحقيق الهدف
لاحقاً	لاحقاً	مستمر	لاحقاً	- عدد البرامج المنفذة - نوعية البرامج المنفذة - عدد الجهات المشاركة - عدد المشاركين في البرنامج - عدد من أتموا البرنامج

المبادرات ١-٥				حماية البيئة العسكرية من الاختراق الفكري.
الأنشطة				مؤشرات تحقيق الهدف
الجهة المسؤولة				الميزانية
مدة التنفيذ				لاحقا
تحدد بالأمر				مستمر
• شرف الخدمة العسكرية في ضوء الشريعة. • مهام القوات العسكرية في النظام الأساسي للحكم. • أسس الأمن الوطني وما دون الإقليمي. • لمحة عن التقنيات العسكرية في المستقبل (الجيل الجديد والجيوش الإلكترونية). • آثار تطورات الذكاء الاصطناعي واستخداماته العسكرية. • لمحات موجزة عن أشهر العقائد العسكرية في العام وتطبيقاتها. • الحوافز المادية والمعنوية في نظام خدمة الضباط والأفراد. • المحظورات والعقوبات في الأنظمة العسكرية. • أمن المعلومات والأمن السيبراني. • الحس الأمني. • الأمن الذاتي. • مهددات البيئة العسكرية الداخلية والخارجية. • مواجهة الحروب النفسية والارجاف. • أمثلة تطبيقية على نماذج إيجابية وأخرى سلبية.				■ عدد البرامج المنفذة ■ نوعية البرامج المنفذة ■ عدد الجهات المشاركة ■ عدد المشاركين في البرنامج ■ عدد من أتموا البرنامج ■ قياس الأثر القلبي والبعدي.

ضمانات الأداء لبرامج الأمن الفكري في القطاعات العسكرية.

١. النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.
٢. القسم العسكري لمنسوبي القطاعات العسكرية.
٣. نظام خدمة الضباط ونظام خدمة الأفراد وما استمد منهما من إجراءات ولوائح تنفيذية وتعاميم والتي تنص على الولاء التام للمليك والمحافظة على مصالح الدولة والوطن والقوات العسكرية.
٤. الالتزام بقواعد السلوك الوظيفي وأخلاقيات الوظيفة العامة بالنسبة للمدنيين العاملين بالقطاعات العسكرية.
٥. التقيد بقيم وأخلاقيات البيئة العسكرية العامة.
٦. الأنظمة السارية في المملكة العربية السعودية.

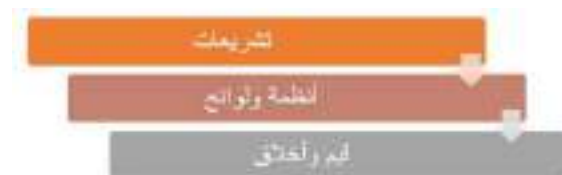


مخرجات مطابقة وصحيحة

تم هذا البحث، وهو مجرد رؤية استشرافية أولية، يمكن تطويرها وتعديلها، وفقاً للمتطلبات الفعلية، للقطاعات العسكرية والأمنية في المملكة العربية السعودية.

نتائج البحث:

١. إمكانية توظيف الأمن الفكري التطبيقي في التصدي المبكر للجيل الجديد من الحروب المستقبلية، ومعالجة الأوضاع الراهنة.
٢. تأسيس مركز وطني مشترك متخصص لمواجهة حروب الجيل الجديد.
٣. الاستفادة من تطبيقات الأمن الفكري العملية في مواجهة تحديات المستقبل الفكرية والأمنية والعسكرية.



إدارة ضمانات الأداء: يتم إدارة ضمانات الأداء من خلال أمرين متلازمين:

١. المحور الوقائي: من خلال تعزيز المعرفة والثقافة بأهمية الأمن الفكري وإدامة البرامج التدريبية.
٢. المحور الإجرائي: متابعة أي متغيرات فكرية أو سلوكية لمنسوبي القطاع ورصدها بشكل مبكر والتعامل معها بما تقتضيه الأنظمة.
٣. المحور العلاجي: من خلال تصميم برامج خاصة للحالات المحتاجة.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Illuminations on the readings in the verses of the prostrations of recitation.

Dr. Abrar Abdullah Ishaq Attar*

*Assistant professor at Taibah University, College of Arts and Human Sciences, Department of Quranic Studies - Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: abrarattar1435@gmail.com

إضاءات على القراءات في آيات سجدة التلاوة.

د. أبرار عبد الله إسحاق عطار*

*أستاذ مساعد بجامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات القرآنية - المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

Readings-Prostrations of recitation-Agreed-the different.

الكلمات المفتاحية

القراءات، سجدة التلاوة، المتفق عليها، المختلف فيها.

ABSTRACT

This research that is titled "Illuminations on the Prostrations in Quranic Recitation" aims to shed light on the Ayahs (Verses) of prostrations in the Quran and extract from them some fundamentalist recitations and variant recitations of some words of the Quran. The research includes an Introduction that addresses the significance of the research, reasons for its choice, previous studies and the research method and plan. I have divided the research into: A Preface and two Topics. The Preface presents introductions to (The Science of the Modes of Quranic Recitation) and its relation to sciences. As for **Topic One**, there is the theoretical study that includes prostrations in Quranic recitations that are agreed and disagreed upon.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. الرغبة في خدمة القرآن الكريم وعلم القراءات والمعتنين بهما.
٢. دراسة سجدة التلاوة والقراءات الواردة فيها.
٣. فضل علم القراءات؛ لتعلقه بأشرف كتاب سماوي، ألا وهو القرآن الكريم.

أهداف البحث ومجتمع الدراسة:

١. الاهتمام بالقراءات الواردة في سجدة التلاوة.
٢. ارتباط القراءات بالأحكام الواردة في القرآن الكريم.
٣. حصر آيات سجدة التلاوة.

يهدف هذا البحث الموسوم بـ(عنوان البحث) إلى إلقاء الضوء على آيات سجدة التلاوة، استخراج ما فيها من قراءات أصولية وفرونية، واحتوى على مقدمة فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته، وقسمته إلى: تمهيد ومبحثين، تحدث التمهيد عن مقدمات في علم القراءات وتعلقه بالعلوم، وأما المبحث الأول: الدراسة النظرية فاحتوى على سجدة التلاوة المتفق عليها والمختلف فيها.

وأما المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية ففيه دراسة القراءات في آيات سجدة التلاوة المتفق عليها والمختلف فيها. هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقني ويسددني إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فإن علم القراءات من أشرف العلوم، وأكثرها تعلقاً بكتاب الله تعالى لفظاً وشكلاً ورسماً ومعنى، وهي متعلقة بآيات الله تعالى وما فيها من أحزاب وسجدة، ورغبة مني في تسليط الضوء على القراءات في آيات السجدة أحببت أن أقدم هذا البحث. أسأل الله التوفيق والعون والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

مشكلة البحث وأسئلته:

١. ماهي القراءات الواردة في آيات سجدة التلاوة؟
٢. ما القراءات الواردة في آيات السجدة المتفق عليها؟
٣. ما القراءات الواردة في آيات السجدة المختلف فيها؟
٤. ما هي سجدة التلاوة المتفق عليها؟
٥. ما هي سجدة التلاوة المختلف فيها؟

الدراسات السابقة:

الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

منهج البحث:

تحليلي استقرائي، مع ذكر المبررات لاختيار المنهج:

١. يعتبر المنهج الاستقرائي دقيقاً في دراسة الظاهرة أو المشكلة.

٢. يمكن الباحث من الحصول على نتائج أقرب للحقيقة.

٣. الموضوعية.

الدراسة التطبيقية

دراسة السجدة المتفق عليها

أما السجدة بالجملة فهي:

- ١- قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} ٢٠٦ {سورة الأعراف: ٢٠٦}.
- ٢- قال تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} ١٥ {سورة الرعد: ١٥}.
- ٣- قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ٥٠ {سورة النحل: ٥٠}.
- ٤- قال تعالى: {وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ يَتَكَوَّنَ مِنْهُمْ خُشُوعًا} ١٠٩ {سورة الإسراء: ١٠٩}.
- ٥- قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَنَبْنَا إِذَا تَنَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ عَائِثَ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} ٥٨ {سورة مريم: ٥٨}.
- ٦- قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} ١٨ {سورة الحج: ١٨}.
- ٧- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ٧٧ {سورة الحج: ٧٧}.
- ٨- قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} ٦٠ {سورة الفرقان: ٦٠}.
- ٩- قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} ٢٦ {سورة النمل: ٢٦}.
- ١٠- قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} ١٥ {سورة السجدة: ١٥}.

١١- قال تعالى: {يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ} [سورة ص: ٢٤].

١٢- قال تعالى: {فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} ٣٨ {سورة فصلت: ٣٨}.

١٣- قال تعالى: {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا} ٦٢ {سورة النجم: ٦٢}.

١٤- قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} ٢١ {سورة الانشقاق: ٢١}.

١٥- قال تعالى: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} ١٩ {سورة العلق: ١٩}.

المطلب الثاني: دراسة السجدة المختلف فيها

عدد السجدة عند الحنفية^٤:

أربع عشرة سجدة، ولم يعدو السجدة الثانية في الحج.

عدد السجدة عند المالكية إحدى عشر سجدة^٥.

ولم يعدوا الثانية ف الحج ولا سجدة النجم ولا الانشقاق ولا العلق.

عدد السجدة عند الشافعية:

أربع عشرة سجدة ولم يعدوا سجدة (ص)، وهو الجديد من مذهب الشافعي.

عدد السجدة عند الحنابلة^٦: المشهور عند الحنابلة يوافق قول الشافعي.

التلاوات الواردة في سجدة التلاوة:

أ. القراءات المتواترة

ب. القراءات الشاذة

١. الأحكام الواردة في سجدة التلاوة في ضوء كتب القراءات

٢. علاقة سجدة التلاوة بعد الآي

١. سجدة التلاوة:

١. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} ٢٠٦ {سورة الأعراف: ٢٠٦}.

الأصول: قرأ الأزرق بترقيق الرء وتخفيفها في (لا يستكبرون)، وقرأ الباقر بتخفيفها.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَرَفَّقَ وَرَشَّ كُلَّ رَاءٍ وَقَبَّلَهَا ... مُسَكَّنَةً يَاءً أَوْ الْكُسْرَ مُوَصَّلًا^٥

٢. قال تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} ١٥ {سورة الرعد: ١٥}.

الأصول: قرأ ورش في (والأرض) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وقرأ حمزة بالسكت ووافقه ابن ذكوان وحفص

وإدريس بخلف عنهم، ووافقه الأعمش بخلف عنه، ولحمزة

^٤ ينظر: النشر: ٢٠٦.

^٥ متن الشاطبية، البيت (٣٤٣)

^١ ينظر: البحر الرائق: ١٢٨/٢

^٢ ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة: ٢٨٣

^٣ ينظر: الإنصاف لابن عبد البر ١٣٦/١

عند الوقف وجهان في (أل) فله النقل والسكت فقط، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَحَرَكَ لَوْشَ كُلِّ سَاكِنٍ آخِرٍ ... صَحِيحٌ بِشَكْلِ الْهَمْزِ وَاحْذَفُهُ مُسْهَلًا^٦
قال الشاطبي: وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الْوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ ... رَوَى خَلْفٌ فِي الْوَصْلِ سَكَنًا مُقْلًا^٧
وَيَسْكُتُ فِي شَيْءٍ وَشَيْئًا وَيَعْضُهُمْ ... لَدَى اللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةٍ تَلَا^٨

قرأ خلف عن حمزة في (طوعاً وكرهاً وظلالهم) بعدم الغنة عند الواو والياء ووافقه المطوعي، وقرأ الباقون بالغنة.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَكُلُّ بَيْنَمَوْ أَدْعَمُوا مَعَ غَنَةٍ ... وَفِي الْوَاوِ وَالْيَا دُونَهَا خَلْفٌ تَلَا^٩

قرأ بصللة الميم في (وظلالهم): قالون بخلفه، وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بسكون الميم.

قرأ ورش بثلاثة البدل في (والأصال)، والباقون بالقصر.

قرأ ورش في (والأصال) بالبدل، وقد تقدم النقل والسكت.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَصِلْ ضَمَّ مِيمِ الْجَمْعِ قَبْلَ مُحَرِّكِ ... بِرَاكًا وَقَالُونَ بِتَخْيِيرِهِ جَلَا^{١٠ ١١}

٣. قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ٥٠ {سورة النحل: ٥٠}.

الأصول: قرأ بصللة الميم في (ربهم، فوقهم): قالون بخلفه، وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بسكون الميم.

قرأ ورش وأبو عمرو بخلف عنه وأبو جعفر (يؤمرون) بإبدال الهمزة واوا وقفا ووصلا، وكذا حمزة عند الوقف ووافق اليزيدي أبا عمرو بخلفه، وقرأ الباقون (يؤمرون) بتحقيق الهمزة.

الشاهد:

قال الشاطبي: إِذَا سَكَتَتْ فَأَمَّ مِنَ الْفِعْلِ هَمْزَةٌ ... فَوْرَشٌ يُرِيهَا حَرْفَ مِيمٍ مُبْدِلًا^{١٢}

قال الشاطبي: وَيُبْدِلُ لِلْسُّوسِيِّ كُلُّ مُسَكَّنٍ ... مِنَ الْهَمْزِ مَدًّا غَيْرَ مَجْرُومٍ أَهْمَلًا^{١٣ ١٤}

٤. قال تعالى: {وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} ١٠٩ {سورة الإسراء: ١٠٩}.

الأصول: قرأ الأزرق بترقيق الراء في (ويخرون)، والباقون بتخفيف الراء.

قرأ ورش في (للأذقان) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وقرأ حمزة بالسكت ووافقه ابن ذكوان وحفص وإدريس بخلف عنهم، ووافقهم الأعمش بخلف عنه، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة.

قرأ بصللة الميم في (ويزيدهم): قالون بخلفه، وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بسكون الميم^{١٥}.

٥. قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} ٥٨ {سورة مريم: ٥٨}.

الأصول: قرأ في (أولئك) الأزرق وحمزة وكذا النقاش عن ابن ذكوان بالمد الطويل ست حركات، ووافقهم الشنبوذي، وقرأ الباقون بالتوسط.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَعَنْ كُلِّهِمْ بِالْمَدِّ مَا قَبْلَ سَاكِنٍ ... وَعِنْدَ سُكُونِ الْوَقْفِ وَجْهَانِ أَصِلًا^{١٦}

قرأ بضم الهاء (عليهم) حمزة ويعقوب ووافقهما الأعمش، وقرأ الباقون بكسر الهاء.

الشاهد:

قال الشاطبي: عَلَيْهِمُ إِلَيْهِمْ حَمْزَةٌ وَلَدَيْهِمْ ... جَمِيعًا بِضَمِّ الْهَاءِ وَقَفًا وَمَوْصِلًا^{١٧}

قرأ بصللة الميم في (عليهم من): قالون بخلفه، وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بسكون الميم.

قرأ الأزرق في (ءادم) بثلاثة البدل.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَمَا بَعْدَ هَمْزٍ ثَابِتٍ أَوْ مُغَيَّرٍ ... فَقَصْرٌ وَقَدْ يُرَوَّى لَوْشَ مُطَوَّلًا^{١٨}

وَوَسَطُهُ قَوْمٌ كَأَمَنْ هُوَ لَا ... ءَالِهَةٌ أَتَى لِلْإِيمَانِ مَثَلًا^{١٩}

قرأ خلف عن حمزة في (نوح ومن) بعدم الغنة عند الواو والياء ووافقه المطوعي، وقرأ الباقون بالغنة.

قرأ أبو جعفر بالتسهيل في (إسرايل) فله في الهمزة الأولى أربعة أوجه: التحقيق مع عدم السكت، والسكت، وكذا النقل، والإدغام وعلى كل له في الهمزة الثانية وجهان:

^{١٢} متن الشاطبية، البيت (٢١٦)

^{١٤} ينظر: النشر: ٢٢٩

^{١٥} ينظر: النشر: ٢٣١

^{١٦} متن الشاطبية، البيت (١٧٦)

^{١٧} متن الشاطبية، البيت (١١٠)

^{١٨} متن الشاطبية، البيت (١٧١)

^{١٩} متن الشاطبية، البيت (١٧٢)

^٦ متن الشاطبية البيت (٢٢٦)

^٧ متن الشاطبية البيت (٢٢٧)

^٨ متن الشاطبية البيت (٢٢٨)

^٩ متن الشاطبية، البيت (٢٨٧)

^{١٠} متن الشاطبية، البيت (١١١)

^{١١} ينظر: النشر: ٢٢٤

^{١٢} متن الشاطبية، البيت (٢١٤)

الشاهد:

قال الشاطبي:

وَضَمُّ بُكْيَا كَسْرُهُ عَنْهُمَا^{٢٦} وَقُلْ ... عُنْيًا صُلْيَا مَعَ جُتْيَا شَدًّا
عَلَا^{٢٨٢٧}

١. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} ١٨ [سورة الحج: ١٨].

الأصول: قرأ ورش في (الأرض) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

وقرأ حمزة بالسكت ووافقه ابن ذكوان وحفص وإدريس بخلف عنهم، ووافقهم الأعمش بخلف عنه، ولحمزة عند الوقف وجهان في (أل) فله النقل والسكت فقط.

وقرأ الباقر بتحقيق الهمزة.

قرأ الأزرق بترقيق الراء في (وكثير من)، (وكثير حق) وقرأ الباقر بتخميمها.

قرأ الدوري عن أبي عمرو بإمالة (الناس) بخلف عنه، ووافقه اليزيدي، وقرأ الباقر بالفتح.

الشاهد:

قال الشاطبي:

وَفِي الْكَافِرُونَ عَابِدُونَ وَعَابِدٌ ... وَخُلْفُهُمْ فِي النَّاسِ فِي الْجَرِّ
خُصَلَا^{٢٩}

قرأ خلف عن حمزة في (ومن يهن) بعدم الغنة عند الياء ووافقه المطوعي، وقرأ الباقر بالغنة.

قرأ حمزة وهشام بخلفه على (يشاء) في حالة الوقف أبدلاً الهمزة ألفاً مع القصر والتوسط والمد، ولهما أيضاً التسهيل بروم مع القصر والمد، لكن حمزة في هذين الوجهين أطول مدّاً من هشام.

لحمزة وهشام خمسة أوجه القياس: الإبدال لهما ألفاً مع الإشباع والتوسط والقصر، ولحمزة تسهيل بالروم مع إشباع وقصر، ولهشام تسهيل بروم مع توسط وقصر.

الشاهد:

قال الشاطبي:

التسهيل مع المد والقصر فقط، ووافقه الأعمش بخلفه، وقرأ الباقر بتحقيق الهمز وقفاً ووصلاً.

قرأ أبو جعفر بالتسهيل في (إسرائيل) فله في الهمزة الأولى أربعة أوجه: التحقيق مع عدم السكت، والسكت، وكذا النقل، والإدغام وعلى كل له في الهمزة الثانية وجهان: التسهيل مع المد والقصر فقط، ووافقه الأعمش بخلفه، وقرأ الباقر بتحقيق الهمز وقفاً ووصلاً.

(وإسرائيل): أبو جعفر بالتسهيل مع المد والقصر، وحمزة وقفاً، والباقر بالتحقيق.

(وإسرائيل) قرأ حمزة بالسكت، قرأ الباقر بالتحقيق.

(تتلى) بالإمالة لحمزة والكسائي وخلف العاشر، وبالتقليل لورش بخلف عنه.

الشاهد: ٣١٤ وَذَوَاتِ أَلْيَا لَهُ الْخُلْفُ
جُمَلَا^{٢٠}

قرأ في (عليهم آيات) قالون والأصبهاني بصلة الميم مع القصر والتوسط، وقرأ الأزرق بالصلة مع المد ست حركات، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر بالصلة مع القصر قولاً واحداً، وقرأ حمزة بخلف عنه بالسكت، وبذلك قرأ ابن ذكوان وحفص وإدريس بخلف عنهم.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَمِنْ قَبْلِ هَمْزِ الْقَطْعِ صَلَاحُ لَوْرْشِهِمْ ... وَأَسْكَنَهَا الْبَاقُونَ بَعْدَ لِنْكَمَلَا^{٢١}

قرأ خلف عن حمزة في (سجداً وبكياً) بعدم الغنة عند الواو ووافقه المطوعي، وقرأ الباقر بالغنة.

الفرش: قرأ نافع (النبئين) بالهمز، وقرأ الباقر بالياء.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَجَمْعاً وَقَرْدَاً فِي النَّبِيِّ وَفِي النَّبُو ... ءَةِ
الْهَمْزُ كُلُّ غَيْرِ نَافِعٍ ابْدَلَا^{٢٢}

قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان (إبراهيم)، وقرأ الباقر (إبراهيم) بكسر الهاء وياء تحتية بعدها.

الشاهد:

قال الشاطبي: وَفِيهَا وَفِي نَصِّ النِّسَاءِ ثَلَاثَةٌ ... أَوَاخِرُ
إِبْرَاهِيمَ لَأَخَ وَجَمَلَا^{٢٣}

وَمَعَ آخِرِ الْأَنْعَامِ حَرْفًا بَرَاءَةً ... أَخيراً وَتَحْتَ
الرَّعْدِ حَرْفٌ تَنَزَّلَا^{٢٤}

وَفِي مَرْيَمَ^{٢٥}

قرأ حمزة والكسائي (وبكياً) بكسر الباء الموحدة، ووافقهما الأعمش، وقرأ الباقر (وبكياً) بالضم.

^{٢٥} متن الشاطبية، البيت (٤٨٢)
^{٢٦} يعود على رمز البيت الذي قبله، لفظ (شاع)

^{٢٧} متن الشاطبية، البيت (٨٦١)

^{٢٨} ينظر: النشر: ٢٣٩٠

^{٢٩} متن الشاطبية البيت (٣٣١)

^{٢٠} متن الشاطبية، البيت (٣١٤)

^{٢١} متن الشاطبية، البيت (١١٢)

^{٢٢} متن الشاطبية، البيت (٤٥٨)

^{٢٣} متن الشاطبية، البيت (٤٨٠)

^{٢٤} متن الشاطبية، البيت (٤٨١)

وَحَمَزُهُ عِنْدَ الْوَقْفِ سَهْلٌ هَمْزُهُ ... إِذَا كَانَ وَسْطًا أَوْ تَطَرَّفَ
مَنْزِلًا^{٣٠}

فَأَبْدَلُهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّنًا ... وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ
تَنَزَّلَا^{٣١}

٢. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا
رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [٧٧] {سورة الحج: ٧٧}.
الأصول: (يأيها) قرأ قالون والأصبهاني وأبو عمرو
ويعقوب بالقصر وفوق القصر، قرأ الأزرق وحمزة
بالإشباع، قرأ ابن كثير وأبو جعفر بالقصر، قرأ هشام
بالقصر والتوسط، قرأ ابن ذكوان بالتوسط والإشباع، قرأ
شعبة بالتوسط وفوق التوسط، قرأ حفص بالقصر والتوسط
وفوق التوسط، قرأ الكسائي وخلف العاشر بالتوسط فقط.

الشاهد:

قال الشاطبي:

إِذَا أَلِفٌ أَوْ يَاءُهَا بَعْدَ كَسْرَةٍ ... أَوْ الْوَاوُ عَنْ ضَمٍّ لَقِيَ الْهَمْزُ
طَوَّلَا^{٣٢}

فَإِنْ يَنْفَصِلُ فَالْقَصْرُ بَادِرُهُ طَالِبًا ... بِخُلْفِهِمَا يُزَوِّجُكَ دَرًّا
وَمُخَصَّلًا^{٣٣}

لحمزة عند الوقف: تحقيق الهمزة بالسكت وعدمه، وتسهيل
الهمزة مع المد والقصر.

للأزرق ثلاثة البدل في (ءامنوا)، الباقون بقصر البدل.

قرأ بصلة الميم في (ربكم، لعلمكم): قالون بخلفه، وابن كثير
وأبو جعفر، والباقون بسكون الميم.

قرأ الأزرق بترقيق الراء في (الخير)، وقرأ الباقون
بتفخيمها^{٣٤}.

٣. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا
الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [٦٠] {سورة
الفرقان: ٦٠}.

الأصول: قرأ (وزادهم) حمزة وابن عامر بخلف عنه بإمالة
محضة وافق الأعمش حمزة، وقرأ الباقون بالفتح.

قرأ بصلة الميم في (وزادهم نفورا) قالون بالصلة وعدمه،
ابن كثير وأبو جعفر بالصلة، الباقون بترك الصلة.

(تأمرنا) بإبدال الهمز ورش والسوسي، الباقون بالتحقيق.

الفرش: (قيل) قرأ هشام والكسائي ورويس (قيل) بالإشباع
ووافقهم الحسن والشنوبذي، وقرأ الباقون (قيل) بكسر القاف.

(قيل لهم) قرأ بالإدغام السوسي.

الشاهد:

قال الشاطبي:

وَدُونِكَ الْإِدْغَامُ الْكَبِيرُ وَقُطْبُهُ ... أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ فِيهِ
تَحَقُّلًا^{٣٥}

قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بالياء التحتية ووافقهما
الأعمش، وقرأ حمزة (يأمرنا) بالياء مع إبدال الهمزة ألفا
خالصة عند الوقف. وقرأ ورش وأبو عمرو بخلف عنه وأبو
جعفر (تأمرنا) بإبدال الهمزة ألفا وقفا ووصلا، ووافقهم
اليزيدي بخلفه، وقرأ الباقون (تأمرنا) بالتاء الفوقية وتحقيق
الهمز وقفا ووصلا^{٣٦}.

٤. قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [٢٦]
[سورة النمل: ٢٦].

الأصول: (الله لا إله إلا هو) قرأ قالون والأصبهاني وأبو
عمرو ويعقوب بالقصر وفوق القصر، قرأ الأزرق وحمزة
بالإشباع، قرأ ابن كثير وأبو جعفر بالقصر، قرأ هشام
بالقصر والتوسط، قرأ ابن ذكوان بالتوسط والإشباع، قرأ
شعبة بالتوسط وفوق التوسط، قرأ حفص بالقصر والتوسط
وفوق التوسط، قرأ الكسائي وخلف العاشر بالتوسط فقط.

مد التعظيم يجوز مده أربع حركات عند من يقصر
المنفصل^{٣٧}.

٥. قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا
سُجْدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [١٥] {سورة
السجدة: ١٥}.

الأصول (يؤمن) بإبدال الهمز ورش والسوسي، وأبو جعفر،
وحمزة وقفاً، الباقون بالتحقيق.

(بناياتنا) بثلاثة البدل لورش، بالإبدال لحمزة وقفاً، الباقون
بالتحقيق.

(ذكروا) (لا يستكبرون) بترقيق الراء الأزرق، الباقون
بتفخيم الراء.

(سجداً وسبحوا) بعدم الغنة لخلف عن حمزة ووافقه
المطوعي، الباقون بالغنة.

(ربهم وهم لا) صلة الميم لقالون بخلفه، وابن كثير قولاً
واحداً، وأبو جعفر، الباقون بترك الصلة.

(لا يستكبرون) ترقيق الراء للأزرق، تفخيم الراء للباقيون^{٣٨}.

٦. قال تعالى: {فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} [٣٨] {سورة فصلت: ٣٨}.

الأصول: (والنهار) بالإمالة لأبي عمرو ودوري الكسائي،
وبالتقليل لورش، الباقون بالفتح.

^{٣٥} ينظر: النشر: ٢٤٥

^{٣٦} متن الشاطبية البيت (١١٦)

^{٣٧} ينظر: النشر: ٢٥٠

^{٣٨} ينظر: النشر: ٢٥٢

^{٣٩} ينظر: النشر: ٢٦٠

^{٣٠} متن الشاطبية البيت (٢٣٥)

^{٣١} متن الشاطبية البيت (٢٣٦)

^{٣٢} ينظر: النشر: ٢٤٤

^{٣٣} متن الشاطبية البيت (١٦٨)

^{٣٤} متن الشاطبية البيت (١٦٩)

الشاهد:

قال الشاطبي:

وَفِي أَلْفَاتٍ قَبْلَ رَا طَرْفٍ أَنْتَ ... بِكُسْرِ أَمِلْ تُدْعَى حَمِيداً وَتُقْبَلُ^{٤٠}

(وهم لا) صلة الميم لقالون بخلفه، وابن كثير قولاً واحداً، وأبو جعفر، الباقر بن ترك الصلة.

(لا يسئمون) بالنقل لحمزة وقفاً، وبالسكت عن طريق الطيبة، الباقر بالتحقيق^{٤١}.

٧. قال تعالى: {وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} ٦٢ {سورة النجم: ٦٢}. لا يوجد فيها خلافات.

٨. قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} ٢١ {سورة الانشقاق: ٢١}.

الأصول: (عليهم) بكسر الميم أبو عمرو، بضم الهاء والميم حمزة والكسائي، الباقر بكسر الهاء وضم الميم.

(القرآن) النقل لابن كثير، والنقل لحمزة وقفاً، الباقر بالتحقيق^{٤٢}.

الشاهد:

قال الشاطبي:

وَنَقُلْ قُرْآنَ وَالْقُرْآنَ دَوَاؤُنَا^{٤٣} ...

٩. قال تعالى: {كَلَّا لَا تَطْعَمُ وَلَا تَشْبَىٰ وَأَقْتَرِبَ} ١٩ {سورة العلق: ١٩}.

الأصول: قرأ ابن كثير بصلة الهاء، الباقر من غير صلة^{٤٤}.

الشاهد:

قال الشاطبي:

١٥٨ - وَلَمْ يَصِلُوا هَا مُضْمَرٍ قَبْلَ سَاكِنٍ ... وَمَا قَبْلَهُ

التَّحْرِيكُ لِلْكَلِّ وَصَلًا

١٥٩ - وَمَا قَبْلَهُ التَّسْكِينُ لِابْنِ كَثِيرٍ هَمْ ... وَفِيهِ مُهَانًا مَعَهُ حَقْصٌ أَخُو وَلَا^{٤٥}

نتائج البحث ومناقشتها:

إنَّ علم القراءات له أصول وأسانيد متصلة إلى الذات الإلهية المنزلة للقرآن الكريم، المتضمن هذا العلم.

التوصيات والمقترحات:

على طلاب العلم ومن سلك طريق الباحثين سواء في المعاهد والمدارس والجامعات أن يختار المواضيع المتعلقة بالقراءات.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على نبيه المبعوث بالهدى والرحمات، وعلى آله وصحبه وسلم.

فمن خلال هذا البحث وقفت على فوائد ناعمة، وعلوم جامعة، لم أكن أحيط بها علماً لولا أن هداني الله إليها بفتحه وتوفيقه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي.

٤- الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر بهامش مصحف القراءات التعليمي بالترميز اللوني، تأليف أ.د. أحمد عيسى المعصراوي، دار الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٥- متن الشاطبية = حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف الرعيني، أبو محمد الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية.

٦- المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، عبد الوهاب البغدادي، تحقيق ودراسة

حميش عبد الحق، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٧- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨- طَبَيَّةُ النَّشْرِ فِي الْقَرَاءَاتِ الْعَشْرِ، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)

تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

^{٤٣} متن الشاطبية البيت (٥٠٢)

^{٤٤} ينظر: النشر: ٣٠٠

^{٤٥} متن الشاطبية، البيت (١٥٨-١٥٩)

^{٤٠} متن الشاطبية البيت (٣٢١)

^{٤١} ينظر: النشر: ٢٧٤

^{٤٢} ينظر: النشر: ٢٩٨

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The system of Islamic diplomatic representation in the Middle Ages: the purposes of delegations and envoys as an example "A historical study in light of books on jurisprudence, law, and administration"

Prof. Aisha Marshoud Hamid Al-Harbi*

*Professor of Medieval History, Department of Social Sciences, College of Arts and Human Sciences, Taibah University, Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: Ay.1430@hotmail.com

نظام التمثيل الدبلوماسي الإسلامي في العصور الوسطى: أغراض الوفود والمبعوثين أنموذجاً "دراسة تاريخية في ضوء كتب الفقه والقانون والإدارة"

أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي*

*أستاذ التاريخ الوسيط بقسم العلوم الاجتماعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة - المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

diplomatic representation, the Middle Ages, delegations, envoys, foreign relations.

الكلمات المفتاحية

التمثيل الدبلوماسي، العصور الوسطى، الوفود، المبعوثين، العلاقات الخارجية.

ABSTRACT

The aim of this research is to study the system of Islamic diplomatic representation in the Middle Ages, as this representation was linked to the existence of states in various historical eras. Because there are multiple common purposes and interests between these countries and they are organized through diplomatic missions and delegations, and through this research the depths of medieval Islamic history will be explored and various images will be presented for the purposes of diplomatic delegations, as they played a major role in foreign international relations, in their various aspects such as cultural, political and social. And economic. Islamic law has applied the moral and humanitarian concepts of diplomacy.

مستخلص البحث:

هدف هذا البحث الى دراسة نظام التمثيل الدبلوماسي الإسلامي في العصور الوسطى، حيث ارتبط هذا التمثيل بوجود الدول على مختلف العصور التاريخية؛ لأن هناك أغراضاً ومصالحاً مشتركة متعددة بين هذه الدول، ويتم تنظيمها عن طريق البعثات والوفود الدبلوماسية، ومن خلال هذا البحث سيتم سبر أغوار التاريخ الإسلامي الوسيط، وطرح صور متنوعة لأغراض الوفود الدبلوماسية، حيث قامت بدور كبير في العلاقات الدولية الخارجية، في جوانبها المختلفة، مثل: الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وقد طبقت الشريعة الإسلامية المفاهيم الأخلاقية والإنسانية للدبلوماسية.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة موضوعاً جديراً بالاهتمام؛ لمواكبته لعصرنا الحاضر ومستجداته فيما يتعلق بالتمثيل الدبلوماسي الدولي وأغراضه، وبناء على ذلك جاء اختيار هذا البحث المسمى بـ: "نظام التمثيل الدبلوماسي الإسلامي في العصور الوسطى: أغراض الوفود والمبعوثين أنموذجاً".

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط التالية:
- إظهار سمو وسماحة الشريعة الإسلامية حيث سمحت للمسلمين بعقد الاتفاقيات والمعاهدات طبقاً للمصلحة العامة مع غير المسلمين.
- إلقاء الضوء على مدى انعكاس تأثير تعاليم الشريعة الإسلامية في نفوس الحكام المسلمين، إذ يلتزمون بنصوص وبنود الاتفاقيات والهدن؛ احتراماً للعهود والمواثيق.
- الكشف عن تفاصيل مفاوضات المبعوثين؛ لأنها غالباً ما تكون في طي الكتمان، ولا تداع أسرارها آنذاك حفاظاً على مصالح الدولتين المتحالفتين.

أسباب اختيار البحث:

هناك عدة أسباب دعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع:
- محاولة لإبراز صورة مشرقة عن طبيعة العلاقات السلمية بين المسلمين والأمم الأخرى حتى غير المسلمة.
- تزويد المكتبة بموضوعات متخصصة في الدبلوماسية الإسلامية.

- الرغبة في معرفة الجذور التاريخية لنشأة نظام التمثيل الدبلوماسي في الدول والحضارات القديمة.
- إن الواقع الذي نعيشه اليوم، وظهور أهمية الدبلوماسية في العلاقات الدولية الخارجية، يحتم على الباحثة دراستها؛ للكشف عن نتائج تخدم هذا المجال.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور عدة:
- عرض نماذج من الاتصالات السلمية الرسمية بين الدول الإسلامية والدول الأخرى.
- توضيح جهود المبعوثين في عقد الاتفاقيات والمعاهدات والهدن.
- تقديم صورة عامة عن أوضاع الدول الإسلامية عبر عصورها المختلفة، وطبيعة علاقاتها الخارجية مع الدول المجاورة.

مشكلة البحث وأسئلته:

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن نظام التمثيل الدبلوماسي اليوم احتل الصدارة في رسم طبيعة العلاقات الدولية فيما بينها، ومايسودها من سلم أو حرب؛ ولذا تم تبادل المبعوثين لتحقيق أغراض مختلفة في ميادين شتى.

ويسعى هذا البحث للإجابة على الأسئلة التالية:

- ما موقف الشريعة الإسلامية من التعارف بين الأمم المختلفة؟
- ما أثر تبادل التمثيل الدبلوماسي على العلاقات الدولية؟
- ما أبرز المهام التي تسند للمبعوثين؟

خطة البحث:

جاءت خطة الكتابة في هذا الموضوع كما يلي:
- المقدمة، وتشمل الإشارة إلى موضوع
- البحث، وأهدافه، وأهميته، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وأسئلته، وخطته والمنهج الذي اعتمد عليه.
- المبحث الأول: عن نشأة العلاقات الإنسانية منذ القدم.
- المبحث الثاني: عن أغراض الوفود والمبعوثين.
- الخاتمة: اشتملت على أهم نتائج وتوصيات البحث، ثم تلاها قائمة بالمصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي منهجاً وصفيًا، وآخر تحليليًا؛ لأن القصد وصف محاور البحث بشكل دقيق، ودراستها من كافة الجوانب التاريخية، والفقهية، والقانونية، والإدارية، من خلال المصادر والمراجع المتنوعة، ثم تحليل النتائج المترتبة على كل بعثة دبلوماسية.

أولاً: العلاقات الإنسانية منذ القدم

لم يكن بمقدور الجماعات البشرية منذ القدم أن تستطيع الحياة في عزلة تامة عن المجتمعات الأخرى، مهما تعددت هذه الجماعات، سواء كانت قبائل، أو عشائر، أو في صورتها الحالية السياسية التي تتمثل في الدول^(١).

وكانت تلك الجماعات البشرية منذ القدم بطبيعتها الاجتماعية التي فرضت عليها أنماطاً من التواصل والتعاون فيما بينها؛ وذلك بغرض البحث عن حلول للمشاكل التي تواجهها بأسبابها المختلفة، أو سعياً لتفادي الحرب، وإيجاد الحلول السلمية كحل بديل عنها^(٢).

وواقع الأمر: أنه مع تقدم الزمن وتطور الحياة اتسع نطاق المعاملات الدبلوماسية بين الدول، وتشابكت مصالحها، وأصبح اتصالها ببعضها ضرورةً لاستتيعام بدونها حياتها.

ومن منطلق العلاقات التي تقيمها الدول فيما بينها، وحاجتها أن توفق بين مصالحها إذا ما تعارضت، فضلاً عن رغبتها في تسوية الخلافات التي قد تنشأ بينهما؛ كل هذا يقتضي التفاوض والتشاور بينهما من آن لآخر، كما يحتم عقد اتفاقات بحسب ما يقتضي ذلك من مسائل^(٣). وتلك هي مهمة السفير أو الرسول، أو ما يطلق عليه أحياناً المبعوث، أو الوافد، أو القاصد.

وبالإضافة إلى ذلك شاعت إرادة الله - عز وجل - أن تجعل في الإنسان نوعاً من النزوع إلى التعايش مع الآخرين والالتقاء بهم، ومن هذا المنطلق نشأت العلاقات بين الأمم الإنسانية، ومن هنا كان لزماً للأمم في علاقاتها مع غيرها أن تكون لها قوانين ومبادئ تحكمها، ومن ثم تبني عليها أساس العلاقات في حالتها السلم والحرب^(٤).

ولقد جاء الإسلام ليقرر مبدأً يكون أساساً للتعامل بين الأفراد والجماعات والدول، قال - تعالى -: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣].

يفهم من هذه الآية أن العلاقة بين البشر الأصل فيها السلم والتعارف؛ إذ يُعتبر هو الأصل في ربط الأفراد بعضهم ببعض، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً^(٥). ونظراً لرغبة المجتمع الدولي في إقامة العلاقات الدبلوماسية بأغراضها المختلفة أدى ذلك إلى تبادل البعثات التمثيلية مع بعضهم

(١) عثمان جمعة ضميرية: منهج الإسلام في الحرب والسلام، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٩٨١م، ص ١٥.

(٢) عمر أحمد الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، المنشأة العامة، طرابلس، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٣٦.

(١) علي صادق أبوهيف: القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٩.

(٢) هاني الرضا: الدبلوماسية: تاريخها، قوانينها، وأصولها، دار المنهل، بيروت، ط ١، ١٩٧٧م، ص ٥.

(٣) علي صادق أبوهيف: القانون الدبلوماسي، ص ١٠.

لعل هذه الوظيفة من الوظائف التي تميز البعثات الإسلامية من البعثات الأخرى؛ لأن الإسلام كدين ودولة، وباعتبارها المهمة التي وضعت على عاتق النبي - عليه الصلاة والسلام - والمسلمين، ولا بد أن يجاهدوا في سبيل نشر الدعوة الإسلامية إلى مختلف العالم بكل الوسائل.

وقد مارس الرسول - عليه الصلاة والسلام - هذه المهمة على نطاق واسع^(١٣)، فأرسل دحية بن خليفة الكلبي^(١٤) إلى قيصر الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي^(١٥) إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية^(١٦) إلى النجاشي ملك الحبشة^(١٧)، وبعث حاطب بن أبي بلتعة^(١٨) إلى المقوقس ملك مصر وغيرهم^(١٩) قال -تعالى-: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ الْمُبِينِ) [النور: ٥٤].

لقد تضافرت آيات كثيرة على تقرير هذا المعنى وتوكيده في بيان مهمة الرسول وشأنه في الدعوة إلى دين الله بالحسنى وليس بالإكراه؛ لأن الإيمان الذي يجيء عن طريق الإكراه لا قيمة له^(٢٠). إذ قال -تعالى-: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: ٢٥٦].

وهذا يؤكد أيضاً الحرية في الاعتقاد والدين، وأن الرسل يقتصر دورهم على التبليغ والإنذار والتبشير^(٢١).

وكذلك عندما تقد الوفود للنبي - عليه الصلاة والسلام - لتعلن دخولها في الإسلام، فيبايع من يسلم منهم على الإسلام، ويبعث الرسل من أصحابه إلى القبائل في منازلها، يفقهونهم في الدين، ويعلمونهم السنن والشرائع.

البعض^(٢٢)، والدبلوماسية مصطلح غربي انتقل إلى أغلب اللغات، وهو المصطلح المستعمل في الوقت الحاضر^(٢٣).

ثانياً: أغراض الوفود والمبعوثين:

كان تبادل الممثلين الدبلوماسيين بين الأمم والدول يهدف إلى تحقيق أغراض وأهداف عدة، نذكر منها:

توطيد العلاقات بين الدول:

مما لا شك فيه أن تبادل الوفود والمبعوثين الدبلوماسيين يعتبر مظهراً من مظاهر العلاقات السلمية بين الدول، بل ووسيلة من وسائل تنمية وتوطيد هذه العلاقات فيما بينها^(٢٤). وهذا أيضاً هو الهدف الذي سعى إليه حكام الدول الإسلامية؛ إذ تعمل هذه البعثات على توثيق العلاقات على الصعيد السياسي والاجتماعي^(٢٥).

التفاوض:

عادة ما يسند إلى مبعوث الدولة الإسلامية مهمة التفاوض مع السلطات المسؤولة في الدولة الموفد إليها بشأن التوصل إلى اتفاق بين الدولتين، بهدف إبرام معاهدة هدنة، أو معاهدة التبادل التجاري والاقتصادي^(٢٦). أو معاهدة خاصة بأوضاع رعايا كل من الدولتين في الدولة الأخرى^(٢٧).

ومبدأ قبول الهدنة مأخوذ من قوله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الأنفال: ٦١].^(٢٨)

نشر الدعوة الإسلامية:

عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر ابن الأثير: أسد الغابة، م ٣، ص ٢١١-٢١٣.

(١٦) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن كعب بن بكر الكنانى الضمري يكنى أبا أمية، بعثه النبي ﷺ وحده عيناً إلى قريش، وأرسله إلى النجاشي وكيلاً، ثم هاجر إلى المدينة، وقد أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وتوفي عمرو آخر أيام معاوية قبل الستين، انظر ابن الأثير: أسد الغابة، م ٤، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(١٧) عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، دار الطباعة، جامعة الخرطوم، السودان، ١٩٧٢م، ص ٣٥.

(١٨) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة من بني خلفة، وكنيته أبو عبد الله، وقد شهد بدرأ والحديبية، وأرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس، صاحب الإسكندرية، سنة ست، وبعث المقوقس معه هدية للرسول ﷺ ومنها مارية القبطية، وتوفي حاطب سنة ثلاثين، وصلى عليه عثمان، وكان عمره خمساً وستين سنة.

انظر ابن الأثير: أسد الغابة، م ١، ص ٤٣١ - ٤٣٣.

(١٩) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٣٠؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢٨، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٨، ص ١٢٦؛ وأيضاً حامد سلطان: أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٠٠، محمد مصطفى & حسن الشاذلي: العلاقات الدولية، دار الهدى، مصر، ١٩٧٩م، ص ٩٦؛ أمين سعيد، نشأة الدولة الإسلامية، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٣٤م، ص ١٢١؛ عبد الوهاب كززيه: الشرع الدولي في عهد الرسول، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٠٢ - ١٠٤.

(٢٠) محمود شلتوت: الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، مكتب شيخ الجامع الأزهر، الرسالة الأولى، ص ٢٢.

(٢١) عبد القادر عودة: الإسلام وأوضاعنا القانونية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٤، ١٩٨٢م، ص ١٠٩.

(٢٢) عبد الفتاح الرشدان ومحمد موسى: أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٠.

(٢٣) سهيل حسين الفتلاوي: القانون الدبلوماسي، دار الثقافة للنشر، عمان، ٢٠١٠م، ص ١٧.

(٢٤) أحمد أبو الوفا: القانون الدبلوماسي الإسلامي، ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢١٧.

(٢٥) أنيس الأبيض: بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ج ١، برس، طرابلس، ١٩٩٤م، ص ١٦١.

(٢٦) وهبة الزحيلي: العلاقات الدولية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢٧) أحمد عبد الويس شتا: الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٣٧؛ هاني الرضا: دبلوماسية، ص ٨٦.

(٢٨) عبد الوهاب خلاف: السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار، مصر، ١٩٧٧م، ص ٦٩.

(٢٩) جعفر عبد السلام، قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، مكتبة السلام، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، ص ٢٤٩.

(٣٠) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف ابن كلب ابن وبرة الكلبي، صاحب رسول الله ﷺ، شهد أحداً وما بعدها، وكان جبريل يأتي الرسول أحياناً في صورته، وبعثه رسول الله إلى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة، فأمن به قيصر وامتنع عليه بطارفته.

انظر ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧، تحقيق محمد البنا، محمد عاشور دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م، م ٢، ص ١٥٨.

(٣١) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا حذافة، وقد أسلم قديماً وصحب رسول الله ﷺ وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حذافة. وتوفي عبد الله بمصر في خلافة

(٢٦) لاستخراج الكتب النادرة التي يحتاج إليها المسلمون في دراساتهم.

ومن تلك الوفود ما بعث به الخليفة العباسي المنصور إلى القسطنطينية (٢٧) حيث عاد العلماء العرب ومعهم مختارات من الكتب النادرة كان من بينها كتاب إقليدس (٢٨). وكذلك كانت هناك مراسلات بين الخليفة المأمون وملك الروم (٢٩) يسأله الإذن في البحث عما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم، فأجابته إلى ذلك، فأنفذ إليه المأمون جماعة من العلماء، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، ثم قاموا بترجمته.

وكذلك كان من شروط صلح المأمون مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث (٨٤٢) Michel III (٨٤٢ - ٨٦٧م) أن يعطيه مكتبة من مكتبات الأستانة (٣٠). فتم له ذلك (٣١). ووجد فيها كتاب بطليموس في الرياضة السماوية (علم الفلك)، فأمر بترجمته وسماه المجسطي (٣٢).

كما ترددت أيضاً البعثات بين المأمون والإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩ - ٨٤٢م). وذلك بشأن العالم الفلكي المهندس ليو، فقد عرض المأمون على الإمبراطور صلحاً دائماً، وألفي قطعة ذهبية في مقابل حضور هذا العالم إليه، ولكن ثيوفيل رفض عرض المأمون؛ لأن أبحاث ليو كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة العسكرية (٣٣). كما أن هناك بعض البعثات كانت تهدف إلى دراسة الأماكن التاريخية التي تتعلق بأحداث

فمن المعروف أن مصعب بن عمير (٢٢) كان مبعوث الرسول الذي أرسله النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى المدينة لتعليم أهلها الدين الجديد. وقد أسلم على يديه كثير من الناس (٢٣).

تدعيم الروابط الثقافية:

لقد سعت الوفود الإسلامية بنشاطاتها المختلفة إلى تدعيم العلاقات الثقافية، والاتصال بالحضارات القديمة، ونقل كتب الإغريق وفلسفتهم، وكذلك استجلاب العلماء وتشجيع التبادل الثقافي (٢٤).

والأمر الذي لا شك فيه أن العرب سبقوا غيرهم من الدول في فهم وإدراك قيمة العلاقات الثقافية، في تدعيم الروابط بين الشعوب والدول المختلفة، وكانت ترسل وفوداً خاصة لهذا الغرض، فالثقافة مدخل لتقوية العلاقات، وكذلك مدخل للوصول بين الشعوب (٢٥).

فقد درج خلفاء الدولة العباسية الأوائل على إنفاذ الوفود الثقافية من أجل توثيق علاقاتها مع الروم؛ إذ يتبادل الجانبان الكتب والرسائل التي كانت تصاغ في أساليب ودية، ثم يدخل في مفاوضات أسفرت عن معاهدات لإقرار التبادل الثقافي، وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التي تتوافر لدى الجانبين في مكتبتهما العامة، وتبادل البعثات العلمية، وتيسير مهام الطلاب والباحثين في جامعات المسلمين والبيزنطيين.

ولتحقيق هذا الغرض سارت الوفود العلمية الإسلامية إلى بيزنطة، وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية

تحقيق محمد عبد المنعم، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص ٣٥٧.

(٢٧) الجيشاري: كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٨م، ص ١٣٣. (٢٨) ابن خلدون: المقدمة، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٣، ص ١٠٩، عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ١٤٣.

(٢٩) ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ٣٠١. وعن أثر المسلمين في تطوير حضارة الغرب انظر جورج يعقوب: أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة فؤاد علي، مطبعة مصر، القاهرة، ط ١٩٤٦م.

(٣٠) الأستانة: المقصود بها إستانبول، أي القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية آنذاك، انظر أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص ٨٣.

(٣١) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج١٠، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٤، ١٩٧٠م، ج٣، ص ٢٥٠؛ حسن فتح الباب: «من تاريخ السفارات الثقافية الإسلامية» مجلة العربي، الكويت، ٧١ع، ص ٦٦.

(٣٢) تاج السحرا: العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرشد، الرياض، ط٤، ٢٠٠٤م، ص ١٠٥.

(٣٣) حسن فتح الباب: من تاريخ السفارات الثقافية، ص ٦٧؛ عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية، ص ١٤٣؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكاتب، القاهرة، ص ٤٠٢؛ محمد عبد العليم مرسي: هجرة العلماء من العالم الإسلامية، مركز البحوث، دار عالم الكتب، ١٩٨٤م، ص ٢٢ - ٢٥. ولمعرفة دور المأمون في تشجيع العلماء أنظر أبي الخطاب: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس الغزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م، ص ٤٨.

(٢٢) مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، ويكنى أبا عبد الله، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكنم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم عاد من الحبشة إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة ليعلم الناس القرآن ويصلي بهم، وقد استشهد يوم أحد، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ. انظر ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص ١٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٩، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٣، ص ١١٧ - ١٢١.

(٢٣) أمين دويدار: الفتح المبين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢١١.

(٢٤) إبراهيم أحمد العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوروبا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٨.

(٢٥) محمد التابعي: السفارات في الإسلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٣٥.

(٢٦) القسطنطينية: مدينة أزيقية كبيرة ذات قلعة حصينة، وهي على ثلاثة أنهار عظام، ولها أكثر من مائة باب، وقد عمرها ملك الروم قسطنطين فسميت باسمه، ولا يوجد في العالم من يضارعها في الفخامة والثراء، إذ يقال: خراج العاصمة وحدها يبلغ عشرين ألف فلورين ذهباً في اليوم الواحد، ويأتيها هذا الخراج من الأسواق، والمتاجر، والمكوس التي يؤديها التجار الذين يفنون إليها براً وبحراً. انظر بنيامين التطيلي: الرحلة، ترجمة عزرا حداد، ط١، ١٩٤٥م، بغداد، ص ٧٩؛ الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص ٣٤٧، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج٢،

وفي عام ٦٥٢هـ / ١٢٥٨م أوفدت الرسل من قبل الخليفة المستعصم ليصلح بين الملك الناصر صاحب دمشق وبين الملك المعز أبيك.

وكانت المصالحات تجري بشروط ويعقبها حلف يمين. يدل على ذلك أنه لما وقع الاختلاف بين الملك العزيز ابن صلاح الدين وأخيه الملك الأفضل وعمهما الملك العادل توسط بأمور الصلح بينهم فخر الدين شيخ الشيوخ، وأمر بعمل نسخة اليمين. وهي جامعة لكل ما تم عليه الصلح، وبعث كل ملك أميراً من أمرائه ليحضر الحلف، فاجتمعوا وحلفوا على ما في النسخة في عام ٥٩٠هـ / ١١٩٦م^(٤٧).

المناقشات الدينية:

إن حرية المناقشة الدينية والحوار في شؤون العقيدة مكفولتان للمسلمين ولغير المسلمين. ما دام ذلك في حدود النظام العام ولا يدعو إلى الفتنة ولا يثير الشقاق. من منطلق قوله تعالى: (وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النكبات: ٤٦]، وقال سبحانه أيضاً: (وَجِدْلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].

فقد خرج قوم من الخوارج على الخليفة عمر بن عبد العزيز في عهده، وخالفوا الأمة في اعتقادهم. فأعطاهم الخليفة حقهم في أن يكون لهم اقتناعهم^(٤٨).

كما رأى أن من واجبه منحهم فرصة التعبير عن رأيهم بصوت مرتفع مادام نشاطهم يقتصر على النقاش والمناظرة، فأرسل إلى زعيمها يقول: «أما بعد، فقد بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله، ولست أولى بذلك مني، فهلم أناظرك، فإن يكن الحق معنا تدخل فيه، وإن يكن الحق معك تراجع أنفسنا وننظر في أمرنا»، فلما قرأ الزعيم الثائر هذا الكتاب ألقى سلاحه، وأرسل مبعوثيه إلى الخليفة لإجراء

تاريخية غابرة^(٤٩). مثل البعثة في عهد الوثائق إلى بلاد الروم لدراسة موضع أصحاب الكهف.

ومما سبق ندرك أن المسلمين حرصوا كل الحرص على أن ينهلوا من العلم من أي مصدر من المصادر، بل يعتبر من فرض الكفاية إرسال بعثات تعليمية إلى البلاد المسالمة للاستفادة من علومها. ومن الجانب الآخر فإن الدولة الإسلامية مستعدة إلى فتح أبوابها لمختلف الثقافات الأخرى، والسماح لأفراد بعثة ثقافية ببذل ثقافتهم في داخل الدولة الإسلامية^(٥٠).

وقد قامت هذه البعثات بدور الوسيط في نقل حضارة المسلمين إلى دول الغرب؛ لأن المبعوثين كانوا يطلعون على مظاهر الحضارة في العالم الإسلامي، وينقلون فكرة عما شاهدوه إلى بلادهم^(٥١).

ويؤكد ذلك البعثات الثقافية بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فريديريك الثاني^(٥٢) في صقلية^(٥٣) في العديد من المسائل الرياضية والهندسية، فيعرضها الكامل على أبي القاسم^(٥٤) إمام هذه الصناعة فيجيب عليها. كما أنه كانت هناك بعثات علمية بين الإمبراطور فريديريك إلى ابن يونس في علم النجوم^(٥٥). وقد استقدم فريديريك علماء من دمشق لصقلية في علم النجوم^(٥٦).

إصلاح ذات البين:

كان للوفود الإسلامية دور كبير في جمع شمل الصف الإسلامي، وإزالة ما بين الحكام من نزاعات وخلافات، وذلك بتقريب وجهات النظر بينهم وإجراء الصلح بينهم^(٥٧). وفي طليعة المبعوثين المصلحين في عصر ما قبل الإسلام هرم بن سنان^(٥٨). الذي توسط بين عيس^(٥٩) وذبيان^(٦٠) في الحرب الضروس الناشبة بينهما^(٦١).

الأدفدي: الطالع السعيد، تحقيق سعد حسن، ط ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٤٦٩-٤٧٠.

(٤٠) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٨م، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٤١) زيفريدهونكه: شمس العرب، ص ٤٣٨.

(٤٢) حسن محمد سفر: السفارات في النظام الإسلامي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، السنة الثالثة، العدد التاسع، ١٩٩٠م، ص ١٤١-١٤٢.

(٤٣) هرم بن سنان: يعتبر من أشهر أجواد زمانه، وأرغهم في الإحسان والكرم، وهو ممن يضرب به المثل في ذلك. انظر الألويسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، المكتبة الأهلية بمصر، ط ١٣٤٢هـ، ص ٨٤.

(٤٤) عيس: يفتح أوله وسكون ثانيه، بلفظ اسم القبيلة التي ينسب إليها عنتره العيسبي، وعيس محلة بالكوفة تنسب إلى القبيلة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٩٤.

(٤٥) ذبيان: بكسر أوله وسكون ثانيه بلفظ القبيلة، وهي بلد قاطع الأردن مما يلي البلقاء. انظر الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٢.

(٤٦) حسن فتح الباب: السفارات الدبلوماسية في الإسلام، مجلة منار الإسلام، العدد ٧، السنة ١٦، ١٩٩١م، ص ١٩.

(٤٧) حسن سفر: السفارات، ص ١٤٢.

(٤٨) عبد العزيز سيد الأهل: الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، دار نهضة مصر، القاهرة، ص ١٦٩.

(٤٩) إبراهيم العدوي: السفارات، ص ٢٠؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ص ٤٠٢.

(٥٠) محمد علي الحسن: العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، ١٩٨٢م، ص ٢٩٤-٢٩٦.

(٥١) أحمد أبو الوفا: القانون الدبلوماسي الإسلامي، ص ٢٢٥؛ محمد بن محمد أبو شهبة: «فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة - السعودية، المجلد الرابع، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤٤.

(٥٢) حامد زيان: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١١٨-١١٩؛ زيفريدهونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق وكمال، منشورا دار الآفاق، بيروت، ط ١٩٨١م، ص ٤٢٥.

(٥٣) صقلية: جزيرة في شرقي الأندلس، فهي جزيرة عظيمة، ومملكة واسعة بإزاء أفريقية، وهي على شكل مثلث متساوي الساقين، زاويته من غربي الجزيرة، والغالب على أرضها الجبال والقلاع والحصون، وقصبتها بالرمو. انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٩٧؛ ابن حوقل: صورة الأرض مطبعة بريل، ليون، ١٩٢٨م، ص ١١٧.

(٥٤) أبو القاسم: هو قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر، كنيته أبو المعالي فقيهاً حنفي المذهب، عالماً بالرياضيات وتولى نظر الدواوين بالقاهرة. توفي بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة.

وقد ازداد نشاط وفود المحالفات بل واتسع نطاقها عندما تفرقت الأمة الإسلامية إلى ولايات وممالك، ودويلات، فظهرت الحاجة الشديدة إلى عقد المحالفات من أجل أن يتغلب فريق على فريق آخر، كما كان من أهدافها توثيق العلاقات بين الأقطار المختلفة من أجل إيجاد تكتلات سعيًا وراء أمنها^(٥٧).

الإنذار بالحرب:

لقد استُخدم الرسل للإعلان عن الحرب أو الإنذار بوقوعها، والتفاهم بشأن ما يتبع حيالها من خطط ونظم، وعادة تتبادل القبائل الرسل مع أعدائها قبل نشوب الحرب والبدء في القتال^(٥٨).

واستوجب الإسلام على المسلمين أن يذروا عدوهم بنيتهم في إعلان الحرب، وأن يمهله في الرد عليهم مهلة كافية، وهذا العمل مصداقاً لقوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: ١٥]، وقوله عز وجل: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍهَا رَسُولًا) [القصص: ٥٩].

ومن أمثلة ذلك سفارة النبي - عليه السلام - إلى أسقف أيلة «أيلات» وأهلها جاء في كتابه: «فإذا أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله، وإنك إن رددتهم - يعني الرسل - ولم ترضهم لا أخذ منكم شيئاً حتى أقاتلكم»^(٥٩).

وعلى هذا الأساس شرعت الأحكام الحربية في الإسلام، فإن الدولة التي تضطر إلى إعلان الحرب على دولة أخرى يجب عليها قبل البدء أن تخبر الدولة الأخرى بميعاد الحرب، كما تخبر رعاياها، وكذلك الدول الأخرى لتلتزم بحيادها. وقد أقر القانون الدولي الحديث هذا المبدأ^(٦٠). وإن الغرض من هذا الإعلان هو تجنب الغدر والأخذ على غرة، وفي الإعلان عن الحرب، والإنذار من قبل، وتجنب الغدر والخيانة ما يحجب في الإسلام.

حوار حول ما بينهما من قضايا، وكانت عاقبة هذا الحوار أن ألقت الفرقة المتمردة سلاحها وعادت إلى الحق^(٤٩). ومن المناقشات الدينية الكبرى التي بين المسلمين وكفار قريش ما حدث في الحديبية^(٥٠). فقد أوفد الرسول - عليه الصلاة والسلام - عثمان بن عفان إلى قريش «يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة»^(٥١).

ومن جانبه أوفدت قريش سهيل ابن عمرو^(٥٢). وجرى بينه وبين النبي - عليه السلام - نقاش كان يمس شئون العقيدة الإسلامية بالإنكار^(٥٣).

عقد المحالفات:

كان الرسل يترددون بين الملوك لعقد محالفات تربط بعضهم ببعض، وكانت هذه المحالفات تجعل العلاقات السياسية والاقتصادية أحياناً بين الدولتين متينة وتنشئ نوعاً من المعاضدة والمسالمة والدفاع^(٥٤).

ومن أبرز المحالفات تحالف هارون الرشيد وشارلمان^(٥٥). فإن شارلمان جرى على سياسة أبيه بين أرسل إلى الرشيد بعثة على رأسها يهودي يدعى إسحاق؛ ليؤكد بينهما الصلات الودية، وليسعي للحصول على موافقة الخليفة لنيل بعض الامتيازات الخاصة بالنصارى والأماكن النصرانية المقدمة.

فأكرم الرشيد وفادة المبعوثين الفرنج، وردهم إلى شارلمان بهدية فخمة منها فيل، وخيمة عربية، وساعة مائية، وحرائر، وعطور شرقية وغيرها.

وبعث إلى ملك الفرنج وفداً بتحياته وتأكيد صداقته، وقد سعد شارلمان بنتائج بعثته الأولى. فأوفد إلى الرشيد بعثة أخرى على رأسها مبعوثه إسحاق أيضاً، وتبالغ الرواية الفرنجية في نتائج هذه المراسلات بين الرشيد وشارلمان؛ فنقول: إن الرشيد أرسل إلى ملك الفرنج مفاتيح الأماكن النصرانية المقدسة، ومنحه حق رعايتها^(٥٦).

(٤٩) عبد الحكيم حسن العلي: الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٥٠) الحديبية: قرية متوسطة ليست كبيرة، وهي عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقد سميت الحديبية بشجرة حذاء كانت في ذلك الموضع، ويعرف هذا الموقع اليوم بالشميسي، على طريق القوافل والسيارات من جدة إلى مكة، وصلح الحديبية هدنة عقدها النبي ﷺ مع قريش في العام السادس للهجرة حين خرج من المدينة إلى مكة معتمراً، وتم الاتفاق على أن تكون هدنة بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنين، فعاد الرسول ﷺ إلى المدينة، وقد نقصت قريش هذه الاتفاقية في العام الثامن للهجرة، فكان ذلك من أسباب غزو مكة وفتحها.

انظر الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٦؛ أحمد عطية: القاموس الإسلامي، ج ٢، ص ٥٢.

(٥١) أمين دويدار: الفتح المبين، ص ٢١٥؛ عبد العزيز بن جلون: أسس العلاقات الدولية في الإسلام، مطبوعات الأكاديمية، المغرب، ص ٦٠.

(٥٢) سهيل بن عمرو: يكنى أبا يزيد. وكان خطيب قريش وفصيحهم ومن أشرافهم، ولما أقبل في شأن الصلح قال النبي ﷺ: «سهل أمركم»، ولقد تأخر إسلامه إلى يوم الفتح، ثم حسن إسلامه، وكان قد أسر يوم بدر وتخلص، وقد قام بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله ﷺ فسكنهم وعظم الإسلام، انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٩٤.

(٥٣) عبد الحكيم حسن: الحريات العامة، ص ٣٩٦.

(٥٤) صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١١١.

(٥٥) سليمان الرحيلي: العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان، دار الهدى، الرياض، ١٩٨٧م، ص ٣١ - ٣٩؛ سعيد عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ج ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ط ١، ص ١٩٢ - ٢٠٨.

(٥٦) محمد عبد الله عنان: «السفارات الخلاقية والسلطانية وعلائق الإسلام والنصرانية»، مجلة الرسالة، العدد ٨٨، السنة الثالثة، مارس ١٩٣٥م، ص ٣٦٩.

(٥٧) جميل عبد الله المصري: «الأحلاف والتكتلات الدولية»، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٧٥ - ٧٦، السنة ١٩، رجب - ذو الحجة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١١.

(٥٨) عبد الرحمن عزام: الرسالة الخالدة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٦٤م، ط ٢، ١٩٥٤م، ص ٩٨؛ عز الدين فودة: ما الدبلوماسية، ص ٤٥.

(٥٩) عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية، ص ١٣٤.

(٦٠) عبد الوهاب خلاف: السياسة الشرعية، ص ٨٦ - ٨٧.

الإعلام بدخول الإسلام:

كانت الوفود تقدم على الرسول ﷺ لتعلن دخولها في الإسلام. ويتقدمها زعيم الوفد «الرسول» كوفد غسان، وسلامان، وبني عبس، وغامد^(٦١).
وقد تحدث ابن عبد ربه عن أهمية زعيم الوفد حيث قال: «وأما الوفود الذين وفدوا على النبي وعلى الخلفاء والملوك، فإنها مقامات فضل، ومشاهد حفل يتخير لها الكلام»^(٦٢).
ولقد ترددت سفارات كثيرة إلى مصر تعلم ملوكها بدخول بعض الأمم الإسلام^(٦٣).

الاستنفار وطلب النجدة والمدد:

كانت الدول الإسلامية يلجأ بعضها إلى بعض عند مداهمة خطر يصيبها، فتطلب النجدة والاستنفار للجهاد.
ففي سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م قدمت على المأمون رسل ظهير الدين طغتكين^(٦٤) صاحب دمشق وأقسقر^(٦٥) صاحب حلب للاجتماع على حرب الصليبيين، فبادر المأمون وأرسل جيشاً في البر، وأسطولاً من أربعين شيناً^(٦٦). وتوجه الجيش والأسطول إلى عسقلان وشنوا الغارات على الصليبيين^(٦٧).
كما أرسل صلاح الدين إلى الخليفة الناصر مرات عديدة يستنجد به على الفرنجة^(٦٨).

الإعلام بتغيير الحاكم:

لقد جرت العادة أن ترسل الدولة الإسلامية رسلاً إلى الدول الأخرى وحكامها تعلم بوفاة ملك وقيام آخر. فعندما توفي السلطان نور الدين بعثت الرسل إلى ولاية الأطراف لإخبارهم بوفاته، وقيام الملك الصالح إسماعيل بدلاً منه، وكذلك عندما توفي صلاح الدين عام ٥٨٩هـ / ١١٩٥م مكتب ابنه الأفضل إلى الخليفة وملوك الأطراف بذلك^(٦٩).

التهنئة والتعزية:

وهي التي تسمى بسفارات المجاملة، وتعتبر مهمة هذه السفارة؛ فهي مدخل إلى علاقات جديدة قوية، فيها نوع من المحالفة أو التحالف، فقد كانت الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية تولي شعارات المجاملة اهتماماً خاصاً؛ لأنها وسيلة للربط بين الخلفاء والأباطرة وسبيل سهل إلى تنقية العلاقات من أي شوائب اعترضتها^(٧٠).
طلب الزواج والمصاهرة:

يعرف هذا النوع من الزواج بالزواج السياسي^(٧١). وكان الغرض منه توثيق العلاقات بين الرؤساء والملوك، وتوثيق العلاقات بين أسرهم وقبائلهم، وقد كان من عادة القبائل استخدام الرسل للتقارب بين رؤسائها عن طريق المصاهرة التي كانت إحدى وسائل خدمة مصالحهم^(٧٢).
تقديم الهدايا:

كان الهدف من تقديم الهدايا يخدم أغراضاً متعددة منها: كسب مودة السلطان، أو طلب الصلح، أو الأمان، أو عقد هدنة، أو معاهدات تجارية، أو الإعلام بدخول الإسلام، أو طلب وقوف السلطان بجانبهم ضد عدوهم، أو طلب المساعدة العسكرية، أو الحصول على التقليد، أو التماس الشفاعة في حق بعض الأمراء. كما أن هناك هدايا للمناسبات والمصاهرات، أو التهنئة بالحصول على أراضي جديدة^(٧٣). والأمثلة على ذلك كثيرة مثل هدية المقوقس إلى النبي، وهدية معاوية إلى عائشة^(٧٤)، وهدية ملك الهند إلى الخليفة العباسي المأمون^(٧٥). كما قُدِّم للسلطين المماليك هدايا عدة^(٧٦).

(٦١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، ٤ ج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص ٦٢-٦٣؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار ابن كثير، دمشق، ط ١٩٩٢م، ج٢، ص ٣٤٠-٣٤١.
(٦٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٧ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٣م، ج٢، ص ٥.
(٦٣) المنجد: النظم، ص ١١.
(٦٤) ظهير الدين طغتكين: الملك العزيز أبو الفوارس، ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شادي، وقد برز اسمه عام ٥٧٧هـ / ١١٨٣م، حين ولاه صلاح الدين على اليمن خلفاً لأخيه توران شاه فهو المؤسس الثاني للدولة الأيوبية في اليمن، توفي عام ٥٩٣هـ / ١١٩٧م. انظر أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٤، ص ٥١٢.
(٦٥) أقسقر البرسقي: وهو أبو سعيد سيف الدين ينسب إلى الأمير برسق السلجوقي، اشتهر إبان الحروب الصليبية، تولى شرطة بغداد وولاية الموصل عام ٥٠٨هـ / ١١١٤م، واستولى على مرعش ثم على حلب من الصليبيين عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م. توفي عام ٥٤٠هـ / ١١٢٦م. انظر أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص ١٥٠.
(٦٦) الشيني: مركب كبير طويل يحمل المقاتلة والجدافين، وهو مزود بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم. انظر ابن ممتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٤٠؛ أحمد العبادي وسيد عبد العزيز: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٣٣.
(٦٧) محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٧٠م، ص ٢٢٧.
(٦٨) حسن سفر: السفارات، ص ١٣٥-١٣٦.
(٦٩) علي مقبول: الحصانات الدبلوماسية والقنصلية والمعاهدات، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٣٥.
(٧٠) محمد التابعي: السفارات، ص ١٣٣.
(٧١) وفاء محمد علي: الزواج السياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٥.
(٧٢) عز الدين فودة: ما الدبلوماسية، ص ٤٤.
(٧٣) محاسن الوفاة: الهدايا والتحف «حوليات كلية الآداب»، المجلد ٢٨، العدد الثاني، ٢٠٠٠م، ص ١٩٢-١٩٣.
(٧٤) الرشيد ابن الزبير: كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، ط ٢، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٨٤م، ص ٦-٧.
(٧٥) أبي الخطاب: النبراس، ص ٥٠.
(٧٦) محاسن الوفاة: الهدايا، ص ١٩٣-١٩٥. وعن أهمية الهدية ودورها في توثيق الصلات انظر: ابن عبد البر النمري القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، جزء ١، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨٨.

الدعوة إلى عقد الاجتماعات العامة:

كانت هذه الاجتماعات غالباً ما تضم القبائل القريبة والبعيدة، وتعد هذه الاجتماعات للتشاور والتفاوض حول العديد من القضايا^(٧٧).

طلب التقليد على ما تم فتحه:

كانت توفد هذه السفارة للخليفة من قبل القادة الفاتحين طالبين التأييد والتقليد على ما تم فتحه، وكان صلاح الدين الأيوبي دائم اللجوء لهذا النوع من السفارات، «وكتب في سنة سبعين وخمسائة إلى أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله كتاباً من إنشاء القاضي الفاضل يعدد ماله من الفتوحات، ومن جهاد الفرنج مع نور الدين وفعالهم الحسنة وإقامتهم الخطبة لأمر المؤمنين، ولا عهدنا قيامها منذ دهر، واستيلاءه على البلاد الكثيرة من أطراف المغرب إلى أقصى اليمن، وأن في هذه السنة كان عندنا وفد نحو سبعين راكباً كلهم يطلب لسلطان بلده تقليداً»^(٧٨).

المعاقبة:

كان هذا النوع غالباً ما يتم بين الخليفة والأمراء «حكام الولايات»، كما حدث لصلاح الدين «ولما مات المستضيء وولي الناصر لدين الله لم تكن له قدرة عليه، مع ما كان النصر عليه من عظمة لا توازي، وأرسل إلى صلاح الدين كتاباً يعاتبه على أمور، منها تسميته بالملك الناصر، وأنه لا ينبغي لك يا صلاح الدين أن تتسمى باسمي، فإن ما يصلح للمولى على العبد حرام، فأجابه بأن هذه التسمية من زمن المستضيء»^(٧٩).

تمثيل الدولة المرسله لدى الدولة المستقبلة:

تعتبر هذه هي الوظيفة الأساسية للمبعوث، فهو الوسيط بين دولتين حيث يقوم بتبليغ التصريحات والقرارات سواء أكانت شفهية أم مكتوبة^(٨٠).

توطيد العلاقات الاقتصادية:

يقصد بها التجارة الخارجية، فهي عمليات البيع والشراء التي تجري بين الشعوب والأمم، لا بين أفراد من دولة واحدة، سواء أكانت بين دولتين، أو بين فردين كل منهما من دولة غير الأخرى، يشتري بضائع لينقلها إلى بلاده، ولذلك كانت هناك معاهدات تنظم التجارة الدولية^(٨١). وغالباً ما يسند للرسول التوقيع على هذه المعاهدات.

توثيق الصلات بين الخلافة المركزية والولايات:

نتيجة لانقسام الخلافة في نهاية العصر العباسي إلى دويلات وممالك مستقلة. فقد كان للرسول دورهم في توثيق الصلات بين الخلافة الشرعية المركزية في بغداد وتلك الولايات. فقد كان السلاطين والأمراء والمسلمون يحرصون على تقوية نفوذهم بتأسيس العلاقات الطيبة مع الخليفة في بغداد، وكان الخليفة يبعث بمندوبيه الدائمين إلى السلاطين والأمراء المحليين^(٨٢). ولذلك أنشأت الدولة ديوان الرسائل، ومهمته الاحتفاظ بنسخ الوثائق الرسمية والرسائل المتبادلة مع ولاء تلك الأقاليم^(٨٣).

فداء الأسرى:

كانت الأقدية تجريب مراسيم بناء على اتفاق الطرفين. تبدأ عادة بالمفاوضات، ومعرفة عدد الأسرى الموجودين في يد كل طرف، ثم يحدد المكان الذي يجري فيه الفداء وتبادل الأسرى واليوم كذلك^(٨٤)، وكانت حركة التبادل تسبقها سفارات؛ تمهيداً للتنفيذ، فإذا نجحت المفاوضات استعد الطرفان للاحتفال بالتبادل، وقد حدثت مراسيم لتبادل الأسرى بين الخليفة العباسي والوائق والإمبراطور البيزنطي ميخائيل بن ثيوفيل^(٨٥).

التأكد من النوايا:

لابد من التأكد من صحة طلب الجانب المعادي للدولة الإسلامية عقد الصلح أو المهادنة؛ إذ كثيراً ما يعمد إلى اتخاذ مطالبه السلمية وسيلة لتدعيم قوته الحربية واستئناف القتال^(٨٦).

متابعة الأحداث:

إن مهام الرسل والمبعوثين في الماضي والحاضر متابعة الأحداث وما يجري في البلاد. ففي العصور الوسطى كانت الغارات بين الدول الإسلامية وممالك الفرنجة مستمرة دائماً، واقتضى هذا ضرورة التعرف على الأوضاع السياسية والعسكرية، وكان السفراء المسلمون يزودون بتعليمات سرية تتطلب منهم التعرف على حقيقة الأوضاع وحقيقة نوايا الأعداء^(٨٧).

عقد المعاهدات:

كانت المعاهدات تعقد عن طريق المفاوضات التي تقوم بين الطرفين عن طريق الرسائل، أو باجتماع مندوبين مفوضين، فإن نجحت هذه المفاوضات انتهت إلى عقد عهد

^(٧٧) عز الدين فودة: ما الدبلوماسية، ص ٤٠.

^(٧٨) السبكي: طبقات الشافعية، ١٠ ج، تحقيق عبد الفتاح الحلوم ومحمود الطنحجي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٧، ص ٢٠.

^(٧٩) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص ٢١.

^(٨٠) حامد سلطان & عائشة راتب: القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧، ص ١٨١؛ هاني الرضا: الدبلوماسية، ص ٨٤.

^(٨١) محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ٢٧٧.

^(٨٢) عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية، ص ١٢٣.

^(٨٣) محمد عبد الله الشيباني: نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٧٩م، ط ٣، ص ٩٤ - ٩٥.

^(٨٤) المنجد: النظم الدبلوماسية، ص ٩٦ - ٩٧.

^(٨٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار عالم الكتب، الرياض، ج ٩، ص ١٤١ - ١٤٢؛ فازيليف: العرب والروم، ترجمة محمد شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٧٥ - ١٧٦.

^(٨٦) نظام الملك: سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٨٩٣م، ص ١٣٣؛ سموحي فوق العادة: الدبلوماسية الحديثة، دار اليقظة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٣م، ص ٢٠.

^(٨٧) التابعي: السفارات في الإسلام، ص ٢٠.

من الوجهة الداخلية أو الدولية^(٩٩). والأمثلة كثيرة في دور الرسل في نقل أخبار البلاد الموفدين لها، فمنها رسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى صاحب هجر^(١٠٠) حيث قال - عليه السلام -: "وقد حمد رسلي مكانك"^(١٠١).

وقد اتبع الأيوبيون هذه الخطة، وسمحوا لرسل الفرنج بالتردد ذهاباً وإياباً خلال المفاوضات التي جرت بين صلاح الدين الأيوبي وبين حكامهم، وكان يقصد منها "كشف الأخبار بتواتر الرسل"^(١٠٢).

عرض وجهات النظر:

اعتمد المسلمون كثيراً على الرسل في اتصالاتهم مع الصليبيين، فمن خلالهم نقلت وجهات النظر الإسلامية إليهم إزاء كثير من الأمور التي كانت مدار خلاف بين الطرفين، وعن طريقهم تبدلت مواقف كثيرة من الصليبيين العدائية تجاه المسلمين، ولدورهم الفعال تحققت الكثير من المصالح للمسلمين في مواجهة الصليبيين^(١٠٣).

وصفة القول لكل ما سبق: احتوى التاريخ في مختلف عصوره على نماذج وصور متعددة للعلاقات الدولية التي مثلتها البعثات الدبلوماسية، سواء كانت لمدة مؤقتة أو دائمة؛ وذلك لتحقيق وتنظيم أمور المصالح المشتركة فيما بينهم^(١٠٤).

الأغراض الخفية:

إذ يشير نظام الملك إليها بقوله: "ربما أراد الملوك من إنفاذ الرسل أن يعلموا كيف حال المسالك والممالك، والشعاب والوديان والموارد؛ حتى يتبينوا هل يستطيع الجيش أن يمضي أم لا؟ ومن الولاة على المناطق؟ وما عدد جند ذلك الملك؟ وما مقدار آله وعدته؟"^(١٠٥).

ومعاهدة بين الطرفين^(٨٨). وللمعاهدات في نظر الإسلام أهداف عديدة^(٨٩)، ومن أشهر المعاهدات معاهدة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع اليهود الذين كانوا بالمدينة، فعقد معاهدة قوامها حسن الجوار^(٩٠). كما عملت الدول الحديثة على تطبيق مبدأ المعاهدات؛ بغرض تحديد علاقاتها مع الدول الأخرى^(٩١).

التحقق من بعض الأمور:

توفد الرسل والسفارات لتمحيص الوقائع وإجراء التحقيق في بعض الأمور والتي من أهمها دراسة أحوال الأسرى فقد أرسل الخليفة العباسي المأمون سفارة إلى بلاط ملك الروم وأذن له بالدخول على الأسرى، فسألهم عن أخبارهم السنية، ونتيجة لذلك قام المأمون محارباً وغزياً في بلاد الروم^(٩٢).

عقد الهدن والصلح:

لقد أوضح العمري أمر الهدنة^(٩٣) بقوله: "أما الهدن فاعلم أنها تكون بين ملكين وأكثر ما تكون من ملك الإسلام لملك كافر، وتكون إلى أجل معلوم يهادن بها أحدهما الآخر"^(٩٤). وقد عرفها الفقهاء الدوليون بقولهم: "الهدنة هي كل اتفاق له أهمية سياسية أساسية بين قوات المتحاربين لوقف القتال بصفة مؤقتة"^(٩٥). ويقوم المبعوث بحمل نسخة من هذه الهدنة إلى الملك الآخر^(٩٦).

أما الصلح فهو على نوعين: المؤقت والمؤبد، وتقع على الرسل مسؤولية تثبيت شروط الهدنة مع الأمم التي تدخل معها الحرب^(٩٧). وخير مثال لذلك صلح الحديبية الذي عقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وكفار قريش وقد فاضهم المبعوث سهيل بن عمرو^(٩٨).

التجسس (جمع الأخبار):

يعتبر المبعوث بمثابة عين وأذن دولته بالخارج؛ ولذلك يقع عليه عبء إرسال التقارير عن الأحوال التي تهم دولته سواء

(٩٧) محمود الديك: المعاهدات، ص ٢٩٥؛ مصطفى محمد حسنين: العلاقات الدولية في المجتمع الإسلامي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، العدد ٦، ط ١٩٨٢م، ص ٥٨٧.

(٩٨) مصطفى كمال وصفي: النبي والسياسة الدولية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢١.

(٩٩) حامد سلطان & عائشة راتب: القانون الدولي، ص ١٨١.

(١٠٠) هجر: تعد أول بلاد البحرين وإحدى مدنها العظمى، ذات خيرات، وفتحت أيام النبي عليه السلام على يد العلاء بن الحضرمي. الحموي: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٦٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٨٠؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٦٣، ٣٨٦.

(١٠١) ابن سلام: الأموال، تحقيق محمد خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ٢١١.

(١٠٢) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الخانجي، القاهرة، ص ٢٢١.

(١٠٣) سليمان عبد الله الرومي: دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠١م، ص ٤١٥-٤١٦.

(١٠٤) منتصر سعيد حمودة: قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ١١.

(١٠٥) سياست نامه، ص ١٣٠.

(٨٨) إحسان الهندي: أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النميز، دمشق، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٧٥.

(٨٩) إبراهيم الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، مؤسسة مي للطباعة، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٣٢-١٣٣.

(٩٠) محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٧٥.

(٩١) جيرهارد فان غلان: القانون بين الأمم، تعريب عباس العمر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٣٩.

(٩٢) عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية، ص ١٣٦-١٣٧.

(٩٣) لمعرفة المزيد عن الهدنة وأقسامها وأحكامها انظر: محمد الشربيني الخطيب: مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٦٠-٢٦١؛ الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، م ٢، ص ٢٥٩-٢٦٥.

(٩٤) ابن العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢١١.

(٩٥) محمود إبراهيم الديك: المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المكتبة الوطنية، الرياض، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٩٦) الفاشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ج ١٤، ص ١٦.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن للباحثة أن تلخص أبرز النتائج التي توصلت إليها، مع بعض التوصيات في النقاط الآتية:

- استعرضت الدراسة الجذور التاريخية للتمثيل الدبلوماسي، بداية بالعصور القديمة، ومرورا بالعصر الجاهلي، ووقفا على العصر الإسلامي الوسيط بمختلف عصوره.

- حرص الرسول -صلى الله عليه وسلم- على توظيف المبعوثين من أجل إقرار مصالح الأمة، واختار صحابته - رضوان الله عليهم- خير سفراء للإسلام إلى الأمم الأخرى المجاورة.

- أقر الرسول -صلى الله عليه وسلم- قواعد الوفود الدبلوماسية، فقد استقبل -عليه الصلاة والسلام- العديد من الوفود باختلاف أغراضهم، كما أوفد رسله للأمم الأخرى. - أوفدت الدول غير الإسلامية بعثاتها للحكام المسلمين توثيقاً للمصالح المتنوعة.

- إن إيفاد واستقبال قادة وحكام المسلمين لمبعوثي الدول الأخرى ولو كانت غير مسلمة يؤكد على مرونة الدين الإسلامي؛ لأنه لم يمنع الاستفادة من حضارات الأمم الأخرى، بل أباح التعامل معهم، وعقد المعاهدات بناء على ما يخدم الصالح العام، دون الالتفات للاختلافات الدينية أو المذهبية.

- قال -تعالى-: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [المتحنة: ٨].

وهذه هي أبرز نتائج البحث:

أما عن التوصيات فتلخيصها في التالي:

- أوصي الباحثين بمزيد من الدراسات الأكاديمية المعمقة حول النظم الدولية المختلفة، والكشف عن جذورها في التاريخ الإسلامي؛ ليظهر عظم الشريعة الإسلامية، حيث إن الإسلام شمل نظام الدين والدولة معا.

- أوصي بعمل دراسة حضارية مقارنة حول المتغيرات الحضارية والسياسية التي شهدتها الغرب الأوربي عشية احتكاكه بالعالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير: عز الدين الشيباني، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغاية في معرفة الصحابة، ٧ج، تحقيق محمد البناء، محمد عاشور، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

- الإدريسي: محمد بن محمد، (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.

- الأدفودي: جعفر بن ثعلب، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٥٤م)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢٠٠٠م.

- ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم، (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

- الألوسي: السيد محمود، (ت ١٣٤٢هـ / ١٩٤٨م)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، المكتبة الأهلية بمصر، ط ١٣٤٢هـ.

- ابن بطوطة: محمد بن إبراهيم، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٢ج، تحقيق محمد عبد المنعم، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.

- التطيلي: بنيامين، (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) الرحلة، ترجمة عزرا حداد، بغداد، ط ١، ١٩٤٥م.

- الجهشياري: محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٣٨م.

- الحموي: ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ابن حوقل: محمد بن حوقل، (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليون، ١٩٢٨م.

- ابن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٨٠هـ / ٩٩٣م، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

- أبي الخطاب: عمر بن علي، (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٩م)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس الغزوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م.

- الخطيب، محمد الشريبي (ت ٥٠٢هـ / ١٥٧٠م): مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، المقدمة، القاهرة، ١٩٥٧م.

- الذهبي: محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ٢٥ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م.

- ابن الزبير: الرشيد، (ت ٤٦٥هـ / ١٠٦٩م)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، ط ٢، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب، (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، ١٠ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

- ابن سعد: محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، ٩ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- ابن سيد الناس: محمد بن محمد، (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، تحقيق محمد الخطراوي وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط ١٩٩٢م.

- ابن سلام، أبي عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م): الأموال، تحقيق محمد خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

- «من تاريخ السفارات الثقافية الإسلامية» مجلة العربي، الكويت، ع ٧١.

- التابعي، محمد: السفارات في الإسلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨ م.

- جلون، عبد العزيز: أسس العلاقات الدولية في الإسلام، مطبوعات الأكاديمية، المغرب.

- حران، تاج السر: العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرشد، الرياض، ط ٢٠٠٤ م.

- الحسن، محمد علي: العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، ١٩٨٢ م.

- حسنين، مصطفى محمد: العلاقات الدولية في المجتمع الإسلامي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، العدد ٦، ط ١٩٨٢ م.

- حمودة، منتصر سعيد: قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٨ م.

- خلاف، عبد الوهاب: السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار، مصر، ١٩٧٧ م.

- دويدار، أمين: الفتح المبين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م.

- الديك، محمود إبراهيم: المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المكتبة الوطنية، الرياض، ط ٢، ١٩٩٧ م.

- الرحيلي، سليمان: العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان، دار الهدى، الرياض، ١٩٨٧ م.

- الرشدان، عبد الفتاح علي ومحمد خليل موسى: أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان، ط ١، ٢٠٠٥ م.

- الرضا، هاني: الدبلوماسية: تاريخها، قوانينها، وأصولها، دار المنهل، بيروت، ط ١، ١٩٧٧ م.

- الرومي، سليمان عبد الله: دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠١ م.

- الزحيلي، وهبة: العلاقات الدولية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨١ م.

- سعيد، أمين: نشأة الدولة الإسلامية، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٣٤ م.

- سفر، حسن محمد: السفارات في النظام الإسلامي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، السنة الثالثة، العدد التاسع، ١٩٩٠ م.

- سلطان، حامد: أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦ م.

- سلطان، حامد & عائشة راتب: القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧ م.

- ابن شداد، يوسف رافع (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤ م.

- الشيرازي، إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٠ م): المذهب في فقه الإمام الشافعي، دار الفكر، القاهرة.

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م): تاريخ الرسل والملوك، دار عالم الكتب، الرياض.

- الطوسي، نظام الملك، (ت ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م): سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٨٩٣ م.

- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٦٧ م)، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، جزآن، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد، (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٥٠ م)، العقد الفريد، ج ٧، تحقيق محمد شاهين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٣ م.

- ابن العسقلاني: أحمد بن علي، (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٣٩ م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢٨، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

- ابن العمري، شهاب الدين أحمد، (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.

- القزويني، زكريا بن محمد، (ت ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ م.

- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م): صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.

- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد، ج ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ابن مماتي: شرف الدين أبي المكارم، (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١ م.

- ابن النديم: محمد بن إسحاق، (ت ٣٧٨ هـ/ ٩٩٥ م) الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.

- النووي: محي الدين شرف، (ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٨ م)، تهذيب الأسماء واللغات، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨ م.

ثانياً: المراجع

- أبو زهرة، محمد: العلاقات الدولية في الإسلام، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤ م.

- الأبييض، أنيس: بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٤ م.

- الأهل، عبد العزيز سيد: الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، دار نهضة مصر، القاهرة.

- الباب، حسن فتح: السفارات الدبلوماسية في الإسلام، مجلة منار الإسلام، العدد ٧، السنة ١٦، ١٩٩١ م.

- الشباني، محمد عبد الله: نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٩٧٩م.
- شتا، أحمد عبد الونيس: الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- شلبي، أحمد: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج١٠، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٤، ١٩٧٠م.
- شلتوت، محمود: الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، مكتب شيخ الجامع الأزهر، الرسالة الأولى.
- الشهابي، إبراهيم: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، مؤسسة مي للطباعة، ط١، ١٩٩٠م.
- أبو شهبه، محمد بن محمد: «فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة - السعودية، المجلد الرابع، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ضميرية، عثمان جمعة: منهج الإسلام في الحرب والسلام، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٩٨١م.
- العادة، سموحي فوق: الدبلوماسية الحديثة، دار اليقظة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ط١٠.
- العبادي، أحمد وسيد عبد العزيز: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- عبد السلام، جعفر، قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، مكتبة السلام، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكاتب، القاهرة.
- العدوي، إبراهيم أحمد: السفارات الإسلامية إلى أوروبا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
- عزام، عبد الرحمن: الرسالة الخالدة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٦٤م، ط٢، ١٩٥٤م.
- عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.
- علي، وفاء محمد: الزواج السياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- عنان، محمد عبد الله: «السفارات الخليفة والسلطانية وعلائق الإسلام والنصرانية»، مجلة الرسالة، العدد ٨٨، السنة الثالثة، مارس ١٩٣٥م.
- عودة، عبد القادر: الإسلام وأوضاعنا القانونية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٢م.
- العيلي، عبد الحكيم حسن: الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م.
- غانم، حامد زيان: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م.
- غلان، جيرهارد فان: القانون بين الأمم، تعريب عباس العمر دار الأفق الجديدة، بيروت، ١٩٧٠م.
- الفتلاوي، سهيل حسين: القانون الدبلوماسي، دار الثقافة للنشر، عمان، ٢٠١٠م.
- فازيليف، أ: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الفرجاني، عمر أحمد: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، المنشأة العامة، طرابلس، ط١، ١٩٨٤م.
- فودة، عز الدين: النظم الدبلوماسية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م.
- قاسم، عون الشريف: دبلوماسية محمد ﷺ، دار الطباعة، جامعة الخرطوم، السودان.
- كلزيه، عبد الوهاب كلزيه: الشرع الدولي في عهد الرسول، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- مرسي، محمد عبد العليم: هجرة العلماء من العالم الإسلامي، مركز البحوث، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- المصري، جميل عبد الله: «الأحلاف والتكتلات الدولية». مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٧٥ - ٧٦، السنة ١٩، رجب - ذو الحجة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- مصطفى، محمد وحسن الشاذلي: العلاقات الدولية، دار الهدى، مصر، ١٩٧٩م.
- مقبول، علي: الحصانات الدبلوماسية والقنصلية والمعاهدات، صنعاء، ط١، ٢٠٠٠م.
- المناوي، محمد حمدي: الوزارة والوزراء، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.
- المنجد، صلاح الدين: النظم الدبلوماسية في الإسلام، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.
- الهندي، إحسان: أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمر، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.
- هونكه، زيفريد: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق وكمال، منشور دار الأفق، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- أبو هيف، علي صادق أبو هيف: القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
- وصفي، مصطفى كمال: النبي والسياسة الدولية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- أبو الوفاء، أحمد: القانون الدبلوماسي الإسلامي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الوقاد، محاسن علي: الهدايا والتحف «حوليات كلية الآداب»، المجلد ٢٨، العدد الثاني، ٢٠٠٠م.
- يعقوب، جورج: أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة فؤاد علي، مطبعة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Pessimistic religions in India: presentation and criticism

Dr. Manal Hamza Abdullah Banonah*

*Associate Professor in the Department of Doctrine at the College of Da'wah and Fundamentals of Religion at Umm Al-Qura University- Kingdom of Saudi Arabia.

الأديان التشاؤمية في الهند عرض ونقد

د. منال حمزة عبد الله بنونة*

*الأستاذ المشارك بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

E-mail: mhabanonah@uqu.edu.sa

KEY WORDS

religions - pessimism - Hinduism - Genetic - Buddhism - Sikhism

الكلمات المفتاحية

الأديان - التشاؤمية - الهندوسية - الجينية - البوذية - السيخية

ABSTRACT

مستخلص البحث:

Today, the world has become a small village, and dialogue, peaceful coexistence and acceptance of the other have become an urgent necessity to open up to the world and communicate with it so that peoples get to know each other, because most of the problems are caused by ignorance of the other, and monasticism, negativity and abandonment of work have spread in the religions that emerged in India.

Therefore, it recommends its followers to monasticism, and to give up their money, and crafts, and recommends them to extend a hand to others by begging, and makes them live on unemployment and laziness, and these corrupt commandments are contrary to the instinct of the human soul.

It is true that life does not follow the same pattern of suffering, but rather sadness and joy, misery and happiness, illness and health, death and life, and if it were not for the first, we would not have known the value of the second, and these things indicate the greatness of the one who created it, which we must worship the right to worship, and adhere to the religion that our religion has accepted for us, because it contains salvation and winning permanent bliss.

اليوم أصبح العالم قرية صغيرة، وأصبح الحوار، والتعايش السلمي، وقبول الآخر ضرورة ملحة للانفتاح على العالم، والتواصل معه؛ حتى تتعارف الشعوب وتتعايش فيما بينها. ودراسة الأديان ضرورة دينية وحياتية وحضارية؛ لأن أغلب المشكلات والتعقيدات تكون بسبب الجهل بالآخر، وقد انتشرت الرهبنة، والتبتل، والتسك في الكهوف والأماكن النائية، والتشاؤم والسلبية وترك العمل في الأديان التي ظهرت في الهند؛ لأن الحياة في نظرها شر وألم، وتعاسة مستمرة، وشقاء متصل، والتخلص منها يتم عن طريق قهر العواطف والشهوات؛ ولذلك توصي أتباعها بالرهبنة، والتخلي عن أموالهم، وعقاراتهم، وحرفهم، وتوصيهم بمد اليد للآخرين بالتسول والاستجداء، وتجعلهم يعيشون على البطالة والكسل، وهذه الوصايا الفاسدة مخالفة لفطرة النفس البشرية التي طبعت على الكدح والعمل من أجل الحصول على العيش الكريم، والحياة الرغيدة، والصحيح أن الحياة لا تسير على نسق واحد من الحزن والألم، بل فيها الحزن والفرح، والشقاء والسعادة، والمرض والصحة، والموت والحياة، ولولا الأول ما عرفنا قيمة الثاني، وهذه الأمور تدل على عظمة من خلقها، والذي يوجب علينا عبادته حق العبادة، وحمده، وشكره على نعمه الكثيرة التي تُعد ولا تحصى، ويوجب علينا التمسك بالدين الذي ارتضاه لنا ديناً؛ لأن فيه النجاة والفوز بالنعيم الدائم، وبطبيعة الحال هذه الأديان يلزمها النقص وعدم الكمال؛ لأن البشر الذين وضعوها للناس لا يمكنهم أن يحيطوا بجميع حاجات الفطرة الإنسانية.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: ١٠٢).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: ١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد: فالأديان التشاؤمية في الهند هي من الأديان الوضعية التي هي أحد قسمي الأديان؛ فالأديان إما سماوية أتت بها الرسل من عند الله، أو وضعية وضعها البشر من عند أنفسهم، ورغم أن الله قد بعث في كل أمة رسولا إلا أن بعض الأمم كذبوا الرسل، وأعرضوا عن دين الله، واتبعوا الهوى، وخطوات الشيطان؛ فأنحرفوا عن الحق إلى الباطل والضلال.

وكل ما يدين به الناس ويتعبدون به يسمى دينًا، وإن كان باطلاً، كالهندوسية، والجينية، والبوذية، والسيخية، وغيرها من الأديان الباطلة لقوله سبحانه في سورة الكافرون: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون: ٦)؛ فسمى ما عليه عباد الأوثان دينًا.

والدين الحق هو الإسلام وحدة كما قال الله عز وجل: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران: ١٩).

وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران: ٨٥).

وقال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (المائدة: ٣).

وكما ذكر الشيخ بن باز - رحمه الله - في فتاواه أن الإسلام: هو عبادة الله وحده، دون كل ما سواه، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون، وليس شيء من الأديان الباطلة منزلاً من عند الله، ولا مرضياً له، بل كلها محدثة، غير منزلة من عند الله، والإسلام هو دين الرسل جميعاً.

ومنذ القدم كان التفكير فيما وراء الطبيعة هو الشغل الشاغل لكثير من الناس حيث اتجهوا نحو مظاهر الكون، وظنوا أن لها أرواحاً قوية، بيدها أن تمنحهم رغباتهم، فخلقوا لهم منها آلهة متعددة؛ فكل إله يرمز لظاهرة معينة؛ فالمطر له إله، وللنار إله، وللسماء إله، وللأرض إله، وللعاصفة إله،

وللشمس إله، وللنبات إله.. الخ، وصنعوا لها أصناماً لكي يعبدوها.

واليوم أصبح العالم قرية صغيرة، وأصبح الحوار، والتعايش السلمي، وقبول الآخر ضرورة ملحة للانفتاح عليهم، والتواصل معهم، والتعارف فيما بينهم؛ فدراسة الأديان ضرورة دينية وحياتية وحضارية؛ لأن أغلب المشكلات والتعقيدات تكون بسبب الجهل بالآخر.

وقد انتشرت الرهينة، والتبتل، والتنسك في الكهوف والأماكن النائية، والتشاؤم والسلبية وترك العمل في الأديان التي ظهرت في الهند، وبطبيعة الحال هذه الأديان يلازمها النقص وعدم الكمال؛ لأن البشر الذين وضعوا هذه الأديان للناس لا يمكنهم أن يحيطوا بجميع حاجات البشر، ومتطلباتهم المتجددة عبر الزمن والمكان، ومن هنا كان من المهم بيان عوار هذه الأديان الوضعية التشاؤمية، وتوضيح كيف أنها فشلت في تلبية الغرائز والحاجات البشرية؛ فكان هذا البحث الذي هو بعنوان: (الأديان التشاؤمية في الهند عرض ونقد).

فهذا البحث مشكلته التشاؤم والسلبية في أديان الهند، ويجيب على هذه التساؤلات:

هل هذه الأديان التي ظهرت في الهند على أيدي البشر لبت نداء الفطرة؟ وما مدى احتياج البشر للوحي المنزل من عند الله؟

ومجتمع الدراسة: هي الأديان الأربعة الكبرى التي ظهرت في الهند قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - وبعده؛ وهي: (الهندوسية، الجينية، البوذية، السيخية).

والدراسات السابقة في هذا الموضوع: كثيرة ومتنوعة في المكتبة العلمية، والتي منها استقيت مادتي العلمية، وأفدت منها كثيراً في كتابة هذا البحث المختصر الذي أشارك به في المؤتمر العلمي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على مشكلة البحث وأسئلته، وأهميته، وهدفه، ومجتمع الدراسة، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: الدين الهندوسي.

المبحث الثاني: الدين الجيني.

المبحث الثالث: الدين البوذي.

المبحث الرابع: الدين السيخي.

المبحث الخامس: نقد الأديان التشاؤمية في الهند.

الخاتمة: فيها أبرز النتائج والتوصيات.

ومنهج في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي النقدي؛ فيتم وصف الديانة وعرضها كل ديانة في مبحث خاص ثم يأتي النقد لمجموع الديانات الأربع الكبرى التي انتشرت في الهند في المبحث الخامس والآخر؛ نظراً للتشابه الكبير بينها في مسألة التشاؤم والسلبية، وأرجو من

الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

المبحث الأول: الدين الهندوسي.

الهندوسية ويطلق عليها أيضاً البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد، والعادات، والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله.

ففي القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان هناك سكان الهند الأصليين من الزنوج الذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية ثم جاء الآريون الغزاة من فارس فارين من الفتح الإسلامي مازين في طريقهم بالهند؛ فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها، ولما استقروا في الهند حصل تمازج بين المعتقدات تولدت عنه الهندوسية كدين فيه أفكار بدائية من عبادة الطبيعة، والأجداد، والبقر بشكل خاص، وهذه الديانة لا يوجد لها مؤسس معين، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون، فقد تمّ تشكّل الديانة والكتب عبر مراحل طويلة، وقد يكون الآريون الغزاة الذين قدموا إلى الهند هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية، وفي القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة البراهمة الذين يزعمون أن في طبائعهم عنصراً إلهياً، ووضع مذهب البرهمية، وقالوا بعبادة براهما ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق (قوانين منو) التي هي عبارة عن شرح كتاب (الفيدا veda) وهي كلمة معناها الحكمة والمعرفة، ونستطيع فهم الهندوسية من خلال مصادرها المقدسة، ونعرف نظرتها إلى الإله، ومعتقداتها، وطبقاتها، إلى جانب بعض القضايا الفكرية والعقائدية الأخرى، وهذه المصادر تصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، والكتب المقدسة الهندية بصفة عامة ألقت في فترات طويلة من الزمن، ومن الناحية العملية كان مصدر كثرتها تفسير كتاب (الفيدا) الذي يعتبر أعظم الكتب المقدسة لدى الهندوس، فإن مرور الزمن على هذا الكتاب جعله عسير الفهم غريب اللغة، فألفت كتبه كثيرة لشرحه وتفسيره، وعدّها الهندوس مقدسة، ومزّت قرون أخرى فاحتاجت هذه الشروح إلى شروح جديدة وإضافات، فكتبت كتب أخرى، واستساغ العقل الهندوسي أن يجعلها مقدسة

أيضاً، وتضخمت (الفيدا) فاحتاجت إلى وضع مختصرات قدسها العقل الهندوسي كذلك، هذا بالإضافة إلى كتب وضعت غير متصلة بالفيدا، بل تصف حدثاً دينياً أو تاريخياً جديداً، على أن الكتب المقدسة لدى الهند ليست كلها في مستوى واحد، فمنها كتب قليلة الانتشار، أو لا تحظى بتقدير جميع الهندوس، ومنها كتب أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح، ومن أعظم كتبهم المقدسة على العموم (الفيدا) و(قوانين منو) ^(١) ومن أشهر عقائدهم ^(٢):

١. **التوحيد:** لا يوجد توحيد بالمعنى الدقيق، لكنهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم، حتى تخفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى، وعندها يخاطبونه برب الأرباب أو إله الآلهة.

٢. **التعدد:** يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً يُعبد: كالماء، والهواء، والأنهار، والجبال.. وهي آلهة كثيرة ينقربون إليها بالعبادة والقرابين.

٣. **التثليث:** في القرن التاسع قبل الميلاد جمع الكهنة الآلهة في إله واحد أخرج العالم من ذاته، وهو الذي أسموه:

- براهما: من حيث هو موجد العالم.

- فشنو: من حيث هو حافظ العالم.

- سيفا: من حيث هو مهلك العالم.

فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً، أو عبد الواحد الأعلى، ولا يوجد أي فارق بينها، وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث.

٤. **تقديس البقرة:** يلتقي الهندوس على تقديس البقرة وأنواع من الزواحف كالأفاعي، وأنواع من الحيوانات كالقردة، ولكن تتمتع البقرة من بينها جميعاً بقداًسة تعلو على أي قداًسة، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والبيادين، وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ويعبدون كل ما يعجبهم، أو يحبونه، أو يخافونه من المخلوقات من حولهم، ولذلك تحظى البقرة عند الهندوس حتى الآن بالمكانة الأولى تقديساً، وعبادة؛ فهم يحلبونها، ويعبدونها، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها، أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات، وهي إذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين.

٥. **الحلول والاتحاد:** يعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وقد عقد بعض العلماء مقارنة بينهما مظهرين التشابه العجيب بينهما.

١٠١-١٠٥، والديانات والعقائد في مختلف العصور، للشيخ/ أحمد عبد الغفور عطار، ص ٣٣١-٣٣٤، والملل والنحل، لأبي الفتح، محمد عبد الكريم الش هرساني، ج ٢، ص ٢٣٣-٢٣٧، والهندوس والشيخ، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، ٦٠-٦٥، والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، لجون كولر، ترجمة/ كامل يوسف حسين، ص ١٤٣-١٥٩.

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شليبي، ص ٧٩-٩٨، والموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ص ٧٢٤.

(٢) في العقائد المنسلة ينظر المصادر التالية: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شليبي، ص ٣٢-٧٣، وأصول الفرق والمذاهب الفكرية، للدكتور/ سفر عبد الرحمن الحوالي، ص

كثيراً من المنبوذين وجدوا العزة والمساواة في الإسلام فاعتنقوه، والله الحمد والمنة.

٧. الاعتقاد بالكارما، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود.

١. الكارما: قانون الجزاء، أي أن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة إما في الحياة الحاضرة أو في الحياة القادمة، وجزاء حياة يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب، ومن ثم آمنوا بتناسخ الأرواح؛ لأنهم لاحظوا من واقع الحياة أن الجزاء قد لا يقع وقد تنتهي حياة الإنسان دون أن يقتص منه، أو أن يحسن إليه إذا كان محسناً.

٢. تناسخ الأرواح: إذا مات الإنسان يفنى منه الجسد، وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر، بحسب ما قدّم من عمل في حياته الأولى، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة.

٣. الانطلاق: هو هدف الحياة في الهندوسية ومعناه الانطلاق من دورات الوجود المتوالية والاندماج في الكائن الأسمى (براهما) حيث إن صالح الأعمال وفسادها ينتج عنها حياة جديدة متكررة، لتلقى فيها الروح الثواب أو تعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة، ومن لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء، وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد مرة أخرى، بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما.

٤. وحدة الوجود: أي يتحد الإنسان مع الآلهة، وتصير النفس هي عين القوة الخالقة؛ فالروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة، والعلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، والعلاقة بين البذرة وبين الشجرة، وهذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.

٨. إنكار البعث واليوم الآخر: ينكرون البعث واليوم الآخر، ويرون أنه لا بد من الجزاء والحساب على الخير والشر، لكن ذلك يكون في الحياة الدنيا، والأجساد تحرق بعد الموت؛ لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عمودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.

٩. وضع المرأة: التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم، وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم، وقد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفادياً للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه، وقد حرّم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة.

١٠. الديانة الهندية تجيز عقد القران للأطفال وهم يخبون، ويحدث أن يموت الولد فتشبه البنت أرملته ابتداءً، ولكن القانون الهندي الحديث حرّم ذلك، ومنع عقد القران إلا في سن الشباب.

٦. الخضوع لنظام الطبقات في المجتمع الهندوسي: منذ أن وصل الأرييون الغزاة إلى الهند شكّلوا طبقات ما تزال قائمة إلى الآن، ولا طريق لإزالتها؛ لأنها تقسيمات أبدية بحسب اعتقادهم من خلق الله، ووردت الطبقات في (قوانين منو) على النحو التالي:

١. الطبقة الأولى (البراهمة): وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه، ومنهم المعلم، والكاهن، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرته.

٢. الطبقة الثانية (الكاشتر): وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه، ويتعلمون، ويقدمون القرابين، ويحملون السلاح للدفاع.

٣. الطبقة الثالثة (الويش): وهم الذين خلقهم الإله من فخذيه، ومهمتهم أنهم يزرعون، ويتاجرون، ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية.

٤. الطبقة الرابعة (الشودر): وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقتصر على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقدرة.

ويلتقي الجميع على الخضوع لهذا النظام الطبقي بدافع ديني، ويجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته، ويجوز أن يتزوج من طبقة أدنى، على أن لا تكون الزوجة من طبقة الشودر الرابعة، ولا يجوز للرجل من طبقة الشودر أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته بحال من الأحوال؛ فالبراهمة في اعتقادهم هم صفوة الخلق، وقد ألحقوا بالآلهة، ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم (الشودر) ما يشاؤون، والبرهمي الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بنذوبه، ولا يجوز للملك مهما اشتدت الظروف أن يأخذ جباية أو إتاوة من البرهمي، وإن استحق البرهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل، والبرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي ناهز المائة، كما يفوق الوالد ولده، ولا يصح لبرهمي أن يموت جوعاً في بلاده، والشودر المنبوذون أحط من البهائم، وأذل من الكلاب بحسب قانون منو، ومن سعادة المنبوذين أن يخدموا البراهمة، وليس لهم أجر أو ثواب، وإذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا همّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكوي استه وينفيه من البلاد، وإذا ادّعى أحد المنبوذين أنه يعلم برهميًا فإنه يسقى زيتاً مغلياً، وكفارة قتل الكلب، والقطعة، والضفدعة، والوزغ، والغراب، والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء، وظهر مؤخراً بعض التحسن البسيط في أحوال المنبوذين خوفاً من استغلال أوضاعهم ودخولهم في أديان أخرى، لا سيما النصرانية التي تغزوهم، ولكن

ومن شعائريهم^(٣):

١١. عبادة البراهمة، ويسمّون (الحكماء والصوفية): وهم يتعبدون بتعذيب النفس والتجرد من الدنيا الذي يهدف في النهاية إلى الاتحاد بالآله (براهما)، أي: تصبح نفوسهم جزءاً من ذاته، وهم يقطعون أعمارهم في الصوم، وقراءة الكتب المقدسة، والصوم واجباً على رجال الدين والنسك والزهاد، وقد يعيشون في الغابات عراة، ويمارسون أنواعاً من الرياضات البدنية الشاقة، ومنها (اليوغا) ولا يتزوجون ولا يملكون شيئاً من الدنيا، فاليوغا: طريق خلاص النفس بممارسة رياضة قاسية تؤدي إلى تلاشي البدن، وإماتة الشهوة، وتساعد على الاتحاد بالروح الكلية (براهما)، أما عامة الناس فأيام الصيام عندهم محدودة كصيام أيام مولد كرشنا وراما، أو وقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم.

١٢. عبادة العامة: وهم يعبدون كل شيء من شجر وحجر ودواب حتى أن منهم من يسجد للسانح الأجنبي أو سيارته، ومنهم من يسجد للعنكبوت والذرة، وكل ما نال إعجابه سجد له وعبده..

١٣. العبادة المشتركة: المعبود المشترك الذي يتفق الخاصة والعامة على عبادته هو (البقرة)؛ فالهندوس يقدسون البقرة تقديساً عظيماً حتى فضلاتها، وقد صرح الرئيس السابق (غاندي) قائلاً: "إنني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم".

١٤. الصلاة: عبارة عن إشعال النار في مكان معين وقراءة أناشيد خاصة، والتسبيح والتحميد للآله وتقديم القرابين من زهور وفواكه وماء مخلوط من زعفران، والحج عبارة عن زيارة للمواضع المقدسة، والأشخاص المعظمين، وعبادة الأصنام الموجودة في هذه المواضع.

١٥. الحج: عبارة عن زيارة نهر (الغانج)؛ حيث يحجون إليه سنوياً بقصد التطهر به من الذنوب والآثام، ويلقون فيه رماد جثث الأموات المتقي بعد احتراق الأبدان بنار يعدون لها لهذه الغاية وفق طقوسهم.

والديانة الهندوسية، تحكم شبه القارة الهندية، وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس في نظرتيها إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس، ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمة؛ كان ذلك سبباً في حدوث التقسيم، حيث أعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأها الشرقي والغربي والتي معظمها من المسلمين، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس،

والمسلمون فيها أقلية كبيرة، وانتقلت فكرة التثليث من الفكر الهندي إلى الفكر النصراني بعد رفع المسيح- عليه السلام-، وانتقلت فكرة التناسخ، والحلول، ووحدة الوجود، والرهينة والتصوف إلى بعض المسلمين الذين ضلّوا، فظهرت هذه العقائد عند بعض المتصوفة، وكذلك ظهرت عند الإسماعيلية وعند الفرق الضالة كالأحمدية، وقد رفضت الهندوسية حركة الإصلاح الداخلي المتمثلة في الإسلام، وقاومتها محتفظة بتعليماتها ومعتقداتها^(٤).

المبحث الثاني: الدين الجيني.

الجينية ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا، وما تزال إلى يومنا هذا، وهي مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم، كالعيب، والإثم، والخير، والشر، وتقوم على رياضات بدنية، وتأملات نفسية عميقة، بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتققيها^(٥).

وقد وضع البراهمة الهندوس نظام الطبقات، وكان لهم كثير من الامتيازات في ظل هذا النظام عن غيرهم، وظهر عسفهم وطغيانهم، وضج الناس من استبدادهم وجورهم، وانتظروا ظهور قائد روحي جديد يخلصهم من ظلم البراهمة، وكانت طائفة الأكشترية أكثر الطوائف احساساً بهذا الظلم؛ فظهرت الديانة الجينية كثورة على البراهمة على يد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية، وقد ولد عام (٥٩٩) ق. م، وعلى يديه تبلورت معتقدات الجينية التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا، وقد سار بدعوته حتى بلغ الثانية والسبعين من العمر، وتوفي عام (٥٢٧) ق. م. ويسمونه أتباعه مهافيرا، ويزعمون أن هذا الاسم من اختيار الآلهة له، ومعناه البطل العظيم، ويطلقون عليه كذلك جينا، أي القاهر لشهواته، والمتغلب على رغباته المادية، كما يزعم أتباع هذه الطائفة بأن الجينية ترجع إلى ثلاثة وعشرين جينياً، ومهافيرا هو الجيني الرابع والعشرون، وينحدر مهافيرا من أسرة من طبقة الكاشتر المختصة بشؤون السياسة والحرب، أبوه سدهارثا أمير مدينة في ولاية بيهار، عاش حياته الأولى في كنف والديه متمتعاً بالخدم والملاذات العادية، وكان شديد التقدير والاحترام لوالديه، تزوّج ورزق بابنة، ولما توفي والده، استأذن أخاه في التحلي عن ولاية العهد، والتنازل عن الملك والألقاب، وحلق رأسه ونزع حلّته، وخلع ملابسه الفاخرة، وبدأ مرحلة الزهد والخلة والتبتل، وكانت سنة آنذاك ثلاثين عاماً، وصام

(٥) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١١١-١١٣، وينظر: الموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ج ٢، ص ٧٤١ وما بعدها.

(٣) أصول الفرق والمذاهب الفكرية، للدكتور/ سفر عبد الرحمن الحوالي، ص ١٠١-١٠٥.

(٤) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١٠١-١٠٨، والموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ج ٢، ص ٧٤١ وما بعدها.

٢. لم يستطيعوا أن يتحرروا تحرراً كاملاً من فكرة الألوهية، فاتخذوا من مهافيرا معبوداً لهم، وقرنوا به الجينيات الثلاثة والعشرين الآخرين؛ لتكمل في أذهانهم صورة الدين، وليسوا الفراغ الذي أحدثه عدم اعترافهم بالإله الأوحده. ٣. خلق المسالمة والمجاملة دفعهم إلى الاعتراف بالآلهة الهندوس (عدا الآلهة الثلاثة) ثم أخذوا يُجلُّونها، لكنهم لم يصلوا بها إلى درجة تقديس البراهمة لها، ودعوا كذلك إلى احترام براهمة الهندوس باعتبارهم طائفة لها مكانتها في الدين الهندوسي.

٤. لا توجد لديهم صلاة، ولا تقديم قربانين، ولا يعترفون بالطبقات، بل هم ثورة عليها.

٥. الحياة الدنيا في نظرهم تعاسة مستمرة، وشقاء متصل، نعيمها زائل، والعيش فيها باطل، ولا دواء إلا بتركها، والزهد في الحياة وترفعها، وتظل الروح بين الموت والولادة، حتى ينبثق النور إما من أعمال الروح بطريق الصدفة أو الإلهام، وإما بقيادة العرفاء والمبشرين وهدايتهم، وليس هذا النور إلا السبيل المثلث أو اليواقيت الثلاثة التي من اتبعها وصل إلى بر السلامة، وهذه اليواقيت هي: الاعتقاد الصحيح، وهو رأس (النجاة)، ويقصدون به الاعتقاد بالقادة الجنيين الأربعة والعشرين، فإن ذلك هو المنهج المعبد والصراط السوي، ولا يكون الاعتقاد الصحيح إلا إذا تخلصت النفس من أدران الذنوب اللاصقة بها، والتي تحول دون وصول الروح إلى هذا الاعتقاد، وثم العلم الصحيح، ويقصد به معرفة الكون من ناحيتيه المادية والروحية، والتفريق بين هذه وتلك، وتختلف درجة المعرفة باختلاف قوة البصيرة وصفاء الروح، ويستطيع الشخص الذي يفصل أثر المادة من قوته الروحية وإشراقها أن يرى الكون في صورته الحقيقية، وتكشف لديه الحقائق، وترتفع عنه الحجب الكثيفة، فيميز الحق من الباطل، والظن من اليقين، ولا تشبه عليه الأمور، ولا يكون العلم الصحيح إلا بعد الاعتقاد الصحيح، وأخيراً الخلق الصحيح، ويقصد به التخلص بالأخلاق الجينية من التحلي بالحسنات، والتخلي عن السيئات، وعدم القتل، والكذب، والسرقة، والتمسك بالعفة، والزهد في الملكية، واليواقيت الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض، وإذا اكتملت في إنسان فإنه يجد لذة لا تعدلها لذة، وسعادة ليس مثلاً سعادة.

٦. وضع الجينيون سبعة أصول رئيسية لتطهير الروح، وتعتبر هذه الأصول أمهات المبادئ الجينية، وهي: أخذ العهود والمواثيق مع القادة والرهبان، بأن يتمسك المرید بالخلق الحميد، ويقلع عن الخلق السيئ، والتقوى، وهي

يومين ونصف يوم، وتنف شعير جسده، وهام في البلاد عارياً مهتماً بالرياضات الصعبة والتأملات العميقة لمدة ثلاثة عشر شهراً، مداوماً على مراقبة نفسه في صمت مطيق، يعيش على الصدقات التي تقدّم إليه، وبعد سنة من الصراع والتهديب النفسي فاز بدرجة المرشد، وبدأ بذلك مرحلة الدعوة لمعتقد، فدعا أسرته ثم عشيرته، ثم أهل مدينته، ومن ثم دعا الملوك والقواد، واتباعه كثير منهم لما في دعوته من ثورة على البراهمة، وأقبل الملوك والحكام في الهند على اعتناق الجينية، ذلك أنها تدعو إلى عدم إيقاع الأذى بذي روح مطلقاً، كما توجب أن يطيع الشعب حاكمه، وتقضي بذبج من يتمرد على الحاكم، أو يعصي أوامره، فصار لهم نفوذ كبير في بلاط كثير من الملوك والحكام في العصور الوسطى، ونالوا كثيراً من الاحترام والتقدير أيام الحكم الإسلامي للهند.

وانقسمت الجينية بعد وفاته إلى عدة أقسام، وصلت إلى ثمان فرق أو أكثر، أهمها الآن^(٦):

١. ديجامبرا: أصحاب الزي السماوي العراة، وهم طبقة الخاصة الذين يميلون إلى النقشف والزهد، ومعظمهم من الكهان والرهبان والمتسكين، الذين يتخذون من حياة مهافيرا قدوة لهم، وقد انقسموا مؤخراً إلى عدد من الفرق.

٢. سويتامبرا: أي: أصحاب الزي الأبيض، وهم طبقة العامة المعتدلون الذين يتخذون من حياة مهافيرا الأولى في رعاية والديه نبزاً لهم، حيث كان يتمتع حينها بالخدم والملاذات، إذ يفعلون كل أمر فيه خير، ويتبعون عن كل أمر فيه شر، أو إزهاق لأرواح كل ذي حياة، يلبسون الثياب، ويطبقون مبادئ الجينية العامة على أنفسهم.

وقد ألقى مهافيرا قبل موته خمسين وخمسين خطبة ووصية، وأجاب عن ستة وثلاثين سؤالاً؛ فهذه الخطب وتلك الأسئلة أصبحت كتابهم المقدس، ويضاف إلى ذلك، الخطب والوصايا المنسوبة للمريدين والرهبان والنسّاك الجنيين، وانتقل تراثهم هذا مشافهة من جيل إلى جيل، وقد حاولوا تدوينه في القرن الرابع قبل الميلاد لكنهم فشلوا في جمع كلمة الناس حول ما كتبه، فتأجلت كتابته إلى سنة (٥٧) م، فدوّنوا آنذاك ما استطاعوا الحصول عليه بعد أن فقد كثير من هذا التراث بوفاة الحفاظ والعارفين، ومن أهم عقائدهم وشعائهم ما يلي^(٧):

١. لا يعترفون بالروح الأكبر أو بالخالق الأعظم لهذا الكون، أو بالآلهة الهندوس وبالذات الآلهة الثلاثة: (برهما - فشنو - سيفا)، ومن هنا سميت حركتهم بالحركة الإلحادية..

الموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ج٢، ص٧٤١ وما بعدها

(٦) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص١٣٠-١٣١.

(٧) ينظر في العقائد والشعائر المنسوبة المصادر التالية: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص١١٧-١٢٨، وينظر:

٩. **النجاة:** السبيل إليها شاق وعسير، وهي من خصائص الخاصة، وهي تعني الفوز بالسرور الخالد الخالي من الحزن والألم والهموم، وتعني التطهر من أدران الحيوانية المادية، وهي ترمي إلى التخلص من تكرار المولد، والموت، والتناسخ، وطريق الوصول إلى النجاة يكون بعد تجاوز عوائق ومتاعب الحياة البشرية بقتل عواطفه، وشهواته، وحاجاته، وألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان، والشخص الناجي ليس بذئ جسم مادي، وليس بطويل، ولا قصير، ولا لون له يحيط بكل شيء مطلق من كل القيود، يكون دائماً مسروراً مستقراً في نعيم مقيم مكانه فوق الخلاء الكوني، إنها نجاة أبدية سرمدية.

١٠. **تقديس كل ذي روح تقديساً عجيماً:** يمسك بعض الرهبان بمكنسة ينظف بها طريقه أو مجلسه؛ خشية أن يطأ شيئاً فيه روح، ويضع بعضهم غشاء على وجهه يتنفس من خلاله؛ خوفاً من استنشاق أي كائن حي من الهوام العالقة في الهواء، ولا يعملون في الزراعة؛ حذر من قتل الديدان والحشرات الصغيرة الموجودة في التربة، لا يذبحون الحيوانات، ولا يأكلون لحومها وهم نباتيون، لا يشتركون في معركة، ولا يدخلون في قتال؛ خوفاً من إراقة الدماء، وقتل الأحياء من البشر، فهم مسالمون بعيدون عن كل مظاهر العنف.

١١. **قهر العواطف:** يجب قهر العواطف والمشاعر جميعاً، حتى لا يشعر الراهب بحب أو كره، بحزن أو سرور، بحر أو برد، بخوف أو حياء، بخير أو شر، بجوع أو عطش، فيجب أن يصل إلى درجة الخمود والجمود والذهول، بحيث تقتل في نفسه جميع العواطف البشرية، ترى أحدهم ينتف شعر جسده دون أن يشعر بأي ألم في ذلك، وقمة قتل العواطف هي الوصول إلى مرحلة العري، الذي يعتبر أبرز مظاهر الجينية حيث يمشي الشخص في الشوارع بدون كساء يستتر جسده، من غير شعور بالحرج أو الحياء أو الخجل، وهذا تطبيقه فرقة ديجامبرا من الجيني؛ فالرهبان يعيشون عراة، وذلك نابع من فكرة نسيان العار أو الحياء، مما يمكنه من اجتياز الحياة إلى مرحلة النجاة والخلود، وإذا تذكر الإنسان العاري الحياة والحسن والقبح، فذلك يعني أنه ما زال متعلقاً بالدنيا مما يحجبه عن الفوز والنجاة، والشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، وعدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم؛ فمن أراد الحياة البريئة البعيدة عن الشعور بالآلام فما عليه إلا أن يعيش عارياً متخذاً من السماء والهواء كساء له، ولم تخرج الجينية من الهند، فمعابدهم وكهوفهم منتشرة في أنحاء الهند، وهي تعد من عجائب الدنيا زينة وزخرفة مما يدل على براعتهم في نحت التماثيل، ورسوخ قدمهم في فن معمار المعابد وزخرفتها، وتزيينها بالنقوش العجيبة، ويبلغ تعدادهم الحالي حوالي المليون نسمة، وظهور الديانة الجينية كان مواكباً لظهور الديانة البوذية،

المحافظة على الورع، والاحتياط في الأقوال والأعمال، وفي جميع الحركات والسكنات، وتجنب الأذى والضرر لأي كائن حي مهما كان حقيراً، والتقليل من الحركات البدنية، ومن الكلام، ومن التفكير في الأمور الدنيوية الجسمانية، حتى لا تضيع الأوقات والأنفاس الثمينة في صغار الأمور، والتحلي بعشر خصال هي أمهات الفضائل ووسائل الكمال وهي: العفو، والصدق، والاستقامة، والتواضع، والنظافة، وضبط النفس، والتقشف الظاهري والباطني، والزهد، واعتزال النساء والإيثار، والتفكير في الحقائق الأساسية عن الكون وعن النفس، وبعض أمور الكون وأمور النفس يتوصل لها بالحواس الخمسة المادية، وبعضها لا يتوصل إليها بمنظار الذهن، ومن هنا لزم استعمال الحواس المادية، واستعمال الفكر كذلك، والسيطرة على متاعب الحياة وهمومها التي تنشأ من الأعراض الجسمانية أو المادية، كمشاعر الجوع والعطش والبرودة والحرارة، وسائر أنواع الشهوات المادية، وعليه أن يضرب حصناً متيناً حوله؛ للتخلص من هذه الأعراض والحواس والتأثر بها وأخيراً القناعة الكاملة، والطمأنينة، والخلق الحسن، والطهارة الظاهرية، والباطنية، وتدعى الجينية أن هذه المبادئ تطلق الإنسان من الوثاق الذي يشده بالحياة، ويسلب عنه الراحة الذهنية والطمأنينة القلبية، وإذا اتصف أحد بهذه الصفات السبع فإنها تخرجه من الظلمات التي تحيط به بسبب هموم الدنيا ومشاكلها العديدة حتى يصير روحه حرة طليقة تنساب في سماء المعرفة والنور العلوي، وتحيط بالعلوم الربانية والكشف الباطني، فتكون في سرور دائم ولذة معنوية مطلقة، وهذه هي الطريقة الجينية للنجاة.

٧. **الكارما:** لديهم كائن مادي يخالط الروح ويحيط بها، ولا سبيل لتحرير الروح منه إلا بشدة التقشف، والحرمان من الملذات، ويظل الإنسان يولد ويموت ما دامت الكارما متعلقة بروحه، ولا تطهر نفسه حتى تتخلص من الكارما، حيث تنتهي رغباته، وعندها يبقى حياً خالداً في نعيم النجاة، وهي مرحلة النيرفانا عند البوذيين، والانطلاق عند الهندوس، وهذا الخلاص التي قد تحصل عليه الروح في الدنيا بالتدريب والرياضة أو بالموت يكون بشدة التقشف والحرمان من الملذات في كل مرحلة من مراحل الحياة.

٨. **الحسنة والسيئة:** الحسنة هي فعل الخيرات كإطعام المساكين، ومساعدة المحتاجين، والمجازاة عليها تكون في الدنيا الحالية بالبركة، والغنى، والصحة، ومنها ما هو في حياة قادمة، والسيئة هي ارتكاب الأعمال الخبيثة، والفواحش، والكذب، والسرقة، والفسق، والفجور، والخيانة، والجشع، والعنف.. الخ ويجازى على ذلك بالفقر والتناسخ في أشخاص تعساء أو في قوالب الحيوانات والجمادات.

والروحي، وبهذه الذاتية الروحية الفكرية السلوكية يصل إلى النرفانا وهي السعادة القصوى المتمثلة في راحة النفس والهدوء والسكينة، وعندها تبطل الشهوات، والعواطف، ويتوقف تناسخ الأرواح؛ فالبوذي السعيد هو الذي ينجو من الدوران في محيط الولادة والموت؛ إذ يصل إلى النرفانا حيث لا ولادة ولا موت، وهذه المرحلة هي انعدام التناسخ الذي هو من ضرورات النفس الشقية^(٩).

ودعا إلى تبني وجهة نظره هذه، وتبعه أناس كثيرون إلى أن توفي في الثمانين من عمره سنة (٤٨٨) قبل الميلاد، وبعد موته تحولت البوذية إلى ديانة ذات طابع وثني، تقوم على تأليه بوذا، وتأخذ طابعاً اجتماعياً دينياً، وتختلف باختلاف الأمكنة؛ لأن البوذيين قدسوا بوذا تقديساً عظيماً، وكتبوا كثيراً عن سيرته، وأعماله، وأفكاره، ودخل في البوذية شعوب وأجناس شتى.

وننتج عن ذلك انقسام البوذية إلى قسمين^(١٠):

١. القسم الأول: البوذية القديمة، وتسمى الجنوبية؛ لانتشارها في بورما وتايلاند وسيلان، وهي في الحقيقة تؤله بوذا وتعبده، وتتميز بالرهانية الشديدة.

٢. القسم الثاني: البوذية الجديدة، وتسمى الشمالية؛ لانتشارها في اليابان وكوريا والصين، وتتميز بالفلسفة، والتعمق، وتعدد الآلهة، ففي الصين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة وثلاثون، واليابانيون يعتقدون أن إمبراطورهم من نسل الآلهة.

وقد كانت اتجاهات بوذا الخلقية السلوكية واللاعقيدة سبباً في انتشار البوذية في الهند؛ لسهولة هذه الاتجاهات، ولعدم تعارضها مع آلهة الهندوس، وكثير من الهندوس يتبعون البوذية في أخلاقها ويظلون مع ذلك على ولائهم لآلهة الهندوس ومن هنا بدأت البوذية تختلط في الشعوب الأخرى وتنتشر، واضطراب الناس وحيرتهم في الهند جعلهم يقبلون أي مذهب يرد إليهم أو فكرة تخطر ببال أحدهم، كذلك مما ساعد على انتشارها إلغاء بوذا لنظام الطبقات، وكلماته، وصفاته، وعدائه للتعصب الديني، وللغضب، وللطيش؛ فلم يُعرف عنه أنه سب أو سخط أو نطق بكلمة جارحة أو قاسية، فهذه الأمور جعلت دعوته ناجحة، وجمعت حوله الكثير من الناس دون جهد وعناء، وقد شهدت الفترة الأولى (من مطلع البوذية حتى القرن الأول الميلادي) تحولاً كبيراً في العقيدة البوذية فيما يتصل ببوذا، فقد كان في أول هذه الفترة يعد معلماً ورجلاً عظيماً ورائداً عالمياً ثم أصبح بمرور السنين رجلاً مقدساً فمعبوداً فالهياً، ولم يكن ذلك التطور الواسع باتفاق الجميع، ولذلك عقدت عدة مؤتمرات للتوفيق، ولكنها

وكلتاهما ثورتان داخل الفكر الهندوسي، ويعتقد بأن النصرانية قد أخذت عن الجينية فكرة الصيام عن كل ما فيه حياة؛ إذ إنهم يصومون عن اللحوم وعن جميع المشتقات الحيوانية لأيام معدودة، ويعيشون خلال ذلك على الأطعمة النباتية.

المبحث الثالث: الدين البوذي.

هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية والديانة الجينية في القرن الخامس قبل الميلاد، وتعتبر امتداداً في غالب تعاليمها للهندوسية البرهمية، وقد كانت في البداية تناهض وتعادي الهندوسية؛ لأنها كانت رد فعل لعسف البراهمة، واستبدادهم مما أثار عليهم الطبقات الأخرى وبخاصة طبقة الأكشترية، حيث ظهر منها بوذا ونادى بإلغاء نظام الطبقات الهندوسي، واتجه إلى العناية بالإنسان، ودعى إلى التصوف والخشونة، والمحبة، والتسامح، وفعل الخير، ونبذ الترف، وبعد موته تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني حيث غالى أتباعها في بوذا حتى ألوهه، وهو سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا (٥٦٠ - ٤٨٠) ق. م وبوذا تعني المستنير أو العالم، وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميراً فشب مترفاً في النعيم، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد، والتقشف، والخشونة في المعيشة، والتأمل في الكون، ورياضة النفس، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ودعا إلى نبذ الترف، ونادى بالمحبة، والتسامح، وفعل الخير^(٨).

ويرى أن البرهمية عاجزة عن حل لغز الوجود، ومشكلة الحياة؛ فانصرف إلى غابة بالبنغال، وقسا على نفسه، وتقلب في أشد ضروب التقشف والحرمان إلى أن توصّل في خلال ست سنوات من تحمل العناء ورياضة النفس إلى ما توصّل إليه، وأفنق السنوات الخمس والأربعين الباقية من عمره في تعليم ما انتهى إليه من تجربته، وهي أن أساس التدين هو التأمل، ومقاومة النزعات.

وقد وضع أربع حقائق أساسية في زعمه وهي:

١. الحياة هي العناء.

٢. الشهوات هي أصل هذا العناء.

٣. يتوقف العناء عندما تتوقف الشهوات.

٤. إبطال الشهوات، ويتم باتباع ما سمّاه بالصراط النبيل، ويقوم هذا الصراط على توافر الصحة، والصواب في الاعتقاد، والعزم، والقول، والسلوك، والتأمل الفكري،

(٩) ينظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، للشبخ/ أحمد عبد الغفور عطار، ص ٣٣٣، وأديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١٤٢-١٥٣.
(١٠) ينظر: أصول الفرق والمذاهب الفكرية، للدكتور/ سفر عبد الرحمن الحوالي، ص ١٠٨-١٠٩.

(٨) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١٤١-١٤٦، الموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهنى، ج ٢، ص ٧٥٨ وما بعدها.

٦. يصلي البوذيون لبوذا، ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة، وتؤدي الصلاة عندهم في اجتماعات يحضرها كثير من أتباعه.

٧. لما مات بوذا قال أتباعه: صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض.

٨. الاعتقاد بتناسخ الأرواح: وذلك ناتج عن كفرهم باليوم الآخر؛ حيث قادم ذلك إلى القول بتناسخ الأرواح؛ فهم يعتقدون أن من مات انتقلت روحه إلى حي جديد؛ فإذا مات الثاني انتقلت إلى الثالث، وهكذا إلى ما لا نهاية له؛ ثم يزعمون- بناء على قانون الجزاء- أن الروح تلقى جزاءها من النعيم أو الشقاء أثناء تنقلها من جسم إلى جسم، وهذا الاعتقاد سرى إلى كثير من الأديان والفرق التي تقول بالتناسخ.

٩. يؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض؛ ليعيد السلام والبركة إليها.

١٠. في تعاليم بوذا الدعوة إلى المحبة، والتسامح، والتعامل بالحسنى، والتصدق على الفقراء، وترك الغنى والترف، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء، والمال، وترغيب في البعد عن الزواج.

١١. الاعتقاد بطور النرفانا: وهي عبارة عن بلوغ النفس الكمال الأسمى، والسعادة القصوى، وانطلاقها من أسر المادة، وانعتاقها من ضرورة التناسخ، وتعني الخلاص من أسر المعاناة والرغبة، واكتساب صفاء الدين والروح، والتحرر من أسر العبودية واللذة، وانبثاق نور المعرفة عن طريق تعذيب النفس، ومقاومة النزعات، مع بذل الجهد، والتأمل، والتركيز الفكري والروحي، وهو هدف البوذية الذي يبلغه البوذي بعد أن يحطم جميع القيود والأغلال التي تُقيّد نفسه، وكان بوذا يرفض شرح النرفانا لتلاميذه، ويقول أن الذين يبلغون النرفانا قليلون جداً، وهذا معناه أن أغلبية البشر ستظل في تخبط وظلام وحرمان! وكان يسخر ممن يقولون بوجود الإله، ويأمرهم بترك الاهتمام بالنظريات والعقائد، وعدم الاهتمام بما بعد الموت، ويعتبر هذا إنهاك للعقل وتعذيب له، ويأمرهم بترك كل ما بعد الحياة.

١٢. التسول والبطالة: فمن تعاليم البوذية أنها توصي أتباعها بالتخلي عن أموالهم، وعقاراتهم، وحرفهم، وتوصيهم بمد اليد للآخرين بالتسول والاستجداء؛ فهم يعيشون على البطالة والكسل؛ فما يدعو له بوذا هو الرهينة، لأنه في الرهينة يتساوى سائر البشر.

١٣. يجب على البوذي التقيد بثمانية أمور حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته: الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة، وذلك عند الإقدام على أي عمل، والتفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء،

لم تستطع أن تتقنع الجماهير بترك مكان الإله شاغراً كما أراده بوذا أن يكون، فظلّ الخلاف قائماً، وفي خلال هذه الفترة ظهر الإمبراطور أسوكا أو أشوكا الذي تولى الملك في الهند، وأمن بالبوذية، ودفع بها إلى خارج حدود الهند؛ فقد أرسل البعوث إلى كشمير، وسيلان، واليونان، وفارس، والإسكندرية، وبدأت البوذية تبنى المعابد، وتضع فيها الآلهة، كما بدأت تقيم الجمعيات التي ترعى الحياة الاجتماعية، وتشرف على شؤون الدين، وفي الفترة الثانية- أي من القرن الأول حتى القرن الخامس الميلادي- أخذت البوذية تنتشر تجاه الشرق إلى البنغال، وتجاه الجنوب الشرقي إلى كمبوديا وفيتنام، وتجاه الشمال الغربي إلى كشمير، وفي القرن الثالث اتخذت طريقها تجاه الشرق إلى الصين وأواسط آسيا ثم بعدها بقرون ضعفت البوذية، واختفى كثير من آثارها وذلك لظهور الإسلام في الهند، وفي سواها من الأقطار التي كانت تتربع فيها البوذية، ولكن البوذية اتجهت بنشاطها في هذه الفترة - فارةً من الإسلام - تجاه لاوس ومنغوليا وبورما، وكان للنشاط الثقافي البوذي عظيم الأثر خلال هذه الفترة في بورما، وكمبوديا، وسيلان، واليابان^(١١).

وكتب البوذية ليست منزلة، ولا هم يدعون ذلك، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله، سجلها بعض أتباعه، ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين، فبوذيو الشمال اشتملت كتبهم على أوام كثيرة تتعلق ببوذا، أما كتب الجنوب فهي أبعد قليلاً عن الخرافات، وتشتمل عقائد البوذية وشعائرها على خرافات كثيرة، وأباطيل عديدة، ومتناقضات شتى فمن ذلك^(١٢):

١. الإلحاد: فقد كان بوذا في أول دعوته لا يتكلم عن الألوهية، ويتحاشى الخوض في أمور الغيب، ثم تحول بعد ذلك إلى محاربة الاعتقاد بوجود الله، وصار ينادي بالإلحاد. ٢. يعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم خطاياهم.

٣. يعتقدون بقانون الجزاء، وإنكار البعث واليوم الآخر؛ فهم يرون أن الإنسان لا بد له من الجزاء على أعماله خيراً وشرّاً، لكنهم يرون ذلك يحدث في الحياة الدنيا، لذلك فهم ينكرون البعث، وينكرون الجنة والنار.

٤. يعتقدون أن هيئة بوذا قد تغيرت في آخر أيامه؛ حيث نزل عليه نور أحاط برأسه، وأضاء من جسده نور عظيم؛ فقال الذين رأوه: ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم.

٥. يعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي وهو عندهم ذات من نور غير طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم.

(١١) ينظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١٨٢-١٨٧.

(١٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٦٠-١٨٠.

والإشراف الصحيح المستقيم، والاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به، ومطابقة اللسان لما في القلب، ومطابقة السلوك للقلب واللسان، والحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر الذات، والجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملاذ.

١٤. في تعاليم بوذا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة: وهي الاستسلام للملاذ والشهوات، وسوء النية في طلب الأشياء، والغناء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح.

١٥. من وصايا بوذا: لا تقض على حياة حي، لا تسرق، ولا تغتصب، لا تكذب، لا تتناول مسكرًا، لا تزن، لا تأكل طعامًا نضج في غير أوانه، لا ترقص ولا تحضر مرقصًا ولا حفل غناء، لا تتخذ طبيبًا، لا تقتن فراشًا وثيرًا، لا تأخذ ذهبًا ولا فضة.

الديانة البوذية منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية، حيث يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة، ولهم معبد ضخم بالنيبال، وهو عبارة عن مبنى دائري الشكل، وتتوسطه قبة كبيرة وعالية، وبها رسم لعينين مفتوحتين وجزء من الوجه، ويبلغ قطر المبنى (٤٠) مترًا، أما الارتفاع فيزيد عن خمسة أوار مقارنة بالمباني ذات الأدوار، والبوذية مذهبان^(١٣):

١. المذهب الشمالي: وهو سائد في الصين واليابان والتبت ونيبال وسومطره.

٢. المذهب الجنوبي: وهو سائد في بورما وسيلان وسيام. والتاريخ الإجمالي للبوذية يقرّر أن هذه الديانة واصلت سيرها طوال خمسة وعشرين قرنًا، وفي خلال هذه الفترة الطويلة تطورت البوذية سواء من ناحية العقيدة، أو التطبيق، أو الأدب، أو المؤسسات المرتبطة بها، كالمعابد والمعاهد، وقد اقتحمت البوذية حوالي ثلاثين قطرًا في آسيا.

المبحث الرابع: الدين السيخي.

كلمة سيخ تعني المريد أو التابع، والسيخ جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلادي، داعين إلى دين جديد، زعموا أن فيه شيئًا من الديانتين الإسلامية والهندوسية، تحت شعار: "لا هندوس ولا مسلمون"، وظهر على يد رجل يدعى (ناناك)، أصله من طبقة الكاشتر، وقد كانت نشأته هندوسية تقليدية، ولما شبَّ عمل محاسبًا لزعيم أفغاني، وهناك تعرف على عائلة مسلمة كانت تخدم هذا الزعيم، وقد أخذ ينظم الأناسيد الدينية، كما نظم مقصفاً؛ ليتناول المسلمون والهندوس الطعام فيه، وقضى زمناً من حياته في التأمل والتفكير، ورفضت فطرته عبادة الأصنام والتمائيل التي تكثر عند الهندوس، كما رفضت نظام الطبقات المقيت، فأخذ يسبح

في الأرض باحثًا عن الحقيقة، وتنتقل في البلاد، كما قام بزيارة مكة والمدينة والعراق، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه، وتعلّم الهندية والفارسية، وأراد أن يتعلّم الإسلام، ولكن المسلمين في بلاده (البنجاب) كانوا يعبدون الأولياء، ويقدّسون الأضرحة، كما يفعل الهندوس بالأصنام، فلم يجد (ناناك) فرقًا كبيرًا بين الطائفتين، ولم يوفق لمقابلة من يعلمه الإسلام الصحيح، وقد لقي صوفيًا من أصحاب وحدة الوجود يُدعى (سيد حسين درويش) فتعلّم منه أن الأديان كلها حق؛ لأن الأصنام ما هي إلا مظاهر وتجليات للحق، ومن عبدها فإنما يعبد الله في الحقيقة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١٤).

فأعجب ذلك الضال الحائر بهذه العقيدة، وأمن بها، وكان يدّعي حب الإسلام، مشدودًا إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين؛ فادّعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها يدعو إلى دين جديد، لا هو الهندوسية ولا الإسلام، وزار معابد الهندوس، وأضرحة الأولياء، وناظر الكهنة والشيوخ داعيًا إلى عقيدته، ومعلنًا شعاره الجديد: "لا هندوس ولا مسلمون"، وقبل وفاته عام ١٥٣٩م. عيّن أحد أتباعه خليفة له، وخلفه من بعده عشرة خلفاء معلمون، وحصل على أيديهم تطورات، وتغيرات كإقامة طقوسًا خاصة بالمواليد والوفيات تختلف عن طقوس الهندوس، وأحدهم أبطل عزلة المرأة، ودافع عن الزواج بوحدة، وشجّع الاتصالات بين الطبقات، ومنع بشدة ممارسة عادة حرق النساء الأرامل بعد موت أزواجهن، والخليفة العاشر والأخير صرف همه كله لتوحيد صفوف السيخ، وبتّ فيهم روح العداء للمسلمين، وفتح الباب لجميع من أراد الدخول في الديانة السيخية، ولم يفرّق بين الطبقات، فدخل الناس في دينه أفواجًا، وجعل لقومه زياً خاصاً يتميزون به عن الآخرين، وأوجب على كلّ سيخي ما يلي:

١. أن يتخذ لديه سوار من الحديد؛ وذلك دليلاً على شجاعته وصلابته.
 ٢. ألا يحلق شيئاً من شعر جلده، وأن يكون عنده مشاطة.
 ٣. وضع الخنجر في جنبه على الدوام، ومقصدهم من حمل السلاح ووضع الحديد في المعصم هو الحماية من المسلمين ومن معتقداتهم، وتذكيراً للسيخي قبل أن يموت أن يقتل مسلماً حتى يحوز على رضا الإله.
 ٤. أوجب تعظيم البقرة، ورفع القيود عن المأكّل والمشرب حتى أباح الخمر.
- واتخذ مع اسمه لقب (سنغ) أي: الأسد، ثم أطلق هذا اللفظ على كل سيخي، فما منهم من أحد إلا وفي اسمه سنغ، وهو

(١٤) ينظر: أصول الفرق والمذاهب الفكرية، للدكتور/ سفر عبد الرحمن الحوالي، ص ١١١-١١٣، والموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ج ٢، ص ٧٦٤ وما بعدها.

(١٣) ينظر: أنيان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، ص ١٨١، والموسوعة الميسرة، للدكتور/ مانع حماد الجهني، ج ٢، ص ٧٥٨ وما بعدها.

يموت، والذي ليس له شكل، ويتعدى أفهام البشر، كما يستعملون عدة أسماء للإله، وأفضلها عند نانك (الخالق الحق).

٣. يمنعون تمثيل الإله في صور، ولا يقرون بعبادة الشمس، والأنهار، والأشجار التي يعبدها الهندوس، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج، وقد انفصلوا تدريجياً عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية خاصة تميزهم عن غيرهم.

٤. يتعبدون الإله بإنشاد الأناشيد الدينية التي نظمها المعلمون، ويعتقدون بأن ترديد أسماء الإله يطهر المرء من الذنوب، ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد، والتأمل يؤدي إلى الاتصال بالإله.

٥. يؤمنون بالتناسخ مثل الهندوس، وبولادة الإنسان وموته، ثم إعادة ولادته، بحيث تنقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة.

٦. يعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له.

٧. تنتقل الأرواح مرة بعد مرة بعد أخرى إلى الدنيا ليس بحتم، بل قد ينجو الإنسان من التثقل أحياناً بمحض لطف الله وكرمه وهذا نتيجة تأثيرهم بعقيدة المسلمين.

٨. يعتقدون أن الكون شيء واحد ويعذب الرهبان أنفسهم ليصلوا إلى غايتهم وهي الحلول والاتحاد.

٩. معلمو السيخ ينكرون المعجزات والقصص والخرافات ذات الأساطير، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد خلّد السيخ معابد لهم مبنية على قصص تتحدث عن معجزات وقعت للمعلم ويسمى عندهم (غورو)، وهي درجة دينية تأتي بعد مرحلة الرب، فهو الذي يدلّ - في نظرهم - على الحق والصدق.

١٠. يؤمنون بمجيء مخلص ينشر السيخية في جميع أنحاء العالم.

١١. ينادون بالمساواة بين الناس.

١٢. أباح نانك الخمر، وأكل لحم الخنزير، وقد حرّم لحم البقر مجارة للهندوس.

١٣. يقدسون العدد خمسة الذي له معنى صوفي في أرض البنجاب، أي: الأنهار الخمسة.

١٤. ليس لديهم طبقة دينية مشابهة للبراهمة الهندوس؛ إذ إنهم يرفضون مبدأ الطبقات الهندوسي، كما يعارضون احتكار طبقة البراهمة للتعاليم الدينية.

الذي لُقّب السيخ بـ: (الخالصة) أي: القوم الأحرار، وهو الذي فصل الأمة السيخية عن الأمة الهندوسية فصلاً تاماً، وفي عهده أصبح السيخ أعداء المسلمين، وصاروا يسعون للانتقام منهم في كل فرصة سنحت لهم، ومنذ ذلك الحين أصبح السيخ أمة شديدة البأس، حربية الطبع، وعاشوا في حروب مستمرة مع جيرانهم من الهندوس والمسلمين، ولما احتلّ الإنجليز الهند دخل السيخ في طاعتهم، وظلّوا مخلصين في الولاء لهم، وسخّروا الإنجليز لحرب الهندوس والمسلمين، ولقد وقفوا مع الإنجليز، بل انضموا إليهم في حربهم ضد الأفغان سنة ١٨٣٨م، وتحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التمرد، وحصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة، منها منحهم أراض زراعية، وإيصال الماء إليها عبر قنوات، مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة، وفي الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من (٢٠٪) من الجيش الهندي البريطاني، وقد انضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية، وذلك إثر قيام مشكلات بينهم وبين الإنجليز بعد عام ١٩٤٧م، وصاروا مقسمين بين دولتين: الهند والباكستان، ثم اضطروا مليونان ونصف المليون منهم أن يغادروا باكستان إلى الهند إثر صدامات بينهم وبين المسلمين، وقد ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز، مما دفعهم إلى المطالبة بولاية البنجاب وطناً لهم، وما يزالون من أكبر أسباب الاضطراب والشغب في الهند، كما أنهم يشابهون اليهود في شدة عداوتهم للإسلام، واشتهر السيخ خلال حكمهم بالعسف والظلم والجور والغلبة على المسلمين مثل منعهم من أداء الفرائض الدينية، والأذان، وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية، وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما، والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء، ومن مصادره كتاب آدي غرانت، وهو مجموعة أناشيد دينية ألّفها المعلمون، وتبلغ نحواً من (٦٠٠٠) نشيد ديني، كما ضمّ إليها المعلم الأخير غوبند سنغ (١١٥) نشيداً، كما تحتوي على أناشيد نظمها بعض رجال الصوفية المسلمين من مثل ابن الفارض على وجه الخصوص، وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس الذي يعتبر أساس السلطة الروحية لدى السيخ^(١٥)، ومن أبرز عقائدهم وشعائره^(١٦):

١. يعتقدون بوحدة الأديان وتقليل المنافرة بين الفرق والمذاهب.

٢. يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، ويؤكّدون على وحدانية الخالق الحي الذي لا

(١٥) ينظر: الهندوس والسيخ، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، ص ٢١-١٨.

(١٦) ينظر: أصول الفرق والمذاهب الفكرية، للدكتور/ سفر عبد الرحمن الحوالي، ص ١١١- ١١٣، ودراسات في اليهودية

والمسيحية وأديان الهند، للدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٦٨٢- ٦٩٩.

بعد تجاوز عوائق ومتاعب الحياة البشرية بقتل العواطف والمشاعر، والشهوات، والحاجات الفطرية، وعدم إيقاع الأذى بأي إنسان أو حيوان.

وقتل العواطف تعني عدم الشعور بحب أو كره، بحزن أو سرور، بحر أو برد، بخوف أو حياء، بخير أو شر، بجوع أو عطش، ويصل الراهب إلى درجة الخمود وحالة من الجمود والذهول، وتقتل في نفسه جميع العواطف البشرية. وكل هذه العقائد والطقوس الشاقة والعسيرة فيها دعوة إلى التصوف، والخشونة، والتقصيف الشديد المهلك، ولا شك أنه مناقض لفطرة الإنسان؛ فالإنسان بفطرته إذا لم يجد الأكل الطيب سيأكل الخبيث ومن ثم يهلك ويموت، وإذا لم يأخذ حظه من النوم والراحة يفسد جسمه ويختل، وإذا لم يتزوج بالطريقة الصحيحة ينحرف ويشذ بطرق أخرى تشبع رغبته، ولكنها تهلكه وترديه، وإذا لم تبلغه الدعوة إلى عبادة الله أو بلغته، ولكنه تركها وانحرف لعبادة غير الله؛ فهو يهلك نفسه ويغرقها في بحر من الأوهام والضلالات.

والصواب هو ما جاء به الإسلام، الدين الذي ارتضاه الله للناس، وهو أن للروح حق وللجسد حق؛ فكل التطلعات الجسدية، والشهوات، والرغبات، والغرائز، واشباعها لا يعوق من تقرب الروح وصعودها في درجات الكمال والعبودية لله، وقوة المؤمنين في ذلك النبي ﷺ كان يتزوج النساء، وذا عيال، ويأكل الطيبات، ويلبس الملابس الجميلة، وهنا تظهر عظمة الإسلام في تنظيمه لحياة الإنسان باعتدال وتوازن لا تفسد معه الروح ولا الجسد كونه وحيًا ربانيًا، ودينًا سماويًا من عند الله العليم بحاجات البشر ومتطلباتهم، وقد عجزت أيدي البشر وعقولهم على مر الأزمان في أن تضع نظامًا صحيحًا يسير عليه الناس.

ويؤخذ على عقيدة التناسخ والانطلاق في أديان الهند الكبرى أنها عقائد تشاؤمية جعلت التصوف، والياس، والسلبية، وترك العمل أفضل من صالح الأعمال؛ لأنه طريق للاتحاد بالإله.

ويلحظ هبوط المستوى الاقتصادي في الهند نتيجة للرهبنة وكون بعض الطبقات لا تعمل؛ ذلك لأن العمل لا يليق بمكانتها السامية كطبقة البراهمة مثلاً، ونظام الطبقات الموجود في الدين الهندوسي يعطل مبدأ تكافؤ الفرص، وهو مبدأ يؤكد على ضرورة تمتع أي شخص بالحق في العمل بغض النظر إلى أي عنصر آخر كالعرق، أو الدين، أو الجنس، أو عمر، أو أي عامل آخر، والتقسيم الطبقي في الدين الهندوسي يتعارض مع كرامة الإنسان، ويؤدي إلى الظلم، والحسد، والبغض؛ ولذلك كانت ردة فعل له الدين الجيني والبوذي.

والصحيح الذي جاء به الإسلام هو أن أصل التفاضل

١٥. يقيّمون أنفسهم على أساس عرقي.. منهم الجات (قبائل زراعية) وغير الجات المنبوذون، لكن وضعهم أفضل بكثير من وضع المنبوذين لدى الهندوس.

١٦. يتزوجون من زوجة واحدة فقط.

١٧. أعياد السيخ هي نفس أعياد هندوس الشمال في الهند. ١٨. أصول الدين لديهم خمسة وهي: ترك الشعر مرسلاً بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس، وأن يلبس الرجل سواراً حديدًا في معصميه بقصد التذلل والافتداء بال دراويز، وأن يلبس الرجل تبتاء، وهو أشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزاً للعفة، وأن يضع الرجل مشطاً صغيراً في شعر رأسه، وذلك لتمشيط الشعر وترجيله وتهذيبه، وأن يتمنطق السيخي بحربة صغيرة أو خنجر على الدوام، وذلك لإعطائه قوة واعتداداً، وللدفاع به عن نفسه إذا لزم الأمر، ويُعتقد بأن هذه الأمور ليست من وضع ناناك، بل هي من وضع الخليفة العاشر غوبند سنغ الذي حرّم أيضاً التدخين على أتباعه، ويقصد بهذه الأمور التميز عن جميع الناس، وأكثرية السيخ: وهم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والمسيحية، تقطن البنجاب إذ يعيش فيها (٨٥٪) منهم، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا، وفي دلهي، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد استقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق أفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا، ويقدر عدد السيخ حالياً بحوالي (١٥) مليون نسمة داخل الهند وخارجها^(١٧).

المبحث الخامس: نقد الأديان التشاؤمية في الهند.

وبعد هذا العرض المختصر لأهم عقائد الأديان وشعائرها يلاحظ أن الدين الجيني والبوذي كانا ثورة على الدين الهندوسي مستكراً طبقاته، وحتى الدين السيخي الذي ظهر مؤخراً في الهند مقت نظام الطبقات عندهم، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يتحرروا من طابع الدين الهندوسي العام ومن سماته البارزة، وكانوا على أفكار وعقائد هندوسية تشاؤمية كعقيدة الانطلاق، والكارما، والتناسخ، والخوف من تكرار المولد، والدعوة إلى السلبية، والرهبنة، والزهد، والتصوف؛ لأنهم وجدوا في الرهبنة المخرج لهم من نظام الطبقات، ويتساوى فيها سائر البشر.

والمأمل في هذه العقائد والشعائر يجد أن الرهبان والكهان المتمسكين بعقائد هذه الأديان يمارسون طقوساً صارمة جداً للتحرر من ملذات الحياة حيث ربطوا سعادة الروح وانطلاقها بهذه الطقوس الشاقة والعسيرة.

والانطلاق والنجاة والنرفانا عند هذه الأديان تعني الفوز بالسرور الخالد الخالي من الحزن، والألم، والهموم، والتطهر من أدران الحيوانية المادية، والتخلص من تكرار المولد، والموت، والتناسخ، وطريق الوصول إلى ذلك يكون

(١٧) ينظر: الهندوسية والسيخ، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، ص ٢٥-٢٦.

ويدرك أن هذه الدار ليست دار النعيم المقيم والسعادة الأبدية حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (الأنبياء: ٣٥). ويقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (الملك: ٢).

ومما يؤخذ على هذه الأديان التفريق القاسي بين الرجل والمرأة في المعاملة، والتحذير من الزواج والتعدد، وهذا ضد فطرة الإنسان الذي فطره الله على غرائز معينة لا بد من إشباعها كالرغبة في الزواج، وقد جاء ثلاثاً رهطاً إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! فَذُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأُخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصْلِي وَأَرْفُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" أخرجه البخاري.

وكان النبي ﷺ يأمر بالبائة، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: "تزوجوا الودود الولود؛ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْآنِبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم / (٤٠٢٨)، وحكمه (صحيح لغيره).

وقد يعيش الرهبان في الغابات عراة معرضين أجسامهم لظواهر الطبيعة، ويقطعون الروابط بالحياة عن طريق الانتحار البطيء، ولا يتزوجون ولا يملكون شيئاً من الدنيا، ويمارسون (البوغا) لخلاص النفس، وتلاشي البدن، وإماتة الشهوة، وقد انتقلت هذه الرياضة للمسلمين كرياضة تقدم في النوادي للتأمل والاسترخاء؛ ولكنها هي في الهند عقيدة ونسك للرهبان، ويجب الحذر منها، وترك تقليد الغير دون علم وفهم ودراية.

والعري مخالف لفطرة الإنسان؛ لأن العري فطرة حيوانية، ولا يميل إليها الإنسان إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان الذي كرمه الله، ورفع من شأنه بين الخلائق، وجعله خليفة في هذه الأرض؛ فالحياء خاصية بشرية حبا الله بها الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة، ولذلك لما أكل آدم- عليه السلام- وحواء من الشجرة، ونزع الشيطان عنهما لباسهما، وبدت لهما سواتهما، ذهبا يجمعان من ورق الجنة، ويشبكاه بعضه في بعض، ويضعانه على سواتهما، مما يوحي أن الإنسان يستحي من التعري فطرة، ولا يتعري وينكشف إلا بفساد الفطرة وإغواء الشيطان وأعوانه، يقول الله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} (الأعراف: ٢٠)، ثم قال تعالى: {فَدَلَاهُمَا

بين الناس لا يكون لا باللون، ولا بالجنس، ولا بالنسب، ولا بالمال إنما يكون بتقوى الله تعالى، وهو فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه.

قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات: ١٣). والدين الإسلامي الذي ارتضاه الله للبشر يسوي بين جميع الناس في الحقوق والواجبات؛ فالناس أمام الشرع سواء، وكلهم بنو رجل واحد، وامرأة واحدة، الأبيض والأسود، العربي والأعجمي، الغني والفقير، الشريف والوضيع؛ والناس كلهم لآدم وادم خلق من تراب، وإن كانت بينهم فروق فهي ليست للتفاضل إنما هي للتمحيص كتبها الله وقدرها اختباراً وابتلاء، ولخلافة الأرض وعمارتها، وتحقيق التوازن في الحياة، يقول تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (الزخرف: ٣٢).

وترك العمل، والطعام، والشراب، والزواج، وكل ملاذ الحياة، وأسباب العيش الكريم عند هذه الأديان، واعتزال الناس في الكهوف النائية مخالف لفطرة السليمة التي تدعو الإنسان للعمل، والكدح من أجل كسب المال، والقيام بمتطلبات الحياة؛ فالدين الإسلامي الموحى به من عند الله واقعي موافق للفطرة في كل جانب من جوانب الحياة، ويأمر بالجد، والاجتهاد، والعمل، والنشاط، والقوة، وينهى عن الكسل، والبطالة، وسؤال الناس والاستجداء، يقول الله تعالى: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة: ١٠٥).

ويقول الرسول ﷺ: "لأن يغدو أحدكم، فَيُحْطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَعْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ، أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَإِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ" أخرجه مسلم.

فمثلاً بوذا يرى أن الولادة، والمرض، والموت، والكهولة، ومفارقة الأحبة، أحزاناً وأراد أن يغمض عينيه عن هذا الواقع بأن يعيش في الغابات والكهوف النائية، ويمتهن نفسه ويعذبها بحرمانها من الطعام، والشراب، والملاذ المباحة، وهذا كله مخالف للفطرة، ولا يلبي حاجتها للطعام، والشراب، والتمتع بملاذ الحياة المباحة، يقول الله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٣١-٣٢).

وهذه الأمور والمصائب والمعاناة التي تحدث للبشر بنسب متفاوتة إنما هي ابتلاءات مقدرة على العباد للتمحيص والاختبار؛ فالمتؤمن لا تحبطه المصائب والكروب، فهو مستعداً لها، ومدرگاً لحكمتها، وراضياً بما يقسمه الله له،

أنفسهم بتجويعها وتجريدها من رغباتها وخاصة الرهبان الحريصون على النجاة والخائفون من تكرار المولد، وكل هذا تناقضاً ويرفضه العقل.

أما الجزاء في الدين الإسلامي الحنيف يكون في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى في الجزاء الدنيوي: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة: ٢٥١)، ويقول تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَبِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} (الحشر: ٦)، ويقول الله تعالى في الجزاء الآخروي: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (المؤمنون: ١٠٢-١٠٣).

كما أن هذه العقائد الباطلة تجعل الدنيا دار عمل وجزاء، والصواب أنها دار عمل وابتلاء، وهناك دار أخرى للحساب والجزاء، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء: ٤٧)، ويقول تعالى في عرض الأعمال يوم الحساب: {وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا} (الكهف: ٤٩).

ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «قال: يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظْلَمُوا، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَانِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعْتُهُ، فَاسْتَعْصِمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِيَّ فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا، عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم.

وأما اعتقاد تعدد الآلهة فهو اعتقاد فاسد؛ لأن الكون يسير على نظام دقيق جدًّا، ولم يحصل في نظامه الاضطراب والخلل والفساد الذي ينتج في العادة عن اختلاف الشركاء، يقول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنبياء: ٢٢)، ويقول

بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَاْكُلُمَا الشَّجَرَةَ وَأَفَلَا تَلُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الأعراف: ٢٢).

وكشف العورة بين الزوجين من غير داعٍ غير مستساغ؛ لأن الحشمة والستر يحقق الجمال، والجاذبية، واللباس رمزاً للفطرة الإنسانية منذ نشأتها الأولى، فهو كان مع آدم وحواء من ورق الجنة، وفي الأرض كانت ثيابهم من شعر الضأن؛ فهو من ضرورات الحياة، وتوارث الأنبياء حب اللباس الجميل - حتى لبس خاتمهم ﷺ - الجبّة والخلة والإزار والرداء، والقميص، وكان أصحابه يحبون أن تكون ثيابهم حسنة ونعالهم حسنة، وخافوا أن يكون هذا من الكبر فقال لهم: "إن الله جميل يحب الجمال" حديث صحيح، صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم/ (٧٦٧٤).

ويشعر الإنسان بهويته البشرية، وميزته الإنسانية من خلال إيمانه بأهمية الستر، واللباس، والحشمة، والزينة، وتطبيق ما أمره الله به في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} (الأعراف: ٣٦)، وقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف: ٣١).

واللباس الجميل فضل ونعمة، والاعتدال فضيلة، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وهو لا يحب المفسرين، ولا يحب المتشددین المحرّمين بغير علم، قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٣٢).

فهذه الأديان فيها معاداة ظاهرة، واستخفاف مزير بحاجات الجسد، بل تعذيبه واشقاؤه غاية لتحرر الروح من شقاء الحياة وتعاستها، وهذا نابع من التصور الفاسد المبني على أن الجسد سجن لهذه الروح، وأنه بحاجاته المشروعة يعوق تقدم الروح وانطلاقها.

وتتفق هذه الأديان مع الدين الإسلامي في خلود الروح خلوداً أبدياً، وخضوعها للتواب والعقاب، وإن اختلفت في طريقة الثواب والعقاب.

فعقيدة الكارما وقانون الجزاء لا يكاد العقل يقبلها؛ لأن الروح في الحياة الجديدة مقطوعة تماماً عن حياتها السابقة، ولا تعرف عنها شيئاً؛ فهي تنعم أو تشقى دون معرفة أسباب ذلك، كما أن من التناقضات في هذه العقيدة هو ألا يعمل الإنسان سيئات أو حسنات حتى لا يتكرر المولد ثم إن الناظر في طريقة النجاة والخلاص من تكرار المولد ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان ولا شك أن كفا الأذى يعتبر من الحسنات! ومن الغريب ومن التناقضات العجيبة أيضاً أنهم يحرصون على عدم قتل أي إنسان أو حيوان وهم يقتلون

منبهاً خلقه على أنه واحدٌ باتساق أفعاله وترتيبها: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} (المؤمنون: ٩١).

فالله تعالى لا شريك له في هذا الكون، لو كان في السموات والأرض آلهة كثيرة لخربت السموات والأرض، واختل نظامهما، وهلك ما فيهما من الخلق؛ لأن كلَّ إله من الآلهة كان يطلبُ مُغالبة الآخر، والعلوُّ عليه؛ وفي ذلك فسادُ أمر السموات والأرض ومن فيها فلا يصلحُ الوجودُ إلا على إله واحدٍ، وهذا هو المشاهد من اتساق الكون وانتظامه مما يدل على وجود إله واحد يدبر أمره.

وأتباع الدين الجيني والبوذي لم يتحررا تحرراً كاملاً من فكرة الألوهية؛ فاتخذوا من بوذا ومهافيرا آلهة وعبدوهم بعد موتهم؛ نتيجة إنكارهم لآلهة البراهمة وإحادهم، ومعابدهم امتلأت بالآلهة؛ فالوثنية وعبادة الآلهة والأصنام نتيجة حتمية لإنكار الإله؛ فكل دين ينكر الإله ينتهي بالفشل، وسبب ذلك أن الناس مفسطرون على الإيمان بإله خالق مدبر محيي ومميت؛ فالتدين لله العظيم يحزر البشر من عبادة غيره، ويخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وحده لا شريك له، وبذلك تتحقق للإنسان كرامته وحرية الحقيقة، والناس لا يستطيعون العيش دون أن يكونوا خاضعين للإله العظيم، فمن لا يعبد الله وحده يعبد غيره ويقع فريسة لشهواته واهوائه بلا حد ولا ضابط، وقد فشلت هذه الأديان في تلبية حاجات البشر؛ لأنها تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشاكل الحياة وصعابها؛ فهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وقد دخل كثير ممن انحطت طبقاتهم في النظام الطبقي الهندوسي للدين الجيني والبوذي؛ لأنها خففت عليهم تعاليم الهندوسية، وأزالت ما أحدثته من تفريق بين الناس بسبب نظام الطبقات وإلا فإن تعاليم هذه الأديان لا تستقيم معها الحياة، ولا ترتقي بها الأمم، لأنها أنكرت وجود الإله الذي يتبعه إنكار التدين والخضوع والعبادة، والإيمان والتعبد اتجاه فطري قوي لا يقل عن قوة الغرائز الأخرى في البشر، وإهمال هذا الجانب يحدث ارتباكاً واضطراباً، وتآليه مهافيرا وبوذا من قبل أتباعهم، وعبادة الأصنام من بعدهم إلى وقتنا الحاضر ماهي إلا نتيجة حتمية لإنكار مهافيرا وبوذا للإله.

وعبادة الله الحق المعبود وحده لا شريك له يلبي حاجة وغيرة وفطرة الروح إلى التدين؛ فالعبادات من التضرع، والدعاء، والصلوات فطرة فطر الله الناس عليها، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {فَاقْمْ وْجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} * مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١٨) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، للدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٦٨٨.

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (الروم: ٣٠-٣٢).

وعقيدة السيخ التي ظهرت بعد ميلاد المسيح- عليه السلام- في الهند تعتبر إحدى حركات الإصلاح الديني التي تأثرت بالإسلام، وحرمت الرهبانية، وتحظر على أتباعها الخروج من الدنيا، وتركها كلياً، بل تحث الناس على الاشتغال بكسب الرزق بخلاف فقراء الهندوس والبوذيين والجينيين الذين يرون أن الحياة الدنيا هي مصدر الألم والشر^(١٨)، ولا شك أن هذه الفكرة من تأثر مؤسسها بالإسلام، ولكنها ضلّت الطريق حيث لم تتعرف على الإسلام بما فيه الكفاية، بل تعرف مؤسسها على مشايخ الصوفية من المسلمين وتأثر بهم من أمثال: "بابا فريد كنج شكر، وبابا مردان خان، وباب ستا" وغيرهم^(١٩)، ولم تتحرر عقائدها تحرراً كاملاً من الفكر الهندوسي؛ لأنها تدعو للحلول والاتحاد وأن الكون شيء واحد، ولا يزال كثير من الرهبان السيخ يغالون في تعذيب أنفسهم، ويتحملون المشاق من باب التصوف والزهد، ويفنون حياتهم من أجل الحصول على الحلول والاتحاد. هذا والله أعلم ورد العلم إليه أسلم وأحكم، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة رسول الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن من أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي ما يلي:

١. الأديان التشاؤمية عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس لأممهم؛ ليسيروا عليها، ويعملوا بما فيها، والتي لم يستندوا في وضعها إلى وحي سماوي، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنما هي جملة من التعاليم، والقواعد العامة اصطلاحوا عليها، وساروا على منوالها.

٢. الأديان التشاؤمية يلزمها النقص وعدم الكمال؛ وذلك لأنها من وضع البشر، والبشر لا يمكنهم أن يحيطوا بجميع حاجات الفطرة الإنسانية، ومتطلباتها المتجددة دائماً، أما الدين السماوي فهو كامل، وتام، وشامل؛ لأنه من وضع خالق السماوات والأرض، وعلام الغيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، والذي يحيط بكل شيء علماً.

٣. الأديان هي المكون الأساسي من ميراث الإنسانية الثقافي والحضاري، وهي المحرك الأساسي للجنس البشري، والاهتمام بدراسة هذه الأديان يوضح فضل الإسلام عليها، وأنها لا تصلح للنفس البشرية، ويوضح أن الإسلام هو المنهج الكامل في الأخلاق والسلوك، وفيه الاتجاه الصحيح

(١٩) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٩٧.

لعبادة الله تعالى على الطريقة التي ارتضاها، وقد قال القائل: "وبضدّها تتميّز الأشياء"؛ فلا نعرف مدى النعمة، وعظيم الفضل الذي امتنّ الله به علينا إلا بعد دراسة ومعرفة مثل هذه الأديان الباطلة.

٤. الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، فهو أحقُّ بها؛ فالعلم والمعرفة تجعلنا نأخذ من هذه الأديان الوضعية الصحيح الذي يوافق ديننا وصريح عقولنا، ونترك المخالف لديننا ونبتعد عنه.

٥. الحياة في نظر الأديان التشاؤمية شر وألم، وتعاسة مستمرة، وشقاء متصل، والتخلص منها يتم عن طريق تطهير الروح من قهر العواطف والشهوات؛ ولذلك توصي أتباعها بالرهينة، والتخلي عن أموالهم، وعقاراتهم، وحرهم، وتوصيهم بمد اليد للآخرين بالتسول والاستجداء، وتجعلهم يعيشون على البطالة والكسل، وهذه الوصايا الفاسدة مخالفة لفطرة النفس البشرية التي طبعت على الكدح والعمل من أجل الحصول على العيش الكريم والحياة الرغيدة.

٦. الحياة لا تسير على نسق واحد من الحزن والألم، بل فيها الحزن والفرح، والشقاء والسعادة، والمرض والصحة، والموت والحياة، ولولا الأول ما عرفنا قيمة الثاني، وهذه الأمور المتناقضة تدل دلالة قاطعة على عظمة من خلقها وأبدعها، والذي يوجب علينا عبادته حق العبادة، وحمده، وشكره على نعمه الكثيرة التي تُعد ولا تحصى، ويوجب علينا التمسك بالدين الذي ارتضاه لنا ديناً؛ لأن فيه النجاة الحقيقة، والفوز بالجنة والنعيم الدائم.

أما التوصيات:

١. أوصي أهل العلم وطلابه بتنقيح ودراسة الجذور الفكرية، والمصادر المقدسة عند الأديان الوضعية، وإبراز جوانب الضعف، والتحريف، والتناقض فيها.

٢. تكريس الإعلام في تعزيز العقائد الإسلامية الصحيحة، وغرس القيم والأخلاق الموافقة للدين الإسلامي.

٣. بذل الجهود المكثفة من قبل أفراد المجتمع كل في مكانه، وعلى قدر استطاعته في معالجة كل ما يخالف الدين الإسلامي، والعقل، والفطرة السليمة؛ لأن المخالفة لهذه الأسس تقتضي فساد البشرية.

هذا، والله أسأل أن يغفر لي ولكم الخطأ والنسيان، وأن يهدنا سبيل الرشاد، وأن يرنا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه، وأن يرنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. أديان الهند الكبرى، للدكتور/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٧م.

٢. أصول الفرق والمذاهب الفكرية، لسفر عبد الرحمن الحوالي، دار منابر الفكر.

٣. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل الدمشقي، تحقيق/ سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٥. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، للدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦. الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار، مكتبة المهتدين، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١هـ.

٧. صحيح البخاري مع فتح الباري، لأبي عبد الله محمد البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٨. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٩. الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، لجون كولر، ترجمة/ كامل يوسف حسين، مراجعة/ د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.

١٠. المدخل في دراسة الأديان والمذاهب، لعبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١١. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع الجهني، دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.

١٣. الهندوس والسيخ، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع، الكويت، ص١٩٨٨م.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Electronic Terrorism Causes, Objectives, Features and Methods.

الإرهاب الإلكتروني (المفهوم والأسباب والأهداف والخصائص والأساليب).

Prof. Hamood bin Mohsen Al Dajani*

*Professor of Comparative Jurisprudence – Islamic Studies department - College of Science and Human Studies- Shaqra University- KSA

أ.د. حمود بن محسن الدعجاني*

*أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والحقوق - جامعة شقراء - المملكة العربية السعودية.

E-mail: haldajani@su.edu.sa

KEY WORDS

Electronic Terrorism, Internet, Terrorism Crime, Terroristic Organizations.

الكلمات المفتاحية

الإرهاب الإلكتروني، الإنترنت، جريمة الإرهاب، التنظيمات الإرهابية.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

Electronic terrorism is considered one of the most dangerous terrorisms at the present time considering the wide scope of using recent technology in the world.

Many countries sought to take the precautions and measures to confront electronic terrorism and eliminate its serious effects on individuals and societies. Therefore, this study aims at stating the concept of electronic terrorism, differentiating between it and other similar acts, stating its causes, objectives, features and methods.

The study used the analytic inductive method and results included that electronic terrorism is material and non-material hostility, threat or intimidation by using electronic means by countries, groups or individuals against man's religion, self, honor, mind and money without right and by using all kinds of hostility and forms of corruption in the world. The most related prominent reasons are weak informatics networks and vulnerability and the most prominent objectives are violation of public order and information security and the most prominent feature is that it is transcontinental crime and the most prominent methods are using Internet in management of terrorism operations. The study recommended the necessity to prepare Cybersecurity force to maintain electronic information security.

يعد الإرهاب الإلكتروني من أخطر أنواع الإرهاب في العصر الحاضر؛ نظراً لاتساع نطاق استخدام التكنولوجيا الحديثة في العالم.

ولقد سعت العديد من الدول إلى اتخاذ التدابير والاحترازاات لمواجهة الإرهاب الإلكتروني والحد من آثاره الجسيمة على الأفراد والمجتمعات، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي هدفت لبيان مفهوم الإرهاب الإلكتروني، والتمييز بينه وبين ما يشته به، وبيان أسبابه وأهدافه، وخصائصه وأساليبه، واعتمدت فيه على المنهج الاستقرائي التحليلي، وخلصت الدراسة إلى أن مفهوم الإرهاب الإلكتروني هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان: دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوف العدوان، وصور الإفساد في الأرض، ومن أبرز أسبابه ضعف بنية الشبكات المعلوماتية وقابليتها للاختراق، ومن أبرز أهدافه الإخلال بالنظام العام والأمن المعلوماتي، ومن أبرز خصائصه أنه جريمة عابرة للقارات والحدود، ومن أبرز أساليبه استخدام الإنترنت في إدارة العمليات الإرهابية، وأوصت الدراسة بضرورة إعداد قوة أمن سيبراني لحفظ أمن المعلومات الإلكترونية.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتده بهداه، أما بعد:

فقد ترتب على الثورة العلمية في مجال التقنية والمعلومات في العصر الحاضر بروز مصطلح الإرهاب الإلكتروني، وزيادة خطورة الجرائم الإرهابية، وتعقيدها؛ لذا كان من الأهمية بمكان دراسة هذا النوع الجديد من الإرهاب من كافة جوانبه، وتسعى هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الإرهاب الإلكتروني، والتمييز بينه وبين ما يشته به، وبيان أسبابه وأهدافه، وخصائصه وأساليبه.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز أهمية البحث وأسباب اختياره في الآتي:

١. خطورة الإرهاب الإلكتروني على الدول والأفراد والمجتمعات.

٢. أن التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي أصبحت في متناول الجميع.

٣. بروز قوة الأمن السيبراني كنوع جديد من أنواع القوة حيث لم تعد القوة تقتصر على القوة العسكرية والاقتصادية.

مشكلة البحث:

يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال السؤال الرئيسي التالي:

ما هو مفهوم الإرهاب الإلكتروني وأسبابه وأهدافه وخصائصه وأساليبه؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى إنجاز عدد من الأهداف كما يلي:

١. بيان تعريف الإرهاب الإلكتروني.
٢. التمييز بين الإرهاب الإلكتروني وبين ما يشته به.
٣. بيان أسباب الإرهاب الإلكتروني وأهدافه.
٤. بيان خصائص الإرهاب الإلكتروني وأساليبه.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي تناولت موضوع الإرهاب الإلكتروني ما يلي:

١. دراسة (الألفي، ٢٠١٤) الإرهاب الإلكتروني من التدبير إلى المواجهة، مجلة الأهرام للكمبيوتر والإنترنت والاتصالات، عدد ١٤/١٢/٢٠١٤م.
٢. دراسة (بشير، ٢٠١٤) الإرهاب الإلكتروني في ظل الثورة التكنولوجية وتطبيقاته في العالم العربي، مجلة آفاق سياسية، العدد السادس، ٢٠١٤م.
٣. دراسة (جعجع، ٢٠١٧م) الأمن المعلوماتي وإدارة العلاقات الدولية.
٤. دراسة (حسنين، ٢٠١٣م) أمن شبكات المعلومات الإلكترونية المخاطر والحلول، ٢٠١٢م.
٥. دراسة (اللواتي، ٢٠١٧م) تجريم الانفلات الإلكتروني، مجلة الأهرام للكمبيوتر والإنترنت والاتصالات، عدد

١٣/١٠/٢٠١٧م.

منهج البحث:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي.

تعريف الإرهاب الإلكتروني، وتمييزه عما يشته به.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- تعريف الإرهاب الإلكتروني:

عرف بتعريفات متعددة، منها:

١. أنه العدوان أو التخويف أو التهديد المادي أو المعنوي الصادر من الإرهابيين باستخدام الوسائل الإلكترونية بهدف الإخلال بالأمن والنظام العام، وابتزاز السلطات بالاستيلاء على الأموال العامة والخاصة، وإلحاق الضرر بالملكات. (مخلف، ٢٠١٧، ص ١٨).

٢. أنه نوع من الإرهاب يعتمد على استخدام الإمكانيات العلمية والتقنية، واستغلال وسائل الاتصال والشبكات المعلوماتية من أجل تخويف وترويع الآخرين، وإلحاق الضرر بهم، أو تهديدهم. (الدeshان، ٢٠١٨م، ص ٩٤).

٣. أنه الاستخدام العدائي والعدواني غير المشروع للإنترنت، بهدف ترويع الحكومة، والمدنيين، أو قسم منهم، في إطار السعي إلى تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية. (الجابري، ٢٠١٢م، ص ٢٣).

٤. هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوف العدوان وصور الإفساد في الأرض. (السند، ١٤٢٥هـ، ص ٦).

ولعل التعريف الأخير هو الأقرب لأمرين:

الأول: أنه من أشمل التعاريف وأجمعها.

الثاني: أنه مأخوذ من تعريف مجمع الفقه الإسلامي الدولي للإرهاب.

المطلب الثاني- تمييز الإرهاب الإلكتروني عما يشته به

قد تتشابه جريمة الإرهاب الإلكتروني مع بعض الصور الإجرامية الخطيرة الأخرى؛ لذلك كان لابد من تمييز جريمة الإرهاب الإلكتروني عنها في الفروع التالية:

الفرع الأول- الإرهاب الإلكتروني والإرهاب التقليدي:

مفهوم الإرهاب الإلكتروني ينسجم مع مفهوم الإرهاب التقليدي وذلك لأن كلا المفهومين لهما طابع تخريبي وتدميري وأيضاً التهديد، وكلاهما لهما نفس الأهداف إلا أن الفرق بين الجريمتين هو (الوسيلة) فوسيلة الإرهاب التقليدي هي الأسلحة التقليدية، وأدواتها هم أفراد، أو دولة، أو منظمة، بينما وسيلة الإرهاب الإلكتروني هي تقنية المعلومات أو الشبكة المعلوماتية والإنترنت، وأجهزة الكمبيوتر. (الكاكة، ٢٠٢٠م، ص ٦٤٧).

الفرع الثاني- الإرهاب الإلكتروني والجريمة العادية:

يختلف الإرهاب الإلكتروني عن الجريمة العادية في أن دوافعه غير شخصية بخلاف الجريمة العادية فإن الدافع لها في الغالب يكون شخصياً، وكذلك فإن المجرم في الجريمة العادية يسهل تعقبه بخلاف المجرم في جريمة الإرهاب الإلكتروني فإنه يستخدم أساليب أكثر تعقيداً وتقدماً ويصعب تعقبه. (حريز، ١٩٩٦م، ص ١٠٢).

الفرع الثالث- الإرهاب الإلكتروني والجريمة المنظمة:

تكون الأهداف والدوافع في جريمة الإرهاب الإلكتروني فكرية أو سياسية أو اقتصادية. أما في الجريمة المنظمة فتكون من أجل نيل مكاسب مادية، كذلك فإن الإرهاب الإلكتروني يكون من خلال أفراد أو جماعات، أما الجريمة المنظمة فلا يتم ارتكابها إلا من خلال جماعات منظمة تنظيماً معقداً. (حريز، مرجع سابق، ص ١٥٣).

أسباب الإرهاب الإلكتروني وأهدافه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- أسباب الإرهاب الإلكتروني:

للإرهاب الإلكتروني أسباب عامة وخاصة سأتناولها في فرعين كالتالي:

الفرع الأول- الأسباب العامة:

أولاً- الأسباب الشخصية والنفسية:

ويمكن إبراز هذه الأسباب فيما يلي:

١. الرغبة في الظهور، وحب الشهرة.
٢. الفشل في تحقيق بعض الأهداف أو الرغبات؛ فيلجأ إلى الإرهاب والخروج عن النظام.
٣. الفشل في الحياة العلمية والعملية، أو المسيرة الاجتماعية، أو النواحي الوظيفية أو التجارب العاطفية؛ مما يجعله يشعر بالفشل في الحياة، ويدفعه للإرهاب.

٤. الاضطرابات والتقلبات النفسية والمرضية حيث تؤدي وسائل الإعلام دوراً كبيراً في تحفيز العوامل النفسية للفرد، وتأجيج روح الانتقام لديه مما يدفعه للإرهاب. (مخلف، ٢٠١٧، ص ٢١).

ثانياً- الأسباب الفكرية:

ويمكن إبراز هذه الأسباب فيما يلي:

١. الجهل بقواعد الشريعة الإسلامية ومبادئها وأحكامها.
٢. الجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية.
٣. عدم الرجوع لعلماء الشريعة المعبرين.
٤. التشدد والغلو في الدين.
٥. الانتماء للجماعات والأحزاب الفكرية المنحرفة.

(الجابري، ٢٠١٢م، ص ٣١).

ثالثاً- الأسباب الاقتصادية:

ويمكن إبراز هذه الأسباب فيما يلي:

١. انتشار البطالة في المجتمع، وزيادة العاطلين عن العمل، وعدم توفر فرص العمل ساهم في كثرة السطو والسرقات،

وتفشي ظاهرة الإرهاب.

٢. معاناة الأفراد من المشكلات الاقتصادية كالديون والفقر وغلاء المعيشة والتضخم في الأسعار مما دفع بعض الشباب إلى التطرف والإرهاب.

٣. التقدم التقني للأنظمة المصرفية العالمية أدى إلى سهولة انتقال الأموال وتحويلها عن طريق الإنترنت مما ساعد المنظمات الإرهابية على استغلال الفرصة من أجل تحقيق أغراضهم غير المشروعة. (مخلف، ٢٠١٧م، ص ٣٣).

رابعاً- الأسباب الاجتماعية:

ويمكن إبراز هذه الأسباب فيما يلي:

١. التفكك الأسري والاجتماعي مما ساعد على ظهور الانحراف والإجرام والإرهاب.
٢. ضعف دور العلماء والمربين في القيام بواجب النصح والإرشاد والتوجيه للمجتمع.
٣. فقد الهوية المجتمعية والعقيدة الصحيحة للمجتمع، وغياب لغة الحوار بين أفراد المجتمع من الأسباب الاجتماعية المؤدية إلى تفشي ظاهرة الإرهاب.
٤. الفراغ الروحي والنفسي والعقلي والزماني من الأسباب التي تؤدي إلى التطرف والإرهاب. (الجابري، ٢٠١٢م، ص ٣٤).

خامساً- الأسباب السياسية والعسكرية:

تتجسس المنظمات الإرهابية عبر شبكة الإنترنت بهدف الحصول على معلومات عسكرية وسياسية واقتصادية؛ من أجل إحكام السيطرة والنفوذ مثل القرصنة المعلوماتية للحصول على المعلومات العسكرية المخزنة في ذاكرة الحاسبات الآلية التابعة لوزارة الدفاع بالدول المستهدفة. (حسين، ٢٠١٦م، ص ٧).

الفرع الثاني- الأسباب الخاصة:

أبرز أسباب الإرهاب الإلكتروني الخاصة ما يلي:

١. ضعف بنية الشبكات المعلوماتية وقابليتها للاختراق.
٢. غياب الحدود الجغرافية وتدني مستوى المخاطرة.
٣. سهولة الاستخدام وقلة التكلفة.
٤. صعوبة اكتشاف وإثبات الجريمة الإرهابية الإلكترونية.
٥. الفراغ التنظيمي والقانوني وغياب جهة السيطرة والرقابة على الشبكات المعلوماتية (الدeshان، ٢٠١٨م، ص ٩٩).

المطلب الثاني- أهداف الإرهاب الإلكتروني:

سأتناول في هذا المطلب أهداف الإرهاب الإلكتروني من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول- الإخلال بالنظام العام والأمن المعلوماتي:

النظام العام والدولة جزءان لا ينفكان عن بعضهما فمتى وجدت الدولة لابد من أن يكون قيامها على نظام عام يرسم منهجها، ويحدد أهدافها وغاياتها؛ فالمحافظة على النظام العام في الدولة وتطبيق الأنظمة المرعية يُعدّ مسلكاً مهماً لاستقرار المجتمع ورفقها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؛

في استقطاب الشباب من مختلف دول العالم والترويج والدعاية لتلك الجماعات الإرهابية. (الدهشان، ٢٠١٨م، ص ١٠٠).

الفرع الثاني- غسيل الأموال:

تقوم الجماعات الإرهابية بغسيل الأموال، وهي عملية إضفاء الصفة الشرعية على الأموال الناتجة من الجريمة المنظمة في محاولة لإخفاء المصدر الحقيقي للدخل، وتستخدم تلك الأموال في توفير الدعم المالي، وتمويل شراء الأسلحة والمتفجرات اللازمة للعمليات الإرهابية. (الجابري، ٢٠١٢م، ص ٤٤).

الفرع الثالث- تدمير المواقع والبيانات الإلكترونية والنظم المعلوماتية:

تشن التنظيمات الإرهابية هجمات إلكترونية بقصد تدمير المواقع والبيانات والنظم الإلكترونية، وإلحاق الضرر بالبنية المعلوماتية التحتية وتدميرها، وتستهدف ثلاثة أهداف أساسية غالباً، وهي الأهداف العسكرية، والسياسية، والاقتصادية؛ وذلك لإخضاع إرادة الشعوب والمجتمعات الدولية. (الدهشان، ٢٠١٨م، ص ١٠٢).

الفرع الرابع- التجسس الإلكتروني والتهديد الإلكتروني والقصف الإلكتروني:

ويمكن بيان ذلك كالتالي:

أولاً- التجسس الإلكتروني:

الخطر الأكبر يظهر من خلال استخدام الإرهابيين للتجسس الإلكتروني على الأشخاص أو الدول أو المنظمات والهيئات الدولية، وتستهدف عمليات التجسس الإرهابي ثلاثة أهداف هامة، وهي التجسس العسكري والسياسي والاقتصادي، حيث تقوم التنظيمات الإرهابية بالحصول على أسرار ومعلومات الدولة ثم إفشائها لدول أخرى معادية، أو استغلالها بما يضر تلك الدولة. (ياسمينه، ٢٠٢٠م، ص ٢٦).

ثانياً- التهديد الإلكتروني:

من الأساليب التي تستخدمها التنظيمات الإرهابية التهديد عبر الشبكة العنكبوتية، وتتنوع أساليب التهديد بين تهديدات باغتيال شخصيات سياسية أو تهديدات بتفجيرات في مراكز سياسية أو هيئات حكومية، أو التهديد بإطلاق الفيروسات التي تدمر أنظمة المعلومات بالكامل. (الدهشان، ٢٠١٨م، ص ١٠٤).

ثالثاً- القصف الإلكتروني:

ويكون بالهجوم على شبكة المعلومات عن طريق توجيه مئات الآلاف من الرسائل الإلكترونية إلى مواقع هذه الشبكات، وبالتالي تسبب ضغط كبير على هذه المواقع وتقدها قدرتها على العمل تماماً. (ياسمينه، ٢٠٢٠م، ص ٢٧).

ولهذا تسعى المنظمات الإرهابية لاستهداف النظام العام والأمن المعلوماتي لضرب وحدة المجتمع واستقراره. (السلمي، ٢٠٢٢م، ص ٢٦٩).

الفرع الثاني- نشر الخوف والرعب بين الأشخاص والدول: نشر الخوف والرعب بين الأشخاص والدول هو الغرض المباشر من الأعمال الإرهابية؛ مما يؤدي إلى انعدام الأمن الاجتماعي، ونشر الخوف والرعب بين الناس. (الجبور، ٢٠١١م، ص ٣٣٩).

الفرع الثالث- إلحاق الضرر بالبنى المعلوماتية الإلكترونية:

تسعى المنظمات الإرهابية إلى إتلاف البرامج والأجهزة، وسرقة المعلومات والعبث بها، وتزوير المستندات وإتلافها، والاعتداء على الحسابات المصرفية، والبطاقات البنكية، واختراق المواقع الإلكترونية والبريد الإلكتروني، والتشويش على أنظمة الحاسوب، أو تعطيلها. (الشبل، ٢٠١٢م، ص ٤٦).

الفرع الرابع- جمع الأموال والاستيلاء عليها:

تسعى المنظمات الإرهابية إلى جمع الأموال العامة والخاصة والسطو عليها عن طريق غسيل الأموال والاستيلاء على أرقام بطاقات الائتمان، واختراق الحسابات المصرفية، وغيرها من العمليات التي تهدف إلى الاستيلاء على الأموال لتمويل العمليات الإرهابية. (الشبل، ٢٠١٢م، ص ٢٠٧).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- خصائص الإرهاب الإلكتروني:

تتفرد جريمة الإرهاب الإلكتروني بعدة خصائص، أهمها ما يلي:

١. الإرهاب الإلكتروني جريمة عابرة للقارات والحدود.
٢. الإرهاب الإلكتروني لا يحتاج في ارتكابه إلى العنف والقوة بل يتطلب وجود حاسب آلي متصل بالشبكة المعلوماتية.

٣. صعوبة اكتشاف جرائم الإرهاب الإلكتروني، ونقص الخبرة لدى بعض الأجهزة الأمنية والقضائية في التعامل مع مثل هذا النوع من الجرائم.

٤. صعوبة الإثبات في جرائم الإرهاب الإلكتروني؛ نظراً لسرعة غياب الدليل الرقمي، وسهولة إتلافه وتدميره.

٥. يتميز الإرهاب الإلكتروني بأنه يتم عادة بتعاون أكثر من شخص على ارتكابه. (مخلف، ٢٠١٧م، ص ٣٧).

المطلب الثاني- أساليب الإرهاب الإلكتروني:

تعتمد التنظيمات والجماعات الإرهابية عدة أساليب في سبيل تحقيق أهدافها الإرهابية، وسأعرض أبرز هذه الأساليب في الفروع التالية:

الفرع الأول- استخدام الإنترنت في إدارة العمليات الإرهابية:

الجماعات الإرهابية لها العديد من المواقع الإلكترونية والصحف الإلكترونية والتي تصدر بلغات مختلفة وتستخدم

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً- النتائج:

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

١. الإرهاب الإلكتروني هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادرة من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوف العدوان وصور الإفساد في الأرض.

٢. تم التمييز من خلال هذه الدراسة بين الإرهاب الإلكتروني والإرهاب التقليدي، وبين الإرهاب الإلكتروني والجريمة العادية، وبين الإرهاب الإلكتروني والجريمة المنظمة.

٣. تم من خلال هذه الدراسة بيان أسباب الإرهاب الإلكتروني، وتبين أن له أسباباً عامة ترجع إلى أسباب شخصية ونفسية وفكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية وأسباب خاصة من أبرزها ضعف بنية الشبكات المعلوماتية وقابليتها للاختراق.

٤. تبين من خلال هذه الدراسة أن من أبرز أهداف الإرهاب الإلكتروني الإخلال بالنظام العام والأمن المعلوماتي.

٥. تبين من خلال هذه الدراسة أن من أبرز خصائص الإرهاب الإلكتروني أنه جريمة عابرة للقارات والحدود.

٦. تبين من خلال هذه الدراسة أن من أبرز أساليب الإرهاب الإلكتروني استخدام الإنترنت في إدارة العمليات الإرهابية.

٧. أن القوة لم تعد تقتصر على القوة العسكرية والاقتصادية بل يضاف إليها قوة الأمن السيبراني.

ثانياً- التوصيات:

١. ضرورة إعداد قوة أمن سيبراني لحفظ أمن المعلومات الإلكترونية.

٢. ضرورة التنسيق وتبادل المعلومات والخبرات بين الأجهزة المعنية بمكافحة الإرهاب عبر الإنترنت في دول العام كافة.

فهرس المصادر والمراجع

١. الألفي، محمد محمد، (٢٠١٤م): الإرهاب الإلكتروني من التدمير إلى المواجهة، مجلة لغة العصر، مجلة الهرام للكمبيوتر والإنترنت والاتصالات، عدد ٤/١٢/٢٠١٤م، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢. بشير، هشام، (٢٠١٤م): الإرهاب الإلكتروني في ظل الثورة التكنولوجية وتطبيقاته في العالم العربي، آفاق سياسية، العدد السادس، يونيو ٢٠١٤م.

٣. الجابري، إسماء طارق، (٢٠١٢م): جريمة الإرهاب الإلكتروني، رسالة ماجستير في القانون العام، كلية الحقوق بجامعة النهريين، العراق.

٤. الجبور، محمد، (٢٠١١م): الجرائم الواقعة على أمن الدولة وجرائم الإرهاب، دار الثقافة للنشر، عمان.

٥. ججع، عبدالوهاب، (٢٠١٧م): الأمن المعلوماتي وإدارة العلاقات الدولية متاح على

<https://www.politicsdz.com/threads/almn-almylumati-u-dar-alylaqat-alduli.10851>.

٦. حريز، عبدالناصر، (١٩٩٦م): الإرهاب السياسي، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٧. حسنين، رجب عبدالحميد، (٢٠١٢م): أمن شبكات المعلومات الإلكترونية: المخاطر والحلول – cybarians journal- عدد ٣٠، ديسمبر ٢٠١٢م.

٨. حسين خليل عبدالله علي، (٢٠١٦م): الإرهاب الإلكتروني، ورقة مقدمة لمؤتمر الإرهاب الإلكتروني، معهد التنمية الإدارية، مصر.

٩. الدهشان، جمال علي (٢٠١٨م): الإرهاب في العصر الرقمي (الإرهاب الإلكتروني) صورته، مخاطره، آليات مواجهته، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد (١)، العدد (٣)، ٢٠١٨م.

١٠. السلمي، مشعل عواض، (٢٠٢٢م): التعزير للمصلحة وأثره في حفظ النظام العام، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ٦٩، ٢٠٢٢م.

١١. السند، عبدالرحمن بن عبدالله، (٢٠٠٤م): وسائل الإرهاب الإلكتروني حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٤م.

١٢. الشبل، عبدالعزيز بن إبراهيم، (٢٠١٢م): الاعتداء الإلكتروني، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض.

١٣. صادق، عادل، (٢٠١٧م): الهجمات السيبرانية: أنماط وتحديات جديدة للأمن العالمي، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، متاح على http://accronline.com/article_detail.aspx?id=29088.

١٤. الكاكة، محمود أديب، (٢٠٢٠م): اختصاصات مجلس الأمن في التصدي للإرهاب الدولي الإلكتروني، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٧، عدد ١، ٢٠٢٠م.

١٥. اللواتي، نسرين فوزي، (٢٠١٧م): تجريم الانفلات الإلكتروني - خطوة في الاتجاه الصحيح-، مجلة لغة العصر، مجلة الأهرام للكمبيوتر والإنترنت والاتصالات، عدد ١٣/١٠/٢٠١٥م، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٧م.

١٦. مباركة، سليمان، (٢٠١٧م): الإرهاب الإلكتروني وطرق مكافحته، مجلة جامعة خنشلة، العدد ٨، ج ١، الجزائر.

١٧. مخلف، مصطفى سعد، (٢٠١٧م): جريمة الإرهاب عبر الوسائل الإلكترونية، رسالة ماجستير في القانون العام، كلية الحقوق بجامعة الشرق الأوسط، الأردن.

١٨. ياسمينه، شاشوة، (٢٠٢٠م): الإرهاب الإلكتروني بين مخاطره وآليات مكافحته، رسالة ماجستير في الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة البويرة، الجزائر.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The position of the Jews and hypocrites in Medina towards the Prophet, may God bless him and grant him peace.

Dr. Amal Matar Al-Osaimi*

*Ph.D. in Islamic History, College of Sharia and Islamic Studies, Umm Al-Qura University.

E-mail: aml_mal321@icloud.com

موقف اليهود والمنافقين في المدينة من النبي صلى الله عليه وسلم.

د. أمل مطر العصيمي*

*دكتوراه في التاريخ الإسلامي - قسم التاريخ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى.

KEY WORDS

The Prophet, may God bless him and grant him peace, Jews, hypocrites, Medina.

الكلمات المفتاحية

النبي صل الله عليه وسلم ، اليهود، المنافقون ، المدينة المنورة.

ABSTRACT

This study aims to identify the position of the Jews and hypocrites in Medina towards the Prophet, may God bless him and grant him peace, since his arrival there as an immigrant from Mecca. Anyone who follows the biography of the Prophet, may God bless him and grant him peace, will find that the Jews and hypocrites in Medina have worked to plot against him, may God bless him and grant him peace, and his companions. Secret and public, and this is due to their hatred for the Prophet, may God bless him and grant him peace, and for Islam and Muslims. The importance of the study stems from the fact that it sheds light on many of the positions taken by the Jews and hypocrites towards the Prophet, may God bless him and grant him peace, and the people of Medina, and explains the positions and events that resulted from those positions after that. The study followed the historical, descriptive and analytical approach in order to reach a number of results, the most important of which are: Since his arrival as an immigrant to Medina, the Prophet, may God bless him and grant him peace, faced many types of harm and plots on the part of the Jews and hypocrites in Medina, and they also worked to ignite war between the peoples. And the Khazraj and worked to create tension between them for the purpose of striking the social fabric of the peaceful society of Medina. In addition to the Jews in Medina, there was a group of hypocrites who were no less dangerous than the Jews and they showed hatred for the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and for the Muslims, and this was demonstrated by some of the evil actions that They did it as a verbal and deed attack against the Holy Prophet, may God bless him and grant him peace.

مستخلص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على موقف اليهود والمنافقون في المدينة المنورة من النبي صلى الله عليه وسلم منذ قدومه إليها مهاجراً من مكة المكرمة، والمتتبع لسيرة النبي صل الله عليه وسلم يجد إن اليهود والمنافقون في المدينة قد عملوا على الكيد له صل الله عليه وسلم وصحابته في السر والعلن، ومرد ذلك كراهيتهم للنبي صل الله عليه وسلم وللإسلام والمسلمين، تتبع أهمية الدراسة من كونها تسلط الضوء على العديد من المواقف التي قام بها اليهود والمنافقون تجاه النبي صل الله عليه وسلم وأهل المدينة، وشرح ما ترتب على تلك المواقف بعد ذلك من مواقف وأحداث، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى عدد من النتائج والتي من أهمها: واجه النبي صلى الله عليه وسلم ومنذ قدومه مهاجراً إلى المدينة المنورة العديد من صنوف الأذى والمكاييد من قبل اليهود والمنافقون في المدينة، كما أنهم عملوا أيضاً على إشعال الحرب بين الأوس والخزرج والعمل على الإيقاع بينهم بغرض ضرب النسيج الاجتماعي في مجتمع المدينة المسالم، بالإضافة لليهود في المدينة كان هناك مجموعة من المنافقون الذين لا يقلون خطورة عن اليهود وقد أظهروا البغض لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وللمسلمين، ودلت على ذلك بعض أفعال السوء التي قاموا بها مثل التعدي بالقول والفعل على النبي الكريم صل الله عليه وسلم.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. وبعد:

عاش اليهود داخل المدينة المنورة في عزلة عن أهلها، منذ قدوم النبي ﷺ مهاجراً إليها من مكة المكرمة وأطلقوا سيل المؤامرات والدسائس في محاولة منهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، وقد حاول الرسول ﷺ التفاهم معهم فجمعهم في سوقهم ونصحهم وذكرهم بمصير قريش في بدر، فردوا عليه بالعداوة، وهذا الأمر غير مستغرب من اليهود عبر التاريخ فهم أصحاب خيانة ولهم باع كبير في نقد المواثيق وخيانة العهود والغدر بمن يخالفهم الدين والعقيدة والرأي، ويكون هذا الأمر واضحاً عندما يتعلق بالنبي وصحابته من مهاجرين وأنصار، وكانت أول الجماعات اليهودية إعلاناً لهذه العداوة في المدينة يهود بنو قينقاع الذين كانوا يسكنون أطراف المدينة، ولم يتوقفوا لحظة واحدة عن إحداث الشقاق وإثارة المشكلات بين صفوف المسلمين، وكانوا مصدر إحياء وتوجيه للمنافقين، وتأبيد وتشجيع للمشركين، لأنهم يجتمعون معهم في الكيد للنبي صل الله عليه وسلم وللمسلمين.

وبالإضافة لليهود في المدينة نجد هناك مجموعة أخرى تتفق معهم في الهدف وإن تغيرت الوسائل ألا إنهم هم المنافقون وهؤلاء المجموعة من سكان لا يقلون خطورة عن اليهود، لأنهم تميزوا بصفة النفاق واصبحت ملازمة لهم والنفاق هو انحراف خُلقي خطير في حياة الفرد و الأمم وتبدو خطورته إذ يقوم بعمليات الهدم الشنيع من الداخل وصاحبه آمن مستأمن لا تراقبه الأعين. ولا تحسب حساباً لمكره ومكايده؛ لأجل ذلك وجدنا القرآن الكريم يُولي هذه الفئة من الناس أهمية خاصة، فيعمل على فضح سرائرهم وكشف نواياهم وإبراز مساوئهم وصفاتهم حتى تتضح صورتهم وتتبدى فعالهم وصفاتهم، فلا يغتر المؤمنون بهم وبما يُظهرون به من مسالك وأعمال، كما إن القرآن الكريم وضع صفاتهم ومساوئهم في الدنيا والآخرة.

والمنافقون واليهود في المدينة اجتمعوا واتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والنيل منه ومن أصحابه، وبث الشقاق بين مكونات المجتمع المتسامح في المدينة أي بين الأوس والخزرج، وقد حمى الله تعالى النبي الكريم من كيد ودسائس أعداء الإسلام من يهود ومنافقين، وفي نهاية الأمر انتصر الإسلام وانتشر ليعم حواضر العالم بعد ذلك.

هجرة النبي صل الله عليه وسلم للمدينة:

الهجرة لغة:

الهجرة لغة مأخوذة من الهجر ضد الوصل والمهاجر من أرض إلى أرض هو من ترك الأولى وذهب للثانية

والهجر بالفتح والهجرة والهجير نصف النهار عند اشتداد الحر والتهجير والتهجر السير في الهجرة أي وقت اشتداد الحر.

الهجرة اصطلاحاً:

والهجرة اصطلاحاً هي خروج الانسان من بلد إلى آخر لأسباب عوامل دفعته ليقوم بهذا الأمر ومن أعظم أنواع الهجرة عبر التاريخ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة والتي أسهمت في قام دولة الإسلام الأولى في المدينة ومنها انتشر الإسلام إلى ربوع العالم (عسكر، ب.ت، ص ١٧٦).

لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته نحو المدينة طريق الجادة أو الطريق الجانبي أو أي طرق معروفة لأنه كان يجتهد في أن لا تتركه قريش أو أي أحد من رجالها، وإنما سار في طريق وضعه له دليله عبدالله بن أريقط، وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم صحبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه الهجرة من مكة حتى غار ثور الذي يقع إلى الجنوب من مكة المكرمة حتى وصل (حسين، 1987م، ص ١٠١) النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء في ضواحي المدينة مهاجراً من مكة المكرمة في شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة الموافق (٦٢٢م) بعد رحلة شاقة بدأت من دار السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ثم غار ثور كما وضحنا سابقاً، وتم استقباله من الأنصار استقبلاً كريماً من قبل الأنصار، وأما اليهود ومنذ قدوم النبي للمدينة قرروا محاربته وإظهار العداوة له وهذا الأمر غير مستغرب من اليهود ومن شايعهم (ابن جميل ، ٢٠٠٦م، ص ٤٢) وقد كان مشهد دخول النبي صل الله عليه وسلم للمدينة مهيباً ومفرحاً للأنصار لكنه لم يعجب اليهود ولا المنافقون الأمر الذي يدل على حقدهم تجاه النبي وعدم ترحيبهم به وبهجرته للمدينة، وقد ركز النبي صل الله عليه وسلم منذ دخوله المدينة على تنظيم وضعها الديني والسياسي حيث قام ببناء المسجد، وعمل على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الأمر الذي كان له ما بعده، ثم وضع معاهدة جامعة تشمل الجميع المهاجرين، والأوس والخزرج(الأنصار)، واليهود وقد اشتملت بنود هذه المعاهدة على الآتي:

(١) عدم الاعتداء على بعضهم البعض.

(٢) وإقرار الأمن للجميع في المدينة.

ولذلك انصاع يهود المدينة لهذه المعاهدة خضوعاً للأمر الواقع، ولأن مناصري النبي صلى الله عليه وسلم من أنصار ومهاجرين هم أصحاب الكلمة العليا في المدينة (سالم، ١٩٩١، ص ٣٣-٣٤).

المنتبغ لتاريخ الدعوة الإسلام يجد أن حدث الهجرة من مكة إلى المدينة مثل نقلة كبيرة في تاريخ الإسلام حتى يومنا هذا،

كما أن المدينة سعدت وتطورت وازدهرت بهذه الهجرة واصبحت المنارة التي حملت لواء الدعوة والجهاد بعد ذلك.

المدينة المنورة:

المدينة المنورة من المدن القديمة في شبه الجزيرة العربية وضاربة في التاريخ، تبعد عن مكة المكرمة حوالي ٤٠٠ كلم وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها أصبحت أول حاضرة إسلامية، وأطلق على المدينة العديد من الأسماء مثل طيبة وطابا، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم استخدام الاسم القديم للمدينة حيث كانت تعرف باسم (يثرب) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم على لسان المنافقين (واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) (القرآن الكريم، الأحزاب ١٣)، وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تخطيط المدينة تخطيطاً شاملاً، وأصبحت كل طرق المدينة تؤدي مركزها المتمثل في المسجد (الشمري، ب.ت، ص ٢٦٠٢).

وقد تميزت المدينة ومنذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها بعدد من المميزات منها:

١. ارتباطها بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم

٢. أول عاصمة للمسلمين

٣. أقدس الأماكن الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي

٤. ضمت أول مسجد للمسلمين المسجد النبوي الشريف

٥. صاحبة المكان الأسمى عند المسلمين.

٦. فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم

موقف اليهود من رسول الله عليه الصلاة والسلام:

لا يُعرف تاريخ محدد لوجود اليهود في المدينة ولا أصل هؤلاء اليهود، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان فيها من أحياء اليهود: بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة، وكان اليهود ذوي ثروة ومال وزروع، وإن لم يكونوا ذوي بأس وقوة كالأوس والخزرج، فمن ثم عاشوا كالأتباع لهم، مستذلين صاغرين، وكان اليهود أهل كتاب، ويعلمون صفات النبي صلى الله عليه وسلم في توراتهم، وكانوا يستفتحون على الأنصار قبل البعثة، بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي سبيعت، وإنهم سيتبعونه ويأخذون بثأرهم منهم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جحدوا رسالته وكفروا به عنادا وبغيا وحسدا للعرب.

كان الحسد يسيطر على اليهود منذ وقت مبكر ضد العرب، ولقد زاد هذا الحسد بعد ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من معرفتهم به في توراتهم.

وقد بين الله سبحانه وتعالى حالهم هذا في قوله تعالى: **«وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»**. (القرآن الكريم، سورة البقرة: ٨٩).

كفر اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم نبوته:

إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم، وهذه المعرفة لم تكن بسيطة، بل كانت في أعلى مستويات المعرفة، وبما كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه بغيا وحسدا.

قال ابن هشام: ونصبت أحبار يهود لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - العداوة، بغيا وحسدا وضعنا، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج، ممن كان عسى على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جنة من القتل وناققوا في السر، وكان هواهم مع يهود، لتكذيبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وجودهم الإسلام، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتعنونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه. (ابن هشام، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٥١٣).

استهزاء اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم - وسوء تعاملهم معه:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة إلى المدينة لم يسلم من الأذى والمكاييد من اليهود، وجاء في هذه الرواية بعض صور أذيتهم له، واستهزائهم به، وإساءة أدبهم معه، فكانوا يقولون له: «راعنا» يقصدون بقولهم هذا سبا في لغتهم، كما أنهم إذا سلموا عليه لم يقصدوا به التحية، بل قصدوا به معنى آخر سيئ، لذا جاء النهي عن قول «راعنا»، وجاء في الرد عليهم إذا سلموا أنه يقتصر بقول «وعليكم». قال البغوي في تفسيره: إن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة، كانوا إذا أرادوا أن يحرقوا إنسانا قالوا له: راعنا، يعني: يا أحمق، فسمعا سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعته من أحد منكم يقولها للرسول - صلى الله عليه وسلم - لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها، فأنزل الله تعالى: لا تقولوا راعنا، لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقولوا انظرنا، أي: انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا. (البغوي، ١٤٠٩، ١/ ١٥٢).

وقال ابن كثير في تفسيره (ابن كثير، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م، ١/ ٣٧٣): نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانقون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله- فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء: ٤٦). وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم. والسام هو: الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ "وعليكم". وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا. والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَ عِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (القرآن الكريم، البقرة: ١٠٤).

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان يتجه في صلاة قبل بيت المقدس، ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت الحرام (الكعبة)، وإنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وكان اليهود يعجبهم أن النبي يصلي قبل بيت المقدس فلما ولى وجهه قبل البيت الحرام أنكروا ذلك، كما أستهكر المنافقون ذلك أيضاً، وبدوا يشككون في صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال اليهود اشتاق الرجل إلى بلده وبيت أبيه، وما هو السبب في تحويل القبلة، ولماذا يصلي المسلمون مرة تجاه بيت المقدس ومرة البيت الحرام، كما قال اليهود أن النبي صلى الله عليه وسلم خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبي لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء قبله ويقصدون بيت المقدس (الجميل، ٢٠٠٦م، ص ٤٩-٥٠).

وما تقدم يفيد أن الحقد هيمن على نفوس اليهود ودفعهم إلى استخدام كل الوسائل والطرق المتاحة لهم للتخلص من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، والسيطرة على المسلمين، ولكن يظهر من دعاء بعض اليهود على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالموت مع التظاهر بالسلام عليه الضعف الذي كانوا عليه عند التجاؤم إلى هذا النوع من السلام، ومما زاد في تأزم اليهود أنهم جربوا محاربة الإسلام بوسائلهم التي كانوا يظنون أنها لا تقهر، فكان الفشل حليفهم، لذلك لجأوا إلى الطرق السلبية، والوسائل الملتوية، فالدعاء على الخصم مع التظاهر بالسلام هو سلاح العاجزين، ووسيلة الخائبيين، وترياق الحاقدين.

محاولة اليهود إيقاع الحرب بين الأوس والخزرج:

كانت المدينة والسيادة عليها محل نزاع بين ثلاث عناصر رئيسة وهي الأوس والخزرج واليهود الذين كانوا يناصر البعض منهم الأوس والبعض الآخر الخزرج، والمتتبع لتاريخ المدينة يجد إن الحرب كانت بين الأوس والخزرج قائمة بين الفريقين قبل الإسلام، حتى جمع الله سبحانه وتعالى بينهما بالإسلام، وألف بين قلوبهم، فلما رأى اليهود اجتماعهم بالإسلام وكانوا يعلمون بأنبياء العداوة السابقة، فهم أي اليهود كانوا شركاء في يوم بعث وهو يوم دارت فيه الحرب بين الأوس والخزرج وحلفائهم وكان ذلك قبل فترة قصيرة من هجرة النبي للمدينة

(الجميل، ص٤١) حاول اليهود أن يشعلوا في الأوس والخزرج نار العداوة بعد إطفائها، لتمزيق الصف المسلم وتخريبه، بتقطيع أواصر المحبة بين المسلمين، وذلك بإثارة الفتنة الداخلية، والشعارات الجاهلية، حتى وقع النزاع بين الأوس والخزرج وكادوا يقتتلون، فأسرع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الأنصار وذكرهم بالله، وبالإسلام وما أكرمهم الله به من القضاء على الحروب، والفتن وتطهير النفوس من الضغائن، وتأليف القلوب بالإيمان، وبين لهم أن ما أقدموا عليه من أمر الجاهلية، وكان لكلمات النبي -صلى الله عليه وسلم- أثر في نفوسهم وسرت في كياناتهم روح جديدة مسحت كل أثر لأمر الجاهلية بفضل الله تعالى، وأدركوا أن ما وقعوا فيه كان من وساوس الشيطان وكيد عدوهم من اليهود، فبكوا ندما على ما وقعوا فيه من الذنوب، وتعانق رجال الإسلام، تعبيراً على محبتهم الإيمانية لبعضهم.

قال الطبري: فتأويل الآية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم -صلى الله عليه وسلم- من عند الله، إن تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل، فقتلوا منهم ما يأمرؤكم به، يضلوكم فيردوكم بعد تصديقكم رسول ربكم، وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم، كافرين = يقول: جاحدين لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم. فنهاهم جل ثناؤه: أن ينتصحوهم، ويقبلوا منهم رأياً أو مشورة، ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غل وغش وحسد وبغض. (الطبري، ب، ٥٩ / ٦).

محاولة اليهود إلقاء شبهات في القرآن:

ظهرت من الأقوال السيئة لليهود في شأن الله، من سوء أدبهم مع الله سبحانه وتعالى، وعدم تنزيهه عن النقائص، ووصفه بما لا يليق به سبحانه، ومحاولتهم من تشكيك الناس في القرآن، فشتان بين القلوب الزائغة التي تستنبط الفهم الباطل السقيم هذا من قوله سبحانه: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (القرآن الكريم، سورة البقرة: ٢٤٥) وتدعي: «إنما يستقرض الفقير من الغني»، وبين القلوب المؤمنة التي تسارع إلى امتثاله، فتصدق بأمواله في سبيل الله، كما في حديث زيد بن أسلم: قال: لما نزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً قال: جاء أبو الدحداح إلى النبي، فقال: يا نبي الله، ألا أرى ربنا يستقرضنا مما أعطانا لأنفسنا، وإن لي أرضين، إحداها بالعالية، والأخرى بالسافلة، وإنني قد جعلت خيرهما صدقة (البلادي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٩٧). قال: وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «كم من عذق بذلك لأبي الدحداح في الجنة» (الصنعاني، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١/ ٣٥٦).

ظهور المنافقين وصور من أدبتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم-:

في تعريف النفاق هو ضرب من ضروب الكذب، والكذب أنواع وفنون ويدعو أي النفاق إلى الحقد والحسد والضغينة، وهو أي النفاق من أخطر الأمراض التي تصيب المجتمعات (سالم، ١٩٤٨م، ص ١).

وقد أظهر المنافقون البغض لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وللمسلمين، وقد دلت على ذلك بعض أفعال السوء التي قاموا بها، ومن هؤلاء المنافقين: قال ابن إسحاق:

وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم:

من الأوس، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني لؤذان بن عمرو بن عوف: زوي بن الحارث.....

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جلاس بن سويد بن الصامت وأخوه الحارث بن سويد.....

ومن بني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، بجاد بن عثمان بن عامر.

ومن بني لؤذان بن عمرو بن عوف: نبتل بن الحارث.....

ومن بني ضبيعة: أبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى مسجد الضرار، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: جارية بن عامر بن العطف، وابناه: زيد ومجمع، ابنا جارية. وهم ممن اتخذ مسجد الضرار.

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: وداعة بن ثابت، وهو ممن بنى مسجد الضرار.

ومن بني عبيد بن مالك: خدام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره، وبشر ورافع، ابنا زيد.....

ومن الخزرج، ثم من بني النجار: رافع بن وداعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل.

ومن بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة: الجد بن قيس، وهو الذي يقول: يا محمد، ائذن لي ولا تقتني.....

ومن بني عوف بن الخزرج: عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين، وإليه يجتمعون وهو الذي قال: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (القرآن الكريم، المنافقون: ٨) في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك، نزلت سورة المنافقين بأسرها (ابن هشام، ١٩/٢).

قال ابن إسحاق:

كان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهنئون بدينهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس، فرأهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

وسلم- يتحدثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً.....

ففي هؤلاء من أحبار يهود، والمنافقين من الأوس والخزرج، نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها فيما بلغني، والله أعلم (ابن هشام، ١٢٥/٢ - ١٢٧).

سبب نفاق عبد الله بن سلول:

ذكر موسى بن عقبة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في بيت، فوقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينتظر أن يدعوه إلى المنزل، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم، فقال عبد الله: انظر الذين دعوك فانزل عليهم.

فذكر ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنفر من الأنصار، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد من الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا (ابن كثير، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، ٢/٢٧٣).

مما سبق يتضح أن سبب نفاق عبد الله بن سلول يرجع إلى سبب شخصي وهو أنه كان يمني نفسه بأن يصبح ملكاً على المدينة وأهلها، وقد أسهمت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في تبديد طموح بن سلول الذي ناصب النبي وأصحابه العداء.

فمن صور أدبتهم، ونفاقهم:

عن ابن عباس -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (القرآن الكريم، المنافقون: ٧)، قال: لا تطعموا محمداً وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة فيتركوا نبيهم (الطبري، ٦٦٠/٢٢).

تعديهم بالقول والفعل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

عن أبي هريرة قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عبد الله بن أبي بن سلول وهو في ظل أجمة فقال: قد غبر علينا بن أبي كبشة.

فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب لئن شئت لاتينك برأسه.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا، ولكن برأبك وأحسن صحبته» (ابن حبان، ب.ت ٤٢٨).

قال ابن الأثير:

فسار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حرة بني حارثة وبين أموالهم، فمر بمال رجل من المنافقين يقال له مربع بن قيطي، وكان ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنة من تراب في يده وقال: لو أعلم أنني لا

الحروب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، ولذلك عمل اليهود على إحياء نار الصراع القديم بين الطرفين لكي ينتشر الشقاق والخلاف بين أهم مكونين من مكونات المدينة، وإن وقعت تلك الحرب يكونوا قد نجحوا في ضرب النسيج الاجتماعي لمجتمع المدينة المسالم، كما أنهم عملوا على التشكيك في القرآن الكريم، ومما سيق نجد إن اليهود والمنافقين قد عملوا بكل جد من إيزاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة وفي نهاية الأمر عصم الله تعالى النبي من كيد اليهود والمنافقين.

النتائج:

- خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي من أهمها:
- (١) أن مما تقدم يكشف بعض قبائح اليهود من البغض لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وللمسلمين، بل تعدى بهم الأمر إلى التهجم على الذات الإلهية ووصفه بما لا يليق به سبحانه، وهذا عين الوقاحة، وانعدام الأدب.
 - (٢) إن المتتبع لتاريخ اليهود ومواقفهم مع المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يشاهد تلك الأفعال القبيحة والأخلاق الرذيلة التي يتصف بها هؤلاء البشر، ولا غرابة في ذلك فهي طبيعة كل آدمي ينسلخ عن دينه الصحيح، وعقيدته السليمة.
 - (٣) كانت معاناة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين من اليهود شديدة وأليمة، فالقرآن الكريم تحدث عن بعضها، وكتب السنة والسير والتاريخ حافلة بالأحداث الجسيمة مع اليهود، وقد تحدث القرآن الكريم، وبينت السنة النبوية صفاتهم القبيحة، كالنفاق وسوء الأدب مع الله ورسوله، والمكر والخداع، وعدم الانتفاع بالعلم، والحد والحسد، والبخل، والتكبر، والإشراك في العبادة، ومحاربة الأنبياء، والتقليد الأعمى، وكتمان العلم، وتحريف المعلومات، والتحاييل على المحرمات، والتفرق والطبقية في تنفيذ الأحكام، والرشوة، والكذب.
 - (٤) كانت طبيعة اليهود الغدر والخيانة وعدم الوفاء، ولقد أشار القرآن الكريم إلى طبيعة اليهود مع العهود فقال تعالى: الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ [الأنفال: ٥٦]. فقد نقضوا عهودهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت نهايتهم بما يتلاءم مع تلك الأفعال، حيث أجلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بني قينقاع وبني النضير، وقتل رجال بني قريظة.
 - (٥) إن خطر المنافقين على الدولة كبيراً ما ظل اليهود في يثرب؛ إذ إنهم كانوا على صلة دائمة بهم، بل إن اليهود هم الذين أَرْكَوْا النفاق في يثرب فلما تم تطهير يثرب من اليهود ضعف أمر النفاق.

التوصيات:

- من توصيات الدراسة:
- (١) التعريف بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما لاقاه من نصب ومشقة في سبيل نشر الدين الإسلامي داخل مكة ثم بعد هجرته للمدينة.
 - (٢) العمل على إجراء العديد من الدراسات حول موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح خطرهم على الأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

أصيب غيرك لضربت به وجهك. فابتدروه ليقتلوه، فقال النبي، -صلى الله عليه وسلم-: «لا تفعلوا؛ فهذا الأعمى أعمى البصر والقلب»، فضربه سعد بن زيد بقوس فشجه (ابن الأثير، ب.ت، ٤١/٢).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: غزونا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين.

فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية»، ثم قال: «ما شأنهم»، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري.

قال: فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «دعوها فإنها خبيثة».

وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث، لعبد الله. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» (البخاري، ٣٥١٨)، مسلم: صحيح مسلم، ٢٥٨٤، ١٩٩١).

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمهم بأعيانهم وأسمائهم:

عن أبي مسعود قال: خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطبة فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «إن فيكم منافقين، فمن سميت فليقم».

ثم قال: «قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان»، حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً، ثم قال: «إن فيكم، أو منكم، فاتقوا الله».

قال: فمر عمر على رجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه قال: ما لك؟ قال: فحدثه بما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: بعدا لك سائر اليوم (ابن حنبل، ب.ت ٣٦، ٢٢٣٤٨/٣٧).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أعلم حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- بأسمائهم فقال ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال أعرابي إنكم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- تخبرونا فلا ندرى فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلقتنا، قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده (البخاري، ٤٦٥٨).

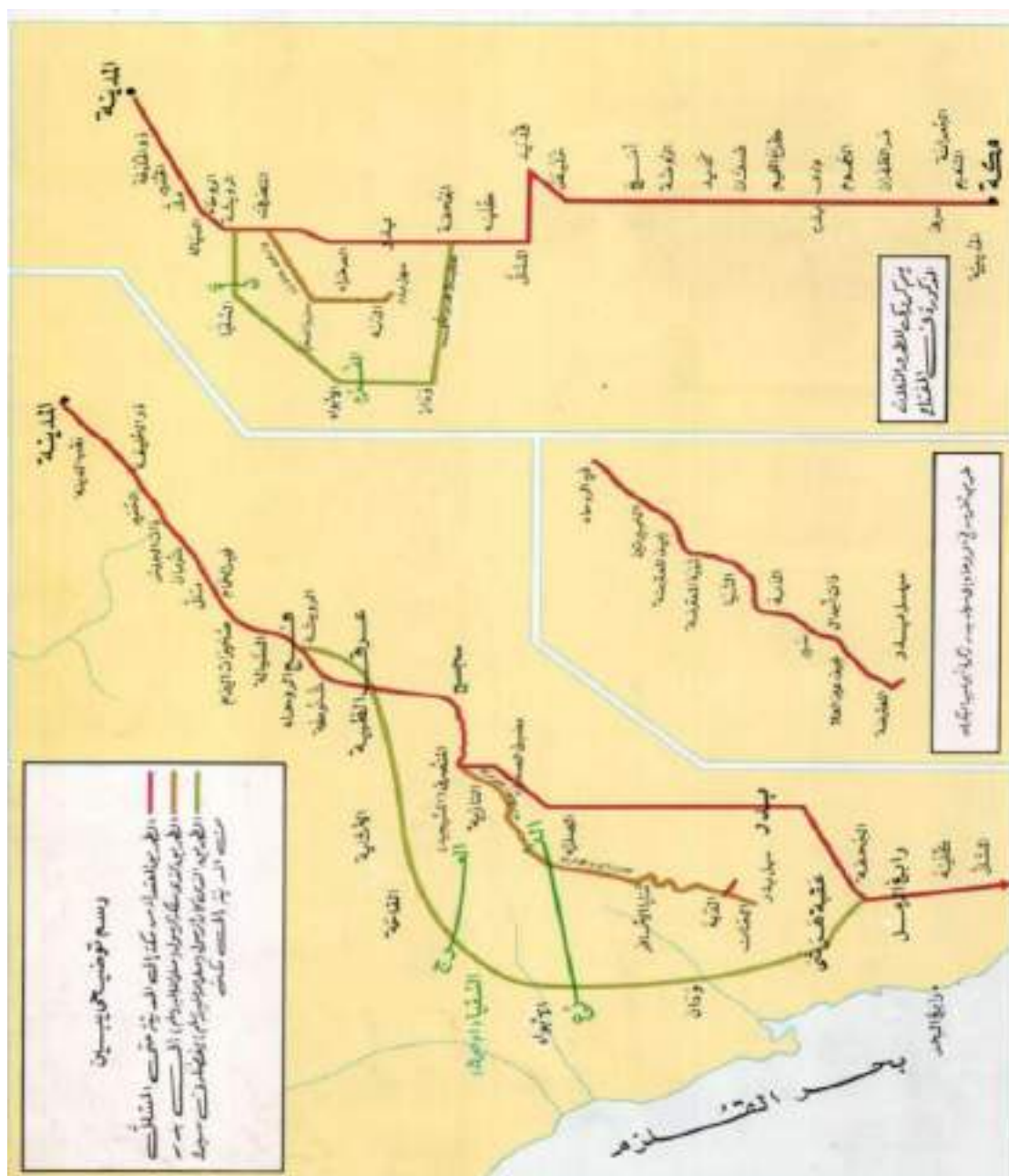
الخاتمة:

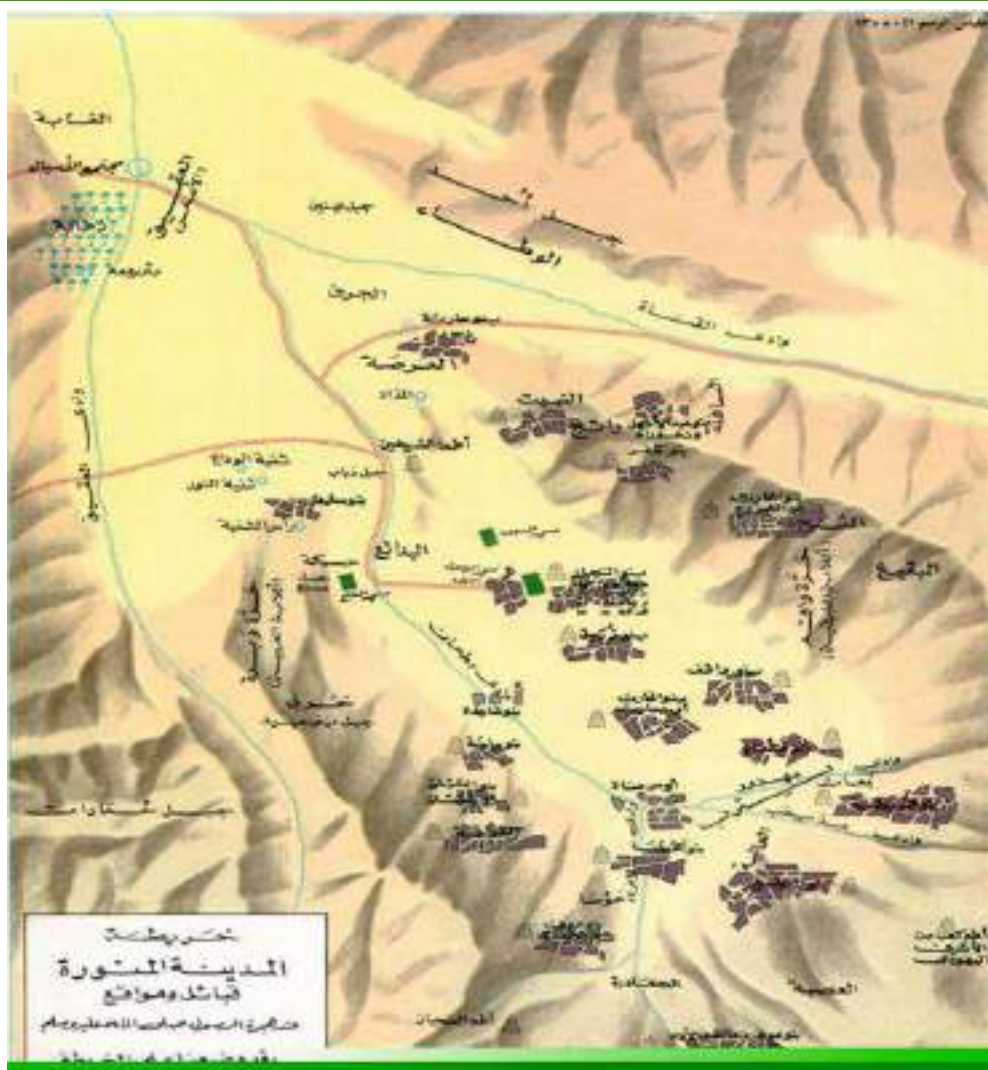
كانت المدينة المنورة محطة الهجرة الرئيسة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حيث وجدوا فيها كل الترحاب والتقدير من قبل الأوس والخزرج، وعلى الرغم من ترحاب أهل المدينة (الأنصار) بالنبي الكريم إلا أنه وجد معارضة شرسة وحقد دفين من قبل مجموعتين من سكان المدينة وهما اليهود والمنافقون، حيث عملوا على الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم وأظهروا أذيتهم له ولأصحابه، واجتهدوا لكي تقع الحرب بين الأوس والخزرج، وقد كانت هناك عدد من



المصدر حسين مؤنس أطلس الاسلام، ص ٦٧.

المصدر حسين مؤنس أطلس الاسلام، ص ٦٢.





المصدر حسين مؤنس أطلس الاسلام، ص ٦٦.

المراجع

١. زين العابدين حسين عسكر، (ب.ت)، الهجرة النبوية أسبابها ونتائجها، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ٦، العدد ١.
٢. حسين مؤنس، (١٩٨٧م)، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.
٣. محمد بن فارس الجميل، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، النبي ويهود المدينة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
٤. إبراهيم علي سالم، (١٩٤٨م)، النفاق والمنافون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مطبعة حسني، القاهرة.
٥. القرآن الكريم، الأحزاب ١٣.
٦. حصّة بنت عبيد صويان الشمري، (ب.ت)، مرافق المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال كتاب وفاء الوفاء للسمهودي.
٧. القرآن الكريم، سورة البقرة: ٨٩.
٨. ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، سيرة ابن هشام، دار الصحابة للتراث، طنطا.
٩. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة، الرياض.
١٠. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، (١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت.
١١. القرآن الكريم، النساء: ٤٦.
١٢. القرآن الكريم، البقرة: ١٠٤.
١٣. الطبري، جعفر محمد بن جرير، (ب.ت)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، القاهرة.
١٤. البلاذري، عاتق بن قيس، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، مُعْجَم مَعَالِمِ الْحِجَاز. ج ١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة.
١٥. الصنعاني، عبد الرازق بن همام، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، (تحقيق) محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. أبي الحسن مسلم بن الحجاج (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، دار الحديث، القاهرة.
١٧. ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٣هـ/٢٠٢٢م)، صحيح البخاري (٣٥١٨) دار بن كثير، بيروت.
٢٠. ابن حنبل، الإمام أحمد: (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، مسند الإمام أحمد، دار القلم، دمشق.
٢١. القرآن الكريم، الأنفال: ٥٦.

المجلة الدولية للشرية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Dialogue in the Holy Qur'an and its impact on peaceful coexistence between individuals. Surah Al-Ahqaf is an example.

الحوار في القرآن الكريم وأثره في التعايش السلمي بين الأفراد.. سورة الأحقاف نموذجاً.

Dr. Fatima Moustafa Mohammad Dawud*

*Associate Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences at Taibah University.

د. فاطمة مصطفى محمد داوود*

*أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة.

E-mail: Fdaoued@taibahu.edu.sa

KEY WORDS

Surat Al-Ahqaf, method of dialogue, peaceful coexistence.

الكلمات المفتاحية

سورة الأحقاف، أسلوب الحوار، التعايش السلمي.

ABSTRACT

The study deals with the style of dialogue in Surat Al-Ahqaf as a model. To demonstrate its impact on peaceful coexistence between individuals, the problem of the study was determined by the extent to which the method of dialogue in Surat Al-Ahqaf contributes to achieving peaceful coexistence among members of the Islamic community. In an effort to build a cohesive society capable of facing contemporary challenges. The study includes the following: - Definition of Surat Al-Ahqaf, peaceful coexistence, and the method of dialogue.

It also shows the importance, goals and conditions of constructive dialogue, the importance of coexistence in societies, and dialogue in Surat Al-Ahqaf and its impact on peaceful coexistence, by following the descriptive and analytical approach. The study reached a set of results and recommendations, including: 1- Paying attention to spreading the culture of disciplined, constructive dialogue, tolerance and moderation in accordance with Legal controls between members of society to ensure that they live in peace and friendship. 2- The contribution of various media outlets in disseminating a moderate and peaceful discourse urging peaceful coexistence and acceptance of others in light of Sharia controls.

مستخلص البحث:

تتناول الدراسة أسلوب الحوار في سورة الأحقاف كنموذج؛ لبيان أثره في التعايش السلمي بين الأفراد، وقد حددت مشكلة الدراسة بمدى مساهمة أسلوب الحوار في سورة الأحقاف في تحقيق التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الإسلامي؛ سعياً لبناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات المعاصرة. وتشتمل الدراسة على الآتي: - تعريف كل من: سورة الأحقاف، والتعايش السلمي، وأسلوب الحوار.

كما تبين أهمية الحوار البناء وأهدافه وشروطه، وأهمية التعايش في المجتمعات، والحوار في سورة الأحقاف وأثره في التعايش السلمي، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات منها:

1. الاهتمام بنشر ثقافة الحوار المنضبط البناء، والتسامح والاعتدال وفق الضوابط الشرعية بين أفراد المجتمع بما يضمن العيش بسلام ومودة.
2. إسهام وسائل الإعلام المختلفة بتعميم خطاب معتدل وسلمي يحث على التعايش السلمي وقبول الآخر في ضوء الضوابط الشرعية.

المقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

الحوار هو أحد المعطيات الأساسية للوجود الإنساني حيث نجد الحوار الديني والحضاري، والتربوي، والثقافي، وكل هذه الأنواع تحتاج تعاملًا مع الآخر المختلف فكريًا أو اجتماعيًا أو دينيًا، وهو السبيل الوحيد الذي من خلاله يتم الاتصال بين الأفراد والجماعات والشعوب والدول، ومن خلاله تتفاعل المجتمعات الإنسانية. والحوار له أهمية بالغة في إيضاح الصورة الحقيقية التي تقبع في فكر الطرف الآخر خاصة ذلك الحوار العلمي الهادف الذي يتجرد فيه المحاور من التعصب والتطرف.

يقر ديننا بمبدأ التعايش السلمي مع غير المسلمين بضوابط، من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية سواء في الأحاديث أو الأفعال. وهو مبدأ معتمد كعادة في بلدانهم، ونهج في البلدان الأخرى. وبحكم الواقع يضطر الكثير من المسلمين إلى التعايش مع من يخالفهم الرأي أو النهج، فرحمة من الله نلاحظ أن القرآن نظم هذا التعايش بشروط وضوابط للوصول إلى الخلافة الصالحة على الأرض. وللقُرآن رؤية متماسكة حول موضوع التعايش السلمي بين جميع الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأديانهم مما يعزز الأمن والسلام داخل المجتمعات المتنوعة وتحميهم من صدع المواجهة والحرب والصراع، وهو الهدف من هذه الدراسة.

مشكلة البحث: يناقش البحث مشكلة التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، سواء كانت تلك المكونات مختلفة دينياً، أو عرقياً أو اجتماعياً، باعتماد أسلوب الحوار بناءً على ما أسسه القرآن الكريم— من تعاليم تؤسس للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع المسلم، وتطبيق ذلك على أرض الواقع، من حيث إلزام المسلمين قبل غيرهم بهذه التعاليم. لذا فالبحث يناقش التعايش السلمي.

أسئلة البحث: يحاول البحث دراسة: (الحوار في القرآن الكريم وأثره في التعايش السلمي بين الأفراد سورة الأحقاف نموذجاً). وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل للحوار أثر إيجابي على أفراد المجتمع الواحد رغم وجود التباين والاختلاف بينهم؟

- هل للحوار في سورة الأحقاف توجيه في تحقيق التعايش بين أفراد المجتمع الواحد رغم التباين والاختلاف بينهم؟

وللإجابة عن أسئلة الدراسة الرئيسية سعت الباحثة إلى الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو الحوار؟

- وما أهمية الحوار؟

- ما هو مفهوم التعايش السلمي؟

- ما أهمية الحوار في تحقيق التعايش السلمي وفوائده؟

- ماهي سورة الأحقاف؟

- ما مواطن الحوار في سورة الأحقاف؟

- ما الحكمة المستفادة من الحوار في سورة الأحقاف؟

أهمية البحث: المتتبع للأخبار حول العالم يدرك مدى خطورة الصراعات التي تعيشها كثير من شعوب العالم بسبب الخلافات الدينية والعرقية، وكم حاجة هذه الشعوب إلى الحكمة والحوار في معالجة الكثير من قضاياها؛ لذا أتت الدراسة للكشف عن أهمية الحوار كأسلوب ومنهج للتعايش السلمي، في ضوء سورة الأحقاف.

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة إلى بيان أثر أسلوب الحوار في تحقيق التعايش السلمي بين الأفراد، في ضوء النهج القرآني باتخاذ سورة الأحقاف نموذجاً.

أسباب اختياري لهذا الموضوع: تم اختيار الموضوع للأسباب الآتية:

- التعايش مع الآخرين خاصة مع غير المسلمين صار ضرورة حتمية يفرضها الواقع مع اختلاف الحضارات والأديان والثقافات والعادات والتقاليد، ومن ثمَّ لا بدَّ أن يكون الإنسان على هدى وبصيرة.

- تبيان ما للتعايش السلمي من معان على الواقع الذي يعيشه المسلمون فرقاً وجماعات وطوائف متفرقة.

- بث روح التعايش السلمي بين المسلمين والتقريب فيما بين الجماعات الإسلامية، وكل ذلك بالحوار وفق المنهج القرآني

- ضرورة التأصيل الفكري للحوار والسلوك الإسلامي وربطه بتوجيهات النهج القرآني.

منهجية البحث: تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث، حيث تم عرض الآيات الكريمة التي توصلت لأسلوب الحوار، ودوره في التعايش السلمي، في ضوء دراسة أسلوب الحوار في سورة الأحقاف، وقد تم تقسيم البحث إلى فصلين رئيسيين بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، إذ يجيب كل فصل على واحد من أسئلة الدراسة، فالفصل الأول تألف من مبحثين: وقد تناول الحوار في اللغة والاصطلاح، ونماذج من الكتاب والسنة. والفصل الثاني تألف من خمسة مباحث: وقد تناول تعريف التعايش السلمي، وأسس وأهميته، ودور الحوار في التعايش، والتعريف بسورة الأحقاف، وبيان جانب من الحوار فيها وأثره في التوجيه لتحقيق التعايش السلمي وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، سواء بين المسلمين أنفسهم، أو فيما بينهم وبين الآخرين في المجتمعات الإسلامية أو في المجتمعات الأخرى. ويخلص البحث إلى أهم نتائج هذه الدراسة، التي تتفق عمومًا على أن القرآن مصدر للعيش في سلام وتعاطف من أجل الإنسانية، وهو كتاب يتم فيه الحفاظ على الممتلكات وحماية حقوق جميع الناس وكراماتهم.

الدراسات السابقة:

مما يميز الإسلام عن بقية الشرائع أنه دعوة للناس كافة، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، وشرائعهم، ويتصف المجتمع المسلم في كثير من المناطق بالتنوع، كونه لا إكراه في الدين، وبناء عليه فقد أتى بشرائع وأحكام تنظم علاقات أفراد المجتمع الإسلامي على الصعيدين الخارجي والداخلي، ولإنسانية الإسلام وكمالية رحمة الله أحيطت أحكامه بالموعة الحسنة، وهي أساس من أسس الدعوة، ولأهميتها فقد تنوعت هذه الموعة موضوعاً وأسلوباً.

ويعد الحوار من أهم أساليب الموعة، ولما له من أثر بليغ في فكر النفس البشرية ووجدانها فقد لقي جهوداً علمية ودراسات بحثية بذلت في موضوعه، لذا فالباحثة تذكر باختصار أهم تلك الجهود والدراسات التي تم التوصل إليها:

١- لقد عالج الشيخ محمد سيّد طنطاوي موضوع الحوار في كتابه " أدب الحوار في الإسلام"، واستعرض فيه أبرز الآداب التي تحض على المحاور الهادفة، ويبيّن نماذج من حوارات الرسل - عليهم السلام - مع أقوامهم.

٢- كان للسيد محمد حسين فضل الله جهود مشكورة في موضوع الحوار، وكتابه " الحوار في القرآن " لا يستغني عنه باحث في هذا الموضوع.

٣- الأستاذ محمد راشد ديماس. لقد تناول في كتابه القيم " فنون الحوار والإقناع"، الأسلوب الأمثل لفن الإقناع والتأثير على الآخرين من خلال ذكر أهم خمس عشرة قاعدة ذهبية للحوار والإقناع.

٤- دراسة هند محمد الحمادي، بعنوان: "من حوار إلى قوة الحوار في مؤتمرات مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان 2019م: هدفنا الدراسة إلى تتبع نماذج الأوراق المقدمة ضمن العناوين الرئيسة للمؤتمرات المنعقدة، وقراءتها قراءة تحليلية نقدية.

٥- التعايش بين الأديان في الأندلس من خلال نصوص شعرية، تأليف: عبد العزيز شهبر، الناشر: جامعة شعبة، مجلة دراسات أندلسية، عدد: ١٤، 1995م

٦- مظاهر التعايش بين المسلمين والنصارى في الأندلس بين القرنين (٥-٧هـ / ١١-١٣م) مذكورة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تأليف: يسمينه بوتمر، وأسيا سعدي، تناولت مظاهر التعايش بين المسلمين والنصارى في الأندلس بين القرنين (٥-٧هـ / ١١-١٣م)

٧- دراسة العنود فهد جبر النعيمي بعنوان "التعايش السلمي بين الحضارات والأديان، جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات"، هدفنا الدراسة لإبراز الجهود الخاصة

باللجنة القطرية الخاصة بتحالف الحضارات، وذلك في مجال التعايش السلمي، وذلك من خلال التقارير الخاصة باللجنة السنوية الصادرة، كما أنها قامت بتحليل المفاهيم التي ارتبطت بقيم التعايش السلمي، وقد أجابت الدراسة على التساؤلات الآتية: ما القيم الإنسانية لدى الأديان السماوية لتحقيق التعايش السلمي مع الآخر في مواجهة لتعزيز فهم التعايش السلمي؟ وما جهود دولة قطر المبذولة محلياً ما جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في تحقيق رؤية قطر في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الحضارات والديان؟ وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج أهمها: أن دولة قطر أنشأت العديد من المؤسسات من أجل تشجيع التعايش السلمي بين الثقافات وقبول الآخر.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأنها تسعى لسد الفجوة البحثية، انطلاقاً من النص القرآني كأسلوب؛ لبيان إن كان له أثر على التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الإسلامي نفسه، أو فيما بينهم وبين الآخرين في المجتمعات الإسلامية أو في المجتمعات الأخرى. ويخلص البحث إلى أهم نتائج هذه الدراسات، التي تتفق عموماً على أن القرآن مصدر للعيش الآمن. وضرورة السعي لتقوية الروابط اتفقت هذه الدراسات على أهمية الحوار في خلق تعايش سلمي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، وركزت على الحوار وفهم الآخر ومعطياته الإيجابية، كما أعطت تصوراً عن مدى إمكانية تطبيق الدراسات في هذا وأوجه التعاون الثقافي بين أبناء المجتمع من خلال تبادل الثقافات، وإثراء كل ثقافة بالأخرى، وفق الأحكام الشرعية، بلا أدنى تعارض، واعتماد الحوار كونه خطوة من الخطوات الأولى التي قد تؤدي إلى التعايش السلمي في المجتمع.

الفصل الأول: إجابة السؤال الأول.

هل للحوار أثر إيجابي على أفراد المجتمع الواحد رغم

التباين والاختلاف بينهم؟

سيتم الإجابة عن هذا السؤال من خلال الأسئلة التالية: ما الحوار؟ وما أهمية الحوار؟ وذلك باستقراء أمثلة من الكتاب والسنة من خلال المباحث التالية:

- المبحث الأول: مفهوم الحوار

- **المطلب الأول: الحوار في اللغة:** في معاجم اللغة العربية وردت كلمة الحوار ومصدرها الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والحوْر: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وأصله من نقص العمامة بعد لفها، مأخوذ من كَوَّرَ العمامة إذا انْقَضَ لَيْئُهَا^(١) حورت العين حوراً اشْتَدَّ بياضها وسوادها واستدارت حدقتها ورقّت جفونها،

الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ / ٢٠١٧م

(١) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ)

المتصلة بحاجاته الإنسانية من طعام وشراب وغيرهما، أو في المستويات العليا من النقاش الفكري والديني والاجتماع. - فالحوار: " حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس ^(١)

من هذه التعريفات يظهر اتفاق على أن للحوار موضوعاً، ومتحاورين أو أكثر، وأنه يكشف عن فكر كل متحاور حول موضوع أو فكرة ما، على اختلاف في وصفه: فقيل إنه حديث، وقيل إنه نوع من الحديث، وقيل بأنه عملية.

إلا أن الباحثة أرادت بالحوار ما ورد عن الكفار من أقوال وأفكار ضمنية أو علنية في سورة الأحقاف والرد المحمدي عليها بالتوجيه الرباني عليها.

المبحث الثاني: الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

المطلب الأول: الحوار في القرآن الكريم

جاء القرآن الكريم بعدة أساليب حوارية بما يقتضيه الموقف، وبما يصلح مع الطرف الآخر؛ وذلك لتحقيق هدف الحوار، إما لأخذ العبرة والعظة، وإما لإثبات قدرة الله.... وغيرها. فجاءت هذه الأساليب في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، فنورد مثلاً لها، وهي كما يأتي:

١ - قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) [سورة البقرة: آية ٣٠ - ٣٣] جرى هذا الحوار بين الله عز وجل وبين الملائكة، فقد كان سؤال الملائكة سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ^(١٠) ثم بين الله سبحانه وتعالى

(أحارث) الناقاة صارت ذات حوار، حاوره محاوره وحوارا جابوه وجادله ^(٢) وحوارت الخبزة إذا دورتها والخشبة التي يحور بها تسمى المحور. والمحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة ^(٣) والأخو: كوكب، وهو المشتري ^(٤). والمعنى المختار في هذه الدراسة هو جابوب وجادل، على اعتبار أن المحور يمثل موضوع الحوار.

- المطلب الثاني: الحوار اصطلاحاً: المطلب الثاني: الحوار اصطلاحاً: إن استخدام مصطلح الحوار وتداوله في الأدبيات المعاصرة لم يبتعد كثيراً عن مفهومه اللغوي، ولقد وردت تعاريف عديدة للحوار من أهمها:

- "الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب" ^(٥)

- ويرى البعض أن: "الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آرائه أو مقترحاته، وتجادب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن، للأشياء كلها، وللمشكلات كافة" ^(٦).

- وقيل "الحوار هو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً" ^(٧)

- وفي مؤلف آخر له عرّف الحوار بأنه: "عملية تبادل الأفكار والآراء بين محاورين اثنين أو أكثر لغرض بيان حقيقة مؤكدة أو رأي معين، قد يتقبله الآخر وقد يرفضه" ^(٨)

- فالحوار سمة مجتمعية إنسانية، فأينما وجد المجتمع البشري، وجد الحوار، لأن اللغة قاسم مشترك بين البشر، ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان، البسيطة

^(١) الحوار الإداري، عبد القادر الشخيلي، ص ٣، وأشار إلى: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر - دمشق: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٠٦.

^(٢) هندسة الحوار، عبد القادر بن عبد الحافظ الشخيلي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض الطبعة ١٤٣٢ الأولى - ٢٠١١م ص ١٥.

^(٣) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص ٤٨٨.

^(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ٢١٦/١

^(٥) أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية المؤلف: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري رسالة: ماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية - الجامعة

المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ ٣٣١/١

^(٦) جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م ٥٢٥/١

^(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٦٤٠/٢

^(٨) الحوار آداب وضاوابعه في الكتاب والسنة، يحيى بن محمد أحمد زمزمي، دار التربية مكة المكرمة الطبعة ١٩٩٤ الأولى م ص ٦.

^(٩) الإسلام والآخر، أسعد السحمراني، دار النشر دار النفائس - لبنان سنة النشر ٢٠٠٥ ص ١٧، ١٨.

انفراد، أفاد وأثمر، وهذا العقاب يعدُّ من الحزم، ولكن يستعمل في بعض الأحيان دون غيرها (١٥)

المطلب الثاني: الحوار في السنة النبوية الشريفة.

جاءت السنة النبوية مليئة بالحوارات المختلفة وبأساليب عدة، فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوةً حسنةً لكل محاور وقد كانت الأساليب الحوارية على صور مختلفة فمن أمثلتها ما يأتي:

١- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءه أعرابي، فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فيها من أورك؟» قال: نعم. فقال: «فأني كان ذلك». قال: أراه عرق نزع. قال: «فعل ابنك هذا نزع عرق» (١٦) فأتى أسلوب النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الأعرابي بما يناسب حاله بضرب مثال توضيحي من خلال بيئته؛ ليكون أقوى في الإقناع، دار هذا الحوار اللطيف بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين أعرابي، فكان ذلك الأعرابي قد استنكر ابنه، وذلك عندما رأى تغير لون بشرته عن سائر أفراد الأسرة، "حيث إن النبي شبه للأعرابي ما أنكر من لون الغلام بما عرف في نتاج الإبل" (١٧) فجعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجيب لسؤاله بنفسه، عندما اقتنع الأعرابي في اختلاف ألوان إبله من خلال نزع العرق لذا يستطيع المربي أن يستعمل هذا الأسلوب التشبيهي ليكون أكثر إقناعاً، فإذا جعل المربي استكشاف الخطأ أو الوصول إلى الحل هدفاً يصل إليه الطرف الآخر، كان أكثر تأثيراً وتقبلاً، كما أن للمربي الأثر الواضح في هذا الأسلوب، كأن يضرب مثلاً أو يعرض بكلامه (١٨)

٢- عن أبي أمامة - رضي الله عنه -: أن فتى شاباً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله انذن لي بالزنا؟ قال: فأقبل القوم عليه فزجروه. وقالوا: مه مه، فقال: «أدنه» فدنا قريباً. قال: فجلس. قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفأحبهم لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفأحبهم لأختك؟»

حكيمته في أنه يعلم من هذا المخلوق ما لا تعلمه الملائكة، وليبين لهم علمه الذي أحاط بكل شيء، فقد أراد جل وعلا "أن يجتبي منهم الأنبياء والصدّيقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة" (١١) فيستفيد المربي من هذا الأسلوب ولا سيما الأب مع أبنائه، والمعلم مع طلابه، وذلك في طرح موضوع يشد انتباههم؛ لتتوق أنفسهم إلى استكشاف خباياه، فتستهوي أنفسهم السؤال والنقاش؛ ليبدأ الحوار الذي تصاحبه آدابه في جو يسوده الهدوء. ثم يبين لهم ذلك المربي ما أراده من هذا الموضوع، فيكون ذلك أدعى لاستيعابهم له، ورسوخه في أذهانهم، مما لو ألقاه لهم مباشرة (١٢).

٢- (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنَتِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أُبْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْقِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْخُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) [سورة الأعراف: آية ١١ - ١٨] وهذا الحوار بين الله ﷻ وبين إبليس، فحينما خلق الله آدم عليه السلام، أمر ملائكته بالسجود له إكراماً واحتراماً، وإظهاراً لفضله، فامتثلوا أمر ربهم، إلا إبليس استكبر فوبخه الله على ذلك. ثم بين الله عز وجل لنا عداوة إبليس وعزمه على إغوائنا "لناخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك، أكمل نعمة" (١٣)، فقد يستعمل المربي هذا الأسلوب من الحوار، عندما تكثر الأخطاء من ذلك الشخص، ولم يفد فيه اللين والرفق، فيستعمل معه التوبيخ، الذي يعدُّ أحد أنواع العقاب، مع أنه غالباً مؤثر ولكن نشاهد معظم الآباء يستعملونه بطريقة غير صحيحة (١٤)، فإذا استعمل بطريقة صحيحة، كأن يكون على

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاط مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صوّرها بعناية: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض، ١٧٣/٨، رقم ٦٨٤٧

(١٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ٤٤٤/٩

(١٨) أسلوب الحوار ٤٧

الإسلامية بالمدينة المنورة بإشراف: د عبد الرحمن بن رجا الله الأحمد عام النشر: ١٤٣٣ / ١٤٣٤ هـ ص ٤١

(١١) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام ص ٢٨٤

(١٢) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، زكريا الشربيني، يسرية صادق، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١٤٢١ هـ، ص ٢٥٧

(١٣) انظر تفسير الطبري ١/ ٥٣٧ وما بعدها

(١٤) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، زكريا الشربيني، يسرية صادق، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، ١٤٢١ هـ، ص ٢٥٧

(١٥) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب إبراهيم: دار الشروق، القاهرة، ط ١٤١٤ هـ، ١/ ١٩١

في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، فتغنم البشرية مرضاة ربها فتكسب دنياها وأخرتها؛ إذ أن دمار الأرض والأمم مرهون بفساد أهلها.

والنفس بلا هداية ولا قناعة قلقة ومتخوفة، تخشى فوات مصلحة تنفعها، أو الوقوع في ضرر يؤذيها، لذلك تحتاج إلى تبصرة تفقنها وتطمئننها، فنجد القرآن يستخدم هذه الطريقة في الإقناع نحو قوله تعالى: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧]. وقوله ﷺ: (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) [فصلت: ٤٠]. وقوله ﷺ: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء: ١٥] فهذه الآيات وكثير مثلاً تضع المرء في حوارية لمواجهة نفسه ومحاورتها، لتحميص مواقفه، فيدعم ما حسن فيها، وتصرفه عما قبح منها، قال ﷺ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠] (٢١).

مما سبق يتضح أن للحوار أثرًا إيجابيًا على أفراد المجتمع الواحد رغم التباين والاختلاف بينهم، فسكنت الملائكة بعد حوار ربها عز وجل، وأقيمت الحجة على من استكبر، واستسلم الفتى لأمر ربه فظهر وزكا، ووثق الرجل بأهل بيته وثبتت براءة زوجه بأسلوب الحوار، وكم هي النماذج الإنسانية في عصرنا وفي كل عصر شبيهة بهذه النماذج الخالدة، قد يكون الحوار هو سبيل علاجها، وإعادة لحمه أفراد المجتمع وصلاحيته.

الفصل الثاني:

المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي:

المطلب الأول: التعايش لغة: ورد لفظ التعايش في المعجم الوسيط بمعنى (تعايشوا) عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي، (العيش): الحَيَاة وَمَا تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْخَبْزِ، (المعاش) مَا تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَتَحْوَهُمَا وَزَمَانُ التَّمَاسِ الْعَيْشِ ومكانه والمرتب الذي يقاضاه من قضى مدة معينة في خدمة الحكومة بعد انقطاعه عن العمل، (المعيشة) المعاش من المطعم والمشرب والدخل (٢٢) و {العيش} والمعيشة: مَا تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ. و {المعاش} والمعيش والمعيشة: مَا يُعَاشُ بِهِ، أَوْ فِيهِ، فَالنَّهَارُ {مَعَاشٌ، وَالْأَرْضُ مَعَاشٌ لِلْخَلْقِ يَلْتَمِسُونَ فِيهَا مَعَاشَهُمْ} (٢٣).

قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه». قال: فلم يكن - بعد ذلك - الفتى يلتفت إلى شيء» (١٩) حوار النبي - صلى الله عليه وسلم - مع هذا الشاب اتضحت فيه الكثير من المواقف التربوية، فلم يزجره - صلى الله عليه وسلم -، ولم يرفع صوته عليه، بل أدناه منه - صلى الله عليه وسلم -، وأخذ يحاوره بكل هدوء، مع أن الشاب طلب أمراً محرماً، فأخذ - صلى الله عليه وسلم - بأسلوب الاستفهام.. أتحبه... أفتحبه...؛ لكي يشعر الشاب عظم ذلك الجرم، حتى يقر بمخالفة ما حدثته به نفسه، فكانت النتيجة اقتناع ذلك الفتى وإقلاعه عن هذه المخالفة تأثراً بهذا الأسلوب النبوي الرفيع الذي خاطب عقله وألهب مشاعره دون أن يتعرض له بشيء من السب أو السخرية والاستهزاء.

فهذه الاستفهامات يستعملها المربي ليُشعر المُحاور بأهمية ذلك الأمر، وليستخرج منه القرارات السليمة، لأن هناك أموراً واضحة لا تتطلب جهداً، فإذا ضعفت النفس البشرية، وأرادت ما يخالف طبيعتها، رجعت بالاستفهامات إلى جبلتها الفطرية وحب الخير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم الحوار كوسيلة للتواصل والتراحم مع الآخرين، ونجد في سيرته صلى الله عليه وسلم نماذج كثيرة متنوعة للحوار، نكتفي منها بذكر المثالين السابقين.

المطلب الثالث: أهمية الحوار

للحوار أهمية كبيرة في جميع ميادين الحياة عامة، وفي مجال الدعوة إلى الله بشكل خاص، وتظهر هذه الأهمية في مواقف كثيرة، تبدأ فيما يلي:

أولاً: كونه أمراً ربانياً حال الدعوة إلى الله إذ يقول جل في علاه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥] فالحوار من أدوات الداعي المأمور بها على صفة مخصوصة.

ثانياً: الحوار أحد أدوات الوصول إلى الحق والذي يعد هدفاً عظيماً لكل داعية.

ثالثاً: في مواقف الرد على أهل الباطل، وهذا يتم بالحوار لإقناعهم (٢٠). من هنا تبرز أهمية الحوار والإقناع طاعة لله

(٢١) الرقائق والأدب والأذكار الكتاب: نظرات في التربية ١٤٣٢ ص ٨٢

(٢٢) المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ ج ١٤٣٩/٢ وما بعدها

(٢٣) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إدارات: وزارة

(١٩) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ٣٦ / ٥٤٥، رقم ٢٢٢١١

(٢٠) بحث بعنوان الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي. د. صبحي أفندي الكبسي وعبد الله حسن حميد الحديثي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، صفحة ٣٢٤.

الأولى: هي إحدى مراتب الدين والتي هي أعلاه، كما جاء في حديث جبريل «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢٧)

والثانية: إحسان في حق الخلق، بأن يبذل ما يستطيع من المنافع لهم، وهو متفاوت، ومنه إتقان العمل وقد أمر الله بالإحسان في مواطن عديدة من كتابه، منها قوله جل ذكره: ﴿وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] ولهذا المرتكز أثره البالغ في الناس خاصة في إطفاء نار العداوة، وجلب المحبة، ويتأكد هذا عندما تقابل الإساءة بالإحسان ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ومجال الإحسان واسع كبير يشمل القول والفعل، والإغضاء، والصبر وأمورا كثيرة من هذا القبيل مما يعزز ويقي مسألة التعايش وفق هدي الشريعة^(٢٨)

الثالث: الرحمة: وهي مرتكز واضح الدلالة على ارتباط هذه الشريعة بالخالق الحكيم الذي صدرت عنه، فإن الرحمة صفة من صفات الله (الرحيم)، وهي شاملة للخلق جميعاً، جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزءاً فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»^(٢٩) لا شك أن النصوص المتقدمة تدعو إلى الرحمة وتمجّد فعلها، ولم تخصص للمسلمين دون غيرهم، بل إنها جاءت شاملة لكل الخلق وعلى هذا فالمشاركة في كل فعل تتحقق به الرحمة من مساعدة المحتاجين وإطعام الجياع ومعالجة المرضى، وتعليم الجاهلين، والعمل على ما يخفف معاناة الناس منهج واضح للإصلاح ولجلب رضوان الله أولى به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وقد جاء في الحديث: أَنَّ امرأة زانية سقت كلباً بلغ به العطش حداً لا يطاق فشكر الله صنعها وغفر لها^(٣٠).. ومن رحمة الله لعباده إرساله محمداً ﷺ

المطلب الثاني: التعايش في الاصطلاح: عرّفه بعضهم "بأنه اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى"^(٢٤)، فيعترف الكل بحق الآخر دون اندماج وانصهار، فتعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار "تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة- تعايشت الدولتان تعايشاً سليماً" التعايش السلمي بين الدول: الاتفاق بينها على عدم الاعتداء. تعايش الناس: وجدوا في نفس الزمان والمكان"^(٢٥)

مما سبق يظهر تجاهل ارتباط التعايش بالفكر الإسلامي، والأحكام الشرعية، وضوابط الحريات، لذا فإن التعايش - كما تراه الباحثة - مطلب شرعي اجتماعي يهدف إلى ضبط العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع وفق أحكام الشريعة، بحيث يضمن الحقوق الإنسانية، حفاظاً على أمان وسلامة مجتمعه، وبالتالي أي نمط من التعايش يتعارض مع الكتاب أو السنة، أو مقاصد الشريعة يتم رفضه.

المبحث الثاني: أسس وأهمية التعايش السلمي:

المطلب الأول: أسس التعايش السلمي: أسس التعايش، تشمل جوانب حياتية كثيرة، لكن يمكن إجمالها في خمس مرتكزات رئيسة تندرج تحتها أمور عديدة تتعلق بها:

أولها: العدل: وهو ضد الجور، وهو القسط الذي أمر الله به ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. وجاء في الحديث الشريف: «المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ ثَوَرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا»^(٢٦) والعدل قامت به السماوات والأرض، وقد أمر الله به ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وألزم الله به حتى في حال الخلاف والخصومة مع الكفار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]

الثاني: الإحسان: وهو ضد الإساءة، وينقسم إلى مرتبتين:

(٩)، عادل بن سعد (ج ١٠ - ١٧)، صبري عبد الخالق الشافعي (ج ١٨) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م) ٣٣٣/٦ وفتح البار ٥٣٩/١٣

(٢٧) أخرجه الامام احمد في مسنده برقم ٢٩٢٤، ٩٤/٥ (٢٨) انظر الأصول والضوابط العقدية والشرعية للعيش المشترك في الإسلام إعداد أ.د. حمزة بن حسين الفهر الشريف بحث مقدم إلى الدورة الخامسة والعشرين للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث (٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٠٠) باب جعل الله الرحمة مائة جزء ٨/٨..

(٣٠) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٤٥) ٤٣/٧

الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت تاريخ النشر هـ ١٤٣١ ج ٢٨٣/١٧
(٢٤) بحث بعنوان الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي. د. صبحي أفندي الكبيسي وعبد الله حسن حميد الحديثي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، صفحة ٣٢٤.
(٢٥) معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ج ١٥٨٣/٢
(٢٦) أخرجه الامام احمد في مسنده برقم ٦٤٨٥، ٦٤٨٥/٢٤ والبخاري في مسنده المنثور باسم البحر الزخار المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العنكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢ هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله (ج ١ -

هذا؛ لذا أصبحت فكرة التعايش مطلباً من مطالب العصر الحديث، ومسعى الكثير من مفكريه.

المطلب الثالث: دور الحوار في التعايش السلمي

بما أن الحوار أمر رباني تتوقف عليه الكثير من المصالح الإنسانية، وأنه سبيل لإحقاق الحق، ورد الباطل ودحضه؛ فهو أداة هامة من أدوات التعايش، قائم على المجادلة بالتي هي أحسن، ومن هنا أدرك مفكرو الشعوب أهمية الحوار؛ فلا تكاد نار حرب أوقدت إلا وعلت الأصوات تدعو إلى دوائر الحوار، للتوصل إلى اتفاقيات، تحقن دماء الأبرياء، ولتحقق ما عجزت الحروب عن تحقيقه.

والباحث في كتاب الله يجد الحوار نهجا ربانيا لتأييد مواقف أو نقدها، أو لتعديل سلوك، أو لتأسيس مبادئ وأحكام، فسورة المجادلة، وسورة عبس، وسورة الكافرون، نماذج تكاد لا تخفى على أحد من المسلمين. وقد أعتمد هذا النهج نبي الأمة ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم في مواجهة المعضلات، ومن أمثلتها كثير على مستوى الأفراد والجماعات، فكان أداة من أدوات بادئة الفتح - صلح الحديبية، وبه تماسكت الأمة وصمدت برحمة الله وفضله، بعد وفاة المصطفى ﷺ في سقيفة بني ساعدة. ومن نتائجه كان علاج الردة والمرتدين، فالحوار جزء من كتاب الله وله فضل على الأمة وفكرها وأمنها دام أثره سنين عديدة، ومواقف كثيرة قديمة وحديثة لا تنضب.

المبحث الثالث: الحوار في سورة الأحقاف وأثره في التعايش السلمي:

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحقاف: الأحقاف: جمع جَفَفَ، وهو رمل مستطيل فيه انحناء، من: احقوف الشيء إذا اعوجَّ، وكان عاد أصحاب عُمد، يسكنون بين رمال مُشرقة على البحر بأرض يُقال لها: «الشَّحْر» بأرض اليمن. وقيل: الأحقاف: واد بين عُمان ومَهْرَة، وقيل: كانت منازل عاد باليمن، في حضرموت، بموضع يقال له: مَهْرَة، وإليه تنسب الإبل المهرية، ويقال لها: المهراري، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم^(٣٢)، والمشهور: أن الأحقاف اسم جبل ذي رمل مستطيل، كانت منازل عاد حوله^(٣٣) وسورة الأحقاف: مكية، وجميعها محكم غير آيتين: أولهما قوله تعالى (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ

لهدائيتهم وإرشادهم إلى صراطه المستقيم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] **الرابع: التعاون:** وهو مما أمر الله به وجعل المحمود منه ما كان على البر؛ لأن التعاون قد يكون بين بعض البشر على خلاف ذلك، فجاء القرآن الكريم موضحاً ما يطلب فعله، ويمدح فاعله، وما ينهى عنه، ويذم فاعله، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

الخامس: التحلي بمكارم الأخلاق: شأن الخلق الحسن في الإسلام شأن عظيم فقد أعلى الله منزلته، وأثنى على رسوله ﷺ به فقال جل ذكره مخاطباً رسوله عليه السلام: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [الفلم: ٤]، وقال ﷺ ممتناً على المؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فمكارم الأخلاق تجمع خيراً كثيراً؛ لأنها تدخل في جميع مناحي الحياة ويؤثر وجودها في زرع المحبة والثقة وإشاعة الألفة، وتقوية الروابط، ومنها حسن المنطق، ولين الكلام، وبشاشة الوجه، والصدق، والوفاء بالعقود والعهود والكرم، وهي جميعها وغيرها مما تكاثرت وتضافرت نصوص الشريعة على إثباته والدعوة إليه، ومن مكارم الأخلاق البعد عن ازداد هذه الأخلاق الكريمة^(٣١).

المطلب الثاني: أهمية التعايش السلمي

التعايش السلمي مطلب من مطالب الحياة، ومقوم من مقوماتها، لذلك كانت الحكمة الإلهية خلق الأزواج من نفس واحدة للسكن وهو أساس من أساسيات التعايش: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون قوام لبنة المجتمعات المودة والرحمة، وقد ارتبطت الجريمة في المجتمعات بأفراد الأسر المفككة؛ إذ لا مودة ولا رحمة، وهما مرتبطتان أشد الارتباط بتقبل الآخر، فكما كان هنالك تقبل واعتراف بالحقوق، كانت إمكانية التعايش متاحة بين الأفراد والجماعات، والمتتبع للحروب ونشأتها يجد أن من أسباب نشأتها غياب فكرة تقبل الآخر والاعتراف بحقوقه، وهي الرحي التي تدور حولها الحروب في عصرنا

المدني الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة - العدد الثالث - رجب ١٤٣٩هـ - فبراير ١٩٧٤م ص ١٢٠ والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عبيدة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩هـ/٣٤١

(٣١) انظر الأصول والضوابط العقديّة والشرعية للعيش المشترك في الإسلام لحزمة بن حسين الفهر الشريف ٢٠١٥ م ص ١٨
(٣٢) انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البيهقي المؤلف: محبي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي (ت ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ٢٦٢/٧
(٣٣) انظر دراسات في أصول اللغات العربية المؤلف: أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاء محمد عظيم القاري

١٠- الدعوة للاعتبار: تهديد قريش أن ينزل بها ما نزل بالأمم المكذبة السالفة، ولم تنتفعهم الأموال والحصون والأولاد، ولم ينتفعوا بالأسماح والأبصار والأفئدة، وإهلاك القرى حول مكة مشهد لقريش للاعتبار، وما نفعهم آلهتهم ساعة الاضطرار.

١١- تعزيز المواقف الإيمانية: خبر لقاء رسول الله ﷺ مع فريق من الجن، ورجوعهم إلى قومهم يندرونهم. من خلال مذاكرة الآيات الكريمة الواردة في القرآن الكريم حول مناظرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين، يتضح أن المنهج الذي اتبعه في وصف هذه الحوارات، كان منهجاً وصفاً لما كان يدور على ألسنة المشركين من علامات استغراب وتعجب لأحوال القرآن الكريم ونبيه الأعظم، وعلى هذا النحو سارت المحاورات بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين في أغلب الآيات التي ذكرت ذلك.

المطلب الرابع: عناصر أسلوب الحوار في سورة الأحقاف: وهي: المتحاورون وهم أطراف الحوار، وموضوع الحوار، وفي الأغلب قضية خلافية بين أطرافه، ونص الحوار وما يشتمل عليه من ردود وما تتضمنه من أدلة وحجج.

أولاً: مواضع الحوار في سورة الأحقاف.

بعد إقرار الحقائق، وبيان جانب من الواقع انتقل كتاب الله إلى محاوره المشركين ومواجهتهم بالأسئلة المفحمة، والحجة البالغة، تنديداً بما يعتقدونه من الشرك بالله. مستفسراً لهم: هل عندهم حجة على أن المعبودات التي يعبدونها شاركت الحق تبارك وتعالى في خلق الأرض؟ أو شاركت في خلق السماوات في قليل أو كثير؛ حتى يعبدوها معه، أو يعبدوها من دونه؟ هل هناك كتاب سابق على القرآن من عند الله يستند إليه المشركون في إثبات شركهم؟ هل هناك دليل بين أو علم قاطع انفرد به المشركون وحدهم، حتى أثروا الشرك على التوحيد؟ ووضح أن هذه الأسئلة القرآنية لا يمكن للمشركين الإجابة عنها بأدنى إجابة مفيدة، اللهم إلا مجرد العناد والتقليد. يضاف إلى ذلك أن هذه المعبودات التي يعبدوها المشركون لا تستجيب لدعوتهم، ولا تحس بعبادتهم، إذ إنها عبارة عن جمادات أو أموات، لا تنفع في الدنيا ولا تشفع في الآخرة، فما الفائدة إذن من دعائها وعبادتها؟ وإلى هذا الموضوع يشير قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَئِنَّنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ

إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الأحقاف: ٩] نسخت بقوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ ...) [الفتح: ١-٢]. والآية الثانية: قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...) [الأحقاف: ٣٥] نسخ معناها بآية السيف (٣٤)

المطلب الثاني: نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الأحقاف» بعد سورة «الجاثية»، ونزلت سورة «الجاثية» بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الأحقاف في ذلك التاريخ أيضاً. وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية [٢١] منها: (وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ). وتبلغ آياتها خمساً وثلاثين آية.

مقاصد السورة وترتيبها

من مقاصد هذه السورة إنذار المشركين بالعذاب، وأخذهم مع هذا الدليل إلى التصديق بالتوحيد والرسالة، وبهذا جمع فيها بين الأخذ بالترهيب والترغيب والأخذ بالدليل، كما جمع بين ذلك في السور السابقة، وهذا هو وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها من السور (٣٥)

المطلب الثالث: منهج السورة

- ١- انتصار الله تعالى للقرآن الكريم، وإثبات الخلق للسماوات والأرض وما بينهما بالحق، وتقريع المشركين في عبادتهم آلهة من دون الله الملك العظيم.
- ٢- الرد على اتهام الكفار بالحق بالسر، وافتراءهم على سيد البشر، وبيان تجرد الرسول من علم الغيب وتحذير قومه مغبة الاستمرار على الكبر.
- ٣- تقريع يهود المكرب بحجة الله البالغة، واعتزاز بعض المشركين بالإفك والباطل، ومنكري البعث والمعاد.
- ٤- ثناء الله على المخلصين له المستقيمين على نهجه ووعدهم جنات النعيم.
- ٥- التوصية بما ينفع الناس: التوصية بالإحسان إلى الوالدين، وتأمل نعم الله عند الأربعين، وسؤال العبد ربه إصلاح حاله وذريته وعونه على العمل الصالح.
- ٦- ربط الشرك بالعقوق، وهو الخسران المبين.
- ٧- تصوير مشهد الخزي والذل أمام نار جهنم للكافرين.
- ٨- قص القصص للعبارة: خبر عاد مع نبيهم هود عليه الصلاة والسلام، وعاقبة التكذيب الهلاك بالريح العاتية ليدوقوا مغبة الشرك والكبر والآثام.
- ٩- حث النبي ﷺ على الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (١)

(٣٥) الموسوعة القرآنية، خصائص السور المؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ ١٥١/٨

(٣٤) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ص ٥٦

(صَادِقِينَ) [الأحقاف: ٤] (٣٦) فقال مخاطباً نبيه الأكرم بالقول: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي) الرد على عبدة الأصنام فقال: قل أرايتم ما تدعون من دون الله وهي الأصنام أروني أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات والمراد أن/ هذه الأصنام، هل يعقل أن يضاف إليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم؟ فإن لم يصح ذلك فهل يجوز أن يقال إنها أعانت إله العالم في خلق جزء من أجزاء هذا العالم، ولما كان صريح العقل حاكماً بأنه لا يجوز إسناد خلق جزء من أجزاء هذا العالم إليها، وإن كان ذلك الجزء أقل الأجزاء، ولا يجوز أيضاً إسناد الإعانة إليها في أقل الأفعال وأدناها، فحينئذ صح أن الخالق الحقيقي لهذا العالم هو الله سبحانه، وأن المنعم الحقيقي بجميع أقسام النعم هو الله سبحانه، والعبادة عبارة عن الإتيان بأكمل وجوه التعظيم، وذلك لا يليق إلا بمن صدر عنه أكمل وجوه الإنعام، فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، وجب أن لا يجوز الإتيان بالعبادة والعبودية إلا له ولأجله، بقي أن يقال إنا لا نعبدها لأنها تستحق هذه العبادة، بل إنما نعبدها لأجل أن الإله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها، فعند هذا ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الجواب عن هذا السؤال، فقال: انتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم وتقرير هذا الجواب أن ورود هذا الأمر لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي والرسالة، فنقول هذا الوحي الدال على الأمر بعبادة هذه الأوثان، إما أن يكون على محمد أو في سائر الكتب الإلهية المنزلة على سائر الأنبياء، وإن لم يوجد ذلك في الكتب الإلهية لكنه من تقابل العلوم المنقولة عنهم والكل باطل، أما إثبات ذلك بالوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهو معلوم البطلان، وأما إثباته بسبب اشتغال الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء المتقدمين عليه، فهو أيضاً باطل، لأنه علم بالتواتر الضروري إطباق جميع الكتب الإلهية على المنع من عبادة الأصنام، وهذا هو المراد من قوله تعالى: انتوني بكتاب من قبل هذا، وأما إثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الأنبياء سوى ما جاء في الكتب فهذا أيضاً باطل، لأن العلم الضروري حاصل بأن أحداً من الأنبياء ما دعا إلى عبادة الأصنام، وهذا هو المراد من قوله أو أثارة من علم ولما بطل الكل ثبت أن الاشتغال بعبادة الأصنام عمل باطل وقول فاسد (٣٧)

(وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) [الأحقاف: ٧-٩] وهذه الآيات توضح بشكل صريح طبيعة الحوار عند المشركين الذين اتهموا النبي ﷺ بأن ما جاء به هو السحر المبين، وأنه افترى هذه الآيات من عنده، وهي ليست من عند الله سبحانه. وهذا مجمل ما جاء على لسانهم، أما رد النبي عليهم فكان التأكيد على أنه لم يكن مبتدعاً ولا ساحراً، بل أكد على أنه رسول رب العالمين. وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرؤون منهم (وَكَاثُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) يقول تعالى ذكره وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا_ القول في تأويل قوله تعالى: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الأحقاف: ٩]

جاء في مفاتيح الغيب (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ) يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم (٣٨) وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا تَكَلَّمَ فِي تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ تَكَلَّمَ فِي النُّبُوَّةِ وَبَيَّنَّ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كُلَّمَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ تَوْعَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعْجَزَاتِ رَعَمُوا أَنَّهَا سِحْرٌ فَقَالَ وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْبَيِّنَةِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِمُ الْمُعْجَزَاتُ الظَّاهِرَةُ سَمَوْهَا بِالسَّحَرِ، وَلَمَّا بَيَّنَّ أَنَّهُمْ يُسْمَوْنَ الْمُعْجَزَةَ بِالسَّحَرِ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ مَتَى سَمِعُوا الْقُرْآنَ قَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَاخْتَلَفَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِي أَمْ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ كَأَنَّهُ قِيلَ دَغْ هَذَا وَاسْمِعِ الْقَوْلَ الْمُنْكَرَ الْعَجِيبَ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَّ بِطُلَانٍ شَبَّهَتْهُمْ فَقَالَ إِنْ افْتَرَيْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَاجِلُنِي بِعُقُوبَةِ بَطْلَانِ ذَلِكَ الْإِفْتِرَاءِ وَأَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهِ عَنْ مُعَاجَلَتِي بِالْعُقُوبَةِ فَكَيْفَ أَقْدِمُ عَلَى هَذِهِ الْفُرْيَةِ، وَأَعَرَضَ نَفْسِي لِعِقَابِهِ) (٣٩)

عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ٩٦/٢٢ وما بعدها

(٣٩) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ٧/٢٨

(٣٦) التفسير في أحاديث التفسير المؤلف: محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤ هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ٦/٦

(٣٧) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ٥/٢٨

(٣٨) انظر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: د

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ (١١) [الاحقاف: ١٠-١١] وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضي الله عنهم، وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذلك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا وأخطأوا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى: وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا [الأنعام: ٥٣] أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون: في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها المعنى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ وَعَدَاوَةِ الرَّسُولِ وَبَيْسَلَمُوا {يَعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} من كفرهم وعداوتهم للرَّسُولِ، وإن عَادُوا إِلَيْهِ، وَأَصْرُوا عَلَيْهِ: {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} في نُصْرَةِ اللَّهِ أَنْبِيَائِهِ أَوْلِيَائِهِ، وإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِ؛ فليَتَوَقَّعُوا مِثْلَ ذَلِكَ (٤٠) يقول تعالى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ أَيْ مَا ظَنُّكُمْ أَنَّ اللَّهَ صَانِعُكُمْ إِنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ لِأُبَلِّغْكُمْوَهُ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ وَكَذَبْتُمُوهُ. وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به، وقوله عز وجل: فَأَمَنْ أَيْ هَذَا الَّذِي شَهِدَ بِصِدْقِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَقِّيَّتِهِ وَاسْتَكْبَرْتُمْ أَنْتُمْ عَنْ إِتِّبَاعِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ، أَيْ: قَالُوا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، يَعْنُونَ: بِلَالًا وَعَمَارًا وَصَهْبِيًّا وَخَبَابًا رضي الله عنهم، وَأَشْبَاهَهُمْ وَأَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً وَلَهُ بِهِمْ عِنَابَةٌ. وَقَدْ غَلَطُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا فَاحِشًا وَأَخْطَأُوا خَطَأً بَيْنًا كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ) [الأنعام: ٥٣] أي يتعجبون كيف اهتدى

هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون: في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها. (٤١)، ويلاحظ من الآيات السابقة تأكيد القرآن الكريم على الأسلوب الهادئ والسلس في عرض المسائل العقائدية وطريقة الرد عليها من قبل المسلمين حين يجادلهم أهل الكتاب، فلا بد أن يبقى الباب مفتوحا للحوار مما قد يجنبهم الدخول في متاهات كبرى، هم في غنى عنها.

ثانيا: القضية موضوع الحوار

تتمثل القضية موضوع الخلاف في سورة الأحقاف في قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ (٣) [الأحقاف: ١-٣] وهي قضية عقدية، محورها تكذيب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي قضية هامة تعد من أهم مقومات صلاح الأمة، فكان في الحوار رحمة وفضل من الله لما فيه خير للطرف الآخر رغم تجاوزاته، فإن أراد الحق فالحق أبلج، وإن تكبر واستكبر فتكون الحجة قد أقيمت عليه، وعليه ما اكتسب.

ثالثا: أطراف الحوار

الطرف الأول المحاور وهو من لا ينطق عن الهوى، أدى الحوار كما علمه ربه ﷺ الرحيم، الذي يريد بخلقه اليسر، والحق واللطف، والمحاور الطرف الآخر وهو ذاك الذي تظهر شخصيته في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ) [الأحقاف: ٣]

رابعا: نص الحوار: وهو كلام المتحاورين، وما يشتمل عليه من ردود وأدلة وحجج.

المطلب الخامس: خصائص الحوار في سورة الأحقاف

تشتمل الآيات الكريمة على حوار مكتمل العناصر: القضية الخلافية ممثلة بقضية الشرك، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد اشتمل الحوار القرآني على أدلة أطراف الحوار مرتبطة بأهداف محددة، لتحقيق اليقين ومنع تسلل الشكوك. والجدول الآتي يبين عناصر الحوار الأول من سورة الأحقاف.

(٤٠) (الباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م ٥١٥/٩

(٤١) انظر تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ٢٥٥/٧

القضية الخلافية	هدف الحوار	نص الحوار
		المحاور
الشرك: (قُلْ) أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	إثبات ضعف ما يدعونه من دون الله	أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
	إثبات ضعف المحاور الطرف الآخر، فهو لا حجة ولا دليل لديه	أَتُنُونِي بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا
	إثبات كذب المحاور الطرف الآخر	أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
	إثبات ضلالة من يدعو من دون الله	وَمَنْ أَضَلُّ: - مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ - وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غُفُلُونَ
	بيان أوجه ضلالة من يعبد غير الله	- وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً - وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَرِينَ
تكذيب الرسول ﷺ: (أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ)	رد ادعاء الكافرين وإثبات بطلانه. تحديد المرجعية التي يحتكم إليها التذكير بصفات الله لبعث الأمل في نفوس المحاور	- قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا - هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ - كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ - وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
	- إثبات النبوة بالأدلة والأحداث التاريخية. - بيان مصادر معلومة الحوار - بيان موثوقية المعلومة - التعريف بدور المحاور	- قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ - وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ - إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ - وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
	- الدعوة للتفكير والنظر في الرأي والرأي الآخر - الاستدلال على صحة ما أتى به من الأحداث الجارية	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأَمَّنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ أَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
	- إيهام الآخرين بصحة ادعائهم	
جدول رقم (١) عناصر الحوار في سورة الأحقاف		

- أدلة الحوار أدلة غير منطقية، منحصرة في ادعاءات لا تتم عن منطق ولا مرجعية ولا حقائق، ولا أحداث جارية، ولا نماذج سابقة، ولكنها هدامة: (يَقُولُونَ أَفَنَرَّبُهُ) (وَهَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) وتتم عن غرور: (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) والأدلة تجاهلت أسئلة المحاور، ولو كانوا على الحق لكانت فرصتهم للدفاع عنه.

أغراض الحوار وأهدافه تدرك من خلال فهم وتدبر النصوص، ولا شك أن كل عبارة ولفظ في نص المحاور مقصود لتأدية وظيفة ذات معنى في علاج القضية موضوع الحوار وهي الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد تم إثبات ضعف الطرف الآخر في الحوار الذي عجز عن الإجابة عن الأسئلة. وأبان كذبه: (قُلْ إِنْ أَقَرَّبْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) [الأحقاف: ٨]، وضعف ما يعبد من دون الله: (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) [الأحقاف: ٤] فتحقيق هذه الأغراض أطبقت الحجة على الطرف الآخر.

المطلب الخامس: الحكمة المستفادة من الحوار في سورة الأحقاف. تقدم آيات هذه السورة الكريمة نموذجاً للمحاور القدوة، وللحوار الأنموذج لكل داعية، ولكل متثبت على مر العصور، فلا بد أن يتقوى المحاور بصفات شخصية قوامها الإخلاص والخلق الكريم واحترام الآخر، والتجرد من الذاتية والأنانية في حواراته، وبصفات أخرى مهارية كال فصاحة، وقوة الحجة، والالتزام بوحدة الموضوع، والقدرة على الربط والاستنتاج... وصفات فكرية وعلمية تتمثل بصحة المعلومة وتمكنه منها، والقدرة على التوجيه والتحليل، وقد أمد الحوار في الآيات إيمان و يقين المؤمن بأنه على الحق. وقد أظهر هذا النموذج ظهوراً بارزاً جلياً وجود النموذج الآخر النقيض، بلا فكر ولا موضوعية، ولا مرجعية ولا إحاطة، ففشل في الرد، وفشل في الإقناع، فكان حوار اتهامات باطلة فتحت عليه أبواب الرد. والمسلمون في عصرنا الحالي بأمس الحاجة لمثل هذه النماذج الكريمة، للالتزام نهجها في عدد لا حصر له من المواقف.

نتائج الدراسة الخاتمة

من خلال استعراض الباحثة لفصول الدراسة؛ فإنه يمكن إجمال أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها كما يأتي:

النتائج:

- ١- إن أسلوب الحوار أهمية كبيرة للفرد والمجتمع، وقد اتضحت أهميته كثيراً من خلال كثرة استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ٢- هناك ضوابط لأسلوب الحوار، وهي تعين على سير الحوار بشكل سليم نحو الهدف، وأن الإخلال بها يعرقل الحوار عن منهجه الصحيح، ومن تلك الضوابط: وحدة الموضوع، وضرورة العلم بالقضية المطروحة للنقاش، وحسن الفهم.

بعد إمعان النظر في الجدول السابق (١) يتبين أن للحوار خصائص تعود إلى موضوع الحوار وقضيته، والمحاور والطرف الآخر، والأدلة، وأهداف الحوار، والأسلوب، وختام الحوار تتمثل في الآتي:

أولاً: ما يرتبط بالمحاور

- هدف الحوار هدف سام، يمثل اللطف الإلهي، والرحمة، وتبصرة العباد، والأخذ بأيديهم إلى الحق وطريق النجاة.
- أسلوب الحوار يتسم بالوضوح، قوة الدليل لدى المحاور، مبني على المشاركة والتفاعلية بمثله بتوجيه الأسئلة للطرف الآخر، مما يساعد في إيصال الطرف الآخر إلى الصراط الحميد.

- أدلة الحوار تتسم بالإحاطة: فقد أثبتت ضعف ما يعبد من دون الله (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) [الأحقاف: ٤] مقابل قوة الخالق الذي خلق الأرض وما عليها ومالك السماء. كما أن الأدلة أثبتت ضعف الكفار فهم عجزوا عن الإتيان ولو بدليل واحد. والأدلة أثبتت عدم استحقاق ما دون الله للعبادة: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِئَةِ) (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ) [الأحقاف: ٥] و (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً) (وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَرِينَ) [الأحقاف: ٦]. وراعت الأدلة الأحداث الجارية: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَائِمًا وَاسْتَكْبَرْتُمْ) [الأحقاف: ٨] والأحداث المعلومة السابقة: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٩]، قوة الأدلة من قوة مصدرها وانعدام الذاتية فيها: (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) وتبدو دقة الرد والإصابة في الصميم: (أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَّبُهُ) فالرد مسدد: (قُلْ إِنْ أَقَرَّبْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) [الأحقاف: ٨]

ثانياً: ما يرتبط بالمحاور (الطرف الآخر)

أن للمحاور (الطرف الآخر) وفق الآيات الكريمة أهدافه وردوده، وأسلوبه، والناظر في الجدول السابق يلاحظ البون الشاسع بين طرفي الحوار من حيث قوة وعدد الأدلة والمبادرة، وهذه الأهداف والردود تعكس جوهره وحقيقته، ومن الجدول السابق يلاحظ الآتي:

- أنه كان سلبياً غير مبادر، لم يعرف بنفسه، ولا منهجه، وقد تجاهل في ردوده مكانة وصفات محاوره، وقد عجز عن إجابة أسئلته.

- هدف الحوار هو تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هدفاً سامياً، وإنما هدف فاسد مفسد مبعثه الحسد والعداوة: (أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَّبُهُ) فهو قول غير مبني على علم أو منطق، ولو حقق لساد الظلم والفساد.

- أسلوب الحوار يوحى برفض الآخر، فهو مدعاة لغلقه ووقفه، بإطلاق الأحكام الذاتية غير الموضوعية، لا يثري فكر، ولا يقود إلى صلاح ولا وفاق.

التوصيات:

- ١- ضرورة الاهتمام بضوابط الحوار وآدابه حتى يأتي بالنتيجة المرجوة منه.
 - ٢- الاهتمام بنشر ثقافة الحوار والتسامح والاعتدال وبناء أفراد مجتمعاتنا الإسلامية بما يضمن لهم العيش بمودة وسلام
 - ٣ - إسهام وسائل الاعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة بتعميم خطاب معتدل وسلمي يحث على التعايش السلمي وقبول الآخر، وعرض البرامج الحوارية الهادفة لغرس قيمة الحوار في مجتمعاتنا.
 - ٤-- تضمين المناهج الدراسية أسلوب الحوار كمهارة يدرّب عليها الطلبة، واتخاذ كاسلوب من أساليب التدريس المعتمدة
 - ٥- يجب تقوية الروابط وأوجه التعاون الثقافي بين أبناء المجتمع من خلال تبادل الثقافات حتى يكون هناك تلاقحاً للأفكار.
 - ٦- اعتماد الحوار خطوة أولى أساسية في طريق التعايش السلمي في المجتمع.
- ### قائمة المصادر والمراجع
- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (١٤٣١هـ). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة.
 - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي. (١٤١٩ هـ). تفسير القرآن العظيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - (المجلد الأول). (المحقق: محمد حسين شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف. (عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد السند حسن يمامة، المحرر) مركز البحوث والدراسات الإسلامية - دار هجر، دار هج.
 - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب بيروت: دار إحياء التراث العربي.
 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (١٣٧٩هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
 - أحمد محمد المهدي الأنجري. (١٤١٩ هـ/٢٠٠١م). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. القاهرة.
 - أحمد مختار عبد الحميد عمر. (١٤٢٤هـ). معجم اللغة العربية المعاصرة (المجلد ١). عالم الكتب.

- ٣ - إن لأسلوب الحوار آداباً نفسية وعلمية ولفظية، فمن الآداب النفسية: الإخلاص وصدق النية، وتهئية الجو المناسب، والإنصاف والعدل. ومن الآداب العلمية: العلم، والتدرج والبدء بالأهم، والدليل. ومن الآداب اللفظية: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة، وحسن العتاب، والتذكير والوعظ.
- ٤ - الحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة
- ٥- الحوار أوسع مدلولاً من الجدل: لأن الجدل يتضمن معنى الصراع، بينما الحوار يتسع له ولغيره .
- ٦- في الحوار الذي دار بين الرسل - عليهم السلام - مع أقوامهم، دلالات كثيرة منها :أ. القرآن يهتم اهتماماً بالغاً بالحوار، ويحرص على استخلاصه من الشوائب ب. أهداف الحوار وغاياته متعددة، فهو يستهدف الحقائق ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الإيمان ج. إن الحوار في القرآن الكريم قد شمل أقوم الطرق وأفضل المناهج، وهو قادر على إقناع الناس جميعاً إذا احتكموا إليه د. إن الحوار القرآني يربّي العقل على سعة الأفق وحب الاطلاع، والاستدلال لمعرفة الحق.
- ٧- إن عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومن أهم هذه القواعد الاحترام المتبادل بين المتحاورين، وعدم الاستعجال بالرد على الخصم، والمحاورة بأفضل الأسماء والألقاب، والهدوء في الحوار، والتركيز على الرأي لا على صاحبه، والبعد عن التعصّب، وإبراز الحقائق الثابتة في الحوار، والرفق واللين، والمداراة والبعد عن المداينة .
- ٨- إذا أردنا للحوار أن يبقى عذباً رقيقاً، بعيداً عن المهاترة، فلا بد أن يرتبط بمجموعة من الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة، من أجل أن يبقى الفكر متقدماً والعطاء موصولاً، وأبرز تلك الآداب: حسن الصمت والإصغاء، وحسن البيان في الكلام، وضرب الأمثلة الملائمة .
- ٩- التجرد في الحوار وإخلاص النية لله - تعالى - أساس مهم للمحاور المسلم، حتى ينال رضا الله ويكسب الأجر والثواب .
- ١٠- إن المسلمين على مدى تاريخهم القديم والمعاصر، أثبتوا أنهم دعاة حوار وتفاهم، وهم يصدرون في ذلك عن مبادئ دينهم وقيمهم الحضارية، وهو أمر يشهد به غير المسلمين في أكثر من مناسبة، ذلك أن الانفتاح على الحضارات والثقافات والحوار معها من المقومات الأساسية للمجتمعات الإسلامية .

- أسعد السحمراني. (٢٠٠٥ م). الإسلام والآخر. لبنان: دار النفائس.
- السعدي. (١٤٢٠هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الهلالي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (١٤٣٢هـ). الرقائق والآداب والأذكار الكتاب (نظرات في التربية الإيمانية)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
- جعفر شرف الدين. (١٤٢٠ هـ). الموسوعة القرآنية. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
- حمد عمرو بن عبد الخالق العتكي. (١٩٨٨م-٢٠٠٩م). البحر الزخار. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- حمزة بن حسين الفهر الشريف. (بلا تاريخ). الأصول والضوابط العقدية والشرعية للعيش المشترك في الإسلام.
- رمزي منير بعلبكي. (١٩٨٧م). جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المجلد الأول). بيروت: دار العلم للملايين.
- زكريا الشربيني، يسرية: صادق. (١٤٢١هـ). تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته. القاهرة: دار الفكر العربي.
- سراج علي عادل الحنبلي النعماني. (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م). الباب في علوم الكتاب. بيروت/لبنان: دار الكتب العلمية.
- صبحي أفندي الكبيسي، عبد الله حسن حميد الحديثي. (بلا تاريخ). الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الاسلامي. مداد آداب.
- عبد الغفار سليمان البنداري. (١٤٠٦هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد القادر الشبخلي، عبد الرحمن النحلاوي. (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م). الحوار الإداري، أصول التربية الإسلامية. دمشق: دار الفكر المعاصر.
- عبد القادر بن عبد الحافظ الشبخلي. (١٤٣٢هـ). هندسة الحوار. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري. ١٤٣٣ أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية. (عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمد، المحرر) المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
- علي أحمد سعيد الأندلسي. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم
- الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري الناشر: دار الكتب العلمية
- بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- مأمون حموش. (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م). التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصوليين العظميين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر.
- مجد الدين محمد فيروز أبادي، يعقوب. (١٩٩٦م-١٤١٦هـ). القاموس المحيط بيروت: مؤسسة الرسالة.
- مجدي الهلالي. (١٤٣٢هـ). الرقائق والآداب والأذكار الكتاب (نظرات في التربية الإيمانية).
- محمد المكي الناصري. (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م). التيسير في أحاديث التفسير الناشر: الطبعة: الأولى، بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي. (ت ٧١١هـ). لسان العرب.
- محمد صالح المنجد. (بلا تاريخ). الرقائق والآداب والأذكار الكتاب (سلسلة الآداب). تم الاسترداد من دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net5/3>
- محمد مرتضى الحيني الزبيدي. (١٤٣١هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.
- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). (حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، المحرر) دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- يحيى بن محمد أحمد زمزمي. (١٩٩٤م). الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة (المجلد الأول). مكة المكرمة: دار التربية.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Towards Muslim Youth in the World and Their Challenges: Solving the Crisis of Muslim Youth in China by Reinforcing Faith in Their Hearts, Refining Morality in Their Behavior, and Enlightening Their Insight.

Dr.Yunus Abdullah Ma Zhengbin(Chinese nationality)*

*Lecturer in the Department of Da'wah and Human Development at the Sultan Ismail Petra International Islamic University College in Kelantan, Malaysia.

نحو الشباب المسلمين في العالم وتحدياتهم: حل أزمة الشباب المسلمين في الصين من خلال تثبيت الإيمان في قلوبهم، وتهذيب الأخلاق في سلوكهم، وتنوير بصيرتهم في عقولهم نموذجاً.

د. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني*

*محاضر بقسم الدعوة والتنمية الإنسانية بكلية الجامعة الإسلامية العالمية السلطان إسماعيل فترا بكلنتان بدولة ماليزيا.

E-mail: yunusuia@yahoo.com

KEY WORDS

Youth, Challenges, Crisis, Halal, Faith

الكلمات المفتاحية

الشباب، تحديات، أزمة، الحلال، الإيمان

ABSTRACT

The Muslim youth in China represent a potent reserve and the pure fuel for the continuance of the flame of Islam without extinguishment. Neglecting to protect these youths or falling short in their upbringing and guidance would be tantamount to the suicide of the Islamic nation in China and the total eradication of its identity. Stemming from this reality, this research, comprising an introduction, three main discussions, and a conclusion, aims to present the crisis of Muslim youth in China by reviewing the contemporary situation of Muslims and their challenges while offering solutions for containment and overcoming these issues. The researcher relied on descriptive and analytical methodologies to articulate the crisis and propose solutions, aiming to instill a spirit of hope in the hearts of the youth and to dispel despair. The study also emphasizes the necessity of collaborative effort in serving Islam and Muslims. Through this research, the importance of the halal issue is highlighted, given the penetration of Chinese products, both food-related and otherwise, within China and internationally, stressing the need for attention due to its significance in food products, cosmetics, and other consumer goods. This is exemplified by the achievements of "Al-Amin Biotechnology Co., Ltd. in Shanghai" as a living proof of the efforts by some passionate, educated Muslim youth towards Islam, instilling hope in the hearts of our Islamic nation's youth.

مستخلص البحث:

إن الشباب المسلمين في الصين هم القوة المخزونة، والوقود الصافي لبقاء شعلة الإسلام دون انطفاء. فأى إهمال لحماية هؤلاء الشباب أو تقصير في تربيتهم، وتوجيههم، سوف يكون انتحاراً لأمة الإسلام في الصين، وإبادة هويتها كليا. انطلاقاً من هذه الحقيقة، يحاول هذا البحث المكون من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، عرض أزمة الشباب المسلمين في الصين باستعراض واقع المسلمين المعاصرين، وتحدياتهم مع تقديم بعض الحلول لاحتوائها، والتغلب عليها. وقد اعتمد الباحث في بيان الأزمة، وذكر حلولها على المنهجين الوصفي والتحليلي، مستهدفاً بث روح الأمل في قلوب الشباب، وإزالة اليأس عنها. كما يهدف إلى ضرورة التعاون في العمل الجماعي لخدمة الإسلام والمسلمين. ومن خلال هذا البحث استطاع الباحث أن يشير إلى أهمية قضية الحلال لما تغزو المنتجات الصينية الغذائية منها وغيرها داخل الصين وخارجها، وضرورة الاعتناء بها لما لها من أهمية في المنتجات الغذائية، والتجميل، والأدوات الاستهلاكية الأخرى مستشهداً بما حققته "شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي" في هذا المجال كدليل حي لما يقوم به بعض الشباب المسلمين المثقفين الغيورين على الإسلام مما يبث الأمل في نفوس الشباب من أمتنا الإسلامية.

المقدمة:

إن المسلمين اليوم في الصين يشكل الشباب منهم أكثر من ٥٠٪ من مجموعهم^١. ولكن هؤلاء الشباب بالرغم من كثرتهم لا يمكن الافتخار بهم، والاعتماد عليهم لحماية أمة الإسلام المعاصرة. كما لا نقدر أن نستبشر بهم بالمستقبل المشرق للإسلام والمسلمين. والشباب يصبحون ثروة، وقوة، وحصانة للأمة عندما يكونون تابعين لحكمة كبارها، وخبرتها. وإذا انعدمت التربية الرشيدة، والتوجيه السليم، والتعليم النافع والهادف تتبعر قوة الشباب، وقدراتهم، وتبدأ تؤثر سلباً على الأمة، فتكون نهايتها خسارة، وندامة للكافة. فشاب أمة الإسلام ليسوا مستثنين من هذه القاعدة البديهية. إن معظم المشاكل والابتلاءات والسلبيات التي تعاني منها أمة الإسلام في العالم، نجد السبب المباشر لها راجعاً إلى تصرفات بعض الشباب المسلمين الذين يندفعون بالقوة نحو تحقيق ما يريدون مع الإهمال في الانتفاع بأراء أهل الحكمة، والخبرة. إن حادثة "١١ سبتمبر"، وأحداث فلسطين المحتلة، وسوريا، والعراق، واليمن، وشمال أفريقيا، وما تحدث من قتل، وتفجير سواء في العالم الإسلامي أو خارجه من حين إلى آخر، نجدها مرتبطة بالشباب المسلمين أكثر من غيرهم. فإذن، إن الشباب كالنار إن لم نحسن استخدامها، فهي تحرقنا، وتبيدنا لا محالة. فليس الهدف من هذا البحث اتهام الشباب المسلمين بأنهم هم السبب لكل ما يحدث للإسلام والمسلمين في العالم كما يزعم به كثير من أعداء الإسلام بغية القضاء عليهم، وطمس شعلتهم الإيمانية، وإنما يريد الباحث أن يركز في هذا البحث على إبراز آثار ما يعانيها الشباب المسلمون نتيجة ما يحدث للإسلام والمسلمين من مضايقات، ومطاردات، وبالأخص أن يعرض أزمة الشباب المسلمين في المجتمع الصيني المعاصر حبا في حمايتهم، وطمعا في تقوية إيمانهم، وتوجيه سلوكهم، وإن كانت طبيعة الأزمة، وآثارها متقاربة في كل بقعة من بقاع الأرض.

أزمة الشباب المسلمين في المجتمع الصيني في الوقت الحالي.

المسلمون إبان عهد الثورة الثقافية.

إن فهم المجتمع الصيني المسلم المعاصر يتطلب منا أن نرجع بأذهاننا إلى فترة الثورة الثقافية (١٩٦٦ - ١٩٧٦م)،

وما قبلها وما بعدها. إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى^٢ كانت عصر القسوة، والاضطهاد للمسلمين في الصين. وفي أيام الثورة الثقافية بدأ الرجال المتطرفون من الحزب الشيوعي ينفذون المبادئ الشيوعية حرفاً بحرف؛ لاعتقاد الشيوعيين أن الدين أفيون الشعوب. وكان هم الثورة الثقافية الأول تنقية المجتمع الصيني من العقائد، والديانات. وفي إبادة الديانات وإدخال الفكر الشيوعي في قلوب الناس سلكت الثورة الثقافية طرقاً، ووسائل عدة. فواجه الإسلام في الصين العديد من الضغوط، والعراقيل حينما كانت هناك حملات شرسة تحاول اقتلاع كل الجذور الإسلامية؛ حتى أجبر المسلمون على التخلي عن عقيدتهم، والامتناع عن أداء شعائرهم الدينية.

وقد جنى الإسلام والمسلمون نتيجة هذه الثورة الثقافية من آثار سيئة، وخسائر جسيمة تهز كيان المجتمع المسلم، وتفقد أصالتها، وهويتها. وقد سلك رجال الثورة في تحقيق ذلك الأمور الآتية:

١. إغلاق المدارس الدينية، ومصادرة الكتب الدينية من ضمنها المصحف الشريف.
٢. إغلاق المساجد والجوامع، ومنع أداء الشعائر الدينية.
٣. إهانة العلماء والأئمة، والقبض على زعماء المسلمين، وإيداعهم في السجن، وإعدامهم إذا عارضوا الثورة الثقافية. (اقرأ مقالة الباحث لما فعله رجال الثورة ضد الشيخ الإمام والمفكر الإسلامي الصيني يوسف تَشَنُّ كَه لي حتى استشهد على أيديهم بتهم واهية - "إمام يوسف تَشَنُّ كَه لي نموذج مثالي للعلماء العاملين"، مجلة "الرابطة" السعودية، العدد ٥٧٣، يوليو ٢٠١٤م).

١. هروب علماء الدين، وفرار العديد منهم إلى الخارج.
 ٢. إجبار المسلمين الغيورين على الإسلام على ارتكاب المحرمات مثل: تربية الخنازير، والإفطار في رمضان.
- وقد استمرت هذه الإجراءات القمعية، والتعسفية باسم الثورة الثقافية حتى عام ١٩٧٩م. ونتيجة هذه الإجراءات أضطر المسلمون أن يخفوا عقيدتهم، وهويتهم الدينية، وقد أصبح فعلاً مسلمو الصين مجهولين في العالم كما وصف الأمير شكيب أرسلان بقوله: "مسلمو الصين ليسوا في هذه

الحزب الشيوعي، وأنه سيعمل على اجتثاثهم. وكان إعلاناً مرقق المجتمع الصيني. دعا الرئيس ماو الشباب بعد الإعلان عن ثورته الثقافية أن يقوموا بالانقلاب على الزعامة الشيوعية في البلاد. واستجاب لدعوته ألوف الشباب الذين عُرفوا فيما بعد باسم الحرس الأحمر. وغرقت الصين في الفوضى التي راح ضحيتها مئات الألوف، وجرى تعذيب الملايين، وتخريب جانب كبير من تراث الصين الثقافي. وبنهاية عام ١٩٦٨م كانت الثورة الثقافية قد جعلت الصين على شفا حرب أهلية.

^١ الوهبي، صالح، (٢٩-٣١/١/٢٠١٥م)، كلمات افتتاحية للأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور صالح الوهبي، المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الشباب في عالم متغير، المراكز، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

^٢ http://conference.wamy.org

هي فترة من القلاقل مرت بها الصين. في ١٦ مايو ١٩٦٦م، دشّن الزعيم الصيني ماو تسي تونغ ثورة البروليتاريا الثقافية الكبرى. حذر ماوتسي تونغ آنذاك من أن من أسماهم بممثلي البورجوازية قد اخترقوا

لكونهم مسلمين بدأوا يحسّون بانتمائهم الديني. وفي تصورهم أن كونهم مسلمين يكفي لهم أن يعملوا على غيرهم، ويجعلهم مرفوع الرأس في كل مكان، وفي كل شيء. وهؤلاء الشباب ما كان لهم علم واع عن الإسلام، ولا أن عزة المسلمين مرتبطة بالإيمان الصحيح، والعمل الصالح بشريعة الإسلام. وما كانت أمامهم طريقة تدلهم على فهم أصول الدين، وفروعه بالرجوع إلى القرآن والسنة بسبب تربيتهم في البيئة الشيوعية المهيمنة عليهم. أضف إلى ذلك أنهم لم يجدوا أيضا تلك القدوة الحسنة التي يمكن الأخذ بها، والعمل بمثلها في المجتمع الإسلامي الصيني. إن هذه الأمور التي ذكرناها مجتمعة قد أدت بالفعل إلى وقوع هؤلاء الشباب المسلمين - وهم مثقفون بالثقافات والعلوم المختلفة - في أزمة كبيرة فيما يتعلق بدينهم، وفي انتمائهم للإسلام، وإظهار ولائهم له.

وفهم هؤلاء للإسلام صار ضيقا جدا بحيث انحصر في الامتناع عن أكل لحم الخنزير، معتقدين أن المسلم معناه "أنه لا يأكل لحم الخنزير". وأما عن أركان الإيمان الست، وأركان الإسلام الخمس، وما يتعلق بالحلال والحرام في الكسب، والإنفاق، وفي الزواج، والطلاق، وفي فعل الخير، وترك الشر، فقد أصبحت كل هذه الأمور بعيدة عن تفكيرهم، وسلوكهم، وحياتهم الفردية، والجماعية. فمعظم هؤلاء الشباب - عندما ننظر إلى عامة الصينيين - كالقطرات في البحر، بحيث يعيشون مع غير المسلمين سواء في الجامعات أو في مراكز العمل، يتعاملون مع هؤلاء دون أي ضابط ديني، سوى الابتعاد عن مشاركتهم في أكل لحم الخنزير. وإن هذه ظاهرة خطيرة تهدد مستقبل الإسلام والمسلمين في الصين. فتعليم هؤلاء الشباب بحقيقة الإسلام، وتربيتهم بمبادئ الإسلام، وأخلاقه، وترغيبهم في المحافظة على هويتهم الدينية - في هذه الظروف التي يعيش فيها هؤلاء الشباب - حقا أزمة ليس من السهل التغلب عليها.

أضف إلى ذلك أحوال أمة الإسلام السينة، والوجه القبيح للمسلم، وسلوكياته في العالم الإسلامي وغير الإسلامي على حد سواء من خلال ما حدثت من عمليات انتحارية، وتفجيرات، واغتيالات داخل المساجد والمدارس والأسواق دون تمييز بين الرجال والنساء، والشيوخ، والأطفال، والأخضر، واليابس باسم الإسلام، الأمر الذي جعل العالم كله شرقا، وغربا ينظر إلى الإسلام بأنه شر كله، وإلى المسلم أنه رمز للإرهاب والهمجية. وإن كانت هذه الظواهر السلبية كان في ظاهرها الشباب من المسلمين، إلا يعرف

الدنيا".^٣ وذلك لانقطاع صلتهم بالعالم الإسلامي، وكونهم يعيشون في دائرة مغلقة بالرغم من محاولة ذهاب أبناء المسلمين إلى الدول العربية والإسلامية للدراسة الدينية، وإفادة الأمة في أرض الوطن بعد العودة إليها.

والحزب الحاكم لم يكتف بفرض سيطرته على الجانب الاقتصادي فقط، بل بدأ بتغيير هيكل المجتمع الصيني ثقافيا، وعلميا، واجتماعيا كما فرض تطبيق الفكر الماركسي الصارم في الاقتصاد، والامتلاك. ونتيجة هذا الحكم الشيوعي، والثورة الثقافية أصبح المسلمون كالأيتام، حيث أجبروا على الابتعاد عن مطالعة كتبهم الدينية كما حرموا من أداء شعائر الإسلام، بل أجبر أبناء المسلمين على دراسة الفكر الشيوعي تحت رعاية الدولة في المدارس الحكومية القائمة على الإلحاد، وإنكار الدين، والغيبيات. والحكم الشيوعي والثورة الثقافية بالرغم من انتهائهما مع مجيء عصر "دينغ شياو بينغ" (الزعيم الصيني الأسبق ١٩٠٤-١٩٩٧م) آثار الفكر الشيوعي الإلحادي، والعداء للدين لم يزل مستمرا بسبب عدم تغير هيكل التعليم، والتربية. وبالرغم من بدء عصر الانفتاح والاقتصاد الحر (١٩٧٩م)، وسبولة الحركة المالية في المجتمع الصيني لم تختف آثار الثورة الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بأمة الإسلام في الصين؛ لأن معظم المسلمين وخاصة أولئك الذين تجاوز عمرهم فوق أربعين لازالوا يعيشون بنفس المبادئ، والأصول التي تعلموها في المدارس، والجامعات. إن التغيرات التي حدثت بعد الانفتاح الاقتصادي لم تغير حياة المسلمين الإيمانية أو السلوكية، بل كل ما في الأمر أنهم بدأوا يعلنون إسلامهم، كما كان يعلن أهل الديانات الأخرى بانتماءاتهم الدينية.

المسلمون بعد الانفتاح الاقتصادي.

وليس من هدف البحث دراسة المسلمين الذين تجاوزوا سن الأربعين، بل عرض تصورات الشباب المسلمين لكونهم حديث التخرج في الجامعات والمدارس المختلفة. وإن الإحصاءات غير الرسمية ترجّح وصول أعداد المسلمين في الصين إلى أكثر من خمسين مليون نسمة على أقل تقدير بالرغم من تقدير الإحصاءات الرسمية أعدادهم بنحو ٢٤ مليون نسمة فقط، بحيث يشكلون ١,٨٪ من مجمل عدد السكان. وأيا كان الأمر، فإن الشباب منهم يمثلون الأكثرية.^٤ وهؤلاء الشباب المسلمون لم يذوقوا مرارة الثورة الثقافية كما ذاق آباؤهم وأجدادهم، ولا جمال الإسلام، ومحاسنه، وفضائله بسبب البيئة العلمية، والثقافية، والاجتماعية التي تحيط بهؤلاء الشباب. وكل ما في الأمر أن هؤلاء الشباب

<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/7/31/>

^٣ - الأمير شكيب أرسلان (١٩٧٤م)، حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ط ٤، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢١٩.
^٤ مسلمو الصين الأكثر شبابا (٢٠١٥ يوليو ٣١)، تم استرجاعها بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠١٨ من:

وتحقيق السعادة فيما بعد الموت. وليس ذلك ببعيد لدى الصينيين عندما تنعدم روح التضحية، والإيثار، والكرم، والتفاني للخدمة، حبا في سعادة الآخرة كما تدعو إليه سماحة الإسلام. وبعد أن بدأ الانفتاح الاقتصادي في الصين، وسبولة المال، ووسائل الترفيه، والتنعم في الآونة الأخيرة، قد بدأت معها روح التملك، والأنانية بعيدا عن الكرم، والإيثار، والخدمة العامة تزداد في نفوس الشباب.^٥ وقد ساعدت انتشار هذه الظاهرة بين الشباب بشكل أوضح، وأكثر بعد أن أصبح هؤلاء أفرادا ليس لهم من يشاركونهم في اقتسام ما يملكه الوالد بسبب سياسة الدولة الداعية إلى تحديد النسل، والاكتفاء بمولود واحد فقط لكل أسرة. وبعد ما أدركت الحكومة خطورة هذه الظاهرة سمحت الآن للأسرة الصينية أن تتجب مولودا ثانيا وأكثر عند الحاجة. والشباب المسلمون في الأسر المسلمة لم يكونوا بعيدين عن هذه الحالة، بل هم أيضا أصبحوا كبقية الشباب بسبب كونهم أفرادا في الأسر تنعكس في سلوكهم، وحياتهم الأنانية، والبخل، وحب الامتلاك، والرغبة الشديدة في الاستمتاع بتحقيق الحوائج الجسدية. ولذلك أصبح الكرم، والإيثار، والبر، وغيرها من الأخلاق المحمودة عملة نادرة.

النتيجة المؤلمة التي ترتبت على كل ما سبق أن ذكرناها ذوبان الشاب المسلم داخل المجتمع الصيني اللاديني في تقليد ثقافته، وعاداته الاجتماعية، والقومية.

إن هذا الوصف الذي يعرض حالة الشباب المسلمين في الصين لا يعني عدم وجود قلة من الشباب المسلمين ممن درس ويدرس في المدارس الدينية العربية، ولكن هؤلاء قلة قليلة، وأقهم المعرفي ضيق، ومحصور في معرفة أساسيات الإسلام عقيدة، وشرعية، وليس لديهم ما يؤهلهم من التواصل، والترابط مع الشباب المسلمين المثقفين بثقافات لا دينية، وهذا يعني أنهم في واد، وهؤلاء في واد آخر. ولذلك لا نجد بين الشباب المسلمين من العلماء الربانيين من يؤدي دوره كعالم واسع العلم، والمعرفة، صاحب السلوك القويم، والقوة الرشيدة في توجيه المسلمين، إلا أفرادا لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

المسلمون المعاصرون في الصين وأهم تحدياتهم.

يحاول الباحث أن يصف بالإيجاز ما يواجه الإسلام من تحديات جديدة إضافة إلى بقاء السلبات التي نتجت عن الثورة الثقافية التي مازالت تعاني منها أمة الإسلام في الصين في الفقرات التالية.

أهل الخبرة والفكر الواعي من المسلمين وغير المسلمين من وراء هذه التفجيرات، والقتل، والتدمير. وأخيرا مع أحداث غزة من فلسطين المحتلة، وما يرتكبه اليهود ضد الأبرياء من الرجال، والنساء، والشيوخ، والأطفال أمام صمت هيئات حقوق الإنسان بشتى أقسامها غربا، وشرقا. قد بدأ العالم على الأقل عامة الناس دون القادة يدرك ما يحدث من ظلم، وقهر على المسلمين، وإساءة إلى الإسلام. ولكن كثرة إساءات الإعلام العالمي نحو الإسلام والمسلمين وخاصة بعد حادثة "١١ سبتمبر" إلى الآن قد أنتجت عدة نتائج سيئة، وخطيرة للغاية بين الشباب المسلمين في الصين، ومن أهمها:

أ. التشكيك في صلاحية الإسلام في دعوته إلى السلم والصلاح والسعادة.

نتيجة ما يُقدّم الإعلام العالمي من أخبار داخل الصين وخارجها بوسائل مسموعة ومرئية مما يسيئ إلى الإسلام والمسلمين، وبما تحدثت من الحروب، والقتال داخل بعض الدول الإسلامية والعربية، بدأ بعض الشباب المسلمين في الصين يفقدون ثقتهم بالإسلام، وحبهم للمسلمين، بل صاروا يشكون في عظمة هذا الدين، وسلامته، وملائمته للعالم المتحضر. فقد أدت هذه النظرة إلى ابتعاد بعض الشباب عن الإسلام، والبعض الآخر للاستسلام، والخضوع لتوجيهات غير المسلمين مصدقين بما يقول هؤلاء، عاجزين عن الدفاع عن الحق، وتوضيح الوجه الصحيح فيه، كما أدى صنفا آخر من الشباب يُقرّ بعظمة الإسلام، وجمال مبادئه، وأصوله، وصحة ما ورد من الحقائق في القرآن والسنة النبوية الشريفة، غير أنه انتهت صلاحيته، وهو لا يتناسب مع طبيعة العالم المعاصر. وبالإضافة إلى ذلك، نجد كثيرا من الشباب المسلمين، وليس لديهم أي مؤهل جامعي، ولا يحملون أي شهادة علمية، ومن ثم فليس لهم أي وزن أو ثقل في المجتمع الصيني الكبير. أضف إلى ذلك كونهم يفهمون الانتماء إلى الإسلام بأنه مجرد شعائر، وليس وراءه أي عمل يتطلب منه أداءه. ونتيجة لكل هذه أصبح الإسلام غريبا بين أهله، وأصبح الشباب المسلمون فريسة سهلة للحركات التبشيرية المسيحية، والتيارات المادية، والعقائد الإلحادية.

ب. ضيق الأفق الأخلاقي، وسيطرة الأنانية، وحب الامتلاك. إن الصينيين ورغبتهم الشديدة في امتلاك المادة، والانتفاع بها ظاهرة عامة في التاريخ. والعقائد الدينية، والعادات، والتقاليد التي توارثوها، والفكر الشيوعي، والاشتراكي كل هذه كانت تحاول من خلال بث أفكارها وعقائدها، وممارسة مبادئها في السلوكيات إشباع رغبة الإنسان المادية دون أن يعطي إماما للجانب الروحي،

(ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)، العدد الخاص بالإسلام في بحر الصين، المجلد ١٦، رقم ١، ٢٠١٩م، ص ٨.

^٥ الدكتور يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني، "الدين في عيون الصينيين المعاصرين وضرورة دعوتهم إلى الإسلام"، مجلة الإسلام في آسيا

أهم التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم.

وقد انتهت الثورة الثقافية، وتغير العهد الشيوعي إلى حد ما، وأصبح الشعب الصيني يعيش في عصر الانفتاح الاقتصادي والإصلاح السياسي، الأمر الذي أعطى للمسلمين أيضا نوعا من الحرية في ممارسة الشعائر الإسلامية، إلا أن هناك تحديات بعضها داخلية، والأخرى خارجية لا يمكن أن نتجاهلها. وإن هذه التحديات يمكن تقسيمها إلى ما يأتي:

أولاً: التحديات الداخلية:

إن التحديات الداخلية التي يواجهها المسلمون في الصين يقصد بها ما يواجه المسلمون من مشاكل، ومعاناة ترجع أسبابها إلى المسلمين أنفسهم. وإن هذه التحديات الداخلية يمكن أن نعتبر معظمها راجعا إلى آثار الثورة الثقافية حيث أبعد المسلمون عن أداء شعائرهم الدينية كما أبعدوا عن قراءة كتبهم الدينية، واقتنائها كما أشار إليها الباحث سابقا. ومن هذه التحديات:

١. **قلة أئمة المساجد، وضيق أفقهم الديني:** فمن المعروف أن معظم المسلمين في الصين يعتمدون منذ عهد طويل في تربية أبنائهم، وتعليمهم على المساجد، ولكن للأسف نجد أن معظم أئمة المساجد، وكذلك من يقوم بإعطاء الدروس فيها بعيدون عن روح العصر الحديث، ولا يتقنون اللغة الصينية الفصحى-لغة الأم-، ولا يقرؤون في الثقافة العامة، وفي المقابل فلم يتقنوا اللغة العربية، ولم يتعمقوا في العلوم الدينية، بل معارفهم الدينية سطحية جدا، ونتجت عن ذلك مشكلتان:

أ. اختلاف المسلمين وانقسامهم إلى طوائف وفرق: كل واحد يدعي أن ما هو عليه هو الحق، والصواب، وأن ما عليه الآخر هو الخطأ، والضلال. وهذا جعل المسلمين يتعمقون في خلافات جزئية، ويتعمقون في الانقسام والافتراق بسببها. وفيه ضياع للجهود الإسلامية، وإضعاف للقوى الإسلامية. ب. عدم مقدرة أئمة المساجد، ورجال الدين على مواجهة تساؤلات الشباب المسلمين، والمتقنين بالثقافة القومية بالإجابات المقنعة، وبالأساليب والوسائل العصرية. وإن هذا خلق نوعا من الانفصام بين طبقة الشباب والمتقنين ممن تربى على الفكر الشيوعي من جانب، وعلى الفكر الغربي من جانب آخر، وبين العلماء ورجال الدين.

٢. **عدم وجود رابطة للعلماء المسلمين في الصين:** نحن لا ننكر وجود علماء بين المسلمين في الصين كأفراد تعلموا العلوم الدينية باللغة العربية في الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي من منابعها الأصيلة، وخاصة بعد عهد الانفتاح، ولكن بسبب عدم وجود رابطة تجمع هؤلاء الأفراد أصبحت جهودهم مشتتة، حتى ظن الناس بعدم وجود جهود

لهؤلاء العلماء. وبسبب عدم وجود رابطة للعلماء أو هيئة دينية عليا للإفتاء، وإبداء الرأي في القضايا العصرية المتجددة أصبح المسلمون في الصين بلا قدوة أو منارة يقتدون، ويسترشدون بها في الوصول إلى بر الأمان. وقد شجع ذلك الفراغ كل من له معرفة بالإسلام معرفة سطحية -وفي الغالب هذه المعارف أيضا محصلة من الكتب الدينية الثانوية المكتوبة باللغة المحلية- على الحديث عن الإسلام، محلا تارة، وناقدا تارة أخرى أو محاولا الجمع بين الإسلام والديانات الأخرى، وخاصة الكنفوشيوسية، والطاوية، والبوذية. وقد وصل الأمر بالبعض إلى ادعاء نبوة كنفوشيوس مؤسس الكنفوشيوسية بحجة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر: ٧٨]، ومساوات الفكر الشيوعي مع الإسلام، وتأييد من يدعو إلى الجمع بين الإسلام وعقائد أخرى بترك بعض حقائق الإسلام أو إضافة مبادئ من عقائد أخرى إلى الإسلام باسم التسامح بين الأديان.

ثانيا: التحديات الخارجية:

نعني بالتحديات الخارجية ما يأتي من قبل غير المسلمين وهي تتلخص فيما يأتي:

١. **التعليم والتربية:** من المعروف أن جميع الطلاب لا بد أن يتقيدوا بالمنهج التربوي الحكومي في المراحل الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة. والمناهج الدراسية الحكومية لا ترتبط بالمنهج الرباني، وليس فيها ما يدعو إلى الإيمان بالله، بل هي إلحادية، وعلمانية. والطلاب سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فعليهم بمتابعة دراستهم في تلك المدارس، مقيدون بهذا المنهج الإلحادي، ولذلك، قلما نجد طالبا مسلما يتخرج في الجامعات الحكومية وعنده وعي ديني عميق أو إيمان قوي.

٢. **النمو الاقتصادي والتنافس في تحقيق الرغبات الجسدية:** إن التقدم السريع الذي تمر به الصين اقتصاديا، وعلميا وتكنولوجيا، فتح للشعب آفاقا جديدة، وواسعة للاستمتاع بها، ومع دخول التقدم في هذه الجوانب أصبح المال، وإشباع الرغبات النفسية محور همّ الناس، وخاصة الشباب منهم. وكل واحد كان همه الاستمتاع بقدر الإمكان بالحياة بإشباع رغبات النفس قبل الموت. فالمسلمون وخاصة شبابنا الذين ليست لديهم حصانة دينية قوية، وثقافتهم، وتعليمهم من تلك المدارس والجامعات الإلحادية، قد أصبحوا فريسة سهلة للتيار المادي الذي يعم البلاد. وإن إرشاد هؤلاء الشباب إلى سبيل الحق، وإبعادهم عن هذا التيار المادي ليس أمرا سهلا، بل يحتاج إلى تربية دينية، وتوجيه، وإرشاد من الطفولة، ومن المنزل، وكيف يمكن

ذلك؟ والآباء والأمهات هم أيضا لا يملكون هذه الحصانة الدينية والوعي الإسلامي الجيد.

٣. **العولمة والإعلام المفتوح:** بعد أن أصبحت الكرة الأرضية قرية بحيث يمكن معرفة كل شيء من خلال الإعلام المفتوح، أصبح في متناول أيدي الناس، وخاصة الشباب منهم كل ما يريدون معرفته، وقد أدى ذلك إلى انحراف الشباب أخلاقيا، والتأثر بأفكار، وفلسفات لا أخلاقية.

٤. **الإسلام والإرهاب:** بعد حادثة "١١ سبتمبر" أصبح الإسلام والمسلمون في الإعلام العالمي مصدرا للإرهاب والتخلف فضلا عن كراهية الشرق، والغرب للإسلام والمسلمين بما يحدث من تمزق، وتقاتل بين الدول الإسلامية. فكل هذه الأمور قد انعكست في نفوس الصينيين غير المسلمين، حيث بدأوا يكرهون الإسلام، وينظرون إلى المسلمين نظرة خوف، وكراهية تارة، واستهزاء، وإهانة تارة أخرى. وليس لدى المسلمين والشباب منهم والشيوخ ما يقويهم من علم، وإيمان لرفع رؤوسهم أمام هذه الدعاوي والإساءات.

٥. **حركات التنصير والتبشير المسيحي:** بعد التنصير من أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في الصين، ويعمل المنصرون الغربيون على تنصير المسلمين وغيرهم بشكل مكثف عبر طرق عديدة، منها: الإذاعات الموجهة لهم من هونج كونج، وفرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، كما تقوم الجمعيات التنصيرية بتكثيف بناء الكنائس. فقد وصل عدد الكنائس في الصين حوالي ٥٠ ألف كنيسة^٦. أما المساجد فقد وصلت حوالي ٣٥ ألف مسجد^٧، ولكن معظم هذه المساجد تقع في المناطق شمالي الغربية الصينية التي يقطن بها أغلبية المسلمين منذ مئات السنين. وكذلك، هناك فرق هائل بين عدد المسلمين والنصارى. فقد بلغ عدد النصارى في الصين حوالي ١٦ مليون نسمة^٨، وأما عدد المسلمين فهو بلغ ٢٠ مليون نسمة وأكثر^٩. وتقوم الكنائس بالتنصير عن طريق الدعم المادي، وتوزيع المكافآت لمن يعتنق بالمسيحية، كما توزع الكنائس كتباً باللغات المحلية توضح فيها أوجه الاتفاق بين الإسلام والنصرانية كوسيلة للدخول في قلوب المسلمين. ومن الأمثلة التي يريد الباحث أن يثبت من خلالها مدى تغلغل التبشير المسيحي في الصين بناء الكنيسة الجديدة التي

تتسع لـ (٣٠٠٠) نصراني، وارتفاعها يزيد على ٤٠ مترا قد تم بناؤها في مسقط رأس كنغوشويس بتاريخ ٧/٢٧/٢٠١٠م.^{١٠}

٦. **الإجراءات القمعية التي اتخذها بعض القادة المتطرفين في المقاطعات بالصين حديثا:** وقد استطاع بعض القادة المتطرفين أن يستغل الوسطية والتسامح في الإسلام بالحكمة والجدارة لتحديد نشاطات المسلمين في أرض الصين مع المحافظة على صداقتها مع العالم الإسلامي والعربي في الخارج. ومن أحدث الإجراءات القمعية التي اتخذها بعض القادة المتطرفين في المقاطعات كالآتي:

- منع نشر وطباعة الكتب الإسلامية بما فيها المصحف المترجم الصيني الذي كان معتمدا من قبل الجهة الرسمية سابقا.
- منع تعليم العلوم الإسلامية في المدارس العربية مع ترخيصها لتعليم اللغة العربية فقط.
- منع النشاطات الدعوية خارج المسجد كإلقاء المحاضرات الدينية، وإقامة الحلقات الدينية.
- منع الصلاة في الأماكن العامة مثل: مطعم المسلمين، والمطار، والأسواق.
- منع لبس الحجاب للمسلمات في الجامعات والإدارات الحكومية.
- تغيير المساجد المبنية بالطراز العربي إلى الطراز الصيني المعبد.
- إغلاق جميع المدارس العربية غير المرخصة.
- منع الأطفال من دخول المساجد إذا كانوا أقل من ١٨ سنة من عمره في بعض المناطق، و١٥ سنة في مناطق أخرى.

والجدير بالذكر أن هذه التجاوزات، والمضايقات، والمعاناة التي يواجهها المسلمون في الصين في بعض المقاطعات بالرغم من سياسة الصين العامة التي تقر بحرية التدين، والاعتقاد لجميع المواطنين، وتقر لهم جميعا بممارسة معتقداتهم، وتدعوهم جميعا إلى العيش بروح التسامح والتعاون، يتعارض مع روح الانفتاح ودستور الصين بشأن حقوق شعبها. وإن هؤلاء الذين يسيئون بتصرفاتهم العدائية بعيدا عن سياسة الدولة العامة لا يدركون ضرر هذه التصرفات. ونحن المسلمين نفهم من هذه

<http://www.zaobao.com/welcom.shtml>

^٩ - الجمعية الإسلامية الصينية، الإسلام في الصين، ٢٠١٠/٦/٢٦م، <http://test6.net189.cn/showList.asp?id=330>

^{١٠} - موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، بناء الكنيسة في مسقط رأس كنغوشويس، ٢٠١٠/٧/٢٧م.

http://www.gospeletimes.cn/news/2010_07_30/14528.htm

^٦ - شرايحة، محمد جورج، (٢٠١٥/٩/١١)، "المسيحية بالصين.. تاريخ وقدرات ونمو موصول"، *موقع الصين بعيون عربية*، تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٩/١٥/٢م من:

<https://www.chinainarabic.org/?p=20766>

^٧ - الجمعية الإسلامية الصينية، الإسلام في الصين، ٢٠١٠/٦/٢٦م، <http://test6.net189.cn/showList.asp?id=330>

^٨ - موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، عدد المسيحيين في الصين، ٢٠١٠/١٢/٢٧م.

التصرفات من قبل هؤلاء المسؤولين تجاه قمع الإسلام والمسلمين بقاء نزعتهم الشيوعية المعادية للدين بالرغم من اختفاء العهد الشيوعي في الدولة.

إن مواجهة التحديات، والتغلب عليها، والاحتفاظ بالهوية الإسلامية لا يمكن أن تتحقق خلال يوم وليلة. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١]، وقال أيضاً: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُنْزِلُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ١]. وإن التغيير، ومحاولة الإصلاح، وتحسين الوضع لا بد أن يبدأ منا نحن. وعلى المسلمين ألا ينهزموا أمام التحديات، والظروف القاهرة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح: ٥]، وقد ضمن لنا النصر والتوفيق عندما نتقن العمل مع الإخلاص والصدق، حيث قال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧]. وإن بقاء الإسلام في الصين أكثر من ألف سنة مع وجود العراقل، والمضايقات، والمطاردات خير دليل على إصرار أمة الإسلام على حبها في الله وفي ولائها لنبي الله محمد.



وبعد أن عرفنا مشكلة الداء، وعلة الأمة، ومصدر هذه العلة فليس علينا، إلا أن نجدد إيماننا، وأن نتمسك بحبل الله المتين كما دعانا الله إلى ذلك بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

نحو حل الأزمة.

١. توضيح الشباب عن حقيقة الإيمان، وصلته بالعمل الصالح في الإسلام.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على بيان حقيقة الإيمان، وأركانها الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى. وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية. ولا يخفى على كل مسلم ومسلمة أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح. وهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبى الأهداف، وبه يحيى العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره، والشرور، والشدائد، وينال ثواب الآخرة، ونعيمها المقيم، وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

إن الآيات القرآنية تربط ثلاثة أمور بتكرار ذكرها في سور القرآن الكثيرة، ألا وهي الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح. فمعظم الآيات القرآنية تُقرن الإيمان بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان ليس مجرد تصديق ومعرفة، ولكنه

تصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، لا الإيمان يكمل بدون العمل، ولا العمل يكون صالحاً إذا لم يقترن بالإيمان. والإيمان، والعمل الصالح لا يكونان مقبولين عند الله إذا لم يكونا خالصين لوجه الله تعالى. والدافع القوي للمؤمن لفعل الخير، وترك الشر الإيمان باليوم الآخر. والإيمان باليوم الآخر هو الذي يميز المؤمن من الكافر. وقد أكد الله هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٧]. وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]. وتوضيح شبابنا بهذه الحقائق الإيمانية، وأثارها المتميزة يتطلب منا تخريج علماء من جلدتنا، حيث يكون أفقهم العلمي واسعاً، وسلوكهم ربانية المصدر، ورغبتهم نبيل مرضاة الله، وبث السلام، والاطمئنان بين العباد بتحقيق مسؤولية الاستخلاف في الأرض كما أراد الله سبحانه وتعالى.

٢. بث روح الأمل في نفوسهم بأن الإسلام عطاؤه متجدد، والمستقبل لهذا الدين.

صحيح أن أمة الإسلام تمر بمرحلة حرجة في هذه الأيام بما تعاني من حروب، وتمزق، وخراب، وفساد^{١١}. ولكن هذه الظاهرة هي ليست حقيقة الإسلام، ولا حقيقة المسلمين. والإسلام نور يشرق، ويرشد الخلق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧]. وبفضل الإسلام عرف البشرية الحضارة الحقبة التي خدمت الإنسانية، وحررت البشر من الرق والعبودية، وكرمتهم جميعاً أحسن تكريم. وقد أعطى الإسلام حق المرأة كما أعطى حق الرجل، وقد أنصف الغني والفقير، والعامل والسيد، كما هذب النفس وهذب المادة التي يمتلكها الإنسان. وبالجملة لم يبخل الإسلام يوماً عن تقديم عطائه، وخدمة البشرية بشيء؛ لأن الإسلام منهج حياة من وضع خالق السموات والأرض، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: ١٤]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٩]. والعالم كله يشهد بأمجاد الإسلام، وحضارته الخالدة. إن ما حصل من التقهقر،

^{١١} راغب السرجاني، رسالة إلى شباب الأمة، موقع قصة الإسلام، www.IslamStory.com، ص ١٠.

البناء الفكري العالمي لا يدل فقط على إبداعهم، وسعة علمهم فقط، بل يؤكد على تواضعهم، وبصيرتهم، واعترافهم بما استفادوا من الغير سواء كان من الشرق أم من الغرب دون تعصب أو حيدة.

وكل ما سبق أن ذكرناه يرفع معنوياتنا كأمة الحق، والإبداع، لم يكن سلفنا معزولين عن العالم، بل حبهم للعلم ولخدمة الحق، وشغفهم الشديد للحكمة جعلهم يشتركون في بناء الحضارة دون أن يقيدوا أنفسهم بأهل التقليد، والمتابعة، ولذلك، لم يصب هؤلاء بعقدة النقص أو بروح الانهزامية كما أصبنا نحن في أيامنا هذه.

وإن انتشار الإسلام في الشرق والغرب بين المثقفين من الناس بالرغم من معاناة أمة الإسلام، واتصافها بالتخلف خير دليل على عظمة الإسلام، وصلاحية مبادئه، وسلامة دعوته في تحقيق الحق ورخاء البشرية.

٣. تبصرة الشباب وجميع المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام.

أشار الباحث في المبحث الأول فهم كثير من الشباب المسلمين في الصين بأن الإسلام معناه دين يحرم أكل لحم الخنزير، والمسلم من واجبه أن يمتنع عن أكل لحم الخنزير، وإن كانت هذه جزئية صغيرة في الإسلام، إلا أن الباحث يرى استغلال هذه الجزئية الصغيرة كمنفذ للاقترب من الشباب، كوسيلة للتعريف بالإسلام بصورته الكاملة. الشيخ الإمام حسن باي رُونْ تَشَنْغُ (Bai Runsheng) أحد أئمة المسلمين ممن يتصف بالفكر الثاقب، وعمق الفهم للإسلام، والخبرة الواسعة في حقل الدعوة له خدمة جليلة، ومؤثرة، ومفيدة في تبصرة الشباب المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام، وهو صاحب فكرة تأسيس "شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي" للمنتجات الغذائية المتصفة بالحلال الصافي. قبل أن يتكلم عن هذه الشركة وبما تقوم من خدمات في استخراج المواد الكيماوية الحلال بطريقة الحلال بالتفصيل، يود الباحث التعريف بالإمام حسن باي رُونْ تَشَنْغُ، ورأيه، والعوامل التي دفعته لإنشاء هذه الشركة الإسلامية.

الشيخ الإمام حسن باي رُونْ تَشَنْغُ (Bai Runsheng) كنموذج للداعي الشاب المستنير.

ولد الشيخ الإمام حسن باي رُونْ تَشَنْغُ (Bai Runsheng) عام ١٩٦٤ في أسرة مسلمة مخلصه متدينة بمقاطعة خة نَانْ (He Nan) بالصين. وقد تربى على يد

والتراجع لأمة الإسلام، ليس راجعا إلى انطفاء نور الإسلام، ولا إلى فشله في مواجهة التحديات المعاصرة. والعلماء، والمحللون للتاريخ وسياسة العالم من المسلمين وغير المسلمين يعرفون أسبابها ومسببها.^{١٢} يقول مخرج الفيلم «الإسلام.. إمبراطورية الإيمان» بوب جاردنر: "فإن ملياراً ونصف المليار من سكان العالم مسلمون، ومع ذلك، فإن هذا الدين يعاني مما يسميه الباحثون الإسلاميون سوء فهم عميق".^{١٣} ويقول البروفيسور جونسون بلوم، أستاذ الفن الإسلامي القديم بجامعة بوسطن، وأحد مستشاري الفيلم: "السبب في سوء فهم الدين الإسلامي في الغرب، لا يرجع للدين نفسه، بل لأسباب أخرى، وتحيزنا ناتج عن أننا لا نستمتع إلى ما يقوله هذا الدين نفسه، بل فقط للأساطير التي تشاع حوله. وما نود أن نفعله في هذا الفيلم هو البداية لما يمكن أن يمثل أرضية مشتركة".^{١٤}

ويحسن بنا أن نصغي إلى الدكتور محمد مهاتير رئيس الوزراء الماليزي السابق في هذا الصدد وهو يقول: "ماذا ينبغي علينا أن نفعل إذن؟ في الماضي كان المسلمون أقوياء؛ لأنهم كانوا علماء ومتنورين، كانوا يقرؤون تعاليم، ووصايا النبي محمد ﷺ، لكن القرآن لا ينص على ما ينبغي أن يُقرأ بالتحديد. والحقيقة أنه لم يكن هناك ما نستطيع أن نطلق عليه "علومًا إسلامية" في ذلك الوقت، لذا فقد كانت القراءة بالنسبة لهم تعني قراءة كل ما هو متاح. لقد قرأ المسلمون الأوائل أعمال علماء الإغريق العظماء، سواء المتخصصين في الرياضيات أو الفلاسفة، كما درسوا علوم الفرس، والهنود، والصينيين، وكانت النتيجة ازدهار العلوم والرياضيات. ولقد أضاف علماء المسلمين إلى كتلة المعارف العلمية، وطوّروا فروعاً جديدة من العلم، مثل: الفلك، والجغرافيا، وفروعاً جديدة من الرياضيات، فقدّموا للعالم على سبيل المثال الرموز العددية التي مكنتنا فيما بعد من إجراء عمليات حسابية بسيطة ولا حد لها".^{١٥} وما قاله رئيس الوزراء الماليزي الدكتور محمد مهاتير يؤصل تاريخ الفكر الإسلامي الحق، وجهود سلفنا الصالح العلمي والإبداعي في خدمة الإنسانية، ونقل الحضارة الإنسانية نحو الأمام والازدهار.

والمسلمون الأوائل لم يكونوا معزولين عن العالم، ولا عن الفكر العلمي والثقافة الإنسانية أبداً. إن المفكرين المسلمين الأوائل، واستفادتهم من ثقافة الغير، واعترافهم بها، ونقدهم، وتصحيح أخطائهم، وتوضيح أفكارهم، وتكملة

^{١٢} http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=40288#.V2jJarh97IU

^{١٣} المرجع السابق.

^{١٤} مهاتير بن محمد، ٢٠٠٥/١١/٢٢. النهضة الإسلامية المهجورة. تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٨/٠٥/٢٨ من:

http://www.alghad.com/articles/550884-

^{١٥} أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بعد انحطاط المسلمين؟ / سيغريد هونكه (مستشرق ألمانية)، شمس الإسلام تسطع العالم.

^{١٦} «الإسلام.. إمبراطورية الإيمان» - الشرق الأوسط - جريدة العرب الدولية، الثلاثاء ٠٦ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ٢٩ مايو ٢٠٠١ العدد ٨٢١٨

مما أحله الله. ومن هنا تولدت "شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي".
شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي.
(Shanghai Al-Amin Biotech Co., Ltd) نحو
بث روح الأمل بين الشباب المثقفين في خدمة الدين
والدفاع عنه.

يقول الشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغُ (Bai Runsheng) عند ذكر سبب نشأة هذه الشركة: لقد أمني كثيرا ما رأيت من غزو المنتجات الغذائية التي تتكون من مواد مستخرجة من الخنزير. فمعظم المواد الغذائية الموجودة في الأسواق الصينية، والمصدرة منها إلى الأسواق العالمية كانت مختلطة من مادة الجلاتين (gelatin) المستخرج من الخنزير. والخنزير بالنسبة للصين والصينيين يعتبر عنصرا مهما لا يمكن الاستغناء عنه في أي حال من الأحوال. والصينيون يفتخرون بهذا الحيوان للارتفاع منه من رأسه إلى قدمه، وجلده إلى دمه، ولحمه وعظمه. والمسلمون الصينيون ربطوا الإسلام فقط بالامتناع عن أكل لحم الخنزير كما أشار الباحث سابقا، وهم لا يعرفون دخول هذا الخنزير بأشكال مختلفة، وبألوان مختلفة في المواد الغذائية، والتجميلية، والطبية، وغيرها من المواد المستهلكة. ويقول الشيخ الإمام حسن باي: "إن تحذير المسلمين من استخدام هذه المواد الغذائية، وغيرها ليس أمرا سهلا، فإن طلب مقاطعة هذه المنتجات بحجة وجود المواد المحرمة قد يصبح تحديا للحكومة وللشركات المنتجة لها، وأيضا حصر هذه المنتجات ليس أمرا سهلا. فإقناع المسلمين بوجود المواد المحرمة في داخل المنتجات أيضا ليس أمرا سهلا، ففكرت في إيجاد بديل يغزو أسواق المواد الغذائية، ومنتجات التجميل، والمواد الأخرى، وعندئذ قد أكرمني الله بالتعرف على بعض الشباب المسلمين المتخرجين في الجامعات في تخصص العلوم الكيميائية والبيولوجية على مستوى الماجستير والدكتوراه. وبعد توطيد العلاقة بهؤلاء، وإقناعهم بضرورة إنشاء معمل خاص لاستخراج مادة الجلاتين (gelatin) من الأبقار والأغنام بطريقة الحلال. وبفضل من الله رَحِبَ هؤلاء الشباب بهذه الفكرة، ووافقوا على التعاون معي لتأسيس هذا المعمل بعد أن استقالوا من وظائفهم المرموقة في الشركات مضحين برواتبهم العالية حبا في الإسلام، وخدمة للمسلمين. وقد تحقق فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف: ٣٠]. فبالرغم من أهمية هذا المشروع، وخطورته احتاج المشروع إلى رأس مال كبير، وحكمة سياسية رشيدة لإقناع

والده المخلص تربية إسلامية أصيلة منذ نعومة أظفاره، فأصبح شابا مسلما ذا طموحة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في الصين قبل التحاقه بالمعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببيكين عام ١٩٨١م. وقد تخرج في المعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببيكين عام ١٩٨٦م، ثم عيّن إماما راتبا رسميا في مسجد هُوْشِي (Hu Xi) ومسجد شَاوْ تَاوْ يُوَانْ (Xiao Tao Yuan) بشنغهاي (Shang Hai) بعد التخرج إلى الآن. وحضر إلى الأزهر الشريف للمشاركة في دورة تدريب الأئمة عام ١٩٩١م، وهو عضو بارز من أعضاء المؤتمر الاستشاري السياسي بشنغهاي، والمستشار لـ "شركة الأمين الحيوية" بشنغهاي.

وقد اتخذ الشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغُ المسجد مركزا لنشر الدعوة الإسلامية في شنغهاي التي تعد من عواصم الاقتصاد، والمال الدولية، ويلتقي بها كبار رجال الأعمال العالميين. ويصعب على المسلمين العوام بقاؤهم في هذه المدينة الاقتصادية والمالية الدولية. وقد أصبحت هذه المدينة مركزا مَهْمًا ينطلق منها التبشير المسيحي. وقد استطاع الشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغُ أن يتخذ منبر هذا المسجد وسيلة لجلب الطلاب المسلمين الجامعيين، ورجال الفكر، والسياسة، والمال من المسلمين الصينيين، والوافدين إليها من الإخوة العرب، والمسلمين. وقد استطاع بمركز وظيفته، ومكانته العلمية، وثاقب فكره، وسعة خبرته أن يوطد علاقة قوية، ومتينة مع رجال الأعمال، ورجال الدين من المسيحيين، والبوذيين، والطاوين والكنفوشيوسيين، وغيرهم. وكان من أهم آرائه لإعادة نهضة الأمة الإسلامية دعوته إلى الجمع بين التراث والمعاصرة، إنه يرى أن فشل أمة الإسلام، وتخلفها في العالم سببه عدم وجود هذا التلقيح؛ لأنه يقول: "إن التراث المتمثل فيما أنتجه علمائنا السلف، وأئمتنا الأجلاء في ضوء القرآن والسنة لا بد أن نفهمه، ونتمسك به، ونستفيد منه، لكن الأمور المتجددة، وخاصة فيما يتعلق بالتقنية الحديثة، والتكنولوجيا المتنوعة، فلا بد من معرفتها، وإتقانها، والاستفادة منها لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال الضوابط التي وضعها أئمتنا من السلف الصالح، لكن للأسف الشديد نحن إلى وقت قريب حصرنا فهم الإسلام، والتعامل معه في دائرة التراث فقط، ولذلك، أصبحنا خارج دائرة صنّاع القرار، وقادة العصر الحديث، وبالتالي أصبحنا معزولين عن العالم الحديث، وصرنا من التابعين لغير المسلمين، والمستهلكين لما ينتجون".^{١٦} وهذا الجانب السلبي هو الذي أدى الشيخ الإمام حسن باي للتفكير في تأسيس شركة لتنقية الحلال من المستخرجات الحيوانية

^{١٦}مقابلة الباحث الشخصية مع الشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغُ (Bai Runsheng) (٢٠١٦/٣/١٠ في كوالالمبور - ماليزيا).

ففظرا لرغبة كثير من المسلمين، وغير المسلمين لمعرفة المنتجات الحلال، وجودتها العالية، تحاول "شركة الأمين" أن تكثر من سلسلة المنتجات الاستهلاكية الحلال في أسواق العالم على نطاق أوسع.

إن صناعة المنتجات البيولوجية الحلال هي صناعة التكنولوجيا الفائقة الخاصة، التي تعتمد ليس فقط على قدرة قوية للحصول على المواد الخام حلالا، ولكن أيضا على قدرة إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية. "فالتركيز على التكنولوجيا الأساسية، وتعزيز صناعة المنتجات البيولوجية الحلال" يعتبران من شعار "شركة الأمين الحيوية". إن الصين دولة مهيمنة على صناعة المنتجات الحيوانية والكيميائية الحيوية، ولكن معظم المصانع في الصين تستخدم المواد الخام التي أخذت من الخنازير. وكانت "شركة الأمين الحيوية" منذ تأسيسها تسعى إلى التحسين التكنولوجي والابتكاري في استبدال المواد الخام حلالا، وعملية الصناعة. وإلى الآن قد حصلت "الأمين الحيوية" على ٧ براءات اختراع وطنية بحيث لا أحد يقدر أن يزورها أو التلاعب معها بعد أن صارت هذه المنتجات خاصة بهذه الشركة. هذا في حد ذاته انتصار لرفع شعار الحلال على المنتجات غير الحلال في الأسواق الكبيرة.^{١٨}

الباحث يتمنى مزيدا من الازدهار والانتشار لهذه الشركة داخل الصين وخارجها. وعلى الدول الإسلامية والشركات الإسلامية التي تعتنى بالحلال أن تتعاون مع هذه الشركة في ترويج المواد الحلال في الأسواق العالمية، وتوعية المسلمين بضرورة التأكد من الحلال عند شراء ما يستهلكون، أينما كانوا لتبرئة أنفسهم من الوقوع في الحرام والشبهات. والشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغ (Bai Runsheng) يتخذ منبره وفرصته أينما ذهب داخل الصين وخارجها للحديث عن الحلال بدءا من المنتجات الحلال إلى التعريف بالحلال والحرام في الإسلام حيث جعل قضية الحلال في التغذية فرصة للتحدث عن الإسلام أمام الآخرين مسلمين وغير المسلمين؛ لأن الحرام والحلال ليس محصورا في الأكل، والشرب فقط.

الخاتمة:

١. إن المد، والجزر سنة الله في الكون. حضارات البابلية، والآشورية، والفارسية، واليونانية، والرومية، والفرعونية، والصينية، والهندية، كل هذه قد أصبحت في خبر كان. إن الحضارة الإسلامية التي ازدهرت حتى هيمنت على العالم شرقا وغربا قد انكشفت، ولكن الإسلام لم ينكمش، ولم ينحصر، بل هو في انتشار مستمر. وعطاء الإسلام للعالم

المسؤولين المعنيين في الحكومة لفتح هذا المعمل. فكلل الله جهودنا بنجاح حيث انضم إلينا مسلمان ثريان بمليونين وخمسمائة ألف رين مين بي (العملة الصينية- تعادل حوالي مائتين وعشرة آلاف دولار أمريكي في وقته)^{١٧} من مالهما الخاص لفتح المشروع دون أن يفكرا في أي ربح مادي سوى رضا الله وخدمة المسلمين. ومن هنا تم فتح المعمل الكيميائي باسم "شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي" عام ٢٠٠٣.

وقد أصبحت الآن هذه الشركة تنافس الشركات الصينية الأخرى في هذا المجال. وهذه الشركة عالية في التقنية، والتطوير، والإنتاج، وبيع سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال في الصين بعد مضي ما يزيد عن عشرين سنة وأكثر من الدراسة والتطوير في مجال المنتجات البيولوجية. وتركز الشركة على الاهتمام بالدراسة، وصناعة المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية بعد ما تراكت لديها مزيد من الخبرة في إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية.

إن المنتجات الأساسية لـ "شركة الأمين الحيوية" هي سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال. فالمنتجات البيولوجية لا تعتبر حلالا، إلا إذا استوفت شرطين: الشرط الأول هو أن المواد الخام يجب أن تتوافق مع متطلبات الشريعة الإسلامية، فلذا يصبح جميع المواد الخام التي أخذت من الخنازير ممنوعة منعاً باتاً. والمواد الخام التي أخذت من الأبقار والأغنام أيضا تمنع منعاً باتاً إذا لم يتم ذبح الحيوان بطريقة إسلامية. الشرط الثاني هو أنه لا يمكن أن يضاف أو يختلط المنتج غير الحلال أثناء عملية الصناعة، ولذا قد كسبت سلسلة "الأمين" للمنتجات البيولوجية الحلال نجاحا كبيرا في المناطق الإسلامية التقليدية مثل: جنوب شرق آسيا، والشرق الأوسط. نظرا لوجود ٥٦ دولة، ومنطقة منتمية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي (OIC). ولكثرة المسلمين في العالم مما وصل إلى ١,٥ مليار من المستهلكين أصبحت للمنتجات الحلال سوق عالمي كبير. ومنتجات الشركة المتميزة بحلالها مثل: الهيبارين من أبقار وأغنام (heparin) قد وجدت رواجاً كبيراً في أسواق مصر، وماليزيا، وهلم جرا، المنتجات الأساسية الكولاجين الحلال (collagen) وشوندروتين كبريتات (chondroitin sulphate) الحلال والجلوكوزامين (glucosamine). وقد احتلت المنتجات الحلال نصف سوق جنوب شرق آسيا، والمنفعة الحلال من العجل (cattle rennin) قد وصل بنجاح إلى أسواق إيران وتركيا.

^{١٨} - "منتجات الحلال في الصين وتبصرة المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام"، مجلة "الرابطة" السعودية، العدد ٦٠٠، أكتوبر ٢٠١٦م، ص ٦٤-٦١.

^{١٧} - مقابلة الباحث الشخصية مع الشيخ الإمام حسن باي رُونُ تَشْنُغ (Bai Runsheng).

٤. راغب السرجاني (٢٠١٠م)، ماذا قدم المسلمون للعالم (ط٤)، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.
٥. عبد الحليم محمود (١٩٨٩م)، التفكير الفلسفي في الإسلام (ط٢)، مصر: دار المعارف.

المجلة:

١. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني، "إمام يوسف تشنغ كة لي نموذج مثالي للعلماء العاملين"، مجلة "الرابطه" السعودية، العدد ٥٧٣، يوليو ٢٠١٤م.
٢. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني، "منتجات الحلال في الصين وتبصرة المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام"، مجلة "الرابطه" السعودية، العدد ٦٠٠، أكتوبر ٢٠١٦م.
٣. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني، "الدين في عيون الصينيين المعاصرين وضرورة دعوتهم إلى الإسلام"، مجلة "الإسلام في آسيا"، العدد الخاص: الإسلام في بحر الصين، المجلة ١٦، رقم ١، ٢٠١٩م.

الإنترنت:

١. الوهبي، صالح، (٢٩-٣١/١/٢٠١٥م)، كلمات افتتاحية للأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور صالح الوهبي، المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الشباب في عالم متغير، المراكش، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

<http://conference.wamy.org/>

٢. مسلمو الصين الأكثر شبابا (٢٠١٥ يوليو ٣١)، تم استرجاعها بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠١٨ من

<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/7/31>

٣. راغب السرجاني، رسالة إلى شباب الأمة، موقع قصة الإسلام، www.IslamStory.com.

٤. «الإسلام.. إمبراطورية الإيمان» - الشرق الأوسط- جريدة العرب الدولية، الثلاثاء ٠٦ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ٢٩ مايو ٢٠٠١ العدد ٨٢١٨

<http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=40288#.V2jjarh97IU>

٥. مهاتير بن محمد، ٢٢/١١/٢٠٠٥. النهضة الإسلامية المهجورة. تم استرجاعها بتاريخ ٢٨/٠٥/٢٠١٨ من:

<http://www.alghad.com/articles/550884>

٦. شرايحة، محمد جورج، (١١/٩/٢٠١٥)، "المسحية بالصين.. تاريخ وقدرات ونمو موصول"، موقع الصين بعيون عربية، تم استرجاعها بتاريخ ١٥/١٩/٢٠١٩ من:

<https://www.chinainarabic.org/?p=20766>

المقابلة الشخصية:

١. مقابلة الباحث الشخصية مع الشيخ الإمام حسن باي رُون تشنغ (Bai Runsheng) 10/3/2016 في كوالالمبور- ماليزيا.

متجدد، ومتكاثراً^{١٩} وما أصاب المسلمين من الضعف، والتخلف ليس راجعاً إلى القرآن ولا السنة. وقد أصبح العالم يُجس بعودة الإسلام بقوة مرة جديدة. وقد قال الله تعالى مخاطباً للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩]. فعندما تتحقق، وتستوفي شروط الإيمان لدى المسلمين سوف تتحقق لهم السيادة، والقيادة، والعلو من جديد. فعلى الشباب المسلمين في الصين وفي خارجها أن يسعوا لتجديد الإيمان، وإكمال الشروط.

٢. إن المحاولات القهرية، والجبرية على إطفاء نور الإسلام في الصين باسم الشيوعية والثورة الثقافية لم تنجح في مهمتها؛ لأن شعلة الإيمان في قلوب المؤمنين لن تُخمد، وهي تنتظر الفرصة والجو المناسب للإشراق من جديد. حماس المسلمين الصينيين وسعيهم لخدمة ومساعدة المتضررين من المسلمين في مينمار، واللجوء السوريين، وفلسطينيين، وغيرهم، واقتحام "شركة الأمين للتكنولوجيا الكيماوية" في الأسواق التجارية كل هذه بشائر تبت الأمل في نفوس المسلمين وخاصة بين الشباب بإشراق فجر جديد للإسلام في الشرق الأقصى.

٣. على الشباب المسلمين الصينيين الجامعيين منهم، وغيرهم ألا ييأسوا بما يحدث للمسلمين من المضايقات سواء داخل الصين وخارجها، بل يجب عليهم أن يحصنوا عقيدتهم، وسلوكهم، وثقافتهم بالإسلام، وذلك من خلال أداء شعائر الإسلام، والتوجه إلى الله، والجلوس أمام علماء الإسلام المخلصين دون اللجوء إلى النفس الأمارة بالسوء، والرغبات الشيطانية، والملذات الجسدية بدون ضوابط وقيد؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١].

٤. إن الإسلام الوسطي، وكون أمة الإسلام أمة وسطا تمسك بقيادة العالم، وسيادته يقتضي منا جميعاً التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، والتخلق بالأخلاق الربانية، وتسخير ما أعطانا الله من النعم، ومن أهمها نعمة العقل لتعمير الكون، وإصلاح الأرض ومن فيها.

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

١. الأمير شكيب أرسلان (١٩٧٣م)، حاضر العالم الإسلامي (ط٤)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢. أبو الحسن الندوي (٢٠١٤م)، ماذا خسر العالم بعد انحطاط المسلمين؟ المنصورة: مكتبة الإيمان.
٣. زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية (١٩٩٣م)، شمس الإسلام تسطع العالم، ط٨، بيروت: دار الجيل.

^{١٩} - راغب السرجاني (٢٠١٠م)، ماذا قدم المسلمون للعالم، ط٤، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ص ١٠.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The most prominent writings of Orientalists.

أبرز كتابات المستشرقين.

Hanan Nahis Barak Al-Suhaimi*

*PhD researcher - Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.

أ. حنان ناهس براك السحيمي*

*باحثة دكتوراه - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

E-mail: hha2000h@hotmail.com

KEY WORDS

Orientalism, writings of Orientalists, schools of Orientalism.

الكلمات المفتاحية

الاستشراق، كتابات المستشرقين، مدارس الاستشراق.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

This research aims to study the most prominent writings of Orientalists, as Orientalism represents a continuous movement in which the West tries to get to know the East scientifically, intellectually and literary and then exploit it economically, culturally and strategically and make it an area of influence through which it controls the entire world. The study has been divided into three sections: including the definition of Orientalism. Its history, the Orientalists in the schools of Orientalism, the means of achieving their goals, the most prominent Orientalists in the schools of Orientalism, their curricula in Islamic studies, and examples of the writings of the Orientalists.

قدم المستشرقون خدمات جليلة للقوى الأوروبية المحتلة، وسمحوا لأنفسهم أن يستخدموا المعرفة لتخدم السلطة، وبحسب تعبير زكاري لوكمان^١، "الاستشراق كمشروع فكري، كان مرتبطاً بطرق مهمة في الاستعمار الأوروبي المعاصر، وأن نوع المعرفة الذي كان الاستشراق كفرع بحثي يميل لإنتاجه، قد استعمله كثيراً للإضفاء الشرعية، على ممارسة السلطة الأوروبية على العالم الإسلامي وتدعيمها".

قال تعالى (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْغِيَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۚ)

يهدف هذا البحث إلى دراسة أبرز كتابات المستشرقين، حيث أن الاستشراق يمثل حركة متواصلة الحلقات يحاول فيها الغرب التعرف على الشرق علمياً وفكرياً وأدبياً ثم استغلاله اقتصادياً وثقافياً واستراتيجياً وجعلها منطقة نفوذ يسيطر بها على العالم بأسره، وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث: تشمل التعريف بالاستشراق وتاريخه والمستشرقين في مدارس الاستشراق ووسائل تحقيق أهدافهم وأبرز المستشرقين في مدارس الاستشراق ومناهجهم في الدراسات الإسلامية ونماذج من كتابات المستشرقين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين
لقد نشأت العلاقة بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور التاريخية، وهذا لطبيعة موقعهما الجغرافي، فليس غريباً مع هذه العلاقة الوثيقة أن يهتم أحدهما بالآخر، وليس عجباً أن يظفر الشرق بمزيد من العناية لسحرة الروحي، وعظمته الخالدة، وتاريخه الحافل بالأمجاد، والبطولات، ففيها نشأت حضارات، ونبتت الثقافات، وابتدعت آداب، وولدت فلسفات، وقامت الثورات، ونزلت أديان، ووضعت نظم، ورسمت سياسات، فكان ولم يزل منطقة صراع ومسرح الانقلابات السياسية والفكرية والاجتماعية^١.

كان لغيبة الخلافة الإسلامية، وسقوطها، وتعرض دول العالم الإسلامي للاستعمار الحديث، أثر في كل نواحي الحياة، وتغيير كثيراً من المفاهيم، وانتشرت العلوم، والمناهج الغربية، والكثير من المفاهيم الغربية في عالما الشرق، مما أثر في الحياة الدينية، والفكرية، والثقافية، لذلك قامت أوروبا جاهدة على دراسة تاريخ الشرق، والدين الإسلامي، والعلوم الإسلامية، والنظم الاقتصادية، والاجتماعية، وذلك لكي تضمن لنفسها تبعية كاملة من شعوب هذه البلدان فخرجت علينا بنظريات، وأفكار تخالف ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به^٢.

مشكلة البحث:

تكمّن مشكلة البحث في التعريف بالاستشراق وأهدافه، وإيضاح بعض النقاط التي تجيبها التساؤلات التالية:

- ما هو الاستشراق وتاريخه وماهي أهدافه؟
- من هم أبرز المستشرقين؟
- ماهي أهم مناهج الاستشراق والمأخذ على كتابات المستشرقين؟

أهمية البحث:

تسليط الضوء على الاستشراق ومعرفة الأهداف الأساسية له وإيضاح وسائل المستشرقين في كتاباتهم ومناهجهم.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة الى التعريف بالاستشراق وتاريخه وأهدافه وذكر أبرز مدارس الاستشراق والمستشرقين والمأخذ على بعض كتابات المستشرقين.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي. وكذلك المنهج

الاستقرائي والاستدلالي

التمهيد

تعريف الاستشراق:

اختلف الباحثون في إيجاد تعريف موحد للاستشراق، رغم أن هذا الاختلاف شكلي وجزئي، إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين، ويعود ذلك إلى تصور كل واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه، فهو في صورته العامة: عبارة عن اتجاه فكري غربي، يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافية والفكرية، والدينية والاقتصادية والسياسية كافة، لغرض التأثير فيها¹.

"إن الاستشراق دراسات "أكاديمية" يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانيات.. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري، والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"².

المستشرقون اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة، يعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم

والفنون والآداب والديانات والتاريخ، وكل ما يخص شعوب الشرق³.

الاستشراق في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية⁴ ضد الإسلام وحققه الناصعة؛ لأن الحروب الصليبية لم تنته، وإنما اتخذت أشكالاً وألواناً مختلفة، منها الاستشراق؛ فالمستشرق يجيء إلى الإسلام لابساً العلم الظاهر، ومدّعيًا البحث عن الحقيقة، ولكنه في الباطن قد عقد النية على جمع المطاعن الملفقة عن الإسلام؛ فلا يلبث أن يرمي الإسلام بكل ما يحمل صدره من غل، وينفث قلمه من سم؛ فهو يتنكر لمنهج العلم الصحيح الذي من شأنه أن يعرض الحقائق، وأن يترك للناس الحكم عليها، دون أن يمزجها بمرارة حقه، ونفثات عداوته، ودون أن يحاول تشويه هذه الحقائق بصورة من الصور⁵.

إذا الاستشراق يمثل حركة متواصلة الحلقات، يحاول فيها الغرب التعرف على الشرق علمياً، وفكرياً، وأدبياً، ثم استغلالاً اقتصادياً، وثقافياً استراتيجياً، وجعلها منطقة نفوذها يسيطر بها على العالم بأسره⁶.

تاريخ الاستشراق

يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: «ومن الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وإذا كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدر قرار مجمع فيينا الكنسي في عام ١٣١٢ هـ بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية» ولكن الإشارة هنا إلى «الاستشراق الكنسي»⁷ تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ، فضلاً عن أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه بداية للاستشراق⁸.

ترجع بدايات الاستشراق إلى فترات مبكرة، وترتبط قصة الصراع بين المسلمين، والغرب من خلال فتح الأندلس، ومن خلال الحروب الصليبية، ومن خلال الصراع في صقلية، وجنوب أوروبا، وهذا الأمر كان يجعل الإسلام يحتك بصورة مباشرة في النصرانية، التي كانت مؤسساتها الكنسية تسود العالم الغربي، وكانت هي التي تتوج الإباطرة والملوك، هذا الأمر جعل إعداد من القسس تندفع لدراسة الإسلام، فهذه البدايات الدينية كانت تنسم بالتشنج والعاطفية، ومع احتكاك الأوروبيين بالمسلمين

على ألبستهم على الصدر والكف علامة الصليب من قماش أحمر.. أرنست: الحروب الصليبية، دار الهدى، بيروت (ص ١٥٠)

⁵ حسنين، عبد المنعم محمد، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ص ٨٠.

⁶ سميلوفتش: أحمد، فلسفة الاستشراق، ص ٣٩.

⁷ سمي بذلك لأن البوادر الأولى للاستشراق بشكل رسمي بدأت بعد قرار مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢ هـ / ١٣١٢ م (السباعي: د. مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٦)

⁸ المرصفي: سعد، المستشرقون والسنة، ص ١٠.

¹ الصغير، فالح محمد، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ص ٧

² الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ص ٧.

³ سيد: غفاف، حاضر العالم الإسلامي، ص ١٧٩.

⁴ الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة مصطلح يطلق حالياً على مجموعة من الحملات، والحروب التي قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٠٩٦ - ١٢٩١)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيه وكانت حملات دينية وتحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأراضي المقدسة كبيت المقدس، ولذلك كانوا يخطون

الأندلس غربا وعن طريق تركيا شرقا بعد ذلك، فكان ان اهتم الغرب بالاستشراق لغايتين كبيرتين:

أولا: الحد من انتشار الإسلام في الغرب وحماية الإنسان الغربي من الإسلام.

ثانيا: التعرف على بلاد المسلمين، وثقافتهم، ومعتقداتهم، وأدابهم، وأساطيرهم تمهيدا للتأثير على هذه البلاد وأهلها¹⁴. والسبب الرئيسي المباشرة الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق، هو سبب ديني في الدرجة الأولى؛ فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار عميقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي، فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة، التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي¹⁵.

فكانت طلائع المستشرقين من القسس والرهبان، فانكبوا على دراسة اللغة العربية، وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة في أوروبا، ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها..

وأُنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان، لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين، ويجادلون البروتستانت¹⁶..

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها ف، قتل منهم هناك عدد كثير، ورحل آخرون إلى المشرق، إلى سوريا ومصر..

وأمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة، والكاتدرائيات، وعمل على إنشاء كراسٍ لهذه اللغات في الجامعات في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية.. واستعين بعدد من علماء اللاهوت¹⁷، وبعدد من المستشرقين اليهود ممن أجادوا تلك اللغات، للقيام بتدريسها في تلك المدارس، ولتولي تلك الكراسي في الجامعات..

كان الباباوات يرصدون هذه الحركة ويرون أنها خطيرة على أوروبا، و أنها تمثل غزوا حضاريا فكريا إسلاميا ، ومن هنا أنشئت مراكز الدراسات الاستشرافية المختلفة في أوروبا بإذن من الباباوات ، و بتنسيق المجالس الكنسية⁹.

كانت هناك قضية الصراع الفكري الديني ، واستمر هذا التيار إلى أن ظهرت المرحلة الجديدة المقترنة بالتوسع الاستعماري ، فاصبح من مهام الحكومات أن تسخر عددا كبيرا من الباحثين يكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللغة الأوروبية ، فالخطاب أولا لم يكن موجها لناطقى العربية أو اللغات الشرقية ، وإلا كانت الكتابة تصبح باللغة العربية بل كان موجها لأوروبا أن هذه هي صورة الإسلام فلا تتحولوا إليه ، وإذا كانت هذه هي صورة المسلمين ، فلا تلومونا إذا اقتحمنا ديارهم ، أو تعصبنا ضدهم ، وهم بحاجة إلى عوننا ، والدور الذي سنقوم به ، والذي سنحدثه إنما هو لصالح الحضارة الإنسانية ، ويستمر هذا الخطاب عبر قرن من الزمان ، وهو القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذي يشتد فيها الاستشراق ، واشتدت في مؤسساته¹⁰.

من هذا نستنتج الدور الذي قامت به الحكومات الأوروبية، كي لا تقوم الثورات والحملات ضدهم من شعوبهم لما سوف يرونه من تعصب وحروب ضد المسلمين.

وعلى الرغم من أن الاستشراق يمتد بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت، فإن مفهوم مستشرق لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر، وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨ م¹¹.

الاستشراق في الحقيقة والواقع خادم للاستعمار وأهدافه، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم، فلا تتحقق لهم قوة ولا عزة، بل يظلون تابعين للغرب، مقلدين كل ما في بلاده من ألوان الفساد والانحلال¹².

أسباب الاستشراق:

إذا فالاستشراق ظاهرة صاحبة الصحو الفكرية¹³، التي عاشتها أوروبا منذ أن شعرت بالتهديد الإسلامي عن طريق

⁹ العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة النبوية، ص٥٧

¹⁰ العمري، موقف الاستشراق من السنة النبوية، ص٥٨

¹¹ المرصفي: سعد، المستشرقون والسنة، ص١٠.

¹² حسنين: عبد النعم، الاستشراق وجهوده، وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ص٨٠.

¹³ حركة فكرية اجتماعية نشأت بدعم من مجموعة دعاة إبان حراكهم الدعوي "لإيقاظ الناس من غفوتهم" على حد وصفهم. (الجندي: أنور، الإسلام في وجه التغريب، ص ٣٠)

¹⁴ النملة، علي بن إبراهيم، مصادر المعلومات على الاستشراق، والمستشرقين استقراء للمواقف، ص٦.

¹⁵ محمد عظيم، أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملأ، المستشرقون في الميزان، ص١٢٤-١٢٨

¹⁶ هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي. تعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية. (علي: محمد كرد، مجلة المجمع العلمي (دمشق): المجلد ٣ (ص ٥٤)

¹⁷ هو علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيين على التحليل العقلاني لفهم المسيحية بشكل أوضح، ولكي يقارنوا بينها وبين الأديان أو التقاليد الأخرى، وللدفاع عنها في مواجهة النقد، ولتسهيل الإصلاح المسيحي، وللمساعدة بنشر المسيحية، ولأسباب أخرى متنوعة. (حسين: د. محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، ص ١١)

يتأثرون بواسطة الثقافة المعادية للإسلام، إلا من أسلم منهم، وهم قلة نذكر منهم اتين دينيه صاحب كتاب محمد رسول الله، وكتاب أشعة من نور الإسلام وهو فرنسي.

وكذلك بوريس بوكاي²³ الذي قارن بين القرآن والإنجيل والتورات، ولما تبين له أن الكتب السماوية المحرفة تتناقض مع العلم، وأن القرآن لا يتناقض مع أية حقيقة علمية ثابتة عندها أعلن إسلامه²⁴.

وقد تركزت أهداف الاستشراق -مع تنوعها- أخيراً في خلق التخالذ الروحي، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية²⁵.

فهذا "رينان" الفرنسي... يصور عقيدة التوحيد في الإسلام؛ بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك²⁶.

أبرز المستشرقين في مدارس الاستشراق

تعددت مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، من حيث المكان والزمان ونوعية الاهتمام، ومن مميزات التراث الإسلامي: كثرة المخطوطات التي خلفها المسلمون وراءهم، ومع الفتوحات الإسلامية وما تعرض فيه المسلمون لحروب الاحتلال، تم نقل العديد من الإرث الإسلامي خارج البلاد الإسلامية، ومنها المخطوطات، ولعل من أبرز المساهمين في خدمة مصادر المعلومات المخطوطات المستشرقين، الذين كان لهم أثر بارز في المحافظة على هذه النوعية من مصادر المعلومات الإسلامية، بعد نقل الكثير من هذه المصادر إلى المكتبات والمتاحف الغربية وقد تعددت اهتمامات المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي من حيث الحفظ، والدراسة، والتحقيق، والنشر، والترجمة، والفهرسة، والتكثيف، مما كان له أثر واضح إلى أن تعد ظاهرة الاستشراقية مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، ولم تخلو هذه الجهود من المآخذ التي يتعرض لها الدارسون

ثم توسعت الدراسات الشرقية، والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس في أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كراسٍ للغات: العربية والعبرية والكلدانية¹⁸ في عدد من الجامعات الرئيسية في أوروبا وهي:

جامعة باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وجامعة الفاتيكان نفسه مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات في كل كرسي، وتكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكدانية للرد على منتقدي الدين المسيحي¹⁹.

كانت هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق، هي نفسية تاريخية اقتصادية استعمارية علمية، كذلك دوافع شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيئة لهم الفراغ والمال واتخذ الاستشراق وسيلة لي إشباع رغبتهم الخاصة في السفر والترحال أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم²⁰. أسباب تجارية، وأسباب سياسية دبلوماسية، ويبدو أن فريقاً من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق، عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، أو دخلوه تخلصاً من مسؤولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية، أقبل هؤلاء على الاستشراق تيرئة لدمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، وتغطية لعجزهم الفكري، وأخيراً بحثاً عن لقمة العيش إذ أن التنافس في هذا المجال أقل منه في غيره من أبواب الرزق²¹.

أهداف الاستشراق:

المستشرقون هم الذين صوروا الشرق أمام الغرب هم الذين قالوا من هم المسلمون؟ ما هي خصائصهم العقلية؟ ما هي ثقافتهم؟ ما هي أعرافهم وتقاليدهم؟ إلى أي شيء يدفعهم الإسلام؟ وكـم يؤثر فيهم في الوقت الذي توضع فيه الخطب العسكرية والاقتصادية هذا الفعل؟

كان هدفاً من الأهداف الكبيرة لحركة الاستشراق، إذا كان المطلوب أعطي صورة معينة تمكن من الغزو العسكري والاقتصادي والثقافي²².

ومهما اختلفت صورة الاستشراق تبقى هناك قضية أساسية وهي: أن جميع المستشرقين مسامحهم ومتعصبهم،

²³ وُلِدَ موريس بوكاي لأبوين فرنسيين، وترعرع كاهله في الديانة النصرانية، ولما أنهى تعليمه الثانوي انتظم في دراسة الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال، حتى أصبح أشهر وأمهـر جراح عرقته فرنسا الحديثة، ثم أسلم نتيجة اكتشافاته (النهبان، معجم مصطلحات التاريخ، ٩٥/٢)

²⁴ موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤٥

²⁵ البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٦٩.

²⁶ البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٧٢.

¹⁸ الكلدانية: هي لهجة آرامية تطورت من الآرامية الشمالية الشرقية النهرية، كانت هذه اللهجة تحكى أصلاً في منطقة تمتد من سهل نينوى شمال العراق. يقدر عدد المتحدثين بها بنصف المليون أغلبهم في العراق. (حسين: الإسلام والحضارة الغربية، ص ٦٨)

¹⁹ أبو مجاهد المدني، المستشرقون في الميزان، ص ١٢٤-١٢٨

²⁰ سمايلوفتش: أحمد، فلسفة الاستشراق، ص ٤٠.

²¹ البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٢٥

²² بوكاي، موريس: دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، ص ١٢٥.

العرب والمسلمون عند نقاشهم لإسهامات المستشرقين في خدمة التراث²⁷.

إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، فيه ترجم القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣ بتوجيه الأب فيزابل²⁸، وفي هذا القرن أيضا ألف أول قاموس لاتيني عربي، ولذلك كانت بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر²⁹.

ويرى إبراهيم مذكور أن الاستشراق بالمعنى العلمي الكامل لم يبدأ إلا في منتصف القرن التاسع عشر، حيث قال: "فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن دراسات إسلامية بالمعنى الكامل سابقة على النصف الأخير من القرن الماضي، إلا في الغرب وفي الشرق، ذلك لأن الغربيين في اتصالهم بالشرق شغلوا أولا بنواحيه السياسية والاقتصادية، ولم يتجهوا إلا أخيرا إلى نواحي الثقافية، وما نراه لدى بعض المؤرخين في القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر من تعليق على العرب، والثقافة العربية إنما هو مستمد في الغالب من المصادر اللاتينية"³⁰.

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

منذ ١٥٠ سنة، وحتى الوقت الحاضر يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام هذه الإحصائية التي ينتهي إليها، عندما نعرف أن ستين ألف كتاب قد صدرت بين ١٨٠٠ - ١٩٥٠ أي عبر قرن ونصف، وعندما نعرف أنه في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد حوالي ٥٠ مركز مختص بالعالم الإسلامي، وأن المستشرقين يصدر الآن ٣٠٠ مجلة متنوعة في مختلف اللغات، كما قرر ذلك بوزوراث في تراث الإسلام و عقدوا ٣٠ مؤتمرا دوريا خلال قرن واحد، وهو المائة سنة الأخيرة، هذا سوى المؤتمرات الإقليمية، وسوء الندوات، وبعض هذه المؤتمرات مثل مؤتمر أكسفورد ضم قرابة تسعمائة عالم فلماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام، والشرق، وبالعربي، وفي القضايا التي تتصل بمنطقة بعيدة عنهم³¹.

حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألّفوا الكتب، وألّفوا المحاضرات والدروس، و"بشروا" بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال، وأنشئوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلّكوا كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم.

ومن المؤتمرات التي عقدوها وتدارسوا فيها منهاج سياستهم:

١- مؤتمر القاهرة - عام ١٩٠٦.

٢- مؤتمر بيروت - عام ١٩١١.

٣- مؤتمر القدس - عام ١٩٢٤.

٤- مؤتمر القدس - عام ١٩٣٥.

٥- مؤتمر دلهي بالهند - عام ١٩٦١.

وهم فيما يخرجون به من قرارات - إنما يقررون ما يستطيعون تنفيذه، فهم لا يدعون المسلمين إلى المسيحية، بل يحاولون تشويه الإسلام وإضعاف قيمته، ثم يصورونه، ويصورون المسلمين للرأي العالمي الأوربي والأمريكي بصورة مزرية، بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر، فالمسلمون في تصويرهم قوم يعيشون الملذات.

وهذه تكون بقيام بعض العلماء الغربيين بإبراز الخلافات المذهبية، وتأكيد الفجوات، والتغور بين الطوائف والشعوب الإسلامية من الجهة الشعبية، أو الجغرافية، أو نظام الحكم. وهؤلاء العلماء قد يفدون إلى البلاد في سياحة في الشرق يعودون على أثرها، وقد أعدوا للكتابة مؤيدون ما يكتبونه بالصور الفوتوغرافية التي يلتقطونها، أو بالرسوم التي يرونها من واقع الحياة مع خيالهم السابح في الأوهام، مما يسيء إلى مكانة الدول الشرقية في الخارج، ويؤسفنا أن هذه الكتب تكتب عادة بأسلوب تهكمي قصصي يغذي خيال الشعوب الغربية الأوربية والأمريكية، ولها أثر سيئ في تصوير المسلمين تصويراً غير حقيقي.

وينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة فيدونون - باسم البحث العلمي - كتباً في علم الأجناس ونفسية "فسيولوجية" لشعوب فيها، ويخرجون من هذا بقولهم: إن مفهوم الإسلام يختلف باختلاف الشعوب، فهناك إسلام الهند، وإسلام تركيا، وإسلام البربر في شمال أفريقيا، وإسلام مصر، وإسلام الملايو، الخ وكل إسلام يختلف عن الآخر باختلاف الجنس، ولكل إسلام في فهم القرآن والسنة طريق خاص يوافق المصادر التي يستقي منها منهاجه وشرعيته.

وإذا ترك أصحاب الدراسات الإسلامية من المستشرقين دائرة شرح المبادئ الإسلامية بما يحرفها، ويشوه هدفها على هذا النحو، ينتقلون إلى مجال العلاقات بين الشعوب الإسلامية، ليذكروا الفرقة القائمة، وليثيروا أسباب أخرى للقطيعة وعدم الاتصال، فيتحدثون عن الكرد والعرب في العراق، وعما بين الجنسين من فوارق في تصور الحياة وفهم العقيدة والأمانى القومية، وعلى هذا النحو يتحدثون عن المفارقات بين العرب والبربر في شمالي إفريقيا، وبين سكان الشمال وسكان الجنوب في السودان، وبين السنة والشيعة في بغداد أو في إيران والبلاد الإسلامية الأخرى، وعلى الأخص يتحدثون عن العداء بين شعب الجزيرة العربية، وما يسود فيها من مذهب محمد بن عبد الوهاب من

³⁰ سمايلوفتس، احمد، فلسفة الاستشراق، ص ٥٦.

³¹ العمري، موقف الاستشراق من السنة النبوية، ص ٥٦.

²⁷ النملة، علي، المستشرقون ونشر التراث، ص ١١.

²⁸ الأب فيزابل: كان الأب لروما في القرن الثاني عشر من الميلاد. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ١٤٥/٢).

²⁹ النملة: علي، المستشرقون ونشر التراث، ص ٥٧.

جانب، وشعبي العراق وإيران ، وما يسود فيهما من اتجاه شيعي من جانب آخر.. يتحدثون عن الفجوة بين الحكومات، والسياسات في الدول الإسلامية... الخ³² كذلك من الوسائل انشاء وتأليف المجلات والموسوعات والكتب.

في عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، وألحقوا بها أخرى في عام ١٨٢٠، وأصدروا "المجلة الآسيوية". - وفي لندن تأسست جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣، وقبل أن يكون الملك ولي أمرها، وأصدرت "مجلة الجمعية الآسيوية الملكية".

وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة "العالم الإسلامي" أنشأها صموئيل زويمر في سنة ١٩١١، وطابع هذه المجلة تبشيري سافر.

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار "دائرة المعارف الإسلامية"

هي موسوعة أكاديمية تعني بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية إصدارها بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم، وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم، على ما فيها من خلط، وتحريف، وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.³³

سلك المبشرون والمستشرقون كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد، كما تدخلوا - بتأييد الاستعمار - في مجال التربية والتعليم محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين.

أبرز المستشرقين في مدارس الاستشراق المدرسة الفرنسية:

اهتم المستشرقون الفرنسيون باللغة العربية وفقها ونحوها وآدابها

فهذا المستشرق بوستيل ألف منذ عام ١٥٣٩ م كتب قواعد اللغة العربية، من الباحثين من يرى أنه أول من استشرق في فرنسا، وأسهم في دراسة الاستشراق إسهاما واضحا، كان لبوستيل أثر كبير في نهضة علم الاستشراق، واستقلاله عن العلوم الأخرى، كما وأن له تلاميذ كثيرين انتشروا في أوروبا في القرن السادس عشر، وقد أنشأ في

عام ١٥٣٩ م أول كرسي للغة العربية في باريس في الكوليج دي فرانس³⁴، التي كانت قد أنشئت حديثا و زاول تدريس العربية بجامعة فينا، وكانت نتيجة محاضراته كتاب اللغة العربية، و الفينيقية، كما أصدر كتاب عادات وشريعة المسلمين، وكتاب وصف القاهرة.

المستشرق دي كوروا ألف كتاب عن التشريع الإسلامي في المذاهب السنية والشيعي والحنفية.

البارون دي ساسي شيخ المستشرقين أنشأ المجلة الآسيوية، وألف كتاب النحو العربي حقق وطبع مقامات الحريري³⁵ وغيرها من الكتب.

المستشرق كاتر مير صنف كتابا بعنوان اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها، نشر مقدمة نقدية دقيقة مقدمة ابن خلدون في ثلاثة أجزاء.

مونتاني قام بدراسة تتعلق باللغة العامية حول النصوص البدوية للشمر والجزيرة ونجد.

السيد بيريز ألف كتابا في الشعر الأندلسي باللغة العربية الفصحى.

المستشرق ميخائيل درس الجغرافيا الأدبية العربية، وكانت نتيجة دراسات كتاب الجغرافيا البشرية للعالم الإسلامي حتى نهاية القرن الحادي عشر.

المستشرق ليفي بروفنسال الذي ألف كتابا حول العلاقات الوثيقة بين إسبانيا والمغرب، بعنوان تاريخ إسبانيا المسلمة.³⁶

المدرسة الإيطالية

بالرغم من غلبت الاهداف الدينية، ثم السياسية على الاستشراق الإيطالي، فإنه قد صاحبه في نفس الوقت اهتمام علمي واضح، ومنذ أن بدأت الجامعات الإيطالية تهتم بالدراسات العربية والإسلامية، عندما بدأت جامعة بولونيا سنة ١٥٧٦ ميلادي في الاهتمام بالعلوم العربية، ثم جامعة نابولي عام ١٢٢٤م ثم تطورا الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، عندما تم تأسيس مركز للغات الشرقية في روما وفلورنسا، وتبع هذا النشاط الثقافي تأسيس معهد الدراسات الشرقية في روما، والمعهد البابوية للكتاب المقدس والمعهد البابوية للشرق والمعهد الشرقي الذي تأسس عام ١٩٢٩م، واهتم بصفة خاصة بالشرق الإسلامي، والجمعية الآسيوية الإيطالية، والجمعية الإيطالية للدراسات الشرقية، يضاف إلى ذلك اهتمام إيطاليا في المكتبات المتخصصة في الدراسات الشرقية في المكتب الفاتيكانية، التي تضم نواذر المخطوطات العربية والإسلامية.³⁷

³⁵ مقامات الحريري هي مقامات أدبية ألفها محمد الحريري البصري (٤٤٦هـ/١٠٥٤م - ٦ رجب ٥١٦هـ/١١ سبتمبر ١١٢٢م) وهي من أشهر المقامات التي تنتمي إلى فن من فنون الكتابة. النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٢٥/٣

³⁶ الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١١٢.

³⁷ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١١٨.

³² أحمد: إبراهيم المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص ٩٤.

³³ البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤١.

³⁴ هي مؤسسة فرنسية تختص بالبحث العلمي والتعليم العالي مقرها في المنطقة الخامسة بالحي اللاتيني بباريس.

واهتم جويدي الابن في ميدان التخصص والتدريس في جامعة القاهرة، والاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، كما اهتم بصفة خاصة بموضوع الإسلام والقومية العربية. كذلك سانتلانا فقد اهتم بالجوانب القانونية العربية، وتبحر في الشريعة الإسلامية، وشارك في وضع القوانين التونسية إبان الاحتلال الفرنسي لها، وأخرج كتاب القانون المدني والتجاري التونسي، واعتمد في صياغة مواده من الناحية الموضوعية على مذهب الإمام مالك.

كذلك من المستشرقين الإيطاليين ليفي ديلا فيدا، الذي ترك مؤلفات عميقة في الدراسات الإسلامية تناولت الخلافة، والنبي، والإسلام، والتقويم الميلادي، كما أنه هو الذي نشر كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، وكتب العديد من المقالات في الموسوعة الإسلامية الشهيرة، تناول الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، والخوارج، والأمويين.

ومن المستشرقين الإيطاليين الذين خدموا الأهداف الاستعمارية الإيطالية في ليبيا بأولو دليلا شيلا الرحالة الإيطالي في وقت الحرب الليبية الإيطالية⁴¹ وكان هو بعثته في فزان وكان يدرس البلاد من جميع النواحي ويساهم في إعطاء المعلومات اللازمة عنها توطئة لاحتلالها من قبل بلاده.⁴²

المدرسة البريطانية

وقد اتفق العلماء ومن بينهم الإنجليز على أن أول إنجليزي تعلم العربية، وعني بها عناية كبيرة، هو ادلا أوف بات المتوفي ١١٣٥م، الذي تعلم العربية، والعلوم الأخرى في الأندلس ومصر ولبنان وأنطاكية واليونان، وتثقّف بثقافة العرب إلى أقصى حد ممكن، وله آثار عديدة خاصة في الفلك والرياضيات.⁴³

على أن العلماء يؤكدون أن أبا الدراسة العربية في بريطانيا هو وليم بودل، فقد كتب مقالات شائعة بين فيها أهمية اللغة العربية، وضرورة دراستها، وذكر أنها لغة الدين الوحيدة، وأهم لغة للسياسة، والعمل من الجزائر إلى الصين، أهم أعماله معجم عربي في سبع مجلدات، لم ينشر وضمن مؤلفاته المطبوعة بعض النصوص العربية المطبوعة في إنجلترا، ودراسات في القرآن الكريم، ومعجماً للمفردات العربية المستعملة في اللغة العربية منذ الأزمنة البيزنطية حتى أيام حياته، وهو الذي أصدر أول ترجمة إنجليزية للقرآن.⁴⁴

كل هذا الاهتمام يعطينا صورة واضحة عن اهتمام إيطاليا في الدراسات الاستشراقية، ويبدو أنه أول إيطالي ذي شأن تعلم العربية، وعني بدراساتها، هو جيرار دي كريمون، الذي أسهم إسهاماً عظيماً في نشر الوعي الاستشراقي في أوروبا عامة، وقد ثابر وترجمة الكتب القيمة، ومما ترجمه كتاب في علم النجوم لجابر ابن أفلح، وكتاب الطب لابن سينا، وغيرها من الكتب.

لقد كان الاهتمام بدراسة اللغة العربية في إيطاليا واضحاً منذ مطلع القرن الخامس عشر، وذلك عندما قام المستشرقون الإيطاليون بتأليف كتب نحوية لهذه اللغة، منها كتاب قواعد اللغة العربية لوضع مارتلوتي، وغيرها من الكتب التي تعكس الاهتمام الإيطالي بدراسة اللغة العربية، وفي القرن التاسع عشر وجدت اللغة العربية علماء متخصصين درسوا ودرّسوها في الجامعات الإيطالية، تحقيقاً لأهداف علمية، وكان على رأس هؤلاء إماري مؤلف كتاب تاريخ المسلمين في صقلية، فقد اهتم هذا المستشرق بدراسة اللغة العربية، كما ترجم العديد من المخطوطات، والكتب العربية، وأهمها ترجمة نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإديسي.³⁸

أما بالنسبة إلى الدراسات الإسلامية، فقد برز على رأس هذه الدراسة ليوني كياتاني مؤلف كتاب الحوليات الإسلامية في مجلداته العشرة، التي تناول فيها التاريخ الإسلامي، من مولد النبي إلى سنة ٤٠ للهجرة، الذي أنفق عليه ثروته التي تبلغ الملايين.³⁹

كذلك المستشرق نلليو المتخصص في تاريخ الفلك العربي، والذي حاضراً في جامعة القاهرة باللغة العربية، ثم اشتغل بمكتب الترجمة في طرابلس بعد الاحتلال الإيطالي لل ليبيا، وله أبحاث في الشريعة الإسلامية ومقارنتها في القانون الروماني، والعلاقة بين القانون الشرقي القديم، والقانون الشرقي المسيحي، كذلك له مؤلفات عديدة تناولت تاريخ البلاد العربية بعد الإسلام وجغرافيتها، وثقافتها، وعاداتها، وأسماءها، وقبائلها، وتراجم رجالها، وفهارس مخطوطاتها طبعها المعهد الشرقي في روما في ست مجلدات.⁴⁰

كذلك مساهمات جويدي الكبير وابنه جويدي الابن، برز الأب في معرفة اللغات السامية وألقى في الجامعة المصرية القديمة دروساً في الأدب العربي، وفضله اللغات العربية الجنوبية، وله إنتاج غزير في الأدب العربي الإسلامي.

³⁸ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١١٩.

³⁹ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١١٩.

⁴⁰ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٢٠.

⁴¹ الحرب الإيطالية - العثمانية أو كما يطلق عليها الحرب الليبية تشير إلى العمليات الحربية بين مملكة إيطاليا وبين الدولة العثمانية. (النهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٢٥٢/١)

ثم أسس السير توماس آدمز كرسي الدراسات العربية في جامعة كامبريدج عام ١٦٣٢ ميلادي، وتلا ذلك تأسيس كرسي آخر للعربية بجامعة أكسفورد عام ١٦٣٦، وازدهرت الدراسات الاستثنائية بعد حملة نابليون⁴⁵ على مصر، وتخريج أعداد كبيرة من المستشرقين الإنجليز على يد المستشرق الفرنسي دي ساسي⁴⁶ تناول الاستشراق البريطاني سائر مناحي المعرفة الشرقية، من اللغات وآداب وعلوم وفنون وعقائد وتاريخ والجغرافيا، وأثار كثيرهم من المستشرقين.

كان على رأس المهتمين في الدراسات العربية سيمون أوكلي، الذي تولى مهمة التدريس العربية في جامعة كامبريدج عام ١٧١١ ميلادي، وألف كتابه الشهير تاريخ المسلمين الذي، يتناول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام، يأتي بعده جورج سيل، الذي ترجمة القرآن ترجمة دقيقة، أصبحت المرجع الأساسي للترجمات الواردة بعدها، وفي القرن التاسع عشر برز إدوارد وليم لين، الذي بدأ في تعلم العربية من تلقاء نفسه، ثم رحل إلى القاهرة عام ١٨٢٥، وعاش هناك مدة طويلة أُنقن فيها العربية، وتطبع بطباع المصريين، وأنتج كتابه طباع المصريين المعاصرين، وعاداتهم، وأهم كتبه المعجم العربي الإنجليزي، الذي يشتغل فيه طوال ٣٥ عاما، تكمن أهمية هذا المعجم في الرجوع إلى أمهات الكتب العربية، للبحث عن المفردات ومعانيها.⁴⁷

كذلك من المستشرقين البريطانيين مرجيلوت، الذي كان أستاذ العربية بجامعة أكسفورد ونشر كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، وألف كتاب منشأ الشعر الجاهلي. ومن المهتمين بالدراسات التاريخية توماس كارلايل، الذي ألف كتاب الأبطال، ووضع فيه النبي صلى الله عليه وسلم في قمة الأبطال الذين غيروا مجرى التاريخ. كذلك المستشرق أربري، الذي جاب مصر والشرق، وألف كتاب المستشرقون البريطانيون، وكتاب ملامح الحضارة الإسلامية، وكتاب الوحي والعقل في الإسلام، والشعر العربي الحديث، وغيرها من الكتب.

السير هاملتون جيب، الذي يعتبر أبرز مستشرق بريطاني في القرن العشرين، شغل العديد من المناصب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن عضوا في المجمع العلمي في دمشق المجمع اللغوي في القاهرة لإتقان اللغة العربية، من مؤلفاته في الحضارة الإسلامية الفتوحات العربية في آسيا الوسطى، المدخل إلى تاريخ الأدب العربي، اتجاهات حديثة في الإسلام، دراسات حول الحضارة الإسلامية، وغيرها من الكتب.

ومن المستشرقين البريطانيين البارزين مونتجمري وات، الذي يتناول الفكر الإسلامي السياسي، والوحي وحياء محمد في مكة والمدينة، وغيرها من الكتب عن الحضارة الإسلامية، ومدى تأثيرها على الحضارة الغربية الحديثة، كتابة تأثير الإسلام على أوروبا القرون الوسطى، والعظمة التي كانت للإسلام.

المدرسة الألمانية⁴⁸

وأول ألماني تعلم العربية، وعني بدراساتها وأشبع نهمه بدراسة الفكر الإنساني من مواردها، هو البرد الكبير الذي يعني بدراسة الفكر المسيحي دراسة لم يسبق إليها، وتعرف على فلسفة أرسطو عن طريق اللغة العربية

، بالرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية، فإن الدراسات الاستثنائية الألمانية لم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر خلافا للبلدان الأوروبية الأخرى، ويعتبر رايكسك الرائد الألماني⁴⁹ الأول الذي وقف نفسه على الدراسات العربية والإسلامية المتوفى عام ١٧٧٤، فلقد تعلم اللغة العربية دون معونة من أحد، واشترى كل المؤلفات العربية التي وصلت إلى يده رغم فقره، بدأ نشاطه العلمي بنشر المقامة السادسة والعشرين من مقامات الحريري بعد أن ترجمها إلى اللاتينية، ثم انتقل إلى جامعة ليندن وقف دراسته على التعليقات خاصة تلك المتعلقة بطرفة بن العبد حيث درسها دراسة علمية نقدية في غاية الدقة والمهارة بعد أن ترجمها إلى اللاتينية، ثم إقامة فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة ليندن⁵⁰، واستنسخ مؤلفات ابن قتيبة⁵¹، وأبي الفداء⁵²، وابن أبي أصيبعة⁵³، ويعتبر هذا المستشرق المؤسس الحقيقي لدراسة اللغة

⁵⁰ مكتبة جامعة ليندن هي مكتبة تأسست سنة ١٥٧٥م في لايدن في هولندا. وكان لها دور بارز في تطوير الثقافة الأوروبية. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٥٥/٣)

⁵¹ هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ويُعرف بابن قتيبة، وهو أحد أعلام القرن الثالث الهجري، فهو عالم، وفقه، وناقد، وأديب لغوي. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٦٩/١)

⁵² أبو الفداء هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ويطلق عليه ملك أو صاحب حماة في سوريا، عماد الدين، الملك العالم. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٤٨٥/١)

⁵³ أبو العباس ابن أبي أصيبعة طبيب ومؤرخ مسلم، صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٤٦٥/١)

⁴⁵ حملة نابليون على مصر. أراد نابليون بوناپرت احتلال مصر، لتأمين سيطرة فرنسية على شرق البحر الأبيض المتوسط، وفتح طريق لمهاجمة بريطانيا في الهند. (النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٤٥١/٢)

⁴⁶ البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٢٤.

⁴⁷ البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٢٦.

⁴⁸ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٢٩.

⁴⁹ يوهن ياكب) يوحنا يعقوب (رايسكه، مستشرق ألماني، من الأطباء. (الزركشي، الأعلام، دار التراث، بيروت، ٢٦٥/٨).

العربية في ألمانيا وأوروبا ومات فقيرا بعدما بعد أن اطلق على نفسه شهيد الأدب العربي.⁵⁴

ازدهرت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا بعد رايسكو ، بفضل إنشاء كراسي عديدة لتعليم العربية في ألمانيا ، وازدياد المكتبات الشرقية ، و إنشاء المطابع الشرقية ، و تأسيس الجمعيات الشرقية الجمعية الشرقية الألمانية ، وإصدار المجلات المجلة الشرقية الألمانية ، و مجلة الآداب الشرقية ، وغيرها ، ولقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة على نمو وازدهار الدراسات الاستشراقية في ألمانيا، كما برز في دراسة العربية فريدريش روكرت عمل على دراسة المخطوطات الشرقية ، ترجم قسما من القرآن الكريم ، ترجم أشعارا لبعض العرب جلال الدين الرومي ، والحافظ الشيرازي ، ترجم مقامات الحريري.⁵⁵

كذلك برز في الميدان الاستشراقي العالم الرحالة هانيرش بارث، وكان نتاج رحلته في أفريقيا كتاب رحلات استكشافية في شمال ووسط أفريقيا، وهو مؤلف ضخمة مكون من ثلاث مجلدات بالإنجليزية، كذلك استنساخ العديد من المخطوطات منها تاريخ السودان للمؤلف أحمد بابا، ولم ينقله كامل بسبب الظروف السيئة التي كانت المحيطة به.⁵⁶

المستشرق الألماني فلوجل وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ونشر كتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة و، كتاب الفهرست لابن نديم ، كذلك المستشرق الألماني السيد اهلفارت الذي تعلم العربية و أتقنها ، وهو الذي وضع فهرس مكتبة برلين عن المخطوطات العربية والذي يبلغ ١٠ مجلدات ضخمة ، وأمضى في تصنيفه ٢٠ سنة ، والمستشرق جولوس فلهوزن الذي برز في دراسة التاريخ اليهودي ، انتقل بعدها إلى دراسة الوثنية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ، لدراسة التربة التي نشأ فيها الإسلام ، ثم انتقل بعدها إلى الحقبة الإسلامية فحقق تاريخ الطبري ، وألف كتاب الأحزاب المعارضة في الإسلام ، ثم كتاب الإمبراطورية العربية وسقوطها ، يتميز منهجه بالبساطة في الأسلوب ، والوضوح في الأفكار ، و الإمام بالأحوال السياسية والاقتصادية ، والمستشرق الألماني تيودور نولدكه المشهور بكتابه نشوء وتركيب السور القرآنية ، ثم كتاب تاريخ القرآن الذي يعالج فيه هذا الموضوع بمنهجية لم يسبقه فيها أحد ، بحيث يعتبر بحق واضح قصص البحث العلمي للدراسات القرآنية التي جاءت بعده.⁵⁷

المدرسة الاسبانية

أهم المستشرقين الأسبان الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة الاستشراقية الاسبانية ، هو باسكوال جينجوس المتوفى عام ١٨٩٧ ميلادي ، اشتغل مترجم لدى وزارة خارجية بلاده ، ثم أسندت إليه وظيفة أول أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد عام ١٨٤٣ ، و أهم عمل استشراقي قام به هو فهرسته المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الإسكوريال⁵⁸ الشهيرة ، وصنف كتاب عن تاريخ المسلمين في إسبانيا ونشره قسما كبيرا من كتاب نفح الطيب للمقرئ ، وترجمه إلى اللغة الإنجليزية في مجلدين ولديه منشورات أخرى عديدة تناولت الحضارة العربية والإسلامية.

يأتي في الأهمية بعده المستشرق فرنانديز غونزاليس، مؤلف كتاب الوضع الاجتماعي والسياسي للمسلمين، الذين بقوا في قستالة بعد سقوط إسبانيا، كما قام بترجمة مخطوط ابن عذراي حول تاريخ الأندلس، كما كتب عدة مقالات تناولت النحت العربي، وتأثير اللغات والآداب الشرقية في ثقافات شعوب شبه الجزيرة الأيبيرية.⁵⁹

فرنسيسكو كوديرا الذي يعتبر من أبرز المستشرقين الإسبان في القرن التاسع عشر، شغل منصب أستاذ كرسي الدراسات العربية في جامعة مدريد من مؤلفاته دراسة عن العملة العربية في إسبانيا، وسقوط وانقراض المرابطين في إسبانيا، ودراسات نقدية للتاريخ العربي في إسبانيا.

جوليان ريبيرا ترك عدة مؤلفات قيمة، تناولت الملاحم الشعرية عند المسلمين الإسبان، والتعليم عند المسلمين الإسبان، وهو من المولعين بالكتب والمكتبات في إسبانيا الإسلامية، والموسيقى الأندلسية في العصور الوسطى.

ميخائيل اسين بالاسيوس بلغت المدرسة الاستشراقية الإسبانية على يده أوج نضجها لما قدمه من دراسات عظيمة تناولت الفلسفة والتصوف والدين والتاريخ والأدب واللغويات وقدم رسالة للأكاديمية الملكية الإسبانية عند تعيينه عضوا فيها وعنوانها الأخويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية وتناول بالدراسة العلمية الجادة كل من الغزالي وابن رشد وابن حزم وابن باجة وابن عربي.

اختتم أعماله بتأسيس مجلة الأندلس، التي تهتم بالدراسات العربية الإسلامية في إسبانيا.⁶⁰

عبارة عن صور تمثل الفنون السبعة الحرة.) النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، (٤٥/٣)

⁵⁹ شبه جزيرة إيبيريا أو شبه الجزيرة الإيبيرية أو إيبيرية تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا. تتكون من إسبانيا والبرتغال وأندورا ومنطقة جبل طارق.) النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، (٩٨/٢)

⁶⁰ الزيايدي، د. محمد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، دار السلام، القاهرة، ص ١٣٨-١٣٩.

⁵⁴ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٣٠.

⁵⁵ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٣١.

⁵⁶ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٣٢.

⁵⁷ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٣٢.

⁵⁸ تشتهر مكتبة الإسكوريال بما تحويه من كتب ومخطوطات قديمة وأعمال علمية وأدبية لعلماء عرب في القرون الوسطى، وزخارف الفنان تيبالدي وهي زخارف على قبة المكتبة

المدرسة الروسية

أما الاستشراق في روسيا فإنه حديث العهد نسبياً على الرغم من قيام علاقات بينها وبين العرب منذ زمن بعيد، وقد حددها العلماء الروس أنفسهم بداية الاستشراق لديهم بقرن ونصف قرن، إذ كانت في روسيا مدارس لدراسة لغات الشرق الأوسط منذ أيام بطرس الأكبر⁶¹، هذا ما وضحته كتابات مطران مكاريوس التي وصفه فيها رحلات إلى روسيا، والتي تعود إلى عام ١٦٥٤ أنه كان يؤجر مكتبة للمترجمين في موسكو في تلك الأيام، وكان يقومون بترجمة النصوص العربية⁶².

كما زاد من اهتمام الدراسات الاستشراقية في روسيا تأسيس المتحف الآسيوي عام ١٨١٨ في العاصمة الروسية، الذي يضم العديد من المخطوطات العربية النادرة، التي حوله المستشرقون الروس وساهموا في فاعلية في تطور، وتقدم الدراسات الاستشراقية في روسيا، وخاصة عندما تولى رئاسته وتنظيمه المستشرق فرين، ومن أهم المستشرقين الروس في النصف الأول من القرن التاسع عشر هو الروسي المسلم كاظم بك، الذي قام بتحقيق وتقديم المخطوطات الجغرافية الهامة للعالم المصري يعقوبي، وكانت لديه دراسات قيمة في الإسلاميات في تحقيق المخطوطات، وكان يهتم بالقضايا النظرية البحتة أكثر من الاهتمام بالقضايا العملية الراهنة، واهتم بدراسة تاريخ الإسلام⁶³.

يبريزف تلميذ كاظم بك، وكان اهتمامه يركز على القضايا الراهنة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، اشتهر بدراسة عن اللهجات العربية خاصة لهجات سكان بغداد والبصرة، وكتب مقالات علمية في الأدب الشعبي الشرقي.

المستشرق الروسي جرجس ألف كتاب تاريخ الأدب العربي، وترجم القوانين الإسلامية، ووضع مع المستشرق رازين كتاباً مدرسياً حول الأدب واللغة العربيين.

رازين الذي يعتبر اختصاصي في اللغتين العربية والفارسية، أشهر أعماله فهرس المخطوطات العربية والفارسية في أربع مجلدات، ونشر مخطوطة الرحالة العربي ابن فضلان، وتاريخ حبيب المنبجي، ونشر تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، وله العديد من الأعمال⁶⁴.

كراتشكوفسكي الذي يعتبر من أهم المستشرقين الروس شغف منذ صغره بدراسة آثار المستشرقين، وبدراسة اللغة العربية، ثم ذهب إلى الشرق فزار مصر وسوريا وفلسطين، واطلع على خزائن كتبها، وتعرف إلى علمائها وأدباءها، له

من المصنفات والمقالات ما يزيد على ٤٥٠ أثراً، أهمها دراسة في إدارة الخليفة المهدي، والشاعرية أبي العتاهية والمنتبي والمعري، وترجمة القرآن الكريم إلى الروسية، والعديد من الأعمال التي لا يمكن إحصاؤها⁶⁵.

المدرسة الأمريكية

من أهم المستشرقين الأمريكيين في مجال الدراسات العربية والإسلامية أيلي سميث المتوفى عام ١٨٥٧م، وهو الذي أدخل المطبعة الأمريكية العربية إلى لبنان، وتعاون مع بطرس البستاني على نقل التوراة إلى العربية، ولما توفي خلفه كرنيليوس فاندريك الذي قدمه إلى بيروت كطبيب مع البعثة الأمريكية عام ١٨٤٠ م، وهناك أتقن العربية، واشترك في تكملة ترجمة التوراة إلى العربية.

من أشهر المستشرقين والمبشرين الأمريكيين صمويل زويمر المتوفى عام ١٩٥٢م، وهو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، تولى تحرير مجلة عالم الإسلام، ويمتاز به التعصب والتضليل الشديدين؛ الأمر الذي أفقده دراساته صدقها العلمي، كذلك المستشرق الأمريكي من أصل عربي فيليب حتى الذي ألف العديد من الكتب حول التاريخ الإسلامي، أشهرها أصول الدولة الإسلامية، ومختصر الفرق بين الفرق، وتاريخ العرب وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ونشر مقالات هامة على الدراسات الاستشراقية. المستشرق الأمريكي فرانز روزنتال تناول العلاقات الثقافية اليهودية الإسلامية، وأثر الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، وهو كتاب قيم أنصف فيه العرب، وأشاد بمناهجهم العلمية التي قامت عليها الدراسات الغربية الحديثة⁶⁶.

مناهج المستشرقين

الاستشراق في النهاية خاضع في نشأته، وتطوره، ومناهجه، وتصوراته إلى ما يحدث في الغرب من تطور العلوم ومناهجها، وكما كان الاستشراق القديم جزءاً من تاريخ الغرب، وتطبيقاً لمناهجه التاريخية الوضعية، فإن الاستشراق الجديد القائم على الفهم والتأويل أيضاً جزء من الثقافة الغربية في دورها الجديد، وهو امتداد لمناهج المركزة على موضوعات المحيط، والمنهج إجمالاً هو الخطوة العامة التي يتبعها الفكر في المجال العلمي، ومن أشهر المناهج المستخدمة في حقل الاستشراق المنهج الأنثروبولوجي، والمنهج اللغوي الفيلولوجي⁶⁷. المنهج الأنثروبولوجي والفيلولوجي.

⁶¹ بطرس الأكبر أو بيتر العظيم أو بيتر الأول أو بيوتر ألكسييفيتش رومانوف: ولد في الكرملين عام ١٦٧٢. حكم روسيا من عام ١٦٨٢ خلفاً للقيصر فيودر الثالث وحتى وفاته عام ١٧٢٥. (البنهان، معجم مصطلحات التاريخ، ٥١٢/٢)

⁶² ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ١٤٩.

⁶³ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ١٤٨.

⁶⁴ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٥٠.

⁶⁵ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٥١.

⁶⁶ ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ١٥٣.

⁶⁷ الوهبي، حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، ص ١٠٥.

عقائد خرافية وأداب سطحية، وقام بنشرها في قومه فاتبعها رجال منهم، وهكذا فإنه أكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن، ولا عن الوحي الذي أنزل عليه، فإنساق الكتاب الغربيون في اتجاههم يرددون الفكرة نفسها من غير بينة. يقول المستشرق ميور: "إن أساس العقيدة العربية كانت الوثنية العميقة الجذور، والتي لم تكن تبدي أية علامة للانحطاط والوهن، والتي تصدت لكافة المحاولات التبشيرية من قبل مصر وسوريا".⁷¹

نحن نعلم أنه السلطة التشريعية بكاملها لله سبحانه وتعالى وحده وقد أرشد الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)⁷² (وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ).⁷³ لذلك لم يكن لأحد أن يشرع لنفسه أو لغيره من البشر؛ لأنه من اختصاص الله سبحانه وتعالى خالق الكون، لكنه منح نبيه صلى الله عليه وسلم سلطة التشريع قائلا (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)⁷⁴

هكذا أصبحت هذه الحقيقة بالنسبة للمسلمين من بديهيات الأمور، فالمصدر التشريعي الأساسي هو كلام الله سبحانه وتعالى في القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهكذا أصبح من الطبيعي أن يسعى الغرب في إلغاء الشريعة الإسلامية أولا، ثم التشكيك في مصادرها والظعن في صلاحياتها، حتى لا يفكر المسلمون في العودة إليها يوما ما.

منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي

إن موضوع أو مصطلح التاريخ الإسلامي هو موضوع دراسة كثير من المستشرقين، وهذا الموضوع يكتنفه الغموض، فإذا فحصنا المؤلفات التاريخية التي كتبها المستشرقون عن الإسلام والتاريخ الإسلامي، وجدنا أنها تعكس الشمولية التي تنسم بها اهتماماتهم، وما تنسم به نظرتهم إلى التاريخ الإسلامي من تغيير مستمر، ولذلك نجد أن المنهجية التي طبقوها على التاريخ الإسلامي تتميز بنوع معين من الاتساق من ناحية كما تتميز بتنوع الشديد من ناحية أخرى.⁷⁵

ما يتميز به كل مستشرق من خواص عديدة، وتباين المميزات التي تكون المجموعة نفسها من المستشرقين، والتناقض الذي يميزها في كثير من الأحيان، فنجد اثنين من

الأنثروبولوجيا: هي علم الإناسة، هي دراسة الإنسان بشكل عام تتمحور الموضوعات التي يتناولها هذا العلم حول دراسة وتحليل أنظمة القرابة والزواج، أحوال الحكم والسلطات، العقائد السحرية، الشعائر، والطقوس الدينية، وتتناثر أبحاث أنثروبولوجيا الشرق الأوسط عادة في ثلاث موضوعات مركزية: النسب أو القبيلة والمرأة والإسلام. الفيلولوجيا: هو علم اللغة المقارن، والتي تدرس النص القرآني، وتاريخ الإسلام المبكر، أو تاريخ الحقبة التي نشأ فيها الإسلام، وظروف تلك المنشأة وتداعياتها.⁶⁸

إن خلط السم بالدسم بالثناء على الحضارة العربية، وأنها تستحق الإشادة بها، ومن ناحية ثانية الطعون في القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وفي ظاهرة الوحي يعني أن المقصود هو الطعن، وأما الثناء على حضارة العرب فهو للتخدير؛ لأنه في حالة الوعي الكامل سيرفض القارئ الشتيمة، ولكن إذا قيل له إنك إنسان نبيل ونابهة ومهذب، ولا ينقصك إلا كذا وكذا، فهذا هو الأسلوب والمنهج المتبع في معظم الدراسات الاستشراقية في القرن العشرين، فهي لا تتجه إلى الأساليب المباشرة، وإنما تتجه إلى تغليف الكلام.⁶⁹ المطلب الأول: منهج المستشرقين في مصادر الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية:

أكثر المستشرقين يكادون يتفقون على أن القرآن ليس من عند الله، وعلى أن محمدا استسقى مادته من الأحبار والرهبان الذين كانا يتلقى عنهم المعلومات الدينية من كتب التوراة والإنجيل.

يقول المستشرق الألماني روبرت جريمي في كتابه محمد: "لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية في الإسلام، في صورته الأولى الأصلية، لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي، تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة".⁷⁰ وهذا لوبون في كتابه حضارة العرب من أخطر ما في كتابه انصاف أهل الحضارة العربية الإسلامية، التي يدافع عنها، وأعجب بها، وبين لها من أثر في الحضارة الغربية، ولكن يخدع القارئ بمظهر الإنصاف حتى تصدمه بعض أقوال في القرآن، وفي الرسول، وفي الشريعة الإسلامية، فيحسن بالتحامل والتجافي عن الموضوعية. فويلز يتخيل محمدا رجلا دفعته وطموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين، فألف مجموعة من

⁶⁸ الوهبي، حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، ص ١١٢.

⁶⁹ العمري، موقف الاستشراق من السنة النبوية، ص ٦٩.

⁷⁰ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٢٧.

⁷¹ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٣٢.

⁷² سورة الجاثية: ١٨.

⁷³ سورة النساء: ٥٩.

⁷⁴ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٦٥.

⁷⁵ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٣٤٥.

تخرج عن المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر وتأثر، ومنهج المطابقة، والمقابلة، وهذه المناهج إما أن تكون قد استخدمت مجتمعة، أو منفصلة في مجال الدراسات الإسلامية.

فالمنهج التاريخي الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية هو عبارة عن: ترتيب وقائع تاريخية، أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها، ثم الإخبار عنها، والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها.⁸¹

وعندما يتناول المستشرقون الحضارة الإسلامية بالدرس والتحليل، فقد طبقوا عليها المنهج التاريخي، ومن هنا كان تصنيفهم للتاريخ الإسلامي، ومفكره على نمط العقلية الغربية، فإذا ما تحدث عن محمد قالوا إنه كان تاجرا ميسورا، وعندما يتحدثون عن نضاله وجهاده، يقولون أن لديه أغراضا سياسية يرمي إلى تحقيقها بالقوة المسلحة للوصول إلى السلطة والهيمنة على الجزيرة العربية، إذا استخدم هذا المنهج يؤدي إلى إنكار نبوة محمد، وعدم صدقية الوحي الإلهي، لأنه يحيل كل شيء إلا الظاهر تاريخيا، وعندما يتحدثون عن مفكري الإسلام ابن سينا والغزالي، فإنهم يصنفونهم بأنهم أصحاب مدارس كما يفعل الغربيون، وتطبيقهم للمنهج التاريخي هو أحد أغراض الاستشراق للحصول على أكبر قدر من المعرفة والمعلومات عن البلاد الشرقية و، كان المستشرقون هم الوسيلة التي اتبعت لتحقيق هذه الأغراض.⁸²

أما المنهج التحليلي الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية، فإنه يعني تفتيت الظاهرة الفكرية، وردها إلى عناصرها الأولية الظروف الاجتماعية أو السياسية أو الدينية

فإذا طبق المستشرق هذا المنهج على دراسة الفرق الإسلامية و، كيفية نشأتها فإنه يحكم عليها طبقا للمعايير السياسية باعتبارها قد نشأت لهذا السبب وحده دون غيره، غير أن الحقيقة خلاف ذلك لأن الدين الإسلامي لا يفرق بين العامل الديني وغيره من العوامل الأخرى سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.⁸³

المنهج الإسقاطي يتمثل في خضوع الباحث إلى هواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بينته الثقافية المعنوية، وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي

المستشرقين يتلقون المبادئ نفسها السياسية نجد أحدهما يفضل أن يكون مدخله إلى الإسلام، والتاريخ الإسلامي مدخلا عاما كاملا من عديدة الجوانب، بينما نجد الآخر يعالج الأمور بعينها في إطار الإسلام بأن يتخصص فيها بالذات.⁷⁶

فطبيعة الدراسات الإسلامية، والتاريخ الإسلامي التي تتضمن تداخل علوم كثيرة يعتمد بعضها على بعض، ويستمد بعضها من بعض إلى جانب ضرورة أن يتخصص المستشرقين في نطاق عدد محدود من الفروع في الدراسات الإسلامية ذات مدى شاسع وشامل للغاية، هذه الطبيعة أدت إلى نماذج التخصصات عند مختلف المستشرقين.

ونظرا لأن معظم الدراسات التي يجريها المستشرقون تميل إلى تداخل العديد من المجالات، كما تتسم أعمالهم بالسطحية نسبيا على وجه العموم على مستوى كل مجال على حدة، ومهما يكن من أمر فإنه خاصية التداخل بين مختلف العلوم تثري هذا العلم ككل، وطريقة المعالجة التي تتسم بالتعميم، هي نتيجة مباشرة لما يضطر إليه المستشرقون من جمع للعلوم المتعددة، في إطار دراسات شاملة عن الإسلام كان من الممكن أن تتم على نحو مثالي، لو أنها وزعت على الفروع المستقلة المتخصصة.⁷⁷

فمن الموضوعات المتداخلة في الدراسات الإسلامية، والتي يقوم بدراستها المستشرقين الغربيين، هو الأصول التاريخية للإسلام، وهذا الموضوع به من المرونة ما يتيح فرصة الاختيار بين مجموعة من المداخل المتعددة والتفسيرات، ومن ثم يصبح من المحتمل اللجوء إلى جوانب مختلفة للأخذ منها على سبيل الاستعارة، وبعضهم يجرّد الإسلام من أية سمات إبداعية أو أصيلة، ويجعل هذه الصفات حكرا على حضارات قديمة مثل الإغريقية والرومانية والصينية والافتراض أن الإسلام يتكون من ألوان مختلفة من التأثيرات الأجنبية وأن الإسلام باعتباره ديناً عربياً ما هو إلا لون جديد يجمع بين اليهودية والمسيحية، و أن الحضارة الإسلامية في أوج تطورها هي شكل من أشكال الحضارة الهيلينية.⁷⁸

إن معظم المستشرقين ينكرون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوحي الإلهي الذي نزل عليه، ويعتبرون القرآن من تأليفه أو تأليف أصحابه، وكثيرا ما كانوا ولا يزالون يستخدمون المنهج التاريخي لتفسير الفكر الإسلامي، ومبادئه ومعتقداته.⁸⁰

وعند استعراض المناهج العلمية التي يستخدمها المستشرقين في دراسة الحضارة الإسلامية، لما وجدناها

⁷⁹ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج ١ ص ٣٥٣

⁸⁰ ساسي سالم، نقد الخطاب، ص ١٦٤

⁸¹ ساسي سالم، نقد الخطاب، ص ١٦٨.

⁸² نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر، بيروت، ص ١٦٨.

⁸³ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٦٨.

⁷⁶ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٣٤٨.

⁷⁷ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ٣٥١.

⁷⁸ هو اسم مستمد من كلمة هللين، وهي الاسم العرقي الذي يطلقه اليونانيون على أنفسهم، نسبة إلى جدهم الأسطوري هيلين وببلادهم التي عرفت باسم بلاد هيلاس.

يكونها على موضوع بحثه سواء اكانت هذه الأحكام عقلية أم انفعالية⁸⁴.

منهج الأثر والتأثر استخدموه المستشرقين بحيث فسروا الوحي الإلهي، والفلسفة الإسلامية، والفقه الإسلامي، والسنة النبوية بأنها مستمدة من عوامل خارجية مارست عليها قواعد الأثر والتأثر فعلها هذا المنهج ينفي كل أصالة للدين الإسلامي، ويقضي على الأفكار الإسلامية، ويرجعها إلى مصادر ثقافية خارجية.

فالمستشرقون عندما يطبقون منهج الأثر، والتأثر على الفلسفة الإسلامية، مثلاً فإنهم يرجعونها إلى أصول يونانية، ولا يؤمنون البتة بأصالتها، فهم يصدرون هذا الحكم كلما وجد اتصال بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، وكما وجد تشابه بينها وبين الأفكار الإنسانية الأخرى، مهما كان هذا التشابه كاذباً وغير حقيقي، ولا يقتنعون بأن التفاعل الحضاري يحدث أثره كل ما التقت حضارتان مع احتفاظ كل منهما في خصائصها المميزة.⁸⁵

استخدم المستشرقون مناهج المطابقة والمقابلة في دراسة النصوص الإسلامية، وقد برعوا في هذه الناحية وأجادوا فيها إجادة لا نستطيع أن ننكرها، وقد ساعدتهم على ذلك معرفتهم بالعديد من اللغات واطلاعهم على آلاف المخطوطات، و اكتشافهم المئات من النقوش، والآثار فاستخدموا مناهج المطابقة والمقابلة بين هذه النصوص المجمعة، وحاولوا التوفيق بينها واستخلاص النتائج العلمية من استقرارها، كما برعوا في الدقة في الترجمة، و تحقيق النصوص وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، لكن كذلك هذا المنهج لم يسلم من الخطأ، وخاصة إذا كان استخدامه لغرض البرهنة على فرضية علمية راسخة في ذهن المستشرق طبقاً لأحكام مسبقة، ويحاول تطويع النصوص، واستقرارها للبرهنة على صحة تلك الفروض⁸⁶.

منهجية جولدزيهر انموذجاً

ولد عام ١٨٥٠ وتوفي عام ١٩٢١ م يعتبر المؤسس الحقيقي للدراسات الإسلامية في أوروبا فقد تعاون مع ٨٥ مجلة دورية وثمانية موسوعات علمية وكتب ٣٠ مقالا في الموسوعة الإسلامية وألف ٣٥ كتاباً.

يرى جولدزيهر أن دراسة أي دين من الأديان يدخل في نطاق فرع معين من العلوم، يطلق عليه علم الديانات، و يتحدد هدفه في دراسة التطور التاريخي لهذه الأديان المختلفة، والعوامل المتشابكة التي تحدد الاشكال الداخلية لهذه الديانات، وعلاقة هذه الشكليات بمصادرها الأصلية،

ومن هنا فإن منهجه لا ينصب على الوصف التاريخي للدين الذي يقوم بدراسته، ولكنه يهتم في الدرجة الأولى بالقيم الروحية، والأخلاقية التي تنص عليها تعاليم تلك الديانة، ويرى انه من المستحيل علمياً إصدار حكم مهما كان نوعه على أي ديانة؛ لأن مثل هذا الحكم يجب أن يكون مطلقاً، ولكن غالباً ما تنقص الباحث الضوابط والمعايير العلمية لإصدار مثل هذه الاحكام المطلقة، وبناء على ذلك فإنه يرفض تلك الأحكام المسبقة التي تطلق على الإسلام؛ لأنه من الخطأ تطبيق معيار مطلق عليه؛ لأن الإسلام غير مسؤول عن الأخطاء المنسوبة إليه عبر التاريخ.⁸⁷

ويقول في هذا الصدد أننا قد تعرفنا إلى الإسلام بمنهجية تختلف عن تلك التي يطبقها اسلافنا، وبعبارة أخرى فإننا ندرسه بمنهجية أخرى له دور فعال في مجال الدراسات الإسلامية، كما ذكرنا يعتبر المؤسس الحقيقي لهذا العلم، ودفع بها دفعات قوية إلى الأمام، و تطبق عليه مناهج علمية صارمة أهمها المنهج التاريخي، ومنهج قانون المطابقة والمقابلة، ثم اعتمد على منهج النقد التاريخي، وعلى منهج آخر يركز على قواعد عامة تتعلق بنشاط، وتطور الأفكار الدينية للإنسان، و أطلق عليهما منهج النقد التاريخي، ومنهج علم مقارنة الأديان⁸⁸.

كما قام بدراسة التاريخ الإسلامي من خلال تطوره التاريخي مبتدئاً في معالجة مصادره الاصلية القرآن والسنة باعتبارهما نقاط ثابتة تكشف عن تطوره الباطني، وهو يرى أنه من خلال هذه المصادر الاصلية يمكن للباحث النفاذ إلى باطن الإسلام، وتحديد أفكاره العامة التي تلعب دورها الاساسي في المعرفة الإسلامية بالتعاون مع التفسير، وتقوية المصادر الأولية باعتبارها جميع المرأة تعكس اتجاهاته والتوجهات المختلفة⁸⁹.

شغف بدراسة المصادر الأصلية والأجنبية للديانة الإسلامية، وهو يرى أنه لا يمكن فهم الروح الإسلامي الصحيح ما لم يدرس الباحث العلاقة بين تطوره ومصادره، ولا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة ما لم يقوم الباحث بدراسة التطور التاريخي لهذه المصادر، وقد طبق هذه المنهجية في كتبه الرئيسية مثل الظاهرية الذي يتناول فيه الفقه الإسلامي من وجهة نظر المذهب الظاهري، الذي يهتم بظواهر النصوص دون اللجوء إلى القياس والتعليل، كما طبق هذه الطريقة في كتابه دراسات محمدية، الذي تناوله بالدرس والتحليل الأحاديث النبوية، فتناول نشأة الإسلام وتطرق إلى أحزابه ومذاهبه وكان دائماً يتجه إلى استخدام تاريخ الأدب دون أن يكون مؤرخ للأدب، كما يتلخص

⁸⁴ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص ١٧١.

⁸⁷ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٩.

⁸⁸ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٩.

⁸⁹ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٥.

⁸⁴ نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص ١٦٩.

⁸⁵ نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص ١٧٠؛ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٠.

مثال آراء جولد زيهير قوله عن المفسرين: إنهم يسدون ما يكون في التعاليم النبوية من ثغرات، ويشرحونها في أغلب الحالات شرحاً غير واف، أي أنهم يفسرونها معتبرين اشتمالها على مالم يخطر على بال واضعيها من أفكار، ومنها تأليفه كتاب دراسات محمدية، لإثبات فكرة مسبقة هي أن الأحاديث الموجودة لدينا اليوم مختلفة موضوعاً، وهي نتيجة للتطور السياسي الذي طرأ على العالم الإسلامي بعد وفاه الرسول - صلى الله عليه وسلم.

٢. الادعاء المتمدد

وهو ما وقع فيه الكثير من المستشرقين من ذكر روايات لم يقل بها أحد، أو إيراد أحاديث أو نصوص تفسيرية أو وقائع تاريخية، ونسبتها إلى غير قائلها في محاوله للوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة العلمية وإخفاء جرائمهم لا يشيرون إلى مصادرهم.

ومن هذا الجانب أيضاً تزوير الوقائع التاريخية ونذكر منهم ما قاله المستشرق ايفريو الباجي حول فتح موسى بن نصير لسرقسطة بحد السيف، وأن المسلمين أنزلوا بأهلها من الولايات شيئاً كثيراً حيث ذبحهم بالسيف، وأشعلوا النار في البلد، وقتلوا الشبان، والرضع بالحرايب، ونشروا الخراب، والجوع في المنطقة كلها، ويكفي دليلاً على اختلافه انفراد بهذا الخبر دون غيرها من المؤرخين.

٣. الخطأ في الاستنتاج

ومن هذه الأخطاء ما يورده مونتجمري وات عن آيات الاستئذان، حيث يفسر ذلك بأنه دلالة على تدني المستوى الأخلاقي الذي ساد عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم.

٤. توارث الآراء

من عيوب المنهجية الاستشرافية الاستناد إلى مرجعية غربية مطلقة، فيما يتعلق بالدراسات العربية والإسلامية فالمستشرقون يتوارثون آراء معينة، ينقلها أحدهم عن الآخر دون مراجعة أو تدقيق، هذا الأمر هو السبب في أن تكون هناك ما يشبه المصادر الثابتة في حركه الاستشراق تمثلت في تربع بعض المستشرقين على عرش الدراسات الإسلامية حتى صارت آراؤهم لا تتناقش.

٥. التجزئة

بيت تجزئة الأمور والاخبار وغياب النظرة الكلية في الحكم على الأشياء، وفي التعامل مع بعض القضايا، وخاصة عند الحديث عن الأمور الفقهية، فهم يميلون إلى رأي دون اعتبار بقية الآراء، كالميل إلى مذهب وإغفال البقية، وتظهر هذه التجزئة في الاستشهادات المقطعة التي يستخدمها المستشرقون بغية تحقيق اغراض معينه، ومثال ذلك ما فعله مرجيلوت حين استشهد بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم

منهجه في الاطلاع على الكتب والوثائق والنصوص ، ثم القيام بدراستها وتحليلها ونقدها ، وهو لا يعتمد على المشاهدة المباشرة ، ولكن يغوص في النصوص مطبق المنهج المطابقة والمقابلة ، بين محاولا إظهار ما تخفيه من مقاصد مستتره ، كذلك برع حقا في مجال الدراسات المقارنة ، فكان يميز بدقة بين الديانات والمذاهب المختلفة ، ويحاول إبراز منهج الأثر والتأثير بينها ، كذلك يستخدم منهج الاستدلال ، لأنه يعتمد في دراسته على نفوذ بصيرته وعمق وجدانه ، وكان دوما يغوص في الوثائق والنصوص التاريخية ، ويحاول من خلال دراستها استنباط الأحكام العامة على الديانة الإسلامية ، وهذا خطأ يتكرر في الاستشراق في تسليحهم بالأفكار ، والأحكام المسبقة ثم محاولة تطويع النصوص مع أفكارهم.⁹⁰

من المآخذ على منهجيته ألا تكوين أفكار مسبقة على الموضوع الذي يدرسه، ويحاول قدر جهده أن تأتي نتائج الدراسة متوافقة مع تلك الأفكار.

كذلك الخطأ الآخر في منهجيته اعتماده على منهج الأثر التاريخي، فهو يحاول دراسة مصادر الإسلام الخارجية، التي يعتقد أن لها الأثر الأكبر في تطور الديانة الإسلامية، ويحاول جاهدا إبراز العناصر النقية الصافية للإسلام والعناصر الدخيلة عليه، ووصل إلى نتيجة علمية مفادها تأثره بهذه المصادر الخارجية سواء في التشريع أو التصوف أو علم الكلام.⁹¹

المآخذ المنهجية على كتابات وأبحاث المستشرقين⁹²:

كتابات المستشرقين إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كل التقدير لما يتسم في بعض الاصناف بالإضافة إلى طابعه العلمي بطابع إخلافي ممتاز لا يمكن نكرانه، ولكن علينا ألا نغفل جانباً أساسياً في الموضوع أن كل ما ينتجه العقل في هذا القرن العشرين الخاضع لمقاييس الفعالية لا يخلو من بعد عملي، قد يستغل في ميدان السياسة والانفعا حيث تصبح الأفكار مسخرة لتكون وسائل اقتضا الضمائر والعقول.⁹³

١. الافتراضات المسبقة

المستشرقين الدارسين للإسلام بحكم مخالفتهم العقدي له لا يستطيعون التخلص من مسلماتهم أن محمد - صلى الله عليه وسلم- ليس نبيا مرسلا، وأن القرآن الكريم ليس كتاب منزلا، وأن العرب ليسوا جنسا حضاريا مؤهلا للقيام بدور حضاري إنساني، وقد أثرت هذه المسلمات في توجهاتهم البحثية، فجعلتهم يحاولون الوصول الى عدم جده الرسالة الإسلامية، واعتمادها على مصادر قديمة.

⁹⁰ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٥.
⁹¹ ساسي سالم، نقد الخطاب، ج ١، ص ١٧٨.
⁹² محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ١١٥.

- إنما حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب دون ذكر بقية الحديث وهو وجعلت قره عيني في الصلاة.

٦. استخدام الصيغ الشك والتعميم

يكثُر في المنهج الاستشراقي التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية لصيغ الشك، وتكثر في أبحاثهم كلمة من الممكن وظن ويبدو ولعله، مثلاً قول كارل بروكلمان (أعلن محمد ما أظن أنه سمعه وحي من عند الله)

وكذلك التعميم استخدام ألفاظ كللفظ كل الذي لا يمكن استعماله منهجياً إلا وفق منطق إحصائي يعتمد التأكد من جزئيات الموضوع، كذلك عدم ذكر المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، أيضاً عدم ذكر من يستشهد بأرائهم كأن يقال، ويذكر بعض العلماء أو قد قال ذلك بعض الباحثين والمفكرين دون أن يذكر الاسم⁹⁴

وعن مواقف المستشرقين من إسهامات من قبلهم يقول توملين على عجز المستشرقين عن فهم الثقافة الشرقية: "اعترف رجال شديدي الذكاء بعد أن كرسوا الكثير من وقتهم للأبحاث الشرقية أنهم لو كان عليهم أن يصلوا إلى فهم تام للفلسفة الشرقية يستلزم الأمر أن يعتزلوا أوروبا كلها وبدأوا الحياة من جديد كشرقيين." ويذكر اشتيفان فيلد "أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة" ويقول برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في الحواشي المرسومة في الأبحاث العلمية"، كما يذكر نورمان دانيل أنه: "على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية لكتاب النصارى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما كانوا يتهمون".

وينتقد مكسيم رودنسون بعض المستشرقين بقوله: "ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته فاهتموا كثيراً بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا، ثم كانوا يكرهون النهضة فيه"، وكذلك قال في موضع آخر: "وحيث كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كونوها سابقاً"، كذلك ما يذكره بريستيد قوله عن المستشرقين أنهم: "يريدون قتل حضارة الشرق عمداً؛ لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة"⁹⁵

نماذج كتابات المستشرقين

ويقترض اللورد كرومر في كتابه "مصر الحديثة": أن الرجل المسلم يتمسك بالإسلام أشد من تمسك المرأة المسلمة

بالإسلام!، ويعلل هذا الافتراض -على أنه ظاهرة في الحياة الإسلامية- بأنه يرجع إلى اختلاف وضعية كل من الرجل والمرأة في الإسلام.

ويشرح المستشرقون مبدأ الإسلام في "عدم قبول المسلم لولاية الأجنبي" بفكرة عدم التعاون مع الشعوب الأخرى، أو بفكرة النفرة من رئاسة غير المسلم، ولو كان ذا كفاية، أو أهلية للرئاسة والتوجيه أكثر من المسلمين أنفسهم!

أما "الجهاد": فهو عند هؤلاء فكرة الاعتداء نفسها، أعطاه الإسلام صبغة شرعية ودينية، كي يدفع بها السلم لمهاجمة غير المسلم في وقت أمن فيه على نفسه وعرضه وماله!، إنها فكرة الغدر أو تشجيع العدوان، ولهذا الشرح أثر سيئ إلى أقصى حد في علاقة الشعوب الغربية بالمسلمين، وفي تصورهم لحياة المسلم وأهدافه في الحياة.

نجد في دراسة الغربيين للإسلام والثقافة الإسلامية، تأكيد الروح الصليبية فتتضح في كتابات المستشرقين الفرنسيين!، فكتاباتهم لا تنبئ فحسب عن ميل لإضعاف المسلمين، بل تنم عن حقد على المسلمين، وعن سخرية وتهكم برسول الله - صلى الله عليه وسلم، ورسائله الإلهية.

نعم ... قام أساس الاستشراق على أن الإسلام من صنع محمد، فالإسلام دين بشري، وعلى أن الرسول لفق فيه من المسيحية واليهودية، وأنه حرف في نقله تعاليم هاتين الديانتين؛ إما لأنه لم يستطع فهمها كما يذكرون؛ وإما لأن نفسه لم ترتفع إلى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته. يقول "كيمون" المستشرق الفرنسي في كتابه "باتولوجيا الإسلام": "إن الديانة المحمدية جذام تقشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمر وجمع في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رعوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة "الله" إلى ما لا نهاية...."⁹⁶

نشرت جريدة "المؤيد" في تمام القرن التاسع عشر ١٣١٧هـ ترجمة لمقال كتبه "هانوتو" المستشرق الفرنسي ومستشار وزارة الاستعمار الفرنسية، يصف فيه المسلمين وعقيدتهم، ويضح المقترحات الضرورية في نظره لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الإفريقية الإسلامية تحت العنوان التالي:

"قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية".

وكان مما جاء في هذا المقال:

"اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الإفريقية بسرعة لا تجارى، حاملين في حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين "يونان الشرق" تم تراموا بها على أوروبا، ولكنهم وجدوا

⁹⁶ البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٠٨

⁹⁴ الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص ١١٥

⁹⁵ النملة، مصادر المعلومات على الاستشراق والمستشرقين استقراء للمواقف، ص ١٣-١٤.

- الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ط ١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- حسنين: عبد المنعم محمد، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ط ١٠، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٧٩هـ.
- حسين: محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، دار الحكمة، عمان.
- الزركشي: الأعلام، دار التراث، بيروت.
- زرقوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار النهضة، القاهرة.
- الزيايدي، محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبية، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، دار السلام، القاهرة.
- السباعي: مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ط ٣، دار الوراق، ١٤٣٥هـ.
- سمائلوفتش: أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨.
- الصغير: فالح محمد، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
- عدد من المؤلفين: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م.
- عفاف سيد؛ مصطفى الحناوي، حاضر العالم الإسلامي، ط ٢، مكتبة الرشد، ص ١٤٢٦هـ.
- العمري: أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيره النبوية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- المرصفي: سعد، المستشرقون والسنة، مكتبة المنار، بيروت، لبنان.
- الملا: عبد العزيز، المستشرقون في الميزان، ط ٧، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٤هـ.
- النبهان: يحيى، معجم مصطلحات التاريخ، دار الفجر، بيروت.
- نبي: مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر، بيروت.
- النملة: علي بن إبراهيم:
- مصادر المعلومات على الاستشراق والمستشرقين استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤١٤هـ.
- المستشرقون ونشر التراث، ط ١، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- الوهيبي: عبد الله، كتاب حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، ط ١، مركز البحوث والدراسات، ١٤٣٥هـ.

في نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا بل أقرب في الوصلة إلى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم، ألا وهي المدينة الآرية المسيحية، ولذلك اضطروا إلى الوقوف عند الحد الذي إليه وصلوا، وأكروهوا على الرجوع إلى أفريقية حيث ثبتت أقدامهم أحقابا متعاقبة، ولكن لا يزال الهلال ينتهي طرفاه: من جهة بمدينة القسطنطينية، ومن أخرى ببلدة فاس في المغرب الأقصى، معانقا بذلك الغرب كله.

..... "فهو الدين الوحيد الذي أمكن انتحال الناس له زمرا وأفراجا، وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه، ففي البقاع الإفريقية نرى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء، يحملون إلى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا، كما أن أمثالهم في القارة الآسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الإسلامي، ثم هو -أي: هذا الدين- قائم الدعائم ثابت الأركان في أوربا عينها، أعني في الأستانة العلية، حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية، بعضها عن بعض شطرين

97.

الخاتمة

من خلال البحث والقراءة توصلت إلى العديد من النتائج: أولاً: أن الاستشراق هو أحد أهداف الاستعمار، يمثل حركة متواصلة الحلقات يحاول فيها الغرب التعرف على الشرق علمياً وفكرياً وأدبياً ثم استغلاله اقتصادياً وثقافياً واستراتيجياً وجعلها منطقة نفوذ يسيطر بها على العالم بأسره.

ثانياً: لما يتميز به العالم الإسلامي من موقع استراتيجي، ومن خيرات فإنه سيظل محط أنظار العالم والسيطرة عليه بجميع الوسائل سياسية اقتصادية دينية فكرية.

ثالثاً: أنه مهما اختلفت مناهج المستشرقين، فإنهم يتفقون على منهج واحد، وهو محاربة الإسلام والتشكيك في مصادره، وصرف المسلمين عن دينهم بكل الوسائل.

رابعاً: الحد من انتشار الإسلام في الغرب وحماية الإنسان الغربي من الإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد: إبراهيم خليل، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، دار الوعي العربي.
- أرنست: الحروب الصليبية، دار الهدى، بيروت.
- البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط ١، مكتبة وهبة.
- بوكاي: مورييس: دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، دار العلم، عمان.
- الجندي: أنور، الإسلام في وجه التغريب، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٠م.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Management ethics in the Sunnah of the Prophet.

Fatimah Rashid Awad Al-Rashidi*

*Master of Hadith and its Sciences - from Al-Jouf University - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: fatimah11447@gmail.com

أخلاقيات الإدارة في السنة النبوية.

أ. فاطمة راشد عوض الرشيدى*

*ماجستير الحديث وعلومه - جامعة الجوف - المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

Management - Sunnah of the Prophet - Ethics

الكلمات المفتاحية

الإدارة - السنة النبوية - أخلاقيات

ABSTRACT

مستخلص البحث:

This research studies the ethics of management in the Prophetic Sunnah, which is formed through knowledge of the ethical foundations in light of the Prophetic Sunnah, the definition of public administration, the foundations of management, and the prophetic approach in establishing leadership and applied methods. I have made the title of the research: Management Ethics in the Prophetic Sunnah. The research includes: an introduction that includes the topic, its problem, its importance, the objectives of the research, previous studies, and the research methodology. There are two topics, the first topic: the concepts of ethics and public administration, and it contains two requirements: the first requirement: defining ethics and moral foundations in light of the Sunnah of the Prophet. The second requirement: Definition of public administration and the foundations of public administration. The second topic: The prophetic approach in establishing leadership and applied methods, and it contains two requirements: The first requirement: Administrative leadership methods during the era of the Prophet, peace and blessings be upon him. The second requirement: applied models in administration during the era of the Prophet, may God bless him and grant him peace. Then the conclusion - we ask God for its goodness - includes the most important results and recommendations, then an index of references.

هذا البحث يقوم بدراسة أخلاقيات الإدارة في السنة النبوية، والتي تتشكل من خلال معرفة الأسس الأخلاقية في ضوء السنة النبوية، وتعريف الإدارة العامة، وأسس الإدارة، والمنهج النبوي في تأسيس الأساليب القيادية والتطبيقية هذا وقد جعلت عنوان البحث: أخلاقيات الإدارة في السنة النبوية. ويشتمل البحث على: مقدمة تضم موضوعه ومشكلته وأهميته وأهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث. ومبحثين، المبحث الأول: مفهومي الأخلاق والإدارة العامة، وفيه مطلبين: المطلب الأول: تعريف الأخلاق والأسس الأخلاقية في ضوء السنة النبوية. المطلب الثاني: تعريف الإدارة العامة وأسس الإدارة العامة. والمبحث الثاني: المنهج النبوي في تأسيس الأساليب القيادية والتطبيقية، وفيه مطلبين: المطلب الأول: أساليب القيادة الإدارية في عهد النبي ﷺ. المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في الإدارة في عهد النبي ﷺ. ثم الخاتمة - نسال الله حسنهما - تضم اهم النتائج، والتوصيات، ثم فهرس المراجع.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وأصحابه.

وبعد؛ فإن القرآن الكريم أصل الأخلاق الإسلامية، والأخلاق هي الإحسان إلى الناس والفضائل التي تؤدي إلى الخير والنجاح، وهذا يُعيدنا إلى القرآن الكريم لنستخلص منه المواعظ والعبر، ونستمد منه الأساس الأخلاقي؛ لأن مصدر الأخلاق الإسلامية هو الوحي؛ ومصدر الأخلاق النظرية هو القانون المُلزم، فإن الإسلام يتطلب الأخلاق السامية أولاً، والأخلاق عنواناً للمسلم، ولها دور كبير في حياة المسلم، وهي الطريق إلى الرخاء والنجاح في الدنيا والآخرة، والاقتداء بالنبي محمد ﷺ؛ لأن رسولنا أوصى بالخلق الحسن، وبيّن لنا أهميته ومكانته، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

المجلد (١١) العدد (٤)، ٢٠١٤م، وتقوم الدراسة على جمع ودراسة وتحليل المواقف النبوية في هذا المجال، وبيان كيفية تطبيق الشفافية في السنة النبوية، ووسائل وأهداف وقيود الشفافية.

٣. «مصادر الفكر الإداري التربوي عند المسلمين» للباحث/ شافي عشق القحطاني، مجلة كلية التربية (أسبوط)، المجلد السادس والثلاثون - العدد (١١)، نوفمبر ٢٠٢٠م، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مصادر الفكر الإداري التربوي عند المسلمين، واستخدم الباحث -نظراً لطبيعة بحثه- الكتب والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث؛ المراجع التي لها علاقة بالتأصيل الإسلامي لمصادر الفكر الإداري التربوي عند المسلمين، وأتبع الباحث منهج البحث المكتبي الوثائقي؛ نظراً لمناسبته لطبيعة الدراسة، وتوصلت النتائج إلى أن الواقع المعاصر يحتم أن تنفتح على العالم، ونأخذ منه النافع، كما توصلت نتائج البحث إلى أن جميع أهداف الفكر التربوي تُشتق من الدين الإسلامي بجوانبه المختلفة، ويجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي المُنظِّم لمصادر الأهداف الأخرى.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على (المنهج الوصفي) لإبراز الأخلاق الإسلامية، ودورها في القيادة الإدارية، بالإضافة إلى الاعتماد على المصادر والمراجع من كُتُب وأبحاث ذات علاقة بموضوع الدراسة. كما تعتمد على (المنهج الاستنباطي) من خلال دراسة بعض الأحاديث، واستخراج ما فيها من تطبيقات لصور الأخلاق في الإدارة في عهد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الأول:

مفهومَي الأخلاق والإدارة العامة.

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأخلاق والأسس الأخلاقية في ضوء السنة النبوية.

أولاً: تعريف الأخلاق:

الأخلاق لغة: جمع خُلُق، والخُلُق -بضم اللام وسكونها- هو: الدِّين والطَّبَعُ والسَّجَّةُ، وهو ما خُلِقَ عليه من الطَّبَعِ والمُرُوءَةِ، وحَقِيقَةُ الخُلُقِ أَنَّهُ لَصُورَةُ الإنسانِ الباطِنَةِ، وهي نَفْسُهُ وأوصافُها ومَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الخُلُقِ لَصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وأوصافِها ومَعَانِيهَا^(١). وقال الرَّاءِي: "والخُلُقُ والخُلُقُ في الأصل واحد... لكن خُصَّ الخُلُقُ بالهَيَئَاتِ والأشْكَالِ والصُّورِ المُدْرَكَةِ بالبَصَرِ، وَخُصَّ الخُلُقُ بالقُوَى والسَّجَايا المُدْرَكَةِ بالبَصِيرَةِ"^(٢).

الأخلاق اصطلاحاً: عَرَّفَ الجُرْجَانِيُّ الخُلُقَ بآئِهِ: "عبارة عن هَيئَةٍ لِلنَّفْسِ راسِخَةٍ تَصُدِّرُ عنها الأفعالُ بِسُهُولَةٍ وَيُسَّرُ من غير حاجةٍ إلى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ، فَإِنْ كان الصَّادِرُ عنها الأفعالُ

إن حياة الأمة وقوتها تكمن في الالتزام بالأخلاق الحميدة المُستَمَدَّة من الدين الإسلامي الحنيف، وفَهْم أهمية الأخلاق وترسيخها في كافة جوانب ومجالات الحياة هو الطريق إلى الطريق الصحيح والسلوك القويم في جميع معاملاتنا، ويتعلق الأمر بالإيمان والعبادة والمؤسسات الإسلامية، سواء في المجال السياسي أو المجال الاقتصادي أو المجال الأسري، مما يدل على كمال ديننا الإسلامي وشموله في كل مجال.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة البحث في عدة نقاط:

١. ما هي الأساسيات التي تقوم عليها الأخلاق في منظور السنة النبوية؟
٢. ما هي أبرز الصور التطبيقية للإدارة في عهد النبي ﷺ؟
٣. ما هي الأساليب القيادية الإدارية في ضوء السنة النبوية؟
٤. ما دور الأخلاق في تأسيس الإدارة والقيادة الناجحة؟
٥. ما المراد بالأخلاق والإدارة العامة؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى:

١. توضيح الأسس الأخلاقية التي يجب أن تحكم القرارات والأفعال في الإدارة.
٢. إحياء سُنَّة من إحدى سُنن النبي ﷺ.
٣. ضرورة التحلي بالأخلاق الإسلامية في الأمور الإدارية.
٤. أن القيم الإسلامية تُشجع على الاهتمام بالمصلحة العامة والمشاركة في تحقيق الخير والعدل في المجتمع.

أهداف البحث:

١. تَنْشُر الثقافة الأخلاقية والإدارية النبوية الصحيحة.
٢. توضيح الأسس التي تقوم عليها الإدارة العامة.
٣. بيان دور الأخلاق في الإدارة وتأسيسها.
٤. بيان لُطُرُق تعامل النبي ﷺ المواقف الإدارية.

الدراسات السابقة:

١. «أخلاقيات مهنة الإدارة التربوية عند المسلمين - دراسة مكتبية»، د/ حسين بن علي محسن الفريدي، كلية التربية، كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم وإدارة البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)، المجلد الخامس والثلاثون - العدد الثاني عشر - جزء ثاني - ديسمبر ٢٠١٩م. تناول الباحث في هذه الدراسة المكتبية أخلاقيات الإدارة التربوية عند المسلمين؛ لتحديد ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي في عُرْف المهنة، كما استعرض مفهوم أخلاقيات المهنة، مع التركيز على أخلاقيات المهنة في الإدارة التربوية عند المسلمين.

٢. «الشفافية الإدارية وتطبيقاتها في ضوء السنة النبوية - دراسة تأصيلية»، للباحثة/ فائزة زيد السبيبة، د/ علي إبراهيم عجين، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية،

(١) (مفردات ألفاظ القرآن الكريم) للراغب الأصفهاني (ص: ٢٩٧).

(٢) ينظر: (القاموس المحيط) للفيروز آبادي (ص: ٨٨١)، (لسان العرب) لابن منظور (٨٦/١٠)، (تاج العروس) للزبيدي (٢٥/ ٢٥٧).

الْحَسَنَةُ كَانَتْ هَيْئَةً خُلُقًا حَسَنًا، وَإِنْ كَانَ الصَّادِرُ مِنْهَا الْأَفْعَالُ الْقَبِيحَةَ سَمِيَتْ هَيْئَةً الَّتِي هِيَ مَصْدَرُ ذَلِكَ خُلُقًا سَيِّئًا^(٣).

وعَرَّفَهُ ابْنُ مَسْكُوِيهٍ بقوله: "الْخُلُقُ: حَالٌ لِلنَّفْسِ دَاعِيَةٌ لَهَا إِلَى أَفْعَالِهَا مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، وَهَذِهِ الْحَالُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا يَكُونُ طَبِيعِيًّا مِنْ أَصْلِ الْمَزَاجِ، كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يُحَرِّكُهُ أَدْنَى شَيْءٍ نَحْوَ غَضَبٍ، وَيَهْيِجُ مِنْ أَقَلِّ سَبَبٍ، وَكَالْإِنْسَانِ الَّذِي يُجْبِئُ مِنْ أَيْسَرِ شَيْءٍ، أَوْ كَالَّذِي يَقْرَعُ مِنْ أَدْنَى صَوْتٍ يَطْرُقُ سَمْعَهُ، أَوْ يَرْتَاغُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ، وَكَالَّذِي يَضْحَكُ ضَحْكًا مُفْرَطًا مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ يَعْجِبُهُ، وَكَالَّذِي يَغْتَمُّ وَيَحْزَنُ مِنْ أَيْسَرِ شَيْءٍ يَنَالُهُ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مُسْتَفَادًا بِالْعَادَةِ وَالتَّدْرِبِ، وَرُبَّمَا كَانَ مَبْدُوهً بِالرَّوِيَّةِ وَالفِكْرِ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، حَتَّى يَصِيرَ مَلَكَةً وَخُلُقًا"^(٤).

وقال السيوطي: "الْخُلُقُ: مَلَكَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ النَّفْسَانِيَّةُ بِسَهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْقُوَى الْمُدْرِكَةِ بِالْبَصِيرَةِ، وَتُجْعَلُ تَارَةً لِلْقُوَى الْغَرِيزِيَّةِ، وَتَارَةً لِلْحَالَةِ الْمُكْتَسِبَةِ الَّتِي بِهَا يَصِيرُ الْإِنْسَانُ خَلِيقًا أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ"^(٥).

وقيل: "الْخُلُقُ صِفَةٌ مُسْتَوْرَةٌ فِي النَّفْسِ -فَطَرِيَّةٌ أَوْ مُكْتَسِبَةٌ-، ذَاتُ آثَارٍ فِي السُّلُوكِ مَحْمُودَةٍ أَوْ مَذْمُومَةٍ"^(٦).

وقد عَرَّفَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْأَخْلَاقَ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ: "مَجْمُوعَةِ الْمَبَادِي وَالْقَوَاعِدِ الْمُنَظَّمَةِ لِلسُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ، الَّتِي يُحَدِّدُهَا الْوَحْيُ؛ لِتَنْظِيمِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَتَحْدِيدِ عِلَاقَتِهِ بِغَيْرِهِ عَلَى نَحْوِ يُحَقِّقُ الْغَايَةَ مِنْ وُجُودِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ"^(٧).

وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ كَعِلْمٍ؛ فَقَدْ عَرِّفَتْ بَعْدَهُ تَعْرِيفَاتٍ، مِنْهَا:

١. هُوَ "عِلْمٌ: مَوْضُوعُهُ أَحْكَامٌ قِيَمِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَوْصَفُ بِالْحُسْنِ أَوِ الْقُبْحِ"^(٨).

٢. وقيل هو: "عِلْمٌ: يَوْضِحُ مَعْنَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَيُبَيِّنُ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ مُعَامَلَةُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْرُحُ الْغَايَةَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيُذِيرُ السَّبِيلَ لِمَا يَنْبَغِي"^(٩).

ثَانِيًا: الْأُسُسُ الْأَخْلَاقِيَّةُ فِي ضَوْءِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ:

من أهم تلك الأسس التي تقوم عليها الأخلاق في السنة النبوية:

١. **الأساس الاعتقادي:** ويقوم على ثلاثة أركان: الإيمان بوجود الله، والإيمان بأن الحق -عزَّ شأنه- خلق الإنسان، وعرفه بنفسه، وبأن له طريق الخير وطريق الشر من خلال الرُّسل -عليهم الصلاة والسلام-، والإيمان بالحياة الآخرة،

وبأنه سيُحاسَب فيها على ما قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. والإيمان أساسٌ مهمٌّ مِنْ أُسُسِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ فَهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإيمان والسلوك الأخلاقي^(١٠).

٢. **الأساس الواقعي العلمي:** أما بالنسبة للأساس الواقعي، فالأخلاق تحافظ على حياة الفرد، وتجعلها مستمرة دون مواجهة أي عثراتٍ، والأخلاق لا تتعارض مع الطبيعة ولا تُنافيها؛ بل تتناسق وتتكامل معها، والقوانين الأخلاقية واقعيةٌ ثابتةٌ مستمرةٌ كقوانين الطبيعة، ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن الإسلام وَضَعَ لِلْإِنْسَانِ إِطَارًا أَخْلَاقِيًّا عَلَى ضَوْءِ مَعْرِفَتِهِ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّهَا مُكوْنَةٌ مِنْ رُوحٍ وَمَادَّةٍ، وَأَنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ السَّعِيدَةِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَلْبِيَةِ حَاجَاتِهِ الْمَادِيَةِ وَالرُّوحِيَّةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، حَتَّى لَا يَكُونَ أَسِيرًا لِلْمَادَةِ وَنَوَازِعِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

أما بالنسبة للأساس العلمي للأخلاقيات، فإن الإسلام قد حَدَّدَ لِلْإِنْسَانِ إِطَارًا أَخْلَاقِيًّا عَلَى أُسُسِ تَصَوُّرِهِ لِلْكَوْنِ وَالْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ، فَهُوَ يُرَبِّي الْمُسْلِمَ تَرْبِيَةً عَقْلِيَّةً تَسْتَمِدُّ أَهْدَافَهَا مِنْ قِيَمِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِّ، وَتَهْدَفُ إِلَى تَوْجِيهِ طَاقَاتِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالسَّعْيِ وَرَاءَ الْحَقِيقَةِ^(١١).

الالتزام: يُعْتَبَرُ الْإِلْتِمَازُ مِنْ أَهَمِّ الْأُسُسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا النِّظَامُ الْأَخْلَاقِي فِي الْإِسْلَامِ، وَمَعْنَاهُ: التَّعَهُُّدُ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي مَوَاجَهَةِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى كَوْنِ الْإِنْسَانِ مُكَلَّفًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَلَهُ أَمَانَةٌ وَرِسَالَةٌ، وَلَهُ حُرِيَّةُ الْإِرَادَةِ الَّتِي تَحْكُمُ عَمَلَهُ، وَتَكُونُ مَنَاطُ الْجَزَاءِ؛ لِذَا كَانَ الْإِلْتِمَازُ الْأَخْلَاقِي أَمْرًا مُرَكَّبًا مِنْ مَعَالِمِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ، وَمِنْ مَسْتَلْزِمَاتِ الْإِلْتِمَازِ جَرُوسُ الْمُسْلِمِ عَلَى طَيْبِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ، وَتَغْذِيَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ^(١٢)، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(١٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(١٤)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْنَتْ أَغْزَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَتَى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»^(١٥).

٣. **المسؤولية:** لا يمكن أن يكون المرء صاحب خُلُقٍ فاضلٍ ما لم يتكون عنده شعورٌ بالمسؤولية؛ لذا كان الشعور بالمسؤولية الأخلاقية أساسًا من أُسُسِ الْأَخْلَاقِ، وَتَعْنِي

(١٠) (الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي) د.

مصباح منصور (ص: ١٩٩٥).

(١١) (الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي) د.

مصباح منصور (ص: ١٩٩٥).

(١٢) المصدر السابق: (ص: ١٩٩٦).

(١٣) (سورة المؤمنون: ٥١).

(١٤) (سورة البقرة: ١٧٢).

(١٥) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب

وتربيتها: (١٠١٥/٨٥/٣) ح ١٠١٥.

(٣) (التعريفات) الجرجاني (ص: ١٠١). وينظر: (إحياء علوم الدين) للغزالي (٣/٥٣).

(٤) (تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه (ص: ٤١).

(٥) (معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم) للسيوطي (ص: ١٩٧).

(٦) (الأخلاق الإسلامية وأسسها) لعبد الرحمن بن حسن حبينة (ص: ١٠).

(٧) (التربية الأخلاقية الإسلامية) لمقداد يالچين (ص: ٧٥) كما في

(نصرة النعيم) لمجموعة باحثين (ص: ٢٢).

(٨) (المعجم الوسيط) لمجموعة مؤلفين (٢٥٢/١).

(٩) (كتاب الأخلاق) لأحمد أمين (ص: ٨).

تحديد مفهوم الإدارة، ولم يتوصل العلماء والباحثون بُعداً إلى تعريف محدد للإدارة، وتشمل تعريفاتها الرئيسية ما يلي:

١. هي: خدمة الآخرين، أو أداء الخدمة بشكل عام، وإنجاز الواجب، وهذا العمل يُعدّ نوعاً من الجهد البشري المتعاون الذي يتميز بدرجة عالية من الرشد^(٢٢).

٢. وتعني أيضاً: التطوير والمحافظة على إمكانية المنظمة من أجل تحسين الجودة بشكل مستمر^(٢٣).

٣. وتُعرف أيضاً على أنها: فنُّ أو علمُ التعامل مع البشر، واستقطاب تعاونهم، وتنسيق جهودهم لتحقيق أهداف معينة^(٢٤).

٤. وهي أيضاً: عملية اتخاذ القرارات وفقاً لمنهج معين لحلّ المشكلات التي تعترض المنظمة، ومن ثمّ تحقيق أهدافها^(٢٥).

٥. وهي: فنُّ تنفيذ الأشياء من خلال الآخرين^(٢٦).

٦. وهي: التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة على جهود كل الأفراد، وكذلك استخدام الموارد الأخرى لتحقيق الأهداف التنظيمية^(٢٧).

٧. كما عرّفت الإدارة أيضاً بأنها: مجموعة الأنشطة التي تُمكن من إنجاز الأعمال من خلال الآخرين، وتحقيق أهداف المنظمة بكفاءة وفعالية^(٢٨).

وبالنظر إلى هذه التعريفات؛ نستنتج أن المدير الإداري بالتالي هو المسؤول عن تنفيذ جميع الأحداث والأنشطة المتعلقة بهذه العملية، وفي حالة عدم قدرة المدير على الإشراف الفعال على تنفيذ نشاط ما فإنه يُكلف أحد مرؤوسيه بمساعدته في القيام بهذا النشاط، وتُعتبر القوة البشرية من أهم العناصر في الإدارة، وتُمثل عنصراً أساسياً في استخدام عناصر الإدارة الأخرى، وتجدر الإشارة إلى أن التعريفات التي تقدّم ذكرها تركز على المحاور الرئيسية للإدارة، والتي بموجبها هي عبارة عن مُنظمة، عملية تهدف إلى تحقيق أهداف مُحددة؛ من خلال سلسلة من الوظائف، باستخدام الموارد المتاحة لتحقيق الهدف؛ بأقل تكلفة وجهد وخسائر.

ثانياً: أسس الإدارة العامة:

من خلال الاطلاع على كُتُب المتخصصين في علم الإدارة؛ تبين أن الأسس العامة التي تُشكل أساس الإدارة هي:

١. **التخطيط:** وهو يعني عملية إعداد القدرات للقيام بعمل ما في المستقبل لتحقيق أهداف مُعينة بوسائل ذات فعالية عالية، والتخطيط عملية رشيدة وسيلة لاتخاذ القرارات^(٢٩). وهو كذلك الوسيلة التي يوجه التنظيم بواسطتها من الحاضر إلى المستقبل؛ بهدف إنجاز مهمة أو غاية محددة، والتخطيط

المسؤولية هنا إقرار المرء بما يصنّف عنه من أفعال، وباستعداده لتحمل نتائج التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية؛ أمام الله، ثم أمام ضميره وأمام المجتمع.

ومن الشروط الأساسية للمسؤولية الطابع الشخصي (أو المسؤولية الفردية) بمعنى أن الفرد يتحمل مسؤولية عمله. والمسؤولية الفردية لها مجالان: الداخلي، والخارجي: أما المجال الداخلي، فهو مسؤولية الفرد عن قصده وإرادته ونواياه^(٣٠)، قال تعالى: ﴿وَأِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣١). وأما المجال الخارجي، فهو السلوك المحسوس من قول أو فعل؛ شريطة أن يحدث ذلك عن قصد واختيار، كما قال تعالى: ﴿لَا يُوَافِقُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَافِقُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْإِيمَانَ﴾^(٣٢).

ومن المهم التأكيد على أن المسؤولية الفردية لا تنفي المسؤولية الجماعية، بل تندمج فيها؛ إذ أن الجماعة هي مجموعة من الأفراد، وهي المسؤولة عن الانحرافات في سلوك الأفراد وتصحيحها بكافة الوسائل المشروعة، فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(٣٣).

ومما لا ريب فيه أن الشريعة الإسلامية تدّعم التزام الفرد بالمبادئ الأخلاقية التي حدّدها الدين الإسلامي من خلال تقاريرها المجموعة من النواهي والعقوبات الأخروية والدينية لكل من يخرج عن هذه المبادئ. المطلب الثاني: تعريف الإدارة العامة وأسس الإدارة العامة.

أولاً: تعريف الإدارة العامة:

الإدارة لغة: إدارة -وزان إفعال- من الدَّور والدَّوران، بمعنى الطواف حول الشيء أو التحرك من شيء والعود ثانياً إليه، يقال: دار الشيء يدور دوراً ودوراناً، إذا طَافَ حول الشيء، أو تحرك وعاد إلى الموضع الذي ابتداء منه^(٣٤).

وقد تأتت الإدارة بمعنى تمشية أمر الشيء؛ كإدارة التجارة، بمعنى تعاطيها وتداولها، وإدارة الرأي بمعنى إجالته^(٣٥).

الإدارة اصطلاحاً: لقد تعدّدت تعريفات الإدارة، وتنوعت باختلاف الأشخاص والظروف ومراحل تطوّر الفكر الإنساني، وكذلك تبعاً للمهام والمسؤوليات والأنشطة التي تقوم بها المنظمات، كما لعب عامل الوقت دوراً هاماً في

(٢٢) (الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي) د.

مصباح منصور (ص: ١٩٩٧، ١٩٩٨).

(٢٣) (سورة البقرة: ٢٣٤).

(٢٤) (سورة المائدة: ٨٩).

(٢٥) (جامع الترمذي: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (٤١/٤) ح/٢١٦٩).

(٢٦) ينظر: لسان العرب (٤/٤٣٨)، المصباح المنير (١/٢٠٢)،

المعجم الوسيط (١/٣٠٢).

(٢٧) المفردات (ص: ٣٢٢)، وانظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٥٤).

(٢٨) الإدارة الأسس والنظريات (ص: ١٥).

(٢٩) مفاهيم إدارية معاصرة (ص: ٢١).

(٣٠) أساسيات الإدارة (ص ٣ - ٨).

(٣١) المصدر السابق (ص ٣ - ٨).

(٣٢) أساسيات التنظيم والإدارة (ص: ١١).

(٣٣) المصدر السابق (ص: ٢١).

(٣٤) انظر: الإدارة المبادئ والمهارات (ص: ٨).

(٣٥) الإدارة الأسس والنظريات (ص: ٨٥).

٦. تبادل الوثائق: وهي عملية تبادل البريد والمراسلات والمذكرات والكتب الرسمية والوثائق، مع بيان قنوات سيرها من أعلى إلى أسفل والعكس^(٣٦).

٧. التمويل (النشاط المالي): وهو متابعة كل ما يتعلق بالأمور المالية للمنظمة والعاملين فيها، وهي تتطلب الحرص والدقة والأمانة والمتابعة^(٣٧).

المبحث الثاني:

المنهج النبوي في تأسيس الأساليب القيادية وتطبيقها

المطلب الأول: أساليب القيادة الإدارية في عهد النبي ﷺ.

١. الرفق ونَبَذَ العنف: مثاله: عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٣٨).

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في الرفق، ومن ذلك: ما ورد عن عائشة رضي الله عنها: قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: «وَعَلَيْكُمْ»^(٣٩).

إن الرفق له أهمية وقيمة في التخطيط وتحديد الأهداف واتخاذ القرار في العمل الإداري، حيث إنه من العناصر الأساسية لكل قائد إداري لحكمته وحمايته من الأخطاء.

عن عبد الرحمن بن شماس قال: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِمَّا الْبُعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبُعِيرُ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدُ وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أَخْبَرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(٤٠).

٢. التجاوز عن المُفسر: مثاله: عن أبي هريرة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَأَدَا رَأْيَ مُفسِرٍ قَالَ لِغِيَاثِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْهُ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٤١).

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يدعو إلى الأخلاق الفاضلة، والشيم النبيلة، والصفات الحميدة، والأفعال الكريمة، ومنها: حَتُّ المسلم أن يكون مُباركًا أينما كان؛ ينتفع المسلمون بما لديه من الخير، سواء كان عِلْمًا أو جَاهًا أو

الناجح يؤدي إلى إخراج خطة ناجحة، والخطة هي الوسيلة التي يُترجم القرار بواسطتها إلى عمل، ويجب أن تكون بسيطة وسهلة وشاملة، ويجب أن تُوفّر مفهومًا يجب على القادة الإداريين أن يُدركوه^(٤٢).

٢. التوظيف: هو عملية إدارة وتدريب وتعيين وتنظيم وتوجيه العاملين وكل ما يتعلق بشؤونهم، وهذا الأساس يندرج تحته وظيفة هامة من وظائف الإدارة تسمى (إدارة الأفراد)، وهي تُركز على العنصر البشري الذي يُعتبر هو الأساس في نجاح أو فشل أي منظمة؛ مهما كان حجمها؛ لذا فإن العنصر البشري الذي يتوقع منه أن يكون سببًا في نجاح أي منظمة هو العنصر المُدرَّب الكفء القادر على أداء عمله والقيام بواجبه على أكمل وجه، والعنصر البشري المُدرَّب يُعتبر أتمن عناصر الإدارة وأكثرها تأثيرًا في الإنتاجية، ويزداد دورُه أو يعمق ويصبح أكثر تأثيرًا مع ازدياد تطور نُظم الحياة^(٤٣).

٣. التنظيم: هو ترتيب عمل كل الوسائل المتاحة من أجل تحقيق الأهداف والغايات، وهو يتضمن وضع نظام وترتيب معين للعلاقات بين أعضاء المنظمة ككل، من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، ويُعرف التنظيم كعملية إدارية بأنه تجميع المهام أو الأنشطة المراد القيام بها في وظائف أو أقسام أو مديريات وتحديد السلطات والصلاحيات، والتنسيق بين أنشطة هذه الوحدات، من أجل تحقيق الأهداف وتخفيض النزاعات والصراعات بينها^(٤٤).

لذا فإنه يتضح لنا أن التنظيم هو أساس هَامٌّ من أسس الإدارة ووظيفة ضرورية وحساسة يقوم بها المدير، ويتحدد بموجبها الإطار الذي تتبلور فيه جهود القوى البشرية لتحقيق الأهداف والغايات المراد تحقيقها، وتهدف هذه الوظيفة إلى تحقيق العمل الجماعي بين الأفراد العاملين؛ من خلال تنظيم العلاقات فيما بينهم، والتنظيم الإداري يتخذ شكلين أو نمطين هما: التنظيم الرسمي، والتنظيم غير الرسمي^(٤٥).

٤. التنسيق: وهو عملية توفيق وترتيب نشاطات العاملين بطريقة منظمة، ووفق خطة مرسومة وليس عشوائيًا، تُحدّد من خلالها الحقوق والواجبات للجميع^(٤٦).

٥. التوجيه: وهو عملية إصدار الأوامر المناسبة من قبل المدير لتحقيق المهمة، مع متابعة تنفيذها على الوجه المطلوب، وهو يعني أيضًا: إرشاد المرؤوسين أثناء تنفيذهم للأعمال ضمانًا للالتزام بتحقيق الأهداف بأقل الجهود والتكاليف^(٤٧).

(٣٨) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق:

(٢٢/٨) ح (٢٥٩٣).

(٣٩) صحيح البخاري: كتاب استئابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي ولم يصرح: (١٦/٩) ح (٦٩٢٧).

(٤٠) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر: (٧/٦) ح (١٨٢٨).

(٤١) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب من أنظر مُعسرًا (٥٨/٣) ح (٢٠٧٨).

(٣٠) المصدر السابق (ص: ٨٥).

(٣١) أساسيات التنظيم والإدارة (ص: ١٥).

(٣٢) المصدر السابق (ص: ١٠٢).

(٣٣) المصدر السابق (ص: ١٠٣).

(٣٤) الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي (ص: ١٩٨٤).

(٣٥) الإدارة الأسس والنظريات (ص: ٨٤).

(٣٦) المصدر السابق (ص: ١٩٨٤).

(٣٧) الإدارة المبادئ والمهارات (ص: ٢٧).

الصادق، صاحب الاستقامة، المتمتع بالخلق القويم، وسعة العلم، والجدارة، والنزاهة، ولم يكن يولي أحداً إلا بعد استيقانه من توافر هذه الصفات فيه^(٥١).

٨. **القيادة الشورية:** طَبَّقَ النَّبِيُّ ﷺ الأسلوب الاستشاري في قيادة الدولة، حيث كان يشاور أصحابه من أهل الرأي والحكمة وأصحاب العقل والعلم، ويأخذ برأيهم في كثير من الأمور، فقد شاور أصحابه في أسرى بدر، وأخذ برأي أبي بكرٍ بافتداء الأسرى، وكذلك استجاب لرأي الأكرثية من الصحابة في الخروج يوم أحد، وأخذ ﷺ برأي سعد بن معاذ وسعد بن عباد^(٥٢).

٩. **تقسيم العمل:** إن تقسيم العمل وتخصيص الواجبات وتحديد المسؤوليات هو عمل إداري ناضج متطور؛ لأنه بغير ذلك تَدَبُّبُ الفوضى في أوصال الجهاز الإداري؛ فعندها لا يعود أحدٌ يعرف واجبه ومسؤولياته؛ مما ينعكس سلباً على الأداء والإنتاج، ورسولنا الكريم ﷺ كان يُخصص الواجبات، ويُقسم العمل على أصحابه؛ ليقوم كل واحدٍ منهم بواجبه خير قيام.

ومن أمثله ذلك هو: كُتِّبَ الوحي، الذين كان عددهم حوالي (٤٢) كاتباً، وكان كل واحدٍ منهم له عملٌ مختلفٌ عن الآخر يُؤديه ويقوم به^(٥٣).

١٠. **طاعة الرئيس واحترامه:** عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلْ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسَهُ زَبِيَّةً»^(٥٤).

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في الإدارة في عهد النبي ﷺ.

لقد مهَّدَ النبي ﷺ بهجرته إلى المدينة المنورة الطريق لإقامة وبناء الدولة الإسلامية بشكلٍ فعليٍّ، والبدء بتنفيذ الخطوات الرئيسية لإقامتها، وبما أن الدول لا تقوم ولا تُبنى إلا بشروطٍ واضحةٍ ومحددةٍ، فقد أدرك ﷺ أن إقامتها في مكة أمرٌ مستحيلٌ؛ لذا كان لا بُدَّ من البحث عن مكانٍ آمنٍ، فاختر له الله ﷻ الهجرة إلى (طيبة الطيبة)؛ لتكون نقطة البدء في انتشار الإسلام وإقامة كيانه العزيز.

إن الأسلوب والطريقة التي استخدمها النبي ﷺ في بناء الدولة تدل على القيادة الإدارية الناجحة الذكية؛ فقد استخدم ﷺ أسلوباً مَبْنِياً على التسلسل المنطقي والتدرُّج في البناء؛ ليحظى بالقبول والدعم، ولا يكون محل استهجانٍ واستغرابٍ ونفورٍ، وما الخطوات العملية التي قام بها ﷺ: كبناء المسجد، والمواخاة وإعلان الدستور، إلخ؛ إلا تنفيذٌ لمخططٍ إداريٍّ عظيمٍ مبنيٍّ على أسس ووظائف الإدارة كلها؛ من تخطيط،

مألاً، فيعلمهم من علمه، ويشفع لهم بجاهه، ويبدل لهم نفسه، فيقضي حوائجهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومن ذلك: إعانتهم بالمال: كالصدقة عليهم، وإقراضهم إلى أجلٍ مع التَّوَسُّعِ عليهم، وإمهال من يكون مُعْسِراً منهم^(٥٥)، وفي ذلك: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْتِراً سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَحِيهِ»^(٥٦).

وهذه المعاملة الطيبة في أي عملٍ من الأعمال إدارية أو غير الإدارية، يُحبها الله ﷻ، ويُكرم صاحبها، فَمَنْ تَسَامَحَ سَامَحَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَعْطَى مِمَّا عِنْدَهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ، وَمَنْ تَفَضَّلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٥٧).

٣. **التسامح في البيع والشراء:** مثاله: عن جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا، سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(٥٨).

٤. **الشعور بالمسؤولية وأهميتها:** حَدَّدَتِ السُّنَّةُ النبوية مسؤولية القائد والمدير، وَبَيَّنَّتْ أهمية هذه المسؤولية، وقيمتها الدنيوية والأخروية، وبأنها مناط الحساب والسؤال من قِبَلِ اللَّهِ ﷻ^(٥٩). عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٦٠).

٥. **الإخلاص في العمل وإتقانه:** حيث قال النبي ﷺ: «مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٦١).

٦. **الأمانة:** فِيهِ خُلِقَ عَظِيمٌ، وتطبيقه في مجال الإدارة أعظم؛ لأن الشخص الأمين الصادق هو عَوْنٌ للمؤسسة أو المنظمة، وهو رافعٌ من روافد العمل الإداري الناجح، ويُدخل في نفس الرئيس الطمأنينة من ناحية مَرُوسِهِ الأمين^(٦٢)، وفي هذا قال النبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٦٣).

٧. **الكفاءة:** والإسلام لم يَغْفَلْ عن مبدأ الكفاءة، بل إنه سبق الأنظمة الإدارية الحديثة إليه؛ حيث كان ﷺ يستخدم ويختار القويَّ الأمين الشجاع الذي يخاف الله وَيَتَّقِيهِ، العادل،

(٥٨) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي من غشنا فليس منا: (١٠١/٦٩).

(٥٩) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص: ٣١١، ٣١٠).

(٥٠) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: (٢٧/٨ ح: ٨).

(٥١) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص: ٣١١).

(٥٢) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص: ٣١١).

(٥٣) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص: ٣١٢).

(٥٤) صحيح البخاري: كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: (٦٢/٩ ح: ٧١٤٢).

(٥٥) الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي (ص: ٢٠٢٤).

(٥٦) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: (٧١/٨ ح: ٢٦٩٩).

(٥٧) المصدر السابق: (ص: ٢٠٢٥).

(٥٨) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع: (٥٧/٣ ح: ٢٠٧٦).

(٥٩) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص: ٣١٠، ٣٠٩).

(٦٠) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن: (٥/٢ ح: ٨٩٣).

وتسامي على كل الروابط إلا رابطة العقيدة التي ألقت بين الأبيض والأسود، وبين العربي والعجمي؛ فكانت هي الأساس في الترابط^(٦٠).

الخطوة الثالثة: إصدار الوثيقة الدستورية: الوثيقة التي أصدرها رسول الله ﷺ بين المسلمين ويهود المجتمع المدني: سمّاها بعضُ المفكرين والمؤرخين (الدستور الأول)^(٦١)؛ حيث لا يمكن أن تُتصور دولة بلا دستور؛ فهي نظرة ثاقبة، وخطوة عظيمة لتحديد معالم النظام السياسي الجديد؛ هذا الدستور تُظَمُّ العلاقة بين المسلمين ومن خالفهم في العقيدة، ولقد تبوّأ الرسول ﷺ بهذه الوثيقة مكانة متميزة عند جميع من كان يعيش في مجتمعه كزعيم سياسي ومرجع لكل سكان المدينة المنورة، وبالرغم من وجود الدستور حينئذٍ؛ إلا أن الرسول ﷺ كان لا ينفرد برأيه وحده، بل كان يشاور أصحابه في معظم الأمور^(٦٢)؛ امتثالاً لقوله تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ}^(٦٣)، وكذلك: نُظِّمَت الوثيقة أمور القضاء والسلطة القضائية، وكيفية حلّ الخلافات والمنازعات؛ وذلك طاعة للرسول ﷺ، وامتثالاً لأمر الله بطاعة رسوله وأولي الأمر، وهذا جزءٌ من نصّ الوثيقة النبوية: (بسم الله الرحمن الرحيم، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحَقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَقْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ، وَيَبْنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ ذَكَرَ كُلَّ بَطْنٍ مِنْ بَطْنِ الْأَنْصَارِ وَأَهْلِ كُلِّ دَارٍ بَنِي سَاعِدَةَ، وَبَنِي جُشَمَ، وَبَنِي النَّجَارِ، وَبَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَبَنِي النَّبِيتِ).

إلى أن قال: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ وَعَقْلٍ، وَلَا يَخَالِفُ مُؤْمِنٌ مُؤْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظَلَمَ أَوْ إِثْمًا أَوْ عُذْوَانًا أَوْ فِسَادًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعُهُمْ، وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ، وَإِنْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ...»^(٦٤).

من خلال النظر في الوثيقة: نلاحظ أن أهم البنود الإدارية والسياسية التي احتوتها هي^(٦٥):

١. أن المسلمين وكلّ من لحق بهم أمة واحدة.
٢. أن المسلمين بعضهم موالى بعض من دون الناس.
٣. أن المسلمين كلهم يدّ على من بَغَى ولو كان ولد أحدهم.
٤. أنه من تبعنا من اليهود له النصر والأسوة؛ غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

وتنظيم، وتوظيف، وتنسيق، إلخ، وقد تجلّت وظهرت هذه الوظائف في كافة مراحل بناء الدولة، وسنرى ذلك بوضوح من خلال استعراضنا لما قام به ﷺ من إجراءات وخطوات^(٥٥).

الخطوة الأولى: بناء المسجد: أدرك النبي ﷺ -بتأقّب بصيرته- أهمية بناء المؤسسات السياسية والإدارية والاجتماعية والمالية وغيرها في بناء الدولة، فسعى لتأسيس المسجد كمكان للعبادة، (أولاً) لترسيخ وتقوية جذور هذا الدين الجديد في نفوس الناس، و(ثانياً) ليكون ذلك بمثابة جامعة للعلوم المختلفة؛ يهلون منها معارفهم وعلومهم عن دينهم ولغتهم، ويستمعون فيه محاضرات معلمهم وأستاذهم الأول ﷺ، إضافة إلى استخدامه كمقرٍّ ومركزٍ لحكومته، وبرلمانٍ للتشاور في شؤون المسلمين العامة، واستخدامه كمقرٍّ لقيادة الجيش الإسلامي؛ تُعقد فيه أُلوية الجهاد، وترسل منه البعث والجيوش، وكذلك كان داراً للقضاء، ونزلاً لاستقبال الوفود والرسل القادمين إلى النبي ﷺ^(٥٦).

لقد كان المسجد خطوة هامة من خطوات بناء المجتمع الجديد ينصهر فيها جميع المؤمنين في بوتقة الإسلام، لا فرق بينهم إلا بالتقوى، لقد لعب المسجد دوراً سياسياً وإدارياً ودينياً كبيراً يدل على أهميته رسالته ودورها في بناء الأمة، وهذا ما تحتاج إليه أمتنا في حاضرها، وهو تفعيل دور المسجد كجامعة ومدرسة وأداة للنهوض بالأمة من كبوتها^(٥٧).

الخطوة الثانية: المواخاة: إن التآلف الاجتماعي ضرورة لا غنى عنها؛ لإقامة المجتمعات الخالية من الأحقاد والأضغان والتناحر والفرقة، ولا يكون ذلك إلا بصهر أعضاء المجتمع كلهم في بوتقة فكرية واحدة، وتلاقيهم على هدفٍ واحدٍ وغايةٍ ساميةٍ مشتركة، وهذا ما أدركه ﷺ كأساس لبناء المجتمع الجديد؛ فعند ﷺ لأسلوب التآخي بين جميع أفراد المجتمع من قادمين جدد مهاجرين وبين أصحاب الأرض الأنصار^(٥٨).

عن عبد الرحمن بن عوف بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَاخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، وَقَالَ: هَذَا أَخِي»^(٥٩).

ولقد كان لنظام التآخي فوائدٌ جمة ساهمت في بناء وتقوية أركان الدولة الجديدة، حيث يرى كثيرٌ من الباحثين والمؤرخين أن هذا النظام انطوى على فوائد دينية واقتصادية وسياسية وروحية وفكرية، إضافة إلى فائدته الاجتماعية العظيمة، حيث شكّل هذا النظام تعويضاً للمهاجرين عما فقدوه من أموالٍ ومساكنٍ وأزواج، فقد اقتسموا هم وإخوانهم من الأنصار الأملاك والأموال، بل حتى الزوجات، وفي ذلك أيضاً: إثارة وتغالي على الذات،

(٦١) انظر: نص الوثيقة في: محاضرات في التاريخ العربي: (ص ٩٧ - ١٠١).

(٦٢) الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي: (ص ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠).

(٦٣) (سورة الشورى: ٣٨).

(٦٤) السيرة النبوية لابن كثير: (٣٢١/٢).

(٦٥) المصدر السابق: (ص ٢٠٤٠ - ٢٠٤١).

(٥٥) أساسيات في القيادة والإدارة: (ص ٣٢٠).

(٥٦) الرحيق المختوم: (١٤٣/١).

(٥٧) المصدر السابق: (ص ٣٢١).

(٥٨) المصدر السابق: (ص ٣٢٢).

(٥٩) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١١١/١٣).

(٦٠) المصدر السابق: (ص ٢٠٣٩).

٤. كل القوانين الأخلاقية واقعية ثابتة مستمرة، كقوانين الطبيعة، وأن الإسلام وَضَعَ للإنسان إطاراً أخلاقياً على ضوء معرفته بالطبيعة الإنسانية، وأنها مكونة من رُوح ومادة، وأن حياة الإنسان السعيدة لا تتحقق إلا بتلبية حاجاته المادية والروحية على حدٍ سواء.

٥. أَمَرَ النبي ﷺ بطاعة الرئيس واحترامه.

٦. حَدَّدَت السنة النبوية مسؤولية القائد والمدير، وَبَيَّنَت أهمية هذه المسؤولية وقيمتها الدنيوية والأخروية، وبأنها مناط الحساب والسؤال من قِبل الله ﷻ.

٧. لم يَغفل الإسلام عن مبدأ الكفاءة، بل إنه سَبَق الأنظمة الإدارية الحديثة إليه؛ حيث كان ﷺ يستخدم ويختار القويَّ الأمينَ الشجاعَ الذي يخاف الله ويتقيه، العادل، الصادق، صاحب الاستقامة، المُمْتَنِع بالخُلُق القويم، وسعة العلم، والجدارة، والنزاهة، ولم يكن يُؤلي أحداً إلا بعد استيفائه من توافر هذه الصفات فيه.

٨. طَبَّقَ النبي ﷺ الأسلوبَ الاستشاريَّ في قيادة الدولة، حيث كان يشاور أصحابه من أهل الرأي والحكمة وأصحاب العقل والعلم، ويأخذ برأيهم في كثيرٍ من الأمور.

٩. بُعِثَ التنظيمُ كعمليةٍ إداريةٍ بأنه تَجْمِيع المهام أو الأنشطة المراد القيام بها في وظائف أو أقسام أو مديريات، وتحديد السلطات والصلاحيات، والتنسيق بين أنشطة هذه الوحدات؛ من أجل تحقيق الأهداف وتخفيض الصراعات بينها.

١٠. أن المسلمين وكلُّ مَنْ لَجَّ بهم أمةٌ واحدة، وبعضهم موالي بعضٍ من دون الناس، وكلهم يدُّ على من بغى، ولو كان ولد أحدهم، وأنه مَنْ تَبِعْنَا من اليهود له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، ولا ينبغي لمُشْرِكٍ أن يُجْبِر مَالاً أو نَفْساً لقريش، ولا ينصر قريشاً على مسلم، وأن أي خلافٍ مَرَدُّه إلى الله ورسوله.

وأما عن توصيات البحث:

١. الاهتمام بتعاليم الإدارة وأساليبها في ضوء السنة النبوية، وإبرازها للمُهمِّتين في هذا المجال للعمل بها، والاستفادة منها.

٢. على الباحثين النظر فيما يجب على الرئيس تجاه المرووس.

٣. العمل على نُشر الأخلاق الحسنة في العمل من التعاون وتبادل الآراء والمشورة فيما بينهم.

المصادر والمراجع

١. ابن حميد، صالح بن عبد الله، مجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط: ٤، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين، لسان العرب، ط: ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٥. لا ينبغي لمُشْرِكٍ أن يُجْبِر مَالاً أو نَفْساً لقريش، ولا ينصر قريشاً على مسلم.

٦. أن أي خلافٍ مَرَدُّه إلى الله ورسوله.

فهذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين، وهي تدل على سعة أفق النبي ﷺ واهتمامه ببناء المجتمع المُنَظَّم الذي تحكمه إدارته الناجحة^(٦٦).

الخطوة الرابعة: تشكيل الجهاز الإداري (الكتاب): لقد عَيَّن الرسول ﷺ مَنْ يرعى شؤون الأمة ويقوم بإدارتها، وهذا ما يُسمى بالتنظيم الإداري الذي سُمِّي سابقاً بـ(الكتابة)، وهي مرحلة متقدمة في بناء الدولة، وبذلك وضع الرسول ﷺ الأسس الأولى لبناء الدولة الإسلامية الجديدة، ونظَّم علاقات الناس فيما بينهم، وجعل منهم أمةً واحدةً؛ عقيدتها واحدة، ودينها واحد، ودستورها القرآن الكريم، تُطِيع أوامر قائدها المُنبِثَّة من وحي الهيِّ؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌّ من عند الله^(٦٧).

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد أنشأ دولة الحضارة الإسلامية، وهو شيء لم تناله العربُ من قبل، ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا بأن القائد وما يتمتع به من صفاتٍ هو علامة الدولة وميزتها الرئيسية، والدولة الجديدة برئاسة القائد العظيم محمد ﷺ كانت سمتها الإشراف والعظمة؛ نظراً لما يتمتع به قائدها من صفاتٍ لم يتمتع بها أحدٌ قبله ولا بعده، ومن الأشياء التي كان لها كبير الأثر في صُنع الدولة الإسلامية الحقُّ الذي ساد في أرجائها، والعدل والمساواة، واحترام حقوق الناس، والابتعاد عن التعصُّب والغلو والتطرف، وغير ذلك من الصفات والمعاني التي اتسمت بها الدولة الإسلامية والفكر السياسي الإسلامي الأول، وهي أيضاً جزءٌ مما نادى به الإسلام كأسسٍ قويةٍ لبناء أي دولةٍ أو نظامٍ سياسيٍّ^(٦٨).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في الختام؛ أودُّ أن أذكر أبرز النتائج التي توصَّلتُ إليها:

١. أن الأخلاق من أهم القيم التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية.
٢. أن الأخلاق مجموعة من المبادئ والقواعد التي تُنظِّم السلوك الإنساني.
٣. أن الإيمان بوجود الله، والإيمان بأن الحق -عزَّ شأنه- خَلَقَ الإنسانَ، وعَرَّفَهُ بنفسه، وَبَيَّنَ له طريقَ الحق وطريقَ الشر؛ من خلال الرُّسُل -عليهم الصلاة والسلام-، والإيمان بالحياة الآخرة، وبأنه سيحاسب فيها على ما قَدَّمَ من خير أو شرٍّ، والإيمان أساسٌ مهمٌّ من أسُس الأخلاق، فهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإيمان والسلوك الأخلاقي.

(٦٨) المصدر السابق: (ص ٢٠٤٢).

(٦٦) المصدر السابق: (ص ٢٠٤١).

(٦٧) انظر القول المبين في سيرة سيد المرسلين: (١/ ١٩٢١).

١٨. العلي، صالح أحمد، محاضرات في التاريخ العربي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥م.

١٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت..

٢٠. الفريدي، حسين بن علي محسن، أخلاقيات مهنة الإدارة التربوية عند المسلمين - دراسة مكتبية، د/، كلية التربية، كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم وإدارة: البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)، المجلد الخامس والثلاثون - العدد الثاني عشر - جزء ثاني - ديسمبر ٢٠١٩م.

٢١. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر، القاموس المحيط، ط: ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٢. الفيومي، أحمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٣. القحطاني، شافي عشق، مصادر الفكر الإداري التربوي عند المسلمين، مجلة كلية التربية (أسيوط)، المجلد السادس والثلاثون- العدد (١١)، نوفمبر ٢٠٢٠م.

٢٤. ماهر، أحمد، الإدارة (المبادئ والمهارات)، مجموعة النيل العربية طباعة نشر توزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٥. مرار، فيصل فخري، الإدارة (الأسس والنظريات والوظائف)، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان - الاردن.

٢٦. مرتضى الزبيدي، محمد بن محند بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ط: ١، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية، ١٩٦٥م.

٢٧. مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب أبو علي، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط: ١، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.

٢٨. مسلم، بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحجاج، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩. مصطفى، إبراهيم، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، ط: ٤، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى)، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٠. منصور، مصباح، الضابط الأخلاقي في العمل الإداري من منظور إسلامي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق - جامعة الأزهر.

٣١. النجاري، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٣٢. يالين، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط: ١، دار علم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

٤. أبو قحف، عبد السلام، أساسيات التنظيم والإدارة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٥. الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، ط: ١، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٦. الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم، معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧. الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، ط: ١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ١٤١٢هـ.

٨. أمين، أحمد، كتاب الأخلاق، دار الكتب المصرية.

٩. البحيري، هشام صبري، أساسيات الإدارة، كلية التجارة - جامعة القاهرة، ٢٠١٠م.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، ط: ١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، ١٤٢٢هـ.

١١. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى، سنن الترمذي (جامع الترمذي)، ط: ٢، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، ط: ١، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣. حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ٢٠١٣م.

١٤. السببية، فايزة زيد، علي إبراهيم عجيبين، الشفافية الإدارية وتطبيقاتها في ضوء السنة النبوية - دراسة تأصيلية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (١١) العدد (٤)، ٢٠١٤م.

١٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط: ١، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.

١٦. الشباب، أحمد محمد، عنان محمد أبو حمور، مفاهيم إدارية معاصرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

١٧. الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله، مسند أحمد بن حنبل، ط: ١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وغيرهما، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Enlarge Provision in the Holy Qur'an, an objective study

Dr. Noura Abdul Aziz Al Mana*

Assistant Professor, Department of Qur'an and Its Sciences, College of Sharia, Qassim University.

E-mail: namm1403@hotmail.com

بسط الرزق في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية..

د. نورة عبد العزيز المانع*

الأستاذ المساعد في قسم القرآن وعلومه كلية الشريعة جامعة القصيم.

KEY WORDS

Enlarge Provision, Enlarge and Rebel, Enlarge and Measuring.

الكلمات المفتاحية

بسط الرزق، البسط والبغي، البسط والتقدير

ABSTRACT

This Research deals with the topic of Enlarge Provision in the Holy Qur'an, an objective study through its occurrence in the Holy Qur'an. The importance of the Research is to highlight the topic of Enlarge Provision in the Holy Qur'an. It aims to study this topic objectively, contributing to highlighting it and benefiting from the same, relying on the inductive approach in tracing this topic in the Holy Qur'an and explaining it, while mentioning an example of the models mentioned in the Holy Qur'an, which is the story of Qarun. One of the most important results was that Enlarge in the language is a broad concept that includes breadth in everything, and that most of what is mentioned in the Holy Qur'an is concerned with extending sustenance and appreciating it.

وفي هذا البحث باذن الله تتم دراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية من خلال حديث القرآن الكريم عنه.

قضية البحث:

تتمثل قضية البحث في إبراز موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم، وبالتالي يسعى هذا البحث للإجابة على الأسئلة الآتية:

- ما العلاقة بين البسط والبغي في

الأرض؟

- ما الأهداف والكفايات الربانية في

بسط الرزق بين العباد وتقديره؟

مستخلص البحث:

هذا البحث يتناول موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم دراسة موضوعية من خلال وروده في القرآن الكريم، وتتمثل أهمية البحث في إبراز موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم. ويهدف إلى دراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية مساهمة في إبرازه والاستفادة منه. معتمدة في ذلك على المنهج الأرسطراطي في تتبع هذا الموضوع في القرآن الكريم وبيانه، مع ذكر نموذج من النماذج الواردة في القرآن الكريم وهي قصة قارون. وقد كان من أهم النتائج: أن البسط في اللغة مفهوم واسع يشمل السعة في كل شيء، وأن أكثر ما ورد في القرآن الكريم يختص ببسط الرزق وتقديره.

مقدمة:

الحمد لله الملك الخلاق، الكريم الرزاق، يبسط يده بالرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، ويمتحنهم بالأموال فيعني ويفقر وهو العزيز الحكيم.

والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الله سبحانه جل شأنه، خلق الخلق وتكفل بهم، وهياً لهم الأسباب التي تعينهم على تدبير شؤون معاشهم، ومعادهم، ولما كان الرزق من مقومات العيش، وقد خلق الله تعالى الإنسان لعبادته وطاعته، فقد ضمن له الرزق في هذه الحياة.

فقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) ومن سنة الله في الخلق التفاوت في الأرزاق بين الناس، وله حكم عظيمة يعلمها الله عز وجل قال تعالى ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٢)

فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره على من يشاء، وبالتأمل في كتاب الله تعالى نجد أن القرآن الكريم تعرض للحديث عن بسط الرزق وتقديره، فبيّن أسبابه، وتعرض للعلاقة بين البسط والبغي في الأرض، والحكمة بين

هدف البحث:

هذا البحث يهدف إلى دراسة:

موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم. دراسة موضوعية. مساهمة في إبراز هذا الموضوع، والاستفادة منه.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١. إبراز موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم، لما له من أهمية في حياة المسلم وارتكاز لعقيدته.
٢. ما احتوى عليه هذا الموضوع من أهداف عظيمة، اتسمت بالدافعية، والشمول، والاتزان.
٣. أن بسط الرزق وتضييقه من عند الله وحده، فلا بد من تقوية الإيمان في هذا الجانب.

الدراسات السابقة:

إن البحوث والدراسات السابقة اهتمت بنواحي أخرى كالدراسات البيانية والبلاغية، وهناك دراسات عامة درست موضوع الرزق على وجه العموم، وأخرى بينت وجود الإعجاز القرآني، ومن أبرز الدراسات السابقة ما يلي:

١. الرزق في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

إعداد/ رنا شباب المطيري

وهي رسالة ماجستير مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في تخصص القرآن الكريم وعلومه، وهي عبارة عن ستة فصول: تناولت في الفصل الأول معنى الرزق ودلالاته وأنواعه، وفي الثاني أساليب القرآن في الحديث عنه، وفي الثالث وجوه الرزق، وفي الرابع أسباب تيسير الرزق، وفي الخامس أسباب حرمان الرزق في القرآن الكريم، وفي السادس الحكمة من تفاوت البشر في الرزق وبيان أحوالهم.

٢. أسباب الرزق من الكتاب والسنة إعداد الأستاذ مسفر بن حامد الشهري وهو بحث منشور في المملكة العربية السعودية للنشر العلمي في العدد الواحد والثلاثون (٢٠٢١) م

وتناول الباحث فيه أبواب الرزق من الكتاب والسنة، مع التأكيد على أن الله سبحانه هو الرازق لجميع خلقه وبيّن لخلق أسباب الرزق وعدد المتمسكين لها بالمزيد من فضله وسعة رزقه.

٣. من أسرار البيان في آيات بسط الرزق وقدره في القرآن إعداد د/ وليد السيد مصطفى فرج وهو بحث محكم في كلية اللغة العربية بأسبوط في العدد الثامن والثلاثون الجزء الرابع (٢٠١٩م)

تناول فيه الباحث وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني، وهو وجه البلاغة المتولدة من تضامن وترابط الآيات ذات

الموضوع الواحد عن ترتيبها حسب ورودها في المصحف، واستنباط الأسرار البلاغية من ذلك، ثم الموازنة بين الآيات للوقوف على مدى ملائمة صياغة وبناء كل آية لسورتها.

حدود البحث:

دراسة موضوع بسط الرزق في القرآن الكريم دراسة موضوعية من خلال دراسة الآيات التي ذكر فيها هذا الموضوع.

منهج البحث

يحدد منهجي في البحث في النقاط الآتية:

١. المنهج الاستقرائي الذي ينمي عمق الدراسة ودقة النتائج حسب ما هو متبع في التفسير الموضوعي.
٢. الاعتماد على المصادر الأساسية الأصلية والحديثة، جامعة في الإفادة بين القديم والحديث.

٣. ترقيم الآيات وضبط حروفها مع عزوها إلى سورها.

٤. تخريج الأحاديث الشريفة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بالعزو إليها، وإن كانت في غيرهما سأخرجها من مصادرها المعتمدة مع ذكر أقوال أهل العلم فيها.

٥. توضيح الغريب من الألفاظ.

٦. بيان الأثر العملي للمباحث ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

تعريف بسط الرزق في اللغة والاصطلاح وحديث القرآن الكريم عنه

تعريف البسط في اللغة:

البسط في اللغة: هو امتداد لشيء في عرض أو غير عرض^(١) والبسط نقيض القبض، والبسط: هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجهوده ورحمته^(٢)

ومما سبق يتبين أن البسط في كل شيء السعة، ومنه بسيط الجسم والباع والعلم قال تعالى {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} ^(٣).

تعريف البسط في الاصطلاح:

بسط الرزق في الاصطلاح: إفاضته، وكثرته وتوسيعه ونشره^(٤) وهو ضد القبض قال تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ^(٥).

والبسط يشمل بسط الرزق، والعلم، والمال، وغيرها. وفي هذا البحث سيتم تخصيص الحديث عن بسط الرزق، كما تحدث القرآن الكريم عنه.

وبالتأمل في آيات القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم تحدث عن بسط الرزق في مواضع متفرقة، في سور مكية وسور مدنية، وبتصريفات مختلفة.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١٢٢)

(٥) [سورة العنكبوت: ٦٢]

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٧/١)

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٦١/٧)

(٣) [سورة البقرة: ٢٤٧]

وقد وردت مادة (بسط) في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً، ثلاثة عشر منها اختص ببسط الرزق وقبضه بين العباد.

والتوسط في الإنفاق، وقوله {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} هي الصيغة الغالبة في القرآن الكريم وقد اشتملت هذه الآيات على أن الله تعالى هو الرازق الفايض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيُغني من يشاء، ويُفقر من يشاء بما له في ذلك من الحكمة.

أسباب بسط الرزق في القرآن الكريم:

إن السعي في الرزق من الأمور التي يسعى لتحقيقها كل إنسان، وبلوغها لا يتأتى إلا بتوفيق من الله تعالى، فالرزق الواسع من زينة الحياة الدنيا كما قال تعالى {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} (٦). والله سبحانه جعل لنا أسباباً نُقبل عليها ونحقق من خلالها مرادنا، ونُحصل معها الأجر والثواب بفعلها أو المواظبة عليها، ويأتي بذلك للمسلم نعيم الدنيا والآخرة.

فمن هذه الأسباب ما يلي:

١. التقوى:

بالتأمل في هذه الكلمة نجد أنها ذكرت في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة ومختلفة؛ لكونها باب كل خير، وحاجزاً عن الوقوع في كل محرم، وهي زاد المؤمن إلى الآخرة وبها يجني متاعه فيها؛ قال تعالى {وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (٧)، وهي من الأسباب التي تُفَرِّج الكرب، وتجلب الرزق لقول الله عز وجل {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٨). وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (٩). فلا سبيل لتحقيق الخير كله -ومنه نزول البركة- والبسط في الرزق إلا بالتزام شرع الله، فمن كان هذا دأبه، فلا يخاف ضيقاً ولا كرباً ولا حرماناً، فالله يرزقه الرزق بشتى صورته، ويبسط عليه من فضله باستقامته كما قال تعالى {وَأَلُو اسْتَغْنَوْا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا} (١٠).

٢. الاستغفار

من أسباب بسط الرزق الاستغفار وهو طلب العبد من ربه أن يمحو ذنوبه ويستر عيوبه، ومن أسماء الله عز وجل الغفور أي الذي يتجاوز عن ذنوب عباده ويستر عيوبهم، وله فوائد عظيمة على الإنسان المسلم، فهو يسير على كل لسان، ومطلق في كل وقت ومكان، وهو من الأمور التي أمرنا الله سبحانه بها فقال تعالى على لسان نوح عليه السلام

{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } (١١) وهو أيضاً سبب من أسباب بسط الرزق، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين للذان هما زينة الحياة الدنيا! (١٢)

٣. حفظ القرآن وطلب العلم

إن طلب العلم باب عظيم، وأصحابه لهم مكانة رفيعة عند الله سبحانه وتعالى وهو من أسباب بسط الرزق كما قال تعالى {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (١٣) وقال تعالى {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (١٤) فمن رفعه الله فقد آتاه الخير ورزقه إياه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين" (١٥) فمن حفظ القرآن وطلب العلم نفع نفسه ومن حوله، وآتاه الخير من حيث لا يدري وعلت منزلته في الدنيا والآخرة.

وقد ورد في السنة النبوية العديد من الأسباب التي تكون سبباً لبسط الرزق كالتوكل على الله تعالى فمن عقيدة المسلم الصحيحة أن الله تعالى هو المغني والمانع، ولا يستطيع أي مخلوق أن ينزع من أي إنسان ما كتبه الله فعلى العبد أن يأتي بالأسباب المشروعة ويتوكل على الله تعالى، ويكون موقفاً أن الله تعالى الوحيد القادر على بسط رزقه وإغنائه كما قال صلى الله عليه وسلم "لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً" (١٦) فالتوكل سبب عظيم لبسط الرزق.

وأيضاً من أسباب بسط الرزق وسعته صلة الأرحام فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من سره أن يبسط له رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه" (١٧) فهذه شهادة على بسط الرزق بهذه الطاعة وتحتاج إلى الحرص على فعلها وعدم قطعها، ولزوم الصبر على ما يلقاه من أذى من ذوي رحمه.

العلاقة بين البسط والبغي، والحكمة من تفاوت العباد في بسط الرزق وتقديره.

العلاقة بين البسط والبغي في الأرض والحكمة من ذلك. هناك علاقة واضحة بين بسط الرزق والبغي في الأرض قال تعالى {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} (١٨) فإن الله عز وجل أخبر أن الناس لو كانوا جميعهم أغنياء وقد بُسط لهم في الرزق لبغوا وطغوا في الأرض؛ لأن الجميع

(١٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: صلاة المسافرين وقصرها باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلما (٥٥٩/١) حديث (٨١٧).

(١٦) أخرجه الترمذي في سننه باب: في التوكل على الله (٥١/٣/٤) حديث: ٢٣٤٤ وقال "هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه"

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥/٨) حديث ٥٩٨٥.

(١٨) [سورة الشورى: ٢٧]

(٦) [سورة الكهف: ٤٦]

(٧) [سورة البقرة: ١٩٧]

(٨) [سورة الطلاق: ٢-٣]

(٩) [سورة الأعراف: ٩٦]

(١٠) [سورة الجن: ١٦]

(١١) [سورة نوح: ١٠-١٢]

(١٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٩/٢٩)

(١٣) [سورة الزمر: ٩]

(١٤) [سورة المجادلة: ١١]

كانوا في رفاهية وفي رزق واسع ولا رادع لهم ولا اعتبار ولا اتعاض ، وأيضاً لو بسط الله الرزق لجميع العباد لفسدت الدنيا، لأنه لولا هذا التفاضل بين العباد في الرزق ما خدم أحد أحداً، ولا استقامت الأحوال واستغنى كل واحد بما عنده، لكن الله تبارك وتعالى فضل بعض الناس على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

وهناك ثمة علاقة أخرى بين البسط والبغي^(١٩) في الأرض من ناحية الإيمان والاتباع للرسول؛ فإن أكثر من يكذب الأنبياء هم الملأ الأغنياء الكبراء، وأما الفقراء والضعفاء فالغالب هم الذين يتبعون الأنبياء وعلى هذا فإن بسط الرزق للعباد دون بعض مقرون بالحكمة؛ فمن اقتضت حكمة الله أن يغنيه أغناه، ومن اقتضت حكمة الله أن يفقره أفقره.

فالله تبارك وتعالى حكيم، وكم من إنسان رجع إلى الله تعالى بسبب المصائب من فقر، أو موت قريب، أو صديق أو ما أشبه ذلك.^(٢٠)

ومن حكمة الله تعالى في بسط الرزق بين العباد هو الاختبار والابتلاء بين العباد وذلك لينظر الله تعالى من يشكره من عباده ممن يكفره فيمد الله تعالى الغني بالمال ليختبره وليبتليه هل يشكر أم يكفر وقد يبئلي البعض الآخر بالفقر لينظر هل يصبر أم يحمى ويشكر أم يكون من المؤمنين الذين في جميع أحوالهم راضين محتسبين كما قال صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".^(٢١)

نموذج من القرآن الكريم للبسط والبغي في الأرض (قارون)

{يَبَىٰ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۖ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيْكَانَّهُ لَا يُلْجُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) }^(٢٢)

يروى القرآن الكريم قصة قارون، وهو من قوم نبي الله موسى عليه السلام، وقد أتاه الله أموالاً عظيمة حتى إن مفاتيح الحجرات التي تضم كنوز قارون، يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء.

إلا أن قارون بغى على قومه بعد أن أتاه الله الثراء، غير أن العقلاء من قومه نصحوه بالإحسان وعدم الفساد، وهو المنهج السليم، فكانوا يحذرونه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة.

فكان جواب قارون عليهم (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ) فقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وفتنه المال وأعماه الثراء، فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعضهم، وتمنوا أن لو كان لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان ولبكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً وإن ما عند الله خير مما عند قارون.

فجاء العقاب حاسماً (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ) في لمحة خاطفة ابتلعت الأرض وابتلعت داره، ولم يجد أحد ينصره ولم ينفعه ماله ولا رجاله.

وبدا الناس يتحدثون لبعضهم البعض في دهشة واعتبار، فقال الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس أن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا، إن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو نقيض ذلك، فالحمد لله أن من علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم.^(٢٣)

فقصة قارون نموذج لمن بسط الله له الرزق فبغى وتجبر في الأرض، وفي هذا النموذج الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم الكثير من العبر والفوائد التي يستفيد منها المسلم في حياته الدنيوية والأخروية منها ما يلي:

١. ذم الله تعالى الغرور والفرح في الدنيا وزينتها فهو سبحانه لا يحب الفرحين.

(٢٢) [سورة القصص: ٧٦-٨٣]

(٢٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٧/٦-٢٣٣)

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٢٣-٦٢٤)

(١٩) البغي: تجاوز الحد ومنه: الطغيان، والاعتداء

ينظر: مقاييس اللغة (٢٧١/١)، المفردات (١٣٦).

(٢٠) ينظر: تفسير المحرر الوجيز (٣٦/٥) التحرير والتنوير (٩٢/٢٥)

(٢١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الزهد والرقائق باب: المؤمن أمره كله خير (٢٢٩٥/٤) حديث: (٢٩٩٩)

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري تحقيق محمد زهير ناصر، الناشر دار طوق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
٣. الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة وطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر-، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ
٤. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الناشر دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت (١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦. ابن عاشور، محمد الطاهر عاشور ت (١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد التحرير والتنوير، الناشر الدار التونسية، تونس ١٩٨٤هـ.
٧. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية ت (٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
٨. ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريات (٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٩. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت (٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٠. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) لسان العرب، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
١١. محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الناشر دار الفكر بيروت.
١٢. مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٣. الموسوعة القرآنية موسوعة شاملة للقرآن الكريم وعلومه.
١٤. موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم
٢. من أحسن الله إليه، يجب عليه أن يتعامل بإحسان مع خلق الله، وأن يتصرف بإحسان فيما منحه الله سبحانه وتعالى من فضل ونعمة، ولا يبارز الله سبحانه وتعالى بنعمه.
٣. يجوز للمسلم أن يأخذ مما أعطاه الله في الدنيا، ولا يترك نصيبه منها، ولكن يجب عليه ألا يبتغي إلا وجه الله تعالى وأن يعمل لأخرته، وألا تنسيه الدنيا آخرته.
٤. الله تعالى يمهّل ولا يهمل فمهّل طال الزمن لمن استكبر وأفسد في الأرض، واغتر بما عنده فإن الله تعالى يأخذه على حين غفلة.
٥. الأموال لا تصنع الإنسان، بل العمل الصالح والقدرة على فعل الخيرات هي من تصنع الإنسان وتجعله مميزاً في الدنيا والآخرة.
٦. المتقون من أهل العلم في كل زمان هم أهل المواقف الثابتة أمام الفتن، وهم الذين يحذرون الناس من شرها وشر الاقتراب أو الوقوع فيها.
٧. قد يكون المنع من العطاء منة من الله سبحانه وتعالى على عبده يحول بها بينه وبين المعصية أو الطغيان.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى أن يسر لي كتابة هذا البحث، وفي الختام هناك عدد من النتائج أود إيرادها وهي:

١. أن البسط في اللغة مفهوم واسع شامل يشمل السعوى في كل شيء ولا يقتصر على بسط الرزق، فهناك البسط في المال، والجسم، والعلم وغيرها.
٢. أكثر ما ورد عن مفردة (بسط) في القرآن الكريم مختص ببسط الرزق بين العباد وقبضه فقد ورد في ثلاثة عشر موضعاً.
٣. أن أسباب بسط الرزق الواردة في القرآن الكريم متنوعة كالتقوى والاستغفار، وحفظ القرآن وطلب العلم.
- وهناك أسباب أخرى وردت في السنة النبوية كالتوكل على الله تعالى، وصلة الأرحام.
٤. أن هناك علاقة مرتبطة بين بسط الرزق والبغي في الأرض، وقصة قارون نموذج لهذه العلاقة.
٥. أن بسط الرزق بين العباد مقرون بالحكمة التي اقتضاها الله جل وعلا لعباده، ومنها الابتلاء والاختبار.

التوصيات:

١. الدراسة الموضوعية لهذا الموضوع من جوانب أخرى كالإسقاط في العلم- والجسم- والمال.
٢. الأخذ بالأسباب المشروعة المعينة على بسط الرزق، فهذا مما أمر به الشرع.
- والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Selected Issues in the Jurisprudence of the Laypeople: An Originating and Applied Study.

Dr. Amal Dhafar*

*PHD in Jurisprudence - Faculty of Arts and Humanities - Islamic law and Studies - King Abdul Azizi University.

E-mail: amaldhafar@gmail.com

مسائل مختارة في فقه العوام.. دراسة تأصيلية تطبيقية

د. أمل عبد الجبار ظفر*

*دكتوراه في الفقه كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز.

KEY WORDS

Jurisprudence, Laypeople, Fatwa, Jurisprudential Issues.

الكلمات المفتاحية

فقه، العامي، الفتوى، مسائل فقهية.

ABSTRACT

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful, and thereafter, this scientific research titled "Selected Issues in the Jurisprudence of the Common People: A Foundational and Applied Study" adopts a theoretical, applied, comparative, and evidential approach. It establishes the jurisprudence for the common people in the first section by defining it and then explaining what the layperson must do when faced with incidents, and the ruling on issuing fatwas by the layperson based on what they know, in three demands. The second section contains the applied part of the jurisprudence of the common people, divided into three sections that encompass all issues of their jurisprudence: what the layperson thinks is jurisprudence but is not, what is popular among the common people as a weak or incorrect ruling, and what is denied to the common people but has a jurisprudential basis, in three demands with an applied issue in each, adopting a comparative, evidential, and deductive approach by selecting issues and studying them through comparative jurisprudential study, concluding with a conclusion that defines the jurisprudence of the common people and clarifies the predominant opinions on the derived issues. It also highlights the importance of research in the jurisprudence of the common people, as this research opens new horizons for researchers by investigating issues related to the common people, especially contemporary ones, due to the dissemination of beneficial knowledge and raising awareness among the common people, which benefits them in this life and the hereafter.

مستخلص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد، فهذا بحث علمي بعنوان (مسائل مختارة في فقه العوام دراسة تأصيلية تطبيقية) انتهجت فيه الأسلوب التنظيري التطبيقي الاستدلالي المقارن، حيث أصلت لفقه العوام في المبحث الأول وذلك بتعريفه ثم بيان ما يجب على العامي عند نزول الوقائع به، وحكم إفتاء العامي بما يعلمه وذلك في ثلاثة مطالب، وأما المبحث الثاني فقد احتوى على القسم التطبيقي لفقه العوام مقسماً على ثلاثة أقسام، لا تخرج عنها مسائل فقه العوام، وهي ما يظنه العامي فقهاً وهو ليس بفقه، وما اشتهر بين العوام بحكم مرجوح أو خاطئ، وما ينكر على العوام وله أصل فقهي، وذلك في ثلاثة مطالب في كل مطلب منها مسألة تطبيقية، منتهجة في المنهج الاستنباطي الاستدلالي المقارن، باختيار المسائل ودراستها دراسة فقهية مقارنة، انتهاء بالخاتمة والتي خلصت فيها إلى تعريف فقه العوام وبيان الراجح في المسائل المتفرعة، وكما تمت الإشارة إلى أهمية البحث في فقه العوام، فإن هذا البحث يفتح آفاقاً جديدة للباحثين وذلك ببحث المسائل المتعلقة بالعوام وخصوصاً المعاصرة منها لما في بحثها من نشر العلم النافع وتوعية العوام بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة.

المقدمة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: **﴿قُلْ لَا تَنَزَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** (١) وحسبك بها آية على منزلة الفقه ومجادة الموفقين لدراسته ، والصلاة والسلام على رسوله القائل: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» (٢) وحسبك به دليلاً حافزاً على تلقي الفقه والمسارة إلى تحصيل مباحثه، ولا غرو فإن كل متدين لا غنى به عن معرفة الحلال والحرام حتى يصح دينه وكل متعبد لا بد له من تصحيح عبادته حتى تسلم من الفساد وتحف بالرضوان والقبول عند الله ولا عذر بالجهل في دار الإسلام فمن ثم كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (٣)

هذا وقد رأيت في هذا الزمن رغبة صادقة من عامة الناس في تعلم العلم الشرعي، ومعرفة الحلال والحرام في أمور دينهم، غير أن كثيراً من هؤلاء قد حاد عن الطريق الصحيح في مبتغاه، فتراهم يأخذون أمور دينهم من مصادر شتى دون توثق، ولم يكتف الكثير منهم بالأخذ، بل وبالنشر أيضاً، حيث ساعدت وسائل التواصل الحديثة على هذا وبكل سهولة، ثم وقع نظري على مقدمة الزركشي (٤) رحمه الله لكتابه اللآلئ المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، فكانما وقعت يدي على مفتاح لموضوع مهم تجدر الكتابة فيه، حيث يقول رحمه الله "فإن من النصيحة الواجبة في الدين، التنبيه على ما يشتبه بين الناس مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع. وقد صنف الإمام تاج الدين الفزاري (٥) كتاباً في فقه العوام وإنكار أمور قد اشتهرت لا أصل لها، أجاد فيها الانتقاد وصان الشريعة أن يدخل فيها ما خل بالاعتقاد، شكر الله صنعه وأثاب جمعه، وقد رأيت ما هو أهم من ذلك وهو تبين الأحاديث المشتهرة على ألسنة العوام، وكثير من الفقهاء الذين لا معرفة لهم بالحديث، وهي من إما أن يكون لها أصل يتعذر الوقوف عليه لغرابة موضعه، ولذكركه في غير مظانه، وربما نفاه بعض أهل الحديث لعدم إبطائه عليه،.... وإما لا أصل لها البتة (٦)" فكانت مقدمته هذه مفتاحاً لهذا الموضوع الذي أسميته بفقه العوام، وهو موضوع جد كبير ولعل كثيراً من مسائله قد بحثت ضمن مواضيع أخرى ولكن جمعها تحت مظلة فقه العوام من الأهمية والفائدة بمكان، وحيث أنه لا مجال في التطويل في هذه الورقة العلمية فأني سأقتصر فيها على جزء بسيط يكون بمثابة البوابة للباحثين لإكمال الطريق في هذا البحث وبما طباعته ونشره مستقبلاً ليكون مرشداً لعامة الناس .

ويمكن اقتفاء أثر الزركشي في تبويب المسائل التطبيقية من هذا البحث حيث سيحتوي على مسائل يظنها العوام من الفقه

وماهي فقه، وعلى مسائل اشتهرت بين العوام بحكم مرجوح أو خاطئ والراجح حكم آخر، وعلى مسائل ينكر على العوام فيها ولها أصل فقهي، وسأكتفي بمسألة واحدة تكون نموذجاً على كل باب.

وتكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

- كون غالب هذه المسائل مما عمت بها البلوى بين الناس، ومع ذلك يجهلون حكمها.
- أن كثير من الناس يقوم بنشر الأحكام الخاطئة المتعلقة بهذه المسائل.
- في توعية الناس بأحكام هذه المسائل نشر للعلم وإبعاد للجهل.
- كثرة الأسئلة التي ترد من عوام الناس بخصوص هذه المسائل.

ومن أجل أهمية الموضوع وحيويته، كانت الرغبة لدى الباحثة لتوجيه الضوء عليه.

حدود البحث:

اقتصرت في البحث على ثلاثة مسائل من مسائل فقه الطهارة والصلاة وراعت عند بحثها ما يحصل به المقصود من المسألة دون الخوض في تفصيلاتها الدقيقة، وذلك في نطاق المذاهب الأربعة.

منهج البحث:

١. انتهجت الأسلوب التنظيري التطبيقي الاستدلالي المقارن بتأصيل فقه العوام من كتب الأصول ثم تطبيق المسائل الفقهية وبيان الأقوال فيها على المذاهب الأربعة مع الاستدلال.

٢. راعيت توثيق الأقوال من الكتب المعتمدة في كل مذهب، وكذلك استدلالهم بقدر الإمكان.

٣. لا أذكر وجه الاستدلال إلا إذا كان غامضاً يحتاج إلى توضيح.

٤. إذا كان التوثيق من أكثر من مصدر، فإن كان في الفقه، رتبته في الحاشية بحسب تاريخ المذاهب، الحنفية، ثم المالكية ثم الشافعية ثم الحنابلة، وإن كانت المصادر من مذهب واحد، رتبته بحسب تاريخ الوفيات، وكذلك أرتب بقية المراجع في بقية العلوم والفنون، بحسب تاريخ وفيات المصنفين.

٥. اكتفيت في الحاشية بكتابة اسم المؤلف والكتاب، أما المعلومات الكاملة فاكتفيت بها في قائمة المصادر.

٦. إذا كان الاقتباس حرفياً فأني أضعه بين علامتي تنصيص ثم أذكر معلومات المصدر في الهامش، أما إن كان الاقتباس ملخصاً أو بالمعنى فأني أكتب كلمة (انظر) قبل معلومات المرجع.

انظر: ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ١٦٨/٣، أبو الفلاح العكري، شذرات الذهب، ٥٧٢/٨

(٥) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري البصري، أبو محمد، تاج الدين الفركاح: مؤرخ، من علماء الشافعية، قال ابن شاك: بلغ رتبة الاجتهاد. مصري الأصل، دمشق الإقامة والشهرة والوفاء، توفي سنة ٦٩٠هـ، رحمه الله.

انظر: الزركشي، الأعلام، ٢٩٣/٣

(٦) الزركشي، اللآلئ المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، ص ٢٥

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٢

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ٢٤/١

وراه مسلم، كتاب الكسوف، باب النهي عن المسألة، ٧١٨/٢

(٣) الميداني، اللباب في شرح الكتاب، ٣/١.

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي، قال بعض المؤرخين كان فقيهاً أصولياً أدبياً فاضلاً في جميع ذلك ودرس وأفتى وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، توفي سنة ٧٩٤هـ، رحمه الله.

الفقه اصطلاحاً:

تحدث الأصوليون قديماً في تعريف الفقه وأسهبوا، وعرفه أيضاً الكثير من الفقهاء، والتعريف المشهور والمتعارف عليه للفقه عند الأصوليين والفقهاء هو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"^(١٠).

هذا وقد عرفه النملة في تعليقه على كتاب روضة الناظر بأنه "مجموعة الأحكام والمسائل التي نزل بها الوحي واستنبطها المجتهدون وأفتى بها أهل الفتوى" وذكر أن هذا التعريف هو الأليق بالفقهاء^(١١).

ثانياً: تعريف العوام لغة واصطلاحاً:

العوام لغة:

مفرده عامي: أصله (ع م م) وعَمَّ الْمَطَرُ وَغَيْرُهُ غُمُومًا مِنْ بَابٍ قَعَدَ فَهُوَ عَامٌّ. وَالْعَامَّةُ خِلَافُ الْخَاصَّةِ، لأن العامة لا تعرف العلم، وإنما يعرفه الخاصة، فكل واحد عامي بالنسبة إلى ما لم يحصل علمه، وإن حصل علماً سواه، وَالْجَمْعُ عَوَامٌ مِثْلُ ذَاتِهِ وَدَوَابٌّ وَالنِّسْبَةُ إِلَى الْعَامَّةِ عَامِيٌّ^(١٢).

العامي في الاصطلاح:

أما بالنسبة لتعريف العامي في الاصطلاح فيمكن تعريفه استنتاجاً من الأوصاف التي وصفها به الأصوليون في كتب أصول الفقه، ومن هذه الأوصاف:

- "إذا ابتلي العامي الذي ليس من أهل الاجتهاد بنزلة، فعليه مسائلة أهل العلم عنها"^(١٣).
- "العامي ومن ليس من أهل العلم بأصول الحكم وطرق الاجتهاد"^(١٤).
- "فصاروا بمنزلة العامي الذي لا يعتد به في الإجماع، ولا الاختلاف، لعدم علمه بأصول الشرع التي عليها مبنى فروعه"^(١٥).
- "لأنه يكون في هذا الحال بمنزلة العامي الذي لا يعرف الأصول ورد الفروع إليها"^(١٦).
- "أما من يسوغ له التقليد فهو العامي: الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية"^(١٧).

ويمكن من هذه الأوصاف أن يعرف العامي بأنه: "من ليس له أهلية الاجتهاد وبالتالي فهو لا يعرف طرق الأحكام الشرعية، ولا الأصول ورد الفروع إليها، ولا يعتد به في الإجماع أو الاختلاف".

ومما سبق يمكن "الخلوص لتعريف مبسط لمصطلح "فقه العوام" بأنه:

٧. إذا اقتبست نصاً وحذفت بعض عبارته بما لا يضر المعنى الذي أود الإشارة إليه؛ فإني أشير إلى ذلك بوضع نقاط مكان المحذوف (...).

٨. رسمت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها في الهامش بذكر اسم السورة ورقم الآية، وإعادة عزو الآية في كل مرة تتكرر الآية.

٩. خرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث مخرجاً في أحد الصحيحين اكتفيت بذلك، وإلا فيتم تخريجه من الأربعة المشهورة، وهي كتب السنن (أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) فإن وجدته في واحد منها اكتفيت بهذا، وإن لم أجده في أي منها، لجأت إلى كتب التخريج التي توفرت لدي، مع اعتماد حكم العلماء في الحديث.

١٠. ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث عند ذكرهم لأول مرة عدا المشهورين مثل الخلفاء الأربعة من الصحابة والمكثريين من رواية الحديث، وأئمة المذاهب الأربعة، وأصحاب الكتب الستة من المحدثين، والمعاصرين.

الدراسات السابقة:

لم أطلع حسب علمي على دراسة مشابهة تشمل مفردات هذا الموضوع تحت مظلة فقه العوام، ولكن لا شك أن هناك بعض مسائل هذا البحث بحثت ضمن مواضيع أخرى.

هذا وإني أسأل الله عزوجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل فيه النفع والفائدة، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: القسم التأصيلي

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف فقه العوام

أولاً: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً:

الفقه لغة:

أصله (ف ق ه) والفقه في الأصل الفهم، وقيل الإدراك، والعلم، والفتنة، ثم خص وغلب على علم الشريعة لسيادته وشرفه على سائر العلوم، وَالْعَالِمُ بِهِ (فَقِيهٌ). وَقَدْ (فَقِهَ) صَارَ فَقِيهًا. وَ (فَقَّهَهُ) اللَّهُ (تَفَقَّيْهَا)، وَ (تَفَقَّهَهُ) إِذَا تَعَاطَى ذَلِكَ، وَ (فَاقَّهَهُ) بَاحْتَهُ فِي الْعِلْمِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: جِئُوا نُوِي جِ (٧) أَي لِيَكُونُوا عُلَمَاءَ بِهِ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ، لِابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(٨)، أَي فَهِّمَهُ تَأْوِيلَهُ وَمَعْنَاهُ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى^(٩).

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٨) صحيح البخاري، ح ١٤٣، كتاب الصوم، باب ما يقول عند الخلاء، ٦٦/١.

(٩) انظر: ابن فارس، مجمل اللغة، ٤٤٢/٤. الرازي، مختار الصحاح، ٢٤٢/١. ابن منظور، لسان العرب ٥٢٢/١٣؛ الفيومي، المصباح المنير، ٤٧٩/٢. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ٦٩٨/٢.

(١٠) البيضاوي، منهاج الوصول إلى علم الأصول، ١٧. الإسنوي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، ١١/١. الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ٢١/١.

(١١) النملة، تحقيق كتاب روضة الناظر وجنة المناظر، ٥٩/١.

(١٢) الفيومي، المصباح المنير، ٤٣٠/٢. البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، ٤١٣/١.

(١٣) الجصاص، الفصول في الأصول، ٤ / ٢٨١.

(١٤) الجصاص، الفصول في الأصول، ٤ / ٢٨١.

(١٥) الجصاص، الفصول في الأصول، ٣ / ٢٩٥.

(١٦) الجصاص، الفصول في الأصول، ٣ / ٢٩٧.

(١٧) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، ٢ / ١٣٣.

القول الثاني:

ذهب إليه القاضي أبو بكر^(٢٢) وجماعة من الأصوليين والفقهاء إلى التخيير والسؤال لمن شاء من العلماء، وسواء تساوا أو تفاضلوا.

واستدلوا بما يلي:

• "أن الصحابة كان فيهم الفاضل والمفضول من المجتهدين، فإن الخلفاء الأربعة كانوا أعرف بطريق الاجتهاد من غيرهم"^(٢٣)، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَصُوا عَنْهَا بِالْوَجْدِ»^(٢٤)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَفْضَاهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَبُهُمْ رَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلَا وَإِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(٢٥)،

• أن الصحابة كان فيهم العوام، ومن فرضه الاتباع للمجتهدين والأخذ بقولهم، ومع ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة والسلف تكليف العوام الاجتهاد في أعيان المجتهدين، ولا نكر أحد منهم اتباع المفضول والاستفتاء له مع وجود الأفضل، ولو كان ذلك غير جائز لما جاز من الصحابة التطابق على عدم إنكاره والمنع منه، فكان إجماعاً منهم^(٢٦).

ورغم هذا الاختلاف الحاصل بين الأصوليين إلا أنهم جميعاً متفقون على أن العامي لا يستفتي إلا من غلب على ظنه أنه من أهل الاجتهاد، وذلك بما يراه من انتصابه للفتيا بمشهد من أعيان العلماء، وأخذ الناس عنه وما يتلمحه من سمات الدين والستر، أو بإخبار العدول عنه^(٢٧).

المطلب الثالث: حكم إفتاء العامي بما يعلمه.

هذه المسألة من المسائل المهمة التي ابتلي بها الناس في هذا الزمن، حيث تصدر الكثير ممن لا يستحق هذا المنصب، ووضع نفسه مفتياً لغيره وهو من غير أهل الفتوى، من غير إدراك لخطورة هذا الأمر وعواقبه السبب الذي أدى السلف إلى تهيبه، حتى أن كل واحد من الصحابة رضوان الله عليهم، كان يود لو أن صاحبه كفاه الفتوى^(٢٨).

(مجموعة الأحكام والمسائل التي ابتلي بها المكلف الذي ليس من أهل الاجتهاد ولا هو يعرف طرق الأحكام الشرعية، والتي يحتاج فيها إلى اجتهاد مجتهد وفتوى من أهل الفتوى)

المطلب الثاني: ما يجب على العامي عند نزول الوقائع به

سبق في بيان تعريف العامي أنه من ليس له أهلية الاجتهاد وبالتالي فهو لا يعرف طرق الأحكام الشرعية، ولا الأصول ورد الفروع إليها، ومن كان هذا حاله فإنه لا يخلو من ثلاث أحوال:

الأول:

أن يكون مأموراً بإهمال أمرها، وترك المسألة عنها، وترك أمره على ما كان عليه قبل حدوثها، وهو غير جائز لأنه مكلف.

الثاني:

أن يتعلم حتى يصير من حدود من يجوز له الاجتهاد، ثم يمتضي بما يؤديه إليه اجتهاده، وهو أيضاً غير جائز لأن ذلك ليس في وسعه، وعسى أن ينفذ عمره قبل بلوغ هذه الحالة.

الثالث:

أن يسأل غيره من أهل العلم بذلك، ثم يعمل على فتياه، ويلزمه قبولها منه وهذا هو المتعين^(٢٩).

فإن قد ثبت أن على العامي مسألة أهل العلم بذلك، فإما أن يكون في البلد مفت واحد أو أكثر:

فإن كان الأول: وجب عليه الرجوع إليه والأخذ بقوله.

وإن كان الثاني: فقد اختلف الأصوليون على قولين:

القول الأول:

لا يتخير بينهم حتى يأخذ بقول من شاء منهم، بل يلزمه الاجتهاد في أعيان المفتين من الأرواح والأديان والأعلم، وهو مذهب أحمد بن حنبل وابن سريج^(٣٠) والقفال^(٣١) من أصحاب الشافعي وجماعة من الفقهاء والأصوليين واستدلوا بما يلي:

• إن قول المفتين في حق العامي ينزل منزلة الدليلين المتعارضين في حق المجتهد، وكما يجب على المجتهد الترجيح بين الدليلين فيجب على العامي الترجيح بين المفتين، إما بأن يتحفظ من كل باب من الفقه مسائل، ويتعرف أجوبتها ويسأل عنها، فمن أجابه أو كان أكثر إصابة اتبعه أو بأن يظهر له ذلك بالشهرة والتسامع.

• إن طريق معرفة هذه الأحكام إنما هو الظن، والظن في تقليد الأعلم والأدين أقوى، فكان المصير إليه أولى^(٣٢).

(٢٨) انظر: الجصاص، الفصول في الأصول، ٤ / ٢٨١.

(٢٩) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره، ولد ببغداد له نحو ٤٠٠ مصنف، منها الأقسام والخصال والودائع لمنصوص الشرائع، ولي القضاء بشيراز، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الأفاق، توفي سنة ٣٠٦هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ١ / ١٨٥.

(٣٠) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال، الملقب فخر الإسلام، المستظهر: رئيس الشافعية بالعراق في عصره، تولى التدريس ببغداد حتى وفاته، من كتبه حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، والمعتمد وهو كالشرح له، وغيرها، توفي سنة ٤٢٩هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٥ / ٣١٦.

(٣١) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٤ / ٢٣٧.

(٢٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلائي، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، من كتبه: إعجاز القرآن والتمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والخوارج والمعتزلة، وغيرها، توفي في بغداد سنة ٣٣٨هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٦ / ١٧٦.

(٢٣) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٤ / ٢٣٧.

(٢٤) سنن ابن ماجه، ح ٤٢، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ١٥ / ٤٢١، والحديث صححه الألباني.

(٢٥) سنن ابن ماجه، ح ١٥٤، فضائل زيد ابن ثابت، ١ / ٥٥.

(٢٦) انظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٤ / ٢٣٧.

(٢٧) انظر: ابن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر، ٢ / ٣٨٤.

(٢٨) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، ٢ / ٣٤٩.

قام مقام المفتي وأدى عنه فعد مجازاً معهم^(٣٩)، والحقيقة أنه مخبر، عن معين مجتهد، فيعمل بخبره لا بفتياه^(٤٠).

وبهذا لا يكون الخلاف متوارداً على محل واحد فيكون الراجح هو القول الثاني، ويكون القول الأول على وجه حكاية أو نقل الفتوى، والقول الثالث عند الضرورة وللضرورة أحوالها وأحكامها الخاصة، والله أعلم.

المبحث الثاني: القسم التطبيقي

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مسائل يظنها العوام من الفقه وماهي فقه.

مسألة: الوضوء مع وجود طلاء الأظافر.

وهي من المسائل التي ابتليت بها النساء في هذا الزمن، حيث أن كثيراً من النساء تعد الطلاء من ضرورات الزينة، ولم يعد الطلاء بشكله التقليدي المعروف بل تعددت ألوانه، وأشكاله، ورسوماته مما يستلزم لوضعه كثيراً من الوقت والمال، وبالتالي فإن كثيراً من النساء بدأن بالبحث عن فتوى تبيح لهن الوضوء دون إزالته، حتى بدأ ينتشر بين وسط النساء أن طلاء الأظافر مثله مثل الخف يجوز المسح عليه، إذا وضع على طهارة، وفيما يلي بيان لهذه المسألة.

حكم الوضوء مع وجود طلاء الأظافر:

اتفقت المذاهب الأربعة على أن من شروط الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء على أعضاء الوضوء من دهن جامد أو شمع ونحوهما^(٤١)، ولا شك أن طلاء الأظافر يمنع وصول للماء للبشرة فينبغي إزالته، ولو غسلته مع وجود الطلاء "فلا يصدق عليها أنها غسلت يدها فتكون قد تركت فريضة من فرائض الوضوء أو الغسل"^(٤٢).

الرد على قياس طلاء الأظافر على الجبيرة والخفين والجوارب:

قياس طلاء الأظافر على الجبيرة لا يصح من وجوه:

- إن "مسح الجبيرة يقوم مقام غسل نفس العضو، فإنها لما لم يمكن نزعها إلا بضرر صارت بمنزلة الجلد، وشعر الرأس، وظفر اليد والرجل...، ولهذا كان مسح الجبيرة واجبا"^(٤٣).
- إن مسح الجبيرة أصل فهو كالغسل لما تحتها.^(٤٤)

روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٢٩) أنه قال: "أدركت عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول". وفي رواية: "ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا"^(٣٠).

وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول "مَا أَجَبْتُ فِي الْفَتْوَى حَتَّى سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ يَرَانِي مُؤَصِّعًا لِذَلِكَ"^(٣١).

وفي هذا المطلب من البحث سألقي الضوء على حكم إفتاء العامي بما تعلمه ويسميه بعض الأصوليون الفتوى بالتقليد أو إفتاء المقلد.

اختلف الأصوليون في إفتاء المقلد إلى عدة أقوال:

القول الأول:

جواز الفتيا إذا عرف العامي حكم المسألة ودليلها وبالتالي جواز تقليده فيه لأنه قد وصل إلى العلم به كوصول العالم إليه، ولأنه ناقل كالراوي، وقيل يجوز ذلك إن كان دليلها نص كتاب أو سنة^(٣٢).

والقول بالجواز هو قول الأمدي^(٣٣) وبعض الأصوليين من الحنفية^(٣٤).

القول الثاني:

عدم جواز ذلك إذ ربما كان له معارض يجهله^(٣٥)، ولأنه ليس بعلم، والفتوى بغير علم حرام، ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم، وهو قول جمهور الشافعية وأكثر الحنابلة^(٣٦).

القول الثالث:

أنه يجوز ذلك عند الحاجة وعدم العالم المجتهد^(٣٧) فينقل أقوال العلماء، فيقول قال أحمد، قال الشافعي، وهكذا ويكون قبول قوله من باب الخبر لا الإفتاء، ولا بد أن يكون عالماً بما ينقل من أحكام بصيراً بمواردها وشمولها لمحل النزاع، وهذه حالة ضرورة على خلاف الأصل^(٣٨).

هذا وقد حمل بعض الأصوليين القول الأول على أن لا يذكره في صورة ما يقوله من عند نفسه، بل يضيفه ويحكيه عن إمامه الذي قلده، فعلى هذا لا يكون المقلد مفتياً حقيقياً، ولكنه

(٢٩) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الإمام أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه: روى عن عثمان وعلي وابن مسعود وأبي ذر وطائفة مولده في أثناء خلافة عمر بالمدينة، استعمله الحاج على القضاء ثم عزله وغرق رحمه ليلة جليل سنة ٨٢ أو ٨٣ هـ، رحمه الله.

انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤٧/١.

(٣٠) ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ١/ ٧٥.

(٣١) الخطيب البغدادي، الفقيه والمنقذ، ٢/ ٣٢٦.

(٣٢) ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ١/ ١٠٣. ابن حمدان، صفة الفتوى، ١/ ٢٦، ابن النجار، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، ٤/ ٥٦٣.

(٣٣) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الأمدي من شيوخ المتكلمين في زمانه، ومن مصنفي الأحكام ولد بآمد، وقال أبو المظفر بن الجوزي لم يكن في زمانه من يجاريه في الأصوليين وعلم الكلام ومن تصانيفه، أباكار الأفكار في أصول الدين ودقائق الحقائق ومنتهى السؤل في علم الأصول وغير ذلك قال الذهبي وله نحو من عشرين مصنفاً، توفي سنة ٦٣١ هـ، رحمه الله.

ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٨٠/٢.

(٣٤) ابن النجار، مختصر التحرير، ٤/ ٥٦٣.

(٣٥) ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ١/ ١٠٣. ابن حمدان، صفة الفتوى، ١/ ٢٦.

(٣٦) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ٣٦.

(٣٧) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ٣٦.

(٣٨) انظر: المنياوي، المعاصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول، ١/ ٢٥٢.

(٣٩) ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ١/ ١٠٣.

(٤٠) انظر: ابن النجار، مختصر التحرير، ٤/ ٥٦٣.

(٤١) انظر: ابن الهمام، فتح القدير، ١/ ١١٢. المواق، التاج والإكليل، ١/ ٢٦٣. الصاوي، حاشية الصاوي، ١/ ١٣١. الهيتمي، تحفة المحتاج، ١/ ١٨٧. الشربيني، مغني المحتاج، ١/ ١٧٦. ابن النجار، شرح منتهى

الإرادات، ١/ ٥٢. اليهودي، الروض المربع، ١/ ٢٨-٢٩.

(٤٢) ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ١١/ ١٤٨.

(٤٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١/ ٣١.

(٤٤) انظر: الزيلعي، تبيين الحقائق، ١/ ٥٢.

لكن؛ لأنه لا يوجد ما يساويه في الحاجة وعسر النزع وعموم الوقوع^(٤٨).

وبعد هذا العرض يظهر بجلاء عدم جواز الوضوء مع وجود الطلاء، وأن على النساء أن يتقين الله في صلاتهن، فالصلاة عمود الدين والركن الثاني من أركان الإسلام، والفرق بين المسلم والكافر فينبغي الاهتمام بها وعدم التهاون في كل ما يخصها.

المطلب الثاني: مسائل اشتهرت بين العوام بحكم مرجوح أو خاطئ، والراجح حكم آخر مسألة: عورة الفتاة الصغيرة في الصلاة.

تستمد هذه المسألة أهميتها من أهمية الصلاة، عماد الدين والركن الثاني من أركان الإسلام، والفرق بين المسلم والكافر، ولأهميتها ينبغي تعويد النشأ عليها كما أمرنا بذلك عليه الصلاة والسلام حيث قال «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ»^(٤٩). ورغم هذه الأهمية إلا أن كثيرا من الناس اليوم لا يعطونها ذلك الاهتمام، وربما رأيت المرأة في المسجد تؤدي الصلاة، والفتيات يلعبن حولها، أو يجلسن على أجهزةهن، وإذا ما سألتها عن سبب عدم صلاتهن أجبن بأنهن صغار، وليس معهن ما يسترن به أنفسهن للصلاة.

لذلك كان لزاما بيان حدود عورة الفتاة الصغيرة في الصلاة، فعمل في ذلك ما يقلل تقاعس الفتيات الصغار عن أداء الصلاة.

عورة الفتاة الصغيرة في الصلاة:

(١) اتفق الفقهاء على أن عورة الصغيرة مخفية عن عورة الكبيرة إلا الشافعية^(٥٠). حيث إن عورة الصغيرة عندهم في الصلاة كعورة الكبيرة^(٥١).

(٢) واختلفوا في تحديد عورة الصغيرة ما بين مخفف ومشدد وفيما يلي بيان ذلك:

الحنفية:

لا عورة للصغير جداً وهو من عُمره أربع سنين فأقل، فيباح النظر إلى بدنه ومسه، ثم ما دام لم يشته فعورته القُبل والدبر، ثم تغلظ عورته إلى عشر سنين، أي تعتبر عورته: الدبر وما حوله من الأليتين والقبل وما حوله، وبعد العاشرة تعتبر عورته كعورة البالغ في الصلاة وخارجها، سواء أكان ذكراً أم أنثى^(٥٢).

فإن قياس طلاء الأظافر على الجبيرة قياس مع الفارق ليس بينهما أدنى تشابه، فالجبيرة وضعت للضرورة ودفعاً للضرر، بعكس الطلاء الذي لا يوضع إلا للزينة وليس فيه أدنى ضرورة، وليس في إزالته أي ضرر.

وأما قياسه على الخفين أو الجوارب فإنه أيضاً لا يصح للآتي:

- إن الخفين جاءت الشريعة بالمسح عليهما للحاجة إلى ذلك غالباً، فإن القدم محتاجة إلى التدفئة ومحتاجة إلى الستر، لأنها تباشر الأرض، والحصى، والبرودة، وغير ذلك، فخصص الشارع المسح بهما^(٥٣).
- ليست العبرة بكون الجورب يسهل نزعه والطلاء يصعب إزالته، بل العبرة بأن الجورب والخف يحتاج الناس عموماً إليه ويتكرر لبسه بخلاف الطلاء فإنها لا يتكرر وضعها وليست الحاجة إليها عامة كالحاجة إلى لبس الجوارب والخفاف^(٥٤).
- المسح على الخفين رخصة ولا يجوز القياس على الرخص كما أقر بذلك غالب الأصوليين، يقول الغزالي رحمه الله:

"قد اشتهر في ألسنة الفقهاء أن الخارج عن القياس لا يقاس عليه غيره، ويطلق اسم الخارج عن القياس على أربعة أقسام مختلفة؛ فإن ذلك يطلق على ما استثنى من قاعدة عامة، وتارة على ما استفتح ابتداء من قاعدة مقررة بنفسها لم تقطع من أصل سابق وكل واحد من المستثنى والمستفتح ينقسم إلى ما يعقل معناه وإلى ما لا يعقل معناه، فهي أربعة أقسام... إلى أن قال القسم الرابع: في القواعد المبتدئة العديمة النظر، لا يقاس، عليها مع أنه يعقل معناها؛ لأنه لا يوجد لها نظير خارج مما تناوله النص والإجماع والمانع من القياس فقد العلة في غير المنصوص، فكأنه معلل بعلّة قاصرة؛ ومثاله: رخص السفر: في القصر، والمسح على الخفين، ورخصة المضطر في أكل الميتة وضرب الدية على العاقلة... إلى أن قال فإن هذه القواعد متباينة المآخذ فلا يجوز أن يقال بعضها خارج عن قياس البعض، بل لكل واحدة من هذه القواعد معنى منفرد به لا يوجد له نظير فيه، فليس البعض بأن يوضع أصلاً ويجعل الآخر خارجاً عن قياسه بأولى من عكسه ولا ينظر فيه إلى كثرة العدد وقلته.

وتحقيقه أنا نعلم أنه إنما جوز المسح على الخف لعسر النزع ومسيب الحاجة إلى استصحابه فلا نقيس عليه العمامة^(٥٥) والقفازين وما لا يستر جميع القدم لا؛ لأنه خارج عن القياس

(٤٩) سنن أبي داود، ح ٤٩٥، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ١٣٣/١

(٥٠) وجدت لهم قولاً في كتاب البيان فيه التخفيف "قال الصيمري: وأما عورة الصبي، والصبية، قبل سبع سنين.. فالقبل والدبر، ثم تتغلظ بعد السبع... فأما بعد العشر: فكعورة البالغين؛ لأن ذلك زمان يمكن البلوغ فيه".

انظر: العمراني، البيان، ١٢٠/٢

(٥١) الهيتمي، تحفة المحتاج، ١١١/٢

(٥٢) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: ٦٦٦/١. وانظر: ابن نجيم، البحر الرائق، ٢٨٤.

(٥٣) ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، ١٤٨/١

(٥٤) إسلام ويب متاح على

<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=s-howfatwa&Option=Fatwald&Id=147271>

(٥٥) ذكره للعمامة هنا لأن الشافعية لا يجيزون المسح على العمامة، ولكنه خارج محل النزاع لأن بقية المذاهب لا تجيزه بالقياس وإنما بالنص ابتداءً.

(٥٦) الغزالي، المستصفى، ٣٢٥-٣٢٧.

وركية) لمفهوم حديث «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»^(٦٧)... وهذا كله في الصلاة»^(٦٨).

وبعد عرض أقوال العلماء في المذاهب يتبين أن في عورة الفتاة الصغيرة التي لم تبلغ سعة، وأنه لا يشترط لها ما يشترط للكبيرة من الستر، وفي هذا تسهيل للفتيات الصغيرات وتشجيع لهن للقيام بالصلاة وإن لم يكن لديهن ما يحتجبن به، فالصلاة دون حجاب أولى لهن من ترك الصلاة بسبب عدم وجوده.

المطلب الثالث: مسائل ينكر على العوام فيها ولها أصل فقهي.

مسألة: كشف قدمي المرأة الحرة البالغة في الصلاة.

هذه المسائل مما ابتلي بها العوام، حيث تجد الكثير من النساء -وخاصة في الحرمين حيث يجتمع الناس من شتى المذاهب- اللاتي تتكشف أقدامهن في الصلاة إما عمداً أو سهواً فيهب النساء ناصحات لهن بإعادة الصلاة، وبأن على المرأة ستر قدميها في الصلاة، لذا أحبيت أن أبين في هذه المسألة، أن كشف القدم في الصلاة له أصل في المذهب الحنفي، بل وفي غيره من المذاهب، لذا يجب على من ينصب نفسه ناصحاً لغيره أن يكون مدركاً واعياً لذلك، وفيما يلي بيان لذلك.

عورة المرأة الحرة البالغة في الصلاة في المذاهب الأربعة:

قيدت المرأة هنا بالحرة البالغة، لأن عورة الأمة مخففة عن الحرة في جميع المذاهب وكذلك عورة الصغيرة كما ورد سابقاً.

الحنفية:

كلها عورة إلا وجهها وكفيها ظاهره وباطنه، والقديمين على الأصح وفي رواية أنها عورة^(٦٩).

يقول ابن نجيم^(٥٣): "وأما عورة الصبي والصبية فما داما لم يشتهيا فالقبل والدبر، ثم يتغلظ بعد ذلك إلى عشر سنين، ثم يكون كعورة البالغين"^(٥٤)

ويقول ابن عابدين^(٥٥) " وجواز صلاة الصغيرة بغير قناع^(٥٦) استحسان لأنه لا خطاب مع الصبا.

والأحسن أن تصلي بقناع لأنها إنما تؤمر بالصلاة للتعود فتؤمر على وجه يجوز أداؤها بعد البلوغ، ثم قال: المراهقة^(٥٧) إذا صلت بغير قناع لا تؤمر بالإعادة استحساناً."^(٥٨)

المالكية:

عورة الصغيرة المأمورة بالصلاة: ما بين السرة والركبة، ويندب لها سترها كالستر المطلوب من البالغة^(٥٩).

يقول الدردير^(٦٠): "(و) ندب (لأم ولد) فقط (و) لحررة (صغيرة) تؤمر بالصلاة (ستر) في الصلاة (واجب على الحرة) البالغة"^(٦١).

وفي منح الجليل^(٦٢) "وأما غير المراهقة كبنت ثمان سنين فلا خلاف في المذهب أنها تؤمر بأن تستر في نفسها ما تستره الحرة البالغة ولا إعادة عليها إن صلت مكشوفة الرأس أو بادية الصدر"^(٦٣).

وكونها لا تعيد الصلاة قريبة على أن أمرها بالاستتار إنما هو للندب كما ذكر ذلك الدردير.

الحنابلة:

وبنت سبع إلى عشر عورتها في الصلاة: ما بين السرة والركبة^(٦٤).

يقول ابن مفلح^(٦٥) "هذا كله في الحرة البالغة أما غير البالغة، كالمراهقة والمميمة فكالأمة"^(٦٦)

ويقول البهوتي^(٦٦) "(و) عورة (حررة مميزة) تم لها سبع سنين، (و) عورة (حررة مراهقة) قاربت البلوغ (ما بين سرة

(٥٣) هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي له مؤلفات في الفقه الحنفي وأصوله، منها، شرح الكنز وسماه بالبحر الرائق شرح كنز الدقائق وصل إلى آخر كتاب الإجارة، وكتاب شرح المنار في الأصول، وغير ذلك، وتوفي سنة (٩٧٠ هـ) رحمه الله.

انظر: ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٥٢٣/١٠. الزركلي، الأعلام، ٦٤/٣.

(٥٤) ابن نجيم، البحر الرائق، ٢٨٤/١.

(٥٥) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره. مولده ووفاته في دمشق، له العديد من المؤلفات منها: رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، توفي سنة ١٢٥٢ هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٤٢/٦.

(٥٦) (الْقِنَاعُ) بِكَسْرِ الْقَافِ وَخَفَاءُ النَّونِ أَي تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ.

انظر: عليش، منح الجليل، ٢٢٤/١.

(٥٧) أصلها (رهق) رَهَقْتُ الشَّيْءَ رَهَقًا مِنْ بَابِ تَعِبَ قُرْبُثُ مِنْهُ، وَرَاهَقَ الْعُلَامُ مُرَاهِقَةً قَارَبَ الْإِخْلَامَ وَلَمْ يَخْتَلَمْ بَعْدَ، وَجَارِيَةٌ مُرَاهِقَةٌ. وَيُقَالُ: جَارِيَةٌ رَاهِقَةٌ وَغُلَامٌ رَاهِقٌ، وَذَلِكَ ابْنُ الْعَشْرِ إِلَى إِحْدَى عَشْرَةٍ.

انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٣٠/١٠. الفيومي، المصباح المنير، ٢٤٢/١.

(٥٨) حاشية ابن عابدين، ٤١٣/١.

(٥٩) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: ٦٦٦/١. وانظر: الدردير، الشرح الكبير، ٢١٦/١.

(٦٠) هو أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير،

فاضل، من فقهاء المالكية. ولد في مصر وتعلم بالأزهر، من كتبه أقرب

المسالك لمذهب الإمام مالك وتحفة الإخوان في علم البيان، توفي في القاهرة سنة ١١٢٧ هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٤٤/١.

(٦١) الدردير، الشرح الكبير، ٢١٦/١.

(٦٢) عليش، منح الجليل، ٢٢٥/١.

(٦٣) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٦٦٦/١. وانظر: ابن مفلح، المبدع، ٣١٨/١.

(٦٤) هو إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين، شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه طبقات أصحاب الإمام أحمد وشرح المقنع، وتلف أكثر كتبه في فتنه تيمور بدمشق، توفي سنة ٨٠٣ هـ رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٦٤/١.

(٦٥) ابن مفلح، المبدع، ٣١٨/١.

(٦٦) هو منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي، خاتمة علماء الحنابلة بمصر، له مؤلفات كثيرة منها الروض المربع وكشاف القناع، توفي سنة ١٠٥١ هـ رحمه الله.

انظر: المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤٢٦/٤.

(٦٧) سنن أبي داود، ح ٦٤١، كتاب الصلاة، باب المرأة تصلي بخير خمار، ١٧٣/١. سنن الترمذي، ح ٣٧٧، أبواب الصلاة، باب ما جاء لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار، ٢١٥/٢. سنن ابن ماجه، ح ٦٥٥، كتاب الطهارة وسننها، باب إذا حاضت الجارية، ٢١٥/١.

والحديث صححه الألباني.

(٦٨) البهوتي، شرح منتهى الإرادات، ١٥٠/١.

(٦٩) القدوري، الكتاب، ٦٦/١. البائري، الغنية، ٢٥٨/١. ابن نجيم، البحر الرائق، ٢٨٥/١.

الحنابلة:

جميع بدنها عورة إلا وجهها، وفي الكفين روايتين، والأظهر أنهما ليسا بعورة، وكذلك القدمين عند ابن تيمية.^(٨٠) جاء في الإنصاف "صرح المصنف^(٨١) : أن ما عدا الوجه والكفين، عورة، وهو صحيح، وهو المذهب، وعليه الأصحاب، وحكاه ابن المنذر إجماعاً في الخمار واختار الشيخ تقي الدين: أن القدمين ليسا بعورة أيضاً. قلت: وهو الصواب"^(٨٢)

ويمكن تلخيص جميع الأقوال السابقة في عورة الحرة البالغة في قولين اثنين:

القول الأول: أن عليها ستر جميع بدنها إلا وجهها وكفيها وهو قول الشافعية والمالكية والحنابلة ورواية عند الحنفية. القول الثاني: أن جميع بدنها عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها وهو قول الحنفية ووجه عند الشافعية ورواية عند الحنابلة منهم ابن تيمية.

مع ملاحظة أن القدمين عند المالكية هي من العورة المخفية والتي لا يجب فيها على المرأة أن تعيد الصلاة إذا كشفت.

وقد استدلل أصحاب القول الأول بما يلي:

١. قوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾^(٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وجهها وكفيها.^(٨٤)
٢. لأنهما لو كانا عورة في العبادات لما وجب كشفهما في الإحرام.^(٨٥)

٣. لقول النبي صلى الله عليه وسلم، «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ».^(٨٦)

٤. قال النبي صلى الله عليه وسلم «يَا أَسْمَاءُ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يَرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا» وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ.^(٨٧)

٥. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُصَلِّي الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ لَيْسَ عَلَيْهَا إِزَارٌ؟، قَالَ: «إِذَا كَانَ الدِّرْعُ سَابِعًا يُغَطِّي ظَهْرَ قَدَمَيْهَا».^(٨٨)

^(٧٩) هو محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي، له مكانة عظيمة في المذهب الشافعي حتى عد من المجتهدين المستقلين في المذهب، ومن محققي المذهب، وله الكثير من التصانيف التي اشتهرت وجعل لها القبول منها: الروضة والمنهاج وشرح المهذب، توفي ببلده نوى سنة ٦٧٧هـ، رحمه الله.

انظر: ابن قاضي شعبة، أبو بكر بن أحمد الأسدي، طبقات الشافعية ١٥٣/٢ وما بعدها.

^(٨٠) المرادوي، الإنصاف، ٤٥٢. المرادوي، التنقيح المشيع، ٨٠. البهوتي، كشف القناع، ٢٦٦/١

^(٨١) المقصود بالمصنف ابن قدامة رحمه الله.

^(٨٢) المرادوي، الإنصاف، ٤٥٣/١.

^(٨٣) سورة النور، الآية: ٣١.

^(٨٤) مصنف ابن أبي شيبة، ح ١٧٠١٨، كتاب النكاح، باب في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن، ٥٤٧/٣.

^(٨٥) الباجي، المنتقى، ٢٥١/١.

^(٨٦) سنن الترمذي، ح ١١٧٣، أبواب الرضاع، ٤٦٨/٣. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

^(٨٧) سنن أبي داود، ح ٤١٠٤، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، ٦٢/٤.

والحديث ذكره أبو داود في المراسيل، وصححه الألباني.

^(٨٨) سنن أبي داود، ح ٦٤٠، كتاب الصلاة، باب في كم تصلي المرأة، ١٧٣/١. قال أبو داود: روى هذا الحديث مالك بن أنس وبكر بن مضر،

يقول القدوري^(٧٠): "وبدن المرأة الحرة كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها".^(٧١)

ويقول الميداني^(٧٢) "وقيل الصحيح أنها عورة في حق النظر والمس وليست بعورة في حق الصلاة".^(٧٣)

المالكية:

بالنسبة لستر العورة عند المالكية ففي كونها من شروط الصلاة -مثل بقية المذاهب- خلاف في المذهب^(٧٤)، وعلى كل حال يجب على المصلي ستر العورة، ولكن المالكية قسموا العورة إلى مغلظة ومخففة، فأما المغلظة بالنسبة للمرأة الحرة البالغة فهي بطنها ومحاذاه، ومن السرة إلى الركبة، وأما المخففة فهي الباقي الذي يكون منه الرأس والذراعين والساقين والصدر وماحاذيه من الظهر.

والفرق بينهما أن عليها في كشف المغلظة إعادة الصلاة سواء خرج الوقت أم لا، أما في كشف المخففة فيندب لها إعادة الصلاة مادامت في الوقت طلباً للأكمل، لكن لا تعيد الصلاة من كشف بطون قدميها.^(٧٥)

يقول الدردير^(٧٦) (وأعادت) الحرة الصلاة (ل) كشف (صدرها) (و) كشف (أطرافها) من عنق ورأس وذراع وظهر قدم كلا أو بعضاً ومثل الصدر ما حاذاه من الظهر فيما يظهر (بوقت) لأنه من العورة المخففة وتعيد فيما عدا ذلك أبداً وأما بطون القدمين فلا إعادة لكشفها وإن كانت من العورة"^(٧٦)

الشافعية:

جميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين^(٧٧)، وفي قول أو وجه أن باطن قدميها ليس بعورة. وقال المزني: ليس القدمان عورة^(٧٨).

يقول النووي^(٧٩) "وعورة الحرة في الصلاة وعند الأجنبي ولو خارجها (جميع بدنها إلا الوجه، والكفين) ظهراً وبطناً إلى الكوعين.

^(٧٠) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القدوري، ولد في بغداد، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق، وصنف المختصر المعروف باسمه القدوري في فقه الحنفية، ومن كتبه (التجريد) في سبعة أجزاء يشتمل على الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، توفي في بغداد سنة ٥٢٨هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٢١٢/١.

^(٧١) القدوري، الكتاب، ٦٢/١.

^(٧٢) هو عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني: فاضل من فقهاء الحنفية، نسبته إلى محلة الميدان بدمشق، له اللباب في شرح القدوري، وكشف الالتباس في شرح البخاري، وغيرها، توفي سنة ١٢٢٢هـ، رحمه الله.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٣/٤.

^(٧٣) الميداني، اللباب شرح الكتاب، ٦٢/١.

^(٧٤) القاضي عبد الوهاب، المعونة، ١٠٢/١.

^(٧٥) انظر: الدردير، الشرح الكبير، ٢١٤/١. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٢١١/١. محمد الغاني، تحقيق التلخيص، ١١٠. الغرياني، مدونة الفقه المالكي، ٢٩١. الصاوي، حاشية الصاوي، ٢٨٣/١.

^(٧٦) الدردير، الشرح الكبير، ٢١٤/١.

^(٧٧) انظر: الهيتمي، تحفة المحتاج، ١١٠/٢. الرملي، نهاية المحتاج، ٧/٢.

^(٧٨) انظر: الشربيني، مغني المحتاج، ٣٩٧/١.

واستدل القائلون بجواز كشف القدمين:

١. أن عائشة جعلته من الزينة الظاهرة. قَالَتْ: "وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قَالَ: الْفَتْحُ جَلَّقَ مِنْ فُضَّةٍ يَكُونُ فِي أَصَابِعِ الرَّجُلَيْنِ"^(٨٩). فهذا دليل على أن النساء كن يظهرن أقدامهن أولاً كما يظهرن الوجه واليدين فهي إذا مشت قد يظهر قدمها ولم يكن يمشين في خفاف وأحذية وتغطية هذا في الصلاة فيه حرج عظيم^(٩٠).

٢. "في حديث أم سلمة وإن كان فيه غطاء ظاهر القدمين، إلا أنها إذا سجدت قد يبدو باطن القدم"^(٩١).

٣. "لأن المرأة مبتلاة بإبداء قدميها في مشيها إذ ربما لا تجد الخف"^(٩٢).

٤. "أن النساء في البيت لم يكن يلبسن إلا القمصان وأمرن بالخمير مع القمصان للصلاة، وأما الثوب الذي كانت المرأة ترخيه إنما كان إذا خرجت من البيت، يدل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل عن المرأة تجر ذيلها على المكان القدر فقال يطهره ما بعده، وكذلك الخفاف اتخذنها النساء لستر السوق إذا خرجن ولم يكن يلبسنها في البيوت، فدل هذا على أنه لا يجب عليها في الصلاة ستر ذلك"^(٩٣). وبعد عرض الأقوال والأدلة يتبين قوة الرأيين ولكل منهم دليله الذي يقويه، لذا لا يسوغ الإنكار على من كشفت قدميها في الصلاة، أو أمرها بإعادة الصلاة والله أعلم.

الخاتمة

الحمد والشكر لله الذي بشكره تدوم النعم وتتم، أحمده أن من على بالوصول لنهاية المطاف في هذا البحث، الذي هو بعنوان: "مسائل مختارة في فقه العوام دراسة تأصيلية تطبيقية" وهذه هي أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

- أن العامي هو: "من ليس له أهلية الاجتهاد وبالتالي فهو لا يعرف طرق الأحكام الشرعية، ولا الأصول ورد الفروع إليها، ولا يعتد به في الإجماع أو الاختلاف".
- يمكن تعريف فقه العوام بأنه: (مجموعة الأحكام والمسائل التي ابتلي بها العامي الذي ليس من أهل الاجتهاد ولا هو يعرف طرق الأحكام الشرعية، والتي يحتاج فيها إلى اجتهاد مجتهد وفتوى من أهل الفتوى).
- أن على العامي إذا نزلت به واقعة أن يسأل غيره من أهل العلم بذلك، ثم يعمل على فتياه.
- إن الأصوليين وإن اختلفوا هل يتخير العامي من يسأله، أو يلزمه الاجتهاد حتى يصل للأرواح والأدين والأعلم، إلا أنهم متفقون على أنه لا يستفتي إلا من غلب على ظنه أنه من أهل الاجتهاد والدين.
- اختلفت الأصوليون في إفتاء المقلد والذي يظهر لي أن الخلاف لفظي، وأن المقلد لا يجوز له أن يفتي بما

يعلمه، ولكن له أن ينقل الفتوى التي يعلمها بشروط وعند الاضطرار والحاجة.

- أن الوضوء مع وجود طلاء الأظافر مما ابتلي به بعض العوام من النساء، وهو غير جائز، ولا يصح أن يقاس الطلاء على الجبيرة أو الخفين.

- يجوز للفتاة الصغيرة التي لم تبلغ، أن تصلي دون أن تغطي كامل جسدها ورأسها، لأن عورتها مخفية عن الحرة البالغة وفي هذا تسهيل، وترغيب لها لأداء الصلاة.

- أن الفقهاء اختلفوا في كون قدمي المرأة عورة أم لا، وكونهما ليسا بعورة، قول قوي ومعتبر، ومن هذا المنطلق لا ينبغي الإنكار على من تصلي كاشفة قدميها. هذا وإنني أوصي الباحثين والباحثات ببحث المزيد من المسائل الفقهية التي يحتاجها العوام، وخاصة المستجدة والمعاصرة وتوعيتهم بأحكامها لما يعود على المجتمع من النفع العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

الإسنوي، عبد الرحيم (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) تاريخ أصبهان، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأمدي، أبو الحسن علي (سنة النشر [بدون]) الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، ط [بدون]، بيروت: المكتب الإسلامي.

البابرتي، محمد بن محمد الرومي (تاريخ النشر [بدون]) العناية شرح الهداية، ط [بدون]، (بلد النشر [بدون]) : دار الفكر.

ابن الباجي، القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) المنتقى شرح الموطأ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ق وسنه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بلد النشر [بدون]: دار طوق النجاة.

البلعي، محمد بن أبي الفتح (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق محمود الأرنؤوط

(٩٠) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٢ / ١١٥

(٩١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٢ / ١١٥

(٩٢) داماد، مجمع الأنهر، ٨١

(٩٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٢ / ١٢٠

وحفص بن غياث وإسماعيل بن جعفر، وابن أبي ذئب، وابن إسحاق، عن محمد بن زيد، عن أمه، عن أم سلمة لم يذكر أحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم قصر رواه على أم سلمة رضي الله عنها، والحديث ضعفه الألباني.

(٨٩) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٤٤٠٢، سورة النور، قوله تعالى (بخمرهن على جيوبهن)، ٢٥٧٥/٨.

أحمد بن عبد الرزاق المعروف بالمعربي
الرشدي، ط الأخيرة، بيروت: دار الفكر.
الزحيلي، وهبة (١٤٣٣هـ)، الفقه الإسلامي وأدلته،
ط ١٢، دمشق: دار الفكر
الزركشي، محمد بن عبد الله (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)
اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، دراسة
وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار
الكتب العلمية
الزركشي، محمد بن عبد الله (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) البحر
المحيط في أصول الفقه، ط ٢، تحرير عبد القادر
العاني ومراجعة عمر الأشقر، الكويت: وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية.
الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (٢٠٠٢م)
الأعلام، ط ١٥، بلد النشر [بدون]: دار العلم
للملايين.
الزليعي، عثمان (١٣١٣هـ) تبيين الحقائق شرح كنز
الدقائق، مطبوع مع حاشية أحمد بن أحمد
الشليبي، القاهرة: ب، المطبعة الأميرية.
الشريبي، محمد بن أحمد الخطيب (١٤١٥هـ
/١٩٩٤م) مغني المحتاج إلى معرفة معاني
ألفاظ المنهاج، بلد النشر [بدون]: دار الكتب
العلمية.
الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي المالكي (سنة النشر [بدون])
بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف
بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، بلد
النشر [بدون]: دار المعارف
ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي
الدين (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) أدب المفتي
والمستفتي، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر،
المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم
ابن عابدين، محمد (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) رد المحتار
على الدر المختار، ط ٢، بيروت: دار الفكر.
ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤١٣هـ) مجموع
فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح
العثيمين، ط الأخيرة، جمع وترتيب: فهد بن
ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن
ابن العماد العكري، عبد الحي الحنبلي
(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) شذرات الذهب في أخبار
من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، وتخراج
عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير.
العمرائي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم
(١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) تحقيق: قاسم محمد
النوري، جدة: دار المنهاج
الغرياني، الصادق عبد الرحمن (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)
مدونة الفقه المالكي وأدلته، بيروت: مؤسسة
الريان.

وياسين الخطيب (بلد النشر [بدون]: مكتبة
السوادي للتوزيع.
ابن عليش، محمد بن أحمد بن محمد
(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) منح الجليل شرح مختصر
خليل، ط [بدون]، بيروت: دار الكتب العلمية
البغدادي، أبو بكر أحمد بن ثابت (١٤٢١هـ)، الفقيه
والتفقه، ط ٢، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن
يوسف الغرازي، السعودية: دار ابن الجوزي
البهوتي، منصور (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) شرح منتهى
الإرادات، تحقيق عبد الله التركي، بلد النشر [بدون]:
مؤسسة الرسالة.
البهوتي، منصور بن يونس (تاريخ النشر [بدون])
كشف القناع عن متن الإقناع، ط [بدون]، بلد
النشر [بدون]: دار الكتب العلمية.
البهوتي، منصور بن يونس (سنة النشر [بدون])،
الروض المربع شرح زاد المستقنع، ط [بدون]
[تخريج أحاديث: عبد القدوس محمد نذير، بلد
النشر [بدون]: دار المؤيد
الترمذي، محمد بن عيسى (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) سنن
الترمذي، ط ٢، تحقيق وتعليق أحمد شاكر،
(ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)
وإبراهيم عطوة (ج ٤، ٥)، مصر: شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني
(١٤١٦هـ/١٩٩٥م) مجموع الفتاوى، تحقيق
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة:
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
ابن حمدان، أحمد بن شبيب بن حمدان النميري الحراني
الحنبلي (١٣٩٧هـ) صفة الفتوى والمفتي
والمستفتي، ط ٣، تحقيق محمد ناصر الدين
الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.
أبو داود، سليمان السجستاني (سنة النشر [بدون]) (سنن
أبي داود، ط [بدون]، تحقيق محمد محيي
الدين، بيروت: المكتبة العصرية.
الدريز، أحمد (تاريخ النشر [بدون])، الشرح الكبير،
مطبوع مع حاشية الدسوقي على الشرح الكبير،
ط [بدون]، بلد النشر [بدون]: دار الفكر،
تاريخ النشر [بدون].
الدسوقي، محمد، تاريخ النشر [بدون]، حاشية الدسوقي
على الشرح الكبير، ط [بدون]، بلد النشر [بدون]:
دار الفكر.
الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر (١٤٢٠هـ)،
مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ،
بيروت: المكتبة العصرية.
الرملي، محمد بن أبي العباس شهاب
الدين (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) نهاية المحتاج إلى
شرح المنهاج مطبوع مع حاشية أبي الضياء
نور الدين الشبرايملي الأظهري، ومع حاشية

ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) المبدع في شرح المقنع، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ هـ) لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر.

المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م) المختصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول، مصر: المكتبة الشاملة.

المواق، محمد (١٤١٦ هـ / ١٩٩٤ م) التاج والإكليل لمختصر خليل، بلد النشر [بدون]: دار الكتب العلمية.

ابن النجار الفتوح، تقي الدين محمد (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) شرح الكوكب المنير، ط٢، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، السعودية: مكتبة العبيكان.

المردواي، علاء الدين (تاريخ النشر [بدون])، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط٢، بلد النشر [بدون]: دار إحياء التراث العربي.

الميداني، عبد الغني الغنيمي (تاريخ النشر [بدون])، اللباب في شرح الكتاب، ط [بدون]، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن النجار الفتوح، محمد بن أحمد (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، مطبوع مع حاشية المنتهى لعثمان بن أحمد النجدي، تحقيق عبد الله التركي بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد (تاريخ النشر [بدون]) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، مطبوع مع منحة الخالق لابن عابدين، ط٢، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

النملة، عبد الكريم (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي (تاريخ النشر [بدون])، فتح القدير، بيروت: دار الفكر.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر (١٣٥٧ هـ / ١٩٨٣ م) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، مطبوع مع حاشية عبد الحميد الشرواني، وحاشية أحمد بن قاسم العبادي، مراجعة وتصحيح لجنة من العلماء ط [بدون]، مصر: المكتبة الحجازية الكبرى.

الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣) المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، بلد النشر [بدون]: دار الكتب العلمية. الفيومي، أحمد (سنة النشر [بدون]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط [بدون]، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن قاضي شهباء، أبو بكر (١٤٠٧ هـ) طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، بيروت: عالم الكتب.

القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)، المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي عبد الوهاب علي المالكي (تاريخ النشر [بدون]) التلخيص في الفقه المالكي، تحقيق محمد ثالث الغاني، ط [بدون]، (الرياض-مكة المكرمة/مكتبة نزار الباز).

ابن قدامة، موفق الدين المقدسي (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط٢ (بلد النشر [بدون])

القدوري، أحمد (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) الكتاب، تحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، محمد سراج، علي محمد مصر: دار السلام.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: درا الكتب العلمية).

ابن ماجه، محمد القزويني (سنة النشر [بدون]) (سنين ابن ماجه، ط [بدون])، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بلد النشر [بدون]: دار إحياء الكتب العربية.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة (تاريخ النشر [بدون]) المعجم الوسيط، ط٢، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ومحمد النجار، بلد النشر [بدون]: المكتبة الإسلامية.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله، (تاريخ النشر [بدون]) خلاصة الأثر في أعيان القرن الثاني عشر، ط [بدون]، بيروت: دار صادر.

مسلم، ابن الحجاج النيسابوري (سنة النشر [بدون]) المسند الصحيح المختصر، ط [بدون]، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The Role of Technology in Facilitating Hadith Compilation: A Contemporary Study on Methods and Tools for compiling and judging Hadiths.

ALFURHUD AMANI ABDULLATIF J *

* Al-Jouf University- KSA

دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث: دراسة حديثة في أساليب وأدوات تخريج الأحاديث الشريفة والحكم عليها.

أ. أماني عبد اللطيف جبر الفرهود *

* جامعة الجوف - المملكة العربية السعودية.

E-mail: Amanyalfurhud@gmail.com

KEY WORDS

Technology, Hadith Compilation, compiling and judging Hadiths.

الكلمات المفتاحية

التقنية، تخريج الأحاديث، الحكم عليها.

ABSTRACT

This research Title: "The Role of Technology in Facilitating Hadith Compilation: A Contemporary Study on Methods and Tools for compiling and judging Hadiths; Objective: Understanding the role of technology in facilitating the compilation and judging of hadiths, focusing on the science of Hadith and the science of Hadith compilation, and the electronic platforms that have aided in this process.

The research employed inductive methodology and was divided into an introduction and four sections, with a conclusion.

The research concluded with a summary of the most important findings: Exploring the Significance of Modern Technology in Serving the Prophetic Tradition: Emphasizing the importance of websites and electronic software in the Prophetic tradition. Electronic compilation, represented by applications, plays a crucial role in accessing the sayings and actions of the Prophet Muhammad (peace be upon him). This method facilitates access to Hadiths through smartphones and tablets, utilizing original compilation methods within an electronic framework. It takes advantage of the evolution of electronic software for Prophetic tradition sources.

Relying on websites and electronic applications for compiling Prophetic sayings is a practical necessity. The use and understanding of electronic compilation tools are essential for studying the Prophetic tradition. Electronic compilation has contributed significantly to bridging the gap for many distant methods and chains of transmission that are challenging to access through traditional paper-based sources.

مستخلص البحث:

هذا بحث بعنوان " دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث: دراسة حديثة في أساليب وأدوات تخريج الأحاديث الشريفة والحكم عليها؛ هدفه: التعرف على دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث والحكم عليها ويعرج البحث على علم الحديث الشريف وعلم تخريج الحديث الشريف والمواقع الإلكترونية التي ساعدت في تخريج الحديث، واستخدم البحث المنهج التحليلي الاستقرائي واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة وتوصل البحث إلى مجموعه من النتائج ومن أهمها: الوقوف على أهمية التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية.

الوقوف على أهمية المواقع والبرمجيات الإلكترونية في السنة النبوية.

وأن التخرج الإلكتروني متمثلاً في التطبيقات الإلكترونية ذو أهمية كبيرة في الوصول إلى سنة النبي صل الله عليه وسلم، حيث سهل عملية الوصول إلى الحديث وذلك انطلاقاً من الهاتف الذكي واللوح الرقمي، موظفاً طرق التخرج الأصلية في قالب إلكتروني، مستفيداً من تطور البرمجية الإلكترونية لمصادر السنة النبوية.

ويعتبر الاعتماد على المواقع والتطبيقات الإلكترونية في تخريج الأحاديث النبوية ضرورة واقعية، تحتم على دراس السنة النبوية استخدامها والتعرف عليها، حيث أسهم التخرج الإلكتروني في تقريب العديد من الطرق والأسانيد البعيدة التي من الصعب الوقوف عليها من خلال الكتاب الورقي.

المقدمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد، فقد شهد العالم في الأونة الأخيرة وتطورات ديناميكية هائلة، وتغيرات جمه في عالم الاتصالات ودنيا التقنيات، حيث يعيش العالم انفجاراً معرفياً كبيراً، بالإضافة إلى ثورة نوعية كبرى في مجال المعلومات، وتعتبر الشبكة العنكبوتية منتهى ما تم التوصل إليه في هذا الميدان والمسلمون بطبيعة دينهم فهم مطالبون بالاستغلال الأمثل من تلك الوسائل والإفادة منها وتسخيرها في خدمة الدين الإسلامي والدعوة إليه، وتعريف كافة أرجاء العالم برسالة النبي عليه الصلاة والسلام وتوضيح ما جاء به من الحنفية السمحة لبنى البشر في كل العالم، وإذا كان قد طلب من كل نبي أن يخاطب أمته بلسان قومه فالمسلمون كذلك في الوقت الحالي مطالبون بمخاطبة الناس بلسان ولغة عصرهم، ولغة العصر اليوم ولسان القوم هو: المعلوماتية والتقنيات الحديثة حيث بات من المهم أن يتم استخدام كل ما من شأنه أن يحسن كفاءة هذا التبليغ والبيان، والتقنيات والأدوات والوسائل الحديثة من أفضل ما يسهم في ذلك باعتبارها وسيلة حية تتسم بالنفاعلية وبعيدة عن الجمود.

وتعتبر السنة النبوية من أهم العلوم الإسلامية باعتبارها الأصل الثاني بعد القرآن الكريم والتطبيق العملي لما جاء فيه وتعد الكاشفة لغوامضه ومعانيه والتي تسهم في شرح ألفاظه ومعانيه، فإذا كانت وظيفة القرآن الكريم هداية الخلق لما فيه خير لهم ووضع القواعد والأسس للتشريع والأحكام، فإن وظيفة السنة تتجلى في تفصيل هذه القواعد وتوضيح تلك الأسس، حيث خاطب الله عز وجل الرسول بقوله (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^١) لذلك فإنه من غير الممكن أن يكتمل الدين ولا يمكن للشرعية أن تتم إلا من خلال أخذ السنة جنباً إلى جنب مع القرآن، ووردت الكثير من الأحاديث والآيات التي أمرت بطاعة الرسول والاحتجاج بسنته والعمل بها^٢.

وقد تم تأليف الكثير من الكتب في السنة النبوية وما تتضمن عليه من أحاديث ومصادر الأصلية، حيث كانت هذه الكتب على مر العصور كتباً ورقية؛ حتى جاء هذا العصر وما يتسم به من ثورة علمية حديثة قائمة على الحاسب الآلي والتقنيات المنبثقة منه، مما أدى إلى ظهور الكتاب الرقمي، وتم تحويل كثير من كتب السنة إلى كتب رقمية^٣. وبات يستغني الدارسون والباحثون عن الكتب الورقية في السنة النبوية واستبدالها بالوسائط الإلكترونية، وأسهمت كذلك التقنية الحديثة في إنجاح مشروع "تقريب

السنة بين يدي الأمة" فبرزت الكثير من البرامج الحاسوبية في خدمة السنة النبوية وسهلت على الناس استخراجها والحكم عليها.^٤

كما كان لشبكة الإنترنت الجهود الكثيرة من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي -صلى الله عليه وسلم- لجميع أمة الإسلام في أصقاع الأرض كلها، فقد تضمنت برامج موسوعية تشتمل على علوم الحديث رواية ودراية، وتتناول علم الرجال وجمع المصنفات فيهم في برامج تيسر سبل الوقوف على متن الخبر، وأقوال الأئمة في حاله، وكذا الوقوف على نقلة السنة النبوية ومعرفة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم.

إن الوسائل والتقنيات الحديثة ساعدت في تخريج الأحاديث والتي تستمد مادتها بالأساس من الكتب الورقية سواء أكانت كتب السنة التي تروي الأحاديث بأسانيداً أو كانت كتب التخريج التي تساعد على معرفة الأحاديث من مصادرها الأصلية فالتقنية من وسائل التخريج الحديثة، ولم يتوقف دور هذه التقنيات على خدمة علم التخريج فقط، إنما تعداه إلى كافة فروع علم الحديث الأخرى، مثل علم الرواة بصفة عامة، وغريب الحديث، ومختلفة وناسخة ومنسوخة، وفقه الحديث، وما تتضمن عليه هذه التقنيات من مؤلفات وكتب تساعد الباحث في الوصول إلى مراده دون جهد وبسرعة كبيرة.^٥

ومع ظهور هذه التقنيات وبروز إسهاماتها في ميدان العلوم الإسلامية لاسيما علم الحديث كان من الضروري أن تُعرف بتلك التقنيات، وانعكاساتها على السنة النبوية، وتوضيح الجهود المبذولة فيها، وبيان فائدتها وأهميتها. ومن هذا المنطلق جاء البحث بعنوان: "دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث: دراسة حديثة في أساليب وأدوات تخريج الأحاديث الشريفة والحكم عليها."

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة البحث في هذا الموضوع في عدة جوانب منها: حداثة التقنيات الحديثة، وتجدها دائماً، وتنزيلها على العلوم الإسلامية عامة، وعلم الحديث خاصة، كما تكمن مشكلة البحث أيضاً في قلة المراجع في هذا الموضوع، وبخاصة ما هو مختص في تقنيات السنة النبوية. وعليه تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

١. ما دور التقنية الحديثة في تسهيل تخريج الأحاديث؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١. التعرف على دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث.

١. بن أحمد. ص ٣. المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، (١)، للعام (٢٠١٧).

٥ دور البرامج الإلكترونية والتقنيات الحاسوبية في خدمة علم الحديث النبوي الشريف حفيظي، حكيمة. ص ٢٣. مجلة بحوث ودراسات، (٥)، للعام (٢٠٢١) م.

١ النحل: ٤٤

٢ حجية السنة النبوية المطهرة الصادق محمد. ص ١. شبكة الالوكة. ٢٠١٧

٣ ضوابط استخدام التقنيات الحديثة في تخريج الأحاديث النبوية^٣ الدوسري، سعد. ص ٣٨٣ مجلة الدرايات العربية، (٥٠)، لعام (٢٠١٧)

٤ مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية: ضوابط ومحاذير (دراسة حديثة نظرية تطبيقية) الخياط، سامي

أهمية البحث:

تحدد أهمية الدراسة الحالية في التالي:

- أهمية علم الحديث الشريف باعتبار المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي في تفسير القرآن الكريم.
- الاهتمام بالتكنولوجيا وتقنياتها الحديثة، وتوظيفها لخدمة العلوم الشرعية لاسيما علم الحديث الشريف
- إثراء المكتبة الإسلامية بشكل عام، والحديثية بشكل خاص بسد هذا النقص وإثراء موضوعه.

الدراسات السابقة:

قامت الباحثة بالاطلاع على العديد من الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، من أجل إعطاء خلفية وافية لموضوع هذه الدراسة، والتي عرضتها وفقاً لتسلسلها الزمني من الأحدث إلى الأقدم، وذلك على النحو التالي:

دراسة بعنوان: "مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية ضوابط ومحاذير (دراسة حديثة نظرية تطبيقية)"^٦.

هدفت الدراسة الى التعرف على مجالات توظيف مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية ضوابط ومحاذير، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، تم جمع البيانات من خلال الامثلة التطبيقية على نماذج محدودة من علوم السنة النبوية والدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، وكشفت النتائج أن هناك العديد من المجالات لتوظيف التقنية الحديثة ومهاراتها لخدمة السنة النبوية منها مهارات توظيف التقنية الحديثة في المجال الدعوي والتوجيهي ومهارات توظيفها في المجال العلمي والبحثي الذي يشمل تصميم مشاريع برمجية لحفظ دواوين السنة النبوية وعلومها وتصميم مهارات مشاريع البرامج والتطبيقات الفنية العملية لعلوم السنة النبوية، كما أشارت النتائج الى ضوابط علمية للإفادة من توظيف التقنية الحديثة لخدمة السنة النبوية، منها: تولى الإشراف على تصميم المشروعات العلمية البرمجية الرقمية لدواوين السنة النبوية، لجان من العلماء والمتخصصين، في الحديث النبوي، واللغة العربية، والبرمجيات الحاسوبية. - استطلاع رأي العلماء والباحثين المتخصصين في الخدمات الفنية والبرمجية والمهارات المطلوبة لخدمة السنة النبوية وعلومها. - تطبيق قواعد المحدثين، وأصولهم في ضبط النصوص الرقمية، وتوثيقها ومعالجتها، كضبطهم للنصوص الورقية سواء بسواء. - تطوير مهارات البرامج باستخدام الذكاء الصناعي، والعناية بالتصحيح، والضبط اللغوي والاملائي، للنصوص الرقمية. كما أن هناك محاذير وسلبات من توظيف التقنية الحديثة لخدمة السنة النبوية، منها: جوانب شخصية، وجوانب منهجية علمية، وجوانب عامة.

دراسة بعنوان: "مهارات توظيف التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال في خدمة السنة النبوية"^٧.

هدفت الدراسة الى بيان مفهوم التقنية وتطورها ومدى فعاليتها في خدمة السنة النبوية المطهرة، اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الوثائقي المعتمد على النصوص الشرعية والوسائل التقنية الحديثة التي ساهمت في خدمة السنة النبوية المطهرة، وخلصت نتائج الدراسة الى أن التقنية تعني الجودة والأحكام والتوثيق للأشياء ٢- السنة النبوية المطهرة هي كل ما يصدر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قول وفعل وتقرير ٣- السنة النبوية المطهرة تحتل مكانة سامية وعالية في التشريع الإسلامي. ٤- أن القرآن الكريم أثبت أن السنة مكمله له ومفسرة وموكدة لنصوصه. ٥- إن وسائل الاتصال الحديثة لعبت دوراً كبيراً في نشر وحفظ السنة النبوية المطهرة. ٦- إن شبكة المعلومات الدولية الإنترنت والبريد الإلكتروني والمنتديات والحوار مع الآخرين عبر الإنترنت آليات تقنية تخدم السنة النبوية المطهرة من حيث وجود نصوصها وتخريجها وتفسيرها.

دراسة بعنوان: "ضوابط استخدام التقنيات الحديثة في تخريج الأحاديث النبوية"^٨.

هدفت الدراسة الى الوقوف على أهمية التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية والوقوف على أهم البرامج الحاسوبية والمواقع الإلكترونية في السنة النبوية ووضع أسس وضوابط تساعد على تطوير استخدام التقنيات الحديثة استخداماً، بالإضافة الى إثراء المكتبة الإسلامية عامة؛ والحديثية خاصة يمثل هذا البحث في هذا الموضوع، خلصت الدراسة الى بعض الضوابط التي تساعد على تطوير استخدام تقنية المعلومات استخداماً صحيحاً ومنها الضوابط الخاصة في البرامج الحاسوبية والتطبيقات المختصة بالسنة النبوية وشملت على معرفة البرامج والتطبيقات المعتمدة والمتخصصة في السنة النبوية؛ - الحرص على البرامج ذات الإمكانيات العالية؛ ملاحظة عدم الاعتماد الكلي على هذه البرامج في التخريج ولزوم الرجوع للأصول عند الشك في لفظ أو اسم راوي؛ أن يكون الباحث والمخرج للحديث عن طريق البرامج الحاسوبية على دراية، كما أشارت الدراسة الى ضوابط استخدام الشبكة العنكبوتية والتطبيقات في تخريج الأحاديث وتمثلت في ١- الحرص الشديد على المواقع المعتمدة في السنة النبوية، والتي سبق ذكر بعضها. ٢- عدم الاعتماد الكلي على هذه الطرق، والقطع بها، لا سيما وأن أكثر المواقع لا تعزو للجزء والصفحة، أو الطبعة المعتمدة للكتاب، والتي قد لا تتطابق مع المطبوع، فلا بد من الرجوع للأصول. ٣- إذا كان البحث في محركات البحث المشهورة ولتسريع البحث وإيجاد نتائج مؤكدة توضع جملة البحث بين علامات التنصيص "....". ٤- هذه البرامج هي وسيلة بحث وليست مصدر معلومة مؤكدة، فهي تعتبر كالفهارس للكتب، يستعان بها، ويتأكد بعدها.

٦ مهارات خدمة السنة النبوية. جامعة الزرقاء وجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث. ٢٠١٧ م.

٧ انظر الدوسري ص ٥

٨ انظر الخياط، ص ١٨

٩ مهارات توظيف التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال في خدمة السنة النبوية. أحمد، رحمة الله حبوب ص ٢. المؤتمر الدولي:

التخريج الخمسة المعروفة ، نظرا لأهميتها في التعريف بمصادر السنة النبوية ومناهج ومقاصد المصنفين في تخريج أحاديث السنة النبوية، وقد تجلت ضرورة إيلاء التعريف بالتخريج الإلكتروني والاعتماد على التقنية وتوظيفها في تقريب السنة النبوية، كما بينت النتائج أن علماء الحديث والسنة النبوية قد بينوا جانباً مهماً في ابتكار طرق التخريج الخمسة المعروفة، وقد تجلّى مدى دقة علماء الحديث في خدمة تخريج السنة بما يتوافق مع متطلبات كل عصر، كما أن إن طرق تخريج الحديث هي الأساس الأول في عملية تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد وأن جل البرامج الإلكترونية والمواقع الشبكية أساس اعتمادها الأول هو طرق التخريج الأصلية.

المبحث الأول: التقنية الحديثة

تعد التقنية الحديثة أمر لا يمكن تجاهله في حياتنا اليومية في عالم اليوم الديناميكي، حيث يعد الهدف الأساسي للتقنية الحديثة التي تدمج أدوات تعزيز التطوير والاستخدام وتبادل المعلومات، تسهيل المهام وحل العديد من مشاكل البشرية، فبفضل التقدم في تكنولوجيا المعلومات، أصبحت الأجهزة متعددة الوظائف مثل الساعات الذكية والهواتف الذكية جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، كما أصبحت الحواسيب أيضاً أسرع وأكثر قابلية للنقل، مما جعل حياتنا أسهل وأكثر راحة، مع مواكبة التقنية الحديثة لمتطلباتنا المتزايدة^{١٢}.

مفهوم التقنية الحديثة

تعرف التقنية الحديثة بأنها: "المنتجات والخدمات والبنى التحتية الحديثة التي صممت وبنيت بناء على استخدام المعرفة العلمية والهندسية بحيث تشمل تكنولوجيا المعلومات القائمة على البرمجة والحواسيب والشبكات."^{١٣}

كما عرفها سواليه Swalih^{١٤} أن التقنية الحديثة هي النهوض بالتكنولوجيا القديمة معاً لإضافات والتعديلات الجديدة.

والتكنولوجيا "تطبيق المعرفة والأدوات والتقنيات العلمية لإنشاء منتجات وأنظمة تعمل على تحسين نوعية حياة الإنسان"^{١٥}.

نتاج نقل المعرفة العلمية إلى الاستخدام العملي. وترى الدراسة أن التقنية الحديثة هي مجموعة من الأفكار والابتكارات التي تساعد في تسهيل الحياة وتطوير العمليات الإنتاجية وطرق الوصول إلى المعلومات^{١٦}.

دراسة بعنوان: "صورة السيرة النبوية في المواقع الإلكترونية الغربية وسبل التصحيح"^{١٧}

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم السيرة النبوية ومكانتها وأهداف تشويه السيرة النبوية ومظاهرها في الانترنت الغربي، ثم سبل مواجهة حملات تشويه السيرة النبوية، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وأشارت النتائج أن أهمية السيرة النبوية تتمثل في فهم القرآن الكريم والوقوف على كثير من الشعائر الإسلامية وحسن الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وتكوين الشخصية الإسلامية ثم الوقوف أمام الشبهات والافتراءات التي أثرت حول الإسلام ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وتتمثل أهداف تشويه السيرة النبوية في الانترنت الغربي في التشكيك بالإسلام عقيدة وشريعة، وإيجاد فجوة بين واقع المسلمين والإسلام للحيلولة دون انتشاره عالمي، أما مظاهر التشويه للسيرة النبوية فتمثلت في الطعن بشخص النبي -صل الله عليه وسلم- والطعن بأسماء المؤمنين والتشكيك في مصداقية القرآن الكريم أو ثق مصدر للسيرة النبوية. وأهم سبل مواجهة حملات تشويه السيرة النبوية إيجاد مواقع إلكترونية تعرف بالإسلام عقيدة وشريعة، مع التعريف بالمواقع المضللة عن الإسلام، مع قيام المنظمات والمؤسسات الإسلامية بهذا الدور.

دراسة بعنوان: "ديداكتيك الدرس الحديث في التعليم الإلكتروني وسؤال الجودة؛ دراسة وصفية تحليلية لحالة التعليم الجامعي بالمغرب"^{١٨}

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الطريق الديداكتيكية الحديثة التي يقدمها التعليم الإلكتروني عبر المنصة الرقمية للجامعة بالدار البيضاء مع الأخذ بعين الاعتبار مستوى فاعلية البيئة التعليمية بكل مكوناتها لتحقيق الجودة في مخرجات الدرس الحديث عن طريق التعليم الإلكتروني، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي مستخدمة الملاحظة كأداة لجمع البيانات، وأظهرت النتائج أن الرقي بالتدريس الجامعي الرقمي في الدرس الحديث يستلزم الاهتمام بالمناهج الديداكتيكية الرصينة.

دراسة بعنوان: "تطوير تدريس علم تخريج الحديث الشريف في جامعات العلوم الإسلامية الواقع والمأمول"^{١٩}

هدفت الدراسة إلى التعريف بعلم تخريج الحديث النبوي الشريف، وتشخيص واقع تدريسه في ظل التطور العلمي والتقني والتكنولوجي الذي وصلت إليه البشرية اليوم، وخلصت نتائج الدراسة إلى اقتصار التدريس على طرق

صورة السيرة النبوية في المواقع الإلكترونية الغربية و سبل التصحيح مطالقة، أحلام محمود علي. علوم الشريعة والقانون، (٤٣)، ٢٠٩. ٤. ١٠ ديداكتيك الدرس الحديث في التعليم الإلكتروني وسؤال الجودة؛ دراسة وصفية تحليلية لحالة التعليم الجامعي بالمغرب . زينب أبو علي ص ١ مجلة العلوم التربوية والنفسية. (٦)، ٢٠٢٢ م ١١ انظر بلعمري ص ٤ ١٢ أهمية التقنية في حياتنا. أشرف، دعاء. ص ١. ٢٠٢٠ م. متاح على الرابط: <https://www.almrsal.com/post/948572>.

¹³ 64 Examples of Modern technology P7. Jhon, S. 2022.

¹⁴ Modern Technology: Definition, Examples, and Applications.P4 Swalih. 2023.

¹⁵ what is modern technology? Technology. Atiananakofi. P16— .2023.

¹⁶ 20 Types of Technology: Definitions and Examples Mishra, S P33. 2023.

أهمية التقنية الحديثة:

أثرت التقنية الحديثة على كل مجال من مجالات حياتنا، بحيث أصبحت عاملاً حاسماً في أي وقت من الأوقات وذلك أننا وصلنا إلى نقطة أصبح فيها كل ما نستخدمه في حياتنا اليومية مرتبطاً بشكل مباشر أو غير مباشر بالتقدم التقني بشكل ما وهو ما يعكس أهميتها في القيام بالأشياء بطريقة أسرع وأكثر كفاءة من خلال تحسين سير العمل سواء كان الأمر يتعلق بمساعدة البشر أو القيام بالمهمة بمفردهم، فإن الآلات دائماً هي الأفضل من حيث الدقة والكفاءة وهو ما تظهر أهميته في تسهيل وتسريع أعمالنا.^{١٧}

وتكمن أهمية التقنية الحديثة في تغيير الطريقة التي نعيش بها حياتنا اليومية ونعمل بها ونتواصل بها بل وحتى طريقة تفكيرنا، حيث جعلت التكنولوجيا الحديثة الاتصالات العالمية فورية، مما أدى إلى سد الفجوات الجغرافية وتعزيز الترابط، كما عززت الأتمتة والذكاء الاصطناعي الإنتاجية في مختلف الصناعات، مما أدى إلى تبسيط العمليات وتقليل الأخطاء البشرية، وأدى الإنترنت إلى إضفاء الطابع الديمقراطي على الوصول إلى المعلومات، وتمكين الأفراد بالمعرفة والموارد التعليمية.^{١٨}

وفي غضون بضعة عقود قصيرة فقط، غيرت التقنية الحديثة كل جانب من جوانب الوجود البشري، حيث لعبت التقنية الحديثة دوراً مهماً في تطوير العالم الحديث، تبدأ من تطور العجلة وحتى أحدث التطورات في الذكاء الاصطناعي، لقد أصبحت حياتنا أبسط وأكثر إنتاجية وأكثر ترابطاً نتيجة للتقدم التقني، وأحدثت التكنولوجيا العديد من التحسينات الجيدة التي غيرت الطريقة التي نتواصل بها والبيئة، من الهواتف المحمولة إلى الواقع الافتراضي إلى الذكاء الاصطناعي. وترى الدراسة أن التكنولوجيا الحديثة هي مجال ديناميكي ومتطور باستمرار ويستمر في تشكيل العالم الذي نعيش فيه.

ويمس تأثيرها العميق على المجتمع كل جانب من جوانب حياتنا، بدءاً من كيفية عملنا وتواصلنا وحتى كيفية مواجهة التحديات العالمية. وبينما نمضي قدماً، من الضروري تسخير قوة التكنولوجيا الحديثة بشكل مسؤول، وضمان أنها تخدم الصالح العام وتساهم في مستقبل مستدام وعادل، كما إن إدراك أننا نستطيع القيام بالكثير من الأشياء في أقل وقت ممكن، وبجهد أقل، مهد الطريق إلى التكنولوجيا الحديثة كما نراها اليوم.^{١٩}

أهداف التقنية الحديثة:

يعد الهدف الأساسي من التقنية الحديث هو تلبية احتياجات الإنسان والمساعدة في حل المشاكل البشرية المختلفة^{٢٠}، أن إحدى أهداف التقنية الحديثة هو مساعدتنا في تحقيق أهداف معينة، مما يعني أن التقنية موجودة لمساعدتنا في تحقيق الأشياء التي نتمكن من تحقيقها بدونها؛^{٢١} كما تهدف التقنية الحديثة إلى تسهيل حياة الأفراد اليومية في معظم تعاملاتهم وتعليمهم وأبحاثهم ومتابعتهم للأحداث والكثير من التفاصيل التكنولوجية التي سهلت مسيرتهم في الحياة.^{٢٢}

وترى الدراسة أن هدف التقنية الحديثة تهدف إلى تحسين جودة الحياة وتسهيل العمليات اليومية من خلال تقديم حلول مبتكرة وفعالة للتحديات المختلفة حيث تساهم في الوصول إلى المعلومات بسرعة ودقة وتعزز التواصل العالمي.

المبحث الثاني: علم الحديث الشريف

يتسم الإسلام بالشمولية ومما يدل على ذلك تنوع العلوم والمعارف الشرعية وكثرتها ومنها علم الفقه والتفسير وعلم الحديث، ويعتبر علم الحديث أهم العلوم الشرعية وأبرزها التي أسس لها العلماء قديماً وحديثاً وذلك لأهميته البالغة في الكشف عن بعض تفاصيل الشريعة الإسلامية مثل تفاصيل بعض مسائل العقيدة الإسلامية، وتفاصيل بعض العبادات، كما وأنه يعتبر طريقاً للوصول إلى بعض الأحكام الشرعية.^{٢٣}

وقد نال الحديث الشريف أهمية كبيرة ومكانة بالغة في قلوب كل المسلمين وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية صريحة قاطعة في وجوب العمل بالحديث الشريف ووجوب الأخذ كذلك بهدى الرسول عليه الصلاة والسلام في كل الأمور كبيرها وصغيرها جليلها وحقيرها، سواء برضا الأنفس أو رغماً عنها^{٢٤}. أن إتباع السنة النبوية يمتد إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة للإسلام ويحد من الأخطاء المتولدة من السلوكيات الاجتماعية الخاطئة، فالناس مختلفة في الطبائع والميول وأسلوبها في العيش والبيئة التي ينتمون إليها والرغبات النفسية ويتفاوتون في مستوى الذكاء والفهم ولاستنتاج التي تحتاج إلى تقويم للحفاظ على نظام المجتمع وهذا لا يحدث إلا من خلال التقيد بالسنة النبوية وذلك لما

^{٢٢} التكنولوجيا وسوء استعمالها وأثرها على تطور المجتمع عميق، عميش يوسف ص ٢٣ ٢٠١٨م.
^{٢٣} لماذا ندرس الحديث الشريف مشعل، طلال. ص ٤. ٢٠١٩م. مقالة متاحة على

<https://mawdoo3.com/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7%D9%86%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB>

^{٢٤} نشأة وتطور الحديث النبوي ومكانته في التشريع. فريدا، أحلام. ص ٢. مجلة القدس العالمية للدراسات الإسلامية، ٢(١). للعام. ٢٠١٤م.

¹⁷ Swalih, 2023.OP. Cit P-23

¹⁸ Atiananakofi. .2023. OP.Cit P2

¹⁹ The Role of Technology in The Future and Its Impact on Society. Watts, T. P23(2023).

²⁰ Technology | History, Definition & Purpose. Carroll, K P2220. 2023.

²¹ Isak, CWhat Is the Objective of Technology? P12. 2022.

الأمر الذي يدلُّ على أنَّهم لم يكونوا يصنِّفون ويؤلِّفون الكتب في هذا المجال كيفما تيسَّر لهم؛ بل إنَّ هناك ضوابط وقواعد التزموا بها. فلذلك كانت الحاجة ماسةً إلى إبراز وتجليه مَنهج علماء الحديث في تصنيفهم وتأليفهم للكتب^{٣١}. وقد اعتمد علماء الحديث طريقتين أساسيتين في التصنيف هما^{٣٢}:

- التصنيف حسب الموضوع: حيث تضع الأحاديث التي تتناول الموضوع ذاته وحدها فمثلاً أتضع الأحاديث الخاصة بالعلم وحدها، وأحاديث الصلاة وحدها، وأحاديث الإيمان وحدها، وأحاديث الجهاد وحدها وهكذا، ومن ثم تقسم أحاديث كل موضوع رئيسي إلى موضوعات فرعية كثيرة، حيث يسمى كل موضوع فرعي "باباً" فقول باب الإيمان باب بني الإسلام على خمس، وباب حلاوة الإيمان، وباب الحياة من الإيمان.. وهكذا، وتعتبر هذه الطريقة أكثر طرق التدوين انتشاراً بين العلماء، واتبعت هذه الطريقة الكتب الستة.

- التصنيف بحسب الصحابي الذي روى الحديث: وبحسب هذا التصنيف تكتب الأحاديث التي رواها أبو بكرٌ وبعدها الأحاديث التي رواها عمر ومن ثم التي رواها عثمان فالأحاديث التي رواها علي رضي الله عنهم وارضاهم جميعاً، وهكذا بالسير حسب ترتيب محدد للصحابة وكل صحابي تكتب الأحاديث الخاصة به والتي رواها مهما كان موضوعها، والكتب التي تؤلف بحسب هذا التصنيف تسمى المسانيد، ومن أمثلتها مسند الإمام أحمد بن حنبل.

أنواع الحديث الشريف:

عند علماء المصطلح يتنوع الحديث الشريف إلى أنواع متعددة وباعتبارات مختلفة، فمنها ما يرجع إلى المتن ومنها ما يرجع إلى السند، ومنها ما يرجع إليهما، وأن معظم العلماء قسموا الحديث النبوي إلى ثلاثة أقسام أساسية هي (صحيح، وحسن، وضعيف).^{٣٣}

وهناك قسمين من أنواع الحديث هما: القسم الأول: ويتضمن كل من الأحاديث الصحيحة والضعيفة، القسم الثاني، ويتضمن أحاديث الأصول وفروع الأصول.^{٣٤} ويمكن تلخيص أنواع الحديث الشريف في قسمين^{٣٥}:

يتضمن عليه التراث الحديثي الضخم من سلوكيات قومها النبي عليه السلام للعديد من الصحابة^{٣٥}.

حيث تتبع أهمية علم الحديث الشريف من عظم وشرف موضوعه، فموضوعه هو السنة النبوية الشريفة التي أمر الرسول صل الله عليه وسلم أمته بالتقيد بها وتناقلها وتدارسها باعتبارها تتضمن منهج وموروث الدين الإسلامي، وعلم الحديث الشريف من أكثر العلوم الشرعية التي حافظت على معالم وموروث الدين الإسلامي، فقد واضب الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء كذلك على نقل الحديث الشريف كما سمعوه من النبي عليه الصلاة والسلام، وبهذا فقد تم الحفاظ على السنة النبوية الشريفة من التحريف والتدليس حتى هذه اللحظة^{٣٦}.

وترى الدراسة أن الحديث الشريف ذو مكانة مهمة في الإسلام باعتباره المصدر الثاني له بعد القرآن الكريم، حيث يتضمن أحكاماً شرعية وأخلاقية واجتماعية وثقافية، ويفصل كل جاء في القرآن ويوضح ما فيه من إجمال وإيهام.

مفهوم الحديث الشريف:

الحديث في لغة العرب: "نقيض القديم، والخُذوث نقيضُ القُدِّمة حَدَّثَ الشيءَ يَحْدُثُ حَدْثًا وَحَدَاثَةً وَأَحْدُوثُهُ فهو مُحَدَّثٌ وحديث^{٣٧}. وأن الحديث: "الجديد والخبر"^{٣٨}. والحديث الشريف إصطلاحاً هو: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم: من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خُلِّقَ أو خُلِّقَ".^{٣٩}

وهو كل ما صدر عن النبي غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي^{٤٠}. وتعرف الدراسة الحديث الشريف بأنه: بأنه كل ما ورد عن الرسول محمد صل الله عليه وسلم من فعل أو قول أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعد البعثة.

تصنيف الحديث الشريف:

أبرز خصائص ومزايا التصنيف والتأليف عند علماء الحديث أنها تنسجم بالمنهجية الدقيقة، التي تتجلى في طريقتهم في الانتقاء والتبويب، وتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها، وكذلك في التزامهم الدقة والموضوعية والتحري البالغ،

٢٥. درر السنة النبوية في تقويم سلوكيات المجتمع دراسة موضوعية فقهية. أبو حسن، أحمد. ص ٢. المجلة العلمية بكلية الآداب، (٥٠). للعام ٢٠٢٣ م

٢٦. علم الحديث نشأته وأهميته وأهم مصادره. بسنت، مصطفى. ص. ٤ بحث منشور. ٢٠٢٢ م

٢٧. لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم. ص ١٣١. ط ١٤١٤، ١٤١٥، ٢٠٢٢ م

ج ٢، بيروت، دار صادر. ٢٨. القاموس المحيط. الفيروزبادي، محمد بن يعقوب. ط ٨، ٢٨. (١٤٢٨هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٩. في معنى "الحديث" لغة واصطلاحاً وما يتصل به الساكت، طه. بحث منشور، شبكة الألوكة، م ٢٠١٤ م.

٣٠. أثر السنة النبوية في إعداد المعلمين. الدقيج، طارق. ص ٢. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية وأصول الدين - الجامعة الأسمرية. ٢٠١٧ م.

٣١. منهجية التصنيف والتأليف عند علماء الحديث قديماً وحديثاً. الغوري، عبد الماجد ص. ٢٤ معهد دراسات الحديث الشريف" (في

الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور في ماليزيا)، بحث منشور. ٢٠١٩ م

٣٢. استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية الهاشمي، عبد الرحمن. ص ٢٠٣. ط ١، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع. ٢٠١٦ م.

٣٣. المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف الحسني، محمد بن علوي. ص ٤٩. ط ١، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠ م.

٣٤. تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب ولد أباه محمد المختار ص ٢٩. ط ٢ دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. ٢٠١٢ م.

٣٥. نواع الحديث الشريف من حيث الثبوت والقبول والرد. ص ٤ مسلم مصطفى. ٢٠١٤ م.

أقسام علم الحديث:

علم الحديث قسمين هما علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية ويمكن توضيحهما فيما يلي: ^{٣٦} علم الحديث رواية: هو علم لا يقل أهمية عن علم الحديث دراية وهو علم يبحث وينقب عن كل ما ورد عن النبي عليه السلام سواء أقوال أو تقارير أو أفعال أو صفات، ويبحث كذلك عن كل ما ورد عن الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم)، وهو علم يعني بضبط كل الروايات والألفاظ التي وردت عن النبي عليه السلام وعن الصحابة والتابعين كذلك، ويهتم هذا العلم بتصنيف الأسانيد لتتمكن من تصنيف الأحاديث إلى (صحيحة، ضعيفة، حسنة)، كما ويهتم بالبحث عن المقصود من الحديث الشريف وفهمه ومعرفته المراد منه وما له من فوائد. ومن كتب هذا النوع (الصحيحان)، والسنن الأربعة، والمسانيد والمعجم، والأجزاء الحديثية).

علم الحديث دراية: ويعرف هذا العلم أيضاً باسم مصطلح الحديث أو علوم وأصول الحديث والمقصود بهذا العلم ويتمثل هذا العلم في الإمام بجميع القوانين التي يترتب على معرفتها معرفة أحوال سند الحديث وبهذا فإنه سيتوصل الدارس إلى معرفة أحوال كل رجال الحديث الذين قاموا بنقل الحديث واحداً تلو الآخر وصولاً إلى النبي صل الله عليه وسلم، والإمام بكافة القوانين التي تساعد الدارس على معرفة متن الحديث فيستطيع بذلك اكتشاف ما يحصل في متن الحديث وذلك من رفع أو وقف أو صحة الحديث أو حتى شذوذه، وكذلك بالقوانين التي تساعد الدارس في الحكم على الحديث من حيث القبول أو الرد بشكل عام، ويُعني بمعرفة الفرق بين السند المتصل والمنقطع ومعرفة ما أن حدث شيء من التدليس في سند الحديث، كما ويُعني هذا العلم باكتشاف تقصير بعض رجال الحديث وذلك بسماع الحديث وسوء حفظهم له أو القيام باتهام بعض الرجال بالفسق والكذب، ومن كتب هذا النوع (كتب علوم الحديث أو مصطلح الحديث الجامعة، أو الكتب التي أفردت لبعض علومه مثل علم الجرح والتعديل، أو علم علل الحديث).

المبحث الثالث: علم تخريج الحديث الشريف:

علم التخريج مثله مثل باقي العلوم والفنون نشأ وظهر نتيجة الحاجة الماسة إليه، حيث أنه بعد ما جمعت السنة ودونت في الكتب، وأصبح الاعتماد على الحفظ في الصدور قليل، كان من الضروري إظهار الأحاديث وإبرازها للناس عن طريق ذكر مصادرها وأماكن وجودها في هذه المصادر، حتى يسهل على طالب العلم وغيره من التوصل بأسهل الطرق ^{٣٨}.

ويعرف تخريج الحديث بأنه: "دراسة حال الحديث النبوي من صحة روايته، ومعرفة من رواه من الصحابة

- أنواع الحديث من حيث الثبوت:

ينقسم الحديث باعتبار وصوله إلينا إلى:

١. الحديث المتواتر: والحديث المتواتر قسمان:

● المتواتر اللفظي: هو الذي تواتر لفظه ومعناه، كحديث: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". حيث روى هذا الحديث بضعة وسبعون صحابياً.

● والمتواتر المعنوي: هو ما اتفق نقلته على معناه، من غير مطابقة في اللفظ. كأحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.

٢. الحديث المشهور: وهو الحديث الذي رواه ثلاثة فأكثر - في كل طبقة - ما لم يبلغ حد التواتر.

٣. خبر الأحاد: هو ما رواه الواحد، أو الاثنان فأكثر، مما لم تتوافر فيه شروط المشهور، أو المتواتر. والعديد من العلماء جعلوا الأخبار قسمين: متواتر وأحاد، وأدخل المشهور في خبر الأحاد.

من حيث القبول والرد فقد اصطلح العلماء على تقسيم الحديث إلى مقبول يعمل به، وغير مقبول لا يعمل به، وأنواع الحديث من حيث القبول والرد هي:

حديث صحيح: هو "الحديث المسند الذي اتصل إسنادُه بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون حديثاً شاذاً ولا معللاً" وله العديد من الشروط والحديث الذي اجتمعت فيه هذه الشروط هو الحديث الصحيح.

● اتصال السند: وهو أن يكون كل راوٍ قد سمع ما رواه من الذي فوقه بصورة مباشرة بحيث لا يكون هنا راوٍ محذوف.

● العدالة: وهو أن يكون كل راوٍ مستقيم الدين، وحسن الخلق، سالماً من الفسق وخوارم المروءة.

● الضبط: بمعنى أن يكون حافظاً لما يرويه عالماً بمعناه، وحافظاً لكتابه وذلك من دخول التحريف أو النقص.

● عدم الشذوذ: والشاذ هو ما خالف فيه الثقة من هو أوثق منه.

● عدم العلة: أي لا يكون فيه سبب غامض خفي، يقدر في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه

الحديث الحسن: "هو ما اتصل سنده، بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة". وشروط الحسن هي نفسها شروط الصحيح ما عدا خفة الضبط في الحسن.

الحديث الضعيف: "وهو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفة الحديث الحسن. ويكون ذلك إما بعدم اتصال السند، أو لعل أخرى كاضطراب المتن وغيره".

٣٦. علم الحديث نشأته وأهميته وأهم مصادره بسنت، مصطفى.

ص ٣ بحث منشور. ٢٠٢٢.

٣٧. علم مصطلح الحديث مخاض التشكيل ومسار النشأة

والتطور اللاوي، يوسف. ص ٣٢. مجلة البحوث والدراسات

١٣(٢١). ٢٠١٦.

٣٨. تخريج الحديث النبوي عند المحدثين: مفاهيم ومناهج.

الزهراني، مريم. ص ٢٣٧. المجلة العالمية للمراجع الأكاديمية

في دراسات الأحاديث، ٩(١٨)، ٢٣٥-٢٦٠ ٢٠١٩.

معرفة المبهم وتمييز المهمل، وتصريح المدلس بالسماع وعلو الإسناد وغير ذلك من الفوائد.

وتوضح الدراسة أن علم تخريج الحديث يعتبر من أهم العلوم الحديثية لما له من أهمية كبيرة في حفظ السنة النبوية ولدوره في معرفة درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف.

أنواع تخريج الحديث الشريف:

يقسم تخريج الحديث إلى ثلاثة أنواع هي (الإجمالي، والمتوسط، والتفصيلي) وهي كالآتي^{٤٣} :

- التخريج الإجمالي: ويكون من خلال ذكر مصادر الحديث إجمالياً بمعنى الاكتفاء بذكر المصنف مثل أحرجه البخاري أو مسلم فقط، دون أي تفصيل، وعناصر هذا النوع من التخريج تتمثل في (الحديث المراد تخريجه، الكتاب الذي يستعان به، الحاجة للحديث للاستدلال به).

- التخريج المتوسط: وتتمثل في ذكر المصادر التي تم إخراج الحديث منها مع لتوضيح البسيط لكن دون أن تصل إلى استيعاب جميع الأسانيد والالفاظ والاكتفاء ببعضها مع ذكر بعض أحكام الأئمة.

- التخريج التفصيلي (الموسع): ويتمثل في استيعاب المصنف لكافة طرق الحديث وعزوه لمصادره بالإضافة إلى دراسة طرقه وبيان الحكم عليه من: واقع أقوال الأئمة أو الدراسة الحديثة للند والمتن، وتتمثل عناصر هذا النوع من التخريج في (الحديث المراد تخريجه، وكتاب مصنف يعزو الحديث لمصادره، وباحث مدقق يتسم بالصبر على البحث ويستوعب بيان طرق الحديث، والتوقف على المراتب وطبقات رواته).

وترى الدراسة أن لأنواع التخريج السابقة (الإجمالي، والمتوسط والتفصيلي) أهمية كبيرة فالتخريج الإجمالي يسهل على الباحثين ويساعدهم في التوصل إلى الحديث ومعرفة مكان وجوده، أما المتوسط فتكمن أهميته في توفير معلومات أكثر عن الحديث كأسماء الرواة، بينما تكمن أهمية التخريج التفصيلي في توفير معلومات أكثر عن الحديث وذلك كأسماء الرواة ووصفهم، ودرجة الحديث وذلك من حيث الصحة أو الضعف.

المبحث الرابع: دور التقنية في تسهيل تخريج الأحاديث.

كان الحديث النبوي الشريف من أكثر الموضوعات تأثيراً بالتقنيات والوسائل والبرمجيات الحديثة بشكل عام لاسيما الشبكة العالمية الأنترنت والمواقع الإلكترونية بشكل خاص، فخزنت المصادر وأمهات الكتب وتم تخزينها في شكل إلكتروني وقد شرعت الشركات التجارية وغير التجارية في إنشاء البرمجيات والمواقع التي تتضمن الأحاديث الشريفة وتعرف بالسنة النبوية المطهرة ، كما

الكرام -رضوان الله عليهم-، وصحّة المروي عنهم، والحكم على الحديث صحّة وضعفاً بالنظر إلى الحديث من جميع طرقه الوارد منها^{٣٩}. ويعرف أنه علم تخريج الحديث الشريف هو " علم يعني ببيان المصادر الأصلية للحديث، وأماكن ورود الحديث فيها، وحكم الأئمة السابقين على هذه الأحاديث".^{٤٠}

وترى الدراسة أن تخريج الحديث يعني به معرفة الحديث من مصادر الأصلية وتوثيق مجموعة الأشخاص الذين نقلوا لحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بما في ذلك أسماء الرواة وجودة السلسلة الإسنادية والمتن لتحديد صحة الحديث وثبوت مصداقيته.

أهمية تخريج الحديث:

أن علم تخريج الحديث يعد ذا أهمية بالغة لكونه أساس لمعرفة السنة النبوية التي يتوقف عليها مدار فهم القرآن الكريم وتفسيره، لقوله تعالى " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" [النحل: ٤٤] وهذا يدل على أن السنة النبوية هي مدار الأحكام وتفصيلها، ومن خلالها يعرف الحلال من الحرام وغير ذلك، وتكمن أهمية التخريج في حفظ السنة النبوية من الدخيل عليها ومعرفة الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ومحفوظها من شوائبها ونكراتها^{٤١}. ولعلم التخريج فوائد جمة من أهمها^{٤٢} :

- نتمكن من خلال التخريج من معرفة مكان وجود الحديث في المصادر الأصلية المسندة، فبالإضافة إلى اسم المخرج، ومصنفه، ومكان وجود الحديث في هذا المصنف، وذلك من خلال ذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، والجزء الصفحة.

- التخريج مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحكم على الحديث، فمن غير الممكن الحكم على حديث دون تخريجه فبالإضافة إلى نتمكن من معرفة درجة الحديث وذلك كوروده في الصحيحين، أو من خلال التعرف على كلام الأئمة على الأحاديث التي أخرجوها، ككلام الترمذي مثلاً: هذا حديث صحيح أو حسن أو غير ذلك.

- نتمكن من خلال التخريج أن نجمع طرق الحديث الواحد، وبهذا نتمكن من معرفة غرابة الحديث من شهرته، ومعرفة درجة الحديث من حيث الصحة والضعف وذلك بمعرفة المتابعات والشواهد التي من الممكن أن ترقى الحديث إلى رتبة أعلى.

- من خلال علم التخريج يمكننا الوقوف على العلل التي ترد في العديد من الأحاديث وذلك من زيادات أو شذوذ ونكارة. - للتخريج أهمية كبيرة وذلك في مباحث علوم الحديث الأخرى، فمن خلال تخريج الحديث وجمع طرقه نتمكن من

٣٩. لبنا تخريج الاحاديث النبوية عميرة ص٧. ٢٠٢٣م.

٤٠. انظر الزهراني ص٢٣٦

٤١. علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية. ط١، البلوشي، عبد الغفور . ص مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

للنشر والتوزيع. ٢٠١٢

٤٢. انظر الزهراني ص٢٤٣

٤٣. مبادئ التخريج ودراسة الأسانيد، البدر احمد بن عايش بن عبد اللطيف ص ٦٥. ٢٠٠٤

٤٤. نشأة علم التخريج وأطواره. التويجري، عبد الله. ص٦ بحث منشور. ٢٠٠٧م

- خدمة المفضلة: وتمكن من ترتيب نتائج البحث، إما بحسب الكتاب أو تاريخ وفاة المصنف.
- خدمة الملاحظات: وتساعد الدارس في تدوين ملاحظاته بحيث يتم الرجوع إلى موضعها عند إرادة ذلك.
- ٥. برنامج الموسوعة الذهبية: وهو من إنتاج مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي عام ١٩٩٣، ويشتمل في إصداره الثاني ١٣٤ كتاباً تضم ٥٧٦ مجلدًا وجزءًا وتعتبر هذه الموسوعة من أضخم الموسوعات الحديثة باستخدام الحاسب الآلي.
- ٦. برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية: وهو بمثابة مكتبة حاسوبية ضخمة، اشتملت في إصدارها الأخير على أكثر من ٣٥٠٠ مجلد وجزء، وأكثر من ٣٠٠ ألف ترجمة للرواية.
- ٧. موسوعة التخرّيج الكبرى والأطراف الشاملة: وهي موسوعة أصدرتها شركة التراث الحديث من خلالها يتم القيام بالتخرّيج الآلي لحوالي ٢٥٠ ألف نص مسند، هذا فضلاً عن موسوعة شاملة للأطراف الفعلية والقولية.
- ٨. موسوعة الأحاديث الصحيحة، وموسوعة الأحاديث الموضوعية والمعللة والغرائب والضعيفة، مكتبة علوم الحديث، ومكتبة الأجزاء الحديثة.
- ٩. مكتبة الحديث الشريف: وهي من إنتاج شركة العريس للكمبيوتر، وهذا البرنامج في إصداره السادس، ويتضمن أكثر من ٣٠٠٠ مجلد وجزء.
- ١٠. موقع الدرر السنية: ويتضمن على موسوعات مختلفة كالموسوعة الحديثة والتي يمكن الاستفادة منها في تخرّيج الحديث وذلك من خلال كتابة جزء من الحديث في خانة البحث في الموسوعة بحيث يتم الوصول إلى نتائج تتضمن اسم الراوي، ومصدر الحديث ورقمه، وخلاصة الحكم فيه وغيرها.^{٤٧}
- ١١. مشروع جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للسنة النبوية المطهرة: ويعتبر هذا المشروع نقلة نوعية على مستوى العالم الإسلامي في باب برامج السنة الحاسوبية، لما يتضمن عليه من ابتكار تقني ومعلومات بحثية غير مسبوقه والعديد من الخدمات التحقيقية في أحاديث المتن والأسانيد والرواية، وجمعها تحت إشراف سماحة المفتي العام للمملكة رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.^{٤٨} وهناك بعض من تلك المواقع مع وصف لمضامينها، وتحليل لمحتوياتها.^{٤٩}

وانتشرت المواقع الإسلامية الخاصة في نشر التعاليم الإسلامية والتي تضمنت على التسجيلات الصوتية المرئية والأحاديث النبوية الشريفة بحيث توضح للناس ما استصعبوه وتجيب على جميع أسئلتهم المطروحة معتمدة في ذلك على ابرز علماء الحديث الشريف والدعاة والمحدثين والمفسرين وكان من اهم هذه المواقع ^{٤٥}:

١. صحيح البخاري: وهو باكورة إنتاج شركة صخر، حيث يخدم صحيح البخاري، وهو يتقدم على بقية البرامج التي تخدم كتاباً واحداً.

٢. البيان: وهو من إنتاج شركة صخر سنة ١٩٩٦، ويتضمن أكثر من ١٧٠٠ حديث وجميعها متفق عليها، وهو برنامج مترجم إلى لغات مختلفة منها الألمانية والإنجليزية والأنونيسية والتركية والفرنسية.

١. صفوة الأحاديث: وهو برنامج أنتجته شركة حرف لتقنية المعلومات يسهم في عرض النص الكامل لكتاب الأربعين النووية وكتاب رياض الصالحين وشرحه من كتاب نسخة المتقن.

٢. برنامج موسوعة الحديث الشريف للكتب التسعة: والتي تتمثل في (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسنّد أحمد وموطأ مالك وسنن الدرامي) بما يقارب ٢٥ ألف صفحة مطبوعة، وهو إصدار من إنتاج شركة حرف وقد ظهر هذا الإصدار عام ١٩٩٨، والبرنامج الآن في إصداره الثالث ٢٠٠٣. ويحتوي هذا التطبيق على ست أنواع من الخدمات وهي ^{٤٦}:

- خدمة عرض الكتب: حيث تمكن الدارس من تصفح الكتاب بشكل مباشر.
- خدمة البحث: من خلال إدخال كلمة من الحديث أو رقمه، أو من خلال موضوع الحديث وأثناء الحصول على نتيجة البحث يتمكن من شرح الحديث وتخرّيجه عن طريق أرقامه في سائر الكتب الأخرى.
- خدمة الذهاب إلى حديث، فمن خلال رقم الحديث وتحديد المصدر تبرز الخدمات السابقة من تخرّيج وأطراف وشواهد وشرح للحديث.
- خدمة التقسيم الموضوعي: حيث جعلت موضوعات السنة في ثماني أبواب وهي (القرآن وعلومه، العقيدة، المعاملات، العبادات، الشرعية، السياسة، الأخلاق والآداب، التاريخ والسير والأخبار، العلم) وكل باب يتضمن على أبواب فرعية تتضمن جزئيات موضوعه.

^{٤٥}. مواقع الحديث الشريف على شبكة الأنترنت دراسة تحليلية مقارنة. أبو سريع، حسام الدين المجلة المصرية لعلوم المعلومات، ١٦(١)، ٢٠١٩م

^{٤٦}. تطوير تدريس علم تخرّيج الحديث في جامعات الإسلامية الواقع والمأمول. بلعمري، أكرم. ص ٧١. مجلة المعيار، ٢٣(٤٨). ٢٠١٩م.

^{٤٧} انظر الدوسري، ص ٣٩٥

^{٤٨} التقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية. المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، محمد، مدحت؛ والسبع، هشام. ص ٣٩٥ (٣)، ٢٠١٤م.

^{٤٩} دور البرامج الإلكترونية والتقنيات الحاسوبية في خدمة علم الحديث النبوي الشريف. حفيظي، حكيمة. ص ٢٣. مجلة بحوث ودراسات، (٥)، ١، ٢٠٢١م.

منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وشرح صحيح مسلم للنووي، وغيرهما.

- موقع المحدث: وهو موقع من إنتاج طلبة دار الحديث النبوي في واشنطن سابقاً ومن مميزاته أنه يتضمن على محرك بحث متنوع بطرق مختلفة، كالموضوع، أو اللفظ، أو النص. ويشتمل هذا الموقع على عدد كبير من الكتب المختصة بالسنة النبوية المطهرة كالصحيحين والسنن الأربعة، ومسانيد: أحمد، وأبي حنيفة، والشافعي، وموطأ الإمام مالك، والمعجم الكبير للطبراني، والجامع الصغير للسيوطي، وكنز العمال للمتقي الهندي، ويتضمن كذلك على عدد من الكتب الفقهية: كالمبسوط للسرخسي، واللباب بشرح الكتاب للميداني، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، وبداية المجتهد لابن رشد، وغيرها، إلى جانب مجموعة من المعاجم اللغوية، وكشافات الكتب، وكتب العقيدة والأصول، ويمكن تنزيل نسخة مجانية من هذا البرنامج مباشرة إلى جهاز المستخدم من خلال الموقع.

- الحديث الشريف على موقع الشبكة الإسلامية: ويتضمن هذا الموقع على موسوعة الحديث الشريف والتي تشتمل على مجموعة من مصادر السنة النبوية الشريفة، ومناقشة الشبهات التي أثيرت حول السنة النبوية المطهرة، إعجاز السنة النبوية - أمثال السنة النبوية - القصص النبوي - تدوين السنة وعلوم الحديث - الأحاديث القدسية.

وتعتبر المكتبة الشاملة من أهم ما توفره الأنترنت والتي تساعد الناس في تخريج الأحاديث والحكم عليها حيث تتضمن على تقنيات متطورة للبحث بالمقارنة مع البرامج الإلكترونية الأخرى، حيث تتجلى خدمتها لعلم الحديث في التالي ٥٠:

١. في خدمة (١٥٤٩) كتاباً في فنون الحديث على اختلافها وجميعاً موافقة للمطبوع وتقسّم إلى عدة أقسام:

- كتب في متون الحديث وهذا بدور يسهل على الباحث الوقوف على الحديث في مصادره الأصلية وتوضح له في أي باب من الأبواب يوجد وفي أي جزء وأي صفحة وما هو رقم الحديث وبناء عليه يجمع الباحث جميع طرق الحديث الواحد وبعدها يتمكن من البدء في دراسة الحديث.
- كتباً في الأجزاء الحديثية وهي كتب تناولت مسألة علمية واحدة والباحث إذا ما أراد البحث في مسألة علمية واحدة فإنه عليه النقر في الخاصة بهذه المسألة ويبحث للحصول على كافة آراء من ألف في المسألة سواء متقدمهم أو متأخرهم، والإفادة منها والتوقف على الفوائد والحكم في هذه المسألة وتوظيفها في بحثه.
- كتباً في المخطوطات الحديثية: وهي تساعد الباحث على الوقوف على كتب لم تحقق بعد.
- كتباً لابن أبي الدنيا: حيث تم جمعها في مكان واحد وتجعل الباحث قادراً على الاطلاع في كل ما ألفه من

- موقع جامع الحديث النبوي: يتميز هذا الموقع بعرضه على صورة برنامج desk top وعلى صورة موقع على الإنترنت ويعرض هذا الموقع على الإنترنت كافة المعلومات بطريقة عرض تقنية عالية مع إمكانية البحث، ويمتلك واجهة عرض متعددة الأشكال والألوان يختار المستخدم منها ما يحب.

- موقع الحديث الشريف - موقع الإسلام: من مميزات هذا الموقع أنه يهتم ضمن على مجموعة من كتب السنة النبوية المطهرة منها: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، ومسند أحمد، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، ومصنف ابن أبي شيبة، ومشكل الآثار للطحاوي. بالإضافة إلى مجموعة من الشروح، من أهمها: فتح الباري، وشرح النووي على صحيح مسلم، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، وشرح سنن النسائي للسندي، وشرح سنن النسائي للسيوطي، وعون المعبود لشرح سنن أبي داود، وتعليقات الحافظ ابن القيم على سنن أبي داود، وشرح سنن ابن ماجه للسندي، والمنتقى لابي الوليد الباجي، ومن أهم مميزاته أنه يتضمن على فهارس للأحاديث القدسية، والمتواترة، والمرفوعة والموقوفة، والمقطوعة، والأبيات الشعرية الواردة ضمن الكتب السابقة، وكذلك على فهارس موضوعية للكتب التسعة.

- موقع صحيح البخاري: وهو برنامج صوتي مسموع وواجهت هذا الموقع باللغة الإنجليزية.

- موقع ترجمة الحديث الشريف: يتضمن هذا الموقع على مجموعة من الأحاديث من صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهما باللغة الإنجليزية ويتضمن كذلك على سيرة موجزة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

- موقع نداء الإيمان: وهذا الموقع متنوع حيث يتضمن على محور للحديث الشريف، وعلى مجموعة من كتب السنة النبوية المطهرة ما يقارب (٢٢١) كتاباً، منها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وغيرها، بالإضافة إلى أنه يتضمن على فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. ومن مميزاته أنه يتضمن على مكتبة صوتية، تشتمل دروساً ومحاضرات لبعض المعاصرين المشغولين بالسنة النبوية، والدعوة، كالشيخ أبي إسحاق الجويني، والشيخ خالد عثمان السبت، والشيخ عائض بن عبد الله القرني، وغيرهم.

- موقع الأزهر الشريف: من مميزات هذا الموقع أنه يهتم ضمن على محرك بحث عن الأحاديث النبوية ضمن الكتب الموجودة على الموقع، وهذه الكتب هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، ومسند الحميدي بالإضافة إلى كونه يتضمن مجموعة من الشروح،

موضوعات متنوعة في علوم الحديث والإفادة منها والافتداء بها.

- كتب في الشروح الحديثة: من خلال يتمكن الباحث من شرح الحديث المراد دراسته وبيان فقه وغريبه، واستخراج العبر والفوائد منه، واستبعاد الاختلاف الواقع فيه وذلك بالتعرف على آراء المتقدمين والمتأخرين وما أضافه المتأخر للمتقدم وغير من الفوائد الكثيرة التي تتضمنها هذه الكتب.
- كتب في التخريج والزوائد: حيث تساعد كتب التخريج على دراسة الأسانيد والوصول للحكم عليها بينما كتب الزوائد تركز على جمع الأحاديث المسندة الزائدة في العديد من الكتب على أحاديث كتب الأصل وهذا يساعد الباحث في الوقوف على طرق أخرى تساعده في دراسة الأسانيد.

أن من أهم الخدمات التي تقدمها المكتبة الشاملة هي خدمة تخريج الحديث، فالوصول إلى الحديث الشريف من خلالها يتم بطريقتين، أولهما البحث في كتب متون الحديث والأجزاء الحديثة من خلال لفظة غريبة يثقل دورانها في متن الحديث، ومن ثم تتبع نتائج البحث واستخراج الطرق والأسانيد وتشجيرها ثم دراسة الحديث والحكم عليه، ثانيًا: من خلال استخدام خدمة التخريج المتوفرة لكتب المتون في المكتبة الشاملة من خلال زر التخريج في القائمة ويكون متن الحديث بلون مختلف مما يعني أنه ضمن خدمة التخريج التي توفرها المكتبة الشاملة^{٥١}.

ومن هنا فقد كان للتقنية الحديثة دور مهم في خدمة السنة النبوية الشريفة، حيث ساعدت وسهلت عملية تخريج الأحاديث الشريفة وجعلتها أكثر دقة وسرعة لما تضمنت عليه من مواقع وتطبيقات خاصة بالسنة النبوية وتخريج الأحاديث.

الخاتمة:

الحمد لله؛ ما تم جهْد ولا خُتم سعي إلا بتوفيقه وفضله وعظيم كرمه، الحمد لله أن بلغنا تمام بحثي هذا، واسأل الله العلي القدير أن يتقبله مني خالصًا لوجهه الكريم. وفي محطة الختام فإنني أسجل بعض النتائج التي ظهرت لي:

- الوقوف على أهمية التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية.
- الوقوف على أهم المواقع والبرمجيات الإلكترونية في السنة النبوية.
- التخريج الإلكتروني متمثلًا في التطبيقات الإلكترونية ذو أهمية كبيرة في الوصول إلى سنة النبي صل الله عليه وسلم، حيث سهل عملية الوصول إلى الحديث وذلك انطلاقًا من الهاتف الذكي واللوح الرقمي، موظفًا طرق التخريج

الأصلية في قالب إلكتروني، مستفيدًا من تطور البرمجية الإلكترونية لمصادر السنة النبوية.

- الاعتماد على المواقع والتطبيقات الإلكترونية في تخريج الأحاديث النبوية يعد ضرورة واقعية، تحتم على دراس السنة النبوية استخدامها والتعرف بها، حيث أسهم التخريج الإلكتروني في تقريب العديد من الطرق والأسانيد البعيدة التي من الصعب الوقوف عليها من خلال الكتاب الورقي.

التوصيات:

- وفي ضوء هذه النتائج أوصت الدراسة بما يلي:
- ضرورة الدعم المالي وذلك من قبل الحكومات والقطاع الخاص لمشاريع التقنيات الحديثة واستخدامها في السنة النبوية.
- الزيادة في تصميم المكتبات الإلكترونية وقواعد البيانات الخاصة بالسنة النبوية.
- العمل على توفير رابطة تهتم بالشأن التقني واستخدامه في السنة النبوية.
- توفير دورات تدريبية تسهم في محو أمية التقنيات الرقمية وتوظيفها في السنة النبوية.

مقترحات الدراسة:

- إجراء دراسات حول دور التطبيقات الإلكترونية في العلوم الشرعية.
- إجراء دراسات حول دور التقنية الحديثة في خدمة القرآن الكريم.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

١. أثر السنة النبوية في إعداد المعلمين. الدقيج، طارق. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية وأصول الدين - الجامعة الأسمرية. ٢٠١٧م.
٢. استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية. الهاشمي، عبد الرحمن ط١، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع. ٢٠١٦م.
٣. أهمية التقنية في حياتنا. أشرف، دعاء. ٢٠٢٠م.
٤. بن عايش بن عبد اللطيف البدر أحمد. المكتبة الإسلامية ومصادرها. مكتبة الرشد ط١. ٢٠٠٤م.
٥. تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب. ولد أباه. محمد المختار ط٢ دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. ٢٠١٢م.
٦. تخريج الأحاديث النبوية. عميرة، لينا. ٢٠٢٣م.
٧. تخريج الحديث النبوي عند المحدثين: مفاهيم ومناهج. المجلة العالمية للمراجع الأكاديمية في دراسات الأحاديث، ٩(١٨)، الزهراني، مريم. ٢٠١٩م.

^{٥١} انظر بالعمري، ص ٦٧

نظرية تطبيقية) الخياط، سامي بن أحمد. المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، (١)، ١ - ٤١. ٢٠١٧م.

٢٥. منهجية التصنيف والتأليف عند علماء الحديث قديماً وحديثاً. الغوري، عبد الماجد. معهد دراسات الحديث الشريف " (في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور في ماليزيا)، بحث منشور، ٢٠١٩م.

٢٦. المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف الحسني، محمد بن علوي. ط١، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠م.

٢٧. مهارات توظيف التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال في خدمة السنة النبوية". المؤتمر الدولي: أحمد، رحمة الله حبوب " مهارات خدمة السنة النبوية. جامعة الزرقاء وجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث. ٢٠١٧.

٢٨. مواقع الحديث الشريف على شبكة الأنترنت دراسة تحليلية مقارنة. أبو سريع، حسام الدين. المجلة المصرية لعلوم المعلومات، ٦(١)، ٢٠١٩م.

٢٩. نشأة علم التخرير وأطواره. التوجري، عبد الله. بحث منشور. ٢٠٠٧م.

٣٠. نشأة وتطور الحديث النبوي ومكانته في التشريع. فريدا، أحلام. مجلة القدس العالمية للدراسات الإسلامية، ٢(١). ٢٠١٤م.

٣١. نواع الحديث الشريف من حيث الثبوت والقبول والرد. مسلم، مصطفى. ٢٠١٤.

٣٢. وصلة البداية لمقدمة النهاية في علم الرواية. بتشكي، محمد بن إبراهيم.. تحقيق: عصام أبو اليزيد محمد عبد الله، ط١، دار الكتب العالمية للنشر والتوزيع. ٢٠١٩م.

المراجع الأجنبية:

1. 64 Examples of Modern technology. Jhon, S. 2022
2. 20 Types of Technology: Definitions and Examples. Mishra, S. 2023.
3. what is modern technology? — Technology Atiananakofi. 2023.
4. Modern Technology: Definition, Examples, and Applications. Swalih. 2023
5. The Role of Technology in The Future and Its Impact on Society. Watts, T. 2023.
6. Technology | History, Definition & Purpose. Carroll, K. 2023.
7. What Is the Objective of Technology? Isak, C. 2022.

٨. تطوير تدريس علم تخرير الحديث في جامعات الإسلامية الواقع والمأمول. بلعمري، أكرم. مجلة المعيار، ٢٣(٤٨)، ٧٦. ٢٠١٩م.

٩. التقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية. محمد، مدحت؛ والسبع، هشام. المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، ٢(٣)، ٢٠١٤م.

١٠. التكنولوجيا وسوء استعمالها وأثرها على تطور المجتمع. عميش، عميش يوسف. ٢٠١٨م.

١١. حجية السنة النبوية المطهرة الصادق محمد. شبكة الالوكة. ص ١. ٢٠١٧م.

١٢. درر السنة النبوية في تقويم سلوكيات المجتمع دراسة أبو حسن، أحمد. موضوعية فقهية. المجلة العلمية بكلية الآداب، ١(٥٠). ٢٠٢٣م.

١٣. دور البرامج الإلكترونية والتقنيات الحاسوبية في خدمة علم الحديث النبوي الشريف حفيظي، حكيم. مجلة بحوث ودراسات، ٥(٥)، ٢٠٢١م.

١٤. زينب أبو علي ديداكتيك الدرس الحديثي في التعليم الإلكتروني وسؤال الجودة؛ دراسة وصفية تحليلية لحالة التعليم الجامعي بالمغرب. مجلة العلوم التربوية والنفسية. ٦(٦)، ٢٠٢٢م.

١٥. ضوابط استخدام التقنيات الحديثة في تخرير الأحاديث النبوية. الدوسري، سعد. مجلة الدراسات العربية، ٥(٥)، ٢٠١٦م.

١٦. علم التخرير ودوره في خدمة السنة النبوية البلوشي، عبد الغفور. ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف للنشر والتوزيع. ٢٠١٢م.

١٧. علم الحديث نشأته وأهميته وأهم مصادره. بسنت، مصطفى بحث منشور. ٢٠٢٢م.

١٨. علم مصطلح الحديث مخاض التشكيل ومسار النشأة والتطور. اللاوي، يوسف. مجلة البحوث والدراسات ١٣(٢١). ٢٠١٦م.

١٩. في معنى " الحديث" لغة واصطلاحاً وما يتصل به الساكت، طه. بحث منشور، شبكة الألوكة، ٢٠١٤م.

٢٠. القاموس المحيط الفيروزي، محمد بن يعقوب. ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٨هـ.

٢١. اللاوي، يوسف. (٢٠١٦). علم مصطلح الحديث مخاض التشكيل ومسار النشأة والتطور. مجلة البحوث والدراسات ١٣(٢١). ٣١ - ٤٤.

٢٢. لسان العرب. ط١، ج ٢ ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر(١٤١٤هـ).

٢٣. لماذا ندرس الحديث الشريف مشعل، طلال.. بحث منشور. ٢٠١٩م.

٢٤. مجالات توظيف التقنية الحديثة ومهاراتها في خدمة علوم السنة النبوية: ضوابط ومحاذير (دراسة حديثة

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Refugee Rights in Saudi Arabia and the Sustainable Development Goals

Bander Abdulrazzaq Mal*¹

*1-PhD Researcher - Academy of Islamic Studies -University Malaya.

Prof. Dr. Raihanah Binti Haji Abdullah*²

*2-Academy of Islamic Studies -University Malaya.

Dr. Mahamata yuding Samah*³

*3-Academy of Islamic Studies -University Malaya.

حقوق اللاجئين بالمملكة العربية السعودية وأهداف التنمية المستدامة.

أ. بندر عبد الرزاق مال*^(١)

*١. باحث دكتوراه - أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة مالايا - ماليزيا.

٢. أ.د. ریحانة بنت حاج عبد الله^(٢)

*٢. أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة مالايا - ماليزيا.

د. ماهاماتا يودينج ساماه*^(٣)

*٣. أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة مالايا - ماليزيا.

E-mail: bander.abdulrazzaq.mal@gmail.com

KEY WORDS

Refugee Rights - forced migration - Humanitarian relief - Human Rights.

الكلمات المفتاحية

حقوق اللاجئين - الهجرة القسرية - الإغاثة الإنسانية - حقوق الإنسان.

ABSTRACT

Many of the peoples of the world suffer from the danger of forced displacement and are forced to flee their homelands, which prompts them to seek refuge in other homelands. The greater the size of the asylum in terms of the number of people and the more frequent and successive, the greater the number of refugees. As the problems worsened, such as lack of resources, lack of services, and lack of housing and housing, and given the large size of the Kingdom of Saudi Arabia, the breadth of its geographical scope, and its location as a center between the continent of Africa and Asia, this has placed on its shoulders many refugees and displaced persons from different places. This study attempts to clarify the phenomenon of asylum and addresses Refugee rights within the framework of the Kingdom's efforts at home and abroad and within the framework of the sustainable development goals, which primarily concern every human being's access to their full and undiminished rights.

مستخلص البحث:

يعاني الكثير من شعوب العالم خطر التهجير القسري، ويضطروا للفرار من أوطانهم، مما يدفعهم إلى اللجوء لأوطان أخرى، وكلما كان اللجوء كبير الحجم من حيث عدد البشر وسريع التكرار ومتلاحق؛ كلما تفاقمّت المشكلات من نقص في الموارد وقلة الخدمات وقلة المساكن والمأوي، ونظراً لموقع المملكة العربية السعودية الكبير واتساع نطاقها الجغرافي ووقعها بين قارة أفريقيا وآسيا، وما يميزها أنها تضم على أرضها اظهر البقاع الإسلامية مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإن ذلك قد ألقى على عاتقها الكثير اتجاه اللاجئين المسلمين سواء في الداخل أو الخارج تحاول هذه الدراسة توضيح ظاهرة اللجوء وتتناول حقوق اللاجئين في إطار جهود المملكة التي تقدمها في الداخل والخارج وفي إطار أهداف التنمية المستدامة التي تعنى بالأساس حصول كل انسان على حقوقه كاملة غير منقوصة.

مقدمة:

تواجه المملكة العربية السعودية، كغيرها من دول العالم، تحديات كبيرة في مجال حقوق اللاجئين، وخصوصاً أن موقع المملكة العربية السعودية جعلها تقع في منطقة صراعات مثل سوريا وفلسطين واليمن بالإضافة إلى الأقليات والدول الإسلامية ونظراً إلى الظروف السياسية والصراعات التي تمر بها المنطقة التي ساهمت بشكل كبير في ازدياد أعداد النازحين قسراً نتيجة الحروب والاضطهاد مما جعل على عاتقها تقديم الحماية والرعاية سواء لمن هم على أراضيها أو خارج أراضيها من أجل ضمان حصولهم على حقوقهم الأساسية مثل، الأمان والسكن والطعام والتعليم والصحة أمر واجب عليها، حيث تستضيف المملكة العربية السعودية عدداً كبيراً من اللاجئين من مختلف الأقليات والجنسيات وأن لم تطلق عليهم صراحة مسمى للاجئين، يقدر عددهم بأكثر من مليون لاجئ، معظمهم من سوريا واليمن وهنغيا ودول افريقيا، مما وضع المملكة العربية السعودية امام تحديات كبيرة على مختلف الأصعدة سواء الأمنية أو الاقتصادية أو المجتمعية وكذلك السياسية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في التحديات التي تواجه المملكة العربية السعودية في مجال حقوق اللاجئين، وخصوصاً أن المملكة العربية السعودية مقبلة على رؤية مستقبلية مشرقة وهي رؤية المملكة ٢٠٣٠ والمرتبطة ارتباطاً جوهرياً بالتنمية المستدامة.

تساؤلات الدراسة:

تطرح الدراسة التساؤلات التالية:

- ما التحديات التي تواجه المملكة العربية السعودية في مجال حقوق اللاجئين؟
- ما الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لتحسين حقوق اللاجئين داخل وخارج المملكة؟
- ما هو رابط بين اللاجئين وأهداف التنمية المستدامة؟

أهداف الدراسة:

ومن خلال التساؤلات السابقة، تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحليل التحديات التي تواجه المملكة العربية السعودية في مجال حقوق اللاجئين.
- تقييم الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لتحسين حقوق اللاجئين.
- تحقيق العلاقة بين حقوق اللاجئين وأهداف التنمية المستدامة.
- التعرف على الجهود المقدمة لحقوق اللاجئين.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يسمح بوصف الظاهرة وتحليل أبعادها للوصول إلى حقيقتها،

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى تحليل التحديات التي تواجه المملكة، مع الإشارة إلى المخاطر المحيطة بالمنطقة العربية، وبحث سبل التعامل الأمثل مع مشكلة اللاجئين.

ماهية اللاجئ:

تعريف اللاجئ في القانون الدولي:

يعرف اللاجئ في القانون الدولي بأنه الشخص الذي يضطر إلى مغادرة بلده بسبب خوفه من التعرض للاضطهاد أو الخطر على حياته أو حريته أو سلامته الشخصية، لأسباب تتعلق بعرقه، أو دينه، أو جنسيته، أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، مع أهمية التفريق ان ذلك التعريف لا يشمل الأشخاص الذين يفرون من بلدانهم لأسباب اقتصادية أو بسبب الكوارث الطبيعية^١، وبناء على ذلك صدرت المواثيق والصكوك الدولية التي تناولت ذلك ومن أهمها:

- اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١م حيث تعد هذه الاتفاقية أهم وثيقة دولية تُحدد حقوق اللاجئين وتُلزم الدول الأطراف بمنحهم الحماية والحقوق الأساسية.
- إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام حيث يؤكد هذا الإعلان على حقوق الإنسان في الإسلام بما في ذلك حقوق اللاجئين.
- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ويلزم هذا العهد الدول الأطراف بضمان الحقوق المدنية والسياسية لجميع الأشخاص الموجودين على أراضيها بما في ذلك اللاجئين.
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هي وثيقة دولية اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨م يتكون ٣٠ مادة يجب أن يتمتع بها جميع البشر دون تمييز، بغض النظر عن العرق، أو الدين، أو الجنسية، أو أي وضع آخر^٢.

تعريف اللاجئ في الشرع الإسلامي:

لا يوجد مصطلح محدد بمسمى لاجئ في الشريعة الإسلامية، ولكن يوجد ما يقابله مصطلحات أخرى تدل على نفس المعنى، والذي يجمع بينهم هو المسببات لتلك الهجرة وهي حماية الأشخاص الذين اضطروا إلى مغادرة بلدانهم بسبب الخوف أو الاضطهاد، ومن المصطلحات المستخدمة في الشريعة تدل على مدلول لجوء بلفظ المهاجر والجار

^٢ لطفي، خالد حسن أحمد. حقوق اللاجئين بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي في إطار اتفاقية جنيف ١٩٥١ وبروتوكول ١٩٦٧. - الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ٢٠١٩م، (صفحات متفرقة).

^١ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR). مركز الدعم، المملكة العربية السعودية، متاح على الرابط

<https://help.unhcr.org/ksa/about-unhcr-ksa/>

وابن السبيل وقد حفظت الشريعة حقوقهم بناء على المقاصد الخمس وهي:

- الحق في الحياة يؤكد الإسلام على حرمة قتل النفس، ويوجب حماية حياة اللاجئين.
- الحق في الأمن حيث إن الإسلام يوفر الأمن والطمأنينة للاجئين وحمايتهم من أي خوف أو تهديد.
- الحق في الحرية فلا يجوز أو إجبارهم بما ذلك على الإسلام.
- الحق في الكرامة يجب معاملة اللاجئين بكرامة واحترام وعدم التمييز ضدهم بسبب دينهم أو عرقهم أو جنسيتهم.
- الحق في المساعدة مبدأ يشجع عليه الإسلام على تقديم المساعدة المالية والعينية للاجئين وتوفير احتياجاتهم الأساسية من طعام وشراب ومسك

علاقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باللاجئين:

يُعَدُّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أساساً للقانون الدولي لحقوق الإنسان، بما في ذلك اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١م، كما يؤكد الإعلان على الحقوق الأساسية للاجئين، مثل الحق في الحياة، والأمن، والحرية، والكرامة، ويكون بذلك ملزماً للدول الأطراف بضمان حماية حقوق اللاجئين وعدم التمييز ضدهم، وهذا ما تقوم به المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)، ولا يُعَدُّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وثيقة ملزمة قانوناً، لكنه يُشكِّل مصدر إلهام للقوانين والاتفاقيات الدولية التي تُحدد حقوق الإنسان، حيث يعد الاهتمام بحقوق اللاجئين والمحافظة على حياتهم ورعايتهم من أهم أهداف وتوجهات التنمية المستدامة، ويمكن توضيح ذلك التوجه من خلال التعرف على العلاقة بين حقوق اللاجئين والتنمية المستدامة، حيث تُعَدُّ حقوق اللاجئين والتنمية المستدامة وجهين لعملة واحدة، حيث إنَّ ضمان حقوق اللاجئين يُساهم بشكل كبير في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وهي القضاء على الفقر والجوع، مع توفير الرعاية الصحية والتعليم والبيئة الجيدة والعمل والمساواة والعدل، والمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، والتي تعمل في دول مجلس التعاون الخليجي منذ ما يزيد على ثلاثون عام، كما تعتبر محوراً مهماً إقليمياً وعالمياً، ويمكن القول بأن مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين هي وكالة الأمم المتحدة للاجئين، حيث تلتزم بخدمة وحماية اللاجئين ومجتمعات النازحين قسراً والأشخاص الذين بلا جنسية حول العالم، إذ تقوم المفوضية بتقديم المساعدات لهم للحفاظ على أرواحهم، والمطالبة بحقوقهم وحمايتهم، ولقد تضاعف عدد اللاجئين

تحت رعاية المفوضية من ١٠,٥ مليون لاجئ في عام ٢٠١٢ حتى وصل إلى ٢٠,٤ مليون لاجئ، مما زاد من أعباء عمل المفوضية أكثر من أي وقت مضى، فبنهاية عام ٢٠١٨ نزح قسراً ما يقارب ٧,٨ مليون شخصاً حول العالم بسبب الاضطهاد والصراعات والعنف وانتهاكات حقوق الإنسان، ويعتبر تقريباً ثلثي هؤلاء المنتزعين قسراً من ديارهم نازحون داخلياً، بمعنى أنهم نزحوا داخل حدود دولهم. وشهدت السنوات الأخيرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نزوحاً داخلياً وخارجياً لم يسبق له مثيل وتمر المنطقة العربية بأوقات عصيبة وأزمات متعددة وتدهوراً اقتصادياً في دول عدة مثل اليمن وسوريا والعراق.^٣

دور المملكة العربية السعودية تجاه اللاجئين:

دعمت المملكة العربية السعودية برامج مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين وذلك استجابة لحالات الطوارئ ودعمًا لمبادرات التنمية، ومن أهم هذه الأدوار دعم برامج الإغاثة التابعة لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين حيث تعقد المفوضية السامية شراكة مميزة مع مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية حيث يتميز بدعمه السخي لبرامج المفوضية، دعمت المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص عدداً من برامج وجهود المفوضية للحفاظ على الأرواح في المنطقة وخارجها، حيث ساهمت في الاستجابة للحالات الطارئة ودعم مبادرات التنمية المستدامة على المدى الطويل التي تقيد الأشخاص النازحين والمجتمعات المضيفة لهم على حد سواء، ومن هذا المنطلق تعاملت المملكة العربية السعودية مع اللاجئين باحترافه عالية جداً وفق رؤية طموحه وهي رؤية المملكة ٢٠٣٠ القائمة على اهم محاور التنمية المستدامة وهي مجتمع حيوي، اقتصاد مزهر، وطن طموح، أن الاحترافية في التعامل أدت إلى تقسيم اللاجئين إلى محورين رئيسيين^٤.

❖ المحور الأول: من هم داخل المملكة فقد تعاملت معهم بكل احترافية مهنية فقد قامت بتصحيح أوضاعهم بأن منحهم الفرصة لتصحيح اوراقهم الثبوتية وسماع لهم بالعلاج والعمل والتعليم والاندماج في المجتمع بعد تفرق او التميز بينهم وبين الآخرين وقدمت لهم كثر من التسهيلات ولم تقبل بأن يطلق عليهم لقب لاجئ، بل جعلت من لقب الزائرين مسمي لهم، بل تعاملت معهم بمنطلق إسلامي، وتتيح لهم فرصة العلاج والتعليم مجاناً، حيث تبلغ نسبتهم (٥,٥) من اجمالي عدد المواطنين والمقيمين.

^٤ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. في المنطقة العربية، ما الذي نعمل عليه، متاح على الرابط <https://www.undp.org/ar/arab-states>

^٣ مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. المساعدات السعودية للاجئين والنازحين، متاح على الرابط <https://refugees.ksrelief.org/>

العناصر الإغاثية الأساسية، والدعم النقدي وغسيل الكلى للاجئين، والمأوى، وقد تبني المركز العديد من البرامج على سبيل المثال^٦.

❖ مشروع ملاذ: حيث يهدف المشروع إلى إعادة تأهيل عدد من الأطفال المجندين والمتأثرين في النزاع المسلح باليمن، من خلال إدماجهم بالمجتمع وإحاقهم بالمدارس ومتابعتهم، إضافة إلى تأهيلهم نفسياً واجتماعياً وإعداد دورات بهذا الخصوص لهم ولأسرهم، ليمارسوا حياتهم الطبيعية كأطفال، كما يهدف المشروع إلى توعية أولياء أمور الأطفال بمخاطر التجنيد لهذه الفئة، والعمل على إيجاد بيئة أسرية سليمة من خلال عقد الدورات التوعوية والتثقيفية والتعريف بالقوانين التي تجرم تجنيد الأطفال.

❖ مشروع مسام:

مشروع إنساني سعودي لنزع الألغام من الأراضي اليمنية وتطهيرها، ويأتي المشروع استمراراً لجهود المملكة العربية السعودية ومكانتها العالمية والفعالة في الأعمال الإنسانية. ويأتي خطر الألغام في اليمن نتيجة انتشار كميات كبيرة من الألغام التي أودت بحياة الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ وتسببت بعباهات دائمة، والتي أثقلت كاهل المنشآت الصحية والعلاجية، وتسببت في خسائر اقتصادية للأفراد والمجتمع.

❖ برنامج الأطراف الصناعية:

يقدم مركز الملك سلمان دعماً لتمويل مراكز الأطراف الصناعية والتي تقدم خدماتها من غير مقابل مالي للمصابين من عمليات البتر بسبب الألغام العشوائية التي زرعتها المليشيات الحوثية. وتهدف المبادرة إلى توفير أطراف اصطناعية ذات جودة عالية، تدريب الكوادر المحلية على تقنيات تصنيع الأطراف الصناعية، وإعادة تأهيل المرضى لكي يكونوا منتجين وقادرين على العمل وممارسة حياتهم الطبيعية^٧.

٢. الصندوق السعودي للتنمية:

إضافة إلى ذلك، يلعب الصندوق السعودي للتنمية أيضاً دوراً مهماً في تقديم الدعم لأعمال مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، حيث منح الصندوق دعماً يقدر بـ ٢٤٣ مليون ريالاً (٦٥ مليون دولار أمريكي) لمشاريع توفير المأوى والطاقة في باكستان وميانمار وتايلاند والدول المتأثرة بأزمة اللاجئين السوريين مثل لبنان والأردن، كما تساعد وزارة الخارجية ووزارة الداخلية السعودية في تيسير

❖ المحور الثاني: اللاجئين حول العالم والذين يعانون تهجير بلدانهم قسراً لأسباب سياسية أو دينية أو عرقية، ومن منطلق هوية المملكة الإنسانية، فإنها تسعى إلى تخفيف معاناتهم عن طريق توفير أساسيات الحياة الكريمة من إيواء وتعليم وتغذية وعلاج قد تعاملت المملكة مع ملف اللاجئين ومن هم في حاجة لتقديم المساعدة خارج المملكة بكل احترافية ومهارة عالية عن طريق قنوات عديدة وتحت مظلة حكومية فأنشاء مركز الملك سلمان للإغاثة الذي أسس في ١٣ مايو ٢٠١٥م، الصندوق السعودي للتنمية، البنك الإسلامي للتنمية، كما خصصت برامج مخصصة لدعم مناطق معينة مثل البرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن، منصة المساعدات السعودية^٨ (١. اللاجئين ٢٠٢٤).

ويمكن تناولها على النحو التالي:

١. مركز الملك سلمان للإغاثة:

يعد مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية شريكاً قريباً ومخلصاً لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين منذ تأسيسه في عام ٢٠١٥، حيث قدم المركز مساعدات يبلغ إجمالي قيمتها حوالي ١٩٨ مليون ريالاً (٥٣ مليون دولار أمريكي)، لإبراز جهود المملكة دولياً وحفظ حقوقها في العطاء أسوة بالدول المانحة الكبرى، أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله - الأمر السامي الكريم رقم ٤١٥٥٥ وتاريخ ١٤٣٨/٩/١٠ المتضمن قيام مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية بإنشاء منصة بيانات المساعدات السعودية مشتملة على ما تقدمه المملكة من مساعدات إنسانية متنوعة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة، ومن هذا المنطلق تم تنويع منصة ساهم حيث توفر الفرصة لتقديم التبرعات إلكترونياً للبرامج التي يقدمها مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية حول العالم، باستخدام البطاقات الائتمانية وآليات السداد الإلكتروني. وتمنح المنصة المتبرعين فرصة إنشاء حساب شخصي يوفر للمتبرع فرصة الوقوف على البرامج التي قام بدعمها، إضافة إلى ذلك توفر المنصة لأصحاب التبرعات المباشرة فرصة ربط التبرعات بالدول والبرامج التي يختارونها. وتعد هذه المنصة الإلكترونية الرسمية الوحيدة التي توفر لمستخدميها فرصة التبرع لبرامج مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، علماً أن المركز لا يستقطع أي مصاريف إدارية من التبرعات وساعدت هذه المساهمات في تقديم الدعم لآلاف اللاجئين والنازحين في كثير من الجوانب، مثل توفير

^٨ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR). الحماية، الإطار القانوني، تعريف اللاجئ، متاح على الرابط

<https://emergency.unhcr.org/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D>

[9%88%D9%86%D9%8A/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6](https://www.unhcr.org/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D)

^٦ مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، مرجع سابق.

^٧ المرجع السابق.

- 0 تفعيل دور المجتمع المدني في مساعدة اللاجئين.
- 0 وضع البرامج الداخلية التي تضمن الثلاث محاور الرئيسية في اللجوء وهي بلد اللجوء والبلد المستضيف وللاجئ.
- 0 تقييم ودراسة حجم تأثير اللجوء وللاجئين على البلد المستضيف ومجتمعه.

المراجع

١. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. في المنطقة العربية، ما الذي نعمل عليه، متاح على الرابط <https://www.undp.org/ar/arab-states>
٢. الصندوق السعودي للتنمية. عن الصندوق، متاح على الرابط <https://www.sfd.gov.sa/ar>
٣. لطفي، خالد حسن أحمد. حقوق اللاجئين بين الفقه الاسلامي والقانون الدولي في إطار اتفاقية جنيف ١٩٥١ وبروتوكول ١٩٦٧. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ٢٠١٩م، (صفحات متفرقة).
٤. مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. المساعدات السعودية للاجئين والنازحين، متاح على الرابط <https://refugees.ksrelief.org/>

٥. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR). الحماية، الإطار القانوني، تعريف اللاجئين، متاح على الرابط <https://emergency.unhcr.org/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%D9%8A/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6>

٦. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR). مركز الدعم، المملكة العربية السعودية، متاح على الرابط <https://help.unhcr.org/ksa/about-unhcr-ksa/>

وصول مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين للسكان الذين تعنى بهم المفوضية وتحمي حقوقهم ضمن إطار التشريعات المحلية والمعايير الدولية^٨.

ومن أجل تلك النتائج الجوهرية التي تسعى لها حكومة المملكة العربية السعودية في سبيل الدعوة إلى حماية اللاجئين وضمان الاستدامة والتنمية المستدامة لتلك المشاريع والمبادرات دعت المملكة إلى تعزيز الالتزامات وبناء قاعدة لوجستية من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبع عشر مع ضمان الإنسانية واحترام حقوقهم الأساسية عن طريق سن سياسات شاملة تساهم في تقديم المساعدات وليس ذلك فقط بل وإعادة بناء تلك المجتمعات وهذا ما يقوم به بنك التنمية وبرنامج إعادة اعمار اليمن مما يتيح لهم أن يستثمرون مهاراتهم وخبراتهم ليصبحوا معتمدون على أنفسهم حمايتهم من الاضطهاد ولن يتحقق ذلك إلا بالتزام من جميع الأطراف الفاعلة، بما في ذلك الدول والمنظمات الدولية والمجتمع المدني.

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- التزام المملكة العربية السعودية بحقوق اللاجئين:
- 0 تستضيف المملكة العربية السعودية للاجئين تحت مسمى زائرون، وتقدم لهم مختلف الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية والسكن وتسعي إلى دمجهم بالمجتمع
- 0 تتعاون المملكة مع المنظمات الدولية، مثل المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، لضمان حصول اللاجئين على حقوقهم.
- 0 تطبق المملكة القوانين والتشريعات التي تُنظم أوضاع اللاجئين.
- 0 تتبنى المملكة العربية السعودية استراتيجية التنمية المستدامة في التعامل مع اللاجئين.
- 0 تتعامل المملكة العربية السعودية مع حقوق للاجئين بطريقة محوكم وتنظيم عالي الدقة وفق مؤسسات حكومية عالية المهنية والدقة في التنظيم المالي والإداري.

التحديات التي تواجه اللاجئين:

- 0 صعوبة تطبيق خطط التنمية المستدامة بمناطق اللجوء خارج المملكة العربية السعودية
- 0 زيادة مناطق التوتر والصراع مما تسبب في زيادة أعداد اللاجئين.
- 0 صعوبة الاندماج في المجتمعات الخارجية بسبب فقدان لسلطة التشريعية.

التوصيات لتحسين أوضاع اللاجئين:

- 0 وضع وتشريع القوانين الدولية من أجل إعادة بلورة الاتفاقيات الدولية مع مستحدثات الامور.
- 0 تعزيز برامج التنمية المستدامة.
- 0 تعزيز برامج الاندماج في المجتمع.

^٨ الصندوق السعودي للتنمية. عن الصندوق، متاح على الرابط <https://www.sfd.gov.sa/ar>

المجلة الدولية للشرية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Digital Murabaha Sale "A Jurisprudential Study"

Dr. Abdul Hadi Madath Abdullah Al-Ajami*

*PhD in Comparative Jurisprudence and Principles of Jurisprudence - Kuwait University - Ministry of Education - State of Kuwait.

E-mail: abdulhadialajmi698@gmail.com

بيع المراجعة الرقمي "دراسة فقهية"

د. عبد الهادي مدعث عبد الله العجمي*

*دكتوراه الفقه المقارن وأصول الفقه - جامعة الكويت
وزارة التربية - دولة الكويت.

KEY WORDS

Sale – Murabaha – Digital.

الكلمات المفتاحية

بيع - المراجعة - الرقمية.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

This research aims to introduce the digital Murabaha sale and the legitimacy of the complex and simple Murabaha sales, especially with the emergence of digital Islamic banks and the importance of financing through the Murabaha sale in the Islamic banking sector, and to explain the provisions related to the digital Murabaha sale by stating the provisions of digital contracting, and conducting digital contracts using artificial intelligence in a way Complete and apply a proposed model for digital Murabaha sales.

The research took the inductive approach by extrapolating issues related to Murabaha sales and the provisions of digital contracting, the deductive approach by deducing the ruling on conducting contracts - including Murabaha sales - entirely through artificial intelligence techniques, and the applied approach by mentioning suggested steps for implementing Murabaha sales in a digital form in banks Digital Islamic.

The research concluded that the Murabaha sale consists of two main elements: a binding promise from the customer to buy the commodity, and an installment sale at a higher price. The provisions related to online contracting are also closely related to the digital Murabaha sale, and contracts may be concluded entirely using artificial intelligence applications. The research provided steps Proposed for financing by selling digital Murabaha in digital Islamic banks.

We recommend implementing digital Murabaha in Islamic banks, especially digital ones, and benefiting from artificial intelligence techniques in this field.

يهدف هذا البحث إلى التعريف ببيع المراجعة الرقمي ومشروعية المراجعة بقسميها المركب والبسيط، لا سيما مع ظهور البنوك الإسلامية الرقمية وأهمية التمويل ببيع المراجعة في قطاع البنوك الإسلامية، وبيان الأحكام المتعلقة ببيع المراجعة الرقمي من خلال بيان أحكام التعاقد الرقمي، وإجراء العقود الرقمية بواسطة الذكاء الصناعي بشكل كامل، وتطبيق نموذج مقترح لبيع المراجعة الرقمي.

وقد سلك البحث المنهج الاستقرائي من خلال استقراء المسائل المتعلقة ببيع المراجعة، وأحكام التعاقد الرقمي، والمنهج الاستنباطي من خلال استنباط حكم إجراء العقود - ومنها بيع المراجعة - عبر تقنيات الذكاء الصناعي بشكل كامل، والمنهج التطبيقي عبر ذكر خطوات مقترحة لتطبيق بيع المراجعة بشكل رقمي في البنوك الإسلامية الرقمية.

وخلص البحث إلى أن بيع المراجعة يتكون من عنصرين رئيسيين هما وعد ملزم من العميل بشراء السلعة، وبيع مقسط بثمن أعلى، كما أن الأحكام المتعلقة بالتعاقد عبر الانترنت شديدة الصلة ببيع المراجعة الرقمي، كما يجوز إبرام العقود بواسطة تطبيقات الذكاء الصناعي بشكل كامل، وقدم البحث خطوات مقترحة للتمويل ببيع المراجعة الرقمي في البنوك الإسلامية الرقمية.

ونوصي بتطبيق المراجعة الرقمية في البنوك الإسلامية لا سيما الرقمية منها، والاستفادة من تقنيات الذكاء الصناعي في هذا المجال.

المقدمة:

الحمد لله الواحد القهار، مكور الليل على النهار،
والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأبرار، وعلى آله
وصحبه الأخيار، وبعد:

فإن حفظ المال مقصد ضروري من مقاصد شريعتنا
الإسلامية الغراء، وقد عنت الشريعة بحفظه من جهتي
الوجود والعدم، فأمرت باستثماره وتنميته بالطرق
المشروعة، ونهت عن إضاعته وتبذيره، وقد احتوى الفقه
الإسلامي على قواعد مستقاة من الكتاب والسنة تضبط
المعاملات المالية المختلفة وفق أحكام الشارع ومقاصده
على مر العصور.

وإن العالم يشهد تطوراً تكنولوجياً متسارعاً في شتى
مناحي الحياة، ومن ذلك اتجاه الأنظمة المصرفية نحو تبني
الأنظمة الرقمية في تقديم الكثير من المعاملات البنكية التي
تقدمها البنوك التقليدية، ولم يكن القطاع المصرفي الإسلامي
بمعزل عن هذا الاتجاه، فقد شهد القطاع المصرفي الإسلامي
نشأة العديد من البنوك الرقمية، بهدف مواكبة التطور
التكنولوجي، والاستفادة من تطبيقات الذكاء الصناعي لإبرام
المعاملات المصرفية والتمويلية التي تقدمها نظيراتها من
المصارف الإسلامية التقليدية.

ويعد بيع المrabحة من أبرز العمليات التمويلية في
القطاع المصرفي الإسلامي، ومن هنا جاءت فكرة البحث
في دراسة بيع المrabحة للأمر بالشراء، وكيفية تطبيقه رقمياً
في ضوء الضوابط الفقهية التي استقرت عليها مؤسسات
الاجتهاد الجماعي كمجمع الفقه الإسلامي الدولي، وهيئة
المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية
"الأيوبي"، بهدف الوصول إلى مقترح لتطبيق بيع المrabحة
في البنوك الإسلامية الرقمية بواسطة تقنيات الذكاء
الصناعي.

مشكلة البحث:

يعد بيع المrabحة من أبرز أعمال المصارف الإسلامية،
ولقد شهد القطاع المصرفي نشوء العديد من البنوك
الإسلامية الرقمية التي تقدم الخدمات المصرفية والتمويلية
بطريقة رقمية، ويعتمد القطاع المصرفي الرقمي على
تقنيات الذكاء الصناعي في العديد من أعماله، ويمكن للبنوك
الإسلامية الرقمية إبرام بيع المrabحة بشكل رقمي وبواسطة
تقنيات الذكاء الصناعي، ويمكن صياغة مشكلة البحث
بسؤال رئيس: ما الأحكام والضوابط المتعلقة بتقديم بيع
المrabحة بشكل رقمي؟

أسئلة البحث؟

١. ما حكم بيع المrabحة وضوابطه في القطاع المصرفي
الإسلامي؟
٢. ما حكم إبرام عقد البيع عبر الذكاء الصناعي بشكل كامل؟
٣. ما طريقة إبرام بيع المrabحة بشكل رقمي؟

أهداف البحث:

١. دراسة بيع المrabحة وضوابطه في المصارف الإسلامية.
٢. بيان حكم إبرام العقود عبر الذكاء الصناعي في البنوك
الإسلامية الرقمية.
٣. تطبيق نموذج مقترح لإبرام بيع المrabحة بشكل رقمي
وفقاً للأحكام والضوابط المتعلقة بهذا البيع.

أهمية البحث:

١. أن موضوع هذا البحث شديد الصلة بواقع الناس، فهو
بحث يجمع بين المعاصرة والارتباط الوثيق بواقعنا، وبين
أصالة تراثنا الفقهي العريق.
٢. أن بيع المrabحة يعد ركيزة أساسية في أعمال البنوك
الإسلامية، ومع نشأة البنوك الإسلامية الرقمية تظهر الحاجة
إلى دراسة الأحكام المتعلقة بتقديم هذا البيع بشكل رقمي، مع
ذكر طريقة مقترحة لذلك.

منهج البحث:

١. المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء ما كتبه الفقهاء
والباحثون المعاصرون حول بيع المrabحة، والأحكام
المتعلقة بالمعاملات الرقمية.
٢. المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط حكم إبرام العقود
بشكل عام وبيع المrabحة بشكل خاص عبر تقنيات وتطبيقات
الذكاء الصناعي بشكل كامل.
٣. المنهج التطبيقي: وذلك عبر تقديم نموذج وخطوات
مقترحة لتقديم بيع المrabحة بشكل رقمي عبر تطبيقات الذكاء
الصناعي.

الدراسات السابقة:

أولاً: هناك العديد من الدراسات التي تناولت أحكام بيع
المrabحة في المصارف الإسلامية، منها المؤلفات،
والرسائل العلمية، والبحوث المحكمة، والبحوث المقدمة
للمؤتمرات التخصصية والمجامع الفقهية، وقد أفاد الباحث
منها في كتابة هذا البحث.

ثانياً: الدراسات التي تناولت المعاملات الرقمية، وهي عديدة
وسأذكر منها ما هو قريب من موضوع هذا البحث:
- المرزوقي، أحمد. (٢٠١٩). التمويل الرقمي دراسة
نظرية تطبيقية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، للباحث
أحمد المرزوقي، (ط١). مركز الشارقة لدراسات التمويل
والاقتصاد.

- عبد الله، بدر. التمويل الرقمي بصيغة بيع التسييط. مجلة
جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد
الرابع، (ديسمبر/٢٠٢٢)، مج ١٩.

الجديد في هذا البحث:

- أولاً: دراسة الأحكام المتعلقة بتطبيق بيع المrabحة بشكل
رقمي، وتقديم نموذج مقترح لذلك.
- ثانياً: بيان حكم إبرام العقود بشكل كامل عبر تقنيات الذكاء
الصناعي.

المبحث الأول: التعريف ببيع المراجعة، ومشروعيته:

يحسن أولاً قبل الخوض في تفاصيل البحث تجلية معنى بيع المراجعة، وبيان أقسام بيع المراجعة وعناصرها ومشروعيتها في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: التعريف ببيع المراجعة:

إن مصطلح "بيع المراجعة" عبارة عن مركب إضافي يتكون من مفردتين هما "بيع" و"مراجعة" وسنبين معناهما فيما يلي:

الفرع الأول: معنى البيع لغة واصطلاحاً:

البيع لغة: البيع لغة ضد الشراء، ويطلق على الشراء أيضاً؛ فهو من أسماء الأضداد، قال ابن فارس: "الباء والياء والعين أصل واحد، وهو بيع الشيء، وربما سمي الشراء بيعاً، والمعنى واحد" (١)، ويطلق على مطلق المبادلة (٢).

وفي الاصطلاح: عرفه الفقهاء بتعريفات عديدة منها: مبادلة المال المتقوم بالمال المتقوم، تملكاً وتملكاً (٣).

الفرع الثاني: تعريف المراجعة لغة واصطلاحاً:

المراجعة لغة: مأخوذة من "الريح" وهو النماء، ويقال: "بعته السلعة مراجعة على كل عشرة دراهم درهم، وكذلك اشتريته مراجعة، ولا بد من تسمية الريح" (٤).

وفي اصطلاح الفقهاء: عرف بتعريفات عديدة متقاربة في المعنى، منها "أن يعرف صاحب السلعة المشتري بكم اشتراها وبأخذ منه ربحاً" (٥).

وما سبق هو تعريفه هو بيع المراجعة البسيط التي تتكون من طرفين هما البائع والمشتري، وقد ظهر في العصر الحديث في القطاع المصرفي الإسلامي بيع المراجعة المركب، أو بيع المراجعة للأمر بالشراء، وقد عرفت بتعريفات عديدة متقاربة منها: "طلب الفرد أو المشتري من شخص آخر - كالمصرف الإسلامي - أن يشتري له سلعة بمواصفات محددة، وذلك على أساس وعد منه بشراء تلك السلعة اللازمة له مراجعة، وذلك بالنسبة أو الربح المتفق عليه ويدفع على أقساط تبعاً لإمكاناته" (٦).

المطلب الثاني: مشروعية المراجعة البسيطة والمركبة:

إن بيع المراجعة البسيط جائز باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة (٧)، ونقل الإجماع عليه (٨).

أما بيع المراجعة المركب أو للأمر بالشراء، فيتكون من عناصر عديدة لا بد من بيانها ثم بيان حكمها، وتتمثل فيما يلي:

أولاً: وعد ملزم من العميل بشراء السلعة:

وقد اختلف الفقهاء قديماً وحديثاً في حكم الإلزام بالوعد إلى عدة أقوال: القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية (٩)، وبعض المالكية (١٠)، والشافعية (١١)، والحنابلة (١٢) إلى أن الوعد لا يلزم قضاء.

قالوا: لأنه الوعد تبرع، ولأنه في معنى الهبة قبل القبض فلا يصح الإلزام به (١٣).

واختار هذا القول جمع من العلماء المعاصرين منهم الهيئة الشرعية في بنك الراجحي (١٤)، وبنك البلاد (١٥).

القول الثاني: ذهب المالكية في قول عندهم إلى أن الوعد لازم إذا كان على سبب وإن لم يحصل السبب (١٦).

ولم أقف في حدود اطلاعي على دليل لهم.

القول الثالث: ذهب المالكية في المشهور عندهم إلى لزوم الوعد إذا كان معلقاً على سبب ودخل الموعود فيه (١٧).

وبه أخذ مجمع الفقه الإسلامي الدولي (١٨)، وهيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية (١٩).

قالوا: إن الأخذ بالإلزام هو الأحوط لمصلحة التعامل، واستقرار المعاملات، وتقليل الخلافات، وفيه مراعاة لمصلحة المصرف والعميل (٢٠)، كما أن المصرف قد يصيبه ضرر إذا دخل فيه التزام بناء على طلب العميل الأمر بالشراء، ثم يعرض عن طلبه، والضرر مرفوع شرعاً.

إلا أن الإلزام بالوعد ينبغي أن يقتصر على طرف واحد - وهو العميل هنا - ولا يجوز أن يكون الوعد ملزماً من الطرفين، حتى لا تتحول المواعدة إلى معاقدة قبل تملك

(١٠) ابن رشد، البيان والتحصيل، (١٨/٨).

(١١) النووي، روضة الطالبين، (٣٩٠/٥).

(١٢) ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، (١٣٨/٨).

(١٣) ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، (١٣٨/٨).

(١٤) قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي، (٤٣٣).

(١٥) الضوابط المستخلصة من قرارات الهيئة الشرعية لبنك البلاد، (٢٥).

(١٦) ابن رشد، البيان والتحصيل، (١٨/٨).

(١٧) ابن رشد، البيان والتحصيل، (١٨/٨).

(١٨) قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، (١٤٥).

(١٩) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٦٠).

(٢٠) محمود إرشيد، المدخل الشامل إلى عمليات ومعاملات المصارف الإسلامية، (١٦٠).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣٢٧/١). الأزهرى، تهذيب اللغة، (١٥٠/٣).

(٢) الجرجاني، التعريفات، (٤٨).

(٣) الجرجاني، التعريفات، (٤٨).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٤٤٣/٢).

(٥) ابن جزي، القوانين الفقهية، (١٧٤).

(٦) محمود إرشيد، المدخل الشامل إلى عمليات ومعاملات المصارف الإسلامية، (١٥٦)، بتصرف يسير.

(٧) وهو جائز بلا كراهة عند فقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة. انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٢٠/٥). الشربيني، مغني المحتاج، (٤٧٦/٢). ابن قدامة، الكافي، (٥٤/٢). وذهب المالكية إلى أنه خلاف الأولى. انظر: الحطاب، مواهب الجليل، (٤٨٨/٤).

(٨) الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٢٠/٥).

(٩) ابن عابدين، العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، (٣٢١/٢).

المبحث الثاني: الأحكام المتعلقة بالمراوحة الرقمية:

إن بيع المراوحة يعد من أهم العمليات التمويلية التي يقدمها القطاع المصرفي الإسلامي كما هو معلوم، ومع نشأة المصارف الإسلامية الرقمية يمكن تقديم هذه الخدمة بشكل رقمي وعبر الذكاء الصناعي، وهو ما يثير التساؤل حول الأحكام المتعلقة بالتعاقد الرقمي عبر تقنيات الذكاء الصناعي، وهو ما سنبينه في المطالب التالية.

المطلب الأول: أحكام التعاقد الرقمي:

إن التعاقد الرقمي - ومنه إبرام بيع المراوحة الرقمي - يتم من خلال تطبيق أو موقع الكتروني للمصرف الرقمي، وذلك بعد التأكد من هوية العميل وأهليته القانونية لإبرام العقود، ويقدم العميل طلباً لإبرام عقد إلكتروني ومن ثم يقوم المصرف بدراسة طلب العميل والتأكد من ملاءته وانطباق الشروط عليه قبل إبرام العقد معه^(٢٢).

وقد ورد في المعيار الشرعي رقم ٣٨ المتعلق بالتعاملات المالية عبر الإنترنت الأحكام المتعلقة بالتعاقد الرقمي نورد أبرزها فيما يلي:

أولاً: مجلس العقد باستخدام المحادثة الكتابية أو عبر الموقع الإلكتروني يأخذ أحكام التعاقد بين غائبين، مثل التعاقد عن طريق الرسالة، ومجلس العقد في هذه الحالة يبدأ من لحظة بلوغ الإيجاب إلى من وجه إليه، وينتهي بصدور القبول، أو برجوع الموجب عن إيجابه، ويجوز أن يكون الإيجاب محدداً بزمان معين.

ثانياً: التعبير عن الإيجاب والقبول يتم بكل ما يدل على رضا العقدين بإبرام العقد.

ثالثاً: إذا وجهت الرسالة عبر الموقع الإلكتروني والمتعلقة بالعقد المزمع إبرامه بحيث تتضمن جميع الحقوق والالتزامات دون أن يكون لمرسلها الحق في رفض التعاقد حال قبول الطرف الآخر فإنها تعد إيجاباً، وإذا أرسلت هذه الرسالة دون بيان الحقوق أو الالتزامات أو اشترط مرسلها الحق في رفض التعاقد فإنها تعد دعوة وإعلاناً لا إيجاباً.

رابعاً: يتحقق القبض شرعاً في العقود المبرمة عبر الإنترنت بكل الوسائل المتعارف عليها في القبض الحقيقي أو الحكمي،

المصرف للسلعة^(٢٣)، وهو ما أخذ به مجمع الفقه الإسلامي^(٢٤)، ونصت عليه المعايير الشرعية^(٢٥).

ثانياً: شراء المصرف السلعة من البائع، ثم يبيعها المصرف على العميل الأمر بالشراء بأكثر من سعر يومها لأجل الأجل "بيع التقسيط":

وحكم بيع المصرف السلعة على العميل بعد تملكها مع زيادة في سعرها لأجل الأجل وهو ما يعرف ببيع التقسيط فجاز باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة^(٢٦)، ونقل الإجماع عليه^(٢٧)، واستدلوا بعموم الأدلة الدالة على جواز البيع كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٢٨)، ولأن الأصل في المعاملات الحل حتى يقوم دليل على المنع^(٢٩)، ولم يرد ما يمنع من بيع التقسيط في الشريعة المطهر.

وبناء على ما سبق فيمكن إيجاز أبرز ضوابط بيع المراوحة للأمر بالشراء في النقاط التالية:

١. يجوز أن يكون الوعد ملزماً لطرف واحد - وهو العميل - بناء على ما سبق من ترجيح القول بلزوم الوعد قضاء إذا دخل الموعود في التزام بسببه، ولا يصح أن يكون الوعد ملزماً للطرفين لئلا تتحول المواعدة إلى بيع قبل تملك المصرف للسلعة.

٢. للمصرف أن يطلب هامش جدية يحجزه من حساب العميل، ويقتصر الاقتطاع منه للتعويض عن الأضرار الفعلية التي قد تنتج في حال نكول العميل عن وعده عند بيعها لغير الأمر بالشراء، ولا يصح أن يعتبر مبلغ هامش الجدية عربوناً لعدم تملك المصرف للسلعة بعد^(٣٠).

٣. ذكر الثمن الأول والربح شرط من شروط صحة العقد، إذ بيع المراوحة من بيع الأمانة، ولا بد معه من بيان الثمن الذي اشترى به البائع الثاني السلعة من البائع الأول^(٣١).

٤. ألا يؤدي بيع المراوحة إلى الوقوع في محذور كالربا، كأن يبيع ذهباً بفضة مؤجلة، أو يبيع العملات مؤجلة نسيئة بجنس النقود^(٣٢).

٥. أن تدخل السلعة المأمور بشرائها في ملكية المصرف وضمائه قبل انعقاد العقد الثاني مع العميل^(٣٣).

(٢٨) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٦٢).

(٢٩) الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٢٠/٥). النووي، روضة الطالبين، (٥٣١/٣). محمد عيش، منح الجليل، (٢٦٢/٥). ابن قدامة، المغني، (٢٦٦/٦).

(٣٠) محمود إرشيد، المدخل الشامل إلى عمليات ومعاملات المصارف الإسلامية، (١٥٦).

(٣١) محمد شبير، المعاملات المالية المعاصرة، (٣١٨).

(٣٢) عبد الله بدر. التمويل الرقمي بصيغة بيع التقسيط. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد الرابع، (ديسمبر/٢٠٢٢)، مج ١٩، ٤٤٤-٤٤٤.

(٢٣) قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، (١٤٥). هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٧٧).

(٢٤) قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، (١٤٥).

(٢٥) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٧٧).

(٢٦) الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٢٤/٥). العدوي، حاشية على شرح الخرش، (٤٤/٦). الغزالي، الوسيط في المذهب، (٤٣٨/٢). البهوتي، شرح منتهى الإرادات، (١١٠/٢).

(٢٧) الخطابي، معالم السنن، (١٢٣/٢).

(٢٨) [البقرة: ٢٧٥]

(٢٩) محمد الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الفقهية الأربعة، (٨١٥/٢).

ويجب التحقق من القبض الفوري الحقيقي والحكمي في مجلس العقد للبديلين في بيع العملات والذهب والفضة.

خامساً: يتعين على المؤسسة التأكد من هوية المتعامل معها وأهليته للتعاقد على الوجه الصحيح النافذ، ويصح شرعاً إثبات التوقيع الإلكتروني كوسيلة لإثبات هوية المتعاقدين إذا كان معتمداً من القوانين المنظمة كوسيلة للإثبات^(٣٣).

المطلب الثاني: حكم إبرام العقود رقمياً بواسطة الذكاء الصناعي:

يعد القطاع البنكي واحداً من أكثر القطاعات تقدماً من الناحية التقنية، فقد أصبح استخدام التكنولوجيا أمراً أساسياً لتسريع العمليات البنكية الاعتيادية كخدمات السحب والإيداع والحوالة والصرف وغيرها^(٣٤)، وعلى الرغم من كون الذكاء الصناعي هو الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها البنوك الرقمية، إلا أن الكثير من خدمات البنوك الرقمية تعتمد أيضاً على التدخل البشري لموظفي البنك، وفي ظل التطور المتسارع للذكاء الصناعي يمكن الاستفادة من تطبيقاته العديدة في تقديم الخدمات البنكية لا سيما التمويلية منها، بحيث يتم إبرام العقد بالكامل من قبل العميل والذكاء الصناعي، وقد يثور تساؤل حول حكم إبرام العقود عبر تقنيات الذكاء الصناعي بشكل كامل بديلاً عن العنصر البشري لا سيما وأن أهلية التعاقد في الفقه الإسلامي تثبت للشخصية الطبيعية إذا اجتمع البلوغ والرشد^(٣٥)؟

ويظهر أن الأصل جواز إبرام العقود بشكل كامل عبر تقنيات الذكاء الصناعي لما يلي:

أولاً: أن ما قرره الفقهاء يتعلق بالشخصية الطبيعية التي قد تطرأ عليها عوارض الأهلية التي تنتج عن عيوب الإرادة من صغر وسفه ونحوه، أما الذكاء الصناعي فكثير منها تقنيات متقدمة، وبعضها مطبق فعلاً في القطاع البنكي، ولا يطرأ عليها الخطأ إلا نادراً.

ثانياً: أن الفقهاء المعاصرين أجازوا التعاقد للشخصية الاعتبارية استجابة لمتطلبات الواقع الحديث ولوجود الشواهد الفقهية المؤيدة للشخصية الاعتبارية في الفقه الإسلامي المتمثلة في بيت المال والوقف وغيرها، وكذلك لا مانع من التعاقد عبر الذكاء الصناعي؛ إذ لا يظهر مانع من التعاقد عبره، ومن الشواهد على جوازه أن جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة أجازوا عقد المميز إن أذن لي الولي، والذكاء الصناعي على ما يتمتع به من

خبرات وتقنيات مأذون للعملاء التعاقد عن طريقه، فإذا جاز للصبي المميز العقد بإذن الولي، فجوازه التعاقد عن طريق الذكاء الصناعي من باب أولى فيما يظهر.

ويشترط لجواز إبرام العقود بشكل كامل عبر الذكاء الصناعي التقيد بالضوابط الشرعية للمعاملات، فلا يصح مثلاً أن يبيع الذكاء الصناعي ما لا يملكه البنك، أو يبيع مجهولاً لا تضبط مواصفاته، ولنضرب مثلاً على إبرام عقد بيع بالتقسيط بين العميل والبنك الرقمي عن طريق الذكاء الصناعي عبر برنامج المحادثة "chat" التابع للبنك الرقمي:

١. يتقدم العميل بطلب شراء سلعة - سيارة مثلاً - يملكها البنك الرقمي وأعلن عنها عبر الموقع أو التطبيق.

٢. يقدم العميل الأوراق المطلوبة كهويته وشهادة الراتب، ويقوم البرنامج بالتأكد من ملاءة العميل عبر معرفة مجموع الأقساط الشهرية التي يلتزم بها العميل للبنوك^(٣٦).

٣. يقوم العميل باختيار المواصفات التي يرغبها من بين السيارات التي يعرضها البنك الرقمي، ومن ثم يرسل البنك الإيجاب لعقد البيع المتضمن مواصفات السيارة بشكل دقيق يرفع الجاهالة - كالموديل واللون والمواصفات وسنة الصنع - مبيئاً السعر الإجمالي وقيمة الأقساط الشهرية وعددها، وإذا قبل العميل يرسل إشعاراً بالقبول.

المطلب الثالث: مزايا وإشكالات المراجعة الرقمية:

مما لا شك فيه أن التحول الرقمي بات سمة رئيسية للخدمات المصرفية المتعددة، ومن ذلك الخدمات التمويلية كبيع المراجعة الرقمية، والمزايا والإشكالات التي تتعلق بالتمويل الرقمي تنطبق غالباً على المراجعة الرقمية باعتبارها شكلاً من أشكال التمويل الرقمي، وأذكر فيما يلي المزايا والإشكالات التي تنطبق على المراجعة باعتبارها تمويلاً رقمياً.

الفرع الأول: مزايا المراجعة الرقمية:

إن للمراجعة الرقمية العديد من الميزات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: أنها تمثل صيغة رئيسية من صيغ التمويل في المصارف الإسلامية كما هو معلوم، وفي التحول الرقمي للمراجعة المصرفية مواكبة للتطور التكنولوجي المتسارع الذي يشهده القطاع المصرفي، مما جعل المصارف تتنافس في تقديم الخدمات الرقمية.

بالأهلية أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة، ولحصول المقصود بما ذكرت.

^(٣٦) والذكاء الصناعي مستخدم بالفعل في القطاع البنكي في تقييم الجدارة الائتمانية في عمليات تمويل الأفراد، كما يقوم بتحليل بيانات العميل واستكمال الأوراق المطلوبة. انظر: معهد الدراسات المصرفية، الذكاء الاصطناعي، سلسلة إضاءات، العدد ٤، (مارس/٢٠٢١)، الكويت.

^(٣٣) انظر: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (٧٤٣-٧٤٧)، بتصرف.

^(٣٤) بو ذراع نادر، بو ذراع عبد العالي، تطبيقات الذكاء الصناعي وتأثيرها على تجربة العملاء والخدمات البنكية، رسالة ماجستير منشورة عبر شبكة الإنترنت، ٢٠٢٣م، جامعة الشهيد الشيخ العربي، الجزائر، (٤٥).

^(٣٥) محمد عثمان شبير، المنخل إلى المعاملات المالية، ط ٢، ٢٠١٠، الأردن: دار النفائس، (٢٢٤). وهناك العديد من المسائل المتعلقة

الرقابة الشرعية والتدقيق الشرعي على هذه المعاملات الرقمية، أما ما يتعلق بالإشكالات الأخرى فهي قائمة بالفعل، وينبغي العمل على تلافيها قدر المستطاع، ومع هذا فإن إيجابيات التمويل الرقمي تفوق سلبياته، وهو ما يجعل المؤسسات المالية تتجه نحوه وتعمل على تلافي إشكالاته.

المطلب الرابع: تطبيق مقترح لبيع المربحة الرقمي:

يمكن للبنوك الرقمية تقديم خدمات بيع المربحة للسلع التي يرغب العملاء بتملكها، ونذكر فيما يلي خطوات مقترحة لتقديم المعاملة بشكل رقمي وفقاً لضوابطها التي سبق ذكرها في المبحث الأول:

أولاً: يقدم العميل طلب شراء سلعة مربحة عبر الموقع الإلكتروني أو تطبيقات الهواتف الذكية، ويجوز أن تكون السلعة معينة يقدم العميل بياناتها كالرقم التسلسلي لها أو رقم اللوحة وغيرها، أو أن يقدم لها وصفا كنوع سيارة ما، ولونها، وسنة صنعها ونحوها، وللبنك الرقمي أن يقدم باسمه عروضاً توجيحية للعملاء ليس لها صفة الإيجاب، وتتضمن إيجاباً من البائع إلى مدة محددة، ويؤدي العميل رغبته بالعرض التوجيهي، ثم إذا صدر جواب البنك الرقمي بالقبول انعقد البيع تلقائياً بين البنك الرقمي والبائع^(٤٤).

ثانياً: يقوم البنك الرقمي بدراسة طلب العميل، ثم إذا صدرت الموافقة يرسل العميل إشعاراً بالوعد الملزم بشراء السلعة التي يرغب بتملكها عبر التطبيق أو الموقع الإلكتروني، ويجوز للبنك الرقمي أن يطلب هامش جديده يحجزه من حساب العميل، ويقتصر الاقتطاع منه للتعويض عن الأضرار الفعلية التي قد تنتج في حال نكول العميل عن وعده عند بيعها لغير الأمر بالشراء^(٤٥).

ثالثاً: يشتري البنك الرقمي السلعة من البائع ويقبضها قبضاً حقيقياً أو حكماً، ثم يقوم البنك الرقمي بإبرام عقد البيع مع العميل عبر إرسال إشعار له ببيان سعر السلعة ومقدار ربح البنك فيها، وعدد الأقساط وقيمة كل قسط.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسر إتمام هذا البحث، وفي الختام نورد أبرز

ثانياً: أنه يمكن مؤسسات التمويل الإسلامي المختلفة من الاستفادة من انتشارها الواسع وتقديم هذا النوع من التمويل للمستفيدين عبر الوسائل الإلكترونية الحديثة^(٣٧).

ثالثاً: أنه يفتح مجالاً للمستفيدين بحصولهم على خيارات أكثر لعدد من الجهات التمويلية، مما يجعل لهم فرصة المقارنة بين عروض التمويل المقدم من العديد من الجهات التمويلية مما يتيح لهم فرصة المقارنة والبحث عن الخيار الأنسب لهم دون عناء التنقل من مكان لآخر^(٣٨).

رابعاً: زيادة درجة التنافس بين الجهات التمويلية في تقديم المنتج، مما يوفر العديد من الخيارات الملائمة للمستفيدين^(٣٩).

خامساً: انخفاض تكلفة المربحة الرقمية بالنسبة للمصرف الإسلامي عن المربحة غير الرقمية مما يؤدي إلى زيادة الأرباح^(٤٠)، إذ التمويل الرقمي لا يتطلب عدداً كبيراً من الموظفين ولا بتقيد بمكان معين.

الفرع الثاني: إشكالات المربحة الرقمية:

تبرز العديد من الإشكالات المتعلقة بالتمويل الرقمي ومنها المربحة الرقمية نوردها فيما يلي:

أولاً: أن المربحة الرقمية قد يكتنفها بعض المحاذير الشرعية، كأن تبرم المؤسسة عقد بيع مع العميل قبل تملكها للسلعة، أو قد تنشأ مواعدة ملزمة بين الطرفين قبل تملك المؤسسة للسلعة فتبيع المؤسسة ما لا تملك، وغيرها من المحاذير التي قد تنشأ لعدم تطبيق أحكام الشريعة وقرارات الهيئات الشرعية^(٤١).

ثانياً: الجرائم المعلوماتية التي قد تعترض المعاملات الرقمية، كالاختيال، واختراق النظام المصرفي، وجرائم البطاقة الائتمانية، وغيرها من الجرائم التي تتعلق بأمن المعلومات التي قللت من ثقة البعض في إجراء بعض المعاملات الرقمية لا سيما ما يتعلق في وسائل الدفع الرقمي^(٤٢).

ثالثاً: يحتاج التمويل الرقمي إلى بيئة تشريعية تواكب التطورات الحديثة، وكثير من البلدان تعاني من الفراغ أو القصور التشريعي في العديد من الجوانب التي تتعلق بالمعاملات الرقمية كالتوقيع الإلكتروني، وخصوصية العميل، والمسؤولية عن الأخطاء والأخطاء^(٤٣).

وفي نظري أن الإشكالات الفقهية التي تذكر بشأن التمويل الإسلامي الرقمي – ومنه بيع المربحة – تكتنف أيضاً المعاملات غير الرقمية، والحل في تطبيق قرارات هيئات

(٤١) شحاده، مها. تطبيقات ومخاطر التمويل الإسلامي الرقمي. مجلة رماح للبحوث والدراسات، العدد ٥٧، (أغسطس/٢٠٢١م)، ٢٣٣-٢٥٨.

(٤٢) المرجع السابق.

(٤٣) المرجع السابق.

(٤٤) انظر: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٥٣).

(٤٥) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (١٦٢).

(٣٧) انظر: البشير، فضل. دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، العدد ٩، (أكتوبر/٢٠١٨م)، ٢٧-٢٩.

(٣٨) عبد الله، بدر. التمويل الرقمي بصيغة بيع التقسيط. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد الرابع، (ديسمبر/٢٠٢٢م)، ٤١٢-٤٤٤.

(٣٩) المرجع السابق.

(٤٠) بوضاية، مراد. المصارف الإسلامية الرقمية رؤية مقاصدية. مجلة بيت المشورة، العدد ١١، (أكتوبر/٢٠١٩م)، ١١٧-١٥١.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. يتكون بيع المراجعة المركب من عنصرين أساسيين: وعد ملزم بالشراء من العميل، وبيع مقسط بثمن أعلى، وقد ذهب إلى جواز الوعد الملزم للعميل مجمع الفقه الإسلامي، والمعايير الشرعية، استناداً إلى قاعدة رفع الضرر في الشريعة، وهو ما ذهب إليه المالكية في المشهور عندهم إذا دخل الموعود في التزام بسبب الوعد.
٢. إن أحكام التعاقد عبر الإنترنت شديدة الصلة ببيع المراجعة الرقمي من حيث ما يتعلق بمجلس العقد، والصيغة، والتثبت من هوية المتعاملين، واعتماد التوقيع الإلكتروني، وغيرها من المسائل ذات الصلة.
٣. يجوز إبرام العقود - ومنها بيع المراجعة الرقمي - بشكل كامل عبر تطبيقات الذكاء الصناعي بشرط التقيد بالضوابط الفقهية للمعاملات المالية المختلفة.

ثانياً: التوصيات:

١. تطبيق بيع المراجعة الرقمي في تطبيقات ومواقع البنوك الإسلامية الرقمية، إذ لا تخفى أهمية هذه المعاملات في قطاع البنوك الإسلامية.
٢. الاستفادة من تقنيات الذكاء الصناعي في إبرام المعاملات المختلفة لا سيما في البنوك الإسلامية الرقمية.

قائمة المراجع:

١٣. البشير، فضل. دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، العدد ٩، (أكتوبر/٢٠١٨م)، ٢٧-٧٩.
١٤. بنك البلاد. (٢٠١٣م). الضوابط المستخلصة من قرارات الهيئة الشرعية لبنك البلاد. ط١. دار الميمان.
١٥. البهوتي، منصور. (١٩٩٣م). شرح منتهى الإرادات. ط١. عالم الكتب.
١٦. بو ذراع، نادر. بو ذراع، عبد العالي. (٢٠٢٣م). تطبيقات الذكاء الصناعي وتأثيرها على تجربة العملاء والخدمات البنكية [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الشهيد الشيخ العربي.
١٧. بوضاية، مراد. المصارف الإسلامية الرقمية رؤية مقاصدية. مجلة بيت المشورة، العدد ١١، (أكتوبر/٢٠١٩م)، ١١٧-١٥١.
١٨. الجرجاني، علي. (١٩٨٣). التعريفات. ط١. دار الكتب العلمية.
١٩. الحطاب، محمد. (١٩٩٢م). مواهب الجليل شرح مختصر خليل. ط٣. دار الفكر.
٢٠. الخرش، محمد. (١٣١٧هـ). شرح مختصر خليل. ط٢. المطبعة الأميرية.
٢١. الخطابي، حمد. (١٣٥١هـ). معالم السنن. ط١. المطبعة العلمية.
٢٢. الزحيلي، محمد. (٢٠٠٦م). القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. ط١. دار الفكر.
٢٣. شبير، محمد. (٢٠٠٧م). المعاملات المالية المعاصرة. ط٦. دار النفائس.
٢٤. شبير، محمد. (٢٠١٠م). المدخل إلى المعاملات المالية. ط٢. دار النفائس.
٢٥. شحاده، مها. تطبيقات ومخاطر التمويل الإسلامي الرقمي. مجلة رماح للبحوث والدراسات، العدد ٥٧، (أغسطس/٢٠٢١م)، ٢٣٣-٢٥٨.
٢٦. الشربيني، محمد. (١٩٩٤م). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. ط١. دار الكتب العلمية.
٢٧. عليش، محمد. (١٩٨٤م). منح الجليل شرح مختصر خليل. ط١. دار الفكر.
٢٨. الغزالي، محمد. (١٤١٧هـ). الوسيط في المذهب. ط١. دار السلام.
٢٩. الكاساني، أبو بكر. (١٣٢٧هـ). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. ط١. مطبعة الجمالية.
٣٠. مجمع الفقه الإسلامي. (٢٠٢٠م). قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي. مجمع الفقه الإسلامي.
٣١. مصرف الراجحي. (٢٠١٠م). قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي. ط١. دار كنوز اشبيليا.
٣٢. معهد الدراسات المصرفية، الذكاء الاصطناعي، سلسلة إضاءات، العدد ٤، (مارس/٢٠٢١م).
٣٣. النووي، يحيى. (١٩٩١م). روضة الطالبين. ط٣. المكتب الإسلامي.

١. ابن جزي، محمد. (د.ت). القوانين الفقهية. بدون دار نشر.
٢. ابن رشد، محمد. (١٩٨٣م). البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة. ط٢. دار الغرب الإسلامي.
٣. ابن عابدين، محمد. (د.ت). العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية. دار المعارف.
٤. ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩م). مقاييس اللغة. دار الفكر.
٥. ابن قدامة، عبد الله. (١٩٩٤م). الكافي في فقه الإمام أحمد. ط١. دار الكتب العلمية.
٦. ابن قدامة، عبد الله. (١٩٩٧م). المغني. ط٣. دار عالم الكتب.
٧. ابن مفلح، إبراهيم. (١٩٩٧م). المبدع في شرح المقنع. ط١. دار الكتب العلمية.
٨. ابن منظور، محمد. (١٤١٤هـ). لسان العرب. ط٣. دار صادر.
٩. إرشيد، محمود. (٢٠١٤). المدخل الشامل إلى عمليات ومعاملات المصارف الإسلامية. ط١. دار النفائس.
١٠. الأزهر، محمد. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. ط١. دار إحياء التراث العربي.
١١. الأيوبي. (٢٠٢٢م). المعايير الشرعية. هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.
١٢. بدر، عبد الله. التمويل الرقمي بصيغة بيع التقسيط. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد الرابع، (ديسمبر/٢٠٢٢م)، مج ١٩، ٤١٢-٤٤٤.

المجلة الدولية للشرعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The juristic foundation in the issues of banking, refinancing as an example. Comparative Jurisprudential Study.

**التأصيل الفقهي في نوازل البنوك، إعادة التمويل
أنموذجاً دراسة فقهية مقارنة.**

DR. Fatima Ali Fahd AlAhmadi*

*Associate Professor - College of Sharia' and Regulations – Taif University - Kingdom of Saudi Arabia.

د. فاطمة علي فهد الأحمدى*

*الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والأنظمة في جامعة الطائف – المملكة العربية السعودية.

E-mail: f-00m00-f@hotmail.com

KEY WORDS

Foundation – Issues – Refinancing - Qalb al-Dain – Stratagem.

الكلمات المفتاحية

تأصيل، نوازل، البنوك، إعادة التمويل، قلب الدين، الحيلة.

ABSTRACT

Praise be to Allah, the Lord of all worlds, and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad and his family and companions. It is noteworthy that with the general economic development and the advancements in banking practices, there has been a significant increase in banking transactions that cater to the needs of benefiting customers. This necessitates the involvement of regulatory bodies and Shariah committees to determine their Shariah rulings after examining their forms and understanding their details. Clearances are obtained for engaging in these transactions. If they are prohibited, it is necessary to warn against them and find Shariah-compliant alternatives. If they are permissible, they are implemented on a wider scale. Undoubtedly, this serves as a means of protecting Muslims from engaging in prohibited modern economic transactions. It is well known that researching such matters requires the expertise of a jurist to establish the principles in financial transactions and other areas. Thus, the juristic competence of the researcher in Islamic law is strengthened. Through this research, I will address the topic: "Juridical Foundation in Banking Issues: Refinancing as a Comparative Jurisprudential Study." I have structured the research plan as follows: Chapter One: Introduction to the key terms of the research topic and the reasons for refinancing. Section One: The concept of juridical foundation, banking issues, and refinancing. Section Two: Reasons for refinancing. Chapter Two: The Concept of Refinancing and its Juridical Foundation, and the Opinions of Jurists on the Matter. Section One: The Concept of Refinancing and its Juridical Foundation. Section Two: The Opinions of Jurists on the Matter (Qalb al-Dain). Section Three: The Ruling on Legal Stratagem in Repaying the Initial Debt. Chapter Three: Shariah Guidelines for Refinancing. Finally, the research concludes with a conclusion highlighting the key findings and recommendations, seeking Allah's guidance and success.

مستخلص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، من الملحوظ أن مع التطور الاقتصادي عامة والتطور في العمل في البنوك خاصة، كثرت المعاملات البنكية والتي تلبي احتياج العملاء المستفيدين، والتي تتطلب من الهيئات واللجان الشرعية الوقوف على حكمها الشرعي بعد ضبط صورتها، وفهم جزئياتها، فتنبأ الزم بالتعامل بهذه المعاملات، فإن كانت محرمة وجب التحذير منها وإيجاد البدائل الشرعية، وإن كانت مباحة جرى العمل بها على أوسع نطاق، ومما لا شك فيه أن في ذلك حماية للمسلم من الوقوع في معاملات الاقتصاد الحديث المحرمة شرعاً، مع العلم أن البحث في مثل هذه المسائل، فيه ثروة للفقهاء لتأصيل النوازل في المعاملات المالية وغيرها، فتقوى الملكة الفقهية للباحث الشرعي.

ومن خلال هذا البحث سأتناول موضوع: "التأصيل الفقهي في نوازل البنوك، إعادة التمويل أنموذجاً دراسة فقهية مقارنة"، وقد جعلت خطة البحث كالتالي: المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث، وأسباب إعادة التمويل، المطلب الأول: مفهوم (التأصيل الفقهي، نوازل البنوك، إعادة التمويل)، المطلب الثاني: أسباب إعادة التمويل.

المبحث الثاني: صورة إعادة التمويل والتأصيل الفقهي، وأقوال الفقهاء في المسألة، المطلب الأول: صورة إعادة التمويل وتأصيله الفقهي، المطلب الثاني: أقوال الفقهاء في المسألة (قلب الدين)، المطلب الثالث: حكم الحيلة في سداد الدين الأول المبحث الثالث: الضوابط الشرعية لإعادة التمويل، ثم ختمت البحث بخاتمة تعرض أبرز النتائج والتوصيات، سائلة الله تعالى التوفيق والسداد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. إن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، وما صلاحها إلا لكونها توجد حلولاً شرعية لكل حادثة أو نازلة يحتملها على البشرية تطورها واختلاطها بكثير من الشعوب، وإن جواب أي نازلة على البشرية ما هو إلا اختصاص الفقيه ومادته في ذلك الكتاب والسنة، وهما بمرورتهما قادران على استيعاب ما لا تتصوره العقول من النوازل والأحداث، وإن من أعظم النوازل وأكثرها النوازل في المعاملات المالية تبعاً لاتساع عمليات التبادل التجاري ووصولها إلى أشكال متعددة نظراً للانفتاح العالمي التجاري، وإننا لنذكر أنه في عام ١٩٧٥ كان وجود البنوك في البلاد الإسلامية ما هي إلا نازلة في تلك الفترة، تحتم على المسلمين وضع ضوابط شرعية لعمل هذه البنوك ومراقبة معاملاتها، الأمر الذي أدى إلى وجود بنوك إسلامية وبنوك غير إسلامية، مما يدل هذا التصنيف على أن الرقابة الشرعية موجودة في البلاد الإسلامية، وحتى تراكب تلك البنوك وبيوت الأموال، ذلك التطور الاقتصادي أصبحت بعد كل فترة تأتي بمعاملات بنكية تحتاج منا نحن كطلاب علم شرعي وباحثين في مسائل الفقه أن نسلط عليها الضوء، وكان من المعاملات الجديدة والتي يحتاجها شريحة كبيرة من عملاء البنوك "إعادة التمويل"، فجعلت بحثي بعنوان (التأصيل الفقهي في نوازل البنوك، إعادة التمويل نموذجاً، دراسة فقهية مقارنة).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر فيما يلي:

١. معرفة حكم النازلة البنكية، والتي يقبل عليها كثير من عملاء البنوك.
٢. دراسة المسألة وتأصيلها فقهيًا.
٣. عند معرفة الحكم، بالإمكان من وضع ضوابط أو مخارج شرعية.
٤. التأكيد على أهمية دور اللجان والهيئات الشرعية في البنوك.

أهداف البحث:

١. معرفة الحكم يترتب عليه البحث عن معاملات بديلة وجائزة شرعاً.
٢. حماية المجتمع المسلم من مخاطر معاملات الاقتصاد الحديث.
٣. الملكة الفقهية التي تتكون لدى طالب العلم عند البحث في مثل تلك المسائل الجزئية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في أن كثيراً من الناس يقبلون على المعاملات البنكية الحديثة دون الوقوف على حكمها الشرعي، ولا يفرقون بين ما هو مباح وما هو محرم، فتعد

معاملة "إعادة التمويل" من المعاملات التي يكثر العمل بها في البنوك بتعدد صورها، فوفقت في هذا البحث على الصورة الشائعة والتي يجري العمل بها.

تساؤلات البحث:

١. ما هو التأصيل الفقهي لإعادة التمويل؟
٢. ما هو موقف الهيئات الشرعية في البنوك من العمل بهذه المعاملة؟
٣. ما حكم الحيل في التمويل؟
٤. ماهي ضوابط إعادة التمويل لتكون مباحة شرعاً؟

الدراسات السابقة:

١. إعادة التمويل وتطبيقاته المعاصرة، د، خالد السيارى، بحث مقدم لمؤتمر أيو في الدولي الخامس عشر للهيئات الشرعية في البحرين.
- وقد تحدثت البحث عن الكثير من صيغ التمويل وركز على عرضها من الناحية الاقتصادية وصفقتها، بدون عرض للأدلة وأقوال الفقهاء، بينما بحثي هذا فقد تناولت الصيغة الشائعة في البنوك من إعادة التمويل، وتوضيح حكمها وجمع الأدلة المناسبة.
٢. إعادة التمويل وشروطه في المصارف الإسلامية، بدر السعوي، بحث تكميلي في المعهد العالي للقضاء.
- وقد تناول البحث كثير من الصور لإعادة التمويل دون الوقوف بالأدلة الشرعية، بينما اقتصر بحثي على صورته بنكية واحدة شائع العمل بها في البنوك، وجمع ما يناسبها من نصوص الفقهاء وأدلتهم.

منهج البحث:

١. التعريف بالمفردات من الناحية اللغوية والاصطلاحية.
٢. دراسة المسألة الفقهية عند المذاهب الأربعة مع الأدلة الشرعية قدر الإمكان.
٣. ذكرت نصوص الفقهاء والتي يمكن أن تدخل تحتها المسألة تأصيلياً.
٤. تجاهلت ترجمة أسماء العلم والكتب، حتى لا أثقل الهوامش.

المبحث الأول - التعريف بمفردات عنوان البحث، وأسباب إعادة التمويل:

المطلب الأول - التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً- مفهوم (التأصيل الفقهي):

التأصيل لغة: مشتق من الفعل "أصل"، والأصل أسفل كل شيء، يقال: استأصل الشجرة: أي ثبت أصلها، واستأصله: أي قطعه من أصله. (١)

الفقهي: نسبة إلى الفقه، والفقه في اللغة: الفهم والعلم. (٢)

الفقه اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. (٣)

التأصيل الفقهي: هو مفهوم منهجي يُقصد به البحث عن أصل أو جذر فقهي ملائم لحكم مسألة مستجدة لم ترد في

(٣) ينظر: روضة الناظر لابن قدامة ٧/٢، شرح الكوكب المنير لابن النجار ٤١/١

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: أصل ص (٨٩).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٥٢٢/١٣، مادة: فقه، المصباح المنير للفيومي (٤٧٩).

أبواب الفقه وليس لها أصل مباشر فيه، وذلك لبناء حكم شرعي عليه. (٤)

ثانياً: نوازل

جمع نازلة، نازل: اسم فاعل في اللغة من نزل ينزل إذا حلّ، والنازلة اسم يدل على الشدة (٥)

قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها مخرج (٦)

النوازل اصطلاحاً الفقهاء:

"الحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي". (٧)

"الوقائع والمسائل المستجدة، والحادثة المشهور بلسان

العصر باسم النظريات والظواهر (٨)

"المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلب اجتهاداً وبيان حكم"

(٩)

ثالثاً - البنوك: مفردة [بنك] وهي مؤسسة تقوم بعمليات

الائتمان بالإقراض أو الاقتراض لأغراض تجارية،

فتستثمر الودائع والأموال. (١٠) أو "مؤسسة مالية توضع

فيها الأموال أمانة، وتقدم قروضاً مقابل فائدة، وكل بنك

يحمل اسماً خاصاً به، ويسمى أيضاً المصرف". (١١)

رابعاً: إعادة التمويل.

إعادة التمويل هي الاستعاضة عن التزام دين قائم بالتزام

دين آخر بشروط مختلفة. (١٢)

أو هي خدمة تمكن العملاء الذين لديهم تمويل شخصي

حالي من الحصول على تمويل إضافي لتلبية احتياجاتهم

الشخصية. (١٣)

المطلب الثاني: أسباب إعادة التمويل

من أهم أسباب إعادة التمويل، والتي قد يشترك فيها نسبة

عالية من العملاء، ما يلي: (١٤)

١. لاستفادة العميل من سعر فائدة أفضل (دفعة أو مدة مخفضة).

٢. رغبة العميل في دمج ديونه في قرض واحد.

٣. رغبة العميل في الحصول على مزايا أفضل بسبب

التنافس بين الممولين.

٤. لتقليل المخاطر (على سبيل المثال، التبدل من فائدة

متغير إلى قرض ثابت)

٥. لتوفير وجمع الأموال (ومتوقعة على فارق سعر الرسوم

والفائدة وغالباً تكون لفترة طويلة).

٦. الرغبة في تقليل الفائدة بدين واحد.

عادةً ما يتم إعادة التمويل للأسباب ٢ و ٣ و ٥ و ٦ من قبل

العملاء المقترضين الذين يجدون صعوبات مالية من أجل

خفض معدل التزامات الدين الشهرية، مع فرض غرامة على الذين يتأخرون في سداد ديونهم.

المبحث الثاني: صورة إعادة التمويل والتأصيل الفقهي، وأقوال الفقهاء في المسألة.

المطلب الأول: صورة إعادة التمويل وتأصيله الفقهي.

الفرع الأول: التصوير لإعادة التمويل:

إن إعادة التمويل صوراً عدة، لكن ساقف على الصورة الشائعة في البنوك، والتي يقبل عليها كثير من العملاء، وصورتها:

كما جاء في استفسار موجه للهيئة الشرعية في بنك

الراجحي (١٥) " فإننا نود أن نجري التعامل المذكور مع

عملائنا المنتظمين في السداد و المقبولين ائتمانياً لدى

المصرف : نقوم بإنشاء المديونية الجديدة بالمبلغ المتبقي

من المديونية القديمة -المحتسب بالسداد المبكر- مضافاً إليه

المبلغ الذي طلبه العميل على أن يتم كشف حسابه الجاري

بالمبلغ المستحق لسداد المديونية القديمة، وعند إضافة المبلغ

-الذي كسبه العميل من خلال بيعه حالياً ما باعته الشركة

(البنك) عليه مؤجلاً- لحسابه فإنه تلقائياً يخضم النظام المبلغ

المستحق عليه- الذي يقابل المديونية القديمة - ويبقى في

رصيده المبلغ الذي طلبه العميل مع نشوء المديونية الجديدة

المقسطة على آجال ، فهل يمكننا (البنك) العمل بهذا

الأسلوب مع العملاء ؟ "

وجاء في صورته: "أن يكون العميل المدين مرتبط

بتمويل سابق مع الدائن وقد سدد جزءاً من المديونية لا يقل

عن ٢٠٪ حسب تعليمات مؤسسة النقد، فيمنحه الدائن تمويلاً

جديداً أعلى من التمويل السابق، فيسدد المدين الدين الأول

للدائن سداداً مبكراً، ويرتق بالمبلغ المتبقي". (١٦)

فالملاحظ في الصورة، اشتراط سداد الدين الأول من

التمويل الجديد، وقد تقوم البنوك مواطنه مع شركات بسداد

الدين للعميل، ويقوم البنك بتمويل العميل مبلغاً يستطيع أن

يوفي به -من قام بسداد دينه الأول- ويستفيد العميل بالمبلغ

المتبقي.

الفرع الثاني -التأصيل الفقهي لصورة إعادة التمويل:

جاء في جواب الهيئة الشرعية في مصرف الراجحي في

الاستفسار الوارد عن الصورة: (فلا يجوز للشركة عند

إنشائها مديونية جديدة مع عميلها أن تكون مع العميل أي

إجراء أو مواطاة أو شرط من شأنه إلزام العميل بسداد ما

سبق من الدين بثمن السلعة من المديونية الجديدة، سواء أكان

دينه الأول حالاً كان أو مؤجلاً، وسواء أكان بطلب من

العميل المدين أم كان بطلب من الشركة، وسواء أكان العميل

(١١) معجم الغني لأبي العز (١٢١٠).

(١٢) موسوعة ويكيبيديا، و ينظر: قرارات مؤتمر شورى الفقهي الرابع للمؤسسات المالية ص ١٣.

(١٣) ينظر: الموقع الرسمي بنك الراجحي.

(١٤) ينظر: إعادة التمويل د/خالد السيارى ٣٥٨، موسوعة ويكيبيديا

(١٥) قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي ٩٦٥/٢.

(١٦) ضوابط التمويل الاستهلاكي، مؤسسة النقد العربي ٥/١٥.

(٤) ينظر: التأصيل الفقهي في الاجتهاد الحديث: ٦٧

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٦٥٦/١١ مادة: ن ز ل ، المصباح

المنير: ٦٠١، أساس البلاغة: ٤٥٣

(٦) القائل الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي ت ٢٤٣هـ، انظر

الطرائف الأدبية للصولي: ١٧١

(٧) معجم لغة الفقهاء (٤٧١).

(٨) فقه النوازل لأبي زيد (٨).

(٩) فقه النوازل للجيزاني ٢/٢١

(١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة: بنك (٢٤٩)

الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعي وأحمد، فهم يفرقون بين المليء والمعسر، فإن المعسر لا يجوز قلب الدين عليه ويجب إنظاره، قال تعالى {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} (٢٣) وأما المليء، فظاهر كلامهم جواز السلم إليه حتى لو أوفاه مما أسلمه إليه من الدراهم، إذا كان فعله على غير وجه يرد به الحيلة (٢٤)

وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية: (وسئل عن رجل له معاملة مع رجل، فتأخر، فطالبه وهو معسر، فاشتري له من صاحب دكان بضاعة، وباعها بزيادة مائة درهم، حتى صبر عليه، فهل هذه المعاملة تصح؟ فأجاب: لا تجوز المعاملة، بل إن كان المدين معسراً فله أن ينظره، وأما التي يزداد فيها الدين والأجل، فهي معاملة ربوية، وإن أدخل صاحب الحانوت بينهما، والواجب ألا يطالب صاحب الدين إلا برأس ماله، فلا يطالب بالزيادة التي لم يقبضها) (٢٥).

قال: "وكذا إذا الدين حلّ عليه وكان معسراً، فإن إنظاره واجب، ولا يجوز إلزامه بقلب الدين عليه باتفاق المسلمين، وبكل حال فإن هذه المعاملة وأمثالها من المعاملات - والتي يقصد بها بيع الدراهم وغيرها بأكثر منها إلى أجل - فاسدة وربويه" (٢٦). فهنا عند الحنابلة تسمى أمثال هذه المعاملات بقلب الدين (٢٧).

وقال: "وإن كان المدين موسراً، كان عليه الوفاء، فلا حاجة إلى القلب" (٢٨)، وقال أيضاً: "ومن كان عليه دين، فإن كان موسراً وجب عليه أن يوفيه" (٢٩). وقال: "إن الرجل إذا قال للرجل، وعليه ألف: تجعلها ألف ومتنين إلى سنة، فقال: يعني السلعة بالألف التي في ذمتك ثم ابتعها بألف ومائتين مني، فهذا صورته صورة البيع، وفي الحقيقة باعه الألف الحالة بألف ومائتين مؤجلة" (٣٠).

وبناء على ذلك فالصورة المشار إليها في تصوير المسألة من صور قلب الدين، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: أقوال الفقهاء في المسألة (قلب الدين):

لا خلاف عند الفقهاء المعاصرين وفي الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية في جواز إعادة التمويل (٣١) إذا جاء التمويل الثاني منفصل عن معاملة التمويل السابقة (٣٢)،

المدين معسراً أم موسراً، لأن ذلك من قلب الدين على المدين، وهو حيلة ظاهرة إلى الربا (٣٧).

وفي قرار مجمع الفقه الدولي: "يعد من فسخ الدين بالدين الممنوع شرعاً كل ما يفضي إلى زيادة الدين على المدين مقابل الزيادة في الأجل أو يكون ذريعة إليه، ومن ذلك فسخ الدين بالدين عن طريق معاملة بين الدائن والمدين تنشأ بموجبها مديونية جديدة على المدين من أجل سداد المديونية الأولى كلها أو بعضها، سواء أكان المدين موسراً أو معسراً، وذلك كشراء المدين سلعة من الدائن بثمن مؤجل ثم بيعها بثمن حال من أجل سداد الدين الأول كله أو بعضه" (٣٨).

ومن نصوص الفقهاء التأصيلية للمسألة:

قال الخرشي: "فسخ الدين في الدين هو أن يفسخ ما في ذمة مدينه في أكثر من جنسه إلى أجل، كعشرة في خمسة عشر مؤخرة، أو يفسخ ما في ذمته في غير جنسه إلى أجل، أو في عرض مؤخر" (٣٩).

عند المالكية تسمى نظير هذه المعاملة بفسخ الدين في الدين (٤٠).

وفي الحاوي الكبير: (وإذا أسلم في طعام إلى رجل، فحل الطعام، فقال الذي عليه الطعام لمن له الطعام: يعني طعاماً لأقضيك به حقك، بثمن حال كان أو مؤجل، فإن عقد البيع باطلاً على هذا الشرط، وإن لم يكن عن شرط في العقد فإنه صح البيع، وكان مشتري الطعام بالخيار، إن شاء قضاؤه الطعام، وإن شاء قضاؤه الطعام من غيره) (٤١).

وقال الشافعي: (لو أسلفه طعام إلى أجل، فلما حل عليه الأجل قال له: يعني بنقد أو إلى أجل، فإن وقع العقد على ذلك لم يجز، وإن باعه الطعام على غير شرط، فلا بأس بذلك، كان بيع الطعام نقداً أو إلى أجل) (٤٢).

وما ذكره الماوردي والشافعي هنا صريح في تحريم البيع مع هذا الشرط، ونظيره في مسألة إعادة التمويل، فهو جائز بلا شرط سداد الدين السابق، إذا ما خرجناه على النصين السابقين.

ونجد أن هذه الصورة أجازها من العلماء بضابط عدم الإعسار، فجاء في الدرر السنية في منع قلب الدين: (وأما

(١٧) قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي ٩٦٦/٢، وانظر: قرار المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بشأن فسخ الدين في الدين، الدورة الثامنة عشر.

(١٨) قرار (١٥٨) مجمع الفقه الدولي، بشأن بيع الدين في الأردن، الدورة السابعة عشر.

(١٩) شرح الخرشي على خليل ٧٦/٥، وانظر: الزرقاني على خليل ٨١/٥، منح الجليل لابن عليش ٥٦٢/٢، الموافقات للشاطبي ٤٠/٤.

(٢٠) ينظر: القوانين الفقهية لابن جزي ١٦٥/١، حاشية العدوي ١٨٠/٢، حاشية ابن عابدين ٨/٥.

(٢١) الحاوي الكبير للماوردي ٢٣٥/٥، بتصرف.

(٢٢) الأم للشافعي ٧٤/٣، بتصرف.

(٢٣) [البقرة: ٢٨٠]

(٢٤) الدرر السنية ١١٩/٥، بتصرف.

(٢٥) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٣٨/٢٩، ٤٣٩.

(٢٦) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٣٨/٢٩.

(٢٧) ينظر: المغني لابن قدامة ٥١/٦، المبدع لابن مفلح ١٢٧/٤،

كشاف القناع للبهوتي، ص ١٥٧/٢، مطلب أولي النهى للرحبياني

وإنما جاء خلافهم إذا جاءت معاملة إعادة التمويل مشروطة بسداد تمويل سابق أو مبنية عليه، فيزيد أجل الدين وقدره على العميل مكرهاً مضطراً، وهذا الذي أخذ صورة فسخ الدين بالدين عند المالكية، أو قلب الدين عند الحنابلة - كما سبق ذكره - وتحريراً للمسألة من النصوص في المطلب السابق، ففيها قولان:

القول الأول:

ذهب إليه المالكية ومتأخري الحنابلة كابن تيمية: محرم مطلقاً لدخوله في فسخ الدين في الدين (٣٣)، جاء في الموطأ: قال الإمام مالك: "في الرجل يكون له دين على رجل مائة دينار إلى أجل فإذا حل الدين، قال له: بعني سلعة ثمنها يكون مائة دينار نقداً وثمنها بمائة وخمسين إلى أجل: هذا بيع لا يصلح، ولم يزل يبهون عنه أهل العلم. قال مالك: وإنما كره ذلك، لأنه يعطيه ثمن ما باعه بعينه، ويؤخر المائة الأولى إلى الأجل الذي آخر مرة ذكر له، ويزاد عليه خمسين ديناراً في تأخيرته عنه. فهذا مكروه (٣٤)٠"، قال ابن تيمية: "وإن كان المدين موسراً، كان عليه الوفاء، فلا حاجة إلى القلب" (٣٥)، وقال كذلك: "هذه المعاملات منها ما هو حرام بإجماع المسلمين، مثل التي يقلب فيها الدين على المعسر، فإن المعسر يجب إنذاره، ولا تجوز الزيادة عليه بمعاملة ولا غيرها بإجماع" (٣٦).

القول الثاني:

أصحابه فرقوا في قلب الدين بين المعسر والموسر، فإن كان موسراً ظاهر الكلام لأبي حنيفة والشافعي وبعض الحنابلة: الجواز (٣٧)، وإن كان معسراً، فلا يجوز للدائن أن يقلب عليه الدين بإجماع أهل العلم (٣٨)، ففي كشف القناع (قال الشيخ: ويحرم أن يمتنع صاحب الدين من انتظار المعسر، حتى يقلب الدين عليه ومتى قال صاحب الدين إما أن تقلب الدين أو أن تقوم معي إلى الحاكم، وخاف من الحاكم أن يحبس لعدم ثبوت إعساره عند الحاكم، وهو معسر، فقلب على الوجه. كانت هذه المعاملة حراماً باتفاق المسلمين. فإن الغريم مكره بغير حق عليها. ومن نسب إلى مذهب بعض

الأئمة جواز القلب على المعسر بحيلة من الحيل. فقد غلط في ذلك. وأخطأ، وإنما الناس تنازعوا في المعاملات الاختيارية مثل التورق والعينة، انتهى)) (٣٩)

الأدلة:

أولاً- أدلة من قال بالتحريم (مطلقاً، ومن قال بتحريمه للمعسر):

١. قال تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} (٤٠) وجه الدلالة: الآية صريحة في إنظار المعسر.

٢. من المعقول:

أ. لأن ما في ذمة المدين من الدين الأول قد فسخ وزال بالتزامه ديناً آخر بدله (٤١)

ب. سداً لذريعة الربا وتكليف المدين ديناً أكبر، كما جاء في قرار مجمع الفقه الدولي: (على المؤسسات المالية التي تقدم بدائل للبطاقة غير المغطاة أن تلتزم في إصدارها وشروطها بالضوابط الشرعية، وأن تتجنب شبهات الربا أو الذرائع التي تؤدي إليه، كفسخ الدين بالدين) (٤٢)، فالدائن هنا لا يبيع دينه للمدين، وإنما يدخل في معاملة جديدة معه، حتى يقوم بسداد دينه الأول، ومُنَع هذا سداً للذرائع، وجاء في الدرر السنية: "منع بعض العلماء قلب الدين على المدين المليء حسماً للمادة، وسداً للذريعة" (٤٣)

ج. إن هذه المعاملة محرمة، كأمثالها من المعاملات التي يقصد بها زيادة الدين مقابل زيادة الأجل ربوية" (٤٤).

د. لأن ذلك يكون حيلة على الربا والحيل لا تجوز في الدين. (٤٥)

هـ. لأنه حتى لو كان موسراً، فهو حتماً لا يلجأ إلى تكرار الدين إلا على سبيل الاضطرار، ولا يجوز استغلال المضطر. (٤٦)

ثانياً - دليل من قال بالجواز للموسر:

من المعقول، لأنه غير مضطر إلى أخذ مديونية جديدة إلا أنه رأى من مصلحة عنده أخذ الدين الجديد دون أن يبلغ ذلك مبلغ الاضطرار والإكراه. (٤٧)

(٣٩) كشف القناع للبهوتي ٢١٣/٣، بتصرف، وانظر: مطالب أولي النهي للرحباني ٦٢/٣.

(٤٠) [البقرة: ٢٨٠]

(٤١) التاج و الاكلیل للمواق ٣٦٧/٤، المعونة للقاضي عبدالوهاب ٩٩٢/٢.

(٤٢) قرار مجمع الفقه الدولي في سلطنة عمان الدورة ١٥، عام ٢٠٠٤م.

(٤٣) الدرر السنية ١٢٢/٦.

(٤٤) مجموع الفتاوى ٤٣٨/٢٩.

(٤٥) انظر: الدرر السنية ١٢٢/٦، بحث قلب الدين للمنع، المؤتمر الفقهي الرابع، و انظر: قرارات الهيئة الشرعية الراجحي ٩٦٦/٢.

(٤٦) حكم قلب الدين للمنع، المؤتمر الفقهي الرابع للمؤسسات المالية، ١٤٣٣هـ.

(٤٧) د. عبدالله بن سليمان المنيع، حكم قلب الدين على المدين، بحث مقدم في المؤتمر الفقهي الرابع للمؤسسات المالية الإسلامية المنعقد بتاريخ: ٢٦ - ٢٧ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ٢٢ - ٢١ ديسمبر بالكويت.

جائز، لأنهما لم يشترطاً شيئاً، ولم يذكر أمراً يفسد به الشراء (الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن ٦٩٤/٢).

(٣٣) - كفاية الطالب الرباني وحاشية العدوي عليه ١٦٦/٢، الزرقاني على خليل ٨١/٥، منح الجليل لابن عليش ٥٦٢/٢، التاج والإكلیل للمواق ٣٦٧/٤، مواهب الجليل للحطاب ٣٦٨/٤.

(٣٤) الموطأ ٦٧٣/٢، بتصرف، و انظر: الزرقاني علي الموطأ، ٢٩٨/٢، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١٠١/٢.

(٦) مجموع فتاوي لابن تيمية ٤٣٨.

(٣٦) الحسبة لابن تيمية (٩١)، مجموع فتاوي ابن تيمية ٩٤/٥٨.

(٨) ينظر: البحر الرائق لابن نجيم ١٣٧/٦، الحاوي الكبير للموردي ٢٣٥/٥، كشف القناع للبهوتي ٢١٣/٣، الدرر السنية ٥/٦٣.

(٩) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني ٢١٤/٥، الذخيرة للقرافي ٢٥٠/٩، القوانين الفقهية لابن جزي ١٦٥/١، نهاية المحتاج للملي ٩٠/٤، الطرق الحكيمة لابن القيم ٦٣٣/٢، المغني لابن قدامة ٥١/٦، وينظر: قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي ٩٦٦/٢.

الراجح:

الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - بتحريم قلب الدين في معاملة إعادة التمويل المشروط بدين سابق، واستغلال المضطر في تمويل جديد مدة أطول ومبلغ دين أكبر، سداً لباب الاستغلال، وتكليف المضطر فوق طاقته، حتى وإن كان موسراً، لأنه ما أقدم على هذه المعاملة إلا لحاجة. ١. جاء في بحث الدكتور عبد الله بن منيع (٤٨): أن المدين له ثلاث حالات، وهي كالتالي:

الحالة الأولى: أن يكون المدين معسراً فلا يجوز قلب الدين عليه، لظلمه بذلك ومخالفة قول الله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}. (٤٩)، وكذلك شغل ذمته بما لا يستطيع تبرئتها منه.

الحالة الثانية: أن يكون مال المدين أكثر من دينه إلا أنه لا يستطيع وفاء دينه إلا بقلب الدين عليه، فهذه الحال تلحق بالأولي، لأنه يكون في حكم المعسر، لعجزه عن سداد دينه إلا بقلب الدين عليه. فلا يجوز قلب الدين عليه، لأن توجهه إلى قلب الدين عليه كان على سبيل الاضطرار والإكراه لا على سبيل الاختيار والرضى.

الحالة الثالثة: أن يكون ملئ، عليه دين وفي يده مال يقدر على الوفاء من غير استدانة، وقيل: إنه يفهم من كلام الفقهاء في المسألة الجواز، لكنه منع البعض من العلماء قلب الدين عليه سداً للذرائع.

وجاء في مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠-١٤/٣/١٤٢٧هـ الذي يوافق ٨-١٢/٤/٢٠٠٦م قد نظر في موضوع: (فسخ الدين في الدين). وفيه: "فسخ الدين في الدين تكون عن طريق معاملة بين الدائن والمدين (البنك و العميل) تنشأ بموجبها مديونية جديدة في ذمة المدين من أجل سداد المديونية الأولى كلها أو بعضها، ومن أمثلتها: شراء المدين من الدائن سلعة بثمن يكون مؤجل ثم بيعها بثمن يكون حالاً من أجل سداد الدين الأول سواء كله أو بعضه، فلا يجوز ذلك ما دامت المديونية الجديدة من أجل وفاء المديونية الأولى بشرط أو موادة أو إجراء منظم؛ وسواء في ذلك أكان المدين موسراً أم معسراً وسواء أكان الدين الأول حالاً أم مؤجلاً يراد تعجيل سداً من المديونية الجديدة، وسواء اتفق الدائن والمدين على ذلك في عقد المديونية الأولى أم كان الاتفاق بعد ذلك، وسواء أكان ذلك بطلب من الدائن أم بطلب من المدين. ويدخل في المنع ما لو كان إجراء هذه المعاملة بين المدين وطرف آخر

غير الدائن إذا كان بترتيب (موادة) من الدائن نفسه أو ضمان منه للمدين من أجل وفاء مديونته. (٥٠)

المطلب الثالث: حكم الحيلة في سداد الدين السابق: قال الشاطبي في حد الحيلة: (إن حقيقتها المشهورة تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر) (٥١)

والحيلة التي يقع فيها كثير من البنوك، هو تواطؤهم واتفاقهم مع شركات يقومون بسداد الدين السابق للعميل، ثم يقوم البنك بتمويل العميل تمويل جديد أكبر من الدين بحيث يسد به الشركة التي قامت بتسديد الدين عنه، ويستفيد العميل بما تبقى من التمويل.

وللفقهاء قولان في حكم الحيل الفقهيّة:

القول الأول: ذهب إليه المالكية والحنابلة (٥٢): قالوا بتحريم الحيل، واستدلوا بما يأتي:

١. قوله تعالى {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُنَّ وَاصْبِرُوا لِمَا نَحْنُ بِكَاتِبِينَ} (٥٣) وجه الدلالة: قصة أصحاب السبت واحتياهم ليحللوا لأنفسهم صيد السمك، بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، ليقوموا باستخراجها يوم الأحد، حيلة منهم على الحكم الشرعي بتحريم الصيد يوم السبت، فمسخهم الله قرده لاستهزائهم بالدين. (٥٤)

ومثل أصحاب السبت أصحاب الجنة عندما احتالوا لمنع المساكين من حقهم في قوله تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمَا نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} (٥٥)

٢. وقوله تعالى {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} (٥٦) وجه الدلالة: نقل الإمام القرطبي عن أبيه وغيره، أن معنى الآية: "لا تعطي الهدية تلتزم بها أكثر منها" (٥٧)

٣. قوله _ صلى الله عليه وسلم _ : (قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها) (٥٨) وجه الدلالة: الحديث صريح في تحريم التحيل الذي قامت به اليهود، فعندما حرم الله الشحوم قاموا بإذابتها وجعلها ودكاً، فباعوها، فمعلوم أن ما حكمه التحريم لا يختلف سواء أكان جامداً أم مائعاً وبذل الشيء يقوم مقامه ويسد مسده، فإذا حرم الله الانتفاع بشيء حرم الإعتياض عن تلك المنفعة. (٥٩)

٤. قوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله المحلل والمحلل له) (٦٠)

وهذا الحديث صريح في تحريم كل تصرف مباح لم يرد لذاته وإنما لتغيير حكم شرعي.

ينظر: تفسير القرآن لابن كثير ٤/٣٦٦.

(٥٦) المدثر: ٦.

(٥٧) ينظر: تفسير القرطبي ٦/٢٠.

(٥٨) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، حديث (٢٢٣٦)

(٥٩) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٢٥/٣

(٦٠) رواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له، حديث (٤١٩٣)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٦)، صححه في

عارضة الأحوذى ٤٦/٣.

(٤٨) - حكم قلب الدين للمنع، المؤتمر الفقهي الرابع للمؤسسات المالية ١٤٣٣هـ

(٤٩) [البقرة: ٢٨٠]

(٥٠) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٠١)، الدورة الثامنة عشرة.

(٥١) الموافقات للشاطبي (٢٠١/٢)

(٥٢) ينظر: الموافقات للشاطبي (٣٨٤/٢)، المغني لابن قدامة (٥٦/٤)

(٥٣) البقرة: ٥٦.

(٥٤) تفسير القرطبي ٩٣٤/١

(٥٥) القلم: ١٧.

الأدلة العامة الدالة على جواز المخارج الشرعية وبين محل النزاع وهو الحيلة الفقهية التي يراد بها تغيير الحكم الشرعي.^(٧٠) **مناقشة أدلة المانعين:**

نوقش الاستدلال بحديث اللعن للمحلل والمحلل له، أن اللعن خاص بمن يأخذ مقابلاً لتحليله، وذكروا: أن تسميته محلاً يدل على أنه بهذا النكاح يحصل التحليل لزوجها الأول وإلا لما سمي محلل، فالمحلل الميثب للحل، فلو كان فاسداً، ما سماه النبي -صلى الله عليه وسلم- محلاً.^(٧١)

الترجيح:

بعد النظر في أدلة المانعين والمجيزين، وجدت أن أدلة المانعين في موضع النزاع، قصة أصحاب السبت، وتذويب اليهود للشحم وبيعته، القصد من فعلهم تغيير الحكم الشرعي، بخلاف أدلة المجيزين فقد استدلوا بأدلة عامة تدل على جواز الأخذ بالمخارج الفقهية للخروج من الضيق والعسر وليس لتغيير حكم شرعي.

قال ابن تيمية: "إن الحيل يكون فيها تغيير للحكم الشرعي مع قيام المقتضى لذلك الحكم، فيكون القيام بالحرام مع الاحتيال، فإنك إذا تأملت عامة الحيل وجدت رفعاً للتحريم أو الوجوب مع قيام المعنى المقتضي للوجوب أو التحريم، فتصير حراماً من جهة أن فيها فعل المحرم وترك الواجب ومن جهة أنها تدليس وخداع ومكر"^(٧٢)

وقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله- (أعلم أن أشد أنواع الربا هو القلب المعروف عند الناس الذي إذا حل على مدينه الدين قال له: إما أن تقضي وإما أن تربى، وهذا الربا الصريح، وقد زين لكثير أن يتحايلوا عليه بأنواع من الحيل حذراً من شناعة صورته الصريحة بأمر منها: أن يقول اذهب إلى فلان واستقرض منه ما توفيني، فإذا حصل الوفاء دينتك، فتوفي المقرض من ذلك، وقد يتواطأ الثلاثة.. وهذه الأمور كلها حيلة قريية لقلب الدين، والله أعلم)^(٧٣)

المبحث الثالث - الضوابط الشرعية لإعادة التمويل:

هناك ضوابط شرعية لتكون معاملة إعادة التمويل جائزة بحيث لا تدخل في صور قلب الدين، ويمكن إيجازها فيما يلي:^(٧٤)

١. ألا يكون التمويل مشروط بسداد الدين الأول، أو مرتبط بمبلغ الدين الأول.
٢. أن يكون عقد التمويل الجديد عقد صحيح في أصله، بطرق مشروعة كالمرابحة ونحوه.
٣. أن ينظر الدائن إلى أجل من غير زيادة ما أمكن ذلك.

وكما روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه خطب بالناس وقال: (لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما)، ووافقه الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك.^(٧١)

القول الثاني: القائلين بجواز الحيل، واستدلوا:

١. استدلوا بعموم قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ^(٧٢)

حيث اعتبروا الحيل مخارج للناس مما ضاق عليهم.

٢. قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قِيلَ وَغَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَغَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} ^(٧٣)

في القصة دلالة على جواز الحيلة لاستخراج الحقوق إذا لم تخالف الشريعة أو تهدم أصلاً من أصول الإسلام بل ذكر الله تعالى أن ذلك الكيد من تدبير الله عز وجل، وما فعله يوسف من جنس المخارج الحسنة.^(٧٤)

٣. ما جاء في الحديث، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوتي بلحم، فقيل: إن هذا ما تصدق به على بريرة، فقال: (هو لها صدقة، ولنا هدية)^(٧٥)

وجه الدلالة: أنها كانت صدقة ممنوعة في حق النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أهدتها بريرة له أصبحت هدية، فجاز له أكلها، فالتصرف المباح حول حكمها من محرم في حق النبي إلى مباح.^(٧٦)

٤. من المعقول: أنه استحلال بطريق مباح، فمتى كانت الحيلة والوسيلة جائزة، فيجوز بلوكها للوصول إلى الحلال.^(٧٧)

مناقشة أدلة المجيزين للحيل:

١. نوقش الاستدلال بقوله تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}: بأن الله تعالى جعل لعباده عند الضيق مخارج بالرخص الشرعية وبالأحكام المخففة، وقد فرق أهل العلم بين الرخصة وبين الحيلة، وعليه لا يصح القول إن الحيل من جنس الرخص الشرعية فمن سلك مسلكاً غير شرعي، فلا يقال عنه أنه سلك مخرجاً شرعياً، فطالب التخفيف من غير طريق الشرع لا مخرج له في الحقيقة.^(٧٨)

٢. وأما استدلالهم بقصة يوسف عليه السلام فهو استدلال مع الفارق، فنحن إن تأملنا قصة يوسف فنحن لا نجد تحيلاً لأجل تغيير حكم شرعي يتناقض مع مقاصد الشرع، وهو محل النزاع هنا^(٧٩)

٣. أن حديث بريرة ودليلهم العقلي، أجد أنه لا علاقة لهم بموضوع الحيلة وإنما تدل على جواز المخارج الشرعية، فاختلط الأمر بين

(٦٩) ينظر: ابن القيم، إعلام الموقعين ٧٢/٣، ابن تيمية، الفتاوى الكبرى ٢١٢/٣

(٧٠) ينظر: الحيل الفقهية و ضوابطها، صالح بوبشيش ص (١١٣)

(٧١) شرح فتح القدير لابن همام ١٨٢/٤

(٧٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٥٢/٣)

(٧٣) ينظر: السعدي في الفتاوى السعدية (٣٥١، ٣٥٠)

(٧٤) ينظر: معيار بيع الدين من المعايير الشرعية رقم (٤/٣/١/٤) الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، قرارات الهيئة الشرعية بنك الراجحي ٩٦٦/٢.

(٦١) ينظر الموافقات للشاطبي (٤٨٣/٢)

(٦٢) الطلاق: ٢

(٦٣) يوسف: ٦٧

(٦٤) ينظر: تفسير القرطبي ٦٣٢/٩

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي في زوج بريرة، حديث (٤٨٢٥).

(٦٦) فتح الباري لابن حجر (١٤/٩)

(٦٧) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥٧٢/٣)

(٦٨) ينظر: الموافقات للشاطبي ٨٧٣/١

١. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحنبلي، الحسبة في الإسلام، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الدار المصرية
٤. ابن جزى، محمد بن أحمد، القوانين الفقهية، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٥. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
٦. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، حاشية رد المحتار على الدر المختار، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
٧. ابن قدامة، أبو محمد عبد الله موفق الدين المقدسي، المغني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى
٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة.
٩. ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، الناشر: مكتبة العبيكان.
١٠. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية، الناشر: الرسالة، الطبعة الأولى.
١١. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت.
١٢. ابن مختار، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى.
١٣. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية.
١٤. ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبد الله، المبدع شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. ابن القيم: محمد بن أبي بكر الجوزية، إعلام الموقعين، دار ابن الجوزي.
١٦. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي.
١٧. ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت.
١٨. الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: فؤاد عبد الحق، الطبعة الأولى.
١٩. أبو بكر بن العربي، عارضة الأحوذى، الطبعة: دار الكتب العلمية.
٢٠. أبو زيد، بكر بن عبد الله، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢١. اليهودي، منصور بن يونس بن إدريس، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٢٢. بوبشيش، صالح بن إسماعيل، الحيل الفقهية، ضوابطها، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١.

٤. أن يوجه العميل أن يجد وفاء دينه السابق من مصادر أخرى مشروعة، وأن يتمول من طرف آخر لتسديد الدين (ليس شرطاً وإنما من باب التوجيه).
٥. أن تكون المعاملة الثانية منفصلة تماماً عن الدين الأول، فلا يراعى فيها المدة والمبلغ السابق.
٦. أن يمكن العميل من مبلغ التمويل قبل سداد أية مستحقات سابقة.
٧. في حال كان العميل متأخر عن السداد، فلا يجوز للمؤسسة أن تعوض نفسها عن التأخر في سداد الدين الأول، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وألا يتجاوز معدل الربح لهذا العميل عن غيره.
- جاء في قرارات بنك الراجحي في الرقم (٣٥٦) والتاريخ ١٤٢٠/٨/٣هـ ونصه: "يجوز للشركة - البنك - أن تبيع سلعة ببيعاً مؤجلاً على العميل - المدين لها بدين آخر- إذا كان من ذوي اليسار والملاءة، مالم تشترط الشركة شرطاً أو تضع إجراء يلزم العميل ببيع السلعة عاجلاً ليسدد من ثمنها دينه الأول" (٧٥).

الخاتمة

- وفي ختام هذا البحث، أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمامه، والذي من خلال دراستي له توصلت إلى ما يلي:
١. أن نوازل المعاملات المالية المصرفية كثيرة ومتشعبة.
 ٢. أن صور قلب الدين أو فسخ الدين بالدين متعددة، ولكن ما ذكرته في البحث الصورة الشائعة في البنوك.
 ٣. إعادة التمويل هو الاستعاضة عن التزام دين قائم بالتزام دين آخر بشروط مختلفة.
 ٤. إعادة التمويل جائز إذا كان منفصل في إجراءاته مديونية سابقة.
 ٥. يحرم قلب الدين على المدين حتى وإن كان من ذوي الملاءة.
 ٦. أن عملية التمويل الجديدة إذا تمت بضوابطها، فإنها تعد عملية تمويل صحيحة، وإن سدد العميل بها التمويل السابق، فإن هذا هو تصرف منه لا سلطة للبنك عليه.
 ٧. جواز الأخذ بالمخارج الفقهية للخروج من الضيق والعسر وليس لتغيير حكم شرعي.
 ٨. للبنوك الإسلامية هيئات شرعية، تواجه المعاملات البنكية المستجدة، وتبين أحكامها الشرعية.
 - ولذلك أوصي طلبة العلم والباحثين، البحث في نوازل المعاملات المالية عامة والبنكية خاصة، باعتبار انتشارها وارتباطها برواتب ودخل الموظفين، حتى يكون العامي على علم بالحكم الشرعي لمثل هذه المعاملات، وأوصي المراكز العلمية والجامعات تكثيف الدورات الشرعية في الصور المالية الجديدة حتى يُستبصر لها، وتُعرف أحكامها.

المراجع والمصادر

- أولاً: القرآن الكريم
ثانياً: الكتب والموسوعات
والمواقع الإلكترونية.

٢٣. الجيزاني، محمد بن حسين، فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة
٢٤. الحاج، عبد الرحمن الحاج، التأصيل الفقهي في الاجتهاد الحديث، الطبعة الأولى، بيرل، جامعة أنقرة، ٢٠١٩.
٢٥. الحطاب، محمد بن محمد، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، ١٩٩٢م.
٢٦. الخرشي أبو عبد الله محمد شرح الخرشي على مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
٢٧. الرحيباني، مصطفى بن سعد السيوطي، مطالب أولي النهى، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية
٢٨. الرملي، محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى
٢٩. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني الأزهرى، شرح الزرقاني على الموطأ، تحقيق: طه عبد الرؤوف، المكتبة الثقافية، الطبعة الأولى.
٣٠. الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على مختصر خليل، تحقيق: عبد السلام أمين، الطبعة العلمية.
٣١. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٣٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الفتاوى السعدية، مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ.
٣٣. الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، الموافقات، دار الكتاب العربي، ودار المعرفة ط٢، بيروت.
٣٤. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الأم، دار الفكر، بيروت.
٣٥. الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، الحجة على أهل المدينة، تحقيق: مهدي حسن قادري، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٣٦. الشيرازي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي، المذهب، ضبطه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. الصولي، أبو بكر محمد يحيى، الطرائق الأدبية، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة القاهرة.
٣٨. العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي، أحكام القرآن، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٣٩. العدوي، علي بن أحمد، حاشية العدوي على شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت
٤٠. عيش، محمد بن أحمد بن محمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، الطبعة الأولى
٤١. علماء نجد الأعلام، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، عالم الكتب، الطبعة السادسة.
٤٢. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
٤٣. القاضي، عبد الوهاب المالكي، المعونة على مذهب عالم المدينة، المكتبة التجارية، تحقيق: حميش عبد الحق.
٤٤. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
٤٥. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث.
٤٦. قلججي وقنبي، محمد رواس وحامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ.
٤٧. الألباني، محمد بن ناصر، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي.
٤٨. المالكي، أبو الحسن علي بن خلف المالكي، كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٤٩. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الحاوي الكبير، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية.
٥٠. المواق، محمد بن يوسف، التاج والإكليل، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥١. المرداوي، علاء الدين علي بن سليمان، الإنصاف، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٥٢. المنيع، عبد الله بن سليمان، حكم قلب الدين علي المدين، بحث مقدم في المؤتمر الفقهي الرابع للمؤسسات المالية الإسلامية المنعقد بتاريخ: ٢٦-٢٧ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ٢٢-٢١ ديسمبر بالكويت.
٥٣. موقع شركة شورى للاستشارات الشرعية، قرارات مؤتمر شورى الفقهي الرابع للمؤسسات المالية الإسلامية
٥٤. مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرارات مجمع الفقه الدولي، بشأن بيع الدين في الأردن، الدورة السابعة عشر والخامسة عشر، دار القلم.
٥٥. مجموعة من العلماء، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن النجدي.
٥٦. موقع مؤسسة الراجحي الرسمي، قرارات الهيئة الشرعية مصرف الراجحي.
٥٧. مؤسسة النقد العربي، ضوابط التمويل الاستهلاكي.
٥٨. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، اصدار رابطة العالم الإسلامي.
٥٩. موسوعة ويكيديا.
٦٠. النفراوي، أحمد بن غانم شهاب الدين المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٦١. هيئة المحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، الطبعة الأولى.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية – دورية – محكمة – مصنفة دولياً

The jurisprudence of priorities in advocacy controls and effects.

Dr. HATIM BIN RSHEED BIN S A UD AL-SIYAB I*¹

*1.Faculty member at the College of Sharia Sciences- The Sultanate of Oman.

DARIN BINT ALI BIN MOHAMMED AL-JABRI*²

*2.Postgraduate Master- College of Sharia Sciences- The Sultanate of Oman.

E-mail: halsyabi@css.edu.om

KEY WORDS

jurisprudence, priorities, controls, effects

الكلمات المفتاحية

الفقه، الأولويات، الضوابط، الآثار

مستخلص البحث:

ABSTRACT

This research entitled Jurisprudence of Priorities in Dawah Controls and Effects came to highlight this pens of scholars and jurists are still competing in it to adjust its rules and classify its issues, show its ways and doors, and edit its provisions in light of the urgent need for it today in our contemporary reality; and stand on its controls, and clarify the effects that arise from the application or absence of jurisprudence priorities in the call, the researchers have relied in this research on the inductive and descriptive and analytical approach, in order to clarify the concept of jurisprudence priorities and the statement of its legitimate rooting, and stand on its controls and various effects The researchers concluded that the jurisprudence of priorities, although it is a modern science did not single out his first independent works, but it is the origin of the book and the Sunnah, and that it has legal controls that must be taken into account and taken into account in the call to God Almighty, And that the introduction of this jurisprudence in the reality of advocacy generates great effects on the preacher and advocacy, and get the desired fruits, and recommended researchers at the end of their research the need to take care, and to single out a separate article in Islamic colleges and universities to teach this jurisprudence given the importance of the utmost in our contemporary reality.

جاء هذا البحث بعنوان فقه الأولويات في الدعوة الضوابط والآثار؛ ليسلط الأضواء على هذا لا تزال أقلام العلماء والفقهاء تتبارى فيه لضبط قواعده وتبويب مسائله، وإظهاره طرقة وأبوابه، وتحرير أحكامه في ظل الحاجة الماسة إليه اليوم في واقعنا المعاصر؛ لترسيخ هذا العلم لدى الداعية وحاجة الأمة اليوم لفقه الأولويات لاختلال الميزان عند الأمة في هذا الجانب، وقد هدف هذا البحث إلى التعرف إلى مفهوم فقه الأولويات في الدعوة، والوقوف على ضوابطه، وتوضيح الآثار التي تنشئ عن تطبيق أو تغيب فقه الأولويات في الدعوة، وقد اعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وذلك لبيان مفهوم فقه الأولويات وبيان تأصيله الشرعي، والوقوف على ضوابطه وآثاره المختلفة وقد استنتج الباحثان إن فقه الأولويات وإن كان علماً حديثاً لم يفرد له الأوائل مصنفات مستقلة إلا أنه أصل في الكتاب والسنة، وأن له ضوابط شرعية يجب الأخذ بها ومراعاتها في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الأخذ بهذا الفقه في واقع الدعوة يولد آثاراً كبيرة على الداعية والدعوة، وتحصل به الثمار المرجوة، وأوصى الباحثان في ختام بحثهما بضرورة الاعتناء، وأن تفرد له مادة مستقلة في الكليات والجامعات الإسلامية لتدريس هذا الفقه نظراً لأهمية القصوى في واقعنا المعاصر.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بأن أرسل إليها نبيه المصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيراً وبشيراً، وأنزل معه كتابه المحكم ليكون هادياً للناس وسراجاً منيراً، وقد استمد المسلمون من هذا القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم الكثير من العلوم التي كانت سبيلاً لوصولهم إلى أعلى المراتب وكانت سبباً لتسهيل حياتهم، ومن أهم هذه العلوم التي استمدوها من القرآن الكريم والتي كانت من نهج الأنبياء في تعاملهم مع أقوامهم فقه الأولويات في الدعوة إلى الله عز وجل التي تراعي الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى وتوازن بين المصالح والمفاسد وتقدم الأهم على المهم، لذلك ارتأيت الكتابة في هذا الموضوع المهم على الذي يسלט الضوء على هذه المسألة المهمة في واقعنا المعاصر.

أهداف البحث:

تتلخص أهداف البحث فيما يلي:

- التعرف إلى مفهوم فقه الأولويات في الدعوة.
- بيان إلى أهمية فقه الأولويات في الدعوة.
- الوقوف على ضوابط فقه الأولويات في الدعوة.
- توضيح الآثار التي تنشئ عن تطبيق أو تغيب فقه الأولويات في الدعوة.

أهمية البحث:

- تأتي أهمية البحث نظراً لمكانة الدعوة في الشريعة الإسلامية وأهميتها في إصلاح المجتمع والتقدم به.
- الكشف عن مدى تأثير هذا العلم على الداعية والمدعو.
- تكمن أهمية البحث أيضاً في الحاجة إلى ترسيخ هذا العلم لدى الداعية وحاجة الأمة اليوم لفقه الأولويات لاختلال الميزان عند الأمة في هذا الجانب.

أسباب اختيار البحث:

- الحاجة الماسة إلى توجيه الدعاة إلى ما هو أفضل وأولى في الدعوة إلى الله تعالى في ظل التغيرات المتعددة وانصراف كثير من الناس عن دين الله تعالى.
- محاولة إبراز وتسليط الضوء على هذا العلم للاهتمام به من قبل الدعاة.
- وجود الكثير من المفاسد في العصر الحالي بسبب سوء استخدام الدعوة وعدم معرفة فقه الأولويات لدى كثير من الدعاة.

إشكالية البحث:

يعد فقه الأولويات في الدعوة أحد أهم العلوم التي ينبغي للداعية أن يتعلمها ويحرص على تطبيقها في مجال دعوته، وعدم اهتمام الدعاة بهذا الجانب يؤدي إلى نفور المدعوين، وعدم تقبلهم للدعوة، وفي أحيان كثيرة يظهر عند بعض الدعاة تغليب جانب على الآخر كالاهتمام بالعبادات الفردية

وترك العبادات الجماعية، أو الاهتمام بما هو نفل وترك ما هو فرض كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، لهذا انقح في ذهن الباحث مجموعة من الأسئلة:

- ما معنى فقه الأولويات في الدعوة؟
- ما ضوابط فقه الأولويات في الدعوة؟
- ما الآثار هذا العلم بالنسبة للداعية والدعوة؟
- ما المفاسد التي تترتب على ترك هذا العلم؟

منهجية البحث:

- المنهج الوصفي من خلال الحديث عن مفهوم فقه الأولويات في الدعوة، وأهميته لدى الداعية، والتأصيل الشرعي له.
- المنهج الاستقرائي وذلك من خلال تتبع الآيات والأحاديث وأقوال العلماء التي تدل على هذا العلم.
- المنهج التحليلي وذلك من خلال بيان الآثار والمفاسد التي تترتب على تطبيق أو تغيب فقه الأولويات في الدعوة.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي وجدت دراستين لهما صلة وثيقة بعنوان البحث ومحتواه، وهناك دراسات أخرى تكلمت فقط عن جانب معين من الموضوع كالدعوة مثلاً أو فقه الأولويات بشكل عام.

- الدراسة الأولى: بحث منشور بعنوان فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، تأليف: الجوهرة بنت صالح الطريقي، نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣ هـ، وقد تحدثت فيه الباحثة عن التأصيل الشرعي لفقه الأولويات في الدعوة، وضوابطه وبعض النماذج والأمثلة عليه، كما ذكرت بعض الآثار السلبية لعدم الأخذ به، واختلفت دراستي عن هذا البحث في بيان بعض الضوابط التي ذكرتها كذلك الأمثلة والتطبيقات المهمة على فقه الأولويات في الدعوة، والمفاسد التي تترتب على عدم الأخذ.

- الدراسة الثانية: بحث محكم ومنشور بعنوان فقه الأولويات في حياة الدعاة، تأليف: ناجي عبدالله الخرس، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٦٠٧، ٢٠١٦م، ذكر فيه الباحث أهمية هذا الموضوع وما هي المفاسد من ترك هذا العلم وذكر الضوابط لفقه الأولويات في الدعوة، واختلفت دراستي عن هذا البحث بذكر المفاهيم وتعريفاتها، وبيان الأمثلة الواقعية لفقه الأولويات، وكذا أيضاً بيان التأصيل الشرعي لهذا العلم وضوابطه.

المبحث الأول: مفهوم فقه أولويات الدعوة وأهميته.

المطلب الأول: تعريف فقه الأولويات في الدعوة.

أولاً: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً:

الفقه لغة: الفقه، بالكسر: العلم بالشئ^١، وفي الصحاح: (الْفَهْمُ لَهُ: يُقَالُ: أَوْتِيَ فُلَانٌ فَهْمًا فِي الدِّينِ: أَيِ فَهْمًا فِيهِ. وَالْفَهْمُ: (الْفُطْنَةُ)، وقال الجوهري: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِعِيسَى بْنِ عَمْرٍ: شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِالْفَهْمِ ١.

^١ انظر مرتضى، الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة محققين، دط، (دار الهداية)، ج ٣٦، ص ٤٥٦.

وجاء تعريفها أيضا بأنها: الترتيب، أي ترتيب الأحكام حسب أهميتها وفضلها، فيقدم الفاضل على المفضول، والأهم على المهم^{١٠}.

ونلاحظ في التعريفات المعاصرة هناك رابط قوي وعلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي إذ الأجدر في المعنى اللغوي يظهر بصورة واضحة في التعريف الاصطلاحي.

وعلى ذلك يكون المقصود بفقهاء الأولويات في الدعوة هو: علم ما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى؛ وما يجب على الداعي أن يقدمه ويؤخره في أمور الدعوة إلى الله حسب أركانها، ويكون هذا الترتيب وفق ضوابط معينة، ومستمدة من كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم^{١١}. إذن هذا علم يجب على الداعية أن يفقهه ويعلم قواعده وضوابطه الشرعية، ويكون على بينة من أمره فيراعي أمور الشرعية ويوازن بين المصالح والمفاسد، ويدرك درجاتها من ويرتب أولويتها الشرعية فيدرك أمور التخفيف والتيسير، وسنة التدرج في الأحكام والفروع العلمية، ويراعي المصالح المعتبرة وغير المعتبرة وغيرها. المطلوب الثاني: التأصيل الشرعي لفقهاء الأولويات.

حث القرآن الكريم في مواطن كثيرة على التفقه في الدين، وبين أن منزلة العلماء والمتعلمين أفضل من غيرهم، وأن أعمالهم ليست سواء، وكذلك في السنة النبوية المطهرة التي جاءت بالكثير من الأحاديث التي تحث المسلم على التعلم والترقي فيه، بل وجعلت طلب العلم فريضة، كما في الحديث الشريف، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"^{١٢}، وجاء أيضا لحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"^{١٣}.

ومن العلوم التي يحتاج المسلمون إلى تعلمها وخاصة في هذا الزمان المعاصر الذي كثرت فيه الاختلافات، وتعددت فيه الظلمات واختلفت فيه التوجهات، واجتمعت فيه التناقضات، فقه الأولويات في الدعوة، إذ نجد أن الشارع الحكيم اعتبر فقه الأولويات في جميع شعائر الدين، بل ونجدها أكثر

(أفقه) الأمر فهمه إياه، و(فاقهه) غالبه في الفقه أي العلم، و(فقّه) صيره فقيها والأمر أعلمه إياه. (الفقه) الفهم والفتنة والعلم وغلب في علم الشريعة وفي علم أصول الدين، و(الفقيه) العالم الفطن والعالم بأصول الشريعة وأحكامها واستعمل فيمن يقرأ القرآن ويعلمه (ج) فقهاء^٢.

وأما الفقه اصطلاحاً:

جاء في التعريفات أن الفقه: "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية".

وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم. وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهاً؛ لأنه لا يخفى عليه شيء^٣.

وعرفه الإمام الغزالي في المستصفى: "العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة"^٤.

وعرفه الإمام القرافي في الذخيرة: "العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال ويقال فقه بكسر القاف إذا فهم وبفتحها إذا سبق غيره للفهم وبضمها إذا صار الفقه له سجية"^٥.

ثانياً: تعريف الأولويات لغة واصطلاحاً:

جاءت لفظة الأولويات في اللغة من الجذر اللغوي الثلاثي (ولي)، يقول ابن فارس: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب، أولى: بمعنى أقرب^٦.

وبقال فلان أولى بكذا أي أجدر وأحرى، وأحق^٧، ومنه يؤخذ حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»^٨.

وأما الأولويات في الاصطلاح:

لم يظهر تعريف الأولويات عند العلماء الأوائل ولذلك لا نجد تعريفاً في مصنفاتهم وإنما ظهر هذه التعريفات عند الباحثين المعاصرين فجاءت تعريفاتهم على النحو التالي: الأولويات بأنها: الأعمال التي لها حق التقدم على غيرها عند الامتثال أو عتد الإنجاز^٩.

^٢ انظر مصطفى إبراهيم، أحمد الزيات، حامد عيد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، د.ط، (دار الدعوة)، ج ٢، ص ٦٩٨.

^٣ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط ١، (بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية ص ٢١٣.

^٤ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط ١، (دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٥.

^٥ القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، ت: مجموعة محققين محمد حجي، محمد بو خيزة، سعيد أعراب، ط ١، (دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٤م)، ج ١، ص ٥٧.

^٦ انظر القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، د.ط، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج ٦، ص ١٤١.

^٧ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط ٣، (دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ)، ج ١٥، ص ٤٠٧.

^٨ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه، ر ٦٧٣٢، ج ٨، ص ١٥٠، وباب ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن، ر ٦٧٣٥، ج ٥، ص ١٥١، وباب ميراث الجد مع الأب

والإخوة، ر ٦٧٣٧، ج ٨، ص ١٥٢، وباب ابني عم: أحدهما أخ للأُم، والآخر زوج، ر ٦٧٤٦، ج ٨، ص ١٥٣، وسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، ر ١٦١٥، ج ٣، ص ١٢٣٣ - ١٢٣٤.

^٩ انظر الوكيل، محمد، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ط ٢، (المعهد العالي للفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م) ص ١٥.

^{١٠} انظر الطريفي، الجوهرة بنت صالح، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، بحث منشور، (جامعة الإمام محمد بن مود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام)، ص ٩.

^{١١} انظر شلبي، رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، ط ٣، (دار القلم)، ص ٩.

^{١٢} أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم ٢٢٤، ج ١، ص ١٥١.

^{١٣} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ر ٧١، ج ١، ص ٢٥، وكتاب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ر ٧٣١٢، ج ٩، ص ١٠١، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ر ١٠٣٧، ج ٢، ص ٧١٩.

واحدة، وفي الآيات الأولى التي نزلت كان فيها أصول الدين من العقيدة والتوحيد وبعد ذلك تدرجت الأحكام في النزول. وقد دعا القرآن الكريم المؤمنين عند المفاضلة بين الحسن والأحسن إلى اختيار الأحسن وذلك في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ }، (النحل/ ١٢٥)، وقوله تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } (العنكبوت/ ٤٦)، وقوله تعالى: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } (الإسراء/ ٥٣). ويتضح من هذه الآيات أمر الله عز وجل للمؤمنين بعمل الأحسن وقول الأحسن عند المفاضلة بين الحسن والأحسن. ١٥

ووردت في السنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث التي تشير إلى فقه الأولويات في الدعوة، وأهمية التدرج في مخاطبة المدعوين؛ لقبول الدعوة ونجاحها من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَوَخَّذْ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتَرِدْ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَيَاكُ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ١٦. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "وتمامه أن يقال بدأ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة" ١٧. وأيضا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْإِيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا" ١٨.

قال النووي في شرح مسلم: "أي يطلب حالاتهم وأوقات نشاطهم وفي هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لنلا تملها القلوب فيفوت مقصودها" ١٩، وهذا من فقه الأولويات في أسلوب الدعوة ومراعاة الأوقات المناسبة التي ينبغي أن يعرفها الداعية كي لا يصاب الناس بالملل من دعوته وحتى يتقبلوها ويفهموها بالشكل الصحيح، وهو هدي خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تعالى.

اعتبارا فيما يخص الدعوة إلى الله تعالى، فهناك آيات كثيرة تدل على أن الأعمال الصالحة ليست سواء، بل هي متدرجة فمنها ما هو أصل ومنها ما هو فرع، ومنها ما هو فرض ومنها ما هو نفل وغير ذلك.

ومما يدل على فقه الأولويات في القرآن الكريم قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد جاءت دعوات الأنبياء مؤصلة لهذا الفقه، وقد كان منهج القرآن الكريم في بيان الدعوة إلى الله تعالى من خلال عرض سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ومن خلال توجيه الله عز وجل لهم ليقوموا بالدعوة كما يجب، وفيما هو حتمي، وعاجل، وليبدؤوا بأهم المهمات، وأهم القضايا التي تعاني منها أممهم، وقد فقهوا تلك الأولويات، وساروا بدعوتهم خطوة بخطوة، حتى وصلوا بها إلى بر الأمان" ١٤.

يقول الله عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي }، (الأنبياء/ ٢٥)، فذكر الله تعالى أن العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان سبحانه فقد أرسل رسله وأنزل كتبه لتوجيه هذه الفطرة إلى الصراط المستقيم وما من رسول إلا وكانت دعوته الأولى في قومه إلى أفراد الله تعالى بالعبادة { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي } (الأنبياء/ ٢٥).

ونجد في كثير من القصص القرآني أن الأنبياء يبدؤون دعوتهم بعقيدة التوحيد، يقول الله عز وجل: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }، (الأعراف/ ٥٩)، وقوله تعالى: { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ }، (سورة الأعراف/ ٦٥)، وقوله تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ }، (الأعراف/ ٧٣) وغيرها من الآيات.

ويتضح من ذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبدؤون في دعوة قومهم بالتوحيد؛ لأنه يعد من أهم المهمات، وأصل الأصول، وبعد ذلك يتدرجون في الدعوة شيئا فشيئا. وهذا هو المنهج الذي اتبعه رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في دعوة قريش فبدأ بالتوحيد، وإصلاح الفساد العقدي المتجذر فيهم، وبعدها انتقل إلى الإصلاح الاجتماعي، فالقرآن الكريم نزل متدرجا ولم ينزل جملة

^{١٤} انظر الطريفي، الجوهرة، فقه أوليات في الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص ١٤.

^{١٥} انظر الصلاحيين، عبد المجيد محمود السلام، فقه الأولويات: مفهومه، ضوابطه، ومجالاته، بحث محكم، (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٨٣ع، ٢٠١٥م)، ص ٦٣٠.

^{١٦} أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ١٤٩٦، ج ٢، ص ١٢٨، وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ر ٧٣٧١ - ٧٣٧٢، ج ٩، ص ١١٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ر ١٩، ج ١، ص ٥١.

^{١٧} ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دط (دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ)، ج ٣، ص ٣٥٩.

^{١٨} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ٦٨، ج ١، ص ٢٥، وباب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، ر ٧٠، ج ١، ص ٢٥، وكتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، ر ٦٤١١، ج ٨، ص ٨٧، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة، ر ٢٨٢١، ج ٤، ص ٢١٧٢ - ٢١٧٣.

^{١٩} النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٣١٩هـ)، ج ١٧، ص ١٦٤.

المبحث الثاني: ضوابط فقه الأولويات في الدعوة وآثاره المطلب الأول: ضوابط فقه الأولويات في الدعوة

هذه الفقه الذي يعنى ترتيب الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى لابد أن يضبط بضوابط شرعية، ولا يمكن أن يلقي الحبل لا على الغارب، ويرخى فيها العنان يتصرف فيها كل أحد بما يهوى، لابد لها من ضوابط معتبرة شرعا مبنية على الأصول الشرعية المعتمدة ومقاصد الشريعة الإسلامية السمحة فهو وإن كان علما نشأ حديثا، ولم يفرد له السلف الصالح مصنفات خاصة أو مناهج محددة إلا أنه لا بد من تحيكم الشرع فيه وإخضاعه إلى مصادر التشريع الإسلامي وقواعده.

وهناك العديد من الضوابط المختلفة التي ذكرها العلماء قديما وحديثا في هذا الباب نذكر مجموعة منها بشكل مختصر، وحسب اطلاعي على بعض المصادر التي اهتمت بالكتابة في هذا الموضوع وجدت أن الضوابط تختلف من باحث إلى آخر حسب الموضوع الذي يطرحه الباحث فمنهم من يذكر الضوابط بشكل عام ومنهم من يخصصها في أمر محدد كال دعوة أو المعاملات المالية وغيرها وهذه الضوابط هي:

الضابط الأول: الاعتماد على المصادر الأصلية في استنباط الأولويات.

ومما نلاحظه اليوم من تفرق الأمة وتشتتها واختلافها اختلافا كبيرا، ولا مخرج لها من هذه الكبوة إلا بالعودة الصادقة إلى مصادر الأصلية، وهي الكتاب والسنة النبوية المطهرة أو ما دل عليه الكتاب والسنة كالإجماع والقياس وغيرهما، ومن ثم تحدد هذه الأولويات بناء على هذه المصادر ٢٠.

الضابط الثاني: النظرة الشمولية للإسلام.

مما هو معلوم أن دين الله تعالى جاء شاملا لكافة جوانب الحياة وفي مختلف جوانبها الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعسكرية وغيرها، وبناء على ذلك لا يجوز قصر الدين على شعبة واحدة من شعبه وإهمال شعبه الأخرى، بل يجب الاهتمام به بشكل كامل؛ لأن الدين الإسلامي نظام حياة متكامل، وليس مقتصر فقط على العبادة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة/٢٠٨)، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: "يقول الله تعالى أمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك" ٢١. وكذلك سورة الماعون التي ذكرت العقيدة والأمر الاجتماعي والعبادة وبينت أن بينها ترابطا فعبادة القلب

مرتبطة بعبادة الجوارح، وكذلك العبادة الفردية مرتبطة بالعبادة الجماعية ٢٢.

الضابط الثالث: تقديم ما قدمه الشرع ٢٣.

ومن ذلك تقديم أمور العقيدة والتوحيد في مجال الدعوة على أمور الأحكام والتشريعات التي تعد من الفرعيات في الدين الإسلامي، وكما ذكرنا سابقا في المطلب السابق فإن الآيات جاءت تدل على أهمية أمر التوحيد في البدء في الدعوة وبعدها التدرج في الأحكام الأخرى، وكذلك ما أشارت إليه الأحاديث النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الضابط الرابع: تقديم الأعمال ذات النفع المتعدي إلى الآخرين على النفع الخاص.

يقول الله عز وجل: {أَجْعَلْنَاهُ سَبِيلَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (٢٠) { (التوبة/ ١٩-٢٠) فسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من أعمال البر المحمودة؛ لكن في المقابل الإيمان بالله واليوم الآخر والجهد في سبيله أعظم درجة عند الله لأن نفعها أعظم للأمة ٢٤.

الضابط الخامس: النظر إلى مآلات الأمور.

معنى ذلك أن يكون مآل الأمر موافقا لما قصد به الشارع، ولا يكون مخالفا له، ولهذا الضابط أمثلة كثيرة من فقه الأولويات، كتزليل السبب منزلة المسبب في الاعتبار ومثاله: تحريم سب والدي الغير، أيضا دفع أعظم المفسدين بتحمل أدناهما ومثاله: الامتناع عن قتل المنافقين وغيرها من الأمثلة ٢٥.

الضابط السادس: تقديم الأصول على الفروع والفرائض على النفل.

ومما هو معلوم أن دعوة الإسلام جاءت بالتدرج، والبدء بالأهم فالأهم، وتقدم الأصول على الفروع، بدليل حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه ذكر أركان الإسلام، فجاء بجانب التوحيد والعقيدة في البداية بعدها تدرج إلى الأحكام العملية ٢٦.

المطلب الثاني: آثار فقه الأولويات في الدعوة

يترتب على تطبيق فقه الأولويات في الدعوة ومراعاة ضوابطه آثار على نجاح الدعوة، وتحصل بذلك الثمار المرجوة للدعوة ويظهر على ذلك من خلال تقديم الأهم فالأهم في الدعوة وتوضح الأمثلة التالية الآثار الإيجابية في

^{٢٢} انظر الخرس، ناجي عبد الله، فقه الأولويات في حياة الدعاة، مرجع سابق، ص ٥٢.

^{٢٣} المرجع نفسه، ص ٥٢.

^{٢٤} انظر المرجع نفسه، ص ٥٣.

^{٢٥} انظر المرجع نفسه، ص ٥٣.

^{٢٦} انظر الطريفي، الجوهر، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص ٤٢.

^{٢٠} انظر الخرس، ناجي عبد الله، فقه الأولويات في حياة الدعاة، بحث محكم، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٦م، ع ٦٠٧)، ص ٥٢.

^{٢١} ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد سلامة، ط ٢، (دار طيبة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج ١، ص ٦٥.

الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) { (يوسف/٣٩-٤١). ونلاحظ أيضا مراعاة طريقة الدعوة والتلطف في الخطاب معهما ٢٨.

ويدخل تحت هذا الفرع مراعاة الداعية لمحتوى الدعوة الذي يقدمه ومراعاة الناس الذين يوجه إليه الخطاب، مثلا إذا كان المدعو جاهلا بالدين ولا يعرف شيئا منه فمن أوليات أن يبدأ معه بالعقيدة ثم يتدرج ف تعليمه بالعبادات اليومية ثم يعرفه بالعبادات الأخرى بالتدريج.

المطلب الثاني: مفسد غياب فقه الأولويات في الدعوة.

ومما مر يتضح أن فقه الأولويات له أصل في الشريعة الإسلامية، كما أن له أهمية كبيرة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وأن عدم الأخذ به يؤدي إلى مفسد كثيرة نذكر منها ما يلي:

- مخالفة منهج الأنبياء في الدعوة: فالأنبياء عليهم السلام قد نهجوا منهجا ربانيا في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ابتداء بالدعوة إلى العقائد وغرسها ومن ثم الدعوة إلى تطبيق الأحكام والشرائع.

٢- العمل بغير مقاصد الشريعة: فقصد الشارع من المكلف أن يكون قصده موافقا لقصده الشارع في التشريع، فالشريعة إنما وضعت لمصالح العباد والمطلوب من المكلف أن يجري ذلك على أفعاله ٢٩.

٣- ضياع الجهد والوقت: فإذا غابت المنهجية الصحيحة والفقه بمراتب الأعمال ضاع جهد الداعي ووقته فيما لا فائدة فيه، فقد يقدم ما هو من التحسينات على ما هو حاجي، أو يقدم ما هو نفل على الفرض فتضيع في الوقت والجهد ولا تجني الدعوة ثمارها المرجوة.

٤- سوء فهم الشريعة (إدخال ما ليس من الشريعة فيه): حيث تنزل الشريعة في غير منازلها المأمور بها، ويؤدي ذلك إلى فوضى فكرية عارمة وهذا هو واقع الدعوة والدعاة في واقعنا المعاصر وللأسف الشديد بحيث يدخل في الدعوة من لا يمتلك قواعد الشريعة الإسلامية ومصالحها فتراه يخلط الحابل بالنبال فتسند بذلك دعوته ويؤدي إلى نفور الناس عنه ٣٠.

٥- التفريط والإفراط في الحقوق: فبعض الحقوق أولى من بعض، والضابط في هذا ما جاء به الشرع به الشرع الحنيف ٣١.

٦- البعد عن مدارج الكمال: فإذا اشتغل المرء بالمفضول على حساب الفاضل لن يصل إلى الكمال في دعوته وتبليغها على أكل وجه الذي أراده الله تعالى ٣٢.

٧- نفور المدعو وتشتته: إذ أن المدعو لا يركز على الأهم في الدعوة والذي يجعله لا يصدق ولا يسلم بما يدعو إليه الداعية.

مراعاة تطبيق فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى وذلك على النحو التالي:

١- أولية التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير

فمن الأولويات المطلوبة في مجال الدعوة تقديم التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة النبوية المطهرة على ذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة/١٨٥)، ويقول سبحانه وتعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} (النساء/٢٨)، ويقول عز وجل: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة/٦). والكثير من الأحاديث التي تدل على التيسير منها أنه صلى الله عليه وسلم إذا خير بين أمرين أخذ أيسرهما، كما أنه صلى الله عليه وسلم دعا إلى تأخير السحور وتعجيل الفطور تيسيرا للصائم وغيرها من الأدلة على ذلك، فالأخذ بهذه الأولوية يزيد من تقبل الدعوة لدى المدعوين ويضمن نجاحها ووصولها إلى أكبر شريحة ممكنة من الناس، وطبعا يكون الأخذ بالأولويات وفق الضوابط كما ذكرنا في المطلب السابق.

ثانيا: أولية الاعتراف بالضرورات الطارئة.

ومن الأمور المطلوبة هنا والتي تندرج أيضا تحت التيسير والتخفيف الاعتراف بالضرورات التي تطرأ في حياة الناس، وضرورة معالجتها والتصدي لها في الوقت نفسه حتى يكون لها الأثر البالغ، وضرورة التيسير في هذه الأمور الطارئة بحيث تنزل هذه الضرورات منزلتها، فإذا حلت كارثة مثلا في منطقة من المناطق وتضرر أهلها بشكل كبير على الدعاة أن يراعوا هذا الجانب ويحثوا الناس لبذل الصدقات ومساعدة المتضررين بما توجد به أيديهم، وعليهم أن يحركوا قلوب الناس نحو ضرورة التكافل ومساندة إخوانهم في الدين وبيان الأجر والثواب على ذلك ٢٧. ثالثا: أولية اختيار الوقت والمكان والخطاب المناسب للدعوة.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما دخل السجن، فلم يمنعه دخوله إلى السجن من الدعوة إلى الله وتطبيقها بالطريقة الصحيحة والوقت والحال المناسبين؛ بل وقدم في دعوته لصاحبيه توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، واغتنم فرصة سؤالهما عن تأويل الرؤيا كم جاء في قوله تعالى: {يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَقَرُّونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَصَبَّى الْأَمْرُ

^{٢٩} انظر الطريفي، الجوهرة، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، ص ٦٥.

^{٣٠} انظر الخرس، ناجي عبد الله، فقه الأولويات في حياة الدعاة، ص ٥١.

^{٣١} انظر المرجع نفسه، ص ٥١.

^{٣٢} انظر المرجع نفسه، ص ٥١.

^{٢٧} انظر نور محمد، حساني محمد، فقه الأولويات في الشريعة الإسلامية، ط ١، (دار الكتب المصرية- مصر، ١٤٣٥- ٢٠١٤م)، ص ٤٠٠-٤٠٤.

^{٢٨} انظر الكربولي، عبد السلام عيادة علي، فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، ط ١ (دار طيبة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٨م)، ص ٤٧.

- الخرس، ناجي عبد الله، فقه الأولويات في حياة الدعوة، بحث محكم، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٦م، ٦٠٧ع).

- شليبي، رؤوف، ا لدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، ط٣، (دار القلم).

- الصلاحين، عبد المجيد محمود السلام، فقه الأولويات: مفهومه، ضوابطه، ومجالاته، بحث محكم، (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٨٣ع، ٢٠١٥م).

- الطريفي، الجوهرة بنت صالح، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، بحث منشور، (جامعة الإمام محمد بن معود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام).

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، ت: مجموعة محققين محمد حجي، محمد بو خبزة، سعيد أعراب، ط١، (دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٤م)، ج١.

- القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دبط، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)،

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد سلامة، ط٢ (دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)،

-الكربولي، عبد السلام عيادة علي، فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، ط١ (دار طيبة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٨م).

-مرتضى، الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة محققين، دبط، (دار الهداية)، دبت.

-مصطفى إبراهيم، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دبط، (دار الدعوة) د. ت

-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ).

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تج. محمد فؤاد عبد الباقي، دبط (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان)، دبت.

-نور محمد، حساني محمد، فقه الأولويات في الشريعة الإسلامية، ط١، (دار الكتب المصرية، مصر، ١٤٣٥ - ٢٠١٤م).

- الوكيل، محمد، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ط٢، (المعهد العالي للفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).

٨- ضعف الدعوة وعدم استمرارها وقبولها لدى الناس: وهذا واقع وللأسف الشديد إذ تجد الناس لا يقبلون إلى الدروس الدعوية والمحاضرات الوعظية وهذا يرجع في بعض أسبابه إلى عدم التزام بفقهاء الأولويات في الدعوة.

٩- خلط الدعاة بين الثابت والمتغيرات في الدعوة: إذ هناك ثوابت شرعية لا يجوز التنازل عنها، وهناك متغيرات تختلف من مدة إلى أخرى، ومن حالة إلى أخرى وهكذا ٣٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي من على بإنجاز هذا البحث المتواضع والذي كان بعنوان فقه الأولويات في الدعوة الآثار والضوابط، وخرجت من هذا البحث بعدد من النتائج أهمها ما يلي:

إن فقه الأولويات في الدعوة له أصل في الكتاب والسنة النبوية وقد كان منهج الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إن الدعوة تحتاج من الداعي إلى أن يكون على علم ودراية بفقهاء الأولويات حتى يضمن نجاحها وقبولها لدى الناس.

إن فقه الأولويات في الجانب الدعوي يحفظ للداعية جهده ووقته ويختصر عليه الكثير من الأمور وقد يكون سببا مهما في قبول الدعوة، وأن ترك الداعية لهذا العلم قد يؤدي إلى مفساد تعود بالضرر لدعوته.

إن لفقه الأولويات في الدعوة ضوابط يجب الأخذ بها ومراعاتها حتى تحصل الثمار المرجوة من الدعوة.

التوصيات:

أوصي طلاب العلم والمهتمون بأمر الدعوة إلى الالتفات إلى هذا العلم والأخذ به في جوانب الدعوة المختلفة، كذلك عقد دورات في هذا الجانب لتأهيل الدعاة قبل دخولهم في ميدان الدعوة، وإعداد مقرر علمي مستقل يعنى بفقهاء الأولويات في الدعوة في أقسام الدعوة في الكليات والجامعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

قائمة المصادر والمراجع:

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط١، (بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دبط (دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ)، ج ٣.

^{٣٣} انظر الوكيل، محمد، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ط٢، (المعهد العالي للفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م) ص ١٧.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

**Inner Kiswa of Kaaba through Historic Ages
Saudi Era as a Model Historical and cultural
study (1355-1403H /1936 - 1983. M**

Dr. Fatima Muhammad Issa Mahnashi*

*Assistant Professor of Modern History and
Contemporary at Taibah University.

كسوة الكعبة (الداخلية) عبر العصور التاريخية العصر
السعودي أنموذجاً (١٣٥٥هـ-١٤٠٣هـ/ ١٩٣٦م-١٩٨٣م)
(دراسة تاريخية حضارية).

د. فاطمة محمد عيسى محنشي*

*أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بجامعة طيبة
المملكة العربية السعودية.

E-mail: dfatma2021@gmail.com

KEY WORDS

The door of the Kaaba / the ancient house / the
Saudi era / the inner covering / the outer covering.

الكلمات المفتاحية

باب الكعبة / البيت العتيق / العصر السعودي / الكسوة
الداخلية / الكسوة الخارجية.

ABSTRACT

The importance of this study lies in the holiness of the Holy House throughout the historical ages, as it was dedicated through the contribution of kings and rulers of Islamic states to preparing the "Kiswa" of the Kaaba. This led to the emergence different of shapes and colors for "Kiswa" of the Kaaba, including both inner and outer covering. Therefore, institutions and factories were established to manufacture and develop the "Kiswa" of the Kaaba. The research aims to shed light on the places of Kiswa's industry throughout the Islamic ages, reaching the Saudi era, and answering the following questions: What is the difference between the inner and the outer covering of the Kaaba in terms of color, and what type of lines are used to write Quranic verses on the inner covering curtain? What is the type of fabric used in the Kiswa's industry? Is the curtain of the door of the Kaaba is considered as an extension of the interior covering, and is the inner covering of the Kaaba being changed annually? Is there a similarity between the inner covering of the Kaaba and the covering of the honorable Prophet's chamber and the shrine of Abraham, peace be upon him? The study concluded the following: The inner covering of the Kaaba was not made every year as the case the outer Kiswa of the Kaaba. There are differences of Quranic verses between the inner and the outer Kiswa of the Kaaba, beside the importance of the role of the Kiswa's industry, which contributed to weaving the most expensive garment on earth, the honorable dress of the Kaaba. The study also found out that the inner covering of the Kaaba witnessed care and attention during the reign of the great kings of the Kingdom of Saudi Arabia during the green ages. The inner Kiswa of the Kaaba is a topic worthy of research and study

مستخلص البحث:

تكمّن أهمية الدراسة في قداسة البيت العتيق عبر العصور التاريخية التي ترجمت في مساهمة ملوك وحكام الدولات الإسلامية ف كسوة الكعبة المشرفة، مما أدى إلى ظهور أشكال وألوان لكسوة الكعبة المشرفة الخارجية والداخلية، فتم إنشاء الدور والمصانع لصناعة نسيج كسوة الكعبة المشرفة وتطويرها. فيهدف البحث إلى إلقاء الضوء على أماكن صناعة الكسوة عبر العصور الإسلامية ختاماً بالعصر السعودي الزاهر، والإجابة على التساؤلات التالية: ما الفرق بين الكسوة الداخلية والخارجية للكعبة المشرفة من حيث اللون؟ وما نوع الخطوط المستخدمة في كتابة الآيات القرآنية على ستارة الكسوة الداخلية؟ وما هو النسيج المستخدم في صناعة الكسوة؟ وهل ستارة باب الكعبة امتداداً للكسوة الداخلية؟ وهل يتم تجديد كسوة الكعبة الداخلية سنوياً؟ وتوصلت الدراسة إلى الآتي: لم تكن كسوة الكعبة الداخلية تصنع كل سنة مثل كسوة الكعبة الخارجية، اختلاف الآيات القرآنية على ستارة كسوة الكعبة الداخلية عنها في الكسوة الخارجية، وأهمية دور صناعة الكسوة التي ساهمت في حياة أعلى ثوب على وجه الأرض ثوب الكعبة المشرفة، وكذلك توصلت الدراسة إلى أن كسوة الكعبة الداخلية قد شهدت الرعاية والاهتمام في عهد ملوك المملكة العربية السعودية، فكسوة الكعبة الداخلية موضوع جدير بالبحث والدراسة.

المقدمة

الحمد لله الملك القدوس السلام، الواحد القهار، العزيز الغفار، القائل في الفرقان

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) والصلاة والسلام على مسك الختام

يا أكرم الخلق جئنا يوم ذكرك

والقلب بالحب والإخلاص ناجاك

نهوى مدينتك الزهراء يدفعنا

وجدّ وشوق وتحناناً لرؤياك

كان أسموها يثرباً من قبل هجرتكم

فأصبحت طيبةً من بعد لقياك

اللهم صل وسلم وبارك على بدر التمام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

انها مكة المكرمة، وبكة، القرية، البلد الأمين، البلد، ومعاد، والوادي، إنها أم القرى

يا أرض مكة في رحابك راحة

تمحو عن القلب الحزين أساءه

شوق تضجّ به مواطن لهفتي

يارب بلغ من يحبُّ مناه

اعتادت قريش في الجاهلية منذ زمن قصي بن كلاب زعيمها، أن تفرض على القبائل في الجزيرة مبالغ كل على قدر استطاعته؛ لشراء ما تكسى به الكعبة، سواء كان من الخصف أو النسيج وهو ما يعرف باسم الكسوة، ولقد اختلف المؤرخون في أول من كسا الكعبة في الجاهلية، إلا أنهم أجمعوا على أن الكعبة كانت تكسى بالعديد من الكسوات، منها ثياب حمر مخططة يمانية، وسوف نتعرف على معنى الكسوة.

يقصد بالكسوة:

الكِسْوَةُ والكُسُوَّة، بكسر الكاف وضمها: اللباس، واحدة الكُساء، يقال: كسوت فلاناً أكسوه كِسوةً إذا لبسته ثوباً أو ثياباً فاكتسى، واكتسى فلان إذا لبس الكُسوة، ويقال: اكتسب الأرض بالنبات إذا تغطت به، والكُساء: جمع الكِسوة. وكسى فلان يكسي إذا اكتسى، وقيل: كسي إذا لبس الكُسوة، واكتست الأرض: تَمَّ نَبَاتُهَا والتف حتى كأنها لبست (٢). والكسوة: الكِسْوَةُ يقصد بها كِسْوَتُهُ ثوباً (كِسوة) (فاكْتَسَى)، والكِساء واحدٌ، وتكسى بالكِساء لِبْسُهُ، وكسي الغُرَيان أي

(أَكْتَسَى) (٣)، والكسوة: ما يتخذ من الثياب للستر والحلية، والجمع: كُساء.

والكسوة في هذا البحث: هي ما تُكسى به الكعبة المشرفة، وهو اللباس الذي يُعْطَى به ظاهر جدران الكعبة الأربعة. بداية كسوة الكعبة المشرفة

روى الأزرقى - رحمه الله - عن النبي ﷺ أنه نهى عن سب أسعد الحميري وهو تُبّع (٤)؛ لأنه أول من كسا الكعبة في الجاهلية، فكساها المسوح، ثم الأنطاع، ثم الحصر، ثم الوصائل، وجعل لها باباً يغلق، وفي ذلك يقول:

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

فيقول ما رواه الأزرقى من النهي عن سب تُبّع كونه كسا البيت: وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث، وأنه كتب بذلك كتاباً، وأودعه للعالم الذي أبراه من علته، وأوصاه أن يوصله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - إن أدركه هو أو واحد من ولده، وكان الأمر كذلك، إن الكتاب وصل إلى النبي ﷺ وقرئ عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح؛ فينبغي ألا يسب تُبّع مطلقاً؛ لأنه من جملة المؤمنين، والمؤمن لا يباح سبه (٥).

ولم تقتصر عادة إكساء الكعبة المشرفة على الرجال فقط، فقد لعبت المرأة العربية دوراً لا ينكر في هذا المجال منذ الجاهلية، وصفحات التاريخ تحفظ لنا أسماء العديد من النساء وما خلدنه من أعمال مجيدة، ومنهن نتيلة بنت جناب بن كليب المعروفة بـ(أم العباس بن عبد المطلب، كانت قد كست الكعبة بالديباج) (٦).

وكان النبي ﷺ يكسو الكعبة بالثياب اليمانية، ثم من بعده عمه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى تأكيد هذه السنة الحميدة، فكانت الكسوة الجيدة توضع فوق سابقاتها (٧)، وكانت تكسى يوم عاشوراء، فذكر أبو الوليد قال: حدثني جدي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، قال: حدثني أبي، عن خالد بن أبي المهاجر، أن النبي ﷺ خطب الناس يوم عاشوراء، فقال: (هذا يوم عاشوراء، يوم تنقضي فيه السنة، وتُستر فيه الكعبة، وتُرفع فيه الأعمال، ولم يُكتب

الأحمد الحسين، كسوة الكعبة في العصر المملوكي، جامعة البعث، حمص، مجلة جامعة البعث، ع ١، ١٤٣٧/٥، ٢٠١٦م، مج ٣٨/ ١٣٥.

(٥) ابن طهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق علي عمر، (ط١)، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٩.

(٦) أفريل داود عبد الخالق، كسوة الكعبة، المورد، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ع ٤، مج ٩/ ١٧٢.

(٧) على الشنوفي، مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين، (ط١)، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣.

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كسا)، (د.ن، طبع دار المعارف)، ٣٨٧٩/٥.

(٣) محمد أبي بكر عبد القادر الرازي (ت: ٦٠٠هـ/ ١٢٦١م)، مختار الصحاح، (د.ط بيروت)، إخراج طبعة مدققة دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٤) تُبّع، لقب كان يطلق على ملوك اليمن، وهو حسان بن أسعد أبي كرب الحميري، ومن أعظم تبابعة اليمن في الجاهلية، امتلك دمشق، وعاد يريد اليمن، فمر بمكة وكان أول من كسا الكعبة الملك تبع بن حسان أبو كرب الذي ملك اليمن والحجاز، وكساها العصب اليماني، وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجلد القباطي قماش مصري زمنًا طويلاً، ينظر إلى: خليل

عليكم صيامه وأنا صائم، فمن أحب منكم أن يصوم فليصم) (8).

واستمر المسلمون على ما كان أجدادهم عليه ومن سبقهم قبل الإسلام في إكساء الكعبة، وكتب التاريخ تزرخ بأسماء من قام بإكساء الكعبة مبتدئة بالرسول ﷺ إذ يروى أنه كسا الكعبة ثياباً يمانية، وينفق عليها من بيت مال المسلمين، وحرص من جاء بعده ﷺ على إرسال الكسوة إلى الكعبة، فالخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كسا الكعبة بكساء لا نعرف نوعه، ثم كساها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بكسوة سنوية تنسج من القباطي المصرية المصنوعة في مصر، وينفق عليها من بيت مال المسلمين، وكان يأمر بنزع الكسوة القديمة في كل عام ويقسمها على الحجاج، وسار الخليفة عثمان - رضي الله عنه - على نفس المنوال إلا أنه رأى أن تباع الكسوات القديمة وتنفق أثمانها في سبيل الله،

أما في العصر الأموي: فقد كان الخليفة معاوية يكسو الكعبة مرتين في العام: الأولى من نسيج القباطي في نهاية شهر رمضان، والثانية من الديباج في يوم العاشر من محرم (9). واستمر الحال كذلك حتى (١٦٠هـ / ٧٧٦م) حين حج الخليفة العباسي المهدي (10) فبعث إليه سدة الكعبة تخوفهم من أن تنقل الكسوات المتركمة على الكعبة تؤثر في البناء، فأمر الخليفة المهدي برفع الكسوات كلها سوى واحدة. ومن ذلك التاريخ إلى يومنا (11) هذا لا توضع على الكعبة سوى كسوة واحدة، وإن أول من بعث كسوة الكعبة من مصر هو الملك الظاهر بيبرس (12) أول سلاطين المماليك البحريين، فقد أمر بأن تنقل الكسوة برأ عام (٦٦٦هـ / ١٢٦٧م). (13)

بدايات صنع كسوة الكعبة المشرفة الداخلية:

إن بداية ظهور الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة كان في العصر العباسي، وإن إرسالها إلى الكعبة المعظمة لم يكن منتظماً، وقد حرص كل سلطان على أن يرسل إلى الكعبة سنة توليته كسوة داخلية لها مع الكسوة الخارجية التي كانت

ترسل كل سنة، واستمر ذلك التقليد في العصورين المملوكي والعثماني (14) لكن بالرغم من الاهتمام الحافل من المؤرخين بكسوة الكعبة المشرفة الخارجية، وبمن قام بعملها على مدى التاريخ، وحتى رصد ألوانها وتغيراتها، إلا أن كسوة الكعبة الداخلية لم ينتبها أحد من المهتمين، ولا نعرف حتى الآن من هو أول من كسا الكعبة المشرفة من الداخل، وأقدم تاريخ وقفنا عليه لكسوة الكعبة الداخلية ذكره الرحالة الأندلسي (ابن جبیر) أثناء تأديته لفريضة الحج خلال (سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م)، حيث ذكر (ابن جبیر): (وسقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون) (15)، وكسيت أساطين الكعبة في الخلافة العباسية، بأمر الخليفة المتوكل على الله حيث كساها الديباج، ثم استمر الأمر بعد ذلك حتى نهاية الدولة العباسية، كما ألبست جوانبها ثياباً من القباطي أخرجها الحجة من خزانة الكعبة وذلك زمن المتوكل، وقد وصف ناصر خسرو كسوة سقف الكعبة بأنه قد غطي سقفها بالخشب المغطى بالحرير ليحجبه عن الأنظار، ووصف الجدار الذي خلف الحجر الأسود بأنه ستار من الديباج الأحمر، وذكر بأن أول كسوة داخلية كانت كسوة الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وقد جانبه الصواب في ذلك، يؤكد ذلك ما ذكرته بعض المصادر بأن الكعبة كسيت من الداخل على الكراسي وأعمدة الكعبة في عهد المتوكل على الله، وقد وصف ناصر خسرو الكعبة الداخلية في رحلته عام (٤٣٩هـ / ١٠٤٩م)، ومن خلال ما سبق نجد أن المعلومات عن الكسوة الداخلية قليلة جداً، والإشارات عنها نادرة، وذلك إما لكونها تكون تابعة في الغالب للكسوة الخارجية، أو أن استبدالها لا يكون إلا بعد فترات طويلة وذلك لأماكن حفظها، أو أنها ليست بذات الأهمية التي حظيت بها الكسوة الخارجية، فيكون استبدالها عند الحاجة فقط وعند طلب الحجة لذلك (16)، وفي عام (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) قام ملك اليمن (المظفر

وسمل، وتلقب به القاهر ابن صاحب الوصل فسم فمات، والأمير بيدار السلطان الملك الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون تسلمن وتلقب بالملك القاهر وضربت رقبته من يومه، ولما سمع بيبرس بذلك عدل عن القاهر إلى الملك الظاهر و في ١٧ ذي القعدة عام (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، جلس الملك الظاهر على العرش وأبتدأ بأحلاف الأمراء والأكابر وسائر العساكر والوزراء والحكام وأرباب الوظائف والأقلام على الاختلاف في مراتبهم وطبقاتهم، محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين، (ط، بيروت، دار الجبل)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م / ص ٩٣-٩٤.

(13) على الشنوفي، المرجع السابق، ص ١٤.

(14) السيد محمد الذن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (ط، القاهرة، مطبعة الجبلاوي)، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤٠.

(15) إبراهيم حلمي، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، القاهرة، مؤسسة أخبار اليوم ع ٣٢٠٤ / ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٨٦.

(16) أحمد علي عبد العزيز الربيعي، مظاهر العناية بالكعبة المشرفة منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر المملوكي (١٣٢-٩٢٣هـ / ٥١٧-٧٥٠م) دراسة تاريخية، جامعة القصيم، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٨٠-٨١.

(8) الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق ت: ٢٥٠هـ / ٨٦٤م، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (ط، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٣٥٥.

(9) فريال داود عبد الخالق، كسوة الكعبة، المورد، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ع ٤، مج ٩ / ١٧٢.

(10) الخليفة العباسي المهدي: ابن المنصور وخليفته أبو عبد الله محمد، حكم من عام ١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٦م، كان شهماً كريماً شديداً على أهل الإلحاد والزندقه، افتتح عهده بالنظر في المظالم، والكف عن القتل، وإعطاء الأمان للخائف، أمانة بيطار، تاريخ العصر العباسي (ط، دمشق الطبعة والنشر)، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٦٢.

(11) على الشنوفي، مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين، ص ١٣.

(12) الظاهر بيبرس: بيبرس البندقداري، قال ابن كثير: لما قتل الأمراء المماليك السلطان المظفر قطز حاروا فيما بينهم لمن يملكون عليهم؟ ثم اتفقت كلمتهم على أن يبايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ولم يكن من أكابر المقدمين.. ولكن أرادوا أن يجربوا فيه، ولقبوه الملك القاهر: فقال له الوزير: إن هذا اللقب لم يفلح من تلقب به، فقد تلقب به القاهر بن المعتضد، فلم تطل أيامه حتى خلع

يوسف بن المنصور) بكساء بيت الله الحرام من الداخل والخارج بعد أن قُتل خليفة بغداد (المستعصم بالله) (١٧).
أنواع الكسوة:

تنوعت كسوة الكعبة المشرفة وألوانها على امتداد التاريخ منذ العصر الجاهلي، تبعاً للحالة الاجتماعية، والرخاء الاقتصادي والظروف الأمنية والسياسية والدينية، ففي العصر الجاهلي نجد أن الكعبة المشرفة كُسيت أنواعاً كثيرة من الكُسى، منها الأنطاع، والحبرات، والبرود، والكرار، والأنماط، والنمازق، ومطارف الخز الملونة التي تختلف ألوانها ما بين الأصفر والأخضر، وشقاق، والوبر، وغيرها، وفي صدر الإسلام كانت تُكسى الأنطاع، والقباطي، والأنماط، والديباج، والحلل النجرانية، كما كُسيت الديباج الأبيض الخراساني أيام الدولة الأموية، وفي أيام ابن الزبير كُسيت الديباج الأحمر الخراساني، وفي العصر العباسي كانت تُكسى مرة بالديباج الأحمر، ومرة بالقباطي، وفي عام (٢٠٠/٨١٥م)، لما تغلب حسين الطالبي على مكة كساها كسوتين من الحرير: إحداها صفراء، والأخرى بيضاء. وقام بكسوتها العبيديين بالديباج الأبيض المصنوع في مصر، وبعث محمود سبكتكين^{١٨} كسوة إلى الكعبة مصنوعة من الديباج الأصفر. (١٩)

إن الكسوة الخارجية تصنع كل عام لأنها معرضة للتلف السريع؛ لخفة القماش في تلك الأزمان وعدم متانتها، كما تؤثر فيه الشمس والمطر والغبار والهواء، فإن الكعبة المشرفة وسط المسجد الحرام تحت السماء لا يحجبها شيء، ولا يقع ظل شيء عليها، أما الستارة (٢٠) الداخلية فهي محفوظة داخل الكعبة في حُرز مكي لا يصل إليها الغبار ولا التراب ولا المطر ولا الشمس، فهي إن ذابت وهمدت فإنما ذلك من مفعول مرور الزمن عليها؛ لهذا لا تحتاج الكسوة الداخلية إلى استبدالها في كل سنة، فتكسى بها الكعبة من الداخل كل عدة أعوام مرة لسبب من الأسباب، وقد كان كل سلطان من سلاطين آل عثمان -رحمهم الله تعالى- يأمر بالكسوة الداخلية للكعبة المشرفة في عام توليه الملك وجلسه على كرسي السلطنة، وكانت تحاك هذه الكسوة الداخلية في إسطنبول منذ أمر بذلك السلطان أحمد خان (٢١) بن السلطان محمد الرابع (٢٢) وذلك عام (١١١٨) ألف ومائة وثمان عشرة إلى زمن السلطان عبد العزيز (٢٣) ابن السلطان محمود الثاني (٢٤) حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسالها وبقيت داخل الكعبة الكسوة التي أرسلها السلطان عبد العزيز المذكور في عام توليه الملك وهو عام (١٢٧٧هـ) إلى عام (١٣٦٣هـ) ثلاث وستين وثلاثمائة وألف هجرية، ثم رفعت هذه الكسوة البالية عند وضع الكسوة الداخلية التي أمر بعملها

ذلك العمر المبكر جداً لا اعتلاء العرش، بفضل دعم جدته كوسم سلطان ورجال الدولة وقوات الإنكشارية بعد عزل والده السلطان إبراهيم في ٨/ أغسطس / آب عام ١٦٤٨ م، ولما كان محمد الرابع أصغر سلطان في التاريخ العثماني، فلم يكن قادر على حكم الدولة. توفي بسبب التقرس أو الكرب النفسي أو السم ولا يعرف تاريخ الوفاة، دفن في مقبرة والدته خديجة ترخان سلطان بالقرب من المسجد بإسطنبول: صالح كولن، ترجمه منى جمال، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ (٢٣) السلطان عبد العزيز: بن محمود الثاني حكم من عام ١٨٦١م - ١٨٧٨م) اتبع السلطان عبد العزيز سياسة نشطة تتمثل في تطوير العلاقات داخل دولته وخارجها، فأصبح السلطان عبد العزيز أول سلطان بعد السلطان سليم يزور مصر في عام ١٨٦٣م، وتوجه إلى فرنسا بدعوة من نابليون الثالث، إمبراطور فرنسا، وبهذا أصبح أول سلطان عثماني يسافر إلى الخارج من أجل الدبلوماسية، كما كان أول خليفة يزور العالم المسيحي. وغادر السلطان بعد ذلك إلى لندن بعدما دعت ملكة بريطانيا العظمى للزيارة. وساهمت رحلة السلطان بشكل إيجابي في تعزيز العلاقات الدبلوماسية فإن رؤيته المبنية على الاقتصاد في الإنفاق وموقفه الرافض للتبذير تغير بعد هذه الرحلة اغتيل في إسطنبول ٤ يونيو - حزيران ١٨٧٦م، ودفن في مقبرة محمود الثاني في ديوانبولو بإسطنبول. انظر إلى: صالح كولن، ترجمه منى جمال، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ (٢٤) السلطان محمود الثاني: بن عبد الحميد الأول بن أحمد الثالث، ولد عام ١٧٨٥م - ١٨٣٩م، تولى السلطان محمود عرش السلطنة عام ١٨٠٨م وهو مدرك أن إصلاح الجيش يتم بالتخلص من الإنكشارية، فأخذ يعد العدة لهذا الأمر، حيث إن الإنكشارية يدعمها جماعات البكتاشية أكبر الطرق الصوفية في البلاد، وهي ذات نفوذ وشعبية كبيرة، أصدرت الفتوى الشرعية بالتخلص من الإنكشارية باعتبارها فئة ضالة عندما فشلت الإنكشارية في التغلب عليها، ولم يعترض أحد على الفتوى التي صدرت ضد الإنكشارية، فتم القضاء عليهم في الواقعة الخيرية خلف السلطان محمود الثاني (١٢٥٥/ ١٢٧٧هـ - ١٨٣٩/ ١٨٦٠م). حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، (ط ١، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية)، ٢٠٠٢/٥/١٤٢٢م، ص ٥٠.

(١٧) إبراهيم حلمي المرجع السابق، ص ٨٨.
(١٨) محمود بن سبكتكين: حد سلاطين الدولة الغزنوية، تولى الحكم عام ٣٨٧هـ = ٩٩٧م) خلفاً لأبيه بعد نزاع مع أخيه «إسماعيل» حول أحقيتهما في وراثته الحكم، وانتهى هذا النزاع بانتصار «محمود» الذي أصبح رئيساً للدولة الغزنوية، وأحسن معاملة أخيه «إسماعيل» «وأعلى منزلته». وقد حققت إمارة «محمود بن سبكتكين» «قفزة هائلة في مسار الدولة الغزنوية»، فترامت أطرافها، واتسع نفوذها، وذاع صيتها، وأصبحت بلا منافس من حيث هيبتها العسكرية ومكانتها الحضارية، وقد اشتهر «محمود بن سبكتكين «بلقب» السلطان»، كما خلع عليه الخليفة «القادر بالله «لقب» «بمين الدولة وأمين الملة» سنة ٢٨٩هـ = ٩٩٩م. (نجاح «محمود بنسبكتكين» في السنوات الأولى من إمارته في تعزيز وضعه الداخلي والقضاء على معارضيته، ثم صرف اهتمامه إلى الفتوح في بلاد الهند، وحققت انتصارات هائلة جعلته واحداً من أعظم الفاتحين في التاريخ الإسلامي. انظر إلى: كتاب موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج ١٠/ ٨٢/ ٣٦٥٧٨، <https://shamela.ws/book/36578> (١٩) أحمد علي عبد العزيز الربيعي، مظاهر العناية بالكعبة المشرفة منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر المملوكي (١٣٢-٩٢٣هـ / ٧٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية، ص ٨٢-٨٣.
(٢٠) محمد طاهر الكردي المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد الملك بن دهيش، (ط ١، بيروت / دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع)، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣ / ٥٨١.

(٢١) السلطان أحمد خان الثالث: بن محمود الرابع حكم من عام (١٧٠٣-١٧٣٠م) أجمع المؤرخون على أن فترة حكم السلطان أحمد شهدت تنفيذ العديد من الإصلاحات ذات التوجه الغربي لأول مرة في التاريخ العثماني. وقد غيّرت الإصلاحات التي بدأت خلال سنوات حكمه ٢٧، أسلوب الحياة في إسطنبول بشكل كبير، توفي ٢٤ يونيو / حزيران عام ١٧٣٦م ودفن في مقبرة لسلطنة الوالدة خديجة ترخان بالقرب من المسجد الجديد بإسطنبول. انظر إلى: صالح كولن، ترجمه منى جمال، سلاطين الدولة العثمانية، (ط ١، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر)، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ٢٢٣-٢٢٤ (٢٢) السلطان محمد الرابع: السلطان العثماني ١٩ حكم من عام ١٦٤٨-١٦٨٧م، أصبح محمد الرابع السلطان الجديد وهو في سن ٧ من عمره،

الملك عبد العزيز (25) آل سعود - رحمه الله -، ووضعها في الكسوة في السنة المذكورة. ولم نقف على سبب تأخر الأثر عن إحضار الكسوة الداخلية التي أرسلها السلطان عبد العزيز المذكور كانت حمراء، ولم نعلم عن سبب اختيارهم لهذا اللون، لكن المعقول أن يكون لون الكسوة الداخلية لوناً مفرحاً فاتحاً لا عميقاً قاتماً؛ لأن الكعبة لا نافذة فيها ولا فتحات غير الباب، فيلزم أن تكون ستارها الداخلية بلون يضيء داخلها نوعاً ما كالأحمر الوردي، والأصفر الفاقع، والبنفسج السماوي.

قال في الرحلة الحجازية: يغطي سقف الكعبة وحائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردي عليها مربعات مكتوب فيها: الله جل جلاله قد أهداها إليها السلطان عبد العزيز. قال الغازي في تاريخه نقلاً عن كتاب (الفتوحات الكوازية): كان وصول هذه الكسوة لمكة سنة ألف وميتين وتسعين، وبعدما كسيت هذه الكسوة أرسلوا الكسوة القديمة الداخلية إلى الأستانة. ثم قال الغازي: قال الشيخ عبد الله أفندي (26) باشا أعيان زاده في رحلته المسماة بالفتوحات الكوازية في السياحة إلى الأراضي الحجازية (: بلغنا في منى يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م تسعين ومائتين وألف أن الكعبة المعظمة كسيت ظاهراً وباطناً، ومن المعلوم أن كسوتها الظاهرة في كل عام تجدد، وأما الكسوة الداخلية فهي من عهد المرحوم السلطان الغازي عبد المجيد خان، وقد جددتها في هذا العام مولانا السلطان عبد العزيز خان، وفي عصر يوم الخميس محرم ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، وصلت في جدة الكسوة القديمة التي كانت داخل الكعبة في عهد المرحوم السلطان عبد المجيد خان، فلما سمع بقدمها قائم مقام جدة الأفخم علي بك لبس ثيابه الرسمية هو وقاضي جدة وكبار الضباط والمحافظين والمأمورين المخصوصين وجملة من العسكر وخطباء جدة وأئمتها ووجوهها وتجارها ومعهم البيارق والأعلام والدقوف، وصدحت الموسيقى، واصطففت العساكر صفوفاً، فأدخلوها بغاية التبجيل والاحترام وهم يتلون الصلاة على خير الأنام، والقائم مقام الأفخم ماسك بيده زمام الجمل الحامل كسوة بيت الله الحرام حتى أدخلوها في الزورق، وتوجه القائم مقام الأفخم معها والقاضي وجملة من المعتمرين. ملاحظة (لا يخفى على القارئ أن هذه الرواية فيها اختلاف ظاهر، فهي تقول: إن الكعبة كسيت ظاهراً وباطناً عام ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣م، وذلك بأمر السلطان عبد

العزيز خان، والتي كانت قبلها هي كسوة السلطان عبد المجيد خان، ونحن نقول: الأصح ما روينا من أن السلطان عبد العزيز خان رحمه الله هو الذي أرسل الكسوة الداخلية للكعبة عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، وهو عام جلوسه على كرسي السلطنة، وهي الكسوة الموجودة بداخل الكعبة، أما السلطان عبد المجيد خان فعلى حسب عادة السلاطين العثمانيين أرسل الكسوة الداخلية عام توليه الملك عام ١٢٥٥هـ، فلما توفي تولى بعده السلطان عبد العزيز في السنة المذكور. (27)

كسوة الكعبة الداخلية:

حيث اختص سلاطين آل عثمان أنفسهم بإرسال هذه الكسوة عند تولية كل سلطان، وكان آخر كسوة داخلية أرسلت إلى الكعبة المعظمة في العصر العثماني تلك الكسوة التي أرسلها السلطان عبد العزيز رحمه الله عند جلوسه على كرسي السلطنة عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م -، وقد ظلت هذه الكسوة بداخل الكعبة المشرفة حتى بسط الملك عبد العزيز آل سعود سلطانه على الحجاز. (28)

كسوة الكعبة الداخلية في العصر العثماني:

يغطي سقف الكعبة وحائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردي عليها مربعات مكتوب فيها: (الله جل جلاله) قد أهداها إليها السلطان العثماني عبد العزيز - رحمه الله -، وفي قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلي فيه النبي ﷺ، ويحيط ببناء البيت من الداخل إزار من الرخام المجزوع على ارتفاع نحو مترين، وقد وضع في الحائط الغربي ألواح محفور في الأول منها: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن عمر بن علي رسول الله، اللهم أیده يا كريم بعزیز نصرک واغفر له ذنوبه برحمتک يا كريم یارب یا غفار یا رحیم)، ومكتوب حول هذه اللوحة: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه) بتاريخ عام ثمانين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (29)

كسوة الكعبة الداخلية في العصر السعودي:

استبدلت الكسوة العثمانية في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله بكسوة أخرى بديلة أرسلها سلطان البهرة بالهند عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ثم أمر الملك عبد العزيز بصنع كسوة داخلية للكعبة، وتم توشيحها داخل الكعبة عام ١٣٦٣هـ (30)

(25) الملك عبد العزيز: وُلد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في قصر أبيه بالرياض ليلة ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ/ ٢ كانون ١٨٨٠م، ووالدته هي الأميرة سارة ابنة الأمير أحمد السديري، من منطقة السدير بجوار الزلفي. تعلم القرآن الكريم على يدع القاضي عبد الله بالخرج، فخرته في ١١ من عمره، كما تلقى أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف. وتعلم الكثير من أحوال العرب وألم بتاريخها، من خلال مرافقته المستمرة لوالده الإمام عبد الرحمن، وحضوره مجالسه؛ لكن الأحداث المتتالية، التي أحاطت به من كل جانب منذ طفولته المبكرة؛ جعلته ينخرط في قلب الأحداث، وهياً نفسه لتحمل

مسؤولية القيادة والمواجهة. أحمد محمد حطيط، الملك عبد العزيز بن سعود، (ط١، بيروت دار الفكر اللبناني)، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٧. (26) محمد طاهر الكردي المكي، المرجع السابق، ج ٣/ ٥٨٢. (27) محمد طاهر الكردي المكي، المرجع السابق، ج ٣/ ٥٨٢. (28) السيد محمد الذقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤٠. (29) محمد طاهر الكردي المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣/ ٤٤٣. (30) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (ط١)، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٤٠.

صُنعت في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (33).

كسوة الكعبة الداخلية في عهد الملك خالد رحمه الله

وظلت كسوة الكعبة الداخلية التي توشحت بها الكعبة المشرفة في عهد الملك عبد العزيز عام ١٣٦٣ هـ، حتى أمر الملك خالد بن عبد العزيز بصنع كسوة داخلية جديدة للكعبة المشرفة في عام (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) فتم صنع تلك الكسوة في المصنع الجديد في أم الجود، وتم استحداث قسم للسِتارة الداخلية بمصنع الكسوة وتم على وجه السرعة صناعة هذه الكسوة (34) وتم تركيبها داخل الكعبة (35) عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م، وفي عهد الملك فهد (36) بن عبد العزيز، الذي أمر بصنع كسوة داخلية أخرى احتياطية تم صنعها (عام ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م، داخل مصنع الكسوة، وهذه الكسوة الداخلية تصنع من الحرير الطبيعي الأخضر، وتظهر عليها الكتابة بنسيج الحرير باللون الأبيض، وتتكون هذه الكسوة من ٦٤ قطعة (٩٠ سم × ١٠ متر) يتم وصلها ببعضها فتظهر كأنها قطعة واحدة حيث الاتساق بين نقوشها وزخرفتها في غاية الروعة والجمال، والجدير بالملاحظة في هذه الكسوة أن الزخرفة والكتابات التي تظهر عليها هي نفس الكتابات والزخرفة التي كانت موجودة على الكسوة الداخلية التي أرسلها السلطان عبد العزيز العثماني، والتغيير (37) الذي طرأ هو في لون الكسوة، حيث كانت الكسوة العثمانية لونها أحمر، وتظهر الكتابة عليها باللون الأبيض، فأصبحت الكسوة السعودية لونها أخضر وأما الكتابات التي عليها فتظهر باللون الأبيض، فأصبحت الكسوة السعودية لونها أخضر وأما الكتابات التي عليها فتظهر باللون الأبيض مثل الكسوة العثمانية (38).

وهذه الكتابات نقش في أربعة أسطر (أشرطة) مزخرفة (من الدالات المتداخلة) وقد وزعت الكتابات على النحو الآتي: هي: نجد بأن الشريط الأول كتب فيه قوله تعالى: ﴿قَدْ

وقد كسيت الكعبة المشرفة بكسوة داخلية حمراء في عهده -رحمه الله- في يوم ٢٤ من المحرم عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٦ أبريل عام ١٩٣٦ م، بحضور الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز، والأمير فيصل، رحمهم الله جميعاً وبعض الأمراء والسدنة، وجمع من الناس، حيث أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بتركيبها داخل الكعبة المشرفة بعد أن صنعت في الهند، وقُدمت هدية من السلطان طاهر سيف الدين (31)، عوضاً عن الكسوة الداخلية التي أُهديت إلى الكعبة المشرفة من السلطان العثماني عبد العزيز الثاني في (عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦١ م)، وظلت هذه الكسوة على جدران الكعبة الداخلية طوال عهد الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، وصُنعت هذه الكسوة الداخلية من الحرير الأحمر الخالص، ونقش عليها كتابات بالحرير الأبيض تتضمن الشهادتين وآيات قرآنية وبعض الأدعية، وتاريخ صنعها في عام ١٣٥٤ هـ، وتكونت من قطع عديدة تم وصل بعضها ببعض فأصبحت قطعة واحدة (32). ولم يحدث أي تغيير في طراز ولون وزخرفة كسوة الكعبة المشرفة الداخلية عن الكسوة السابقة سوى وضع الآية (33) من سورة آل عمران، وهي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، مكان العبارة الآتية: (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). وجاءت الزخرفة الكتابية على هذه الكسوة عبارة عن أربعة أشرطة دالات متداخلة.

فالشريط الرابع: يضم أشكالاً هندسية على هيئة دوائر صغيرة، كُتب داخلها بالتبادل: يا ذا الجلال، والإكرام، وقناديل كُتب داخلها بالتبادل: يا حنان، يا منان، وهي الكسوة نفسها التي استمرت في داخل الكعبة المشرفة طوال عهد الملك سعود بن عبد العزيز، رحمه الله ولم يتم صنع كسوة جديدة بعد الانتهاء من ترميم وعمارة الكعبة المشرفة في عام ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م، إنما تم إعادة تركيب الكسوة نفسها التي

(31) **طاهر سيف الدين**: وهو إمامه البهرة الحادي والخمسين، وقد تولى منصبه عام ١٩١٥ م، وقد قام بنشاط ملحوظ في سبيل النهوض بالدعوة الإسماعيلية، وجمع ما توزع من مخطوطات طائفة وعلومهم، فنشرها أو أعاد طبعاها، وله نحو خمسين كتاباً ومؤلفاً تتناول شتى مراحل تاريخ الدعوة الإسماعيلية، وعلومها، وفنونها ورجالها. وقد زار طاهر هذا القاهرة عام ١٩٣٧ م، وهو أول زعيم للإسماعيلية وفد إلى مصر بعد خروجهم منها قبل ثمانية قرون. وقال مبيناً هدف تلك الزيارة: إنني جئت إلى القاهرة لأجدد فيما بيننا وبينكم تلك الروابط الأصلية القديمة... وفي عهده تم تصميم شجرة العائلة، وظهر في أولها الوزير (تارمل) جد العائلة، ثم نجله فخر الدين. وقد رأس طاهر سيف الدين "الجامعة الإسلامية عليكرة" إلى حين وفاته عام ١٣٨٥ هـ. انظر إلى المستودع الدعوي الرقمي: <https://dawa.center/religion/17>.

(32) محمد بن حسين الموجدان، الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز) ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ٩٧.

(33) محمد بن حسين الموجدان: المرجع السابق، ص ٩٧.

(34) محمد حسن الموجدان: الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (دراسة تاريخية - حضارية)، ص ١٩٣.

(35) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤٠.

(36) الملك فهد: ولد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بمدينة الرياض عام (١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م)، وتلقى تعليمه الأول على يد عدد من العلماء بمتابعة مباشرة من والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أولى تربيته أبناً وتشتته جل عنايته. وعرف عن الملك فهد بن عبد العزيز حبه للاطلاع والمعرفة منذ صغره، كما عرف عنه تحمله للمسؤوليات منذ سنوات مبكرة من عمره، كلفه الملك بن عبد العزيز بالعديد من الأعمال السياسية والإدارية، وذلك من خلال إشراكه في مهمات ووفود رسمية للمملكة العربية السعودية، بل كلفه برئاسة بعضها، واستمر تكليفه في عهد إخوانه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد -رحمهم الله- بكثير من الأعمال الدبلوماسية والمشاركات السياسية والمناصب الحكومية. انظر إلى: فهد بن عبد الله السماري وناصر محمد الجهمي، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (دليل موجز بآبرز الإنجازات والمواقف)، (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز)، رقم تسلسل الإصدار ١١٣، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٩.

(37) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤٠.

(38) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤١.

٢٤٢.

المملكة العربية السعودية، أو ينبى عنه في ذلك أمير منطقة مكة المكرمة من أمراء آل سعود (44)

التشابه بين كسوة الكعبة الداخلية وكسوة الكعبة الخارجية:
تشابه الكسوة الداخلية والكسوة الخارجية تشابها كبيرا من حيث الزخرفة الكتابية والهندسية، فقد تميز كلاهما بالخطوط الأفقية المنكسرة التي تضم فيما بينها الشهادتين وبعض نصوص الادعية، باستثناء اللون، وسماكة القماش، وبالتالي فإنه لم تحدث تطورات تذكر على النصوص الكتابية التي جاءت على كسوة الكعبة الداخلية منذ العصر العثماني وربما قبله وحتى الآن، ومن واقع قراءة النصوص الكتابية التي جاءت على الكسوة الداخلية المرسله من إسطنبول منذ عهد السلطان العثماني عبد العزيز خان سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م يلاحظ أن الوحدة الخطية قد تضمنت أربعة أشطره على هيئة خطوط أفقية منكسرة (دالات في قلب دالات) هي كالتالي :

- الشريط الأول: يضم أشكالا هندسية على هيئة دوائر صغيرة، وقناديل كتب داخلها (يا سلطان، ياسبحان، يا حنان، يامن).

- الشريط الثاني: قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ). (45)

- الشريط الثالث: (لا إله إلا الله ... محمد رسول الله)
- الشريط الرابع: (سبحان الله وبحمده ... سبحان الله العظيم)
- وتكرر الوحدة الخطية المذكورة بطول القماش وعرضه، وقد ظلت الكسوة المذكورة داخل الكعبة منذ سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م، وحتى سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م، حيث أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتجديدها في السنة المذكور وفق العالم التالي: ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م، علقت داخل الكعبة المشرفة، وقد تميزت نصوصها الكتابية عن سابقتها بتطورات عدة هي كالتالي:

- الشريط الأول: يضم أشكالا هندسية على هيئة دوائر صغيرة كتب داخلها (ذو الجلال.. والإكرام) وقناديل كتب داخلها (يا حنان يامن).

- الشريط الثاني: قوله - تعالى -: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

- الشريط الثالث: (لا إله إلا الله ... محمد رسول الله)
- الشريط الرابع: قوله - تعالى -: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)

نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ). (٣٩). والشريط الثاني كُتِبَ فيه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وأما الشريط الثالث فُكْتُبَ فيه قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ).

السطر الرابع (الشريط الرابع) يضم أشكالا هندسية على هيئة دوائر صغيرة، كُتِبَ داخلها بالتبادل يا ذا الجلال والإكرام، وقناديل كُتِبَ داخلها بالتبادل العبارات الآتية (يا حنان، يا منان،) (40)

وهذا السطر الرابع يفصل به بين مجموعات الأقواس المتعرجة المزخرفة، فتظهر النقوش في غاية الدقة والإبداع (41). وبعد دراسة الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة يمكن القول : إن كتاباتها لا تختلف عن كتابات كسوة الكعبة الداخلية التي تم تركيبها في داخل الكعبة المشرفة للكعبة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، وإن الاختلاف ينحصر في لون الكسوة إذا كانت في الكسوة السابقة من الحرير الأحمر، وأصبح لون الكسوة في عهد الملك خالد بن عبد العزيز من الحرير الأخضر، وأن مقاس قطعها من حيث العرض أكبر من مقاس قطع الكسوة السابقة التي كانت ٩٠ سنتيمتراً فقط، أي أن كسوة الكعبة المشرفة الداخلية في عهد الملك خالد رحمه الله كانت أعرض بفارق ١٢ سنتيمتراً، كما أنها كانت أول كسوة داخلية للكعبة المشرفة تصنع في مكة المكرمة في العصر السعودي (42)

إن الكسوة الخارجية للكعبة المشرفة يستغرق صنعها بالمصنع الجديد في مكة المكرمة معظم أشهر السنة، وذلك باستثناء أشهر الحج، ويقوم المصنع بجانب صنع الكسوة، بصناعة الحنايل (السجاد القطني) الذي يزود به الحرمين الشريفين وجميع مساجد المملكة العربية السعودية للصلاة عليه، بالإضافة إلى تطريز أعلام المملكة، أما عن تكاليف صنع الكسوة فتبلغ حوالي ستة ملايين ريال سعودي كل سنة بين خامات وأجور الأيدي السنة له، وهذا المبلغ يزداد سنوياً نتيجة ارتفاع أسعار خامات التشغيل في الأسواق العالمية، وزيادة أجور العمال (43) أما عود إرسال الكسوة وتركيبها سنوياً، فتقوم إدارة مصنع الكسوة بإرسال الكسوة يوم ٨ من ذي الحجة كل سنة حيث يتسلمها القائم بصدانة الكعبة المشرفة من آل الشيباني، ثم يقوم الشيخ الشيباني بتركيبها يوم ٩ ذي الحجة بالاشتراك مع إدارة الكسوة وبحضور المدير الفني لها، بدون احتفالات كما كان يحدث في العهود السابقة، وذلك بعد خلع الكسوة القديمة وغسل الكعبة المشرفة بماء الورد وتطيبها بالعطور، حيث يتشرف بالاشتراك في غسلها ملك

(43) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤١-٢٤٢.

(44) السيد محمد الذقن، المرجع السابق، ص ٢٤١.

(45) عبد العزيز عبد الرحمن مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٠٧. انظر شكل ١

(39) محمد الموجان، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة، ص ١٩٤.

(40) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤١-٢٤٢.

(41) السيد محمد الذقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢٤١-٢٤٢.

(42) محمد الموجان، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة، ص ١٩٥.

الأوراق، في توزيع منتظم يصل بعدد هذه الورود إلى ١٤ ورده (49)

ويتضح من السابق بأن الشكل في هذا العام للستارة ومفاعليها من زخارف كتابية ونباتية وهندسية لم يطرأ عليه تغيير منذ فترة قصيرة، إذا يلاحظ بأنه كانت تحدث بعض التغيرات البسيطة على النصوص الكتابية فقط بين فترة وأخرى، فلم يكن هناك ثمة اختلاف بين النصوص الكتابية لستارة عام ١٣٥٥هـ السالفة الذكر وبين النصوص الكتابية لستارة سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ماعدا السطر الخامس في القسم العلوي حيث جاءت عبارات الإهداء، بينما جاءت النصوص الكتابية في القسم العلوي لنفس الستارة في كسوة عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، مطابقة تماماً لنصوص ستارة سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م، وهو كالتالي:

السطر الأول: (بسم الله الرحمن الرحيم)

السطر الثاني: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً)

السطر الثالث: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (50)

أسباب عدم بناء دار للكسوة عبر العصور:

لم يكن من المتوقع أن تسعف الأيام النبي ﷺ في سبيل إنشاء دار خاصة بالكسوة وإن كان ﷺ كساها بالثياب اليمانية، ولم يتمكن الخليفة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- (١١- ١٣هـ / ٦٣٢- ٦٣٤ م) أيضاً من إنشاء دار خاصة لكسوة الكعبة المشرفة بسبب انشغاله بحروب الردة ومن ثم بالفتوحات الإسلامية، ولم يكن ذلك يعني في حقيقة الأمر وجود نية حقيقية لإنشاء هذه الدار للعوامل الآتية:

- لم تكن هناك نواة لأي مصنع أنشئ من قبل.
- إن الجماعات العربية التي اعتنقت الإسلام لم تكن قد اختلطت بالشعوب الأخرى في مصر والشام والعراق بخلاف رحلات التجارة التي كانت (51) مقتصرة على جماعات عربية معينة.
- ضعف الموارد الاقتصادية والمالية وبُعد البلدان الإسلامية الوافرة هذه الاحتياجات والتي اشتهرت بصناعة النسيج، كمصر والشام والعراق وغيرها؛ لشراء المواد الخام اللازمة لذلك كخيوط الحرير والكتان وغيرها، ومواد الصباغة والألات اليدوية كالأنوال.
- ما كانت تعانيه مكة المكرمة والمدينة المنورة من قلة الأيدي المتخصصة في مثل هذه الصناعة، فضلاً عن عدم معرفة المسلمين لها حتى هذه الفترة، وهذا يتطلب

وتتكرر هذه الأشرطة بطول القماش وعرضه، وإذا ما قارنا النصوص الكتابية التي جاءت على كسوة عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م بالنصوص الكتابية لكسوة (عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) (46) نلاحظ أن الدوائر الصغيرة في كسوة عام ١٣٦٣هـ تشتمل على عبارة (ذو الجلال... والإكرام) بينما كانت في كسوة عام (١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) تشتمل على عبارتي (يا سلطان، يا سبحان)، كما أن الشريط الرابع في كسوة عام (١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) اشتمل على قوله - تعالى -: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين)، بينما كان في كسوة (عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) تشتمل على عبارة (سبحان الله وبحمده.. سبحان الله العظيم). ويذكر المؤذن من خلال التصاميم التي حصل عليها من المصنع الخاص بصناعة كسوة الكعبة المشرفة ومن خلال رؤيته لأجزاء من الكسوة الشريفة يذكر بأنه لا يوجد أي تغيير في زخارفها الكتابية أو الهندسية عن كسوة عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م، بل ستكون مطابقة لها تماماً باستثناء لونها الأخضر المزخرف باللون الأبيض، بينما تميزت سابقتها باللون الأحمر الوردي المزخرف باللون الأبيض، وهي ميزة قديمة، وبالنسبة للدوائر الصغيرة التي جاءت في الشريط الأول في الكسوة السابقة، يلاحظ أنها كانت نتيجة التقاف حرف الألف الثاني حول كل كلمة من العبارات السابقة (47).

ستارة باب التوبة:

على يمين الداخل في زاوية الركن الشمالي الشرقي للكعبة المشرفة يوجد باب يُصعد منه على مدرج إلى أعلى الكعبة المشرفة يقال له (باب التوبة)، وهذا الباب عليه ستارة من الحرير المزركش مكتوب بها بعد البسملة: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{٤٨}. وفي منتصف هذه الستارة كتب: (صدق ربنا الله خالقنا العزيز الرحيم، وصدق رسوله البشير النذير)

وفي وسط الجزء السفلي منها كتب: (أمر بتجديد هذه الستارة الشريفة صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول ابن إسماعيل باشا ابن الحاج إبراهيم باشا)، وبالطبع تم تغيير الاسم فيما بعد مثلما حدث لباقي قطع كسوة الكعبة، ويحيط بهذه الزخارف الكتابية إطار مستطيل حول حوافها الخارجية بزخارف نباتية ودائرية، تتوسط كل منها ورده سداسية

(46) عبد العزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر

العثماني، ص ٤٠٨.

(47) عبد العزيز مؤذن، المرجع السابق، ص ٤٠٩.

(48) سورة الأنعام: آية ٥٤.

(49) إبراهيم حلمي، كسوة الكعبة الشريفة، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ديسمبر، ١٩٨٩م، ص ٨٦-٨٨.

(50) عبد العزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، ص ٤١٤.

(51) عبد العزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٧٥.

غيرها من الورش، وهي اليوم مُعدّة لتشغيل كسوة الكعبة الشريفة، أدام الله تعظيمها (56). كانت صناعة الكسوة تتم في مصر سنوياً بدار فسيحة الخرنفش، التي يُطلق عليها اسم (مصلحة الكسوة الشريفة). (57)

الدور والمصانع في العصر السعودي

صناعة كسوة الكعبة المشرفة في العصر السعودي (دار كسوة الكعبة والصناعة الوطنية):

الموقع: في جنوب المسجد الحرام لجهة يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى أجياد الكبير (58) (بئر بليلة) (59)، وقد أختير مبنى تابع لوزارة المالية في جبول أمام وزارة الحج والأوقاف مقابل مبنى وزارة المالية قبل فندق (لوكاندة مصر). (60)

البناء:

صدر الأمر السامي الكريم من الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - إلى من يهمله الأمر بالبدء العاجل في تشييد دار لحياكة كسوة الكعبة المُعظّمة عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م)، وفي السنة نفسه أنهى من تشييد مبنى من الحجر من دور واحد، وتزويده بالمُعَدّات والأدوات اللازمة لنسج أول كسوة للكعبة في مكة المكرمة. (61)

وقد صدرت إرادة جلالة ملك المملكة العربية السعودية، الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، وذلك في مستهل شهر محرم عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، إلى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان (62) بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المُعظّمة،

إحضار بعض المتخصصين في صناعة النسيج من البلدان المذكورة لتدريب الأهالي عليها.

- المناخ الملائم، يعتبر هذا من العوامل الرئيسية التي تساعد على قيام صناعة النسيج، وبما أن أهمية الاقمشة القطنية والكتانية تحتاج إلى مناخ رطب يساعد على تماسك الخيوط اللازمة لذلك والاحتفاظ بها مدة طويلة (52)

• أهم دور ومصانع نسج وحياكة كسوة الكعبة المشرفة مصنع كسوة الكعبة بالخرنفش:

يقع مصنع كسوة الكعبة بالخرنفش بشارع الخرنفش، وقديماً كان عنوانه شارع خميس العدس، فيما بين منطقة بين السورين وحارة النصارى، ويحدّ المصنع من الشمال حي الحسينية، ومن الشرق حي الجمالية، ومن الغرب حي الموسكي (53)، أما الحدود المكانية للمصنع فهي: الحد الشمالي مساكن أهالي، والحد الشرقي عقار ٤٥ شارع الخرنفش، والحد الجنوبي شارع الخرنفش، والحد الغربي المبنى رقم ٤٩ شارع الخرنفش (مدرسة القديس يوسف)، وكان أصل هذا المصنع ورشة كبيرة تُعرف بورشة خميس العهد (54)، وأمر والي مصر محمد علي باشا ببنائها (عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٦م) في حارة خميس العهد بيد المهندس الفرنسي مورال، ويصفها الجبرتي في حوادث (شهر ذي الحجة عام ١٢٣٣هـ/ أكتوبر ١٨١٨م) فيقول (55): ولكن لا نعرف متى انتقلت إليها صناعة الكسوة، يقول علي مبارك: هذه الورشة موجودة الآن على ذمة الميرى؛ لكنها بطلت

(52) عبد العزيز مؤذن، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(53) الموسكي: أطلق اسم الموسكي على هذا الحي العريق نسبة إلى الأمير عز الدين مؤسك، قريب السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي أنشأ القططرة المعروفة بقططرة الموسكي، ويوجد شارع باسم الأمير مؤسك متفرّع من شارع عبد العزيز. كان واحداً من الأمراء، وكان قريباً لصلاح الدين الأيوبي، أنشأ قططرة باسمه في المنطقة التي عاش فيها، وبنى فيها قصراً له. إنه الأمير عز الدين مؤسك، ورغم ذلك مات الأمير عز الدين مؤسك في دمشق،

<https://2u.pw/jA0nm>

(54) خميس العهد: يُسميه أهل مصر من العامة خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه، وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس ضرب (٥٠٠) دينار من الذهب، وعشرة آلاف خروبة، وتفرقتها على جميع أبواب الرسوم، انظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (١٣٦٤م/ ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشراقوي، (ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي)، ١٩٩٨م، ج ٣٦١/٢.

(55) محمد حمدي متولي، وضياء جاد الكريم زهران، أماكن صناعة وعرض كسوة الكعبة الشريفة منذ العصر العثماني وحتى العصر الحديث (دراسة آثارية معمارية)، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع ١٨، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، مج ٧٧٢/١٨.

(56) محمد حمدي متولي وضياء جاد الكريم زهران، المرجع السابق، مج ٧٧٢/١٨.

(57) يوسف أحمد، المحمل والحج، (ط١، القاهرة، مطبعة حجازي)، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ج ٢٧٥/١.

(58) أجياد الكبير: هو الشعب المقابل لأجياد، والمؤدي إلى المصافي (الأصفي)، وربع بخش (اللاحجة): ويبدأ بعد أوائل أجياد الصغير بقليل من نهاية بناية مستشفى أجياد تقريباً، ويسير مصعداً في خط مستقيم نحو الجنوب الشرقي، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي حتى يلتقي بأجياد الصغير. انظر: فوزي محمد عبده ساعتاني: حارات ومعالم جوار المسجد الحرام، (ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٤٥.

(59) بئر بليلة (البوالة): جهة اليسار الصاعد من المسجد الحرام إلى ربع بخش (اللاحجة)، وهو من الأبار التي حُفرت قبل الإسلام، حيث غزارة الأمطار؛ وبالتالي انحارها من قمم الجانب الغربي لجبل خندمة، ولا يزال البئر يضخّ مياهه وإن رُدمت فتحتة. وتوجد على يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى ربع بخش غرفة مُدَوّن عليها (مضخة بئر بليلة)، وكان ربع بخش (اللاحجة) طريقاً جبلياً وعراً حتى كدي (خم) بطحاء قريش (الأقحوانة).

انظر: فوزي محمد عبده ساعتاني: المرجع السابق، ص ٦١. (60) لوكاندة مصر: تقع جهة الجنوب الشرقي واليمين للصاعد من المسجد الحرام إلى أجياد الكبير (بئر بليلة) مقابل طلعة المصافي (الأصفي) بعد الإدارة العسكرية ودار (ملجاً) الأيتام. انظر: فوزي محمد عبده ساعتاني: المرجع السابق، ص ٣٨.

(61) فوزي محمد عبده ساعتاني: المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤٠.

(62) الوزير عبد الله السليمان الحمدان: أول وزير مالية سعودي، وشخصية قيادية مخضرمة، واحد أبرز رجال الملك عبد العزيز -

أربعين معلماً، وبلغ أتباعهم عشرين؛ فكان مجموعهم ستين شخصاً.

وفي نهاية شهر ذي القعدة عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) أعدت الكسوة الشريفة على غاية ما يُرام من حسن الحياكة وإتقان الصناعة، وإبداع التطريز، حيث كانت على شكل الكسوة التي كانت تأتي من مصر: حياكة، وتطريزاً، ولوناً، أما حياكة الثوب فهي بالحريز الأسود الخالص في عمومه بأصل الحياكة، وفي أسفل التجويفة (يا الله)، وفي الضلع الأيمن من علو (جل جلاله)، وكذلك في علو الضلع الأيسر. وأما حزام الكعبة، فكان عرضه مترًا، مثل الحزام الذي كان يعمل بمصر، مطرزاً بالقصب المموه بالذهب، ومكتوباً عليه بالقصب الفضي المذكور وبأسلاك الفضة بخط رائع بدیع الصنع: رقمه الكاتب والرسام الفني بوزارة المالية الجلييلة، حضرة محمد أديب أفندي الخطاط الماهر، فكتب في القسم الشرقي الذي يلي باب الكعبة المعظمة: (بسم الرحمن الرحيم، وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى)، وكتب على الحزام في القسم الشمالي الذي يلي حجر إسماعيل: (هذه الكسوة صُنعت في مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين، جلاله الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، أيده الله تعالى بنصره عام ١٣٤٦ هجرية، على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم/ ١٩٢٧م)، هذا ما كُتب على حزام الكعبة المعظمة المصنوع في معمل الكسوة الذي بحارة أحياد بمكة المكرمة.⁽⁶⁵⁾

مصنع كسوة الكعبة في عهد الملك سعود:

أمر الملك سعود⁽⁶⁶⁾ ابن عبد العزيز بإنشاء مصنع لكسوة الكعبة المشرفة وأسند هذه المهمة إلى أخيه ولي العهد

فأنشأها وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بحارة (أحياد) أمام دار وزارة المالية العمومية، وكانت مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو (١٥٠٠) متر مربع، وأخذ العمال يعملون بسرعة فائقة؛ فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر من عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) على دور واحد، وعلى حسب المقتضى لعمل الكسوة في غاية الإبداع والحسن، وكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة المعظمة بمكة المكرمة في عصر جلاله الملك عبد العزيز المعظم، وذلك منذ أن كُسيت الكعبة من العصر الجاهلي والإسلام إلى العصر الحاضر.

الاستعدادات لتجهيز دار صناعة الكسوة:

صدرت إرادة جلاله الملك بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة المشار إليها، وعمل التطريز اللازم للحزام وستارة الباب، وما يقتضى عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند، فوصل العمال والأنوال من الهند ابتداء من شهر رجب عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) إلى مكة بواسطة الشيخ إسماعيل الغزنوي⁽⁶³⁾ - أحد علماء الهند ووجهائها وفضلائها - مع الحرير والصباغ وكل ما يلزم لعمل الكسوة المذكورة، ثم صدر أمر صاحب السمو الملكي النائب العالم لجلالة الملك المعظم الأمير فيصل بن عبد العزيز المعظم، بإسناد إدارة معمل الكسوة الشريفة إلى الشيخ عبد الرحمن مظهر - المترجم بوزارة الخارجية السعودية في ذلك الوقت، ورئيس مطوفي الهنود - فآتم المذكور - وبمساعدة وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان - بناء دار الكسوة، ورتب رؤساء العمال الواردين لعمل الكسوة - كل بحسب⁽⁶⁴⁾ وظيفته - فنصبوا الأنوال، وصبغوا الحرير وباشروا العمل، وقد ورد من الهند اثنا عشر نولاً، وبلغ عدد المعلمين النساجين مع المطرزين

رحمه الله - ومن أقربهم منه مكانة وثقة. عاصر مرحلة تأسيس الدولة في نشأتها الأولى بعد توحيد البلاد، وأسهم في تذليل عدد من المصاعب المالية التي واجهت المؤسس، كما أنه من أولئك القلائد الذين أسهموا في بناء نهضتنا الحديثة، حتى بقي التاريخ شاهداً على أعماله وإنجازاته.. لم لا، وهو أول من حمل لقب وزير في الدولة السعودية الثالثة، كما كان يُلقب بـ (وزير الملك)؛ لأن ذلك كان قبل التشكيلات الوزارية التي حُدثت فيما بعد. وعليه فقد غلبت المهام المالية على عمل "ابن سليمان" في ديوان الملك المؤسس؛ حتى عُرف بمنصبه بوصفه وزيراً للمالية منذ عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م). وضمت وزارته الشؤون الاقتصادية وإيرادات البلاد، وارتبطت به إدارة التموين والحج، والزراعة، والأشغال العامة والسيارات. تبرز بارض جامعة الملك عبد العزيز، وجلب «الماء الحلو» إلى أهالي عنيزة. ولقربه الخاص من الملك، وثقة الملك به؛ فقد كان له أدوار متعددة باللغة الأهمية، كدوره البارز في اتفاقية النفط، ودوره في الحروب المحلية، والأزمة المالية العالمية، ومساهمته في النهضة الاقتصادية للمملكة بداية التأسيس، فضلاً عن أدواره وأوليائه المتمثلة في توقيعه على اتفاقية التنقيب عن الزيت واستخراج النفط وتكريره، حيث فوضه المؤسس بعقد اتفاقيات مع الشركات الأجنبية للتنقيب عن النفط، كما أنه كان أول من أنشأ البث الإذاعي في محافظة جدة، في التاسع من ذي الحجة عام (١٣٦٨هـ/ ١٩٦٦م)، إضافة إلى كونه أحد أربعة أشخاص اختارهم الملك لتأسيس مجلس الوكلاء، وهو اللجنة الأولى لمجلس الشورى عام (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م). إلى جانب أنه شغل منصب النائب العام. رحلة كفاح وعصامية تعلمنا كيف نكون مخلصين لوطن يستحق منا الكثير. انظر: «عبد الله السليمان». منصور العساف: أول وزير وأقرب رجال الملك

عبد العزيز مكانة وثقة، الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٣٥هـ - ٥/ سبتمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٨٧٤، <https://www.alriyadh.com/973335>، صحيفة الرياض.

⁽⁶³⁾ إسماعيل الغزنوي: ممن أبدوا الدعوة السلفية، ودافعوا عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - وابنه الشيخ محمد إسماعيل كانت له علاقة طيبة بالملك عبد العزيز ورجال دولته، وكان يحج كل عام، ويلتقي مشايخ نجد والحجاز، وقد ألف عدة رسائل في الدفاع عن الدعوة ورد الشبهات التي استخدمها أعداء دولة آل سعود، بعدما دخل الملك عبد العزيز بن سعود الحجاز، وهي كثيرة منها: رسالة جلاله الملك ابن سعود وخدمة الحرمين الشريفين. فوزي بن عبد الصمد فطاني: الملك عبد العزيز والسلفيون في الهند: مواقف مشرقة من التاريخ، الهند، مجلة مركز سلف للبحوث والدراسات، رقم الورقة العلمية، ٢١١، ص ١٥.

⁽⁶⁴⁾ حسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، (ط١، جدة، تهامة، الكتاب العربي السعودي)، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

⁽⁶⁵⁾ حسين عبد الله باسلامة: المرجع السابق، ص ٩٧٢.

⁽⁶⁶⁾ الملك سعود: تولى الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٣٧٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٣-١٩٦٤م) الحكم في المملكة العربية السعودية بعد وفاة والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمهما الله في اليوم ١٢ من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ/ التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٣م، وأصبح منذ ذلك الوقت هو المسؤول عن توسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما، وعمارة

كسوتين في عام واحدة، الأولى كُسيّت بها الكعبة المُشرفة في (شهر ربيع الأول من عام ١٣٨٢هـ/ يوليو - أغسطس- ١٩٦٢م)، والثانية كُسيّت بها الكعبة المُشرفة في موعدها المعتاد في التاسع من شهر ذي الحجة من عام (١٣٨٣هـ/ ٤ مايو ١٩٦٣م). وصُنعت كسوة ثالثة عليها اسم الأمر بصنعها الملك سعود بن عبد العزيز، وكانت في غاية الإتقان صناعة وتطريزاً وخطوطاً وصياغة، وهي الكسوة الثالثة للملك سعود بن عبد العزيز بعد تأسيس مصنع للكسوة بجرول في مكة المكرمة، وكتب على قطعة الإهداء النص الآتي:

(صُنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة، وأهداها إلى الكعبة المُشرفة خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود، تقبّل الله منه ١٣٨٣هـ). وكان نص الإهداء هذا هو لآخر كسوة كُسيّت بها الكعبة المُشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، وكسا الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود الكعبة المُشرفة من عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) إلى عام (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م) اثنتي عشرة كسوة، منها ثماني كسوات بالاشتراك مع رئيس الجمهورية المصرية من صناعة دار الكسوة في الخرنفش بالقاهرة، وأربع كسوات منفردة، منها واحدة جمعت من قطع الكساوي القديمة المحفوظة في مستودع المسجد الحرام، وهي كسوة سنة (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، وثلاث من صناعة مصنع الكسوة الجديد في جرول بمكة المكرمة، الكسوة الأولى كُسيّت بها الكعبة المُشرفة في شهر ربيع الأول من عام (١٣٨٢هـ/ يوليو- أغسطس ١٩٦٢م)، والثانية كُسيّت بها الكعبة المُشرفة في التاسع من شهر ذي الحجة من عام (١٣٨٢هـ/ ٤ مايو ١٩٦٣م)، والكسوة الثالثة كسوة سنة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م) (٧١)

وأشار المؤذن في رسالته إلى ملاحظة مهمة أثناء تتبعه مراحل الكسوة أن خطاط الحجاز كان احرص من غيره على ذكر اسمه وتوقيعه على الكسوة ذلك أن معظم الكساوي المصرية والعثمانية لم يذكر عليها اسم الخطاط،

كما أجاد فن الزركشة (التطريز)، وقام بأعمال التطريز الخاصة بأعلام الدولة في المملكة، وأعمال التطريز بالمقصّبات للأسرة السعودية على المكن الآلي. وعندما أمر الملك عبد العزيز بتحديد باب الكعبة المُعظمة، قام الشيخ عبد الرحيم بكتابة كل الخطوط والنقوش، كما اشترك في التصميمات وكتابة النقوش والآيات على باب الكعبة المُعظمة الجديد، الذي أمر الملك خالد بن عبد العزيز بتجديده من الذهب الخالص، واسم الشيخ عبد الرحيم مكتوب أسفل الباب (عبد الرحيم أمين)، وبعد التقاعد عمل مستشاراً لمصنع الكسوة في أم الجود، حيث عمل كافة تصميمات الكتابة والآيات القرآنية الموجودة على كسوة الكعبة الخارجية والداخلية، والإشراف العام على كل مراحل صناعة الكسوة، ابتداء من صبغة الحرير إلى النسيج ثم الزركشة. ينظر إلى: السيد محمد الذقن: كسوة الكعبة المُعظمة عبر التاريخ، ص ٢٣٠.

(٧٠) محمد بن حسين الموجان، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٧١) محمد بن حسين الموجان، الكعبة المُشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ص ٥١- ٥٢.

الأمير فيصل بن عبد العزيز، الذي كلف بهذه المهمة وزير الحج والأوقاف حسين عرب^(٦٧)، فجهّزه بالمعدات والأدوات اللازمة لصناعة الكسوة، وأسند أمر إدارته إلى الشيخ محمد صالح سجينى، وبعد وفاته عهد بالإدارة إلى الأستاذ محمد سالم غلام^(٦٨)، بينما عُهد بإدارته الفنية إلى الشيخ عبد الرحيم أمين^(٦٩) أبرز الفنانين السعوديين خبرة في هذا المجال منذ عهد الملك عبد العزيز آل سعود، فقام بعمل خطوط وزخارف الكسوة، وطلب بعض الفنانين القدامى للعمل في المصنع، وهم ممن كانوا يعملون في دار الكسوة والصناعة الوطنية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.

بداية عمل الكسوة الجديدة في المصنع:

بدأ العمل في صناعة كسوة جديدة للكعبة المُشرفة، حيث لم يمض ثلاثة أشهر فقط إلا وقد أُعدّت كسوة جديدة باسم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لأول مرة بعد توقف دار الكسوة والصناعة الوطنية في مكة المكرمة عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، وكتب على هذه الكسوة الجديدة نص الإهداء الآتي: (صُنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة، وأهداها إلى الكعبة المُشرفة خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود، تقبّل الله منه، عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، وكُسيّت بها الكعبة المُشرفة في شهر ربيع الأول من عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، وكانت في غاية الجمال والإتقان، وبأيدي سعودية، وبالباس الكعبة المُشرفة هذه الكسوة تكون قد كُسيّت مرتين في الفترة من (العاشر من ذي الحجة عام ١٣٨١هـ/ ١٥ مايو ١٩٦١م، إلى شهر ربيع الأول من عام (١٣٨٢هـ/ يوليو- أغسطس ١٩٦٢م). وفي عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) تم صناعة كسوة ثانية في مصنع الكسوة بجرول بمكة المكرمة، وأهداها الملك سعود بن عبد العزيز - الأمر بصنعها- إلى الكعبة المُشرفة (٧٠)

إنتاج المصنع للكسوة الثانية:

وبصناعة كسوة ثانية في عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)؛ يكون مصنع كسوة الكعبة المُشرفة بمكة المكرمة قد صنع

الكعبة المُشرفة وكسوتها. أنظر إلى: محمد حسين الموجان، المرجع السابق، ص ٩.

(٦٧) حسين عرب: الشاعر والأديب الوزير حسين علي حسن عرب، رجل دولة وأحد مؤسسي النظم الإدارية في المملكة العربية السعودية أسهم كثيراً في وضع القواعد والمواد لنظام الداخلية، كان أول وزير للحج في تاريخ المملكة العربية السعودية، توفي الشاعر والأديب والوزير حسين علي حسن عرب رحمه الله في ١٧ من شهر صفر عام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢ ميلادي ودفن بمكة المكرمة. انظر مجلة اقراء تصدر من مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، ١٤٣٩/١١/٢٦هـ - ٩ أغسطس ٢٠١٨م. <https://2u.pw/6f3vNdT>

(٦٨) محمد بن حسين الموجان، الكعبة المُشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ص ٤٩.

(٦٩) الشيخ عبد الرحيم أمين: وُلد بمكة المكرمة ١٣٣٢هـ، وبدأ حياته عاملاً في مصنع الكسوة بمحلة أجياد بمكة المكرمة، فاكسب خبرة فنية في جميع مراحل العمل بالكسوة؛ حتى صار أول رئيس فني للعمال الفنيين بالمصنع عام ١٣٥٠هـ. ولإجادته فن الخط العربي فقد كتب جميع الخطوط والنقوش الموجودة على كسوة الكعبة المُشرفة،

بينما ذكر في الكساوي السعودية، وخاصة الحديثة منها حيث ذكر اسمه في غير موضع فقد كتب اسمه تحت نص الإهداء الموجود في الناحية الشرقية التي بها الباب وكتب اسمه أيضاً في الجزء الثاني من الستارة تحت الآية الكريمة (لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا) ^{٧٢} ونلاحظ أيضاً أن نص الإهداء في أسفل الستارة السعودية قد جاء منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) دون إطار يحدد الكتابة واكتفى بوضعه داخل الزخارف النباتية إلا أنه منذ عام ١٣٩٨هـ وحتى الآن أصبح يكتب داخل إطار يفصل لنص عن الزخارف النباتية والذي جاء على هيئة مستطيل يحكم أطراف الكتابة ^(٧٣).

قسم الكسوة الداخلية:

أحدث هذا القسم عندما صدرت التعليمات بعمل كسوة للكعبة المشرفة من الداخل في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م العمل، ولكون الكسوة الداخلية يتم تركيبها عدة أعوام، وتم اختيار أحد أبناء الوطن ليكون رئيساً لهذا القسم الجديد في مصنع كسوة الكعبة المشرفة، واستطاع بعد جهد كبير تذليل عقبات العمل في مجال اللف والمكناات اليدوية المستوردة من شركة بنارس الباكستانية ^(٧٤).

خلاصة البحث

توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أبرزها ما يلي:

- (١) تختلف كسوة الكعبة الداخلية في صناعتها عن الخارجية.
- (٢) تختلف الآيات المكتوبة على ستارة كسوة الكعبة الداخلية عن الكسوة الخارجية.
- (٣) تحظى الكعبة المشرفة بعناية فائقة تمثلت في الدور المختصة بحياكة أنفُس ثوب ورداء على وجه الأرض.
- (٤) كسوة الكعبة الداخلية لاقت الرعاية والاهتمام والعناية الفائقة في عهد ملوك المملكة العربية السعودية.
- (٥) أصبحت كسوة الكعبة المشرفة لباساً واحداً فقط منذ عهد الخليفة العباسي المهدي ١٦٠هـ / ١٧٧٦م. وذلك خوفاً على بناء الكعبة من ثقل الألبسة المتراكمة.
- (٦) تحظى الكسوة الخارجية الظاهرة للعيان بمعلومات إثرائية وإشارات كثيرة حوتها العديد من المؤلفات بخلاف الكسوة الداخلية التي افتقرت إلى ذلك.
- (٧) استبدلت الكعبة المشرفة كسوتها في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله بأخرى أرسلها سلطان البهرة بالهند وذلك عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م - بعدها أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بصنع كسوة داخلية للكعبة المشرفة وجرى توشيحها من الداخل عام ١٣٦٣هـ.
- (٨) بقيت الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة في العهد السعودي التي صنعت عام ١٣٦٣هـ باقية إلى أن أمر

الملك خالد رحمه الله بصنع كسوة جديدة عام ١٤٠١هـ وتوشحت بها الكعبة المشرفة مرة أخرى عام ١٤٠٣هـ حظيت الكعبة المشرفة في العهد السعودي في بمزيد من العناية من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله حيث أمر بعمل كسوة داخلية احتياطية مصنوعة من الحرير الأخضر الطبيعي وتظهر عليها الكتابة بنسيج من الحرير باللون الأبيض وهذه الكسوة مكونة من ٦٤ قطعة (٩٠ سم * ١٠ متر) تم وصلها ببعض بحيث تصبح قطعة واحدة متسقة.

(١٠) تتوافق الكسوة الداخلية السعودية مع العثمانية في زخارفها وكتاباتهما الظاهرة عليها، بينما تختلف الكسوة السعودية بلونها الأخضر وكتابتها ذات اللون الأبيض، بينما كان لون الكسوة العثمانية الداخلية الأحمر مع اتحادهما في لون الكتابات الأبيض.

(١١) تغيرت الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة من لون الحرير الأحمر إلى لون الحرير الأخضر في عهد الملك خالد رحمه الله كما زاد عرضها عن سابقتها العثمانية بفارق ١٢ سنتيمتراً.

(١٢) تستغرق المدة الزمنية لصناعة كسوة الكعبة المشرفة الخارجية معظم أشهر السنة باستثناء أشهر الحج.

(١٣) يوجد تشابه كبير بين كسوة الكعبة الداخلية والخارجية من حيث الزخرفة الكتابية والهندسية وبعض نصوص الأدعية باستثناء اللون وسماكة القماش.

(١٤) تم إحداث قسم خاص بالكسوة الداخلية في مصنع الكسوة المشرفة عام ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، وتم استيراد مكائن يدوية لصناعة نسيجها من دولة باكستان الإسلامية.

ومن أهم التوصيات:

- (١) إقامة معرض دائم لعرض كسوات الكعبة المشرفة، ومحاكاة القديم منها بطراز وجودة حديثة لحفظ هذا الفن
 - (٢) وضع صور لقطع الكسوة الشريفة على أغلفة الكتب المدرسية، وعلى مواقع وزارة التربية والتعليم خاصة في شهر الحج المبارك لربط أهمية هذا الشهر وعظم البيت الحرام وغرس ذلك في نفوس الصغار والمراهقين، وأيضاً في وسائل التواصل الاجتماعي؛ ليدرك الجميع أهمية ذلك.
 - (٣) إقامة برنامج تدريبي للنسج والخياطة ومحاكاة الخطوط على كسوة الكعبة المشرفة عبر العصور التاريخية.
- هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٧٤) محمد بن حسين الموحان، الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ص ١٢٢.

(٧٢) سورة الفتح: آية ٢٧.

(٧٣) عبد العزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، ص ٤٠١.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

الأزرقى: الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت: ٢٥٠هـ / ٨٦٤م، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهب، (ط١)، مكة المكرمة، مكتبة الأسد (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

ابن زهير: (ت: ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م)، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق علي عمر، (ط١)، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م). المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٤/٨٤٥هـ - ١٣٦٤م/١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئ، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرفاوي، (ط١)، القاهرة، مكتبة مدبولي، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج ٢).

المكي: محمد طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد الملك بن دهب، (ط١)، بيروت / دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣).

المراجع

أحمد: يوسف، المحمل والحج، (ط١)، القاهرة، مطبعة حجازي، (١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ج ١).
باسلامه: حسين عبد الله، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، (ط١)، جدة، تهامة، الكتاب العربي (السعودي)،

بيطار: أمينة، تاريخ العصر العباسي (ط٤)، دمشق الطبع والنشر، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)،

حلمي: إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، القاهرة، مؤسسة أخبار اليوم ع ٣٢٠، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م،
الذقن: السيد محمد، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (ط١)، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)،

الشنوفي: علي، مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين، (ط١)، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

شليبي: محمود، حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين، (ط١)، بيروت، دار الجيل، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

الموجان: محمد بن حسين، الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، (د.ط)، الرياض، دار الملك عبد العزيز (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

الرسائل

الربيعي: أحمد علي عبد العزيز، مظاهر العناية بالكعبة المشرفة منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر المملوكي (١٣٢-٩٢٣هـ / ٧٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية،

جامعة القصيم، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

مؤذن: عبد العزيز عبد الرحمن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

الدوريات

الحسين: خليل الأحمد، كسوة الكعبة في العصر المملوكي، جامعة البعث، حمص، مجلة جامعة البعث، ع ١، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، مج ٣٨.

الخالق: فريال داود عبد، كسوة الكعبة، المورد، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ع ٤، مج ٩ / ١٧٢.

فطاني: فوزي بن عبد الصمد، الملك عبد العزيز والسلفيون في الهند: مواقف مشرقة من التاريخ، الهند، مجلة مركز سلف للبحوث والدراسات، رقم الورقة العلمية، ٢١١.

متولي: محمد حمدي، زهران: وضياء جاد الكريم، أماكن صناعة وعرض كسوة الكعبة الشريفة منذ العصر العثماني وحتى العصر الحديث (دراسة أثرية معمارية)، حولية الاتحاد السنة للأثريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع ١٨، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، مج ١٨.

انظر: «عبد الله السليمان». منصور العساف: أول وزير وأقرب رجال الملك عبد العزيز مكانة وثقة، الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٣٥هـ / ٥ سبتمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٨٧٤، صحيفة <https://www.alriyadh.com/973335>، الرياض.

المعاجم

الرازي: محمد أبي بكر عبد القادر (ت: ٦٠٠هـ / ١٢٦١م)، مختار الصحاح، (د.ط بيروت، إخراج طبعة مدققة دائرة المعاجم في مكتبة لبنان)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٥٠٢-٥٠٣.

ابن منظور: لسان العرب، مادة (كسا)، (د.ن)، طبع دار المعارف، ٣٨٧٩/٥.

المجلة الدولية للشرية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The jurisprudence of expectation and its impact on cases of unknown origin.

اعتبار المآلات وأثره في أحكام مجهول النسب.

Dr. Mariam Mohamed Nagib Eliwa*

*Lecturer in the Department of General Jurisprudence Al-Azhar University- Republic of Egypt Arab.

د. مريم محمد نجيب عليوة*

*المدرس بقسم الفقه العام جامعة الأزهر الشريف - جمهورية مصر العربية.

E-mail: mariameliwa84@gmail.com

KEY WORDS

Jurisprudence - Sharia - Future outlook- Parentage unknown.

الكلمات المفتاحية

فقه - مآلات الأفعال - مجهول النسب.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

The issue of people of unknown parentage is one of the most important issues raised for study, and it has recently received widespread attention at all levels, due to the exacerbation and spread of this phenomenon, and because children are the most important segment in society, as they are considered the number of the future, and Islamic law has paid attention to people of unknown parentage at all stages of his life, The foundling child has many rulings within the folds of the books of jurisprudence, which explain the concern of the Sharia in preserving him, taking care of him, and determining his rights. The rulings of jurisprudence in general are built on taking into account the consequences and consequences, and anticipating the developments and repercussions that the ruling may lead to in the future, then introducing them into the merits of diligence and ruling on that act. So that not taking it into account would lead to the occurrence of the act contradictory to what was intended by Sharia law. In this study, I discussed the effect of taking into account consequences in rulings related to unknown parentage.

إن قضية مجهولي النسب من أهم القضايا المطروحة للدراسة، وقد أخذت في الآونة الأخيرة اهتماماً واسعاً على جميع الأصعدة، وذلك لتفاقم تلك الظاهرة وانتشارها، ولكون الأطفال هم الشريحة الأهم في المجتمع، باعتبارهم عدة المستقبل، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بمجهول النسب في جميع مراحل حياته، والطفل اللقيط له كثير من الأحكام بين ثنايا كتب الفقه، توضح عناية الشريعة بحفظه ورعايته وتقرير حقه، وقد بنيت أحكام الفقه في العموم على مراعاة المآلات والعواقب، واستشراف التطورات والتداعيات التي يمكن أن يؤول إليها الحكم مستقبلاً، ثم إدخالها في حيثيات الاجتهاد والحكم على ذلك الفعل، لئلا يفضي عدم اعتبارها إلى وقوع الفعل مناقضاً لما قصد به شرعاً، وقد تناولت في هذه الدراسة أثر مراعاة المآلات في الأحكام المتعلقة بمجهول النسب.

المقدمة

الحمد لله حُداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والشكر لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه الكريم وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين..... أما بعد:

-الدراسات السابقة:

لقد تناولت الكثير من الدراسات قديماً وحديثاً موضوع مجهولي النسب، وقد عالجت كتب الفقه في جميع المذاهب (تحت مسمى اللقيط).

-من الدراسات المعاصرة:

١- أحكام اللقيط في الشريعة الإسلامية-دراسة فقهية تربوية-لمحمد ربيع صباهي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد (٢٥) العدد الأول ٢٠٠٩م.

٢- أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى، إعداد/عمر بن محمد السبيل، (١٤٠٥-١٤٠٦هـ) وقد اشتملت الرسالة على عموم أحكام اللقيط المتصلة بالملكية والنفقة، والميراث ونحوها.

٣- اللقيط في الفقه الإسلامي للدكتور عبدالرحمن بن عبدالله العيسى، ضمن مجموعة الشيخ عبدالرحمن بن عيسى العلمية، ط. دار العقيدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، وقد تناول البحث جملة من المسائل الفقهية المتعلقة باللقيط غير أنها ينقصها الكثير من التحليل الفقهي والاستنتاج.

٤- رؤية شرعية لمعالجة ظاهرة اللقطاء ومجهولي النسب في الشريعة الإسلامية، مجموعة من الأبحاث لكبار العلماء، مقدم لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الخامسة والعشرون، في الفترة من (٢٩ رجب إلى ٣ شعبان ١٤٤٤هـ) الموافق (٢٠ فبراير إلى ٢٣ فبراير م)

٥- عدالة الإسلام في حكم مجهول النسب، إعداد د/سامية محمود حنبظاظة الأستاذ المساعد بالفقه المقارن بالكلية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية المجلد الأول العدد (٢٥).

٦- مجهول النسب بين عدالة التشريع والتشريع الوضعي، للباحثة /صفية الوناس حسين، بحث مقدم للمؤتمر الدولي: "الرحمة في الإسلام" جامعة الملك سعود، عام ١٤٣٧هـ، تناولت فيه الباحثة طرق إثبات النسب، وحقوق مجهولي النسب، وأحكام التبني في الشريعة.

-منهج البحث:

اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي في جمع المعلومات ومراجعة مصادر المسألة، والمنهج الوصفي عند التعريف باللقطاء ومجهولي النسب، كما اتبعت المنهج التحليلي المقارن في تتبع آراء الفقهاء في المسائل الفقهية، ثم الترجيح بينها، والتزمت بتخريج الآيات والأحاديث من مصادرها الأصلية.

فإن الشريعة السمحاء، رحمة كلها، ومصالح كلها، وهي صالحة لكل زمان ومكان، شملت الضعيف والمحتاج كما شملت غيرهم على حد سواء، ولم تأخذ بريئاً بذنب أحدثه غيره، بل إن مقاصدها التشريعية العظيمة التي أنيطت بها الأحكام، قد بنيت على قاعدة أساسية، تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ سورة النجم الآيات (٣٩) وما بعدها، ولهذا فقد حفظت حق اللقيط كغيره، منذ اللحظة الأولى لمجيئه في الحياة، وكتب الفقهاء السابقين قد فصّلت ذلك أيما تفصيل، وعلى الرغم من عناية الشريعة بمقصد حفظ النسب، إلا أنها لم تتجاهل تلك الفئة التي قدر لها أن تتواجد في ظروف قاسية، بل رسمت لها منهجاً قوياً يحفظ لها حياة كريمة، ويرتب لها حقوقاً على أفراد المجتمع كافة، وفق ضوابط شرعية تسعى لإرساء الرحمة والعدل في ربوع المجتمع، ويكفي في بيان حرص الشريعة على دمجهم في المجتمع، واعتبارهم لبنات صالحة في بنيانه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة الأحزاب الآية (٥)

-أهمية البحث وأسباب اختياره:

-تتجلى أهمية البحث وأسباب اختياره في:

١- التأكيد على عدالة الشريعة الإسلامية، وشمول أحكامها لجميع أحوال المكلفين الأصلية والطارئة، وسد حاجات جميع فئات المجتمع، وعنايتها بحفظ حقوق الضعفاء والقيام عليها خصوصاً هذه الفئة التي لا كافل لهم ولا معيل إلا الله عز وجل.

٢- ظهور بعض المستجدات في هذا العصر التي لم يتطرق إليها الفقهاء قديماً، منها إثبات النسب بالبصمة الوراثية، والحمض النووي.

٣- محاولة إنصاف تلك الفئة من الأطفال، حيث تعاني في معظم المجتمعات من التهميش، وقلة الاهتمام، والتأكيد على حقهم في العدل والمساواة، دون تمييز في الحقوق والواجبات.

-إشكالية البحث:-

تمحورت إشكالية الدراسة في الإجابة على التساؤل التالي: -ما أثر تطبيق قاعدة مراعاة المآل على الاختيارات الفقهية المتعلقة بأحكام مجهولي النسب؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية منها:

--ما المراد بمراعاة المآل، وماهي طرق الكشف عنها؟

-ما مدى عناية الشريعة بحفظ الحقوق عامة؟ وحقوق

مجهول النسب خاصة؟

المبحث الأول

حقيقة اعتبار المآلات وعلاقتها بالمقاصد الشرعية.

المطلب الأول: التعريف بقاعدة اعتبار المآلات

- يقصد بالمآل في اللغة: الرجوع والمصير والعاقبة، يقال: "آل إليه أولاً ومآلاً: رَجَعَ، وعنه: ارْتَدَّ". وجاء في "المعجم الوسيط": "آل إليه أولاً وإيلاً وأيلولة ومآلاً: رجع وصار"^١.

في الاصطلاح:

المراد بالمآل: (عاقبة ونتيجة الفعل المترتبة عليه، سواء كانت خيراً، أو شراً، وسواء كانت مقصودة لفعل الفعل، أم كانت غير مقصودة منه)^٢.

-تعريف اعتبار المآل بمعناه اللغوي:

-لم يضع الفقهاء السابقون حداً للتعريف بهذا المصطلح، على الرغم من ورود الحديث عن القاعدة وتخريج الأحكام عليها في مواضع كثيرة، منها:

-قاعدة (هل العبرة بالحال أو بالمآل) ذكرها السيوطي في الأشباه والنظائر^٣، وقاعدة (سلامة العاقبة) ذكرها الزركشي في المنثور^٤، فالمآل يطلق أيضاً على العاقبة، بيد أن مصطلح (مآلات الأفعال) نشأ على لسان الإمام الشاطبي المالكي، فهو أول من أصل لتلك القاعدة بالذكر والتفريع، بقوله: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً"^٥.

-عرّفه بعض الفقهاء المعاصرون بتعريفات عدة، من أهمها: - أنه (الاعتداد بما تقضي إليه الأحكام عند تطبيقها بما يوافق قصد الشارع)^٦.

٢- كما عرّفه السنوسي بأنه: (تحقيق مناط الحكم بالنظر في الاقتضاء التبعية الذي يكون عليه عند تنزيله، من حيث حصول مقصده، والبناء على ما يستدعيه ذلك الاقتضاء)^٧.

- **المطلب الثاني: التأصيل الشرعي لقاعدة اعتبار المآلات.**
-وشواهد اعتبار مآلات التشريع كثيرة في الكتاب والسنة:
-فمن الكتاب الحكيم:

-قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۖ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة (٢٣٥)
-وجه الدلالة: في الآية الكريمة مراعاة لما يؤول إليه الأمر، وبيان أن مقدمة الشيء تلحق به، ولما كان العقد محذوراً وقت العدة، كان العزم عليه أيضاً ممنوعاً، خوفاً من ذريعة الوقوع فيما يعطل حكم العدة.
-ومن السنة الشريفة:

عن المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما^٨
-وجه الدلالة: يدل الحديث على تغليب الشارع مقاصد المآل، حسماً لأسباب الفرقة وذرائع المفساد المترتبة على النفور بين الزوجين، مع أن النظر في أصله محرم، وإنما رخص فيه استثناء من الأصل العام، مراعاة للمآل.
-ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقطع الأيدي في الغزو"^٩

-وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قطع الأيدي في الغزو؛ لئلا يؤول ذلك إلى حقوق المحدود بالكفار، يقول ابن القيم: "فهذا حد من حدود الله عز وجل، وقد نهى عن إقامته في الغزو، خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله عز وجل في تعطيله، أو تأخيره من حقوق صاحبه بالمشاركين حمية وغضباً"^{١٠}

المطلب الثالث: ضوابط اعتبار مآلات الأفعال-

-**الضابط الأول:** أن يكون المآل متحقق الوقوع، أو يغلب على الظن وقوعه، يقول العز بن عبد السلام: "ما يغلب

^٦ اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي. للدكتور وليد على الحسين ص٣٧، ط. دار التدمرية-الرياض، ط. ٢، سنة ١٤٣٠هـ

^٧ اعتبار المآلات واعتبار نتائج التصرفات، عبد الرحمن السنوسي ص١٩، ط. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، سنة ١٤٢٤هـ

^٨ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة (٣/ ٣٨٩) رقم (١٠٨٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها (١/ ٥٩٩) رقم (١٨٦٥)، واللفظ للترمذي، البدر المنير (٧/ ٥٠٣).

^٩ مرفوع، أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الحدود، باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو (٤/ ٥٣) رقم (١٤٥٠)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في الرجل يسرق في الغزو أيقطع؟ (٤/ ١٤٢) رقم (٤٤٠٨)، واللفظ للترمذي، نصب الراية (٣/ ٣٤٤).

^{١٠} إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ١٣/٣، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

^١ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، ح٢٨، ص ٣١، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٣٨٥هـ-١٤٢٢هـ، المعجم الوسيط، المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٥/١، ن: مكتبة الشروق الدولية-مصر سنة ٢٠٠٤م.

^٢ قاعدة سد الذرائع وأثرها في الفقه الإسلامي. محمود حامد عثمان ص٢١١، ط. دار الحديث - القاهرة، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

^٣ الأشباه والنظائر، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١٧٩/١، ط: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

^٤ المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ)، حققه: د تيسير فائق أحمد، راجعه: د عبد الستار أبو غدة، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية (طباعة شركة الكويت للصحافة)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

^٥ الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ١٧٧/٥، دار ابن القيم- دار بن عفان سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

يحصل من المفسد أكثر، لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"^{١٦}

-المطلب الرابع: مسالك الكشف عن مآلات الأفعال

١- **مسلك التنصيص عليه**، أي: التصريح بالمآل من النص المتمثل في: (الكتاب العزيز والسنة المطهرة)، وهو أقوى الطرق الدالة على المآل.

-ومن الأمثلة على ذلك من السنة الشريفة:

-قول رسول الله ﷺ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ"^{١٧}

-وجه الدلالة: يدل التصريح في الحديث بأن الزواج مآله الإحصان وترك الشهوات، وإغلاق باب الفتن.

٢- **مسلك الكشف بالقرائن والملايسات**، والمراد بالقرائن: "كل أماره ظاهرة تقارن شيئاً خفياً فتدل عليه"^{١٨}.

-ومن الأمثلة على الحكم بناءً على القرائن المحيطة بالفاعل، قول ابن قدامة: "إن من ناقض الشرع فعله باطل، فبيع العصير لمن يعلم أنه يتخذه خمراً محرماً، وذلك إذا علم البائع قصد المشتري"^{١٩}، فالحكم هنا مبني على علم المشتري من خلال قرينة تشير إلى نيته لاستعماله في محرم.

٣- **مسلك فقه الواقع**، والمراد بفقه الواقع: هو إدراك الأوصاف المؤثرة، والأحوال المعاشة، والمقتضية تطبيق حكم شرعي"^{٢٠}.

-ومن الأدلة على اعتبار النظر في الواقع للكشف عن (مآلات الفعل).

- عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأله الشاب عن القبلة نهاه، وإذا سأله الشيخ رخص له، وقال: «إن الشاب ليس كالشيخ»^(٢١)

-وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى الفروق الفردية الواقعة بين أحوال البشر، فالشاب قد لا يملك نفسه وقد تسبقه شهوته بخلاف الشيخ الكبير.

ترتب مسببه عليه، وقد ينفك عنه نادراً فهذا يجوز الإقدام عليه؛ لأن الشرع أقام الظن مقام العلم في أكثر الأحوال"^{١١}

-**الضابط الثاني**: أن يكون المآل محققاً لمقصد شرعي، من دفع مفسدة وجلب مصلحة، أو رفع الحرج، حتى لو كان الفعل في أصله ممنوعاً لكنه يؤدي لمصلحة راجحة في المآل، يقول ابن تيمية: "الشرعية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فجميع المحرمات قد يحصل لصاحبها منافع ومقاصد، لكن لما كانت مفسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها"^{١٢}

-**الضابط الثالث**: أن يكون المآل منضبطاً، بأن يكون وصفاً مناسباً ليس فيه خلط أو التباس، ويكون الضابط فيه هو الشرع لا مجرد الحكم بالرأي والتشهي، فما شهد له الشرع بالصالح فهو المصلحة، وما شهد له بالفساد فهو المفسدة، والخروج عن هذا المعيار معناه اتباع الهوى، والهوى باطل لا يصلح لتمييز الصالح من الفساد، يقول ابن تيمية: "لكن ما اعتقده العقل مصلحة، إن كان الشرع لم يرد به، فأحد الأمرين لازم له، إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر، أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة، لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة، وكثيراً ما يتوهم الناس، أن الشيء ينفع في الدين والدنيا، ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة"^{١٣}

-**الضابط الرابع**: ألا يؤدي اعتبار المآل إلى إبطال أصل من أصول الشريعة، أو معارضة نص شرعي، يقول ابن تيمية: "اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه"^{١٤}

-**الضابط الخامس**: ألا يؤدي اعتبار المآل إلى تقويت مصلحة راجحة، يقول: "وأنها أي الشريعة جاءت- بترجيح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتقويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"^{١٥}

-**الضابط السادس**: ألا يؤدي اعتبار المآل إلى ضرر أشد يقول ابن تيمية: "فإذا كان الذي يفوت من المصالح، أو

^{١٦} المغني: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) على مختصر: أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى، تحقيق: طه الزيني - ومحمود عبد الوهاب فايد - وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث، الناشر: مكتبة القاهرة الطبعة: الأولى، (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) - (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م)

^{٢٠} فقه الواقع وأثره في الاجتهاد، ماهر حسين حصوة، ص ١٩، ط. المعهد العالمي للفكر الإسلام. الولايات المتحدة الأمريكية ط. سنة ٢٠٠٩م.

^{٢١} أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم، من بقية من أول اسمه ميم من اسمه موسى (٢٠٩ / ٨) رقم (٨٤٢١)، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٢٠٢ / ٥)، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا سعيد المقبري، ولا عن المقبري إلا عثمان البري، تفرد به: عباد "وقال الهيثمي: فيه عباد بن صهيب، وهو متروك، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٦٦ / ٣).

^{١١} قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ط. دار الكتب العلمية ٥٥/١.

^{١٢} مجموع فتاوى ابن تيمية، لابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ٣٤٢/٢٣، ط. مجمع الملك فهد-المدينة المنورة، سنة النشر: ١٤٢٥-٢٠٠٤م

^{١٣} مجموع الفتاوى ٣٤٤/١١-٣٤٥.

^{١٤} المرجع السابق ١٢٩/٢٨.

^{١٥} مجموع الفتاوى ٤٨/ ٢٠.

^{١٦} مجموع الفتاوى المرجع السابق نفس الصفحة.

^{١٧} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة» (٣ / ٧) رقم (٥٠٦٥)،

^{١٨} الفقه الإسلامي وأدلته، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، ١٢٧/٨، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق، ط. ٤.

٤-مسلك التوقع والاستشراف المستقبلي.

والمراد به: "التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي وفهم الحاضر، والسنن الفاعلة فيها"^{٢٢}.

-ومن الأدلة على كون الاستشراف مسلكاً للكشف عن مآلات الفعل.

--قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير "^{٢٣} رواه الترمذي وغيره.

-وجه الدلالة: هو استشراف المستقبل في الحديث الشريف، فإن الزوج إذا كان ذو خلق ودين فإنه يتوقع منه الخير والصالح في الحياة الزوجية، وإلا فمستقبل الزوج سيكون ماله الفتنة والفساد.

- المطلب الخامس: دور إعمال قاعدة (اعتبار المال) في

تحقيق مقاصد الشريعة

إن مراعاة المال، والنظر في العواقب المترتبة على الأفعال يحقق تلك المقاصد العظيمة التي جاءت الشريعة الإسلامية من أجل تحقيقها.

-فمن ذلك:

-أنه يحقق مقصد الشرع في رفع الحرج والمشقة، يقول الشاطبي: " فيكون إجراء القياس مطلقاً في الضروري يؤدي إلى حرج ومشقة في بعض موارد، فيستثنى موضع الحرج، بحيث لو بقي على أصل المنع لكان في ذلك ضيق على المكلفين"^{٢٤}

-ومنها: أنه يعمد إلى الذرائع المفضية إلى ما يخالف قصد الشارع فيبطلها، وإلى ما يوافق قصده فيقرها، فإذا كان الشيء مما يتذرع به إلى محذور-يقيناً أو غالباً، فإنه يحرم عملاً بهذا الظن المآلي، وإن كان يحقق مصلحة، فإنه يصير مشروعاً، يقول ابن تيمية: "ولهذا كان النظر الذي يفضي إلى الفتنة محرماً، إلا إذا كان لمصلحة راجحة، مثل نظر الخاطب، والطبيب، ونحوهما، فإنه يباح للحاجة، لكن مع عدم الشهوة"^{٢٥}

-ومنها: أنه يراعى مصلحة الفرد والجماعة على حد سواء، فيضمن التوازن بين المصالح الفردية والجماعية دون الإضرار بأيهما ما أمكن، وإلا تقدم المصلحة العامة، مما يؤكد على تحقيق المنفعة للمجتمع بأسره، يقول الشاطبي: " وإن أمكن انجبار الإضرار ورفع جملة، فاعتبار الضرر

العام أولى فيمنع الجالب، أو الدافع مما هم به؛ لأن المصالح العامة مقمة على المصالح الخاصة، بدليل النهي عن تلقي السلع، وعن بيع الحاضر للبادي، واتفاق السلف على تضمين الصناع مع أن الأصل فيهم الأمانة، وذلك يقضي بتقديم مصلحة العموم على مصلحة الخصوص لكن بحيث لا يلحق الخصوص مضرة"^{٢٦}.

-ومنها: أنه يحقق التلازم الطردي بين الأحكام ومقاصدها، فلا يكون الحكم مجرداً عاماً، دون التفات إلى الملبسات والعوارض، ودون عناية بالاقتضاء التبعية، وهو ما يعني بالضرورة مناقضة قصد الشرع، وكل عمل لا يترتب عليه مقصودة فهو باطل، يقول الإمام الشاطبي-في معرض الحديث عن الرخص:- "فإن حقيقتها ترجع إلى اعتبار المال في تحصيل المصالح أو درء المفاسد على الخصوص، حيث كان الدليل العام يقتضي منع ذلك؛ لأننا لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدّى إلى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة، فكان من الواجب رعي ذلك المال إلى أقصاه، ومثله الاطلاع على العورات في التداوي، والقراض، والمساقاة، وإن كان الدليل العام يقتضي المنع، وأشياء من هذا القبيل كثيرة"^{٢٧}.

-ومنها: أنه ينزل المتوقع منزلة الواقع، فيميز بين ذرائع الفساد، ليقدر ما يسد منها وما يغتفر، ويعلق الأحكام بمصالح متحققة يراها شبيهة بالمصالح المجتلية وفاقاً، يقول الجويني: " وطرق المباحث لا تتهدّب إلا بفرض التقديرات قبل وقوعها، والاحتواء على جملتها ومجموعها"^{٢٨}

-ومنها: أنه يقيس الأمور إلى نظائرها، فيمنع بعض الأفعال- رغم مشروعيتها-منعاً للمال الفاسد، ويستحسن في حالات، فيحكم بالترخص تجنباً لحرج يناقض مقصود الشرع.

المبحث الثاني

حقوق مجهول النسب في الشريعة

- المطلب الأول: في حقيقة مجهول النسب وعلاقته بما

يشابهه من الألفاظ

-تعريف النسب في اللغة:

-قال ابن منظور: " النسب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب. ابن سيده: النسبة والنسبة والنسب: القرابة؛ وقيل: هو في الأباء خاصة؛ وقيل: النسبة مصدر

^{٢٥} الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي، الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، ٢٨٧/١، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

^{٢٦} الموافقات ٥٨/٣

^{٢٧} الموافقات ١٩٥/٥

^{٢٨} غياث الأمم في التياث الظلم، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بامام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد العظيم النقيب، ص ٥٢١، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ

^{٢٢} أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم-في ضوء السنة النبوية-إعداد: طه محمد فارس، ص ١٣، ط. مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤٣٥-٢٠١٤م.

^{٢٣} مرسل، أخرجه الترمذي في سننه، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (٣/ ٣٨٧) رقم (١٠٨٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الباء، مسند من يعرف بالكنى، من يكنى أبا حاتم أبو حاتم المزني (٢٢/ ٢٩٩) رقم (٧٦٢)، واللفظ للترمذي، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٢٠٢)

^{٢٤} الموافقات ١٩٤/٥-١٩٥

- عرف الشافعية مجهول النسب واللقب: "بأنه صغير منبوذ، لا كافل له معلوم، ولو مميزاً لحاجته إلى التعهد"، وهم لا يفرقون بين مجهول النسب واللقب، يقول النووي في الروضة: "حكمنا بحرية اللقب المجهول"^{٣٦}، ويقول الشرييني من الشافعية "ويسمى ملقوفاً باعتبار أنه يلقب، ومنبوذاً باعتبار أنه ينبذ إذا أُلقي في الطريق"^{٣٧}.
- عرف الحنابلة اللقب بأنه مجهول النسب، فقالوا: "اللقب طفل غير مميز، لا يعرف نسبه، ولا يعرف رقه"^{٣٨}.
- العلاقة بين اللقب ومجهول النسب.

- يتبين من خلال التعريفات أن بينهما ارتباطاً كبيراً، فاللقب طفل لا يعرف أبواه، فهو مجهول النسب، ولو كان معلوم النسب لما كان لقباً منبوذاً، غير أن مجهول النسب قد يطلق على من لا يعلم أباه على وجه الخصوص وقد تكون أمه معروفة، فيبينهما عموم وخصوص.

- **المطلب الثاني: عناية الشريعة الإسلامية بحفظ النسب.**
- أولت الشريعة الإسلامية النسب عناية عظيمة، ولا أدل على ذلك من كون النسب من الكليات الخمس الأساسية، وذلك لما يترتب على حفظ النسب من آثار عظيمة.

- ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب:
- أن الله تعالى امتن على عباده بأن جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^{٣٩} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ سورة الحجرات (١٣)، ولا يتحقق معرفة الشعوب والقبائل، وما يترتب على ذلك من تعارف وتآلف، إلا بمعرفة الأنساب، وحفظها عن الاشتباه والاختلاط.

- ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب أنه شدد النكير، وبالغ في التهديد للأباء حين يقدمون على إنكار نسب أولادهم الثابت ويتبرؤون منهم، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وأيما رجل جحد

الانتساب؛ والنسبة: الاسم، والنسب يكون بالأباء، ويكون إلى البلاد، ويكون في الصناعة"^{٢٩}

تعريف النسب في اصطلاح الفقهاء

- مع البحث في المصنفات في المذاهب الفقهية الأربعة لم أقف على تعريف شرعي للنسب جامع مانع إذ يكتفي الفقهاء بتعريف النسب بمعناه العام المستفاد في معناه في اللغة وهو مطلق القرابة بين شخصين، دون أن يعرفوه بالمعني الاصطلاحي الشرعي، وهو الذي يفيد صحة ثبوت النسب لشخص ما، أو عدم ثبوته له.

- عرفه الدليل العملي لمدينة الأسرة:

"النسب هو: رابطة شرعية تربط الفروع بالأصول، في إطار الضوابط والقواعد الشرعية المبنية على القرابة بين إنسانين في ولادة قريبة أو بعيدة، ويُنسب الولد فيها لوالده؛ سواء ترتب عن زواج صحيح، أو فاسد، أو شبهة"^{٣٠}.

مجهول النسب في اصطلاح الفقهاء

- عرفه الأحناف بأنه: "الذي لا يعرف نسبه في مولده ومسقط رأسه"^{٣١}

- وهم لا يفرقون بينه وبين اللقب، فقد جاء في تعريف اللقب، أنه: "هو الولد المتروك في الشوارع مجهول الأب والأولياء"^{٣٢}

- وعرفه المالكية مجهول النسب بأنه: "مجهول الانتساب لأب معين"^{٣٣}

- وعرف المالكية اللقب: "بأنه صغير حي لم يعلم أبواه ولا أمه، حر أو مشكوك فيه"^{٣٤}

- وفرقوا بينه وبين مجهول النسب فقالوا: "ويستثنى منه-أي استلحاق مجهول النسب- اللقب فإنه لا يصح استلحاقه إلا ببينة، أو بوجه كمجاعة، أو لكونه لا يعيش له أولاد فيطرحه لأجل أن يعيش"^{٣٥}

- وفرقوا بينهما في الاستلحاق، وإن اجتمعا في كون كلا منهما لا يعلم أبواه.

الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (ت ١٢٤١هـ)، ١٦٥/٤، الناشر: دار المعارف

^{٣٥} المرجع السابق نفس الصفحة

^{٣٦} روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، حققه: قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الإسلامي بدمشق، بإشراف زهير الشاويش [ت ١٤٣٤ هـ]، ٣٤٨/٥، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م

^{٣٧} مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف: شمس الدين، محمد بن محمد، الخطيب الشرييني [ت ٩٧٧ هـ]، حققه وعلق عليه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ٥٩٧/٣، الناشر: دار الكتب العلمي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

^{٣٨} شرح منتهى الإرادات - المسمى: «دقائق أولي النهى لشرح المنتهى»، المؤلف: منصور بن يونس بن بن إدريس البهوتي، فقيه الحنابلة (ت ١٠٥١ هـ، ٣٩٣/٢، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

^{٢٩} لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، ٧٥٥/١، مادة: نسب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ

^{٣٠} الدليل العملي لمدينة الأسرة، الناشر: جمعية المعلومة القانونية والقضائية، مطبعة فضالة- الرباط، المغرب، سلسلة الشروح والدلائل، العدد (١) سنة ٢٠٠٤ م.

^{٣١} درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، المؤلف: علي حيدر خواجه أمين أفندي (ت ١٣٥٣ هـ)، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

^{٣٢} درر الحكام المرجع السابق ٩٠/١، مادة رقم (٨٨) المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، ٢٠٩/١٠، الناشر: مطبعة السعادة - مصر

^{٣٣} حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، المؤلف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠ هـ)، ١٢/٣، الناشر: دار الفكر

^{٣٤} بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه، المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك)، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد

ولده، وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين." (٣٩)

-ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب: تحريم الانتساب إلى غير الآباء حيث قال عليه الصلاة والسلام في معرض التحذير من ذلك، وبيان الوعيد الشديد على فاعله: "من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام" ٤٠

-ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب: تحريم الزنا قال تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" سورة الإسراء (٣٢)

-ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب: تحريم التبني، قال سبحانه وتعالى: "ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ" سورة الأحزاب (٥)

-ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب: أنه رتب عليه أحكاماً جليلة مثل حرمة الزواج بالمحارم، ووجوب صلة الرحم، والميراث، ووجوب النفقة، وغيرها، كما سد كل الذرائع المفضية إلى خلط الأنساب، وشدد في العقوبات، فشرع حد الزنا، وحد القذف.

-والسبب في عدم نسبة ولد الزنا إلى الزاني في الشريعة الإسلامية وإن كان مخلوقاً من مائه -، أن الزنا سبب محرم فلا يُتوصل به إلى النسب؛ قال القرافي في فروقه: "والسبب إذا لم يأذن فيه صاحب الشرع، يكون كالمعدوم شرعاً، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً؛ فلا يترتب عليه أثره"،^{٤١} وقال فخر الإسلام البزدوي: "وإنما لم يثبت النسب من جانبه؛ لأن المقصود من الانتساب التشرف، ولا يحصل ذلك بالنسبة إلى الزاني"^{٤٢}

- المطلب الثالث: أسباب وجود الأطفال مجهولي النسب

- هناك عدة أسباب لوجود الأطفال مجهولي النسب من أهمها:

-أسباب عامة قد تنشأ بسبب الظروف الاجتماعية، أو كوارث منها:

- الفقر والحاجة.

- ولاشك أنها تزيد وتكثر في المجتمعات الفقيرة، وإذا كانت الآيات الكريمة قد أشارت إلى أن خشية الفقر قد تكون سبباً في التخلص من الأطفال، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. فلا شك أن خشية الفقر قد تدفع الآباء إلى التخلي عنهم رجاء أن يجدوا في غيرهم من يستطيع العناية بهم.

-قد نيهت الشريعة على أن الأبوين بذلك قد ارتكبوا إثماً عظيماً قال تعالى: "لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً" سورة الطلاق (٧)، وهم بذلك قد ضيعوا الأمانة التي استرعاهم سبحانه وتعالى عليها قال صلى الله عليه وسلم: "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ"^(٤٣)

-الحروب والكوارث الطبيعية، ولاشك أن للحروب تأثيرات بالغة السوء لاسيما على الأطفال، فهم الضحايا الرئيسيون لها، يقتلون ويخطفون ويشوهون ويشردون.

-كذلك الكوارث الطبيعية كالبراكين والزلازل ونحوها -انتشار المخدرات والمسكرات، ولاشك أنها سبب رئيس في انتشار الفواحش، وما يترتب عليها من انتشار الفاحشة، وزيادة حالات الاغتصاب ونحوها ولاشك أن ذلك بدوره يؤدي لزيادة أعداد الأطفال المشردين ومجهولي النسب ونحوهم..

- أسباب خاصة ببعض الأفراد منها:

- نقص الوازع الديني وما يترتب عليه من ارتكاب جريمة الزنا، أو التساهل في الأنكحة الفاسدة

- عدم توثيق عقد النكاح، وقد تكون له دوافع مختلفة، ولاشك أن ثمرة هذا النكاح إما طفل تتحمل الأم وحدها تبعته وغالباً ما ينكر الزوج نسب الطفل، أو تتخلص الأم أيضاً منه برميها في الأماكن العامة إيداعه دور الرعاية، ولهذا يرى الفقهاء ضرورة توثيق عقود الزواج، فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

-يقول الإمام الماوردي: "وقد تفعل المرأة ذلك بولدها لأمر منها: أن تأتي به من فاحشة فتخاف العار فتلقيه، أو تأتي به من زوج فتضعف عن القيام به فتلقيه رجاء أن يأخذه من يقوم به، أو تموت الأم فيبقى ضائعاً."^{٤٤}

^{٣٩} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب التغليظ في المدن (٥ / ٢) رقم (٨٩٣).

^{٤٤} الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ٣٤/٨، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

^{٣٩} ضعيف، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء (٢٧٩/٢) رقم (٢٦٦٣)، تنبيه القارئ (١/١٣٣).

^{٤٠} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (١٥٦ / ٥) رقم (٤٣٢٦).

^{٤١} الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، ٢٠٥/١، ط. عالم الكتب..

^{٤٢} كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري الحنفي (ت: ٧٣٠هـ)، ٢٨٩/١، ط. دار الكتاب الإسلامي.

- المطلب الرابع: حقوق مجهولي النسب في الشريعة.
- حقه في الحياة قال تعالى: "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق" (سورة الاسراء (٣١))

- وقد شرع الإسلام كل ما يحفظ حياته، وحذر من إجهاضه، وشدد على وجوب الحفاظ على حياته من قبل والديه، قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إنمأ أن يضيع من يعول"^{٤٥}، ثم جعل حق الحفاظ على حياته واجب كفائي على جميع أفراد المجتمع.

- حقه في النسب، فقد منعت الشريعة التلاعب بالأنساب، وشددت في التحذير من ذلك قال صلى الله عليه وسلم: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم، فليتبوأ مقعده من النار."^{٤٦}

- حقه في الحضانة والرعاية، وهي واجبة على الملتقط، يقول ابن عرفة: "حضانة اللقيط على ملتقطه اتفاقاً"^{٤٧}

- حقه في الإنفاق عليه، وقد رغبت الشريعة في كفالة اليتيم والإحسان إليه، قال صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه يعني: السبابة والوسطى"^{٤٨} واتفق الفقهاء على أن نفقته من بيت المال وكذلك أجر رضاعه ورضاع من لا مال له من اليتامى، ورجوعه على أبيه إن طرحه عمداً، قال الإمام مالك: لا يتبع اللقيط بشيء مما أنفق عليه. وكذلك اليتامى الذين لا مال له"^{٤٩}

- حقه في الميراث، والوصية، والوقف، والكفالة ونحوها، فاللقيط له أهلية التملك منذ لحظة ولادته.

- حقه في حفظ دينه ولهذا يشترط أن يكون الكافل مسلماً؛ لأنه لا ولاية لكافر على مسلم قال تعالى: "وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا" سورة النساء (١٤١)

- حقه في التسمية باسم حسن، قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فحسنوا أسماءكم."^{٥٠}

- حقه في التربية والتعليم، فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" التحريم: (٦)، قال، أي: علموهم وأدبوهم)^{٥١}

- حقه في العلاج والرعاية الصحية، ولا أدل من ذلك من إباحة الفطر للحامل والمرضع حفاظاً على صحة الجنين.

- حقه في التمتع بجميع حقوق المواطنين في المجتمع، كالحصول على الجنسية، والحماية الكاملة، وضمان ممارسة حقوقه، والاعتراف بشخصيته القانونية، وغيرها. -يشمل جميع ذلك قوله تعالى: "ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ" الأحزاب (٥)

المطلب الخامس: علاج ظاهرة انتشار مجهولي النسب في الشريعة الإسلامية.

- أولاً: التدابير الوقائية التي وضعتها الشريعة سداً للذريعة منها:

- العناية بالأسرة، قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم: ٢١)، فبين أن المقصد من إقامة الأسرة في الإسلام هو السكن والمودة والرحمة، وبيّن سبحانه وجوب المعاشرة بالمعروف في قوله تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَنَحْبِلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرًا" سورة النساء (١٩)

- الترغيب في النكاح وبيان مصالحه العظيمة في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء."^{٥٢}

- التحذير من الزنا ومقدماته، وقد ورد التحذير منه في أدلة كثيرة منها، قوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" سورة الإسراء (٣٢)، والزنا أكبر مسببات اختلاط الأنساب، وأكثر الأسباب المؤدية للأطفال مجهولي النسب.

- التحذير عن تضييع المسؤولية، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من عبد يستره الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"^{٥٣}

^{٤٨} حسن، أخرجه الترمذي في سننه أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالاته (٣٢١ / ٤) رقم (١٩١٨)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨ / ١٦٠).

^{٤٩} التاج والإكليل المرجع السابق نفس الصفحة
^{٥٠} مُرْسَل، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الاداب، باب في تغيير الأسماء (٢٨٧ / ٤) رقم (٤٩٤٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، تنمة مسند الأنصار، حديث أبي الدرداء (١ / ٣٦) رقم (٢١٦٩٣)، تخريج أحاديث الأحياء = المغني عن حمل الأسفار (١ / ٤٩٤).
أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١ / ١٢٧) رقم (٨٢٨١).

^{٥٢} سبق تخريجه.
^{٥٣} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاشٍ لرعيته النار (١ / ١٢٥) رقم (١٤٢).

^{٤٥} أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الفتن والملامح، أما حديث أبي عوانة (٤ / ٥٤٥) رقم (٨٥٢٦)، وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ومسلم.

^{٤٦} متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب (٤ / ١٨٠) رقم (٣٥٠٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (١ / ٧٩) رقم (٦١).

^{٤٧} التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (ت ٨٩٧هـ)، ٥٤/٨، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م.

بالشروع فيه ، وإلى هذا ذهب جمهور الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة.^{٥٩}

-القول الثاني: يرى أنه إذا كان في موضوع لا يخشى عليه الهلكة، فإن التقاطه مندوب.^{٦٠}

-الترجيح بناءً على مراعاة المال في المسألة:

-الراجح: هو قول الجمهور؛ لأن القول -بفرض الكفاية - يجعل القيام برعاية هذا الطفل يتحملها جميع المجتمع، فالأمر يتعدى الذنب إليه، بل لو ترك حتى هلك أثموا جميعاً، وهو ما يتماشى مع قواعد الشريعة الإسلامية قياساً على الغريق إن لم يبادر أحد بإنقاذه، فلا شك أن الجميع يأثم بتركه.

-وجه اعتبار المال في وجوب الالتقاط:

-أن فيه جمع بين المصالح في الحال والمال، يقول العز بن عبد السلام: "وأما الالتقاط ، فمصلحته العاجلة للقيط ومصلحته الأجل للملتقط".^{٦١}

-ومن تلك المآلات: تحقيق مقصد الترابط والمحبة ، والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم، وهو من مبادئ الشريعة الإسلامية ، التي شرعت كل ما يقوى ألفة الأخوة ، وترسيخ قيم العدالة الاجتماعية، وحفظ حقوق الضعفاء.

-ومن تلك المآلات: النظر فيما يؤول إليه أمر -مجهول النسب- إذا قمنا بكفالاته وحسن تربيته ، ليكون لبنة صالحة في المجتمع ، وتتحقق مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء .

- المطلب الثاني: أثر مراعاة المال في تبني مجهول النسب
-والمراد بالتبني في اصطلاح الفقهاء: هو " أن يدعى رجل رجلاً، وليس بابنه ".^{٦٢}

-الفرق بين التبني والإقرار بالنسب: أن التبني يدعى فيه نسب شخص، وهو يعلم يقيناً أنه ليس من صلبه، أما الإقرار بالنسب: فهو اعتراف حقيقي من شخص لشخص مجهول النسب ، بنسب صحيح وحقيقي.

-حكم التبني: التبني حرام في الشريعة الإسلامية ، ثبت تحريمه بأدلة كثيرة منها:

-تجنب الحروب والنهي عن الاعتداء عند وقوعها ، قال تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي قادة الجند بالتقوى والالتزام بأخلاق الحروب، ومن ذلك أنه يأمرهم بتجنب قتل الولدان ، وإذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، وكان مما يقوله "ولا تقتلوا وليدًا".^{٥٤}

-سبل العلاج:

-نشر ثقافة العناية بتلك الفئة ، وكفالتهم ، وحفظ حقوقهم، وقد ورد في فضل كفالة اليتيم الكثير من الأدلة الشرعية ، منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة "^{٥٥}
-تشوف الشارع لحفظ الأنساب، وإلحاق الفروع بالأصول ما أمكن، ومن ذلك: قبول الإقرار بالطفل وعدم جواز نفيه إلا ببينة، يقول ابن تيمية: " لو استلحق مجهول النسب، وقال: إنه أبني، لحقه باتفاق المسلمين "^{٥٦}، قال عمر بن الخطاب: " إذا أقر الرجل بولده طرفة عين فليس له أن ينفيه "^{٥٧}

المبحث الثالث

أثر مراعاة المال في أحكام مجهول النسب

- المطلب الأول: أثر مراعاة المال في النقاط (كفالة) مجهول النسب

-مجهول النسب فرق الفقهاء بين حالتين له

-الحالة الأولى إذا خيف عليه من الهلاك ، بأن كان في بلاد يكثر فيها الجرائم ، أو المخاطر، في هذه الحالة يكون التقاطه فرض عين على كل من يراه، وهذا باتفاق الفقهاء، يقول ابن حزم: " ولا إثم أعظم من إثم من أضاع نسمة مولودة صغيرة في الإسلام ، لا ذنب لها حتى تموت جوعاً "^{٥٨}
-وفي هذه الحالة اختلف الفقهاء في حكم التقاطه.

-القول الأول: يرى أن التقاطه فرض كفاية على الجميع، وعليه فإن علموا به وتركوه ، أثموا جميعاً، وإذا أخذه أحدهم فلا يجوز أن يردده لموضعه، فإن فرض الكفاية يتعين

^{٥٤} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البيعت، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها (٣ / ١٣٥٧) رقم (١٧٣١)

^{٥٥} حسن، أخرجه أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث مالك بن الحارث (٣١ / ٣٧٢) رقم (١٩٠٢٦)، وأخرجه أبي يعلى الموصلي في مسنده، (٢ / ٢٢٧) رقم (٩٢٦)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨ / ١٦١) .

^{٥٦} مجموع فتاوى ابن تيمية. المرجع السابق ٣٤/١٠

^{٥٧} السنن الصغير للبيهقي (٣ / ١٤٨) رقم (٢٧٦٣)

^{٥٨} المحلى بالآثار ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي [الظاهري]، المحقق: عبد الغفار سليمان البنداري، ١٣٢٧هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت

^{٥٩} دقائق أولى النهى. المرجع السابق ٣٨٧/٢. التاج والأكليل. المرجع السابق ٨ / ٥٦، روضة الطالبين. المرجع السابق ٤٢١/٥،

^{٦٠} المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ت ٤٨٣ هـ ، ٢٠٩/١٠، ط. دار المعرفة - بيروت، لبنان

^{٦١} قواعد الأحكام. المرجع السابق ٨٠/٢.

^{٦٢} جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١٨/١٩، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الحى، ويحتوى على الصفات الوراثية للإنسان التي اكتسبها من أسلافه والتي سيورثها لأولاده ومن بعدهم.^{٦٣}
-حكم إثبات النسب بالبصمة الوراثية.

-اختلف الفقهاء المعاصرون في ذلك على قولين:
-القول الأول: أنه لا يجوز الالتجاء للبصمة الوراثية إلا في الحالات التي يحصل فيها التنازع في النسب، أو تساوى وسائل الإثبات المعروفة شرعاً وتعادلهما.

-واستدلوا على ذلك: بحديث ابن عباس: أن هلال ابن أمية عندما كذب زوجته بشريك بن سحماء، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابع الألبتين، خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لولا ما مضى من كتاب الله، لكان لي ولها شأن^{٦٤}

-وجه الدلالة: أن رسول الله ﷺ أهدر دليل الشبه، وجعل حكم الله باللعان هو فصل الحكومة، وأسقط كل قول وراءه، وإن كان هذا في حق رسول الله ﷺ، فهو في حق غيره أكد.

-القول الثاني: يرى أنها تقدم على وسائل الإثبات المقررة شرعاً، بل تصلح أن تكون مانعاً من قبولها، لكونها ليست أموراً تعبدية، حتى نتخرج من تقديم البصمة الوراثية عليها.
-واستدلوا على ذلك: بأنها تعد دليلاً حسياً، فهي أقوى من الأدلة الظنية الأخرى كالشهادة والإقرار، وتقدم عليها عند التعارض^{٦٥}

-الترجيح: أرى-والله أعلم-رجحان القول الأول لقوة أدلتهم، ولكون تقديم البصمة على غيرها قد يؤدي لفتح باب الفساد.
-وجه اعتبار المال في النازلة:

-إن مراعاة المال تدعو إلى العمل بالبصمة الوراثية في إثبات النسب للقيط وذلك لتحقيقها مصالح عظيمة منها:

-تحقيق مقصد شرعي وهو حفظ الأنساب، والشرع يتشوف لإقرار النسب بأقل الوسائل، يقول ابن قدامة: "فإن النسب يحتاط لإثباته بأدنى دليل"^{٦٦} والبصمة الوراثية تحقق ذلك، لاسيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد.
-الإسهام في تقليل أعداد مجهولي النسب، ومعرفة أصول الأطفال المشردين.

-أن في إثبات النسب واتصاله يحصل التعارف والتعاقد والتعاون، ومن ثم يتحقق الهدف من الخليفة وهو عمارة الحياة، والشرعية تحاول إثبات النسب -ما أمكن- وعدم انقطاعه، يقول ابن القيم: "والشارع متشوف إلى اتصال

بقوله تعالى: "ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ" وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (الأحزاب (٥))

-وجه الدلالة: الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على إبطال التبنّي وتحريمه، بما لا يدع مجالاً للاجتهاد في مقابل صراحة وقطعية النص القرآني.

-وجه اعتبار المال في المسألة:

-إن التبنّي يعد ذريعة إلى مفساد جمة في المال، اعتبرها الشرع في تحريمه للتبنّي منها:

-أنه يترتب عليه تحريم ما أحله الله له من الزواج من أجنبيات عنه، وتحليل ما حرمه الله من الخلوة بمن ليست محرماً له، وكيف تبيح الشريعة ذلك، وهو بلا شك ذريعة للفوضى وانتشار الفاحشة.

-ومنها: أنه يؤدي لتحمل البعض واجبات لم تجب عليه بحكم الشرع ابتداءً، كتحمل الأقارب لنفقتهم عند عجز المتبنّي أو افتقاره، وفي هذا تحمل لمغرم بدون جناية منه أو سبب شرعي.

ومنها: أنه قد يؤدي إلى حرمان بعض الورثة من الميراث، أو انتقاصه حقه، دون مبرر شرعي، وفيه أكل أموال الناس بالباطل، وإثارة الأحقاد والضغائن، وتقطيع الأرحام بسبب المشاركة الجائرة في الموارث.

-ومنها: اختلاط الأنساب، ومن المقرر شرعاً: أن الحفاظ على قواعد الأنساب هو مقصد من مقاصد الشريعة، فلا يتصور أن تمنع الشريعة كل الأسباب المؤدية لاختلاط الأنساب، وتحذر كل التحذير منها، وتشرع العقوبات الشديدة، ثم تفتح هذا الباب الخلفي لها.

-إن الشريعة السمحة قد راعت في أحكامها مآلات الأمور، فجعلت ذلك الطفل-مجهول النسب- هو أخ في الدين له حقوقه كاملة في المجتمع المسلم، دون أن يجيف على حق أحد، فقد جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفساد وتقليلها.

- المطلب الثالث: أثر مراعاة المال في إثبات النسب (البصمة الوراثية)

-مفهوم البصمة الوراثية: المراد بها الحمض النووي (DNA)، ويوجد الحمض النووي في معظم خلايا الجسم، وقد سمي بالحمض النووي لتمرّكه بنواة الخلية في الكائن

^{٦٥} البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، أ.د/نصر فريد واصل. بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي في دورته السادسة عشر المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢ هـ الذي يوافقه ٥-١٠/١٠/٢٠٠٢ م.

^{٦٦} المغنى. المرجع السابق ١٥٢/٥.

^{٦٣} تطبيقات تقنية البصمة الوراثية في التحقيق والطب الشرعي، إبراهيم صادق الجندي، أكاديمية نايف-الرياض عام ٢٠٠٢م. ص ٥٠.

^{٦٤} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {ويذكر عنها العذاب} [النور: ٨] (٦ / ١٠٠) رقم (٤٧٤٧).

-القول الثالث: أن الحاكم يقترض من بيت المال، وينفق عليه، وهو قول الحنابلة⁷².

-مراعاة المال في النازلة.

-الذي يترجح-والله أعلم-هو القول الثالث، فيقترض الحاكم للقيط على بيت المال، وليس في ذمته، وإلا فيجب على القادرين أن ينفقوا عليه بلا رجوع على اللقيط.

-وجه اعتبار المال في النازلة.

- النظر إلى ما يؤول إليه الأمر في المستقبل من المفسد، والترجيح هنا مبنى على قاعدة سد الذرائع، وبالنظر في المال نجد أن القول بالافتراض على اللقيط -في ذمته- يثقل كاهله في المستقبل، وربما يلزمه من الديون ما لا يمكنه سداه، أو يعرضه للمنة ومذلة السؤال، وهو ما لا يتفق مع مقاصد الشريعة التي جاءت بالتيسير ومراعاة حاجة الضعيف، والتأكيد على أن المجتمع المسلم كالبنين الواحد يشد بعضه بعضاً، كما أن القول بوجود الإنفاق من الكفيل عليه قد ينفّر من الإقبال على الكفالة، والنفقة لا تلزم إلا بسبب شرعي، والالتقاط ليس من أسباب النفقة.

المطلب الخامس: أثر مراعاة المال في (أحكام ميراث مجهول النسب)

- تحرير محل النزاع:

- إذا كان لمجهول النسب ورثة كزوجة وأولاد، فإن إرثه كغيره على مقتضى قواعد الإرث، فإن بقي من الميراث شيء، أو لم يكن للقيط ورثه فمن يرثه؟

- اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

- القول الأول: ثبوت إرث الملتقط من اللقيط، وهو رواية للحنابلة اختارها ابن تيمية وابن القيم⁷³.

-واستدلوا على ذلك: بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرأة تحوز ثلاثة موارث عتيقها ولقيطها وولدها الذي لا عنت عليه"⁷⁴.

-القول الثاني: أن تركته لبيت المال، لا يرثه الملتقط، وهو قول جمهور الفقهاء⁷⁵.

الأنساب وعدم انقطاعها"⁷⁶، ولهذا اكتفى في إثباتها بأدنى الأسباب

- المطلب الرابع: أثر مراعاة المال في (الأحكام المالية المتعلقة بمجهول النسب)

-أموال مجهول النسب وأهليته للتملك.

-مجهول النسب في الشريعة شخص كامل الأهلية، تثبت له كامل الحقوق وتلزمه جميع الواجبات، قال الجويني "إن اللقيط له يد تثبت على المال كما للبالغ يد، فإن لا نشترط في اليد الاستمكان من التصرف، بل نكتفي بظهور اختصاص ذي اليد بما تحت يده"⁷⁸.

-ومما يختص بمجهول النسب (المال المتصل به)، وفيه صور:

منها: ما دلت القرائن على أنه موضوع له، كأن يكون مشدوداً به، أو مدفوناً تحته، وفي هذه الحالة تثبت ملكيته له باتفاق المذاهب الأربعة، قال ابن المنذر: "وأجمعوا أن ما وجد معه من مال فهو له"⁷⁹.

-وجه اعتبار المال في النازلة:

-هو: أن الحكم بملكية الطفل لهذا المال يحقق المصلحة في المال، فحفظ المال من الكليات الخمس التي جاءت الشريعة لتحقيقها، وإثبات المال له يحفظ له حقه ويضمن له حياة كريمة.

-النفقة على مجهول النسب:

-اتفق الفقهاء على عدم وجوب نفقته على الملتقط، وإنما ينفق عليه من المال المملوك له، فإن لم يكن له مالاً، فإن نفقته في بيت المال إن أمكن، لقول عمر-رضي الله عنه-: "أذهب فهو حر، لك ولأوه، وعلينا نفقته"

، فإذا انعدم إمكان الإنفاق عليه من بيت المال، فقد اختلف الفقهاء في هذا على ثلاثة أقوال:

-القول الأول: أن النفقة واجبة على الملتقط (الكفيل) حتى يبلغ أو يستغنى، ولا رجوع له على اللقيط، وهو قول المالكية⁷⁰.

القول الثاني: أن الحاكم يقترض له من المسلمين في ذمة اللقيط، وإلا لزم أهل اليسار الإنفاق عليه، وهو قول الشافعية⁷¹.

⁷² الطرق الحكمية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ص ١٩١، الناشر: مكتبة دار البيان

⁷³ نهاية المطلب في دراية المذهب، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهرسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الذيب، ٥٠٣/٨، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

⁷⁴ الإجماع، لمحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق ودراسة: د. فؤاد عبد المنعم أحمد

ص ١٠٩، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى لدار المسلم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

⁷⁵ حاشية الدسوقي المرجع السابق ١٢٥/٤.

⁷⁶ مغنى المحتاج المرجع السابق ٦٠٤/٣.

⁷⁷ المغنى. المرجع السابق ١١٥/٦.

⁷⁸ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

⁷⁹ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب ميراث ابن الملاعنة (٣ / ١٢٥) رقم (٢٩٠٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفرائض، باب ما جاء ما يرث النساء من الولاء (٤ / ٤٢٩) رقم (٢١١٥)، واللفظ له، قيل ضعيف، وصح الحاكم إسناده وحسنه الترمذي وسكت عنه أبو داود فهو حسن عنده أيضاً، الجوهر النقي (١٠ / ٢٩٩).

⁸⁰ المغنى. المرجع السابق ١١٧/٦.

-أهم التوصيات:

- تضمين المناهج الدراسية منهجاً كاملاً للتعريف بحقوق الطفل في الإسلام، لاسيما الفئات الخاصة كالأيتام، ومجهولي النسب.
- العمل على نشر حقوق الطفل- لاسيما مجهول النسب- في كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.
- الإسهام في تحسين أوضاع الأطفال في المجتمع الإسلامي، من خلال مراقبة الأجهزة والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية المعنية بحقوق الطفل في الوطن العربي والإسلامي.
- العناية بنشر ثقافة كفالة الأيتام، والترغيب في الالتقاط، وبيان عظم أجره في الشريعة، كذلك العناية بإنشاء المؤسسات المناسبة لرعايتهم وكفالتهم.
- وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

-واستدلوا على ذلك: بقول الحسن البصري: "اللقيط للمسلمين ميراثه وعليهم جريسته وليس لصاحبه منه شيء إلا الأجر"^{٧٦}

-وجه اعتبار المال في النازلة:

-الذي يترجح -والله أعلم- هو القول الأول، بأن الملتقط يرثه ، وفيه مراعاة للمال من وجوه ، منها: أن هذا مما يؤدي لسد حاجة الطفل، ويشجع ويرغب في الكفالة ورعاية مجهولي النسب، وهو مقصد شرعي ، ومنها: أن فيه مراعاة لجزاء الإحسان، والقاعدة الشرعية أن الغنم بالغرم، قال ابن القيم: " لأن إنعام الملتقط على اللقيط بتربيته والقيام عليه والإحسان إليه ،ليس بدون إنعام المعتق على العبد بعتقه فإذا كان الإنعام بالعتق سبباً لميراث المعتق مع أنه لا نسب بينهما فكيف يستبعد أن يكون الإنعام بالالتقاط سبباً له مع أنه قد يكون أعظم موقفاً ، وأتم نعمة ، وأيضاً فقد ساوى هذا الملتقط المسلمين في مال اللقيط ، وامتاز عنهم بتربية اللقيط والقيام بمصالحه ، وإحيائه من الهلكة ، فمن محاسن الشرع ومصلحته وحكمته أن يكون أحق بميراثه." ^{٧٧}

-الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

-أهم النتائج:

-سبقت شريعة الإسلام جميع الهيئات والمنظمات في حفظ حق الطفل- لاسيما مجهول النسب- مع تفوقه عليها جميعاً، وقد اهتمت بتحقيق الرعاية الكاملة له على جميع الجوانب المادية والمعنوية، في توازن عجيب، وبطرق ميسورة، بالإمكان تطبيقها في جميع المجتمعات.

-من رحمة التشريع الإسلامي وسماحته، أنه جعل التقاط اللقيط وكفالاته فرض كفاية على المجتمع، ويتعين إذا كان في تركه هلاكاً له.

- اعتنى الإسلام بالإنسان في جميع مراحل حياته، بوضع الحقوق التي تضمن له الحياة الكريمة بين الناس، ولا تبدأ هذه الحقوق بعد ولادته، بل تبدأ قبل وجوده متمثلة في حسن اختيار كل من الزوجين للآخر.

- حق الطفل في الحياة أمر يقرره الإسلام ويفرضه ليس بعد خروج الطفل إلى الدنيا، بل حقه وهو جنين في بطن أمه، وذلك بتحريم الإجهاض في جميع مراحل الجنين إلا إذا كان وجوده يتسبب في هلاك أمه، وذلك خلافاً لما يبيحه الغرب من جواز له، فهو عندهم من الحريات.

-حفظت الشريعة لمجهول النسب حقوقه المالية كاملة، وجعلته أهلاً للملك والإرث، وراعت أحوال نفقته، لينشأ محباً لوطنه وأمته.

-حرمت الشريعة الإسلامية التبني لما يترتب عليه من مفسد جمة، ورغبت في الكفالة لمنافعها العظيمة.

^{٧٦} السنن الكبرى للبيهقي (١٠ / ٥٠٣) رقم (٢١٤٦٧).

^{٧٧} حاشية ابن القيم المرجع السابق ٥٤/٨.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

a fatwa on the permissibility of women and men being for the sake of remembering Allah "Dhikr" by Imam Muhammad bin Muhammad bin Al-Alaa Al-Bukhari, who died in the year 841 AH a study and investigation.

Dr. Mrwah Mohammad Ahmed Al-Adamawi*

*doctorate in jurisprudence - Umm Al - Qura University – AL-Lith University College -Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: mmadmawi@uqu.edu.sa

فتوى في حكم اجتماع النساء والرجال للذكر للإمام محمد بن محمد بن العلاء البخاري الحنفي (٨٤١هـ) دراسة وتحقيقاً.

د. مروه محمد أحمد الادماوي*

*دكتوراه في الفقه - جامعة أم القرى - الكلية الجامعية بالليث - المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

Al-Alaa Al-Bukhari - fatwa - free mixing between women and men.

الكلمات المفتاحية

العلاء البخاري- فتوى- اجتماع النساء والرجال.

ABSTRACT

Islamic Fiqh is regarded as one of the most significant scientific branches because of its originality in science and its modern application to contemporary issues. The Islamic library is replete with the legacies of our esteemed scholars, who in turn served this science and its various branches in many aspects. The issue of men mixing with women is common among people, whether for religious, economic, or social purposes. There was a significant need to delve deeper into its Islamic ruling through the texts of the Qur'an and Sunnah, the principles of fiqh, and the objectives of Sharia law. I managed to obtain a manuscript (a fatwa on the permissibility of women and men being for the sake of remembering Allah "Dhikr"). In two copies, by Imam Muhammad bin Muhammad bin Al-Alaa Al-Bukhari, who died in the year 841 AH, and it is under the subject of grading the branches on the fundamentals, in which the Imam based his rulings on these fundamental principles. He composed it in response to certain people's suspicions and mindsets, who disregarded the hijab and did not think there was a problem with men and women free mixing. Then, he revealed the ruling on this matter in light of the four premises he had previously mentioned, which were based on the objectives of religion and the texts of Shari'a. He demonstrated that it is inconceivable to say that such mixed meetings are permissible, regardless of whether they are held for religious purposes or for any other reason.

مستخلص البحث:

المكتبة الإسلامية مليئة بتراث علمائنا الأفاضل، الذين أخلصوا في خدمة هذا العلم وفروعه المختلفة، من عدة جوانب، ويعدُّ الفقه الإسلامي من أهم الفروع العلمية، لما يحمله من الأصالة العلمية من جانب، والتطبيق المعاصر على المستجدات والنوازل الفقهية من جانب آخر، وإنَّ قضية اختلاط الرجال بالنساء شائعة بين الناس، سواءً كانت لأغراض دينية أو اقتصادية أو اجتماعية؛ لذا كانت الحاجة ماسة للتعلم في حكمه الشرعي، من خلال نصوص القرآن والسنة، وقواعد الفقه، ومقاصد الشريعة، وقد تيسر لي الحصول على مخطوط (فتوى في حكم اجتماع النساء والرجال للذكر) في نسختين، للإمام محمد بن محمد بن العلاء البخاري، المتوفى سنة ٨٤١هـ، وهو من باب تخريج الفروع على الأصول، بنى فيه الإمام أحكامه على القواعد الأصولية. وقد كتبها في الرد على شبهات وتعامل بعض الناس الذين تساهلوا في حكم الحجاب، ولم يروا في اختلاط الرجال بالنساء بأساً، فذكر أولاً مقدمات أربعة مبنية على النصوص الشرعية ومقاصد الدين، ثم أنزل حكم هذه القضية في ضوء تلك المقدمات، وأثبت أنه ليس هناك أي سبيل للقول بجواز مثل هذه الاجتماعات المختلطة، ولو كانت لوعظ ديني أو أي غرض آخر.

المقدمة

كفل الإسلام للمرأة حقوقها، وحرص على حماية المرأة وحفظها عن كل ما من شأنه الإضرار بها، ومن ذلك أنه فرضَ الحجاب عليها، ومنعها من الخروج لغير حاجة، ووضع ضوابط ومحاذير لخروجها، حتى لو كان هذا الخروج من أجل العبادة؛ حماية لها، وحفاظًا على المجتمع مما يترتب على خروجها بغير هذه الضوابط، وفي هذا قال صلى الله عليه وسلم: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن ثقلات)^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة)^(٢) وقد كانت الصحابييات في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم- يخرجن للمسجد، ويحضرن مجالس رسول الله، وكذا من بعدهن من النساء. ولا ينكر أحدٌ اختلاف أحوال النساء بعد ذلك وتغير الزمان، وفي هذا كتب الإمام العلاء البخاري- رحمه الله- مؤلفه الذي بين أيدينا.

أهداف البحث:

١. إخراج المخطوط في أقرب صورة أرادها مؤلفه.
٢. إثراء الخزانة الفقهيّة، وبخاصة خزانة الفقه الحنفي.
٣. توفير الفرص أمام الباحثين للاستفادة من التراث الفقهي في حلّ النوازل والمستجدّات الفقهيّة المعاصرة.
٤. إبراز نموذج لمباحثة فقهيّة هادفة، بين عالم فقيه وآخرين ابتدعوا في هذا الدين منكرات هو منها براء.

سبب اختيار الموضوع:

١. أهمية الموضوع؛ إذ يكثر اجتماع النساء مع عالم أو شيخ دون أن يكون ذلك من وراء حجاب.
٢. مكانة مؤلفه ومنزلته بين علماء عصره.
٣. بناء المؤلف للأحكام على القواعد الأصولية، فهو نموذج يحتذى به في تخريج الفروع على الأصول.
٤. الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فالقضية المثارة في البحث، كما كانت سائدة شائعة في الزمن السابق، وحتى في بعض الأوساط الدينية؛ فذلك نراها اليوم أكثر رواجاً؛ إذ قلما يكون هناك اجتماع يخلو من هذا النوع من الاختلاط الفاسد.
٥. أن هذه الفتوى تقدم تجربة علمية بكيفية تنزيل النص الشرعي على الواقع.

٦. المساهمة في خدمة هذا الدين، ومحاولة نفي تحريف الغالين، وانتحال المبطلين منه، فإن بعض الناس كانوا يمارسون هذا الأمر، ويدعون إلى الاجتماع المختلط لأغراض دينية، مع أن الدين وأهله لم يكونوا يسمحوا بذلك أبداً.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والبحث فيما تيسرت لدي من المكتبات وفهارسها، ومحركات البحث الإلكترونية، لم يظهر لي أن هذا المخطوط قد حظي بالتحقيق قبل ذلك.

منهجي في التحقيق:

اتبعت في تحقيق المخطوط ما يلي:

١. اتبعت في التحقيق طريقة النصّ المختار لعدم وجود نسخة أم.
٢. نسخت النصّ وفق قواعد الإملاء الحديثة، مراعية في ذلك علامات الترقيم.
٣. قابلت بين النسختين وأثبتت الفروق بينهما في الهامش.
٤. ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط.
٥. خرّجت الأحاديث من مصادرها.
٦. عرّفت بالمصطلحات والألفاظ الغريبة.
٧. وضعت عند نهاية كل وجه من المخطوط رمز النسخة ورقم اللوحة والوجه، مثال: [١٣/١].

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وقسمين:

أما المقدمة، ففيها أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج التحقيق، وخطة البحث:

القسم الأول: قسم الدراسة، واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ومولده:

المطلب الثاني: شيوخه، تلاميذه.

المطلب الثالث: مصنفاته

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، وتحقيق نسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثاني: منهج المؤلف.

المطلب الثالث: وصف النسخ.

المطلب الرابع: نماذج من المخطوط.

القسم الثاني: قسم التحقيق.

القسم الأول: قسم الدراسة

المبحث الأول التعريف بالمؤلف

المطلب الأول: اسمه ومولده:

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
محمد العلاء البخاري.

وسمّاه البعض عليًّا، وهو غلط.

واشتهر بلقب العلاء البخاري، أو علاء الدين البخاري.

(٢) الإمام مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، رقم الحديث: ١٤٣ - (٤٤٤) (ج ١ / ص ٣٢٨).

(١) السجستاني، الإمام أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد، رقم الحديث، ٥٦٥ - (ج ١/ ص ١٥٥).

ولد سنة ٧٧٩ هـ ببلاد العجم، ونشأ ببخاري، ثم أخذ يرتحل في طلب العلم^(٣).

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

درس الإمام على يد عددٍ من العلماء، خاصة وأنه قد ارتحل إلى الأقطار في طلب العلم، لكن الكتب لم تنقل لنا كثيراً عن حياته، فضلاً عن شيوخه وتلاميذه، من هؤلاء العلماء:

١. والده، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد البخاري^(٤).
٢. خاله، العلاء بن عبد الرحمن التثلاقي^(٥).
٣. مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني، (ت: ٥٧٩١هـ)^(٦).

ثانياً: تلاميذه:

أصبح الإمام محمد البخاري إمام عصره، وبرع في علوم كثيرة، كأصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، واللغة العربية، وعلم البيان، والمنطق، وغيرها. وعظم أمره بذلك عند ملوك عصره، وتصدر للإقراء ونشر العلم، فتتلمذ على يديه خلق كثير، ومن هؤلاء:

١. محمد بن أحمد بن الشهاب الأنصاري المحلي المعروف بجلال الدين المحلي (ت: ٨٦٤ هـ)^(٧).
٢. عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قاضي عجلون، (ت: ٨٦٥ هـ)^(٨).
٣. قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله الجمالي، (ت: ٨٧٩ هـ)^(٩).

المطلب الثالث: مصنفاته.

ذكرت كتب التراجم مصنفات قليلة للإمام العلاء البخاري، ولعل ذلك يعود إلى كون العلاء البخاري ممن اهتم بالتدريس والإقراء أكثر من التأليف، وهذه المصنفات هي:

١. فاضحة الملحدین وناصحة الموحدين^(١٠).
٢. الملجئة للمجسمة^(١١).

^(٣) ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، (٤: ٨٣)؛ السخاوي، الضوء اللامع (٩: ٢٩١).

^(٤) لم أعثر على ترجمة له.

^(٥) لم أعثر على ترجمة له سوى ما قاله عنه السخاوي في الضوء اللامع، (٤: ١٩٨).

^(٦) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، (٢: ٢٨٥)؛ البدر الطالع، للشوكاني، (٢: ٣٠٤، ٣٠٣).

^(٧) هو محمد بن أحمد بن الشهاب الأنصاري المحلي، آية في الذكاء والفهم، برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير والبيان والمنطق والحساب والفرائض، وتصدى للإفتاء والتدريس، من مؤلفاته: تفسير القرآن، شرح جمع الجوامع، توفي سنة ٨٦٤ هـ. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، (٧: ٣٩-٤١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب، (٩: ٤٤٨، ٤٤٧).

^(٨) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، (٥: ٢٦، ٢٥).

^(٩) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، (٦: ١٨٤-١٩٠)؛ ابن العماد، شذرات الذهب، (٩: ٤٨٧).

٣. رسالة إلى أهل الاعتقاد^(١٢).

٤. نزهة النظر في كشف حقيقة الإنشاء والخبر^(١٣).

٥. حاشية على حاشية التفتازاني على الكشف^(١٤).

٦. فتوى في حكم اجتماع النساء والرجال في مجالس الذكر^(١٥).

(١٥) - وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

المطلب الرابع: وفاته.

توفي الإمام العلاء البخاري - رحمة الله عليه بدمشق، في رمضان سنة ٨٤١ هـ، واختلف في التاريخ فقيل: اليوم الخامس^(١٦)، وقيل: يوم الخميس الثالث عشر^(١٧)، وقيل: يوم الخميس الثالث والعشرين من رمضان^(١٨).

المبحث الثاني التعريف بالمخطوط

المطلب الأول: اسم المخطوط ونسبته إلى مؤلفه.

جاء عنوان الكتاب على غلاف النسخة الخطية بـ (مركز الملك فيصل): رسالة في حكم اجتماع النساء والرجال في مجالس المشايخ الصوفية.

ويظهر لي - والله أعلم - أن هذا العنوان هو من المفهرس، وليس من المؤلف ولا الناسخ؛ لاختلاف الخطين اختلافاً بيئياً، ولوجود رقم النسخة عليها، وفهرسة المخطوطات من الأمور التي لم تكن موجودة في عصر المؤلف، وكتب بخط الناسخ في بداية المخطوط: هذا ما أفتى به سيدنا ومولانا وشيخنا القدوة الإمام العلامة مفتي المسلمين وبركتهم، الشيخ علاء الدين البخاري العجمي، فالناسخ لم يعنون للمخطوط.

وفي "خزانة التراث"، وهو فهرس للمخطوطات من إعداد مركز الملك فيصل، عُنون للمخطوط بـ: فتوى في حكم اجتماع الرجال والنساء للذكر.

وجاء في نسخة مكتبة (إسعاف النشاشيبي) في فهرس المخطوط^(١٩): سؤال وجواب في الفُصَّاص الذين يجلسون. وهذا الاختلاف يدل على عدم تنصيب الإمام على عنوان لفتواه، فترجَّح لديّ تسميته بعنوان: (فتوى في حكم

^(١٠) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع (٩: ٢٩٢)؛ وهو محقق في رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، للطلاب: محمد بن إبراهيم العوضي، سنة ١٤١٤ هـ.

^(١١) ينظر: الزركلي، الأعلام، (٤: ٤٧). وحققه الدكتور سعيد بن عبد الله فودة، وطبع في دار الذخائر ببغداد، عام ٢٠١٣م.

^(١٢) وحققه الدكتور سعيد بن عبد الله فودة، وطبع في دار الضياء بالكويت، ٢٠١٢م/١٤٣٣ هـ.

^(١٣) ينظر: الزركلي، الأعلام (٤: ٤٧). وحققه محمد حسن مصطفى البياتي، في رسالة دكتوراه بجامعة الموصل، سنة ٢٠٠٢م/١٤٢٣ هـ.

^(١٤) وهي مخطوطة بمكتبة الخديوية بالقاهرة، برقم حفظ: ١/١٦٨.

^(١٥) مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، برقم حفظ: ج ٢٦٣.

^(١٦) السيوطي، بغية الوعاة (٢: ٢٠٠).

^(١٧) السخاوي، الضوء اللامع (٩: ٢٩٤).

^(١٨) ابن حجر، إنباء الغمر (٤: ٨٧)؛ الشوكاني، البدر الطالع (٢: ٢٦٢).

^(١٩) إذ كان المخطوط مع مجموعة رسائل أخرى.

المطلب الرابع: نماذج من المخطوط.



الصفحة الأولى من النسخة (أ)



الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

اجتماع النساء والرجال في مجالس الذكر؛ فهو أوضح في العنوان، وأدل على محتوى الفتوى.

أما عنوان: (رسالة في حكم اجتماع النساء والرجال في مجالس المشايخ الصوفيّة) فهو يقيد العنوان بمجالس الصوفيّة فقط؛ فالأفضل اختيار وجه يجعله عامّاً أفضل من اختيار وجه يُقيّد بمجالس طائفة خاصة. أما بالنسبة للمؤلف رحمه الله، فهو كان متبّعاً لعقيدة أهل السنة والجماعة على منهج الأشاعرة، ومهتماً بشيء من التصوّف النقي الخالص. وعنوان: (سؤال وجواب في القصّاص الذين يجلسون) فقد يحدث فيه لبس على القارئ بين القصّاص المراد به القاصّ، والقصّاص المراد به القتل.

وقد ثبتت نسبة الكتاب إلى الإمام العلاء البخاري؛ إذ جاء في بداية المخطوط في نسخة مكتبة إسعاف النشاشيبي: (سؤال رفع للشيخ الإمام الفاضل العلامة شيخ مشايخ الإسلام أبو عبد الله، محمد بن محمد بن الشيخ علاء الدين البخاري).

المطلب الثاني: منهج المؤلف.

السبب في تأليف هذا المؤلّف هو: إجابة للمستفتي عن حكم حضور النساء لمجالس الذكر في المساجد، فأجاب المؤلف عن سؤال السائل ببناء الإجابة على القواعد الأصوليّة، ثم ذكر بعد ذلك الأحكام المترتبة على هذه القواعد والمتعلقة بسؤال المستفتي.

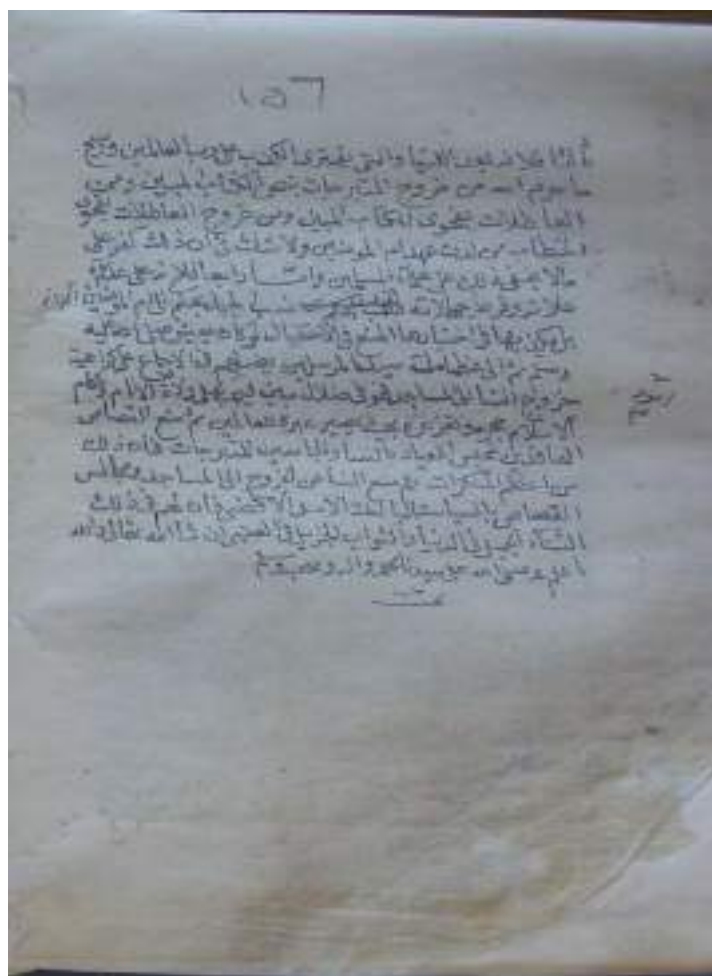
المطلب الثالث: وصف النسخ.

اعتمدت في نسخ المخطوط وتحقيقه على نسختين، وهما:

النسخة الأولى: مصدرها: الرياض، مركز الملك فيصل، وهي نسخة مصوّرة من جامعة الملك سعود، برقم حفظ (ج ٢٦٣/٤)، ورمزت لها بالرمز (أ). وهي مكتوبة بخط نسخ واضح، وعدد ألواحها (٥) ألواح، ومتوسط عدد الأسطر (٢٤) سطراً، في كل سطر (٧-٩) كلمات، نسخها: أحمد بن علي الأشموني، وكان الفراغ من نسخها: يوم الاثنين ٩٧١/٥/٤ هـ، وهي نسخة سالمة من التلف، وبها تعقيبة في نهاية كل لوح من الوجه (أ).

النسخة الثانية: مصدرها: القدس، مكتبة إسعاف النشاشيبي، ضمن مجموعة برقم حفظ (١٤٠/٨٢م) من ١٥٢-١٥٦، ورمزت لها بالرمز (ب)، كتبت بخط نسخ واضح، عدد ألواحها (٥) ألواح، ومتوسط عدد الأسطر (٢٣) سطراً، في كل سطر (٩-١١) كلمة، وهي نسخة سالمة من التلف، وبها تصحيح في آخر لوح منها.

الصفحة الأولى من النسخة (ب)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

القسم الأول: قسم التحقيق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين^(٢٠).

(سؤال رُفِعَ للشيخ الإمام الفاضل العلامة شيخ مشايخ الإسلام، أبي عبد الله، محمد بن محمد بن الشيخ علاء الدين البخاري- رحمه الله تعالى- وهو^(٢١)):

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين -رضي الله عنهم أجمعين- في أقوام من القُصَّاص^(٢٢) يجلسون في المساجد، ويجتمع عليهم الجُمُ الغفير من النساء، حتى يَغصَّ بهنَّ المجلس، وهو جالس على كرسي، وهنَّ جُلوسٌ بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله، وربما كنَّ بمفردهنَّ ليس معهنَّ أحدٌ من الرجال، وربما كان بالمجلس رجالٌ جالسون فيه معهنَّ، فهل هذا صواب؟ أو هو من الأمور المنكرة التي يجب على الحكام إنكارها وتغييرها، ومنع القُصَّاص منها، ومنع النساء من حضورها؟

وإن (احتجَّ)^(٢٣) أحدٌ من المتساهلين في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)^(٢٤) ^(٢٥) فهل هذه حجةٌ صحيحةٌ مُسوَّغةٌ لهذا الفعل والحالة هذه (أم)^(٢٦) لا؟

وهل يُثاب أولياء الأمور -وفقههم الله تعالى إلى طاعته- على إنكار ذلك والمنع منه؟
أفتونا مأجورين أثابكم الله الجنة وأمات (بكم)^(٢٧) البدعة، وأحيا السنة إن شاء الله تعالى.
(الجواب)^(٢٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)^(٢٩)، تيمناً باسم من بيده ناصية الصواب، ومفاتيح خزائن الحكمة وفصل الخطاب،

ممهداً لتأسيس الجواب أربع مقدمات، هنَّ أم الكتاب في ذلك الباب.

المقدمة الأولى: لا يخفى على معاصر أولي الألباب أنَّ الله تعالى [ب/١] قد نهى النساء من العجائز والشواحب عن التبرج، وهو الخروج عن بيوتهنَّ بزينة، وإظهار محاسنهنَّ للرجال، سواءً كان خروجهنَّ إلى المساجد أو إلى غيرها من المعاهد، بقوله تعالى: {ثُمَّ مِّنْ ثَمِيٍّ يُرْزِقُ مِنْهَا} [سورة الأحزاب: ٣٣].

كانت المرأة في الجاهلية الأولى، وهي جاهلية الكفر [أ/١]، تلبس الدرع من اللؤلؤ، وتمشي وسط الطريق، وتعرض نفسها للرجال. فمعنى (الآية)^(٣٠) والله أعلم: ولا تُحدثن بالتبرج جاهليةً تشبهنَّ بها بأهل الجاهلية الأولى، فالنهي عن التبرج لنساء النبي -عليه وعلى أزواجه الصلاة والسلام- بالمنطوق^(٣١) والعبارة^(٣٢)، ولسائر النساء بفحوى الخطاب^(٣٣) والدلالة^(٣٤).

ثم أكد الله تعالى نهى الشواحب عن التبرج بعد دخولهنَّ في النهي (عموماً)^(٣٥) بأن نصَّ على نهى العجائز عن التبرج في آية أخرى خصوصاً؛ ليدلَّ على نهى الشواحب مرة أخرى بالطريق الأولى، بقوله عزَّ اسمه: {يَخْشَى بِي يَئِى ذُرِّيَّتَهُ} [سورة النور: ٦٠]، ومعنى الآية والله أعلم: والعجائز اللاتي لا يطمعن أن يرغب فيهنَّ الرجال لكبرهنَّ لا بأس (عليهنَّ)^(٣٦) بطريق الرخصة أن يضعنَّ في خروجهنَّ عن بيوتهنَّ الجلباب، وهو القناع الذي يكون فوق الخمار. والعزيمة، وهي: أن يستعففنَّ بأن لا يضعنَّ الجلباب في خروجهنَّ عن بيوتهنَّ: خيرٌ لهنَّ. وهذه الرخصة لهنَّ إنما تكون إذا عليهنَّ خمار صفيق ضيق، ولا يكنَّ متبرجات بزينة.

(٢٠) ساقطة من: (أ).

(٢١) المنطوق: المعنى الذي دلَّ عليه اللفظ في محلِّ النطق قطعاً. ينظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، (٣: ٦٦)؛ ابن مفلح، أصول الفقه، (٣: ١٠٥٦).

(٢٢) العبارة، والمراد عبارة النصِّ، وهي: ما دلَّ عليه اللفظ، وسبق الكلام لأجله. ينظر: الشاشي، أصول الشاشي (ص ٩٩)؛ البخاري، كشف الأسرار، (١: ٦٧).

(٢٣) فحوى الخطاب: المعنى الذي دلَّ عليه اللفظ في غير محلِّ النطق. ينظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، (٣: ٦٦)؛ الزركشي، البحر المحيط (٥: ١٢٤).

(٢٤) الدلالة، والمراد دلالة النصِّ، وهي: "فهم غير المنطوق من المنطوق بسياق الكلام ومقصوده". البخاري، كشف الأسرار، (١: ٧٣). يظهر من التعريفات السابقة أن المنطوق وعبارة النصِّ، مترادفان في المعنى، وكذا فحوى الخطاب ودلالة النصِّ، لكن عبارة النصِّ ودلالته من تقسيم الحقيفة للدلالات والمنطوق وفحوى الخطاب من تقسيم عامة الأصوليين.

(٢٥) ساقطة من: (أ).

(٢٦) في (أ): لهنَّ.

(٢٠) ساقطة من: (ب).

(٢١) ساقطة من: (أ).

(٢٢) القُصَّاص: أصلها قصص، القَصَص بالفتح، الخبر المقصوص، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة آل عمران: ٦٢]. أي الخبر، وقص الأثر: تتبَّعه، والقاصُّ هو الذي يأتي بالقصة، وسُمِّي قاصّاً؛ لأنه يتتبع القصة الماضية ويأتي بها على وجهها.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (٧: ٧٤، ٧٣)؛ الفيومي، المصباح المنير، (٢: ٥٠٥) مادة: قصص.

(٢٣) ساقطة من: (أ).

(٢٤) ساقطة من: (أ).

(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسلٌ من النساء والصبيان وغيرهم، ٦/٢ (٩٠٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتَّب عليه فتنة، ولا تخرج متطيبة، (٣٢٧/١) (٤٤٢).

(٢٦) في (أ): أو.

(٢٧) ساقطة من: (أ).

(٢٨) ساقطة من: (أ).

(٢٩) ساقطة من: (ب).

قال الإمام النووي^(٤٨) -رحمه الله- في شرح مسلم: ^(٤٩) جواز خروج النساء المستفاد من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) مشروط بشروط، وهي: "أن لا تكون المرأة متطيبة، ولا متزينة، ولا ذات خلخل يسمع صوتها، ولا شابة"^(٥٠).

فأشار -رحمه الله- بجعله الشائبة قسيمة للمتزينة ونحوها، إلا أن الشائبة العاطلة، وإن لم تكن داخلة في النهي عن الخروج إلى [أ/٢] المساجد في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لعدم وجود علّة النهي فيها، وهو إيقاع الرجال في الافتتان بها؛ لفرط عفتها في تلك الأيام، فأصبحت الآن داخلة في النهي بفحوى الخطاب من (لن)^(٥١) عهد أم المؤمنين؛ لتحصيلها علّة النهي فيها بالاكتساب.

وإنما أطلق العلماء على خروج النساء اسم المكروه^(٥٢)، مع أن خروج المتبرجات منهى عنه منطوقاً، وخروج العاطلات من لدن عهد أم المؤمنين منهى عنه مفهوماً، والنهي يقتضي الحرمة^(٥٣)؛ لما تقرّر في أصول الفقه أن النهي عن الشيء إذا كان [ب/١] لذاته: يكون ذلك المنهي عنه قبيحاً لذاته وحرماً لعينه، ويطلق عليه اسم الحرام، كالزنى وشرب الخمر والسرقة. وإذا لم يكن لذاته، بل لأمر عارض مجاوز له، يصحبه ويفارقه في الجملة، كالسفر لقطع الطريق، والبيع وقت النداء، والصلاة في الأرض المغصوبة: يكون ذلك المنهي عنه قبيحاً لغيره (وحرماً لغيره)^(٥٤). ويطلق عليه اسم المكروه؛ لا لكونه غير حرام، بل تفرقة بين الحرامين^(٥٥).

وإنما نهى الله تعالى المتبرجات عن الخروج عن بيوتهنّ دون العاطلات^(٥٦)، فإنّ العجائز والشواّب العاطلات يخرجنّ في تلك الأيام إلى مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنّ علّة نهيهنّ عن التبرج -والله أعلم- الافتتان بهنّ، وقد كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- صفة العفة وسمّة العصمة غالبية [أ/١] على النساء، ولم يكن في خروجهنّ متصنعاتٍ لاجتلاب^(٥٧) [ب/١] قلوب الرجال، وكان الرجال في تصلّب^(٥٨) التجنّب عن اتباع الشهوات بأقصى غاية الكمال، بحيث لا يكاد يجتنبهم عن تجنّب اتباع الشهوات سوى الافتتان بالمتبرجات؛ لذلك كان النهي عن خروج النساء في عهد النبي -عليه السلام- مقتصرًا على المتبرجات، غير متجاوز إلى العاطلات.

ولما انقضى عهد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ما دامت السموات والأرضين، وتغير حال النساء من العفاف إلى الاعتساف^(٥٩) في عهد عائشة أم المؤمنين -رضي الله تعالى عنها- وأصبحت علّة النهي عن الخروج شاملة للمتبرجات والعاطلات، ولا خفاء (في)^(٦٠) أن عموم الحكم لعموم العلة^(٦١) من الواجبات، قالت لما رأتهم على خلاف ما كنّ في عهد النبي من الوصف الجميل: لو أدرك الرسول -صلى الله عليه وسلم- (ما أحدث)^(٦٢) النساء لمنعهنّ المسجد كما مُنعت (نساء)^(٦٣) بني إسرائيل.

فدخل^(٦٤) المتبرجات في النهي عن الخروج عجائز (و)^(٦٥) شاباتٍ بطريق المنطوق والعبارة، ودخل العاطلات (من)^(٦٦) الشواّب في ذلك النهي، إنما هو من عهد أم المؤمنين إلى عصرنا، بفحوى الخطاب والدلالة؛ ولهذا

^(٤٨) أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، شيخ الإسلام، ولد سنة ٦٣١هـ، كان زاهداً قنوعاً، متبحراً في فروع العلم، محرراً المذهب الشافعي ومهذباً، من مؤلفاته: منهاج الطالبين، روضة الطالبين، والمجموع. توفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: الإنصاف، طبقات الشافعية، (٢: ٢٦٦)؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص (٩٠٩-٩١٣).

^(٤٩) في (أ) زيادة: كذا.

^(٥٠) ١٦١/٤.

^(٥١) ساقطة من: ب.

^(٥٢) المكروه: هو ما كان الأولى عدم فعله، وتنقسم الكراهة عند الحنفية إلى قسمين: الأول: الكراهة التحريمية، وهي ما كان تركه أولى من فعله، وثبت دليل ظني، وهذا النوع حكمه حكم الحرام، يُثاب تاركه، ويعاقب فاعله، وهو المراد عند إطلاق لفظ المكروه في كتب الحنفية، والثاني: الكراهة التنزيهية، وإن كان تركها أولى من فعلها لكن لا يعاقب فاعلها ويثاب تاركها، وهذا القسم يقابل المكروه عند الجمهور.

ينظر: الزركشي، البحر المحيط، (١: ٣٩٣-٣٩٥)؛ العيني، البناية، (١٢: ٦٥/٦٦).

^(٥٣) ينظر: السمرقندي، ميزان الأصول، (ص ٢٣٥)؛ الأرموي، نهاية الوصول، (٣: ١١٦٩).

^(٥٤) ساقطة من: (ب).

^(٥٥) ينظر: الديبوسي، تقويم الأدلة، (ص ٥٢)؛ التفقازاني، التلويح على التوضيح، (١: ٤١٥).

^(٥٦) العاطلة هي ضد المتبرجة، أي المرأة التي لم تهتمّ بإبراز محاسنها ومفاتن جمالها، من التطيب والتزين، ولبس خلخل ذات أصوات.

^(٥٧) اجتلاب: أصلها جلب، وهو إحضار الشيء والإتيان به من مكانٍ لآخر. ينظر: ابن فارس، معاني اللغة، (١: ٤٦٩)؛ ابن منظور، لسان العرب، (١: ٢٦٨) مادة: جلب.

^(٥٨) التصلّب: من صلب، وهو الاستمسك بالشيء بقوة. ينظر: ابن فارس، معاني اللغة، (٣: ٣٠١)؛ ابن منظور، لسان العرب، (١: ٥٢٦) مادة: صلب.

^(٥٩) الاعتساف: جذرها، عسف، وأصل الكلمة يدلّ على: الظلم والجور والعنف، والعدول عن جادة الطريق، والمعنى الأخير هو المراد هنا. ينظر: الجوهري، الصحاح، (٤: ١٤٠٣)؛ ابن منظور، لسان العرب، (٩: ٢٤٦، ٢٤٥) مادة: عسف.

^(٦٠) ساقطة من: (ب).

^(٦١) ينظر: الشاشي، أصول الشاشي، (ص ١٠٤)؛ الأرموي، نهاية الوصول، (٣: ٨٦٩).

^(٦٢) في (أ): ما أجد من.

^(٦٣) ساقطة من: (ب).

^(٦٤) في (ب): فدخل.

^(٦٥) في (ب) أو.

^(٦٦) ساقطة من (أ).

ربِّ الأرض والسموات؛ إذا التقرب (إلى الله) (٦٩) بالمعصية كفر بإجماع الأمة.

المقدمة الثالثة: في (أنه جواز) (٧٠) خروج الشواب العاطلات إلى المساجد (من الأحكام) (٧١) المنتهية بانتهاه [ب/٢] علَّتها، لا من الأحكام المحكوم عليها بأبديتها؛ لما تقرّر في أصول الفقه أنّ الحكم إذا كان متعلّقاً بالشيء لذاته، كالوجوب المتعلّق بالإيمان، والحرمة المتعلّقة بالكفر (٧٢)، أو لصفة لازمة من صفاته كالحرمة المتعلّقة (٧٣) بالربويات (٧٤) فإنها متعلّقة بها لصفة لازمة للربويات، من القدر والجنس، أو الطعم والجنس، والافتقار والاختار، (٧٥) فهذا النوع من الحكم يكون مؤبداً إلى يوم الدين، [أ/٣] ويجوز (الاستدلال) (٧٦) بالنصّ الدالّ عليه في كلّ وقت وحين. وأمّا إذا كان الحكم متعلّقاً بالشيء لصفة عارضة له (زائلة) (٧٧) عنه، فهذا النوع من الحكم لا يكون مؤبداً، بل يكون منتهياً بانتهاه علَّته (٧٨)، وبعد انتهاء العلة لا يجوز (الاستدلال) (٧٩) على بقاءه بالنصّ الذي أثبتّه أولاً واتخذه تعليلاً؛ فإنّ انتهاء العلة أخرجه عن أن يكون حجة ودليلاً، وذلك كالجواز المتعلّق بصرف الإمام إلى المؤلفة قلوبهم (٨٠) سهمًا من الصدقات، فإنّ ذلك التعلّق إنما كان لصفة عارضة للإمام (زائلة) (٨١) عنه، وهو افتقاره إلى تألفهم في مبادئ الإسلام، وفي حال ضعف شوكته، فلما قويت شوكته، واستغنت عن تألفهم قوّته؛ سقط سهم المؤلفة قلوبهم بانتهاه علَّته، وحينئذ لم يجز لأحد أن يتخذ قوله تعالى: {نَجِدُكُمْ} [سورة التوبة: ٦٠]، على بقاء سهم المؤلفة تمسكاً وتعليلاً؛ لأنّ انتهاء العلة قد أخرجه (٨٢) عن أن يكون حجةً ودليلاً.

والنهي عن خروج النساء من هذا القبيل؛ فإنّ النهي (عنه) (٥٦) ليس لذاته، بل لأمر عارض له (ومجاور) (٥٧) يصحبه ويفارقه في الجملة، وهو إيقاع الرجال في الافتتان بهنّ؛ فإنّ الخروج قد يكون بدون الإيقاع في الافتتان بهنّ إذا لم يكن هناك رجل، وقد يكون إيقاع الافتتان بهنّ بدون الخروج؛ فلذلك أطلقوا عليه اسم المكروه، ولم يطلقوا اسم الحرام. فإطلاق اسم المكروه لا يُخرجه من أن يكون حراماً، وإنما يُخرجه من أن يكون حراماً لعينه.

المقدمة الثانية: (في أنّ) (٥٨) عقد هؤلاء الفُصّاص [أ/٢] الجاهل مجلس الميعاد للنساء في المساجد وغيرها من (المعاهد منهيّ عنه) (٥٩) حرام في دين الإسلام (٦٠)؛ لما تقرّر في أصول الفقه (٦١) أنّ السبب (المفضي) (٦٢) إلى شيء يقام مقام ذلك الشيء؛ احتياطاً في الحرمات والعبادات (٦٣)، كما في تحريم دواعي الوقاع من المسّ والتقبيل والنظر بشهوة؛ فإنها أقيمت مقام (الزنى) (٦٤) في الحرمة إذا كانت مع الأجنبية، وأقيمت مقام الوطء في الحرمة حالة الاعتكاف والإحرام إذا كانت مع الزوجة والأمة. ثمّ إنه لا خفاء في أنّ خروج النساء متبرجات كما هو دينهنّ (أي عاداتهنّ) (٦٥) في الخروج (من) (٦٦) بيوتهنّ لإظهار الجمال، واختلاطهنّ مع الرجال، واختلاؤهنّ (٦٧) مع ذلك القاصّ نائب الدجال حرام، فيكون عقد مجلس الميعاد المفضي إلى هذه المحرمات حراماً في ملة الإسلام، ويكون ذلك (القاصّ) (٦٨) مرتكباً لعدة من الذنوب والآثام. هذا إذا لم يعتقد بجهله أنّ عقد ذلك المجلس من جملة القربات، فإذا اعتقد ذلك فقد كفر

(٥٦) في (أ): فيه.

(٥٧) في (ب): مجاوز. ولعله تصحيف من الناسخ، إذ المراد المعنى الملتصق به.

(٥٨) في (أ): فإن.

(٥٩) في (أ): المعاهدة منهن.

(٦٠) ينظر: الزيلعي، تبیین الحقائق، (١: ١٣٩)؛ مثلاً خسرو، درر الحکام، (١: ٨٦).

(٦١) في (أ) زيادة: و.

(٦٢) في (أ) المقتضي.

(٦٣) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، (٥: ٢٦٩)، (٧: ٢٤٨)؛ لابن نجيم، البحر الرائق، (١: ٩).

(٦٤) ساقطة من: (أ).

(٦٥) ساقطة من: (أ).

(٦٦) في (أ): عن.

(٦٧) في (أ) واختلاهنّ.

(٦٨) ساقطة من: (أ).

(٦٩) ساقطة من: (ب).

(٧٠) في (ب): جواب.

(٧١) ساقطة من: (ب).

(٧٢) أي إن الإيمان لذاته فرض واجب، بينما الكفر لذاته حرام وممنوع.

(٧٣) في (أ) زيادة: برب.

(٧٤) أي الأشياء التي يجري فيها الربا، وهي ما كانت داخلة في القدر والجنس، يعني إذا كان الشئان من جنس واحد، وكان كلاهما يباع بالوزن أو الكيل؛ فإنّ يجب فيها المماثلة، وأن يكون كلاهما نقداً. فلو كان أحد العوضين زائداً عن الآخر أو كان نسيئة، فهو يكون رباً محرماً.

(٧٥) هذه إشارة إلى علة الربا في الأصناف الربويّة.

(٧٦) في (أ) الاستبدال، والمثبت أصح بدلالة السياق.

(٧٧) في (أ) زائدة، والمثبت أصح.

(٧٨) ينظر: الزيلعي، تبیین الحقائق، (١: ٢٩٦)؛ البابرتي، العناية شرح الهداية (١: ٤٩٣).

(٧٩) في (أ) الاستبدال.

(٨٠) فيه إشارة إلى كلمة (المؤلفة قلوبهم) التي ذكرها الله- تبارك وتعالى- ضمن مصارف الزكاة والصدقات الواجبة قائلاً: {يُرِيكُمْ يَوْمَ يَمُنُ بِهِ نَجِدُكُمْ} [سورة التوبة: ٦٠]، والنبي- صلى الله عليه وسلم- عمل بهذه الآية، وأعطى نفراً منهم الزكاة والصدقات. ولكن سيدنا عمر- رضي الله عنه- في عهده لم ير إعطاء الزكاة لهم من المصارف؛ لعدم الحاجة إلى تأليفهم؛ نظراً إلى انتشار الإسلام وقوته. وهو ما جرى عليه عمل الأمة بعد ذلك. وإلى هذا أشار الإمام العلاء البخاري- رحمه الله- في هذه العبارة وما يليها.

(٨١) في (أ) زائدة.

(٨٢) في (أ) أخرجه.

وكذلك (الجواز المتعلق)^(٨٣) بخروج النساء إنما كان لصفة عارضة لهن زائلة عنهن، وهي: (العفة)^(٨٤) والعصمة التي كانت لهن في عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وقد زالت هذه الصفة في عهد أم المؤمنين (منهن)^(٨٥) حتى قالت رضي الله عنها: (لو أدرك الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء لمنعهن من المسجد كما (منعت)^(٨٦) نساء بني إسرائيل)^(٨٧)، فلو أنها - رضي الله عنها - سمعت من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن منع نساء بني إسرائيل من المسجد، إنما كان لتغيير حالهن من الصلاح إلى [ب/٣] الفساد، وعلمت - بجلالة قدرها في الفقه والاجتهاد - أن جواز خروج النساء من المسجد ليس [أ/٣] من الأحكام المؤبدة، بل هو من الأحكام المنتهية بانتهاء العلة، كسهم المؤلفة؛ لما قطعت بمنع الرسول نساء زمانها عن المسجد بلا ريب؛ فإن القطع بدون ذلك من قبيل علم الغيب، (حاشاها من أن تكون راجمة بالغيب، وأنه يلزم أن تكون كاذبة، ومن نسب الكذب إلى أم المؤمنين، فهو في ضلال مبين، ومن جهال قوم عمين)^(٨٨).

ولولا (أن)^(٨٩) (عظماء)^(٩٠) الملة وعلماء الأمة فهموا من قوله عليه الصلاة والسلام: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)، ما فهمت أم المؤمنين من أن جواز خروجهن إلى المسجد، من الأحكام المنتهية بانتهاء علقته، لا من الأحكام المؤبدة إلى يوم الدين، لما أجمعوا على عدم جواز خروج الشواب (المتبرجات)^(٩١) والعاطلات، وعلى عدم جواز خروج العجائز المتبرجات^(٩٢)، مع أن ظاهر قوله عليه الصلاة والسلام، يجيز خروج جميع النساء إلى المساجد، عجائز وشابات، متبرجات وعاطلات، لكن لا عبرة بالظاهر إذا عارضه قاطع نص الكتاب وفحوى خطابه^(٩٣).

(فظهر بما قررنا أن المتمسك بالأثر عن أم المؤمنين، ليس من قبيل المتمسك بقول الصحابي، على ما سبق، إلى أوهم الجهلاء، قائلين بأن الحديث لا يترك بقول أم المؤمنين؛ لعدم شعوره بأن قول الصحابي المختلف في كونه حجة، هو ما يقوله باجتهاده، مثل أن يقول: تمنع النساء من المساجد، لا ما يسند إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال بمنعهن من المسجد بلا استدلال، بما لو عاش النبي - صلى الله عليه وسلم - لكان يفعله في الاستقبال بإخبار الصحابي، فإن إخبار الصحابي عن فعل النبي في الماضي، أو في الاستقبال لو كان يعيش: مثل روايته الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، غير أن إخبار الحديث إخبار عن فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في الماضي، وهذا إخبار [ب/٣] عن فعله لو كان يعيش في الاستقبال.^(٩٤)

والنهي عند المحققين لا يفيد دوام الحرمة، وإنما هو للقدر المشترك بين المدة والدوام. وعند القائلين بالدوام وليس نصاً فيه، وإنما ظاهر فيه، فإذا عارضه ما يمنع عند الدوام، فنفي الدوام متيقن^(٩٥)، والمعارض له هنا هو: أنه لو حمل حرمة المنع المستفاد من النهي في الحديث على الدوام، يلزم منه تكذيب أم المؤمنين في الإخبار عن سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - لو كان يعيش في الاستقبال، وكون إجماع الأمة على كراهة خروج النساء إلى المساجد على الضلال^(٩٦).

(لكن المطلع على هذه الدقائق إنما هم) العلماء دون الجهال السفهاء، والذين هم لألفاظ الحديث ظرف ووعاء، وعن قواعد العلم صفر وخواء. فإذا كان علياً جواز خروج النساء إلى المساجد زائلة عنهن في عهد أم المؤمنين، مع أن ذلك العهد من خير القرون، ما ظنك بزوالها عن نساء زماننا المشحون^(٩٨) بالفسوق والفجور والمجون؟! فيكون

أي الفعل الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ورآه الصحابي فرواه كما رأى، فهذا ولا شك نوع من الحديث الفعلي المقبول، إذا ما صح سنده. والقسم الثاني: الفعل المستقبلي، أي الفعل الذي لم يكن موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأوكان على غير الصورة التي حدثت لاحقاً، فيظن أحد من الصحابة باجتهاده الشخصي، ولمعرفته بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيحكم على ذلك الأمر بحكم على أساس أن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان حياً ورأى هذه الصورة، لم يكن حكمه إلا هذا. وهذا إسناد فعلي، ولكن ليس على أساس الواقع، بل على أساس الفرضية ومعرفة المنهج. وفي القضية الجارية أيضاً الأمر هكذا؛ إذ السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنكرت على خروج النساء للصلوات، ونسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على تقدير أنه لو كان قد رأى تغيير حالة النساء في الحجاب والعفاف لمنع هو، صلى الله عليه وسلم، أيضاً ولم يسمح لهن بالخروج إلى المساجد للصلوات.

^(٩٥) ينظر: الإسنوي، نهاية السؤل، (ص ١٧٨)؛ الزركشي، البحر المحيط، (٣: ٣٧٠-٣٧٣).

^(٩٦) ساقطة من: (أ).

^(٩٧) في (أ): لكن إنما يعرف ذلك.

^(٩٨) في (ب): المشحونون.

^(٨٣) في (ب): المتعلق بجواز المتعلق.

^(٨٤) في (ب) الصفة.

^(٨٥) في (أ): من هذا الجيل.

^(٨٦) في (ب): صنعت.

^(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغسل، (١: ١٧٣) (٨٦٩)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب منع نساء بني إسرائيل المسجد، (١: ٣٢٨) (٤٤٥).

^(٨٨) ساقطة من: (أ).

^(٨٩) ساقطة من: (ب).

^(٩٠) في (أ): علماء.

^(٩١) ساقطة من: (ب).

^(٩٢) ينظر: النووي، روضة الطالبين، (٧: ٢١)؛ أبو بكر زيد، حراسة الفضيلة، (ص ١٧٣).

^(٩٣) أراد بذلك قوله تعالى: {ثُمَّ مِّنْ مَّيْمَنٍ مِّنْ يَّمِينٍ مِّنْ يَّمِينٍ} [سورة الأحزاب: ٣٣].

^(٩٤) المصنف - رحمه الله - يثبت بهذه العبارة أن الصحابي حينما ينسب الأمر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فله صورتان: الفعل الماضي:

والمقدمة الثانية: (قاطعة)^(١٠٥) بأن ذلك القاص بعقد مجلس الميعاد للنساء كان فاجراً ملوماً.

والمقدمة الثالثة: ناطقة بأن من اعتقد جواز خروج النساء إلى المساجد من الأحكام المؤبدة إلى يوم الدين، وأن قوله عليه السلام: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) لم ينته حكمه بانتهاه علته، ولم يبق حجةً ودليلاً من لدن عهد أم المؤمنين، فهو أجهل الجاهلين.

والمقدمة الرابعة: (منادية)^(١٠٦) بوجوب الحجر على الجهلاء المتمسكين بهذا الحديث لجواز خروج النساء؛ ولأنهم يرتكبون- بهذا التمسك والإفتاء- أموراً محرمةً منهياً عنها في الشريعة المطهرة المحمدية.

أما أولاً: فلأن المقلد محجور في إثبات الحكم عن التمسك بالحديث. ولا يبالي بفك حبر الشرع وهتكه هذا الجاهل الخبيث.

وأما ثانياً: فإنه مع كونه مقلداً محجوراً عن التمسك بالحديث وأخذه (تعليلاً)^(١٠٧) يتمسك بما لا يجوز التمسك به للمجتهد أيضاً، وهو ما انتهى حكمه بانتهاه علته، ولم يبق حجةً ودليلاً. وأما [ب/٤] ثالثاً فلأنه بعد اللتيا والتي يفترى الكذب على رب العالمين، ويبيح ما حرم الله من خروج المتبرجات بنص الكتاب المبين،^(١٠٨) (ومن)^(١٠٩) خروج العاطلات بفحوى الخطاب من لدن عهد أم المؤمنين، ولا شك في أن ذلك كفر، على ما لا يخفى [أ/٥] ذلك على علماء المسلمين.^(١١٠)

وأما رابعاً: فلأنه على عدة (علاته)^(١١١) وفرط جهالاته، ينسب الجهل بحكم الدين (إلى)^(١١٢) أم المؤمنين (بل يكذبها في اختيارها المنع في الاستقبال، لو كان يعيش صلى الله عليه وسلم)^(١١٣) ثم إلى عظماء ملة سيد المرسلين،

النهي لهم في هذا الزمان عن الخروج إلى المساجد، وإلى مجالس هؤلاء القصاص الذين هم جند الوسواس الخناس بأشد النهي أوجب وأولى.

ولهذا قال العلامة النسفي^(٩٩) -رحمه الله- في الكافي: والفتوى في زماننا على كراهة خروج النساء مطلقاً إلى كل الصلوات [أ/٤] عجائز وشابات؛ إذ لكل ساقطة لاقطة عند فساد الزمان. ثم قال: ومتى كره حضورهن المسجد للصلاة، فلان يكره حضورهن مجالس الوعظ، خصوصاً عند هؤلاء الجهلاء الذين تحلوا بحلية العلماء أولى^(١٠٠)، والمراد بالكرهية عند الإطلاق كراهة التحريم^(١٠١).

المقدمة الرابعة: فقد تقرّر في أصول الفقه أن كل من كان رقبته في (ريقة)^(١٠٢) التقليد فهو محجور عن إثبات الحكم بالتمسك بالحديث المخالف لمذهب من قلّده، وإن كان الحديث [ب/٤] صحيحاً مثبتاً في الأسانيد؛ وذلك لأن أئمة علم الحديث، إنما يودعون في مسانيدهم وصحاحهم ما صحّ صدره عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أقواله وأفعاله من غير التفات إلى (أن)^(١٠٣) ما صحّ صدره عنه منسوخ أو مرجوح أو مصروف، عن الظاهر أو منته حكمه بانتهاه علته؛ ولذلك ترى كتب علم الحديث مشحونة بأمثال هذه الأحاديث، (والكاف)^(١٠٤) بمعرفة هذه الأمور إنما هم المجتهدون لا المقلدون، ومن تمسك بالحديث بدون الشعور بهذه الأمور، فأولئك هم الجاهلون المعتدون المفسدون.

وبما ذكرنا من المقدمات المبيّنة بالحجج والبيّنات، يظهر على معاشر العلماء ظهور الشمس في كبد السماء، أن:

المقدمة الأولى: قاطعة بعدم جواز خروج نساء [أ/٤] زماننا إلى المساجد، بدليل الكتاب المبين منطوقاً ومفهوماً.

(٩٩) النسفي هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، برع في الأصول والفقه والحديث والتفسير، وله تصانيف عدة، منها: الوافي وشرحه الكافي، كنز الدقائق، المنار في أصول الفقه، توفي سنة ٧١٠ هـ. ينظر: ابن قطلوبغا، تاج التراجم، (ص ١٧٥)؛ اللكنوي، الفوائد البهية، (ص ١٠١).

(١٠٠) من لا خسرو، درر الحكام، (١: ٨٦)؛ ابن نجيم، البحر الرائق، (١: ٣٨٠).

(١٠١) ينظر: العيني، البناية، (١٢: ٦٦)؛ ابن نجيم، البحر الرائق، (١: ١٣٧).

(١٠٢) في (أ): زيق.

ومعنى ريقة: الريق ما يربط به الشيء كحل أو قيد. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (٢: ٤٨١)؛ ابن منظور، لسان العرب، (١٠: ١١٢-١١٤). واستعارها هنا للتقليد، يعني: من كان مقلداً لغيره غير مجتهد ولا ناظر في الأدلة.

(١٠٣) ساقطة من: (ب).

(١٠٤) في (ب): الكافي.

(١٠٥) في (أ): ناطقة.

(١٠٦) في (ب): مفاديه.

(١٠٧) في (ب) تقليلاً. لعله تصحيف من الناسخ.

(١٠٨) في (ب): زيادة: ومن العاطلات بفحوى الكتاب المبين. ساقطة من: (أ). ولم أُنَبِّها لأنها في معناها موجود في العبارة التالية.

(١٠٩) في (أ): ليس.

(١١٠) اللتيا والتي هي بمنزلة المثل، يعني بعد كل ما سبق. وحاصل هذه الفقرة: أن الشخص الذي يسمح بخروج النساء إلى المساجد، وتحديدًا ذاك الواعظ الذي ورد بشأنه هذا السؤال، هو: ينسب الكذب إلى الله تبارك وتعالى بنسبة الحكم الخطأ إليه؛ لأنه يرى جواز خروج النساء، مع أن النساء لو كنّ متبرجات فخروجهن حرام؛ لأجل نص القرآن الكريم، ولو لم يكن متبرجات فخروجهن أيضاً ممنوع لأجل مفهوم الآية الكريمة، الذي أشارت إليه السيدة عائشة، بأن حالة النساء في العفاف تغيرت بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هذا فإن الشخص الذي يرى جواز خروجهن إلى المساجد، كأنه ينسب جوازه إلى الله تعالى، مع أنه غير جائز في الشريعة الإسلامية. وكل من يحكم بالأمر الحرام أنه جائز فهو يصبح كافراً.

(١١١) في (أ): علانية.

(١١٢) ساقطة من: (أ).

(١١٣) ساقطة من: (أ).

لشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٥. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠ هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.

٦. البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

١٠. تاج التراجم، المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطْلُوبغا السوداني (نسبة إلى معقوت أبيه سودون الشيوخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩ هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

١١. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلْبِيّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشُّلْبِيّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ.

١٢. تقويم الأدلة في أصول الفقه، المؤلف: أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، المحقق: خليل محيي الدين الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق

(يضلهم في الإجماع على كراهية خروج النساء إلى المساجد، فهو في ضلال مبين) (١١٤).

فيجب على ولاة أمور الأنعام (و) (١١٥) حكام الإسلام حجره وتعزيره، بحيث يصير عبرة للعالمين، ثم يمنع الفُصَّاصُ العاقدین لمجلس الميعاد للنساء والجامعين للمتبرجات، فإنَّ ذلك من أعظم المنكرات، ثم منع النساء عن الخروج إلى المساجد (ومجالس الفُصَّاصِ) (١١٦) (بالسياسة) (١١٧) البالغة (إلى) (١١٨) الأمد الأقصى، فإنَّ لهم في ذلك الثناء الجميل في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى (إن شاء الله تعالى، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. تمت) (١١٩). [ب/٥]

والخاتمة:

من النتائج التي توصلت إليها:

- أن تراثنا الفقهي مليء بالدرر، ويحتاج إلى إدانة البحث و إجابة النظر، وأن الحكم يتباين بتباين الزمان والمكان، وأن المفتي يجب عليه أن يكون حيًا بين الناس، وألا يكون في معزلٍ عن واقعهم؛ فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.
- أنه ينبغي أن تكون صناعة الفتوى - استفتاء وإفتاء - صناعة محكمة متقنة منضبطة بضوابط الشرع.

وأما التوصيات التي أوصي بها نفسي والباحثين:

- ١- أوصي باستدامة التنقيب في التراث الفقهي لاستخراج جواهره ودرره، ودراسته بعقلية واعية وفهم معاصر لإبراز مكامن العظمة فيه
- ٢- أوصي بإقامة دورات تدريبية في كيفية صناعة الفتوى المنضبطة التي تجمع بين فقه الدليل وفقه الواقع، وتتمثل فيها روح التيسير ونفي الحرج وسماحة الشريعة.

المراجع:

١. الأحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١ هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتبة الإسلامية، بيروت - دمشق - لبنان.
٢. أصول الشاشي، المؤلف: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: ٣٤٤ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
٣. أصول الفقه، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣ هـ)، حققه وعلّق عليه وقَدَّم له: الدكتور فهد بن محمد السدحان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٤. إنباء الغمر بأبناء العمر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى

(١١٨) ساقطة من: (أ).

(١١٩) وبالله التوفيق والهداية، وعليه التوكّل في البداية والنهاية، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[أ/ب]

(١١٤) ساقطة من: (أ).

(١١٥) ساقطة من: (أ).

(١١٦) ساقطة من: (أ).

(١١٧) في: (أ) بالنيابة.

بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة: الأولى، ١٣٢٤ هـ.

٢٦. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٧. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

٣٢. ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقاً)، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٣٣. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٤. نهاية الوصول في دراية الأصول، المؤلف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (٧١٥ هـ)، المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، الناشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٤. جَرَسَةُ الْفُضَيْلَةِ، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الحادية عشر، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٥. خزانة التراث - فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل.

١٦. درر الحكام شرح غرر الأحكام، المؤلف: محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا - أو منلا أو المولى - خسرو (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٧. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

١٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٩. شرح التلويح على التوضيح، المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: ٧٩٣ هـ)، الناشر: مكتبة صبيح بمصر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢٢. طبقات الشافعية، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ م.

٢٣. طبقات الشافعيين، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٤. العناية شرح الهداية، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابر تي (المتوفى: ٧٨٦ هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٥. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، المؤلف: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية – دورية – محكمة – مصنفة دولياً

Hybridization between the human and robotic brains and its impact on eligible Muslims.

التهجين بين العقل البشري والآلي وأثره على المكلف.

Dr. Hanadi Rasheed Rasheed AL: Saadi*

*Associate Professor - Islamic Jurisprudence and its Principals - Islamic Studies Department - Faculty of Arts and Human Sciences - Taiba University.

د. هنادي بنت رشيد بن رشيد الصاعدي*

*الأستاذ المشارك في الفقه وأصوله في قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة.

E-mail: hanadirasheed@hotmail.com

KEY WORDS

Hybridization; human brain; robotic brain; eligibility.

الكلمات المفتاحية

التهجين، العقل البشري، العقل الآلي، المكلف.

ABSTRACT

Title: Hybridization between the human and robotic brains and its impact on eligible Muslims.

Objective: To demonstrate the effect of hybridization between the human and robotic brains, whether for the purpose of treatment or reinforcement of eligible Muslims.

Findings: Hybridization between the human and robotic minds means: mixing electronic chips equipped with artificial intelligence in the human brain for treatment or increasing efficiency. If this hybridization is for the purpose of treatment, it is permissible in (and is actually ordered by) Sharia. But if the hybridization - in its current form – aims to enhance mental abilities and amplifying them further than we were born with as humans, it cannot be approved by Sharia, because of the prohibitions it entails.

Recommendations: All governments and international organizations should unite to ensure that these projects do work for the benefit of humanity, without tampering with moral values and religious principles, which have always ensured the preservation of human dignity and unique personality. The research recommends the need to join hands in studying the new calamities affecting both the eligible Muslims and the legitimate authority.

مستخلص البحث:

عنوان هذا البحث: التهجين بين العقل البشري والآلي وأثره على المكلف.

هدفه: بيان أثر التهجين بين العقل البشري والآلي سواء كان التهجين بهدف العلاج أو التعزيز على المكلف.

وأهم نتائجه: أن التهجين بين العقل البشري والآلي يعني: مزج الشرائح الإلكترونية المزودة بالذكاء الاصطناعي في الدماغ للعلاج أو زيادة الكفاءة، وأن التهجين بين العقل البشري والآلي إذا كان بهدف العلاج جائز شرعاً، وهو من باب التدابي المأمور به شرعاً، وأن التهجين بين العقل البشري والآلي إذا كان بهدف تعزيز القدرات العقلية، وتضخيمها أكثر مما نولد به كبشر - بصورته الحالية - أمر لا يمكن إقراره شرعاً، لما ينطوي عليه من المحظورات.

ويوصي البحث: بضرورة اتحاد المجتمع الدولي وصانعي السياسات للاتفاق على ضوابط تضمن لهذه المشاريع أن تتقدم لصالح البشرية دون عبث بالقيم الأخلاقية، والمبادئ الدينية، التي تكفلت بحفظ كرامة الإنسان وصيانة شخصيته، ويوصي البحث أيضاً الباحثين بضرورة التكايف في دراسة ما يستجد من نوازل تؤثر على المكلف والتكليف الشرعي.

المقدمة

الحمد لله الذي كَرَّمَ الإنسان بالتكليف بما وهبه من العقل، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والعدل، وعلى آله وأصحابه أهل العلم والفضل، أما بعد:

فإنَّ موضوع المكلف وشروطه مما اعتنى به الأصوليون، واختص الله عزَّ وجلَّ الإنسان بالتكليف لتميَّزه بالعقل عن سائر المخلوقات. وللعقل في الإسلام رتبةً سيِّئةً ومكانةً عليَّةً، مَنْ تَنَبَّعَ نصوص الكتاب والسنة وجد - والله الحمد والمثنة - برهان ذلك واضحاً، فقد تجلَّى تكريم الإسلام لعقل الإنسان بأن جعله مناط التكليف، كما ورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يَفِيْقَ"^(١).

وكثيراً ما يختم الحق تبارك وتعالى آيات ذكَّره الحكيم بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ليبين سبحانه لعباده أنهم لو وظَّفوا عقولهم للتوظيف الصحيح بالتفكير في حالهم ومآلهم، لأرشدتهم عقولهم بتوفيق الله تبارك وتعالى إلى معرفة الحق وسلوك الطريق المستقيم.

وقد بذل العلماء والمخترعون جهداً كبيراً لإيجاد عقل اصطناعي شبيه بالعقل البشري، به تتمكن الآلات من التمتع بقدرات فكرية مساوية لقدرات البشر أو متفوقة عليها؛ ليتم توظيفها في مهام لم تنزل إلى وقت قريب حكراً على الإنسان، ثم تطوَّر الأمر إلى أن وصل إلى فكرة غرس هذا النوع من الآلات في الدماغ البشري سواء للعلاج أو لتعزيز قدرات الإنسان، والعمل على التهجين بين العقل البشري والآلي، وتطرَّق اليوم إلى مسامعنا بدء غرس هذه الشرائح في الدماغ.

ولكشف الغطاء عن هذا الموضوع وجدَّته، رأيت البحث فيه بعنوان: **(التهجين بين العقل البشري والآلي وأثره على المكلف)**، وأسأل الله فيه العون والتوفيق.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. ما سبق بيانه من أهمية المكلف، وأنه من المباحث التي اعتنى الأصوليون بها.
٢. أن مُتَعَلِّقَ تكليف الإنسان هو (العقل)، وكل ما يطرأ عليه يجب أن يكون محل الاهتمام.
٣. ما أنتجه التطوُّر في عصرنا الحاضر من إمكانية غرس شرائح في الدماغ بهدف العلاج أو تعزيز القدرات العقلية، ومدى تأثيرها على المكلف.
٤. ندرة الدراسات الأصولية في هذه المسألة.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في: أن أنظمة العقل الآلي التي اقتحمت حياة البشر في العديد من المجالات، وأصبحت هي التي تعمل وتفكر وتجد الحلول نيابة عن الإنسان خارجاً عن جسده، وأثارت العديد من المسائل حولها، وأهليتها، ومن المسؤول عما تقوم به؟ وازداد الأمر تعقيداً عند محاولة دمج هذه الأنظمة في جسد الإنسان، ومحل البحث ما يتمَّ غرسه في الدماغ سواء للعلاج أو التعزيز، وهل لها تأثير على المكلف؟

هدف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أثر التهجين بين العقل البشري والآلي سواء كان التهجين بهدف العلاج أو التعزيز على المكلف.

صعوبات البحث:

- ٥ ما صرَّحت به الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا) بـ "أنه مع الانتشار الواسع لتقنيات الذكاء الاصطناعي وكثرة الحديث عن قدراتها، إلا أنها ما زالت محفوفة بالغموض أو المبالغة التي قد ترفع مستوى التوقعات وتكون صورة غير واقعية، وهذا يجعل فهم الذكاء الاصطناعي وتقنياته وحقيقة إمكاناته غير واضحة المعالم لدى كثير من متخذي القرار أو التنفيذيين في القطاعات الحكومية والخاصة"^(٢).
- ٥ قلَّة الدراسات عن كيفية التهجين، وكذلك أثرها على العقل حقيقة.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على التهجين باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وما يتبعها من تقنيات بين العقل البشري والآلي فقط، والتي بدأ وجودها بالفعل، والمتوقع انتشارها في غضون العقدين القادمين، حيث توجد أنواعاً أخرى من التهجين بين الآلات والبشر تهدف إلى تضخيم القوة البدنية، وأخرى لإطالة الحياة، وهي خارجة عن الدراسة، وكذلك خارج عن محل الدراسة تقنيات التهجين والتعزيز المعتمدة على التدخلات الجينية التي لا دخل للذكاء الاصطناعي فيها، كالتعزيز بالأدوية، وتحرير الجينات، وتعديل الصفات الوراثية، وغيرها من أدوات الهندسة الوراثية التي كثر الحديث عنها في الماضي.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة تخص مسألة البحث، ولكن توجد دراسة بعنوان: (التعديلات البيولوجية على الجسد الإنساني من خلال الذكاء الاصطناعي: منظور ديني) من

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرک، ٦٧/٢، وقال ابن الملقن: هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام، البدر المنير، ٢٢٥/٣.

(٢) ينظر: أهمية الذكاء الاصطناعي، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا)، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٣/٢٠ هـ من موقع: <https://sdaia.gov.sa>.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، برقم (٤٣٩٨)، ١٣٩/٤، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الطلاق، من لا يقع طلاقه من الأزواج، برقم (٥٥٩٦)، ٢٦٥/٥، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، برقم (٢٠٤١)، ٦/١، واللفظ له.

التهجين لغة: مصدر هَجَّنَ يَهْجُنُ، تهجينًا، فهو مُهَجِّنٌ، والهجنة من الكلام: المعيب المستقبح، ويطلق على العربي ابن الأمة (هجين)؛ لأنه معيب (٣).

ويطلق التهجين في الاستعمال المعاصر على: مزج السلالات، وهو عبارة عن تدخّل بشريّ في إنتاج الحيوانات أو النباتات وغيرها؛ لضمان الحصول على الصفات المرغوب فيها لدى الأجيال القادمة، وما ينتج عن هذا التزاوج يكون مختلفًا عنهما، مثل: البغل نتج من تزاوج الفرس والحمار (٤).

ويمكن تعريف التهجين بأنه: مزج السلالات بتدخل بشريّ؛ لضمان الحصول على الصفات المرغوب فيها. **المبحث الثاني: العقل البشري، تعريفه، محله، وتفاوتته بين الناس:**

والمقصود به هو عقل الإنسان، ويطلق العقل في اللغة على معانٍ متعددة، منها:

١. الْحَجَرُ وَالنَّهْيُ: ضِدُّ الْحَقِّقِ.
٢. الْجَمْعُ، يقال: رَجُلٌ عَاقِلٌ، أي: جامع لأمره ورأيه.
٣. التَّنَبُّثُ في الأمور، يقال: إنسان عاقل، أي: مُنَبِّثٌ في أموره.
٤. التَّمَيُّز: وهو الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان.
٥. الفَهْمُ، يقال: عَقَلَ الشَّيْءَ يَعْقِلُهُ عَقْلًا إذا فهمه (٥).

وأما العقل في الاصطلاح:

فقد اختلف الأصوليون في تعريفه وحقيقته اختلافًا كثيرًا، وصرّح بعضهم بعدم إمكان حدّه بحدٍّ واحدٍ يحيط به؛ لأنه يطلق بالاشتراك على عدّة معانٍ (٦)، وبرغم ما ذكره من صعوبة تعريف (العقل) إلا أن لهم تعريفات متعددة تبيّن حقيقته، لعلّ أقربها لمعنى العقل:

تعريف الإمام السرخسي رحمه الله تعالى بقوله: "العقل نورٌ في الصدر به يُبصر القلب عند النظر في الحجج" (٧). ثم أوضح ذلك بقوله هو: "بمنزلة السراج، فإنه نور تبصر العين به عند النظر فتري ما يدرك بالحواس" (٨). وتعريف الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بقوله: "هو صِفَةٌ يَتَهَيَّأُ لِلْمُتَصَفِّ بِهَا دَرْكُ الْعُلُومِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَعْقُولَاتِ" (٩).

وأما المحل الذي يستقر فيه العقل فقد اختلف الأصوليون فيه (١٠)، وما يحدث اليوم من تهجين هو في الدماغ، والخطب

إعداد: أحمد سعد علي البرعي، خالد محمد حمدي صميده، مسعد عبد السلام عبد الخالق عبد السلام، الطيب حسن الماحي حسين. وهو بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية، العدد الأول، (٢٠٢٢م)، (٨٧-٩٤)، وهي عبارة عن دراسة عامة تميل إلى قسم الثقافة الإسلامية تناولت التعديلات التي تجرى على الجسد الإنساني سواء على العقل أو البدن بهدف التعزيز من منظور ديني.

أما البحث محل الدراسة فهو دراسة أصولية عن أثر التهجين بين العقل البشري والآلي سواء للعلاج أو التعزيز على المكلف، وهي إحدى النوازل المعاصرة.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي لدراسة التهجين بين العقل البشري والآلي، مع المنهج التحليلي لمعرفة نشأته ودوافع ظهوره، ثم المنهج الاستنباطي للوصول إلى أثره على المكلف سواء كان للعلاج أو التعزيز. مع مراعاة عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث مع الحكم عليها، وإحالة ما ورد في البحث إلى مصادره.

تقسيمات البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وخمسة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلته، وهدفه، وصعوباته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث فيه، وتقسيماته.

المبحث الأول: تعريف التهجين.

المبحث الثاني: العقل البشري، تعريفه، محله، وتفاوتته بين الناس.

المبحث الثالث: العقل الآلي، تعريفه، وتاريخه.

المبحث الرابع: التهجين بين العقل البشري والآلي.

المبحث الخامس: أثر التهجين بين العقل لبشري والآلي على المكلف.

وعلى الله وحده أتوكل وإليه أتوسل.

المبحث الأول: تعريف التهجين:

ينظر: كشف الأسرار، البخاري، ٣٩٤/٢، ٢٣٢/٤، الحدود، الباجي، ٣١، البرهان، الجويني، ١٩/١، المسودة، آل تيمية، ٥٥٩.

(٧) أصول السرخسي، ٣٤٦/١.

(٨) المرجع السابق، ٣٤٧/١.

(٩) المنحول، الغزالي، ١٠٣.

(١٠) على ثلاثة أقوال: الأول: محله القلب، وإلى هذا القول ذهب المالكية والشافعية، الثاني: محل العقل هو الرأس، وهذا القول منسوب إلى الحنفية، وهو المشهور عن الإمام أحمد، والثالث: محل العقل هو القلب، وله اتصال بالدماغ، وهذا القول منسوب إلى أبي الحسن التميمي، وغيره من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٤٣١/١٣-٤٣٢، القاموس المحيط، الفيروز بادي، ١٢٣٩.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ٢٣٢٨/٣، المنجد في اللغة العربية، أنطون نعمة وآخرون، ١٤٧٣.

(٥) الصحاح، الجوهري، ١٧٦٩، ٥/ لسان العرب، ابن منظور، ٤٥٩-٤٥٨/١١.

(٦) منها: الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية وتدبير الأمور الخفية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة، فإن من حنكته التجارب يقال عنه: أنه عاقل، ويطلق على ما يوصل إلى ثمرة معرفة عواقب الأمور، بقمع الشهوات الداعية إلى اللذات العاجلة التي تعقبها الندامة، فإذا حصلت هذه القوة، سمي صاحبها عاقلًا.

والتعرّف على الأشياء المحيطة في البيئة الخارجية، ونحو ذلك، فالحاسوب يتعامل مع الحسابات والأرقام دون تفكير أو إدراك^(١٧).

ولم يقتنع العلماء والمتخصصون من الحواسيب بذلك القدر، ففي بداية الخمسينيات من القرن الماضي أثار العالم البريطاني آلان تورنج Alan Turing التساؤل حول هل الآلة قادرة على التفكير؟ فتحمسوا إلى مجيء يوم يتفوق فيه ذكاء الآلة على ذكاء الإنسان، فركزوا أبحاثهم منذ سنوات على جعل الحواسيب الإلكترونية والآلات: تفكر، وتدرك، وتحس، وتستشعر، وترى، وتتعلم ذاتياً، وتتخذ قرارات، وتتواصل مع بعضها البعض، وتتخاطب مع البشر بلغاتهم الطبيعية، وتشعر بما حولها، وتفهم الفعل، وتقوم برد الفعل، وتحاكي في سلوكها الاصطناعي السلوك البشري تماماً، بحيث تتصرف كما يتصرفون^(١٨).

ومنذ ذلك الوقت شهد الذكاء الاصطناعي موجات من الازدهار والركود أو ما يُسمى (بشتاء الذكاء الاصطناعي) إلى أن وصل إلى الانتشار الواسع الذي نشهده اليوم في شتى المجالات^(١٩).

وبالفعل تقدمت مشاريع الذكاء الاصطناعي في السنوات الأخيرة وظهرت له أنواعاً مختلفة منه، يمكن تصنيفها إلى:

الذكاء المحدود:

والمقصود به أنظمه الذكاء الاصطناعي التي تحاكي العقل البشري في أداء مهمة متخصصة، ووظيفة واحدة من وظائف العقل دون القدرة على محاكاته في جميع وظائفه، وتندرج كثير من أنظمة الذكاء الاصطناعي الموجودة الآن تحت هذا النوع، مع ملاحظة ثبوت تفوقها بالفعل على العقل البشري في المهمة التي طُورت من أجلها، ومن أمثلة ذلك: تفوق الذكاء الاصطناعي اليوم على معظم البشر في ترجمة اللغات، ومجال التمييز بين البشر ببصمات الأصابع والأعين^(٢٠).

الذكاء العام:

وبعد ذلك قرّر العلماء والمتخصصون الانتقال من فكرة محاكاة الذكاء الإنساني في مجالات محدودة، إلى فكرة يتساوى فيها ذكاء الآلات مع ذكاء البشر، وجعلها قادرة على التعلم الذاتي، ومستقلة عن الإنسان في قراراتها، فرأى

في هذه المسألة هين، فإن من نسب العقل إلى القلب نظر إلى المقر، ومن نسبته إلى الرأس نظر إلى الأثر، إذ أن اتقاد الذهن أثر لذلك النور المستقر في القلب^(١١).

واختلف الأصوليون في تفاوت العقل بين الناس^(١٢)، ولعل الجامع بين أقوالهم هو: أن أصل العقل غريزياً، ليس مكتسباً، فهو هبة إلهية ومنحة ربانية، يتساوى فيه الناس، خلقه الله للإنسان يفارق به البهيمة^(١٣).

ولكن تطوير مهاراته واستخدامه مكتسباً. فهو يختلف قلّة وكثرة من إنسان لآخر، فكلما كان الإنسان أكثر تجربة ازداد تعقلاً بشؤون هذه الحياة^(١٤). وهذا هو المراد في البحث، فالتهجين يحصل للعلاج أو لزيادة القدرات والإمكانات والخبرات.

المبحث الثالث: العقل الآلي، تعريفه، تاريخه:

ويقصد به الذكاء الاصطناعي، وجميع تعريفاته تدور حول قدرة الآلة على التصرف مثل البشر أو القيام بأفعال تتطلب ذكاءً، وتتفوق عليه أحياناً^(١٥)، فهو عبارة عن: نظام من أنظمة الحاسب الآلي، ذا قدرة فائقة على محاكاة العقل البشري والتفوق عليه حيناً في العديد من الخصائص، مثل: اللغة، والتعلم، والتفكير، والتكيف، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات، بمستويات متفاوتة من التحكم الذاتي، واختيار أفضل إجراء لتحقيق أهداف محددة.

وأما عن تاريخه:

فقد سعى العلماء على مرّ العصور لتحسين جودة حياة الإنسان، وكانت هناك العديد من الثورات العلمية والصناعية لتحقيق هذا الهدف، وظهرت الحواسيب الإلكترونية المتصلة فيما بينها عبر شبكة الاتصالات (الانترنت) في القرن الماضي، والتي تُعد من أعظم الاكتشافات في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والتي أحدثت طفرة عالمية في شتى مناحي الحياة^(١٦).

لكن تلك الحواسيب الإلكترونية وإن كانت تمتلك القدرة على معالجة الكم الهائل من البيانات والحسابات والعمليات الرياضية بسرعة تفوق قدرة البشر، لم تزل عاجزة عن القيام بأبسط الأمور التي يقوم بها طفل صغير: كالتخاطب، والتواصل مع الآخرين بواسطة اللغات الطبيعية، والتفكير، والإدراك، والتعلم الذاتي، واتخاذ القرارات المناسبة،

(١٦) ينظر: إتيان الثورة الصناعية الرابعة، لاري هيثواي، ١١٢-١١٣، الثورة الصناعية الرابعة، فواز العلمي، ٧٤-٧٨.

(١٧) ينظر: مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، عادل عبد النور، ٧.

(١٨) ينظر: الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، جهاد عفيفي، ٦١.

(١٩) ينظر: تاريخ الذكاء الاصطناعي، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سداء)، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٣/٢٠ هـ من موقع:

<https://sdaia.gov.sa/ar/SDAIA/about/Pages/AboutAI.aspx>

(٢٠) ينظر: الذكاء الاصطناعي: ثورة في تقنيات العصر، عبد الله موسى، أحمد حبيب، ٢٩-٣٠، الذكاء الاصطناعي: ملامح وتدايات هيمنة الآلات الذكية على حياة البشر، إيهاب خليفة، ٩، مخاطر الذكاء الاصطناعي على الأمن القومي ومستقبل العمل، أوسوندي أوسوبا، وليام ويلسر الرابع، ٤.

ينظر: التقرير والتحرير، ابن أمير حاج، ١٦٢/٢، الحدود، الباجي، ٣٤، قواطع الأدلة، السمعاني، ٢٨/١، العدة، أبو يعلى، ٨٩/١، شرح مختصر الروضة، الطوفي، ١٧٢/١.

(١١) ينظر حول هذا المعنى والجمع: فتح القدير، الشوكاني، ٥٤٤/٣.

(١٢) ينظر: تيسير التحرير، أمير بادشاه، ٢٤٨/٢، البحر المحيط، الزركشي، ١٢١/١-١٢٢، المسودة، آل تيمية، ٥٦٠.

(١٣) ينظر: مختصر التحرير، ابن النجار، ٢٤.

(١٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٨٧، البحر المحيط، الزركشي، ١٢٢/١.

(١٥) ينظر: الطبيعة القانونية للذكاء الاصطناعي، حمدي أحمد، ٢٣٧، واقع الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي، حسام الدين حسن، ١١٩-١٢٥.

وصعوبة فهمه، وأنه على فرض محاكاته في الآلات الفائقة، فإنه لا يمكن أبداً أن تخرج عن سيطرة الإنسان وتحكمه^(٢٨). إلا أن الواقع يشهد لاعتبار الرأي الأول، فكثير من العلماء يحملون هذه التنبؤات محمل الجد، ويعتبرون الذكاء الاصطناعي الفائق مصدر تهديد حتمي للبشرية، وأوجبوا على صانعي السياسات صياغة مجموعة من القواعد التي يجب أن تتطور مشاريع الذكاء الاصطناعي الفائق في ضوئها، وأكدوا ضرورة تقدم الذكاء الاصطناعي بطريقة أخلاقية آمنة ومسؤولة، وأن يكون تقدمها لصالح البشرية لا على حسابها^(٢٩)، وهذا ما أكدت عليه الفقرة (G) من المقدمة التي أصدرها البرلمان الأوروبي في ٢٠١٧م والتي تحوي العديد من التوصيات للمفوضية الأوروبية في التعامل مع الروبوتات المستقلة^(٣٠)، فالذكاء الاصطناعي وإن كان يمثل مصدرًا هائلًا لنفع البشرية وتقدمها، إلا أنه في الوقت نفسه يشكل تهديدًا خطيرًا وحتميًا للإنسانية، قد يكون قادرًا على زعزعة الدعائم الاجتماعية للمجتمع البشري بأكمله إن ترك له مجالًا مفتوحًا، الأمر الذي يجب التأكيد معه على ضرورة فتح حوارات دولية معمّقة حول جدوى استخدام هذا النوع من الذكاء، ومدى ما يحققه للبشرية من نفع^(٣١).

المبحث الرابع: التهجين بين العقل البشري والآلي:

ونتيجة للتطور المتسارع في الذكاء الاصطناعي رأى العلماء والمفكرون المبشرون بالتفرد خصوصًا أنصار حركة (ما بعد الإنسانية)^(٣٢)، أن البشر في تلك المرحلة لا يمكنهم التفاعل مع الآلات إلا من خلال التخلي عن قيود

العلماء أن الحاسوب يمكن برمجته ليكون عقلاً بشريًا مساويًا لعقل الإنسان في جميع وظائفه، كتطوير روبوتات لرعاية المرضى وكبار السن تستطيع إعداد الطعام لشخص مُسن، وتساعد على ارتداء الملابس وخلعها، والنهوض من السرير ...^(٣٣).

الذكاء الفائق:

طمح العلماء والمفكرون إلى وجود آلات يتفوق ذكاؤها على البشر ملايين المرات، وأن تُطوّر ذكائها بنفسها، وتقوم بإصلاح نفسها ومعالجة أعطالها، بل تطوير آلات أكثر ذكاء منها في انفجار ذكاءٍ متسارع لم يحدث من قبل^(٣٤).

ثم انقسم العلماء بالرأي حول إمكانية وجود الذكاء الفائق إلى قسمين:

الأول: يرى قرب الوصول إلى هذه المرحلة بسبب النمو الهائل في قوة الحوسبة، والتقدم الفائق في علوم الأعصاب^(٣٥) والهندسة الوراثية^(٣٦) وغيرها؛ وعلى رأسهم كورزويل^(٣٧) ونيك بوستروم^(٣٨)، حتى تنبأ كورزويل أنه بحلول عام ٢٠٤٥ سيتمكن العلماء من بناء أنظمة ذكاء متفوقة بشكل كبير على الدماغ البشري، وأن المجتمع في هذه المرحلة سيصل إلى نقطة محورية في تاريخ البشرية، تسمى بالتفرد (Singularity)^(٣٩).

الثاني: يرى أن الذكاء الفائق بهذا الوصف يعدّ ضربًا من الخيال، وأنه من المستحيل أن يتم تطوير ذكاء يفوق العقل، أو حتى يساويه؛ بسبب التعقيد البالغ في تركيبه الدماغ

^(٢٩) ينظر: منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي، سيث باوم، ١٣٦.

^(٣٠) ينظر: Civil Law Rules on Robotics, European Parliament, Introduction, (G).

^(٣١) ينظر: منع حدوث نهاية العالم، باوم، ١٣٧.

^(٣٢) حركة ما بعد الإنسانية، هي: حركة علمانية تطورت تدريجيًا في العقود الثلاثة الماضية، وتعتمد رؤية الحركة على: تحقيق الإزالة الجزئية لجميع القيود البيولوجية المفروضة على أجسادنا وأدمغتنا، والاستفادة من جميع التقنيات المتاحة لإعادة تشكيل الوجود البشري. وتتخلص أفكارها فيما يلي:

١/ تقنيات التعزيز البشري يجب أن تكون متاحة للإنسان على نطاق واسع.

٢/ يجب أن يعطى الحق للأفراد في تغيير أجسامهم كما يشاءون.

٣/ للأباء الحق في اختيار التعديل على جينات أطفالهم، وانتقاء الصفات التي يريدونها.

يسعى أنصار هذه الحركة للوصول إلى وضع (ما بعد الإنسانية) من خلال التخلص من الإعاقة البدنية والألم والمرض والشيخوخة بل والموت، بفضل التمازج بين تكنولوجيا النانو والتكنولوجيا الحيوية والذكاء الاصطناعي، ومن ثم يدعون إلى ممارسة الاستنساخ البشري، والتهجين بين الإنسان والآلة، وغير ذلك من الطفرات العلمية التي تسمح أو سوف تسمح في المستقبل بالوصول لفرحتهم، ويرون أن تكنولوجيا النانو والذكاء الاصطناعي وتكنولوجيا علم الوراثة هي العلوم المشكّلة للتحول إلى ما بعد الإنسانية.

ينظر: نقد قيم ما بعد الحداثة: نحو ترميم الذات الإنسانية، الإدريسي، ٣٤٤ وما بعدها، وداعًا للبيولوجيا، كورزويل، ٥٨، و"معجم الذكاء الاصطناعي". استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٣/١٦ هـ من موقع:

<https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-aldhka-alastnay-0>

^(٣٣) ينظر: المرجع السابق، ٩، مستقبل الإنسانية في ضوء مشاريع الذكاء الاصطناعي الفائق، مليكة مذكور، ١٤٦، منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي، سيث باوم، ١٣٦.

^(٣٤) ينظر: الذكاء الاصطناعي، خليفة، ٩، مستقبل الإنسانية، مذكور، ١٤٨، وداعًا للبيولوجيا مرحبًا بالبرمجيات، راي كورزويل، ٥٨.

^(٣٥) علم الأعصاب هو: فرع من العلوم الطبية والحيوية الذي يهتم بدراسة الجهاز العصبي ووظائفه، ودراسة الخلايا العصبية والأعصاب والدماغ والحبل الشوكي والجهاز العصبي الطرفي والأمراض التي تؤثر على هذه الأجزاء، ويتضمن تطبيقات علاجية غير التشخيص والجراحة.

ينظر: علم الأعصاب، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٥/١٥ هـ من موقع: <https://19mayishastanesi.com>

^(٣٦) الهندسة الوراثية وتسمى أيضاً بالتعديل الوراثي هي: تلاعب إنساني مباشر بالمادة الوراثية للكائن الحي بطريقة لا تحدث في الظروف الطبيعية.

ينظر: الهندسة الوراثية، الموسوعة الميسرة في قضايا الفقه المعاصرة، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٨/٢٨ هـ من موقع:

<https://erej.org/1209/>

Ray Kurzweil, The Age of Spiritual Machines, 163.

Bostrom. N, Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies, 205.

^(٣٧) المقصود بالتفرد التكنولوجي: هو الذي تتغلب فيه التكنولوجيا وتتفوق الآلات على قدرات البشر.

Ray Kurzweil, The Age of Spiritual Machines, 164.

Atkinson, R.D. "It is going to kill us!" and other myths about the future of artificial intelligence, 49-52.

تغيير النشاط العصبي من أجل تغيير سلوك أو إدراك الشخص، يتمثل في استبدال الخلايا البيولوجية المدمرة في المخ بوسائط اصطناعية غير بيولوجية، وقد استطاع أن يقدم عرضاً لحالة يسيطر فيها على الخلايا المزروعة من خلال جهاز التحكم عن بُعد، وعندما يطفئ الجهاز يتصلب المريض، وعندما يقوم بتشغيله يعود المريض للنشاط الطبيعي مرة أخرى^(٣٩)، وهذا الأمر الذي جعل العلماء يتوقعون بأن العمليات الطبية التي تعتمد على تكنولوجيا النانو ستتمكن في السنوات القادمة من استهداف الأمراض والجينات، وتعويض الأعضاء والخلايا المريضة بأجهزة اصطناعية بديلة، تؤدي عمل الأجهزة البيولوجية بنفس الدقة والكفاءة^(٤٠).

وبناء على ذلك عملوا على اختراع أعضاء إلكترونية وروبوتات نانوية تزرع في العقل البشري، تساعد على الزيادة في متوسط عمر الإنسان، والتي يتم استخدامها داخل جسم الإنسان ككشافة عن الأعضاء والخلايا المريضة وبناء أعضاء إلكترونية بديلة^(٤١).

وهذا التهجين يعمل على تعزيز قدرات الإنسان العقلية والبدنية وكذلك تمديد الحياة^(٤٢)، وأما محل البحث فمقتصر على التهجين بين العقل البشري والآلي فقط.

فبعد أن تم نجاحها على المرضى من البشر، تجاوز تفكيرهم إلى الأصحاء منهم، ففكروا في التهجين بين الذكاء البيولوجي (الطبيعي) والذكاء الاصطناعي، بالاعتماد على التدخلات التكنولوجية بغرس الشرائح الذكية النانوية (متناهية الصغر) في الدماغ، ووصله بأجهزة الحواسيب وربطه بالسحابة الإلكترونية^(٤٣) وبشبكات الإنترنت؛ لدعم

الإنسانية البيولوجية، وتعزيز قدراته، ودمج التكنولوجيا في الأجساد فيما يسمى بـ (الذكاء الاصطناعي الهجين)، الذي يتم من خلاله توسيع قدرات العقل البشري ودمجه بالذكاء غير البيولوجي؛ لتتحول البشرية بذلك إلى مرحلة "ما بعد الإنسانية"، والجميع بالخيار، إما التحول لما بعد الإنسانية أو الدمار المروّع على أيدي الآلات الذكية، وكل يختر لنفسه ما يناسبه^(٣٣)، هكذا راجت أفكار ما بعد الإنسانية في ظل تطور أبحاث الذكاء الاصطناعي الحالية^(٣٤).

فنادوا بالاستفادة من جميع التقنيات التي يتيحها العلم الآن في تعزيز الأجسام البشرية، وتضخيم قدرتهم، لبناء (إنسان خارق)^(٣٥)، تتعدى قدراته الجسدية إلى ما هو أبعد من القيود البشرية البيولوجية، الشخص الذي يتم ترميم جسمه واستبدال أعضائه التالفة بأعضاء اصطناعية بديلة، اعتماداً على تكنولوجيا النانو^(٣٦) والتكنولوجيا الحيوية^(٣٧) والذكاء الاصطناعي، فيتم تهجينه وإخضاعه لتغييرات وتدخلات غير بيولوجية على جسمه بهدف تحسين قدراته، فيكون نصفه إنساناً والنصف الآخر منه آلة، مما يجعله قادراً على الركض بسرعة أكبر، وعلى الإبصار ليلاً، وتحمل الألم، ومقاومة المرض، بل ومقاومة الشيوخة والموت - من وجهة نظر أصحاب هذه الحركة-^(٣٨).

ويرى العلماء أن ذلك الطموح ليس بعيداً، لأنه توجد بالفعل أمثلة لآلات ذكية مزروعة داخل العقل البشري الآن، عن طريق زراعة الأعصاب، فقد اخترع الطبيب الفرنسي الجزائري الأصل عليم لويس بن عبيد (ولد سنة ١٩٤٢م) علاجاً لمرض شلل الرعاش، باستخدام تقنية التحفيز العميق للدماغ (Deep Brain Stimulation)، والتي تعتمد على

كالتشخيص، والعلاج، وإيصال الأدوية للخلايا والأنسجة المريضة، والجراحة، واستئصال الخلايا المريضة، ثم خروجها من منافذ الإخراج الطبيعية في الإنسان بعد انتهاء عملها.

ينظر: تقنية النانو وعصر علمي جديد، محمود سليم، ٤٠ - ٤١، النانو بيولوجي: عصر جديد من علوم الحياة، محمد عميش، ٣١.

^(٣٧) التكنولوجيا الحيوية هي: تقنية مستندة على علم الأحياء، تعتمد على استخدام تطبيقات التقنية الحديثة في معالجة الكائنات الحية أو مكوناتها في الأغراض الصناعية، سواء في الطب أو الزراعة وغيرها.

ينظر: التكنولوجيا الحيوية، منظمة الأمم المتحدة لأغذية والزراعة، استرجعت بتاريخ: ٢٨ / ٨ / ١٤٤٥ هـ من موقع:

<https://www.fao.org/cgrfa/topics/biotechnology/ar>
^(٣٨) ينظر: معجم الذكاء الاصطناعي، تحولات مفهوم الإنسان في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة من مازق إنسان التآليه إلى مازق إنسان التشويه، مصطفى كحيل، ١١٥ وما بعدها.

^(٣٩) وداغاً للبيولوجيا، كورزويل، ص ٥٨.
^(٤٠) روبوتات وبشر، فانسيا إيفرس، مقالة منشورة بمجلة رسالة اليونسكو، سبتمبر ٢٠١٨، استرجعت بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٤٤٥ هـ من موقع: <https://courier.unesco.org/ar/articles/rwbwtat-wbshr>.

^(٤١) Ray Kurzweil, The Age of Spiritual Machines, 163.

^(٤٢) ينظر: التعديلات البيولوجية، البرعي وآخرون، ٩٠-٩١.
^(٤٣) هي: تقنية جديدة تسمح بتخزين جميع البيانات والمعلومات والملفات الموجودة على الحواسيب والأجهزة الذكية؛ ليتمكن المستخدم من استرجاعها في أي وقت شاء، من أي مكان من العالم، دون الحاجة

Ray Kurzweil, The Age of Spiritual Machines, 169, Atkinson, R.D. "It is going to kill us!" and other myths about the future of artificial intelligence, 49-52.

^(٤٤) ينظر: التعديلات البيولوجية، أحمد سعد البرعي وآخرون، ٨٩.

^(٤٥) هو المثال الأعلى في نظرية ما بعد الإنسانية، وهو عبارة عن (كائن بشري هجين)، نصفه آلة باعتبار الشرائح الإلكترونية المزروعة بداخله، والنصف الآخر آدمي باعتبار أصل طبيعته البشرية.

ينظر: معجم الذكاء الاصطناعي، مجلة رسالة اليونسكو ٢٩ يونيو (٢٠١٨م): "استرجعت بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٤٤٥ هـ من موقع:

<https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-aldhka-alastnay-0>

^(٣٦) تكنولوجيا النانو هي: تقنية تهتم بتصنيع وتركيب مواد متناهية الصغر، مشتقة من النانومتر الذي هو وحدة قياس مترية لأطوال وأبعاد مواد دقيقة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولا بالميكروسكوبات العادية، ويعتبر أصغر وحدة قياس مترية موجودة حتى الآن، وهو يساوي واحداً من المليار من المتر، أو واحداً من المليون من المليمتر، ولتصور حجم النانو، هو أصغر وأدق من قطر شعرة الرأس بثمانين ألف مرة.

وننتج عن ذلك التطور في الطب النانوي، وتم اختراع روبوتات النانو (Nano Bots) وهي: عبارة عن آلات دقيقة متناهية الصغر يتم تصنيعها بمقاييس نانوية تتراوح ما بين ١-١٠٠٠ نانو متر، يتم تصنيعها بمواد معينة لتحاشي مهاجمة جهاز المناعة في الإنسان لها، ويتم حقنها في جسم الإنسان عن طريق الدم، أو ابتلاعها؛ لأداء مهام طبية معينة:

ولا بد منهما جميعاً، إذ لا يلزم من العقل فهم الخطاب، لجواز أن يكون عاقلاً لا يفهم الخطاب، كالصبي والناسي والسكران والمغمى عليه، فإنهم في حكم العقلاء مطلقاً، أو من بعض الوجوه، وهما لا يفهمان.

وقد تناول الأصوليون العديد من المسائل عند اختلال أحد هذين الشرطين في المكلف^(٥١).

ولبيان أثر التهجين بين العقل البشري والآلي على المكلف يمكن تناوله من ناحيتين:

الأولى: إذا كان التهجين بين العقل البشري والآلي على المكلف بهدف العلاج:

هذا النوع من التهجين يُجرى على عقل الإنسان بهدف علاج مرض فيه، أو مقاومة إعاقة، أو تصحيح عيب وإعادته إلى الحالة الطبيعية أو ما دونها، كمريض الشلل، والزهايمر، فالإسلام لا يعارض أي تقدم علمي نافع للبشرية عموماً، ولا سيما في مجال الصحة والعلاج المأمور به شرعاً؛ وهناك العديد من الأدلة الدالة على ذلك، منها:

- أن في عموم الأمر بالتداوي دليل على جواز ذلك، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً»^(٥٢)، وقد حمل جمهور السلف والخلف الأمر بالتداوي في الحديث على الاستحباب^(٥٣).
- أن في قوله صلى الله عليه وسلم: «تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»^(٥٤)، فيه إشارة أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد^(٥٥)، وفيه حثٌّ على البحث والتنقيب عن الأدوية، وهو دليل على أن أمر الدواء واسع، يحتاج إلى بذل جهد وتنقيب وتجريب بشتى الوسائل من أجل الحصول عليه.
- أن الشريعة الإسلامية اعتنت بمقصد حفظ لنفس، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها^(٥٦)، ولا شك أن هذا النوع من التداوي إن

أو استعادة أو زيادة وظائف الدماغ وتعزيز قدراته؛ حيث تمكن العلماء من إجراء هندسة عكسية ومسح شامل للدماغ باستخدام بلايين الماسحات الدقيقة من أجل فَكِّ شفرة المخ، وفهم تركيبة الدماغ وما يحويه من خلايا عصبية، حتى توقع العلماء أنه صار بالإمكان تحديد مئات المناطق داخل المخ لزرع شرائح ووسائط غير بيولوجية، تعمل بصورة خارقة تفوق عمل الخلايا العصبية الطبيعية الموجودة داخل المخ^(٥٧).

وبذلك يكون المقصود من التهجين بين العقل البشري والآلي هو: مزج الشرائح الالكترونية المزودة بالذكاء الاصطناعي في الدماغ للعلاج أو زيادة الكفاءة.

ويتوقع بعض العلماء العاملين في هذا في المجال أنه بحلول عام ٢٠٣٠م سيكون بمقدورهم إرسال بلايين النانويات داخل المخ البشري لتتصل لاسلكياً مع بلايين النقاط المختلفة في المخ، لربط الذكاء البيولوجي بالذكاء الاصطناعي، ويهدف إلى رفع مستوى الذكاء والأداء لدى من أجري عليه التهجين إلى مستويات خارقة^(٥٨). وتطرق إلى مسامعنا اليوم البدء بمشروع زرع شرائح الدماغ^(٥٩).

المبحث الخامس: أثر التهجين بين العقل البشري والآلي على المكلف:

المقصود بالمكلف هنا هو: الإنسان^(٦٠)، وهو الذي تعلّق به التكليف. والتكليف في اصطلاح الأصوليين هو: "إلزام مقتضى خطاب الشرع"^(٦١).

ويشمل مقتضى خطاب الشرع الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب والندب، الحاصلين عن الأمر، والتحريم والكراهة، الحاصلين عن النهي. والإباحة الحاصلة عن التخيير، باعتبار أنها من خطاب الشرع، ويكون معناه في المباح: وجوب اعتقاد كونه مباحاً^(٦٢).

ويشترط في المكلف لليلزم بمقتضى خطاب الشارع شرطان: أن يكون عاقلاً، وفاهماً للخطاب^(٦٣).

(٥٠) ينظر: كشف الأسرار، البخاري، ٢٣٧/٤، المحصول، ابن العربي، ٢٣، الإحكام، الأمدي، ١٥٠/١، شرح مختصر الروضة، الطوفي، ١٨٠/١.

(٥١) ويكون سبب ذلك إما عوارض غير مكتسبة مثل مسألة: حكم تكليف الصبي، والمجنون؛ لأنهما لا يفهمان ولا يدركان خطاب الشرع. أو عوارض مكتسبة مثل: الجهل، والسكر، والخطأ، فهل هذه الأمور مانعة من التكليف؟

ينظر: شرح التلويح، التفنيزاني، ٣٢١/٢-٣٢٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج، ١٧٢/٢-١٧٣، الإحكام، الأمدي، ١٥٠-١٥٥، روضة الناظر، ابن قدامة، ١٥٤/١.

(٥٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، برقم (٢٠٣٨)، ٣٨٣/٤، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٥٣) ينظر: الاستذكار، ابن عبد البر، ٤١٤/٨.

(٥٤) أخرجه أحمد واللفظ له، مسند الكوفيين، برقم (١٨٤٥٥)، ٣٩٨/٣٠، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (١٠٣٣١)، ١٦٣/١٠. قال الهيثمي: رجال الطبراني ثقاة. مجمع الزوائد، ٨٤/٥.

(٥٥) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني، ٢٣١/٨.

(٥٦) ينظر: علم مقاصد الشارع، عبد العزيز بن ربيعة، ١٣١.

للرجوع للأجهزة التي سجلت عليه هذه البيانات، كما تسمح بتبادل هذه البيانات بكل سهولة عبر شبكة الإنترنت.

ينظر: شركة سايبير ون، "ماهي السحابة الالكترونية". "استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٤/١٥هـ من موقع: <https://cyberone.co>

(٥٤) ينظر: التعديلات البيولوجية، البرعي وآخرون، ٨٩-٩٠.

(٥٥) ينظر: وداعاً للبيولوجيا، كورزويل، ص ٥٨.

(٥٦) زرع شريحة في دماغ بشري نشر بتاريخ ١ فبراير ٢٠٢٤، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٨/١٨هـ من موقع:

<https://arabic.cnn.com>

، شريحة الدماغ من نيورالينك، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٨/١٨هـ من موقع:

<https://www.dw.com>

(٥٧) الموافقات، الشاطبي، ٤١٥/١، المستصفي، الغزالي، ٥٢/١، روضة الناظر، ابن قدامة، ١٥٤/١-١٥٥.

(٥٨) التحبير، المرادوي، ١١٣٠/٣، شرح الكوكب المنير، ابن النجار، ٤٨٣/١.

(٥٩) ينظر: المحصول، الرازي، ١٠٨/١، شرح مختصر الروضة، الطوفي، ١٧٩/١، شرح الكوكب المنير، ابن النجار، ٤٨٣/١.

أما مصطلح "القدرات العقلية" فهو مصطلح جديد نسبياً، ويمكن تعريفه بأنه عبارة عن: مجموعة من العمليات العصبية التي يقوم الدماغ بها للحصول على المعلومات ومعالجتها وتخزينها واسترجاعها، والملاحظة وتوجيه السلوك، والتعامل مع المواقف بشكل فعال^(١٢).

ويقصد بالتعزيز العقلي: تلك التدخلات التي تعمل على تحسين القدرات العقلية عبر التقنيات الحديثة الناتجة من التطور في الذكاء الاصطناعي ومشاريع الدماغ البشري، مما أمكن من التهجين والمزج بينهما بالاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لغرس الشرائح في الدماغ، ووصله بأجهزة الحواسيب؛ لدعم أو استعادة أو زيادة وظائف الدماغ وتعزيز قدراته^(١٣).

وبهذا الوصف يظهر أن التدخل التكنولوجي هنا يكون على العقل التجريبي الذي سبق بيان رأي الأصوليين فيه أنه يتفاوت من إنسان لآخر^(١٤).

فإنه بالنظر إلى المكلف، والذي مناط تكليفه العقل، وبقدرة تكون المسؤولية الشرعية، فالذي يظهر أنه أمر لا يمكن إقراره شرعاً لما يلي:

- أن جميع الشرائع السماوية جاءت بالمحافظة على العقل، فهو النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان، وميزه به عن سائر الحيوان، وهو من الضرورات الخمس التي لا تستقيم الحياة إلا به^(١٥)، وإجراء هذا التدخلات عليه لا يمكن اعتبارها سبيل للمحافظة عليه، فلا يُعرف إلى أين سيصل؟ وما هي أضراره؟

خصوصاً مع تعالي الأصوات لدى المهتمين بهذا الباب لأخذ المفيد من هذه التقنية والحذر من الضار منها، ومن ذلك ما صرحت به المديرية العامة لليونسكو (أودري أوزلاي) بضرورة فتح حوار عالمي حول أبحاث الذكاء الاصطناعي ومشاريعه، فقالت: "من مسؤوليتنا إدارة حوار كوني ومستنير حتى نفتتح هذا العصر الجديد بأعين مفتوحة دون أن نضحى بقيمتنا، وحتى نتيح إمكانية التوصل إلى أرضية مشتركة من المبادئ الأخلاقية"^(١٦).

وكذلك سعى البرلمان الأوروبي بوضع ضابط استباقي لتنظيم تطوير أنظمة ومشاريع الذكاء الاصطناعي، وأن يكون تطويرها مركزاً على استكمال القدرات البشرية، وليس على استبدالها^(١٧).

أثبت فاعليته وعمله، سيكون من باب المحافظة على النفس وإحيائها بكامل أعضائها.

- أن في قصة عرفة بن أسعد الواردة في السنن أنه قال: «أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فأتخذت أنفاً من ورق، فأنتن عليّ، فأمرني رسول صلى الله عليه وسلم أن أتخذ أنفاً من ذهب»^(١٨)، دلالة على جواز استعمال اليسير من الذهب للرجال عند الضرورة للتطبيب كربط الأسنان، وما جرى مجراه مما لا يجري غيره فيه مجراه^(١٩)، ويستنبط منه مشروعية زرع الغرسات في الجسم بقصد العلاج، ويؤكد مشروعية التعويض عن الأطراف المبتورة ما دام المقصود منها إعادة البدن إلى حالته الطبيعية؛ بل إن الحديث يدل على أهمية تطوير وتجديد المواد المستخدمة في صناعه الغرسات والأعضاء البديلة بما يعينها على أداء وظيفتها، بدليل ما أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إليه من ترك الفضة والاستعاضة عنها بالذهب، نظراً لما فيه من خصائص تفوق خصائص الفضة، وهذا بحسب ما كان متاحاً في زمانهم^(٢٠).

وهذه الأدلة مجتمعة تدل على أن التدخلات العلاجية التي تجري على عقل الإنسان بهدف علاج مرض فيه، أو مقاومة إعاقة، أو تصحيح عيب وإعادته إلى الحالة الطبيعية أو ما دونها، حتى وإن انطوت تلك التدخلات على زراعة أعضاء اصطناعية أو غرس آلات ذكية، مشروعاً؛ ما دامت تحقق المقصد العلاجي المأمول.

والذي يظهر أن التكليف يتأثر بها، فمثلاً مريض شلل الرعاش الذي أجري له هذا النوع من التهجين العلاجي وأصبح يستطيع القيام، فعليه الصلاة قائماً مثلاً. وما كان يجري على أحكام المريض من الجمع وغيرها، تتغير بناءً على درجة العلاج ومدى امتثال الإنسان للشفاء.

الثانية: إذا كان التهجين بين العقل البشري والآلي على المكلف بهدف التعزيز:

هذا النوع من التهجين يُجرى على الأصحاء بهدف تعزيز القدرات العقلية، وتضخيمها أكثر مما نولد به كبشر. والمراد بالتعزيز أي: التعظيم^(٢١).

والقدرات عبارة عن: قوة تمكّن من أداء فعل، أو استطاعة، فيقال: أظهر فُدرة في البحث، أو قدرات خاصة، أو خارقة^(٢٢). والعقلية نسبة إلى العقل.

^(١٢) ينظر: التعديلات البيولوجية، البرعي وآخرون، ٩٠.

^(١٣) برافع ص (٤) من هذا البحث.

^(١٤) ينظر: علم مقاصد الشارع، بن ربيعة، ١٣١-١٣٣.

^(١٥) لنستغل أحسن ما في الذكاء الاصطناعي، أودري أوزلاي، مجلة رسالة اليونسكو ١٩ يونيو (٢٠١٨م). "استرجعت بتاريخ ١٧/٥/٢٠١٤هـ" من موقع:

<https://www.unesco.org/ar/articles/awdry-azwlay-instghlw-ahsn-ma-fy-aldhka-alastnay-0>

^(١٦) ينظر: نحو تنظيم قانون للذكاء الاصطناعي في حياتنا، إشكالية العلاقة بين البشر والآلة، عماد النحيات، ٢٦.

^(١٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، برقم (٤٢٣٢)، ٩٢/٤، والترمذي في سننه، أبواب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، برقم (١٧٧٠)، ٢٤٠/٤، والنسائي في سننه، كتاب الزينة، من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب، برقم (٥١٦١)، ١٦٣/٨، وقال الترمذي: حديث حسن.

^(١٨) ينظر: معالم السنن، الخطابي، ٢١٥/٤.

^(١٩) ينظر: التعديلات البيولوجية، البرعي وآخرون، ٩١-٩٢.

^(٢٠) الكليات، الكفوي، ٣١٤.

^(٢١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ١٧٨١/٢.

^(٢٢) ينظر: ماهي القدرة العقلية؟، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٨/٢٠هـ.

من موقع: <https://lookinmena.com>

- أن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، تكريم للإنسان بما وهبه الله له من العقل ورفع به عن سائر المخلوقات، وجعله خليفة له في الأرض، وسيِّداً، وسخر له ما في الكون بأجمعه، وجعله أهلاً للمسؤولية والتكليف بما استودعه الله فيه من قدرات.^(٧٠)
 - وبالنظر إلى طبيعة التهجين المطروحة يظهر أن فيها هدراً للكرامة الإنسانية، فالإنسان الذي تعرّض لهذا النوع من التعزيز عند من يؤيد ذلك يطلقون عليه: (سايبورغ Cyborg)^(٧١)، وتعني "إنسان خارق"، وذلك باعتبار أن نصفه آلة للشرائح الإلكترونية المزروعة بداخله، والنصف الآخر آدمي بالنظر إلى أصل طبيعته البشرية، ولا شك أن في ذلك إلغاء لطبيعته البشرية، وسلباً لإنسانيته، ولا يحق لبشر كائننا من كان أن يسلب هذا الإنسان إنسانيته، أو يهدم كرامته، أو يطمس معالم شخصيته التي وهبها الله له.
 - أن في ذمه سبحانه وتعالى لأهل الجاهلية في قوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّ لَهُمْ وَلَمْ يَنْبِئْهُمْ وَلَا مَرَّ لَهُمْ فَلْيَبْتَكَرْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّ لَهُمْ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، عندما شقوا أذان الأنعام، للدلالة على تحريم ركوبها وأكلها، واعتبر هذا التعديل ضرباً من اتباع الشيطان يؤدي إلى الضلال والخسران^(٧٢)، وهذا الذم فيما يخص الحيوان، فكيف بالإنسان الذي خلقه الله تعالى مكرّماً، والتعديل الذي يُجرى يمسّ أساس تكليفه وتمييزه؟
 - ومن جميع ذلك يتبيّن أن ما يدعون إليه رواد حركة (ما بعد الإنسانية) مرفوض جملة وتفصيلاً، وأن غياب الإطار الديني والأخلاقي لتلك التقنيات المنشودة، والسماح بتمريرها، سيقود الإنسانية حتماً لنتيجة لا تحمد عقباها، وسيجر على البشرية كثيراً من الويلات، وقد واجهت الحركة تياراً معارضاً لأفكارها، يسمونهم بـ (المحافظين البيولوجيين)، الذين أعلنوا رفضهم الكامل لها، واعتبروها مصادمة للأخلاق، وهادمة للكرامة الإنسانية، ومهددة للطبيعة البشرية^(٧٣).
- وقد أكدت الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا) على أن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي ومشاريعها لابد أن تتطور في ظل إطار أخلاقي حاكم، ووضعت مبادئ وأخلاقيات للذكاء الاصطناعي وضوابط لتسهيل التطبيق العملي للأخلاقيات أثناء مراحل دورة حياة تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي؛ لضمان الاستخدام المسؤول لتطبيقات تقنيات الذكاء الاصطناعي^(٧٤). كل هذا يؤكد على ضرورة الاحتياط من مثل هذا النوع من الإجراءات.
- أن هذا التهجين يعتبر من العبث بالشخصية الإنسانية، وعصف بقواعد الأهلية والمسؤولية التي قرّرت في الإسلام لتناسب طبيعة الإنسان وطاقته التي فطره الله عليها، قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
 - فعلى افتراض أن إنساناً تم تعزيزه بشرائح محفوظ فيها القرآن الكريم بالقراءات، وكذلك كتب التفسير، ولديه القدرة على الاتصال المباشر بالاستعانة بهذه الشريحة إلى الحوسبة السحابية، والحصول على الكم الهائل من المعلومات المخزنة بها، فهنا تترتب أحكاماً مختلفة، منها: هل يعتبر حافظاً للقرآن ويؤم المسلمين في الصلاة؟ ولو كانت هذه الشريحة مزودة بالمتون والفتاوى الفقهية، ويستطيع بالاستعانة بها الاطلاع على فتاوى العلماء، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومواطن الإجماع، فهل له أن يتصدّر الاجتهاد بالاستعانة بها؟
 - أن هذا النوع من التعزيز يؤدي إلى مجتمع ينقسم فيه الناس إلى طبقتين: طبقة معززة تكنولوجياً تتجاوز قدراتهم قدرات البشر، وطبقة من البشر العاديين لم ينعموا بتلك التعزيزات، وإباحة إجراء هذا النوع من التعزيزات سيقضي على المبادئ الإنسانية والقيم الدينية، حيث يُعد انتكاسة في القيم، وطمساً للأخلاق، وعصفاً بحقوق الإنسان التي اتفقت دساتير العالم على احترامها؛ إذ كيف ستطبق مبادئ الحرية والعدالة والمساواة وغيرها من الحقوق الإنسانية في ظل هذا المجتمعات المنشودة التي تروج لها "ما بعد الإنسانية" على أنها الخلاص للبشر من قيود أجسادهم^(٧٥).

الذاتي، وبين كلمة Organisme والتي تعني بالإنجليزية (كائن)، لتطلق على: كائن بشري هجين.
ينظر: آفاق علم السيرنطيقا في عصر إنسان السيورغ، حسن المصدق، ١٤٠. معجم الذكاء الاصطناعي، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٣/١٦ من موقع:

<https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-aldhka-alastnay-0>

(٧٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٤١٥.

Jotterand, F. Human dignit and transhumananism; Do anthro-technological devices have moral status? 45-52.

(٧٤) ينظر: مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي وضوابطه، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا)، استرجعت بتاريخ ١٤٤٥/٣/٢٠ من موقع:

<https://sdaia.gov.sa/ar/SDAIA/about/Pages/AboutAI.aspx>

(٧٥) ينظر: التعديلات البيولوجية، البرعي وآخرون، ٩٢.

(٧٦) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، ٣/٢٦٢،

(٧٧) سايبورغ: مكوّن من كلمتين، الأولى كلمه سبيرنطيقا Cybernetique وتعني بالفرنسية: علم التحكم الذاتي، أو الكلمة الإنجليزية cybernetics وتعني علم الضبط الإلكتروني، أو التحكم

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، وأسأل الله قبوله والنفع فيه، ومن أهم نتائجه ما يلي:

١. أن التهجين عبارة عن مزج السلالات بتدخل بشري؛ لضمان الحصول على الصفات المرغوب فيها.
٢. أن الأصوليين اختلفوا في تعريف العقل، ولعل أقربها للصواب تعريف الإمام السرخسي بأنه: "نور في الصدر به يُبصر القلب عند النظر في الحجج"، والغزالي بأنه: "صفةٌ يتهيأ للمتصف بها ذرُّك العلوم والنظر في المعقولات".
٣. أن الأصوليين اختلفوا في المحل الذي يستقر فيه العقل، وما يحدث اليوم من تهجين هو في الدماغ، واختلفوا كذلك في تفاوته بين الناس، والجامع بين أقوالهم: أن أصل العقل غريزيًا، لكن تطوير مهاراته واستخدامه مكتسبًا. والتهجين المذكور في البحث يحصل إما للعلاج أو لزيادة القدرات والإمكانات والخبرات.

٤. أن المقصود بالعقل الآلي هو الذكاء الاصطناعي، وهو عبارة عن: نظام من أنظمة الحاسب الآلي، ذو قدرة فائقة على محاكاة العقل البشري والتفوق عليه حيًّا في العديد من الخصائص، مثل: اللغة، والتعلم، والتفكير، والتكيف، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات، بمستويات متفاوتة من التحكم الذاتي، واختيار أفضل إجراء لتحقيق أهداف محددة، وهو لم يكن وليد اليوم، بل له تاريخ، وتطور إلى أنواع ثلاثة.

٥. أن التهجين بين العقل البشري والآلي يعني: مزج الشرائع الإلكترونية المزودة بالذكاء الاصطناعي في الدماغ للعلاج أو زيادة الكفاءة.

٦. أن التهجين بين العقل البشري والآلي إذا كان بهدف العلاج فجائز، وهو من باب التداعي المأمور به شرعًا.

٧. أن التهجين بين العقل البشري والآلي إذا كان بهدف تعزيز القدرات العقلية، وتضخيمها أكثر مما نولد به كبشر بصورته الحالية أمرٌ لا يمكن إقراره شرعًا، لما ينطوي عليه من المحظورات.

ويوصي البحث:

١. بضرورة اتحاد المجتمع الدولي وصانعي السياسات للاتفاق على ضوابط تضمن لهذه المشاريع أن تتقدم لصالح البشرية دون عبث بالقيم الأخلاقية، والمبادئ الدينية التي تكفلت بحفظ كرامة الإنسان وصيانة شخصيته، وحماية حقه في حماية جنسه البشري من التلاعب فيه، أو العبث به على النحو الذي تمَّ الاتفاق عليه سابقًا في مشروع الجينوم والهندسة الوراثية.

٢. ويوصي البحث الباحثين أيضًا بضرورة التكايف في دراسة ما يستجد من نوازل تؤثر على المكلف والتكليف الشرعي.

ثبت المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١. إتيان الثورة الصناعية الرابعة، لاري هيثواي، مجلة فكر ١٤، (٢٠١٦م).

٢. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي الأمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (بيروت: المكتب الإسلامي).
٣. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ط١، (بيروت: دار المعرفة).
٤. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
٥. الأصول، محمد بن أحمد السرخسي، ط١، (حيدر أباد: لجنة إحياء المعارف النعمانية، ١٣٩٥هـ).
٦. آفاق علم السبرنطيقا في عصر إنسان السيوروغ، حسن المصدق، بحث منشور بمجلة مدارات فلسفية، الجمعية الفلسفية المغربية، عدد ١٤، ٢٠٠٦.
٧. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، ط١، (ب م: دار الكتب، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
٨. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي الشهير بـ (ابن الملحق)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، (الرياض: دار الهجرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٩. البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
١٠. التبيين شرح التحرير في أصول الفقه، علي بن سليمان المرادوي، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وعوض القرني، وأحمد السراح، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
١١. تحولات مفهوم الإنسان في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة من مأزق إنسان التآليه إلى مأزق إنسان التشويه، مصطفى كحيل، مجلة إسلامية المعرفة، ٩٥، (٢٠١٩م).
١٢. التعديلات البيولوجية على الجسد الإنساني من خلال الذكاء الاصطناعي: منظور ديني من إعداد: أحمد سعد علي البرعي، خالد محمد حمدي صميذة، مسعد عبد السلام عبد الخالق عبد السلام، الطيب حسن الماحي حسين. وهو بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية، العدد الأول، (٢٠٢٢م).
١٣. تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
١٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، (ب م: دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٣٠. شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد المعروف بـ (ابن النجار)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط٢، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
٣١. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٣٣. الطبعة القانونية للذكاء الاصطناعي، حمدي أحمد سعد أحمد، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الرابع المنعقد بكلية الشريعة والقانون بطنطا بعنوان: التكيف الشرعي والقانوني للمستجدات المعاصرة وأثره في تحقيق الأمن المجتمعي المنعقد في الفترة من ١١ إلى ١٢ أغسطس (٢٠٢١م).
٣٤. العدة في أصول الفقه، محمد بن الحسين بن الفراء (أبو يعلى)، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المبارك، ط٢، (ب ناشر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
٣٥. علم مقاصد الشارع، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ربيعة، ط١، (الرياض: ب د، ١٤٢٣-٢٠٠٢م).
٣٦. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط١، (دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
٣٧. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزيادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ).
٣٨. قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م).
٣٩. كشف الأسرار شرح أصول اليزدي، عبد العزيز بن أحمد البخاري، ط١، (إسطنبول: شركة الصحافة العثمانية، ١٨٩٠م).
٤٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة).
٤١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
٤٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
٤٣. المحصول في أصول الفقه، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: حسين علي اليزدي - سعيد فودة، ط١، (عمان: دار البيارق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩).
٤٤. مخاطر الذكاء الاصطناعي على الأمن القومي ومستقبل العمل، أوسوندي أوسوبا، وليام ويلسر الرابع، (كاليفورنيا: مؤسسة راند، ٢٠١٧م).
١٥. التقرير والتحبير، محمد بن محمد المعروف بـ (ابن أمير حاج)، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
١٦. تقنية النانو وعصر علمي جديد، محمود محمد سليم، ط١، (السعودية: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقولوجيا، ٢٠١٥م).
١٧. تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود المعروف بـ (أمير بادشاه)، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ).
١٨. الثورة الصناعية الرابعة، فواز العلمي، السجل العلمي لمنتدى أسبار الدوري، الإبداع والابتكار في سياق اقتصاد المعرفة - الثورة الصناعية الرابعة - الرياض، (٢٠١٧م).
١٩. الحدود في الأصول، سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: نزيه حماد، ط١، (بيروت/ مؤسسة الزعبي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م).
٢٠. الذكاء الاصطناعي: ثورة في تقنيات العصر، عبد الله موسى، أحمد حبيب، ط١، (القاهرة، المجموعة العربية، ٢٠١٩م).
٢١. الذكاء الاصطناعي: ملامح وتداعيات هيمنة الآلات الذكية على حياة البشر، إيهاب خليفة، تقرير منشور بسلسلة دراسات المستقبل الصادرة عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، (٢٠١٩م).
٢٢. الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، جهاد عفيفي، ط١، (القاهرة: المنهل، ٢٠١٨م).
٢٣. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، عبد الله بن أحمد بن قدامة، ط٢، (ب م: مؤسسة الريان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
٢٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية).
٢٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط٢، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
٢٦. السنن الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م).
٢٧. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
٢٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).
٢٩. شرح التلويح على التوضيح، مسعود بن عمر التفتازاني، ط١، (مصر، مطبعة صبيح وأولاده، ١٩٥٧م).

الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية ٩،
(٢٠١٩م).

٦٢. نقد قيم ما بعد الحداثة: نحو ترميم الذات الإنسانية، خالد
ميّار الإدريسي، ندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا
المعاصر، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب (٢٠١١م)
٦٣. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام
الدين الصبابي، ط١، (مصر: دار الحديث، ١٤١٣هـ -
١٩٩٣م).

٦٤. وداعاً للبيولوجيا مرحباً بالبرمجيات، راي كورزويل،
مجلة رسالة اليونسكو (أغسطس ٢٠٠١م).

٦٥. واقع الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي، حسام
الدين محمود حسن، مجلة روح القانون ١٠٢،
(٢٠٢٣م).

المراجع الأجنبية:

1. Atkinson, R.D. "It is going to kill us!" and
other myths about the future of artificial
intelligence. The IUP Journal of Computer
Sciences, 12(4).

2. Bostrom. N, Superintelligence: Paths,
Dangers, Strategies, UK: Oxford University
Press. (2014).

3. Civil Law Rules on Robotics, European
Parliament, Introduction.

66. Ray Kurzweil, "The Age of Spiritual
Machines". (USA: Viking, 1999).

4. Jotterand, F. (2010). Human dignit and
transhumanism; Do anthro-technological
devices have moral status? The American
Journal of Bioethics, 10(7).

المواقع الإلكترونية:

١. زرع شريحة في دماغ بشري
<https://arabic.cnn.com>.

٢. شركة سايبير ون، <https://cyberone.co>

٣. شريحة الدماغ من نيورالينك،
<https://www.dw.com>.

٤. علم الأعصاب،
<https://19mayishastanesi.com>

٥. ماهي القدرة العقلية؟ <https://lookinmena.com>

٦. منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة:
<https://www.fao.org/cgrfa/topics/biotechnology/ar>

٧. مجلة رسالة اليونسكو:
[https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-](https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-aldhka-alastnay-0)
[aldhka-alastnay-0](https://www.unesco.org/ar/articles/mjm-aldhka-alastnay-0)

٨. الموسوعة الميسرة في قضايا الفقه المعاصرة،
<https://erej.org/1209/>

٩. الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا)،
<https://sdaia.gov.sa>.

٤٥. مختصر التحرير في أصول الفقه، محمد بن أحمد
الفتوح المعروف بـ (ابن النجار)، ط١، (الرياض:
دار الأرقم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٤٦. مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، عادل عبد النور،
ط١، (السعودية، طبعة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم
والتقنية، ٢٠٠٥م).

٤٧. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم،
تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار
الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

٤٨. المستصفي، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد
عبد السلام عبد الشافي، ط١، (بيروت: دار الكتب
العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٤٩. مستقبل الإنسانية في ضوء مشاريع الذكاء الاصطناعي
الفائق، مليكة مذكور، مجلة دراسات في العلوم
الإنسانية والاجتماعية ١ (٢٠٢٠م).

٥٠. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١، (ب م:
مؤسسة الرسالة

٥١. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٥٢. المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية [بدأ بتصنيفها الجد:
مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وأضاف إليها الأب:
عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن
تيمية]، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١،
(بيروت: دار الكتاب العربي).

٥٣. معالم السنن، حمد بن محمد البستي المعروف
بـ (الخطابي)، ط١، (حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ -
١٩٣٢م).

٥٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق:
حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (القاهرة: مكتبة ابن
تيمية، ١٤١٥هـ - ٩٩٤م).

٥٥. معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، ط١،
(القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٥٦. المنجد في اللغة العربية، نعمة، أنطون وآخرون. ط١،
(بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٠م).

٥٧. المنحول من تعليقات الأصول، محمد بن محمد
الغزالي، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط٣، (بيروت: دار
الفكر المعاصر - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٥٨. منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي،
سيث باوم، مجلة فكر ٢٤، (٢٠١٩م).

٥٩. الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: أبو
عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (ب م: دار ابن
عنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٦٠. النانو بيولوجي: عصر جديد من علوم الحياة، محمد
غريب عميش، ط١، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١١م).

٦١. نحو تنظيم قانون للذكاء الاصطناعي في حياتنا، إشكالية
العلاقة بين البشر والآلة". عماد الدحيات، مجلة

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Milestones from his guidance peace be upon him in teaching young people monotheism.

Dr: Azizah Saeed Shafer Alsaedi*

*General Directorate of Education in Medina
Al- Munawwarah- KSA.

E-mail: alsaedi4000@gmail.com

معالم من هديه صلى الله عليه وسلم في تعليم الصغار التوحيد.

د. عزيزة بنت سعيد بن شاهر الصاعدي*

*الإدارة العامة للتعليم بمنطقة المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

KEY WORDS

Tawhid – polytheism - juniors – nodal deviations – companions.

الكلمات المفتاحية

التوحيد – الشرك – الصغار – الانحرافات العقدية – الصحابة.

ABSTRACT

The issue of caring for young people and teaching them the right Creed, correcting their behavior within the scope of correcting the belief and getting rid of polytheism in every accurate and significant way, is one of the surest issues and tasks at every time and place; this importance is confirmed in our contemporary reality for two reasons: the first: many parents are busy with their children, leaving them to social networking sites, and this in turn made them vulnerable to receiving many harmful, perhaps atheistic ideas, and the second: the means of having fun and playing in the life of young people made them distract from learning Tawheed. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) was keen to teach this group monotheism in various ways and methods, the whole of which revolves around consolidating and fixing the roots of the origins of the correct belief, and away from the manifestations of polytheism in all its forms, but rather, he was making the aspect of monotheism the foreground in the reform of the curriculum and behavior in the near and long term, and it was the outcome and fruits of this unique curriculum a straight moderate based on a sound understanding of religion and these fruits are what we aspire to achieve in our children and generations of Muslims.

مستخلص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ، فإن مسألة العناية بالصغار وتعليمهم العقيدة السليمة، وتقويم سلوكهم في نطاق تصحيح المعتقد والخلوص من الشرك بكل صوره دقيقه وجليله، من أكد المسائل والمهمات في كل زمان ومكان؛ وتتأكد هذه الأهمية في واقعنا المعاصر لسببين: الأول: انشغال كثير من أولياء الأمور عن أبنائهم، وتركهم فرسية لمواقع التواصل الاجتماعي، وهذا بدوره جعلهم عرضة لتلقف كثير من الأفكار الضارة، وربما الملحدة، والثاني: غلبت وسائل اللهو واللعب في حياة الناشئة جعلهم ينصرفون عن تعلم التوحيد.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم هذه الفئة التوحيد بأساليب وطرق متعددة يدور مجملها على ترسيخه وتثبيت جذور أصول الاعتقاد الصحيح، والبعد عن مظاهر الشرك بكل صوره؛ بل كان صلى الله عليه وسلم يجعل جانب التوحيد هو المقدمة في إصلاح المنهج والسلوك على المدى القريب والبعيد، وظهرت ثمرات هذا المنهج الفريد عند افتراق الأمة وظهور البدع والمخالفات العقدية؛ فكان أولئك الصحابة هم من حمل لواء بيان الاعتقاد الصحيح والرد على الانحرافات العقدية والبدع بعلم ومنهج معتدل مستقيم قائم على الفهم السليم للدين . وهذه الثمار هي التي نطمح بتحقيقها في أبنائنا وأجيال المسلمين.

وعظيمة، وبناء عليه؛ فإن تعليم الأبناء التوحيد أمر واجب وضروري، بل يترتب عليه خير الدنيا والآخرة. ويهدف هذا البحث إلى: بيان عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم التوحيد لفئة الصغار، وقد سمّيته: "معالم من هديه صلى الله عليه وسلم في تعليم الصغار التوحيد- دراسة عقدية موضوعية- أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال الآتي:

- أن العناية بتعليم الصغار التوحيد وتنبيته في أنفسهم أمر مهم، وهو أول ما يجب البدء به؛ لأن إقامة التوحيد هو الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

- رغم أن التوحيد هو دين الفطرة، إلا أنه يعترضه التغيير والتبديل، فيجب العناية بتعلمه وتصويب الأخطاء فيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون بها من جدعاء»^(٤)

- إغفال كثير من أولياء الأمور تعليم أبنائهم الصغار التوحيد، مع أنهم مسؤولون عن ذلك أمام الله عز وجل.

- أن بيان طريقة تعليم الصغار التوحيد في حادثة أسنانهم أهم قضية ينبغي العناية بها؛ لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

- انشغال كثير من أولياء الأمور عن أبنائهم، وتركهم فريسة لمواقع التواصل الاجتماعي، وهذا بدوره جعلهم عرضة لتلقف الكثير من الأفكار الضارة، وربما الملحدة.

- غلبت وسائل اللهو واللعب في حياة الناشئة جعلهم ينصرفون عن تعلم التوحيد؛ فأردت بهذا بيان عناية المصطفى صلى الله عليه وسلم بتربية الناشئة على التوحيد.

- كثيرا ما يتسارع الناس إلى تطبيق المناهج الغربية في التعليم، وطرائق تدريسها، تاركين ما ثبت في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الصحيحة من ذلك، فأردت أن أبين طريقة وهدى النبي صلى الله عليه وسلم وسبقه العالم كله في بيان التوحيد لهذه الفئة- الصغار -، وعنايته بهذا الجانب المهم.

حدود البحث:

يدور البحث حول: جمع الأحاديث التي ورد فيها تعليم النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد لفئة الصغار من خلال: كتب السنة الصحيحة، والسيرة النبوية، ثم بيان هديه صلى الله عليه وسلم في بيان كيفية تعليم الصغار التوحيد وتدريبهم عليه، وبيان ثمرات هذا التعليم عليهم عندما يكبرون.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والتحليلي.

المراد بالمنهج الاستقرائي: تتبع صحيح السنة والسيرة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أمره ربه بالقراءة فقال له: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١-٥].

لقد بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

ومظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بأمتة لها صور متعددة، وكان أعظمها: العناية بجانب التعليم ورفع الجهل عن الأمة، وكان صلى الله عليه وسلم يعتبر نفسه أباً في باب التعليم؛ لما تقتضيه الأبوة من العطف والحنان، ومن استعمال أفضل الأساليب في إيصال العلم فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه»^(١)

وكان أعظم عناية له صلى الله عليه وسلم بتعليم أمتة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وعناية صلى الله عليه وسلم بهذا كانت شاملة في حضره وفي سفره، وفي ليله ونهاره، وفي السراء والضراء.

وقد يتصور بعض الناس أن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد كان مقتصرًا فقط على المكلفين فحسب، وهذا الفهم خاطئ بلا شك، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم جميع أفراد الأمة التوحيد رجالاً ونساء، شبانا وشيباً، صغاراً وكباراً.

عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {قُلُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَوْقَيْنَا أَنْفُسَنَا فَكَيْفَ بَأَهْلِينَا، قَالَ: تَأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعْاصِي اللَّهِ^(٢)، والتوحيد هو أكد المسائل التي يؤمرون بها، وينهون عن كل ما يضره.

ومما يشرح الآية الكريمة أيضاً: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»^(٣).

فإن الوقاية من عذاب الله تشمل النفس والأهل، وتستلزم البعد عن أسباب العذاب، وأعظم سبب لعذاب الله هو الشرك، كما أن أعظم سبب للوقاية من عذاب الله هو التوحيد، ومسؤولية الراعي أي كان - أباء، أمهات...-كبيرة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٧/٢)، رقم (٧٣٦٢)، وأبو داود في السنن (٣/١)، رقم (٨)، والنسائي في الكبرى، (٣٨/١)، رقم (٤٠)، وابن ماجه في السنن (١١٤/١)، رقم (٣١٣)، وابن حبان، (٢٨٨/٤)، رقم (١٤٤٠)، وأبو عوانة في مسنده (١٧١/١)، رقم (٥١١)، قال النووي: صحيح زوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، النووي (١/١٥٢).

الصغار الإيمان قبل تعليمهم القرآن؛ وذلك لأن الإيمان هو الأصل، ومتى رسخ الإيمان في القلب، سهّل العمل على الجوارح وانقادت له، ولم تجد أي غضاضة في تطبيق شرائط الإيمان من الأعمال الظاهرة والباطنة، ويؤكد ذلك ما رواه جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة^(٧)، «فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فزددنا به إيماناً».^(٨)

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «وإذا علم أن الصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه، بل كانوا يأخذون عنه المعاني مجردة عن ألفاظه بألفاظٍ آخر، كما قال جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمر: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن، فزددنا إيماناً، فكان يُعلمهم الإيمان، وهو المعاني التي نزل بها القرآن من المأمور به والمختبر عنه المتلقي بالطاعة والتصديق»^(٩).

قال ابن القيم : " فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ، ف { الحمد لله } توحيد { رب العالمين } توحيد { الرحمن الرحيم } توحيد { مالك يوم الدين } توحيد { إياك نعبد } توحيد { وإياك نستعين } توحيد { اهدنا الصراط المستقيم } توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } الذين فارقوا التوحيد، ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبيأوه ورسله، قال: { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } إن الدين عند الله الإسلام { [آل عمران: ١٨] ، فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع هذه الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية" ^(١٠).

وينبغي أن يُعلم أن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كان بـ " تعليم حروفه ومعانيه جميعاً؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن، فزددنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان" ^(١١).

وقد بيّنت عائشة لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتني بتعليم الإيمان أولاً؛ حيث قالت: " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً " ^(١٢) . فدل هذا

النبوية وجمع ما تيسر لي في هذا الباب.
المراد بالمنهج التحليلي: استنباط الطرائق والأساليب التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم في بيان التوحيد لهذه الفئة العمرية.

المبحث الأول: التوحيد أول ما يُبدأ به.

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».^(٥)

وفي هذا الحديث مسائل، أهمها:

المسألة الأولى:

أن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم شهادة التوحيد على الغلام اليهودي تأكيداً على أن: **التوحيد أول ما يُبدأ به**، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥]، وقال: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل: ٣٦].

وفي حديث بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه، إلى اليمن، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه على اليمن، قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وتردد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»^(٦).

المسألة الثانية:

وفي عرض النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد على الغلام اليهودي دلالة واضحة على حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية الخلق، وشفقته عليهم؛ لأن دخولهم في الدين الإسلامي هو بوابة النجاة من نار جهنم.

المسألة الثالثة:

وفي هذا الحديث ردٌّ على بعض المزاعم التي يدعيها بعض الناس في مجال الدعوة وتبليغ الدين، وهي:

- أن أول واجب على المكلف هو النظر أو الشك.
- عند الدعوة للدين الإسلامي نبدأ بذكر محاسنه أولاً قبل الدعوة للتوحيد.

المبحث الثاني: تعليم التوحيد قبل تعليم القرآن.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتني أولاً بتعليم

(٩) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ابن تيمية ١٢ - ١٣.

(١٠) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤١٨.

(١١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٠٣.

(١٢) صحيح البخاري (٦/ ١٨٥)، برقم: ٤٩٩٣.

(٥) صحيح البخاري (٢/ ٩٤)، برقم: ١٣٥٦.

(٦) صحيح البخاري (٢/ ١١٩)، برقم: ١٤٥٨؛ صحيح مسلم (١/ ٥١، برقم: ١٩).

(٧) الحزاورة: جمع حزور، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع، النهاية، ابن الأثير، ٢٢٤/١.

(٨) سنن ابن ماجه، ٢٣/ ١، برقم: ٦١، قال العراقي: وإسناده صحيح، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٢١٧/ ١، وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه الألباني (١/ ١٣٣).

على أن الإيمان متى ما رسخت جذوره في نفوس المسلمين وصدقوا به تصديقاً جازماً؛ سهل عليهم إقامة أوامره والابتعاد عن نواهيه.

المبحث الثالث: المبادرة بتصويب الأخطاء في التوحيد، وعدم تأخير البيان.

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً كل الحرص على تثبيت جذور الإيمان وتقوية روافده في نفوس المسلمين؛ ولذلك كان عليه الصلاة والسلام لا يترك مجالاً من مجالات الشرك أو مسالك الشيطان في إضلال بني آدم إلا ونبه عليه وحذر منه، ومن ذلك قوله لمن لبس خيطاً يتعوذ به من الحمى: **انزعه فإنك أن مت لم تغلح أبداً.** ومن المواقف التي تدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تصويب الأخطاء في العقيدة وبيان التوحيد وعدم تجاهل الخطأ فيه حتى لو كان الفعل صادراً من طفلة لم تبلغ الحلم: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من جارية صغيرة تغني وتلعب، قالت الربيع بنت معوذ ابن عفراء، جاء النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت جواريات لنا، يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: **وفينا نبي يعلم ما في غد،** فقال صلى الله عليه وسلم: «دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين». (١٣)

وفي هذه القصة جملة من الأمور المهمة منها، ما يلي:

الأول: عناية النبي صلى الله عليه وسلم ببيان العقيدة الصحيحة، ونفي ما عداها، وأن بيان التوحيد لا يؤخر، فهذه جارية صغيرة السن، مع حداثة سنها، وكونها تلعب في يوم فرح وسرور، ومع ذلك لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم البيان عن وقت حاجة الجارية له ولغيرها من الحاضرات، بل بادر عليه الصلاة والسلام ببيان الخطأ وتصحيحه، فلم يمنع العرس وما فيه من فرح وسرور واجتماع الناس من التوجيه والإصلاح.

ونظير هذه القصة حديث أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: ١٣٨] ، إنها السنن، لتركب سنن من كان قبلكم سنة سنة. (١٤) ، ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم مع خروجه لغزو الكفار، وانشغاله بالتخطيط لذلك، والاستعداد النفسي منه ومن صحابته رضي الله عنهم لم يؤخر البيان؛ لأن تحقيق التوحيد هو سبب النصر.

الثاني: أن من أهم ما ينبغي على المسلم العناية به السعي في تحقيق التوحيد وتعلمه والبعد عن الخطأ فيه؛ لأن التوحيد في غاية الصفاء والنقاء فأدنى شيء يخالفه يחדش فيه ويعكره. **الثالث: أنه لا ينبغي التساهل مع الأخطاء وتبرير حدوثها**

تحت أي شعار ولو كان الجهل، أو صغر السن. **الرابع: أن من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل،** فلا ينبغي التساهل وغض الطرف عنه.

الخامس: أن المجتمع المدني مجتمع مسلم، دخل أهله في الإسلام طوعية من غير جهاد ولا قتال، ومع هذا فبقيت فيه رواسب مخالفة للشرع مثل ادعاء كون الأنبياء يعلمون ما في الغيب، وهذا يؤكد أن تخلية المجتمعات مما دخل فيها من الأمور العقيدية التي تخالف الشرع أمر فيه صعوبة؛ لأنه قد يصبح عادة وسجية، بل ربما معتقد لا يمكن الانفكاك عنه.

السادس: في هذه القصة دلالة لمعنى الحديث الذي رواه أبو هريرة فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠] (١٥)، فالبيئة التي عاشت فيها هذه الجارية قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم غيّرت فطرتها فجعلتها تغلو في النبي صلى الله عليه وسلم، وتعتقد أنه يعلم الغيب.

السابع: أنه إذا نوى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلو في نفسه من كونه يعلم الغيب؛ فلا ينبغي أن يدعى هذا في غيره.

الثامن: في الحديث ردٌّ على كل من يغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين.

المبحث الرابع: وجوب تعليم التوحيد وفق منهج أهل السنة والجماعة:

التوحيد والعقيدة الصحيحة هي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة؛ لذلك فإن أعظم مسؤولية تقع على عاتق الأولياء والمسؤولون تعليم أبناءهم العقيدة الصحيحة، وحمايتهم من مسالك الشيطان وخطواته في إضلال بني آدم وإخراجهم من دائرة الإسلام إلى دائرة البدع والشرك والخرافات.

قال ابن أبي العز -رحمه الله -: "فإن الدين الذي يأخذه الصبي عن أبويه هو: دين التربية والعادة، وهو لأجل مصلحة الدنيا، فإن الطفل لا بد له من كافل، وأحق الناس به أبواه، ولهذا جاءت الشريعة بأن الطفل مع أبويه على دينهما في أحكام الدنيا الظاهرة، وهذا الدين لا يعاقبه الله عليه - على الصحيح - حتى يبلغ ويعقل وتقوم عليه الحجة، وحينئذ فعليه أن يتبع دين العلم والعقل، وهو الذي يعلم بعقله هو أنه دين صحيح، فإن كان أبواه مهتدين، كيوسف الصديق مع آبائه، قال: {واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب} ، وقال ليعقوب بنوه: {نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق} ، وإن كان الآباء مخالفين الرسل، كان عليه أن يتبع الرسل، كما قال تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما} ، فمن اتبع دين آبائه بغير بصيرة وعلم، بل يعدل عن الحق المعلوم إليه، فهذا اتبع هواه، كما قال تعالى: {وإذا قيل لهم

(١٥) صحيح البخاري (١/ ٤٥٦، رقم: ١٢٩٣)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧، رقم: ٢٢).

(١٣) صحيح البخاري (٧/ ١٩، رقم: ٥١٤٧).

(١٤) مسند أحمد (٣٦/ ٢٢٥٢٦)، والطبراني (٣/ ٢٤٤)، رقم ٣٢ رقم ٦٧٠٢، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٨٨).

كانت حاجة الناس إلى معرفة الشيء وذكره أشد وأكثر، كانت معرفتهم به وذكرهم له أعظم وأكثر، وكانت طرق معرفته أكثر وأظهر، وكانت الأسماء المعرفة له أكثر وكانت على معانيه أدل، ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه". (٢٠)

- ومعرفة أسماء الله وصفاته تزيد في محبة العبد لربه، قال ابن تيمية رحمه الله: " فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه؛ وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له؛ وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته؛ فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب". (٢١)

ومعرفة أسماء الله وصفاته ومعانيها تزيد في الإيمان، قال ابن تيمية -رحمه الله-: " إن عرف أسماء الله ومعانيها فأمن بها؛ كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملا أو عرف بعضها؛ وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانه به أكمل". (٢٢)

- ومن ثمرات الإيمان بالملائكة، معرفة قدرة الله سبحانه وتعالى حيث خلقهم من نور، وخلق الإنسان من طين، وخلق الجآن من نار، وأن عدهم لا يعلمه إلا الله، فمنهم من يزور البيت المعمور كل يوم، ولا يرجعون إليه أبداً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان... فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...» (٢٣)، ويؤمن بعظمة خلق الملائكة؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: " ثم فتر عني الوحي فترة، فبينما أنا أمشي، سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجنثت منه (٢٤)، حتى هويت إلى الأرض». (٢٥)، كما تظهر عناية الله بعباده حيث وكل الملائكة بعباده المؤمنين، فمنهم حملة الوحي، ومنهم الكتبة والحفظة، ومنهم من شارك في القتال مع المسلمين والدفاع عنهم.

- وأما الإيمان بالكتب والرسول فتظهر فيهما عناية الله بعباده؛ حيث لم يتركهم هملا، بل أرسل إليهم رسلا، وأنزل عليهم كتباً، وأن الكتب والرسول يتفاضلون فيما بينهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ وليسأل المؤمن فضل الله؛ فعطايا الله لا تنقطع، فيتعلق قلبه به سبحانه.

- وأما ثمرات الإيمان باليوم الآخر، فيعلم المؤمن أن الدنيا

اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون {، وهذه حال كثير من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأ ليس هو فيه على بصيرة، بل هو من مسلمة الدار (١٦)، لا مسلمة الاختيار، وهذا إذا قيل له في قبره: من ربك؟ قال؟ هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته؛ فليتأمل اللبيب هذا المحل، ولينصح نفسه، وليقم معه، ولينظر من أي الفريقين هو؟ (١٧)

فالإيمان علم من العلوم الشرعية يجب تعلمه وتعليمه، ويدل على هذا حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم قال صلى الله عليه وسلم للصحابه رضي الله عنهم: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (١٨).

فإذا وضحت معاني الإيمان وتحددت معالمه فلا يرتد صاحبه، كما قال هرقل حين سأل أبا سفيان: قال له: سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فرعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فرعمت أن لا، وكذلك الإيمان، حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. (١٩)

وكل ركن من أركان الإيمان إذا تأمله الصغير وتعلمه وتدبر معانيه؛ حقق إيمانه؛ فالإيمان بالله: إيمان بأركانه الثلاثة:

- فالإيمان بربوبيته؛ يتعلمه الصبي حين يتأمل عجائب صنع الله في الكون، من مثل قوله تعالى: {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة: ١١٧]، أي: مبدعهما، ووجوه إبداع الله في خلقه، ومن صور الإبداع ما وضحه القرآن في قوله: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَإِذْ جَافَ الْبَصَرُ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: ٣-٤]، فهذه الآيات الكونية التي تستلزم وجوده سبحانه وتعالى، وبأنه المتصرف وحده في هذا الكون، فلا خالق ولا رازق ولا نافع إلا هو سبحانه وتعالى.

- وأما الإيمان بالوحيية: وهو أفراد الله بأفعال المكلفين بالعبادة، فإن في مراقبة الله في أداء العبادات، بشروطها وأركانها وتحقيق الإخلاص لها أثر بالغ في تحقيق الإيمان، وفي زيادته، والترقي في درجاته، فالإيمان قول وعمل واعتقاد.

- وأما الإيمان بأسمائه وصفاته: فله دور عظيم في الإيمان؛ لأن فيه التعرف على أسماء الله وصفاته التي كثر ذكرها في نصوص الكتاب والسنة، قال ابن تيمية -رحمه الله-: " وكلما

(٢٣) صحيح البخاري (٤/ ١٠٩، برقم: ٣٢٠٧) صحيح مسلم (١/ ١٤٥، برقم: ١٦٢).

(٢٤) أي فرغت منه وخفت. وقيل: معناه قلعت من مكاني، من قوله تعالى اجثث من فوق الأرض، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (١/ ٢٣٩).

(٢٥) صحيح البخاري (٤/ ١١٦، برقم: ٣٢٣٨) صحيح مسلم (١/ ١٤٣، برقم: ١٦١).

(١٦) يقصد بمسلمة الدار: المقلد في دينه للآباء.

(١٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص: ٢٢١- ٢٢٢.

(١٨) صحيح مسلم (١/ ٣٦، برقم: ١).

(١٩) صحيح البخاري (١/ ١٩، برقم: ٥١).

(٢٠) درء التعارض، ابن تيمية ٣/ ٣٣٠- ٣٣١.

(٢١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٥٣٨: ٧.

(٢٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٧/ ٢٣٣- ٢٣٤.

أخرى، بأن ما سأخبرك به جملة من الكلمات وليس جملة واحدة حتى يستعد لتلقيها وحفظها وفهمها.

ولعل مثل هذا مما كان له أثر بالغ على ابن عباس رضي الله عنهما في تأمل ما يسمعه ويقرأه؛ ولذلك قال عمر رضي الله عنه يقول: "ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا..."^(٢٩).

وقال الزهري: "قال المهاجرون لعمر ألا تدعوا أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول"^(٣٠).

ولما قيل لابن عباس رضي الله عنهما: كيف أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول"^(٣١)، وكانت لهاتين الصفتين دور في ظهور فقهه ونبوغه في العلم.

المسألة الثالثة:

أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد ابن عباس إلى جماع مسائل الدين، وهي التقوى، قال ابن الجوزي: "يا بني! ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، فالمتقي لا يراني الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك»"^(٣٢).

المسألة الرابعة:

علم النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما أهم مسائل التوحيد، وهي:

- أنه لا يسأل إلا الله، ولا يطلب العون إلا منه، وهذا مضمون قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]
- ثم وضّح له سعة علم الله وقدرته على الخلق، وأنه لا نافع إلا الله، وهذا شرح لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، فإذا كان الكون كله في قدرته فلا يلجأ إلى غيره، ولا يخاف إلا منه.

- ثم تدرج النبي صلى الله عليه وسلم للزيادة في الشرح فقال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» فربط النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته هذه لابن عباس بين أولها وآخرها.

المبحث السادس: تعليم النبي صلى الله عليه وسلم ابن

عباس معنى الوسطية والاعتدال.

عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: هات القط لي، فلفطت له حصيات هن حصي الخذف، فوضعهن في يده، فقال: بأمثال هؤلاء مرتين، وقال بيده - فأشار يحيى أنه رفعها - وقال: «إياكم والغلو؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»^(٣٣).

وفي هذا الحديث يمكن تسليط الضوء على جانبين مهمين في عملية تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصغار التوحيد

دار عبور إلى الآخرة، وأن كل عمل يعمل به خير أو شرا فإنه مجزى به، فإن أذنب تاب وعاد على الفور والحال، وإن أحسن حمد الله على توفيقه وطلب الزيادة منه.

- وأما ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، فليعلم العبد: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، فیرتاح قلبه من هم الدنيا ومن كدرها، فيتعلق قلبه بالله، ويسأله أن يجعل كل قضاء قضاه له خيرا.

المبحث الخامس: تعليم أصول التوحيد.

قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الخلاق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيهم لم يقدروا على ذلك، وأن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيهم لم يقدروا على ذلك، وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإذا سألت فسل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا اعتصمت فاعتصم بالله، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير؛ فإن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»^(٢٦)، وفي رواية: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢٧)، وفي رواية قال له: «يا غلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئا لم يكتبه الله عز وجل لك، لم يقدروا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئا كتبه الله عز وجل لك، لم يقدروا عليه، فاعمل لله تعالى بالرضى في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا»⁽²⁸⁾

هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه مسائل كثيرة، منها ما يلي:

المسألة الأولى:

تلطف النبي صلى الله عليه وسلم بابن عباس حين ندائه له بقوله: «يا غلام» وهذا التلطف من شأنه أن يستميل ابن عباس رضي الله عنهما ليتنبه لما بعد هذا النداء.

المسألة الثانية:

في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك كلمات» إجمال يعقبه تفصيل؛ ليستدعي زيادة انتباهه مرة

(٢٦) أخرجه أحمد (١٩/٥)، الطبراني (١٢٣/١١)، رقم: ١١٢٤٣.

(٢٧) أخرجه أحمد (٢٩٣/١)، رقم: ٢٦٦٩، والترمذي (٦٦٧/٤)، رقم: ٢٥١٦.

(28) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم: ٣١٤:١.

(٢٩) حلية الأولياء: ٣١٨:١.

(٣٠) الإصاية ابن حجر ٦/ ٢٣٦.

(٣١) تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٨٥: ٢٣.

(٣٢) لفظة الكبد في نصيحة الولد، ابن الجوزي ص: ٩.

(٣٣) أحمد بن حنبل، "مسند أحمد"، (٥/ ٢٩٨)، رقم: ٣٢٤٨، و (٣/ ٣٥١-٣٥٠)، رقم: ١٨٥١.

وهما:

الجانب الأول:

تعليمه لابن عباس رضي الله عنهما كيفية التقاط حصي الجمرات، ومجانبة الغلو في ذلك.

فإن الشاب في فورة شبابه قد يأخذ حُبه للدين وتعلقه به إلى المبالغة في أمور التعبد الذي يؤدي إلى الغلو - وهو مجاوزة الحد - في أمور الدين؛ لهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما عن الغلو، فبهذا يظهر أن هذا الحديث أصل عظيم في النهي عن الغلو في الدين، وبخاصة الشباب، وهذه صفة بارزة في الخوارج، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في شئهم حيث قال: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأبينا لقيمتهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة» (٣٤)

وقد رأى الناس أن الغلو الواقع من الشباب أكثر من غلو كبار السن، فكم جروا من الولايات والمآسي على أنفسهم وعلى أهلهم وعلى مجتمعاتهم.

الجانب الثاني:

بيان أثر تعلم ابن عباس التوحيد على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة مسألة: **نهيه صلى الله عليه وسلم عن الغلو**، فقد تدبر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الوصية والنصيحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حق التدبر، وفهم خطورة الغلو آثاره القريبة والبعيدة على أصول الدين وفروعه؛ فكان لهذه النصيحة أثر بالغ في حياته رضي الله عنهما، فلم يُعرف عنه التشدد في فتياه أو قضياه.

وعندما ظهرت الخوارج الذين كانوا كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان...» (٣٥) كان صغار الصحابة الذين تعلموا التوحيد الصحيح وما يضاده من الكفر هم من جابه تلك الفرق ووقف لهم بالمرصاد.

وكان لهذه النصيحة أثر عظيم في حياة الأمة الإسلامية، وذلك حين ظهرت فرقة الخوارج، المعروفون بالغلو في الدين، في عبادتهم وعاداتهم إلى درجة منع أنفسهم من لبس أحسن اللباس، وإثارة الخشن منه، بل وكفروا مرتكب الكبيرة، وبلغ بهم غلوهم أن كفروا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحين ذهب ابن عباس لمناظرتهم كان يرتدي أبهى خلة، فاستعظموا هذا منه، فلما أخبرهم أنه رأى مثلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بهتوا وأخرسوا، كما سيأتي، فكان هذا الصنيع من ابن عباس رضي الله عنهما، تنبيهاً قوياً للخوارج ودعوة لهم لسبر أحوالهم ومقارنتها بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

كان تجمل ابن عباس رضي الله عنهما بمكانة المقدمة والتمهيد لمناظرتهم؛ حيث شحذ همهم وجمع فكرهم؛ فأشربت له قلوبهم وأصغت لما سيقول، فناظرهم المناظرة المشهورة (٣٦)، فرجع منهم الثلثان إلى السنة والطريق المستقيم وتركوا ما عليه الخوارج.

بعض آثار وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما:

- **وصيته الناس بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فعن أبي غالب الخجلي، قال: سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنه يقول: «عليك بالفرائض، وما وظف الله تعالى عليك من حقه فأذه واستعن الله على ذلك، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه إلا أخره عما يكره، وهو الملك يصنع ما يشاء» (٣٧).

- **شدة خوفه من الله**، فعن أيوب السخيتاني، قال: "نبئت أن طاووساً، كان يقول: ما رأيت أحداً كان أشد تعظيماً لحرمات الله من ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والله لو أشاء إذا ذكرته أن أبكي لبكيت" (٣٨).

- وقال ابن عباس: "القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر، كان تكذيبه بالقدر نقضاً للتوحيد، ومن صدق بالقدر كانت العروة الوثقى". (٣٩)، وكان يقول عن الخوض في القدر: "باب شرك فتح على أهل القبلية التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري مشركهم على أيديكم". (٤٠)

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد، فإن مسألة عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم الصغار التوحيد من المسائل المهمة التي ينبغي العناية بها وقد خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، من أهمها الآتي:

- أهمية العناية بجيل الصغار وترسيخ قواعد الإيمان وجذوره فيهم، ليكونوا مسلمة الاختيار لا مسلمة الدار.
- أن التوحيد علم يُتعلم، وهو أشرف العلوم وأعظمها.
- التوحيد أول ما يجب البدء به، فهو يجمع خيري الدنيا والآخرة.
- تنوع أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه للتوحيد بما يناسب المقام وخصائص الصغار.
- أن بيان التوحيد وتصحيح الأخطاء فيه يكون مباشرة ولا يؤخر في البيان، بل يُبدأ به أولاً وقبل كل شيء.
- وجوب الحرص على تلقي العقيدة الصحيحة وفق منهج أهل السنة والجماعة، من العلماء المشهود لهم بصحة المنهج.

(٣٧) حلية الأولياء: ١/ ٣٢٦.

(٣٨) حلية الأولياء: ١/ ٣٢٩.

(٣٩) الإبانة الكبرى: ٤ / ٥٩، رقم: ١٦١٩.

(٤٠) الإبانة الكبرى: ٤ / ١٦٠، رقم: ١٦٢٣.

(٣٤) رواه البخاري (١٣٢١/٣)، رقم: (٣٤١٥)، ومسلم (٥/٤٦٦).

رقم: (١٠٦٦).

(٣٥) صحيح البخاري (١٢١٩/٣) برقم: (٣١٦٦).

(٣٦) يُنظر: مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج، السنن الكبرى ١٧/ ٤١.

- **التوصيات:**
- أهمية الاستفادة من السنة النبوية بالنظر والتدبر في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شئون الحياة: عقيدة، ومنهجاً، وتربية، وسلوكاً.
- ضرورة عرض مسائل الدين وشرحها وبيانها، بطرق ووسائل متنوعة لأبناء هذا الجيل؛ لربطهم بالدين منهجاً وسلوكاً.
- وختاماً نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وأن يبارك في أبنائنا ويجعلهم ذخراً للدين والوطن، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
- **المصادر والمراجع**
- **الإبانة الكبرى**، ابن بطة العكبري، تحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري الرياض، الناشر: دار الراجعية.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر ١٩٩٥.
- **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، ابن وهب، تحقيق: ميكوش موراني، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣.
- **الجامع الصحيح**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، بيروت، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة ١٩٨٧.
- **جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي - مجمع الفقه الإسلامي -.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ.
- **درء التعارض**، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط٢، السعودية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ.
- **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط١، المدينة المنورة، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ١٤١٨ هـ.
- **السنة**، عبد الله بن أحمد، تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، ط١، الدمام، الناشر: دار ابن القيم ١٩٨٦.
- **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- **سنن أبي داود**، أبو داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمّد كامل قره بللي، ط١، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.
- **سنن الترمذي**، الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- **السنن الكبرى**، للبيهقي، تحقيق: د- عبد الله التركي، ط١، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢ هـ.
- **السنن الكبرى**، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، الحنفي، ابن أبي العز، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨.
- **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- **لفظة الكبد في نصيحة الولد**، ابن الجوزي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، ١٩٩٢ م.
- **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، تحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦ هـ.
- **مدارج السالكين**، ابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي ١٩٩٦ م.
- **معالم السنن**، الخطابي، ط١، حلب، الناشر: المطبعة العلمية ١٩٣٢ م.
- **مشكاة المصابيح**، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي ١٩٨٥.
- **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، القاهرة، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩.

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Failure to participate on the Prophets battles: Tabuk (8h/629g) as an example.

التخلف عن المغازي النبوية (تبوك نموذجاً عام ٦٢٩/٥هـم).

Dr.Amal Suleiman Abdul Rahman AL- saran*

*Scientific Rank: Assistant professor.

Specialization: History and Civilization.

Department of History and Civilization, Social Science College, Imam mohammad Ibn Saud Islamic.

د. أمل بنت سليمان بن عبد الرحمن السعران*

*أستاذ التاريخ والحضارة المساعد - قسم التاريخ والحضارة،

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

E-mail: aasaran@imamu.edu.sa

KEY WORDS

Tabuk – Hypocrites – retardation of Maghazi – The Battle of AL- asra.

الكلمات المفتاحية

تبوك – المنافقون – التخلف عن المغازي – غزوة العُسرة – كعب بن مالك – السيرة النبوية.

ABSTRACT

This study explains the concept of remaining behind (not participating in a battle) generally speaking, and that of remaining behind and not participating in the Battle of Tabuk more specifically, when remaining behind and not participating in a battle was unheard of, but was due to the circumstances of that battle.

This is what the researcher clarifies through the presentation.

The Battle of Tabuk was the last of the battles of the Prophet ﷺ, and took place in the ninth year of Hijrah, in which the Prophet ﷺ came out with the Muslim army to the North of the Arabian Peninsula. This was at a time of harsh economical and climatic conditions, and what the Companions did to equip the Muslim army.

The Muslim army returned after achieving a victory without a direct confrontation with the Romans. Then the study clarifies the categories of those who remained behind from the Battle of Tabuk and the circumstances of those groups, and the position of the Prophet ﷺ with those who remained behind and did not participate in the battle.

مستخلص البحث:

في هذه الدراسة تعريف لمفهوم التخلف بشكل عام، والتخلف عن غزوة تبوك تحديداً، حيث كان التخلف ظاهرة وذلك يعود لظروف تلك الغزوة وهذا ما وضحته الباحثة من خلال العرض المختصر لغزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ وكانت في السنة التاسعة للهجرة، وفيها خرج ﷺ بجيش المسلمين لشمال الجزيرة العربية في ظروف مادية ومناخية قاسية، وما فعله الصحابة ﷺ من تجهيز جيش المسلمين، وقد عاد المسلمون بعد أن حققوا عدداً من الانتصارات دون مواجهة مباشرة مع الروم.

ومن ثم وضحت الدراسة فئات المتخلفين عن غزوة تبوك وظروف تلك الفئات، وبعدها موقف النبي ﷺ من أولئك الذين تخلفوا عن الغزوة.

المقدمة

حين نزل الإذن بالقتال وجه الرسول ﷺ عدداً من السرايا والغزوات كان الهدف منها في البداية إشعار قريش بتيقظ المسلمين من جهة، واعتراض تجارة قريش لتعويض المهاجرين ما سلب منهم في مكة من جهة أخرى، وكانت هذه السرايا من الأسباب التي جعلت قريش تسير إلى المدينة بجيوشها من أجل القضاء على المسلمين خصوصاً أنهم كانوا يشعرون بالقوة وكانت أول مواجهة كبرى في غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة واستمرت المواجهات فيما بينهما حتى انتهت بفتح مكة وإنهاء مقاومة قريش بعدها عاود النبي ﷺ نشاطه لمواجهة نصارى الروم ومن حالفهم من القبائل العربية المنصرة وتمثل ذلك النشاط في غزوة تبوك التي قادها النبي ﷺ بنفسه وخرج في تلك الغزوة في ظروف قاسية من شدة الحر وقلة المؤنة ومحاولة المنافقين تشييط المسلمين عن المشاركة في هذه الغزوة، حيث كان المنافقين يعتقدون أن انتصارات المسلمين على المشركين ستؤدي إلى زيادة قوة المسلمين وتثبيت أقدامهم في المدينة لذا حاولوا إشاعة روح التخاذل عن الجهاد وإضعاف معنويات المسلمين بالقول والعمل كما فعلوا في غزوة أحد عندما انسحبوا من جيش المسلمين بهدف إخلال صفوف المسلمين وإضعاف معنوياتهم فيها.

والمخلف المتروك، أي خلفهم الله وثبّطهم أو خلفهم رسول الله ﷺ والمؤمنون لما علموا تناقلهم عن الجهاد، وكان هذا في غزوة تبوك، والخلاف المخالفة^(٢).

والخلاف: المخالفة أو التخلف: التأخر، يقال: خلفت فلاناً ورائي فتخلف عني أي تأخر^(٣).

والخوالف في قوله تعالى: {رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [سورة التوبة: ٨٧] هن النساء، لأن الرجال يغيبون في حروبهم وغاراتهم وهن يخلفهن في البيوت والمنازل، وقيل الخالفة: عمود الخيمة المتأخر، ويقال: خلفته تركته خلفي، قال تعالى: {فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ} [سورة التوبة: ٨١]^(٤).

إصطلاحاً: بناءً على مذكر من تعريفات سابقة كما نرى، فالتخلف عن المغازي هو التأخر والتقاعس عن المشاركة مع النبي ﷺ في غزواته مع الاستطاعة.

ثانياً: تبوك وأهدافها.

خاض الرسول ﷺ العديد من الغزوات الهامة بنفسه، وذلك بعد أن ترسخت دولة الإسلام وتأسست بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وقد جاءت هذه الغزوات كردة فعل طبيعية على الهجمات المتعددة التي ابتدأتها قبائل شبه الجزيرة العربية والقوى العظمى آنذاك على دولة الإسلام الناشئة، حيث حاول عرب الجزيرة وهذه القوى استئصال المسلمين عن بكرة أبيهم^(٥).

وتميزت غزوة تبوك بأنها موجهة إلى الروم، ونصارى العرب شمال الجزيرة العربية، وبذلك دخل المسلمون مرحلة جديدة بعد قضائهم على الوثنية في جزيرة العرب، وإجلانهم أهل الكتاب من يهود إلى قتال أهل الكتاب من النصارى، هذا التحول الذي يتسق مع طبيعة الإسلام وأهدافه الرامية إلى إخراج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ونبذ الشرك وتعد غزوة تبوك أحد

وفي هذا البحث عرض لمشكلة التخلف عن المغازي النبوية، والتخلف لم يكن جديداً على المسلمين، فقد حصل في عدد من الغزوات قبل تبوك ولكن في تبوك كان التخلف ظاهرة وذلك يعود لظروف تلك الغزوة وهذا ما سيتضح في هذه الدراسة التي جاء فيها: تعريف لمفهوم التخلف بشكل عام، والتخلف في تبوك تحديداً، ومن ثم عرض مختصر لغزوة تبوك، ثم فئات المتخلفين عن غزوة تبوك، وبعدها عرض لمنهج النبي ﷺ في معالجة تلك المشكلة، ومن ثم الخاتمة وفيها عرض لأهم نتائج الدراسة.

واعتمدت الباحثة على عدد من المصادر أهمها القرآن الكريم وبعض التفاسير، وكتب الحديث من أهمها صحيح البخاري ومسلم، وكتب السيرة كسيرة ابن هشام، هذا بالإضافة إلى بعض المصادر والمراجع التي تخدم هذه الدراسة.

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره: في هذا البحث تم إلقاء الضوء على مشكلة التخلف التي كانت ظاهرة في غزوة تبوك وهي واحدة من أبرز الأحداث التاريخية التي حملت في طياتها دروساً هامة وقيماً عظيمة.

- تساؤلات الدراسة: تعريف التخلف بشكل عام، والتخلف عن غزوة تبوك تحديداً، ومعرفة فئات المتخلفين عن غزوة تبوك وأسباب تخلفهم، ومعرفة منهج النبي ﷺ في معالجة تلك المشكلة.

- الدراسات السابقة: بالنسبة للدراسات السابقة ليست لدي معلومات حول دراسات محددة تتناول موضوع التخلف عن المغازي النبوية، ومع ذلك يمكن أن تكون هناك دراسات أو أبحاث تتناول موضوعات متعلقة بالمغازي النبوية والتأخر في المشاركة فيها أو التخلف عنها، ويمكن أن يكون في بعض المصادر والمراجع الدينية بعض الإشارات لموضوع التخلف وتناوله من ناحية شرعية.

أولاً: مفهوم التخلف عن المغازي:

التخلف لغة: تخلف عن الشيء يتخلف، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ف) التي تدل على الخلف الذي هو خلاف قدام أي التأخر الذي هو نقيض التقدم^(١).

(٤) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار الباز، ج ١، ص ٢٠٩؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، ج ١٠، ص ٣١٦-٣١٧؛ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له: عبد الله بن عقيل، ومحمد العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن الوليح، ط ١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ص ٣٤٧.

(٥) أكرم ضياء العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ط ٧، العبيكان: الرياض، ١٤٣٤هـ (٢٠١٣م)، ص ٥٨٥.

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٢١٠؛ ابن منظور أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، اعتنى به: أمين عبد الوهاب، محمد العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤١٩هـ، (١٩٩٩م)، ج ٤، ص ١٨٩؛ الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، نسخة عن الطبعة الأميرية، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٩م)، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٣١٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٨٥.

أهم شواهد هذه الغاية الإسلامية^(٦). وكانت من أصعب الغزوات على المسلمين وفيما يلي بعض التفاصيل حول هذه الغزوة:

- سبب غزوة تبوك:

وقعت غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة بعد عودة المسلمين من حصار الطائف^(٧) وقد ذكر عدد من المؤرخين أسباباً عدة لهذه الغزوة منها: أن هرقل جمع جموعاً من الروم وقبائل العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم^(٨).

وروى ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) في سبب الخروج إلى تبوك أن اليهود أتوا الرسول ﷺ وقالوا له أن كنت صادقاً بأنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر والأنبياء تغرياً بالمسلمين ليخرجهم من المدينة ويعرضهم لخطر المواجهة مع الروم، وعندما وصل تبوكاً نزلت عليه قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: ٧٦]، وهذه الآيات فضحت خبر اليهود وموقفهم، وجاء فيها أمر الله بالرجوع إلى المدينة حيث الممات والمحشر^(٩).

وهذه الروايات التاريخية في مجملها لم تكن هي السبب الرئيس في خروج النبي ﷺ لتبوك بل كان الدافع الأول هو امتناله لأمر الله تعالى حيث أمر بذلك^(١٠)، وقد أورد ابن كثير (ت: ٥٧١هـ/١٣٧٠م) ذلك جلياً حيث ذكر أن رسول الله ﷺ عزم على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [سورة التوبة: ١٢٣]^(١١).

وقد سميت غزوة تبوك بغزوة العسرة^(١٢) أيضاً حيث ندب الرسول ﷺ الناس للخروج حيث وافق ذلك الوقت ظروفاً قاسية، فكان الحر شديداً والأرض مجدية، كما وافق ذلك وقت نضج الثمار بالمدينة مما يصعب معه الخروج لذا سميت هذه الغزوة غزوة العسرة وجيشها بجيش العسرة، ولهذه الظروف مع بعد المسافة وقوة العدو فقد بين الرسول ﷺ وجهة الجيش على غير عادته في غزواته، حيث كان يكتفي ولا يصرح ببيان الوجهة حتى تتم جميع الاستعدادات ويخرج للغزوة^(١٣).

استجاب لدعوة الرسول ﷺ للخروج أعداد كبيرة من المسلمين ومن خارجها بلغ عددهم ثلاثين ألف^(١٤)، ولكن كثيراً منهم لا يجد الراحة والراحلة الذي يمكنه من السير مع الجيش، لذا حث الرسول ﷺ الناس للتطوع في تجهيز الجيش ورغب في ذلك، فكان مما قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة" فتسابق الصحابة للتطوع، وكان في مقدمتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي تطوع بعدد من الجمال والمال ما جعل الرسول ﷺ يقول له: "ماض عثمان ما عمل بعد هذا"^(١٥)، وانفق عبدالرحمن بن عوف نصف ماله^(١٦)، وحتى فقراء المسلمين لم ييخلوا بما يستطيعون فقدموا ما جادت به قدرتهم، فهناك من تصدق بنصف صاع من تمر، وجاء أبو خيثمة الأنصاري^(١٧) بصاع من تمر فلمزوه المنافقين، وقالوا: ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء، وقالوا: أولم يكن الله غنياً عن صاع هذا، فأنزل الله قوله: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة التوبة: ٧٩] وأما من لم يجد مالاً يوجد به أو راحلة تحمله فقد جاد بدموعه تعبيراً على ما في قلبه من حب للبذل والمشاركة^(١٨)، وهؤلاء ذكرهم الله فيمن ليس عليه حرج في تخلفه عن الخروج مع الجيش فقال تعالى عنهم: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا

خرجنا إلى تبوك في قيط شديد فأصابنا عطش"، قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان عسرة من الماء والظهر وفي النفقة، فسميت غزوة العسرة. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥٣؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ح ٤٤١٥، ج ٨، ص ١١٠-١١١).

(١٣) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ١١٦.

(١٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٩٦.

(١٥) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، باب مناقب عثمان رضي الله عنه، ح ٣٦٩٥، ج ٧، ص ٥٢-٥٤.

(١٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٨.

(١٧) أبو خيثمة الأنصاري السالمي، أسمه عبد الله بن خيثمة، ويقال إن أسمه مالك بن قيس بن العجلان. (عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٦، ص ٨٩-٩٠).

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥١٨.

(6) أكرم العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٥٨٥.

(٧) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، ط ٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)، مج ٢، ص ١٥٥.

(٨) محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ط ١، تحقيق: علي محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ج ٢، ص ١٥٠؛ محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، ١٩٦٦م، ج ٣، ص ٩٩٠.

(٩) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: عمر العمري، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٧٨.

(١٠) أكرم العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٥٨٣.

(١١) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار الهجرة، القاهرة، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، ج ٧، ص ١٤٤-١٤٥.

(١٢) قال تعالى: "الذين اتبعوه في ساعة العسرة": وهي غزوة تبوك، وفي حديث ابن عباس قيل لعمر حدثنا عن شأن ساعة العسرة، قال:

هيبته في قلوب النصاري وحلفائهم من القبائل العربية المنتصرة فلم يجروا على مواجهة المسلمين.

ثالثاً: فئات المتخلفين عن الغزوة:

اتضح من تعريف مفهوم التخلف عن المغازي هو أن يتقاعس المسلم أو يتأخر عن المشاركة مع النبي ﷺ في غزواته لأي سبب من الأسباب، ومن بعض الشواهد تبين أن هناك من لم يشارك في بعض الغزوات قبل غزوة تبوك، قال تعالى: وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ { [سورة آل عمران: ١٦٧] ونزلت هذه الآية في غزوة أحد عندما جمع المنافقون^(٢٩) بين التخلف عن الغزوة وبين الاعتراض والتلذذ بقضاء الله وقدره^(٣٠).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا له وحلفوا وأحبوا أن يحموا بما لم يفعلوا، فنزلت قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة آل عمران: ١٨٨] ^(٣١) وقد تخلف بعض الصحابة في بعض الغزوات غير أن تخلفهم لم يكن نفاقاً أو تخديلاً بل لأمر خارج عن إرادتهم مثل: جابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما لم يشهد غزوتي بدر وأحد لأن والده منعه حيث تركه لرعاية أخوته^(٣٢)، وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يشارك في غزوة بدر لأن النبي ﷺ أمره

وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ { [سورة التوبة: ٩٢] وفيهم قال الرسول ﷺ بعد عودته من تبوك: "إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم" قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: "وهم بالمدينة حبسهم العذر"^(٣٣).

وقد أقام النبي ﷺ معسكره خارج المدينة في ثنية الوداع^(٣٤) حتى يتم توافد من يريد الخروج معه، واستعمل ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه^(٣٥) على المدينة، كما استخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله^(٣٦).

وحينما تكامل خروج الناس سار الرسول ﷺ بجيشه الكبير، وكان يتعاقب على البعير الواحد الرجلان والثلاثة، متوجهاً للروم وحلفائها حتى بلغ تبوك ومكث هناك عشرين يوماً حيث تصل أخبار جيشه للروم وحلفائها من العرب، فإن كان لهم قوة على مواجهة المسلمين تقدموا للمواجهة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فلعلهم علموا بكثرة المسلمين واستعدادهم للقتال فدخلهم الرعب فأتروا عدم المواجهة وتفرقوا^(٣٧).

وفي تبوك بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه في سرية دومة الجندل،^(٣٨) فأسر ملكها النصراني "أكيدر الكندي"^(٣٩) فلما قدم به إلى الرسول ﷺ أطلقه وصالحه على دفع الجزية،^(٤٠) وهناك قدم ملك أيلة^(٤١) وأهدى للرسول ﷺ بغلة بيضاء، وصالح الرسول ﷺ على دفع الجزية فكتب له الرسول ﷺ كتاب أمان له ولأهل أيلة، كما صالح بعض القبائل العربية المنتصرة على مثل ذلك،^(٤٢) ثم بعد ذلك قفل المسلمون مع رسولهم إلى المدينة بعد أن أكدت تلك الغزوة

الجدل حالياً هي قرية في الجوف وتعد من المناطق الزراعية. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٢؛ عاتق البلاذري، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ١٢٧-١٢٨).

(٢٥) أكيدر بن عبد الملك بن الحارث بن معاوية.. الكندي، صاحب دومة الجندل، أتى به إلى النبي ﷺ فأسلم، ويقال: بقي على نصرانيته، وتب له النبي ﷺ كتاباً، ويقال: أسلم ثم أرتد إلى النصرانية. (ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٩، ص ١٩٨).

(٢٦) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٦.
(٢٧) أيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر وهي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة عامرة وبها زرع يسير، وملكها الذي قدم على النبي ﷺ وهو في تبوك اسمه يوحنا بن روبة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٢).

(٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٥.
(٢٩) أول ظهور أمر المنافقين

(٣٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٥٦.

(٣١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٢٣٣.

(٣٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٨٢.

(١٩) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٤٢٣.

(٢٠) ثنية الوداع: اسم من التوديع عند الرحيل، وهي ثنية مشرفة على المدينة اختلف في تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل: لأن النبي ﷺ ودع بها بعض من خلفه بالمدينة، وفي الوقت الحاضر تقع على يسار الخارج من المدينة والمتجه إلى الشمال. (ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ت ٦٢٢٦/١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧/١٩٧٧م، ج ٢، ص ٨٦؛ محمد حسن شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط ١، دار القلم، سوريا - لبنان، ١٩٩١/١٤١١م، ص ٨١).

(٢١) محمد بن مسلمة بن سلمة من الأوس، شهد مع النبي ﷺ بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها عدا تبوك لأن النبي ﷺ استخلفه على المدينة، توفي سنة ٤٦هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩).

(٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥١٩.
(٢٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٣٥؛ أكرم الغمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٩٨.

(٢٤) دومة الجندل: تقع دومة الجندل شمال المدينة المنورة، وسميت بذلك نسبة إلى حصن بناه دوما بن إسماعيل، أما الجندل فهي حجارة، وعلى هذا يكون معنى الاسم الحصن الذي بناه دوما في منطقة مليئة بالحجارة، وكان يضرب المثل بمناعة حصن دومه وشدته، ودومة

بالبقاء لرعاية زوجته رقية (رضي الله عنها) التي كانت مريضة^(٣٣).

أما بالنسبة لغزوة تبوك التي هي محل الدراسة فمفهوم التخلف يحمل عدة معاني ستتضح من خلال معرفة فئات المتخلفين عن غزوة تبوك وفق ماورد في المصادر التاريخية وهي كالتالي:

أولاً: من طلب منهم البقاء في المدينة:

خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استتقلاً له وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب ﷺ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف^(٣٤)، فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استتقلتني وتخففت مني، فقال ﷺ: "كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فأرجع فإخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره^(٣٥).

ثانياً: من تأخر من الصحابة ثم لحق بعد ذلك بالنبي ﷺ:

عندما كشف النبي ﷺ عن وجهته إلى تبوك سارع المؤمنون إلى الخروج في هذه الغزوة رغم الظروف القاسية من قلة المؤن، وشدة الحر، إلا أن هناك من تأخر ثم لحق بالنبي ﷺ بعد ارتحاله بالجيش، يذكر ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق: ثم رجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره، ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيات له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح والرياح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعاماً مهياً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيناً لي زاداً ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحلته، ثم خرج في

طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.. حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مُقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير^(٣٦).

وأيضاً ذكر ابن هشام: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر^(٣٧)، وأبطأ به بغيره، فقال دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه، وتلوم أبو ذر على بغيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحملة على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازل، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسل الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده^(٣٨).

ثالثاً: المعتذرين من الأعراب:

كان ممن تخلف عن غزوة تبوك بضعة وثمانين رجلاً، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم فقبل منهم علانيتهم وبابيعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله^(٣٩)، وذكر الواقدي بأن المعتذرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم، وأن عبدالله بن أبي بن سلول^(٤٠) ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء وكانوا عدداً كثيراً^(٤١)، وروى هو وابن سعد وابن إسحاق أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذُباب^(٤٢) بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين،

ممن جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة، هاجر إلى المدينة بعد غزوتي بدر وأحد ولزم النبي ﷺ وشارك في غزواته، توفي في الشام سنة ٣١، وقيل: ٣٢. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٠٥).

(٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٣٩) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٣٣.

(٤٠) عبد الله بن أبي بن سلول، كان سيد الخزرج قبل الإسلام، فلم قدم النبي ﷺ المدينة وظهر الإسلام حسده عبد الله بن أبي ويغي وناق، مات في السنة التاسعة من الهجرة وصلى عليه النبي ﷺ ووقف على قبره وعزى إليه عبد الله عند القبر. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٥٠١-٥٠٢).

(٤١) أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٥٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط ٣، عالم الكتب، ١٤٠٤م (١٩٨٤م)، ج ٣، ص ٩٩٥.

(٤٢) جبل ذُباب يقع شمال المدينة المنورة وشرق جبل سلع، ويبعد عن المسجد النبوي كليو ونصف تقريباً.

(٣٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٣.

(٣٤) الجرف: متجرفته السيول فاكلته الأرض، وقيل: الجرف عرض الجبل الأملس، والجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، وهو الآن حي من أحيائها متصل بها فيه زراعة وسكان. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٨؛ محمد حسن شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص ٨٩).

(٣٥) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، شرح وتصحيح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ج ٣، ص ٢٣؛ محمد الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢م (٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ١٠٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥١٦-٥١٩.

(٣٦) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٠-٥٢١.

(٣٧) أبو ذر: جندب بن جنادة الغفاري، من السابقين إلى الإسلام، وهو

سيخفي له، مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر^(٥٢) فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أعدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت.

فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر الناس بالجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت، ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا، وتفاطرت الغزوة، فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي.

فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك؟"، قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه.

فقال له معاذ بن جبل: (٥٣) بنس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ ويكمل كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: أن رسول الله ﷺ قد أطل قادمًا زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه، فجنته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال فجننت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد أبعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند

فلما سار الرسول ﷺ تخلف عنه فيمن تخلف من المنافقين^(٤٣) وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة^(٤٤).

وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يتفقد له لكثرة أفراد الجيش، ولكن الرسول ﷺ تفقد وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف^(٤٥).

رابعاً: الثلاثة الذين خلفوا:

تخلف عن غزوة تبوك من غير ذوي الأعدار والمنافقين ثلاثة من خيار الصحابة، وهم: كعب بن مالك^(٤٦)، مزارة بن الربيع العمري^(٤٧)، وهلال بن أمية الواقفي^(٤٨)، فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة، وروى كعب ﷺ قصته في هذا التخلف في حديث طويل^(٤٩) جاء فيه: "لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش^(٥٠)، حتى جمع الله بينهم وبين

عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة^(٥١) حين توائمتنا على الإسلام.

وما أحب أن لي بها مشهد بدر وأن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، فكل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ﷺ، ح ٤٤١٨، ج ٣، ص ١٧٦؛ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، (د،ت)، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك ﷺ، ج ٨، ص ١٠٥.

(٥٠) وضع كعب ﷺ أن النبي ﷺ لم يعاتب أحدًا تخلف عن غزوة بدر لأن النبي ﷺ عندما خرج من المدينة لم يخرج لقتال وإنما خرج ليتصدى لقافلة قريش التجارية، فأرد ﷺ العير، وأختار الله له النفير فكان القتال. (الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢١؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٨٠).

(٥١) يقصد بيعة العقبة الثانية التي بايع الأنصار فيها رسول الله ﷺ على الإسلام وأن يؤوه وينصروه. (ابن هشام، السيرة النبوية، مج ١، ص ٤٤٢).

(٥٢) أصعر: صعر وهو ميل كعب إلى الراحة والبقاء في الظلال والثمار. (ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٤٤).

(٥٣) صحابي من الأنصار كان مبعوث النبي ﷺ إلى اليمن، ومن الصحابة الذين رحلوا إلى الشام وتوفي بطاعون عمواس سنة ثمانية عشر. (ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٣٩).

(٤٣) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت ١٥١هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد الزبيدي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٥٩٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥١؛ الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٩٥.

(٤٤) مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٤٥) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٠٦، ص ٦١٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٨-٥٢٩.

(٤٦) كعب بن مالك بن القين بن كعب.. بن سلمة، يكنى أبا عبد الله وهو شاعر النبي ﷺ، ممن شهد بيعة العقبة الثانية توفي سنة خمسين للهجرة. (ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٩٣).

(٤٧) مزارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف من الصحابة الذين شهدوا بدر، ذكره ابن الكلبي وقال كان أحد البكائين من الصحابة الذين نزلت فيهم: "وتولوا وأعنيهم تقيض من الدمع". (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر ت ٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د،ت، ج ٦، ص ٧٦).

(٤٨) هلال بن أمية بن عامر بن قيس.. الأنصاري الواقفي، كان قديم الإسلام وشهد بدر وأحد. (ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٨، ص ٣٨١).

غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك، فقممت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني، فقلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ فقالوا: نعم رجلان قالاً مثل ما قلت، فقتل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرًا، لي فيهما أسوة، ويكمل كعب: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض فما هي بالتي أعرفها، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، وبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمنت بها التنور فسجرت به، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل أعتزلها ولا تقريبها، وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: ألحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.. فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لي خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت على نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلّع^(٥٤) بأعلى

صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون.. ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة، فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قلت: أومن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، فقلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، فقلت: يا رسول الله إنما نجاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، وأنزل الله تعالى على رسوله: "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار" إلى قوله "وكونوا مع الصادقين"... وكنا تخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا} [سورة التوبة: ١١٨]، وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه قبل منه.^(٥٥)

رابعاً: منهج النبي ﷺ في معالجة مشكلة التخلف:

من العرض السابق اتضح أن التخلف عن الغزوات لم يكن في غزوة تبوك فقد حصل في غزوة بدر تخلف عدد من الصحابة ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً ممن تخلف والسبب يعود لإن النبي ﷺ لم يخرج أو يرسل السرايا من أجل القتال وإنما من أجل اعتراض القوافل التجارية^(٥٦)

أما غزوة تبوك محل الدراسة فقد تخلف عنها كثيراً من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعدار وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن الجهاد^(٥٧).

فعندما أعلن الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة أخذ المنافقون^(٥٨) في تثبيط هم الناس قائلين لهم، لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [سورة التوبة: ٨١] وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدعين أعذاراً كاذبة، ليأذن لهم

(٥٤) جبل سلّع متصل بالمدينة، وبعد اليوم في وسط عمران المدينة وفي الجنوب الغربي منه تقع المساجد السبعة، ومنها مسجد الفتح. (محمد شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص ١٤٢).

(٥٥) أن من لطف الله بالثلاثة، أن سميهم بوسم ليس بعار عليهم فقال: {خَلِّفُوا} إشارة إلى أن المؤمنين خلفهم، أو خلفوا عن من بُت في قبول عذرهم أو في رده، وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا". (السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٥٤-٣٥٥).

(٥٦) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٨٠.

(٥٧) جاء في حديث كعب هذا أن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة كانوا بضعة وثمانين رجلاً، وذكر الواقدي أن المعذرون من الأعراب: هم نفر من بني غفار عددهم اثنان وثمانون رجلاً، اعتذروا فلم يعذرهم الله عز وجل. (الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٩٩٥).

(٥٨) عندما علم النبي ﷺ أنهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي من أجل مهمة تثبيط الناس عن الخروج لغزوة تبوك بعث لهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة ﷺ. (ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٢٤).

عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له وأعتذر إليه فَقِيلَ منه^(٦٢).

وهكذا تبين أن المتخلفين عن الغزوة لم يكونوا من المنافقين فقط، بل هناك عدد من الصحابة رضي الله عنهم وهناك من الضعفاء والمساكين وممن لم يجد ما يركب وهم من أطلق عليهم البكائين^(٦٣).

الخاتمة:

من خلال دراسة مشكلة التخلف عن المغازي النبوية واختيار غزوة تبوك نموذجاً لدراسة هذه المشكلة تبين ما يأتي:

أولاً: تعد غزوة تبوك من أهم وأخر المغازي التي قادها النبي محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه، وكانت موجّهة لنصارى شمال الجزيرة العربية، وفيها بين صلى الله عليه وسلم وجهة الغزوة ولمن هي موجهة على غير عادته في الغزوات السابقة.

ثانياً: اتضح مفهوم التخلف عن المغازي وهو يختلف بحسب الفئة التي تخلفت، ومفهوم التخلف في غزوة تبوك كان يحتمل معنيين: مفهوم من تخلف عن الغزوة من المنافقين، ومن خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحين أن يحكم الله فيهم.

ثالثاً: ساهم العديد من الصحابة في تجهيز جيش العسرة كما تبين من خلال العرض المختصر لغزوة تبوك.

رابعاً: تبين أن المسلمين لم تحصل بينهم وبين من جهة لهم الغزوة صدام مباشر وانتهت الغزوة بعقد النبي صلى الله عليه وسلم صلح مع بعض حكام تلك المنطقة وإرسال بعض السرايا.

خامساً: في غزوة تبوك أتضح موقف المنافقين بشكل لا يخفى على المسلمين وأنزل الله في ذلك العديد من الآيات في سورة التوبة.

سادساً: تبين من خلال هذه الدراسة فئات من تخلف عن غزوة تبوك، فهناك المنافقين، وهناك من كان عاجزاً عن الخروج لظروفه المادية، وهناك من تخلف بلا عذر.

سابعاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريره إلى الله ويجري عليه حكم الظاهر ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع الذين جاؤوه يعتذرون له عن تخلفهم.

ثامناً: أنه يوجد صحابة لم يشاركوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وتخلفوا عنه قبل غزوة تبوك ولم يعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم.

بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ} [سورة التوبة: ٤٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه لتبوك للجد بن قيس: (٥٩) "يا جد هل لك العام في جلد بني الأصفر؟" فقال: "يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني؟" فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدّ عُجباً بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر"، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "قد أذنت لك"، ففيه نزلت قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَذُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [سورة التوبة: ٤٩]

بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه ودخل المدينة فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس، وجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة، فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله^(٦١) وجاء كعب بن مالك وقد سبقه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وقد أقر الثلاثة بأنه لا عذر لهم في تخلفهم عن الغزوة، ولم يرضوا أن يضيفوا إلى ذنب التخلف ذنباً جديداً وهو الكذب، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن الكلام مع الثلاثة، فاجتنبهم الناس خمسين ليلة، وأمرت نساؤهم باعترالهم، فذهبن عند أهلهم إلا زوجة هلال إذ كان شيخاً كبيراً، فبقيت لخدمته فقط بإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمرت المقاطعة حتى نزل القرآن يعلن توبة الله عليهم {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [سورة التوبة: ١١٨] ومن ذلك يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل من المنافقين اعتذارهم وكف عنهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، أما كعب بن مالك وصاحبيه فكان صادق مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان موقف النبي منهم كما ذكره كعب بن مالك: "وكنا تخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا}، وليس الذي ذكر الله مما خلفنا

(٥٩) جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان.. بن سلمة الأنصاري، أبو عبد الله، يقال: أنه كان منافقاً وكان ممن تخلف في غزوة تبوك، ثم تاب وحسنت توبته وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. (ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٢٣٨-٢٣٩).

(٦٠) بني الأصفر: يقصد بهم الروم. (ابن هشام، السيرة النبوية، حاشية ٣، مج ٢، ص ٥١٦).

(٦١) ابن هشام، السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥٣١؛ الواقدي، المغازي،

ج ١، ص ١٠٤٩.

(٦٢) البخاري، الصحيح، ج ٣، ص ١٨٠.

(٦٣) ذكر ابن هشام والواقدي: أن البكاعون عددهم سبعة وهم: سالم بن عمير، هرمي بن عمرو، علبة بن زيد، عبد الرحمن بن كعب، عمرو بن غنبة، سلمة بن صخر، عرياض بن سارية السلمي. (السيرة النبوية، مج ٢، ص ٥١٨؛ المغازي، ج ١، ص ٩٩٣-٩٩٤).

عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (١٩٧٩م).
- ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧١م/١٣٧٠م)، البداية
والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار الهجرة، القاهرة،
١٤١٨هـ (١٩٩٧م).

- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري
النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، طبعة مصححة ومقابلة على
عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، (د، ت).

- ابن منظور: أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي
(ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، اعتنى به: أمين عبد
الوهاب، محمد العبيدي، ط ٣، دار إحياء التراث: بيروت،
١٤١٩هـ، (١٩٩٩م).

- ابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري
البصري (ت ٢١٨هـ/٨٩٤م)، السيرة النبوية، تحقيق:
مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط ٢،
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).
- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، كتاب
الغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، ١٩٦٦م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله
(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر،
بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثالثاً: المراجع:

- أكرم ضياء العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ط ٧،
العبيكان: الرياض، ١٤٣٤هـ (٢٠١٣م).
- عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،
دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في
تفسير كلام المنان، قدم له: عبد الله بن عقي، ومحمد
العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط ١، مؤسسة
الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).
- محمد الألباني، مختصر صحيح الامام البخاري، مكتبة
المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م).
- محمد حسن شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط ١،
دار القلم، سوريا - لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر
الأصلية، ط ٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ.

تاسعاً: أن الصحابة الذين تخلفوا عن تبوك لم يكن تخلفهم
بسبب نقص في دينهم ولكن تكاسل وتسويف.

عاشراً: معرفة أن مفهوم خُلفوا الذي ورد في الآية "وعلى
الثلاثة الذين خُلفوا" ليس المقصود منه تخلف الصحابة عن
الغزوة، إنما هو تخليف النبي ﷺ لهم وإرجاؤه لأمرهم عمن
حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المصادر:

- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني
(ت ١٥١هـ/٧٦٨م)، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد المزدي،
ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م).
- البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل
(ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع الصحيح المسند من حديث
رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، شرح وتصحيح: محب الدين
الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
أ/ الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت،
د، ت.

ب/ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز
بن باز، دار المعرفة، بيروت.

- الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد
(ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة
نزار الباز.

- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري
(ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، ط ١، تحقيق: علي
محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).
- عز الدين بن الأثير: أبي الحسن علي بن محمد الجزري
(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق:
علي معوض وعادل الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- ابن عساکر: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد
الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة
وتحقيق: عمر العمروي، ط ١، دار الفكر، بيروت،
١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

- الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي
(٨١٧هـ)، القاموس المحيط، نسخة عن الطبعة الأميرية،
ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٩م).

- القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
(ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما
تضمنه من السنة وأي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي،
ط ١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

- القزويني: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط:

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

KSA Efforts to achieve sustainability goals in line with Vision 2030

Dr. Manal Tarek Alkasabi*

*Associate professor of jurisprudence - Prince Sultan bin Abdulaziz University - College of Law KSA- Riyadh.

جهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف الاستدامة وفق رؤية ٢٠٣٠

د. منال طارق القصبي*

*أستاذ أصول الفقه المشارك - جامعة الأمير سلطان بن عبد العزيز - كلية القانون - المملكة العربية السعودية - الرياض.

E-mail: mkasabi@psu.edu.sa

KEY WORDS

sustainable development, Vision 2030, the Kingdom's efforts.

الكلمات المفتاحية

التنمية المستدامة، رؤية ٢٠٣٠، جهود المملكة.

ABSTRACT

Based on the great success achieved by the United Nations in the new millennium, a strategy appeared on the horizon that was launched on January 1, 2016, known as the "Sustainable Development Goals", also known as: "The 2030 Global Goals Agenda", and in our dear homeland, the Kingdom of Saudi Arabia, it is considered a program National Transformation 2020 is the starting point for implementing and implementing Vision 2030, as it includes the public, private and non-profit sectors.

The Kingdom of Saudi Arabia aims to diversify its national economy and rely on other, non-traditional sources of income, in addition to applying financial measurements in order to create a financial surplus to finance the initiatives highlighted in Vision 2030 and the goals of the Sustainable Development Program. So that sustainable development has become one of the development methods imposed by the present era, which is characterized by rapid development and change, which requires states, bodies, organizations, civil society institutions and individuals to keep pace with it in order to achieve the social balance resulting from globalization and its negative effects. Due to the importance of this topic, this study sheds light on the issue of sustainable development and the efforts of the Kingdom of Saudi Arabia to achieve its goals in accordance with Vision 2030.

مستخلص البحث:

بناءً على النجاح الكبير الذي حققته الأمم المتحدة في الألفية الجديدة لاحت في الأفق استراتيجية أطلقت في الأول من يناير لعام ٢٠١٦م تعرف باسم "أهداف التنمية المستدامة"، وتعرف أيضاً باسم: "أجندة الأهداف العالمية لعام ٢٠٣٠"، وفي وطننا الغالي المملكة العربية السعودية يعتبر برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠ نقطة البداية لتنفيذ وتطبيق رؤية ٢٠٣٠، حيث إنه يتضمن القطاعات العامة والخاصة وغير الربحية.

حيث تهدف المملكة العربية السعودية إلى تنويع اقتصادها الوطني، والاعتماد على مصادر دخل أخرى غير تقليدية، بالإضافة إلى تطبيق القياسات المالية من أجل إيجاد فائض مالي لتمويل المبادرات التي تم تسليط الضوء عليها في رؤية ٢٠٣٠ وأهداف برنامج التطور المستدام.

حتى أصبحت التنمية المستدامة أسلوباً من أساليب التنمية التي يفرضها العصر الحاضر الذي يتصف بالتطور والتغير المتسارع، والذي يفرض على الدول والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد مواكبته حتى تحقق التوازن الاجتماعي الناتج عن العولمة وتأثيراتها السلبية. ولأهمية هذا الموضوع تسلط هذه الدراسة الضوء على قضية التنمية المستدامة وجهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهدافها وفق رؤية ٢٠٣٠.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم. في الخامس والعشرين من سبتمبر ٢٠١٥م حدد قادة العالم مجموعة من الأهداف التي من خلال تحقيقها سيتم القضاء على الأشكال المختلفة للفقر، والقضاء على عدم المساواة، وحماية الأرض، وتحقيق الازدهار العالمي كجزء من برنامج ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة.

ومن هذا المنطلق تكاتف الحكومات والشركات والمجتمع المدني بالإضافة إلى الأمم المتحدة قبل حلول عام ٢٠٣٠م من أجل تحسين مستويات المعيشة للبشر في جميع أنحاء العالم.

وبناءً على النجاح الكبير الذي حققته الأمم المتحدة في الألفية الجديدة لاحت في الأفق استراتيجية أطلقت في الأول من يناير لعام ٢٠١٦م تعرف باسم "أهداف التنمية المستدامة"، وتعرف أيضاً باسم: "أجندة الأهداف العالمية لعام ٢٠٣٠"، وفي وطننا الغالي المملكة العربية السعودية يعتبر برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠ نقطة البداية لتنفيذ وتطبيق رؤية ٢٠٣٠، حيث أنه يتضمن القطاعات العامة والخاصة وغير الربحية.

حيث تهدف المملكة العربية السعودية إلى تنويع اقتصادها الوطني، والاعتماد على مصادر دخل أخرى غير تقليدية، بالإضافة إلى تطبيق القياسات المالية من أجل إيجاد فائض مالي لتمويل المبادرات التي تم تسليط الضوء عليها في رؤية ٢٠٣٠ وأهداف برنامج التطور المستدام.

كما حققت المملكة العربية السعودية تقدماً على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومنذ ذلك الحين قامت المملكة وبرنامج الأمم المتحدة الأم المتحدة الإنمائي ببناء شراكة استراتيجية من أجل التنمية المستدامة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها، وهو التنمية المستدامة الذي أصبح أسلوباً من أساليب التنمية التي يفرضها العصر الحاضر الذي يتصف بالتطور والتغير المتسارع، والذي يفرض على الدول والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد مواكبته حتى تحقق التوازن الاجتماعي الناتج عن العولمة وتأثيراتها السلبية، فتسلط هذه الدراسة الضوء على قضية التنمية المستدامة وجهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهدافها وفق رؤية ٢٠٣٠.

تساؤلات الدراسة:

تجيب هذه الدراسة على سؤاليين مفادهما:

١- ما هو مفهوم التنمية المستدامة، وما العوامل التي تساعد على تحقيق أهدافها؟

٢- ما هي جهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- الوقوف على مفهوم التنمية المستدامة، والعوامل التي تساعد على تحقيق أهدافها.

٢- بيان جهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

الدراسات السابقة:

١. رسالة دكتوراه، بعنوان: البيئة والتنمية المستدامة، الباحث: أحمد فرغلي حسن، مقدمة إلى كلية التجارية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢. بحث بعنوان: مشكلات التنمية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية خلال فترة التخطيط التنموي، الباحث: سعود بن حسين الزهراني، بحث منشور في مجلة النادي الأدبي في الباحة، الباحة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

٣. بحث بعنوان: أبعاد التنمية المستدامة ومصادرها وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية، عقيل عبد العزيز العقيل، بحث منشور في المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، العدد ٨٢، فبراير ٢٠٢١م.

وتختلف هذه الدراسات عن الدراسة الحالية بكون كل تلك الدراسات إما أنها تتناول موضوع التنمية المستدامة بشكل عام، أو جانب من جوانبها، أما الدراسة الحالية فتركز على بيان أهداف التنمية المستدامة بشكل خاص في المملكة العربية السعودية وإبراز الجهود الحكومية لتحقيقها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

المبحث الأول: تعريف التنمية المستدامة

تعد التنمية بأنواعها عملية ديناميكية مستمرة تنبع من الكيان، وتشمل جميع الاتجاهات، فهي عملية مطردة تهدف إلى تبديل الهياكل الاجتماعية وتعديل الأدوار والمراكز وتحريك الإمكانيات المتعددة الجوانب بعد رصدها وتوجيهها نحو تحقيق هدف التغيير في المعطيات الفكرية والقيمية وبناء دعائم الدولة العصرية وذلك من خلال تكافل القوى البشرية لترجمة الخطط العلمية التنموية إلى مشروعات فاعلة تؤدي مخرجاتها إلى إحداث التغييرات المطلوبة (الزهراني، ١٤٢٦).

وقد أورد (Fowke & Prasad: 1996) أكثر من ثمانين تعريفاً مختلفاً، وفي الغالب متناقضاً وأحياناً متناقضاً، ومن أهم تلك التعريفات وأوسعها انتشاراً ذلك الوارد في تقرير برونديلاند (نشر من قبل اللجنة غير الحكومية التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين بزعامة جروهارلن برونديلاند لتقديم تقرير عن القضايا البيئية)، والذي عرف التنمية المستدامة على أنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها" (Wced: 1987). وعرفت أيضاً بأنها: "السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الوضع في الاعتبار قدرات النظام البيئي" (فيانا: ١٩٩٤). وهي تنمية تراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الحاجات الأساسية للإنسان في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول

وتحرص على تحديد أولويات للإنفاق الحكومي والحد من الإنفاق العسكري. (محمد ماهر: ٢٠٠٠)

٢ - الجانب الاجتماعي للتنمية المستدامة:

وفي ظل أجواء يسودها الإحساس المتزايد بعدم الأمان في عصر الاقتصاد العالمي الجديد، عقدت الأمم المتحدة مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية في كوبنهاغن، الدانمرك، العام ١٩٩٥، والموضوع الأساس هو "وضع التنمية الاجتماعية في قلب الاهتمامات السياسية العالمية"، لتوجيه الانتباه العالمي نحو إيجاد حلول لمشاكل العالم الاجتماعية الرئيسية. وتتمثل التزامات التنمية الاجتماعية بما يلي:

القضاء على الفقر المطلق بحلول موعد يحدده كل بلد، دعم العمالة الكاملة باعتبارها أحد الأهداف الأساسية للسياسة العامة، تشجيع التكامل الاجتماعي القائم على تعزيز جميع حقوق الإنسان وحمايتها، تحقيق المساواة والإنصاف بين المرأة والرجل، الإسراع بخطى التنمية في إفريقيا البلدان الأقل نمواً، كفالة إدراج أهداف التنمية الاجتماعية ضمن برامج التكيف الهيكلي، تهيئة "بيئة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وقانونية تمكن السكان من تحقيق التنمية الاجتماعية"، تمكين الجميع على قدم المساواة من الحصول على التعليم والرعاية الصحية الأولية. (تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية، كوبنهاغن، الدانمرك، ٦-١٢ آذار ١٩٩٥).

٣ - الجانب البيئي للتنمية المستدامة:

إن حياة الإنسان ورفاهيته ترتبطان بصحة بيئته، ولا يمكن لأي مجتمع أن يستمر من دون: الغابات، مصادر المياه النظيفة، الأراضي الخصبة ورؤوس الأموال البيئية كافة التي تزود الموارد وتمتص المخلفات التي ينتجها الإنسان. وفي هذا الإطار، تقدر منظمة الصحة العالمية أن نوعية البيئة السيئة تسبب ٢٥٪ من جميع الأمراض التي يمكن الوقاية منها في العالم اليوم. وقد أصبح واضحاً في العقد الماضي أن الأمراض المتصلة بالبيئة تشكل تهديداً خطيراً ومباشراً لصحة الإنسان. وإن عدداً قليلاً من التدابير، التي يعد بعضها من المسلمات في العالم المتقدم النمو، أن يقطع شوطاً بعيداً نحو تحسين صحة المليارات من سكان العالم النامي. وتشمل هذه التدابير زيادة إمكانات الحصول على مياه الشرب المأمونة، وتوسيع نطاق التكنولوجيات الأساسية للتخلص من النفايات، وتحسين نوعية الهواء في المناطق الحضرية. وغيرها من التدابير. (تقرير منظمة الصحة العالمية، العمل معاً من أجل الصحة، جنيف، ٢٠٠٦).

وعلى الرغم من علاقة الإنسان الوثيقة ببيئته، فإنه غالباً ما يغفل حالة التدهور واستغلال تلك البيئة. ولعل اضمحلال مناطق صيد الأسماك، وفقدان الغطاء النباتي، واستمرار تراكم الملوثات والمخلفات تمثل بعض الأمثلة الواضحة على ذلك. (تقرير الصندوق العالمي لحماية الطبيعة WWF، 24 تشرين الأول ٢٠٠٦).

على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية، وهي تنمية تشترط ألا تأخذ من الأرض أكثر مما تعطي (العوضي: ٢٠٠٣).

ويمكن للباحثة تكوين مفهومها للتنمية المستدامة كما يلي: بأنها تلك التنمية التي تسعى لرفاهية البشرية في الزمن الحاضر مع استمرار هذه الرفاهية للأجيال القادمة عبر الحكمة في الانتفاع من الموارد الطبيعية وتنميتها ما أمكن، والحرص على استقرار الأفراد وتنميتهم، مع تعزيز الاقتصاد الذي يمثل دفة التقدم، ومن ثم فإن هذه الأبعاد المتكاملة تمثل التنمية المستدامة.

المبحث الثاني: أهداف التنمية المستدامة ومبادئها

أولاً: أهداف التنمية المستدامة:

تسعى التنمية المستدامة من خلال آلياتها ومحتواها إلى تحقيق جملة من الأهداف وهي (عثمان محمد غنيم، وماجد أبو زلط: ٢٠١٠): تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان، تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة، احترام البيئة الطبيعية، تحقيق استغلال واستخدام عقلاني للموارد، ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع.

ثانياً: مبادئ التنمية المستدامة:

إن العلاقة الأساسية بين النمو من جهة، والبيئة من جهة أخرى أدت إلى تحديد المبادئ التي قام عليها مفهوم التنمية المستدامة وتمثلت فيما يلي (دوجلاس موسشيت: ٢٠٠٠): أ. استخدام أسلوب النظم في إعداد وتنفيذ خطط التنمية المستدامة.

ب. المشاركة الشعبية.

ج. مبدأ الحفاظ على سمات وخصائص الطبيعة، وكذلك تحديد وتطوير هياكل الإنتاج والاستثمار والاستهلاك.

المبحث الثالث: متطلبات التنمية المستدامة

يمكن إيجاز أهم متطلبات التنمية المستدامة في الجوانب التالية:

١ - الجانب الاقتصادي للتنمية المستدامة:

ويتمثل في الحد من الإفراط في الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية، خاصة في الدول المتقدمة، حيث يزيد نصيب الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٣٣ مرة عن الهند من استهلاك النفط والغاز والفحم، مما يعكس مستوى قياسي من الاستهلاك لدى السكان في الدول الصناعية مقابل نظيرتها في الدول النامية.

وكذلك الاستخدام العقلاني والأمثل للموارد الطبيعية، ومعالجة مشكلات التلوث العالمي خاصة من طرف الدول المتقدمة باعتبارها المتسببة وبنسب عالية، ولديها كافة الموارد المالية والتقنية والبشرية الكفيلة بأن تضطلع بالصدارة في استخدام تكنولوجيا أنظف. كما تهتم بالمساواة في توزيع الموارد، والحد من التفاوت في المداخل، ومكافحة ظاهرة البطالة من خلال اتباع سياسات تشغيل فعالة.

٤- الجانب التكنولوجي للتنمية المستدامة:

ويتمثل هذا الجانب في استعمال تكنولوجيا أنظف في كل المجالات لا سيما في المناطق الصناعية، خصوصاً في الدول النامية، وتكثيف أنشطة البحث والتطوير من خلال استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واعتماد أساليب وطرق قابلة للبقاء والاستدامة، وكذلك إشراك المنظمات الخاصة إلى جانب المنظمات العامة، كما تطلب التنمية المستدامة تعزيز تكوين قدرات في العلوم وتكنولوجيا والابتكار لرفع المستوى العلمي والمعرفة. (محمد ماهر: ٢٠٠٠)

المبحث الرابع: أبعاد التنمية المستدامة

ترتكز التنمية المستدامة على العديد من الأبعاد، منها أبعاد رئيسية ومندخلية (ذكرتها) مهري: (٢٠١٤): البعد البيئي وكل ما يتعلق بحماية البيئة، والبعد الاقتصادي وما يتعلق بالنمو الاقتصادي، والبعد الاجتماعي وما يتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية، ويمكن التعبير عن أبعاد التنمية المستدامة بما يلي: نمو اقتصادي + حماية البيئة + عدالة اجتماعية = تنمية مستدامة (عقيل عبد العزيز العقيل: ٢٠٢١)، والبعض يضيف البعد التقني والإداري من أجل استخدام أقل قدر من الطاقة والموارد. ولعل الشكل التالي يوضح مدى التداخل والتفاعل بين التنمية المستدامة:



الشكل من إعداد الباحثة

المبحث الخامس: معوقات التنمية المستدامة

نبهت جميع مؤتمرات قمة الأرض إلى محدودية وندرة الموارد الطبيعية والاقتصادية على مستوى العالم، وأن الاستمرار في استخدامها غير المرشد قد يعرضها للاستنزاف، وبالتالي إلى عدم القدرة على الوفاء باحتياجات الأجيال المقبلة، ومن هذا المنطلق أكدت تلك المؤتمرات على ضرورة خلق علاقة أخلاقية تربط بين الإنسان والبيئة، يتحقق عنها صون للبيئة، إضافة إلى ذلك قد نبهت إلى ضرورة التعامل مع الموارد الطبيعية والاقتصادية بكفاءة عالية، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، من خلال ضمان الفرص المتكافئة في مجالات التعليم والصحة والتنمية، بما في ذلك اجتثاث الفقر، ورغم الجهود العالمية والمحاولات الجادة لتحقيق مطلب التنمية المستدامة في جميع دول ومجتمعات العالم، إلا أنه لا تزال تلك المحاولات قاصرة إلى حد كبير، وذلك لعدد من الأسباب، التي لعل من بين أهمها وأبرزها (عبدالرحمن الحسن: ٢٠١١):

١- الزيادة المطردة في عدد سكان العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن ما يزيد على ست مليارات شخص يسكنون هذه الأرض، أو ما يمثل نحو نسبة ١٤٠ في المائة خلال الـ ٥٠ عاما الماضية، كما يتوقع أن يبلغ عدد سكان

العالم بحلول عام ٢٠٥٠ تسع مليارات نسمة، مما سيضاعف من تعقيدات التنمية المستدامة.

٢- انتشار الفقر المدقع في العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن خمس سكان العالم مضطرون للعيش على أقل من دولار واحد في اليوم، هذا إضافة إلى أن نحو ١,١ مليار شخص لا تتوافر لديهم مياه الشرب المأمونة، وأن مياه الشرب الملوثة وعدم كفاية الإمدادات من الماء يتسببان في نحو ١٠ في المائة من جميع الأمراض في البلدان النامية.

٣- عدم الاستقرار في كثير من مناطق العالم والناتج عن غياب السلام والأمن.

٤- مشكلة الفقر في بعض دول العالم والتي تزداد حدة مع الأمية وارتفاع عدد السكان والبطالة وتراكم الديون والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية.

٥- استمرار الهجرة من الأرياف إلى المناطق الحضرية وانتشار ظاهرة المناطق العشوائية، وتفاقم الضغوط على الأنظمة الإيكولوجية وعلى المرافق والخدمات الحضرية، وتلوث الهواء وتراكم النفايات.

٦- تعرض مناطق من العالم بصفة عامة لظروف مناخية قاسية، وخاصة انخفاض معدلات الأمطار عن المعدل العام السنوي، وارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف ومعدلات البخر والتبخ، مما أدى إلى تكرار ظاهرة الجفاف وزيادة التصحر.

٧- محدودية الموارد الطبيعية وسوء استغلالها بما فيها النقص الحاد في الموارد المائية وتلوثها وندرة الأراضي الصالحة للاستغلال في النشاطات الزراعية المختلفة، وتدهور نوعيتهما، ونقص الطاقة غير المتجددة في بعض أقطار العالم.

التعامل مع تحديات ومعوقات تحقيق متطلبات التنمية المستدامة، يتطلب وفق التقارير الدولية المعنية بشؤون التنمية المستدامة، وكذلك آراء المختصين، التخفيف من حدة الفقر في بلدان العالم، هذا إضافة إلى ضرورة تحسين قدرة جميع البلدان، وبالذات البلدان النامية المرتبطة بالتصدي لتحديات العولمة والاعتماد على بناء القدرات الذاتية، وتحسين استخدام الموارد الطبيعية والاقتصادية، وكذلك القضاء على المشكلات الصحية، وبالذات الأمراض والأوبئة المستعصية.

المبحث السادس: جهود المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة

يبين الجدول الآتي أهداف التنمية المستدامة، والمبادرات التي قدمتها المملكة العربية السعودية في سبيل تحقيق ذلك (www.my.gov.sa: ٢٠٢٠م):

أهداف التنمية المستدامة	مبادرات المملكة العربية السعودية في تحقيق الأهداف
القضاء على الفقر	- تقديم مشاريع العون والإغاثة، والمساعدات الخارجية المقدمة من مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. - تقديم الدعم للمؤسسات والمنظمات الدولية، مثل: الأونروا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وصندوق الأمم المتحدة للطفولة. - إطلاق المبادرات المقدمة من وزارة الإسكان التي تهدف إلى إيجاد مساكن مناسبة للمواطنين. - طرح برنامج الضمان الاجتماعي الذي يُعنى بتقديم المساعدات للأسر الفقيرة التي لا تجد مصادر دخل كافية، وغيرها من المبادرات، والجمعيات الخيرية.
القضاء على الجوع	- يكفل مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية بتنفيذ أكثر من ثلاثمئة مشروع، لإطعام الملايين في الدول الفقيرة. - تقديم مساعدات بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار في برنامج الأغذية العالمي في عام ٢٠٠٨م. - سعي مبادرات وزارة البيئة والزراعة والمياه لتحقيق الأمن الغذائي الشامل من خلال تطوير سوق المنتجات الزراعية وتحسين نوعيته، وتطوير المدرجات الزراعية، وتطبيق التقنيات الحديثة المسؤولة عن حصاد مياه الأمطار. - تقديم الوجبات الغذائية، حيث قدّم البنك السعودي للغذاء أكثر من ١٢ مليون وجبة منذ تأسيسه.
حياة كريمة وصحة جيدة	- إنجاز أكثر من مئتي مشروع في القطاع الصحي من قبل مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. - دعم المؤسسات والمنظمات الدولية في القطاع الصحي. - تنفيذ مبادرات عدة من قبل وزارة الصحة، مثل تأسيس أكثر من ثمانين مركزاً صحياً، وإنشاء ٣٦ مستشفى ومدينيتين طبييتين. - توفير تأمين صحي لكل من المقيمين والزوار.
التعليم الجيد	- إنجاز أكثر من ستين مشروعاً مخصصاً للتعليم عن طريق مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. - تقديم المساعدات التعليمية، والبرامج البحثية اللازمة، بالاعتماد على المركز الإقليمي للجودة والتميز في التعليم. - إطلاق العديد من المبادرات التي خصصتها وزارة التعليم لرفع جودة التعليم، مثل: برنامج السفير، وبرنامج الحملات الصيفية للتوعية ومحو الأمية المخصصة للمناطق النائية، وغيرها من المبادرات.
تحقيق المساواة بين الجنسين	- العمل على تخصيص مناصب قيادية للمرأة، وتخصيص ٢٠٪ من مقاعد مجلس الشورى للنساء. - تخصيص أكثر من ٤٥٠ ألف وظيفة جديدة للمرأة. تخصيص برامج لدعم المرأة العاملة، مثل "وصول"، و"قوة".
نقاء المياه والنظافة العامة	- قيام وزارة البيئة والزراعة والمياه بالعديد من المبادرات، مثل إنشاء ٥٠٨ من سدود المياه. - وإطلاق البرنامج الوطني للاستزراع المائي المسؤول عن تطوير قطاع الثروة السمكية في المملكة.

توفير طاقة نظيفة بأسعار معقولة	• إطلاق العديد من البرامج والمبادرات، مثل: البرنامج الوطني للطاقة المتجددة، ومبادرة زيادة كفاءة استهلاك الطاقة في صناعات الحديد والإسمنت والبتر وكيمويات، ومبادرة إعادة تأهيل المباني الحكومية. • تشجيع الفرد على استخدام المركبات الخفيفة من خلال منحهم تخفيضات على الوقود.
توفير فرص لائقة، وتطوير الاقتصاد	• تقليل الفترة الزمنية لإصدار السجلات التجارية إلى ١٨٠ ثانية. • تشجيع الفرد على الاستثمار في المنشآت الصغيرة والمتوسطة. • إشراك المرأة في سوق العمل.
الصناعة والابتكار والبنية التحتية	• تخصيص ميزانية للنقل بتكلفة قدرت بأكثر من ٥٤ مليار ريال سعودي، وذلك في عام ٢٠١٨م. • تأسيس طرق يبلغ طولها أكثر من ١٤ ألف كيلومتر. • الاهتمام بالبحث العلمي، حيث أنفق عليه ما يزيد عن ٥٠٠ مليون ريال سعودي.
الحد من أوجه عدم المساواة	• إنشاء هيئة حقوق الإنسان في عام ٢٠٠٥م. انتخاب السعودية في مجلس حقوق الإنسان للمرة الرابعة. • عرض بعض البرامج التي تساهم في تحفيز الاستجابة للمخاطر، على سبيل المثال برنامجي "حافز"، و"ساند". • تنمية مهارات الباحثين عن العمل من خلال برامج تدريبية مخصصة.
جعل المدن شاملة للجميع وأمنة وقادرة على الصمود ومستدامة	• إطلاق مشروع نيوم. توفير شبكة تنقل آمنة وميسرة. تحديث الاستراتيجية العمرانية الوطنية ٢٠٣٠، وذلك بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. • رفع تصنيف الرياض عالمياً، لتصبح من بين أفضل مئة مدينة في العالم. • إطلاق مشروع الملك عبد العزيز للنقل العام في الرياض.
ضمان وجود أنماط استهلاك وإنتاج مستدامة	• تأسيس الشركة السعودية، لإعادة تدوير الورق والمخلفات. إطلاق مبادرة إدارة النفايات المتكاملة القائمة في مدينة جبيل الصناعية. • إطلاق الاستراتيجية الشاملة لإدارة النفايات في الرياض.
الحفاظ على المناخ	• إنشاء الخطة الوطنية لمواجهة الكوارث الطبيعية. • إنشاء الخطة الوطنية للحوادث الكيميائية والجرثومية. • إنشاء الخطة الوطنية لمواجهة الكوارث البحرية. إطلاق الاستراتيجية الوطنية للبيئة.
المحافظة على الحياة البحرية	• تأسيس كلية علوم البحار بجامعة الملك عبد العزيز. • إنشاء الجمعية السعودية للاستزراع المائي. • تأسيس مركز أبحاث الثروة السمكية بجامعة الملك فيصل. • إنشاء مركز أبحاث البحر الأحمر بجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية.
المحافظة على الحياة البرية	• إطلاق جائزة المملكة العربية السعودية لإدارة البيئة. • إطلاق مبادرة "شجرة لكل مبنى". • إنشاء بنك للبذور. • تطوير محافظة العلا، وجزر فرسان. • إطلاق مبادرة التنمية المستدامة للمراعي والغابات. • إطلاق البرنامج الوطني للتوعية البيئية، والتنمية المستدامة.
تشجيع السلام والعدالة	• إنشاء لجنة مكافحة الفساد برئاسة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان. • تأسيس المركز الاستراتيجي لأبحاث مكافحة الجريمة. • إنشاء المركز الوطني لقياس أداء الأجهزة العامة. • إطلاق برنامج البيانات الإحصائية الوطنية "مصدر". • مصادقة المملكة على اتفاقية حقوق الطفل. • تجهيز العديد من الدراسات والاستراتيجيات، مثل الخطة الاستراتيجية الوطنية للوقاية والتصدي للعنف الأسري في المجتمع السعودي المُعدّة من قبل وزارة العمل والتنمية الاجتماعية.
تنشيط الشراكة العالمية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة	• مساهمة المملكة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار لتمويل خطة الاستجابة الإنسانية لليمن للعام ٢٠١٨. • تقديم مساعدات إنمائية رسمية لأربعين دولة بأكثر من مليار دولار. • إنشاء الصندوق السعودي للتنمية الذي يساهم في تمويل المشاريع الإنمائية في الدول النامية.

الخاتمة

يتبين من الاستعراض السابق في مباحث الدراسة أهمية موضوع التنمية المستدامة على المستوى العالمي، كما يتضح بجلاء اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية به، وعنايتها بالتخطيط لتحقيق الأهداف المرصودة في شتى المجالات؛ للوصول إلى مستوى عالٍ في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة الرئيسية وهي: تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان، تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة، احترام البيئة الطبيعية، تحقيق استغلال واستخدام عقلاني للموارد، ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع.

فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١. حسن، أحمد فرغلي، البيئة والتنمية المستدامة، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢. مهري، أمال، التوجه من الإعلام البيئي إلى الاتصال المسؤول في إطار التنمية المستدامة لدى المؤسسة الاقتصادية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١٩، ديسمبر، ٢٠١٤م.
٣. دوجالاس، موسشيت، مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، ٢٠٠٠م.
٤. العوضي، سعاد عبد الله، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، ٢٠٠٣م.
٥. الزهراني، سعود بن حسين، مشكلات التنمية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية خلال فترة التخطيط التنموي، الباحة، النادي الأدبي في الباحة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
٦. الحسن، عبد الرحمن محمد، التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها، بحث مقدم لملتقى إستراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، سبتمبر ٢٠١١م.
٧. غنيم، عثمان محمد، وأبو زنط، ماجدة، التنمية المستدامة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، الطبعة الأولى، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.
٨. العقيل، عقيل عبد العزيز، أبعاد التنمية المستدامة ومصادرها وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، العدد ٨٢، فبراير ٢٠٢١م.
٩. ماهر، محمد، تقليل البطالة، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٠. فيانا، ميلو فانيا، التنمية المتواصلة، قراءة في السكان والاستهلاك والبيئة - الجمعية المصرية للنشر والمعرفة - القاهرة، ١٩٩٤م.
- ثانياً: التقارير الدولية:
١١. تقرير الصندوق العالمي لحماية الطبيعة WWF، 24 تشرين الأول ٢٠٠٦م.
١٢. تقرير برونديتلاند، المنبثق من قبل اللجنة غير الحكومية التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين بزعامة جروهارلن برونديتلاند لتقديم تقرير عن القضايا البيئية.
١٣. تقرير منظمة الصحة العالمية، العمل معاً من أجل الصحة، جنيف، ٢٠٠٦م.
١٤. تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية، كوبنهاغن، الدانمرك، ٦-١٢ آذار ١٩٩٥م.
- ثالثاً: المواقع الإلكترونية:
١٥. أهداف التنمية المستدامة وجهود المملكة العربية السعودية لتحقيقها، على الموقع الإلكتروني:

www.my.gov.sa.

16. WCED, 1987, (World Commission on Environment and Development), Our Common Future, Oxford: Oxford University Press
17. Fowke R and Prasad D, 1996. Sustainable development, cities and local government. Australian Planner 33

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Guardianship between male and female among modernists and commentators - a comparative study.

Maryam Hamad Jaber Al-Ghayathin Al-Marri*

*Master of Interpretation and Quranic Sciences
Qatar University - Sharia expert - Da'wah and teaching the Holy Quran Ministry of Awqaf and Islamic Affairs - Qatar.

E-mail: mh.almarri83@hotmail.com

KEY WORDS

guardianship – male – female – commentators – modernists

الكلمات المفتاحية

القوامة – الذكر – الأنثى – المفسرين – الحديثيين

ABSTRACT

Research Objectives: Through this research, I aimed to study the concept of the verse of guardianship the focus of the research, through the language and the sayings of the advanced and late commentators, to find out its meaning and wisdom, to respond to the sayings of the modernists and criticize their arguments.

Research methodology: The need for more than one approach in this study, so that the inductive approach was used in extrapolating the interpretation of the verse of guardianship is the focus of the research, and then analytical in the analysis of those sayings, taking into account the historical and temporal aspect in the presentation of the works of interpretations, and finally the critical approach of criticizing the views of modernists and rejecting the arguments on which they are based.

Research results: The study came out with the most important results: that the male and female are the strength of the Muslim family, and that the goodness of the Islamic society depends on the goodness of that family, and whoever seeks to disagree with the establishment of that guardianship is either a warrior of Islamic values or ignorant of the consequences of these cries;

Originality of the research: The value of the research appears through its attention to explaining the meaning of the man's guardianship mentioned by God in his book, and its importance to the Muslim community, and linking it to the reality we live in that we see and hear those who call for minimizing the importance of that guardianship.

القوامة بين الذكر والأنثى عند الحديثيين والمفسرين دراسة مقارنة.

أ. مريم حمد جابر الغياثين المري*

*ماجستير تفسير وعلوم قرآن جامعة قطر خبير شرعي – داعية – معلمة للقرآن الكريم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر.

مستخلص البحث:

أهداف البحث: هدفت من خلال هذا البحث دراسة مفهوم آية القوامة محور البحث، من خلال اللغة وأقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين، للوقوف على معناها والحكمة منها، للرد على أقوال الحديثيين ونقد حججهم.

منهج البحث: كانت الحاجة إلى أكثر من منهج في هذه الدراسة، بحيث استخدمت المنهج الاستقرائي في استقراء تفسير آية القوامة محور البحث، ومن ثم التحليلي في تحليل تلك الأقوال مع مراعاة الجانب التاريخي والزمني في عرض مصنفات التفسير، وأخيراً المنهج النقدي المتمثل في نقد آراء الحديثيين ورد الحجج التي يستندون عليها.

نتائج البحث: خرجت من الدراسة بنتائج أهمها: أن الذكر والأنثى هم قوام الأسرة المسلمة، وأن صلاح المجتمع الإسلامي مرهون بصلاح تلك الأسرة، وكل من يسعى لخلاف إقامة تلك القوامة فهو إما أن يكون محارب للقيم الإسلامية أو جاهل بعواقب تلك الصيحات؛ التي ستجر لمجتمعنا الفساد بتملص المسؤولين وانقلاب الأدوار بين الرجل والمرأة.

أصالة البحث: تظهر قيمة البحث من خلال اعتناؤه ببيان معنى قوامة الرجل التي ذكرها الله في كتابه، وأهميتها للمجتمع المسلم، وربطها بالواقع الذي نعيشه الذي نرى ونسمع من ينادي بالتقليل من أهمية تلك القوامة.

رابعاً: عزو الآيات القرآنية التي وردت في البحث إلى السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات بين قوسين () .

خامساً: الاختصار على عدد محدد لكتب التفسير التي اشتملت على أكثر الآراء الواردة، وتم اعتبار تصنيف المتقدمين من الإمام الألوسي ١٢٧٠ هـ ومن جاء قبله، وما جاء بعده يعتبر من المتأخرين.

سابعاً: مراعاة تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، والاكتفاء بالصحيح منها.

الرباني روعي خصائص الرجل والمرأة كما روعيت مصلحة الأسرة.

وبحثي يختلف عن تلك الدراسات في جوانب جمع فيها بين مفهوم القوامة في اللغة والشرع وعند الحداثيين مستندة بأقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين، تحليلاً ونقداً.

ومن أهداف هذا البحث:

١. تحرير مفهوم القوامة وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي.

٢. بيان مورد القوامة في القرآن الكريم.

٣. تحليل ونقد موقف الحداثيين من قوامة الرجل على المرأة.

٤. شرح مفهوم القوامة عند المفسرين قديماً وحديثاً.

المبحث الأول، المطلب الأول: تعريف القوامة لغةً واصطلاحاً

من خلال الأسطر القادمة سيتضح لنا المعنى اللغوي لكلمة: القوامة، والمصطلحات المرتبطة به، التي تناولها القرآن الكريم من خلال بعض آياته، ومن خلال معرفتنا لتلك المعاني، سنتوصل إلى المعنى الاصطلاحي للقوامة، المرتبط بشكل مباشر بموضوع بحثي.

❖ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، القوام: العدل، والقوامة في اللغة: القيام على الأمر أو المال، أو ولاية الأمر. (١)

جاء في اللسان: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ رَجَمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى الْقِيَامِ الْعَزْمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]؛ أَيُّ لَمَّا عَزَمَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]؛ أَيُّ عَزَمُوا فَقَالُوا، قَالَ: وَقَدْ يَجِيءُ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْمُحَافَظَةِ والإصلاح؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]؛ أَيُّ مَلَا زَمًا مُحَافِظًا. وَيَجِيءُ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْوُقُوفِ وَالتَّابِتِ يُقَالُ لِلْمَاشِي: قَفَّ لِي أَيُّ تَحَبَّسَ مَكَانَكَ حَتَّى أَتِيكَ، وَكَذَلِكَ قُمَ لِي بِمَعْنَى قَفَّ لِي، وَعَلَيْهِ فَسَّرُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ: قَامُوا هُنَا بِمَعْنَى وَقَفُوا وَتَبَتُّوا فِي مَكَانِهِمْ غَيْرَ مُتَقَدِّمِينَ وَلَا مُتَأَخِّرِينَ، وَمِنْهُ التَّوَقُّفُ فِي الْأَمْرِ، وَهُوَ الْوُقُوفُ عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِ مُجَاوِزَةٍ لَهُ. (٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا﴾ {استفاموا} أَيُّ: عَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَلَزَمُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَفَامُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَالَ الْأَسْوَدُ ابْنُ مَالِكٍ: ثُمَّ اسْتَفَامُوا: لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وقال أبو

بَيِّنَتْ ظهور الصراعات المثارة من قبل الحداثيين ومن في حكمهم، متى نشأت وعلى ماذا احتكمت.

٤. **بحث نظرات في مفهوم القوامة وأسبابها**، للدكتور رشيد كهوس، مجلة الربينة الفكرية، الجزائر، العدد الثاني، يوليو ٢٠٢١م تناولت الدراسة تعريف القوامة وأسبابها مستنداً بأقوال المفسرين.

٥. **بحث المرأة في الدراسات القرآنية المعاصرة الحداثيون نموذجاً**، آلاء محمد عصام عشا، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، ٢٠٢١م، تناولت الدراسة آراء وكتابات الحداثيين في تناولهم لآيات محور البحث وهي: آيات لباس المرأة وزينتها في سورتي النور والأحزاب، وآية تعدد النساء، وآية القوامة، واخيراً آيات المواريث وجميعها في سورة النساء، لقياس ما قدمه الحداثيون من حيث ملائمة تعاملهم مع النص القرآني وربطه بالواقع المعاصر، وتقييم مدى فاعلية جهودهم في خدمة المرأة المسلمة وقضاياها.

٦. **بحث المرأة والتأويلات الحداثيّة للقرآن، نضال عيسى كريف، مجلة أوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، لبنان، العدد العاشر، خريف ٢٠٢٠، تناولت الدراسة أهمية التأويل الحداثي من ناحية التأييد لفكرة الحداثيين بإعادة تشكيل بنية النص والسياق بما يتوافق مع الواقع المعاصر، في موضوع الأفضلية وتعدد الزوجات والقوامة، ومحاولة تغيير أحكام الفقهاء الذين حكموا على المرأة قديماً بأنها أقل من الرجل بناءً على الظروف الحياتية، بخلاف ما نشهده في عصرنا من مساواة المرأة بالرجل في جميع المجالات.**

٧. **بحث التمايز بين الذكر والأنثى في ضوء القرآن الكريم، ماجد بن حامد الشاعر، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهننا الأشراف، جامعة الأزهر، تناولت الدراسة بيان المراد من التمايز بين الذكر والأنثى في ضوء آيات الله الكريمة، ومظاهره، فنكرت آيات أصل البشرية، والقوة والضعف، والقوامة والتعدد والنكاح والطلاق والشهادة والميراث، وما أمتاز جنس بشيء إلا وأمتاز الجنس الآخر بشيء، وتكامل الحياة بالتكامل بين احتياجات كل جنس للآخر.**

٨. **بحث قضايا المرأة المعاصرة من منظور دعوي القوامة والتعدد نموذجاً**، د. طيبة عبد الله أبو البشر، مجلة معالم الدعوة الإسلامية، جامعة أو درمان الإسلامية، العدد العاشر، يناير ٢٠١٨م، تناولت الدراسة مفاهيم عامة عن المرأة قبل الإسلام وبعده، ضمن قضايا المرأة العصرية، وأن الإسلام يقر بالقوامة والتعدد، ولكن بضوابط، والتشريع

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ت ٧١١هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ٣، ٤١٤هـ، ج ١٢، ص ٩٧.

(٢) مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، د ط، ج ٢، ص ٧٦٨.

زيد: أقيمت الشيء وقومته فقام بمعنى: استقام والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه^(٤).

قال الأصمعي: وقوام الأمر -بالكسر- نظامه، وعماده.^(٥) وقال أبو عبيدة أيضاً: قوام أهل بيته وقِيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، قال الزجاج: ومعنى الآية: أي التي جعلها الله لكم قياماً تُقيمكم فتقومون بها قياماً. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ وَهِيَ تَوْجِيهُ اللَّهِ، وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ وَقَوْمٌ دَرَاهُ: أَزَال عَوَجَهُ؛ عَنِ الْخِيَانِي، وَكَذَلِكَ أَقَامَهُ. ^(٦) وَدِينٌ قِيَمٌ: مُسْتَقِيمٌ لَا زَيْغَ فِيهِ. وَكُنْتُ قِيَمَةً: مُسْتَقِيمَةً تُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ (وَوَدَّكَ دِينَ الْقِيَمَةِ) [البينة: ٥] أَرَادَ الْمَلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ. وَقَالَ الْقَرَاءُ: هَذَا مِمَّا أُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ لِاخْتِلَافِ لَفْظِيهِ. وَالْقِيَمُ: السَّيِّدُ، وَسَائِسُ الْأُمَرَاءِ، وَقِيَمَ الْمَرْأَةُ: زَوْجَهَا فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ، لِأَنَّهُ يَقُومُ بِأَمْرِهَا، وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ. ^(٧)

قال الزمخشري: الْقَوْمُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ قَامَ فَوْصَفَ بِهِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، لِقِيَامِهِمْ بِأُمُورِ النِّسَاءِ. ^(٨) وَقَدْ جَاءَ فِي تَسْمِيَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ: لِأَنَّهُ يَوْمُ بَعَثِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ، وَفِيهِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحج: ٦٩].

❖ **القوامة في الاصطلاح:** استعمل الفقهاء لفظ القوامة في معانٍ قريبة من المفهوم اللغوي، منها: ولاية يفوضها القاضي إلى شخص راشد بأن يتصرف لمصلحة القاصر في تدبير شؤنه المالية، ومنها: ولاية يستحقها الزوج على زوجته^(٩).

قال ابن عاشور رحمة الله عليه: الْقَوَامُ: الَّذِي يَقُومُ عَلَى شَأْنٍ شَيْءٍ وَيُلِيهِ وَيُصْلِحُهُ، يُقَالُ: قَوَامٌ وَقِيَامٌ وَقِيُومٌ، لِأَنَّ شَأْنَ الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْأَمْرِ وَيَعْتَنِي بِهِ أَنْ يَقِفَ لِيُدِيرَ أَمْرَهُ، فَأُطْلِقَ عَلَى الْإِهْتِمَامِ الْقِيَامَ بِعِلَاقَةِ الْأُزُومِ، أَوْ شَيْءٍ الْمُهْتَمُّ بِالْقَائِمِ لِلْأَمْرِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّمَثِيلِ^(١٠).

من خلال ما سبق نخلص إلى أن للقوامة معانٍ عدة في اللغة، منها ما يأتي:

العدل، القيام، العزم، الالتزام والمحافظة، الوقوف والثبات، الاستقامة على طاعة الله، اعتدال الشيء واستواؤه، عماد

الشيء. وأكثر ما يهمننا في البحث هو المعنى المرتبط بالموضوع الرئيس للبحث وهو: القوامة بين الذكر والأنثى، وقد تم عرضه في المعنى الاصطلاحي، ونلخص ذلك في نقاط مهمة هي:

١. القوامة تشريع رباني قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢. القوامة تكليف للرجل دون المرأة، وقِيَمَ المرأة زوجها أو من يقوم برعايتها وكفالتها.

١. القوامة تأتي بمعنى: المحافظة والعناية والولاية.. وكل هذه المعاني تحتاج للقوة بجميع أنواعها سواء البدنية أو العقلية أو المادية أو النفسية أو غيرها ولا يمكن أن تجتمع هذه الصفات إلا في الرجل.

٢. القوامة حق أعطاه الله للرجل على المرأة، بمقتضى قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٣. قوامة الرجل تشريف للمرأة وعلو من شأنها؛ بأن كلف لها من يقوم على حمايتها ورعايتها.

٤. القوامة في أصلها مفهوم يدل على ضرورة تعب الرجل في القيام بخدمة محيطه من النساء أمه وأخته وزوجته وابنته، ورعايتهن والدود عنهن وحمايتهن والقيام بمصالحهن.

٥. القوامة ليست حصراً على زمن دون زمن، أو مجتمع دون غيره، بل هي تشريع رباني يصلح لكل زمان ومكان.

٦. القوامة تكليف للرجل دون المرأة فلا يجوز أن يتملص الرجل من قوامته، ولا يحق للمرأة أن تنافس الرجل في طلب القوامة والمساواة في ذلك.

المبحث الأول، المطلب الثاني: مورد القوامة في القرآن الكريم.

في هذا المطلب، قمنا باستقراء عدد من الآيات، رأينا من خلال كتب التفسير، بأنها تحمل مفهوم القوامة أو معنى قريباً من ذلك، وسيتم عرضها على سبيل الذكر فقط، دون أن نتناول تحليلها بشكل مفصل، وقد جاء في التعريف اللغوي بياناً لبعض معاني الآيات الآتية.

قال تعالى في محكم التنزيل:

(٨) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله ت ٥٣٨هـ، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط٢، ج٣، ص ٢٣٤.

(٩) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، طبعة الوزارة، ط٢، ١٤٢٧ هـ، ج٥، ص ٦.

(١٠) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ت: ١٣٩٣هـ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بالتحريير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٤م، ج٥، ص ٣٨.

(٤) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط٢، ١٤٢٢ هـ، ج٣٣، ص ٣٠٨.

(٥) الرازي اللغوي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ، ص ٢٦٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٤٩٩.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٣، ص ٣١٩.

تعددت القراءات المعاصرة التي نتجت عن الفكر الإسلامي، بين ما يخدم القضايا الإسلامية ويحافظ على ثوابتها وأسسها، وبين ما يثير الفتنة ويساهم في تمزيقها، ويرمي بسهامه على أصول الدين قبل فروعها؛ ليسهل بذلك تجديد العقل الإسلامي ونقده.

وفي هذا المطلب، سنستعرض أفكاراً تنتمي إلى القسم الثاني من أقسام الفكر الإسلامي، وهو الذي نادى به أصحابه، تحت مسمى الحداثة: حيث يدعو إلى خلق أنظمة فكرية جديدة بعيدة كل البعد عن الدين، على حساب الأنظمة القديمة المستمدة من أسس ديننا، والمتوارثة بين أجياله، يحاولون بذلك القضاء عليها، أو التشكيك بها؛ بدعوى أنها غير صالحة لغير الزمن التي نزلت فيه.

❖ **نستعرض مفهوم القِوامة بين الرجل والمرأة عند الفكر الحداثي، متمثلاً في أقوال مجموعة من الحداثيين، ونعقب عليها بالنقد ثم نختم هذا المطلب باستخلاص النقاط الهامة.**

0 ترى عزيزة الحبري: أن الرجال قد فهموا الآية: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ فهماً خاطئاً؛ فاستخدموها ليمارسوا السلطة المطلقة على النساء، كذلك ادّعى بأن الرجال موكلون من الله، وأنهم متفوقون بطبيعة خلقهم^(١٧).

تعميم الفهم الناقص لكل الرجال ليس فيه إنصاف، بحيث أنها أطلقت لفظ الحكم على الرجال دون استثناء بصيغة تفيد العموم، وهذا من وجهة نظري فيه تجاوز وتعدي، وإن كان هناك من الرجال من فهم الآية خطأ، لا يعني ذلك أن أسقط قدسية النص، مطالبة بإسقاط الولاية لأجل فئة من الرجال خالفت الحكمة من النص الشرعي.

0 رأى محمود محمد طه أن سبب هذا التسلط هو حفظ فروج النساء، ثم فسر قوله تعالى: ﴿قَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ بأن الصالحات هن الطاهرات، والقانتات هن المطيعات لربهن، ولأوليائهن من الرجال، والحافظات للغيب، هن الحافظات لفروجهن، وهذا الحفظ لا يكون إلا بدوافع الطاعة لله والخوف منه، وكذلك طاعة لأولياء الأمور، والخوف منهم، وهو ما يُفضي إلى العفة والصيانة المضروبة على الرجال والنساء جميعاً، فإذا بلغ

➤ ﴿إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥] اختلف المفسرون في معنى {قائماً}؛ فمنهم من ذهب إلى أن معناه: قائماً على رأسه. ومنهم من قال: قائماً على اقتضاء دينك^(١١).

➤ ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥] أي: أنتم قائمون على هذا المال.

➤ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، هو القائم على كل شيء سبحانه، وبإذنه تقوم السماء والأرض. ولذلك أطلق اسم القيوم على الله سبحانه وتعالى.

➤ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، أي: "أي للطريقة التي هي أصوب وأعدل"^(١٢).

➤ ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]، أي: "أي وقت أن قاموا مجاهرين بإيمانهم مجابهين طاغية من طواغيت الدنيا، قالوا للطاغية لست ربنا، ولا حرك إلها، إنما ربنا الذي خلقنا وكوننا عقولا ونفوسا ومدارك، وهو رب هذا الوجود كله"^(١٣).

➤ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، أي: بين الإسراف والإقتار، والقوام من العيش: ما أقامك وأغناك. وقوام الجسم: تمامه، وقوام كل شيء ما استقام به^(١٤).

➤ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، عبد الله هو: رسول الله عليه الصلاة والسلام، قام يدعو ربه، يدعو الله^(١٥).

➤ ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ [البيّنة: ٥]، أي: الملة المستقيمة^(١٦). نلاحظ من خلال اللفظ القرآني لمصطلح القِوامة ومشتقاتها، بتعدد صيغ الورود في قوله تعالى: القِيمة، قام، قائماً، قائم، قِيَامًا، قَائِمٌ، قَوْمٌ، قَامُوا، قَوَامًا ولكن لم يختلف المعنى، فكل معاني تلك الصيغ تدور مجتمعة حول معنى القِوامة لغة واصطلاحاً، وكل كلمة منفردة يفيد معناها جانب من جوانب مفهوم القِوامة.

المبحث الأول، المطلب الثالث: مفهوم القِوامة عند الفكر الحداثي.

البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤٣٠هـ، ج ٢، ٥٨٧.

(١٥) العدوي: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية المصري، سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج ٧٦، ص ١٣.

(١٦) ابن أبي رَمَين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المالكي المعروف بابن أبي رَمَين ت ٣٩٩هـ، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، مصر: الفاروق الحديثة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص ١٥٢.

(١٧) الحبري: عزيزة، دراسة في تاريخها الإسلامي: أو كيف وصلنا إلى هذا المأزق، النسوية والدراسات الدينية، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، ط ١، ٢٠١٢، ص ١٩٩.

(١١) الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ٨٧٥هـ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٦٣.

(١٢) الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ت ١٤٠٢هـ، أوضح التفسير، مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط ٦، ١٣٨٣هـ، ج ١، ص ٣٣٧.

(١٣) أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة ت ١٣٩٤هـ، زهرة التفسير، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ن، ج ٩، ص ٤٥٠٠.

(١٤) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت ٤٦٨هـ، التفسير البسيط، الرياض: عمادة

خَدِجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّجْمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ...^(٢٠) فأي قوة عقل وقوة خلق تفوق هذه القوة! حتى ينادي بها محمود طه وأمثاله؟ بل إن النساء ذوات حظ واسع وكبير في ميادين القتال، كما جاء في سير الصحابييات أنه:

"اشتغلت النساء بالمعالجة والتطبيب أيضًا، فقد قامت ربيعة تداوي جرحى المسلمين يوم ذهابهم إلى بني قريظة، وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكانت لها خيمة في المسجد، مسجد الرسول بيثرب تداوي بها الجرحى. ولما جرح سعد بن معاذ يوم الخندق، قال رسول الله: "اجعلوه في خيمة ربيعة التي في المسجد حتى أعوده من قريب"، وكان الرسول يزوره في خيمتها في الصباح وفي المساء. واشتهرت زينب، وهي من بني أود بالطب. كانت تطب وتعالج العين والجراح"^(٢١).

0 عرّف نصر أبو زيد القوامة بالمسؤولية التي يتحملها المستطيع من الطرفين، أو أنهما يتشاركان فيها بحسب ملابسات الأحوال والظروف، وفي تعريفه عمومية القوامة حسب القدرة على تحمل الأعباء سواء من الرجل أو المرأة، ثم دعا إلى المساواة بينهما^(٢٢).

0 استدل شحرور على التشاركية وتبادل الأدوار بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، حيث أنها تعني في وجهة نظره قابلية انعكاسها للعمل موضوعياً باتجاهين، فالقوامة مرتبطة بالقدرات على اختلاف أنواعها، إضافة إلى أن التفصيل يشمل الرجال والنساء معاً، فكلمة ﴿بَعْضُهُمْ﴾ لو اقتصر على الرجال لدخل فيها قسم منهم وليس كلهم، ولوجب أن يلحقها نص خاص بالنساء، فيقول: على بعضهن، حتى يدخل فيها قسم من النساء وليس كلهن، فينتج عن هذا تفصيل قسم من الرجال على قسم من النساء^(٢٣).

أن القوامة هي أفضلية الصلاحية والقيادة، وليست أفضلية النوع ولا الجنس ولا الذكاء إلى آخره، ولا تعني أفضلية الرجل على المرأة في ذاته، بل ذلك الأمر مخالف لصريح نصوص القرآن والسنة، فكل الرجل والمرأة أمام الله -تعالى- سواء، ليس لأحد على الآخر أفضلية إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

النساء هذا المبلغ من العفة، فلا بد أن ترفع وصاية الرجال، ليكون إلهن أمر القيام على أنفسهن، تحت وصاية القانون^(١٨).

القانون الذي يجب أن يحتكم إليه كل مسلم ومسلمة، والذي حفظ لنا حقوقنا هو الشرع الإسلامي، وما جاء في دستوره القرآن الكريم هو العدل، فكيف يدعو محمود طه إلى المطالبة برفع القانون الإلهي! والاحتكام إلى القانون البشري؟! بل كيف ترضى نحن معشر المسلمات بذلك، فאלله سبحانه خالقنا وهو أعلم بما يصلح لقوام حياتنا الأسرية والاجتماعية.

0 ويذكر أيضاً محمود طه: أن المرأة وقعت فريسة لنظام الإسلام الذي فرض عليها الوصاية والحماية من قبل الرجل، نظراً لضعفها الجسدي وضعفها الوظيفي في معترك الفضيلة في أغلب الأحيان، فقد أصبحت محتاجة إلى من يحميها، ومن ثم فهي مضطرة لأن تدفع قسطاً كبيراً من حريتها ثمناً تخرز به هذه الحماية والرعاية الغذائية، ثم تطلع إلى مجيء يوم تنتقل فيه الفضيلة من قوة العضل إلى قوة العقل وقوة الخلق، وقتها لن يكون حظ المرأة في هذا الميدان حظاً منقوصاً، وإنما تكون فيه مؤهلة لأن تتفوق على الرجال^(١٩).

كانت المرأة في صدر الإسلام الأول تعيش حياة كريمة ضمنها لها الدين الحنيف، بل أن السيرة مليئة بنماذج نسائية برزت في ميادين الحياة، وجمعت بين قوة العقل وقوة البدن، ومع ذلك لم نسمع من نساء المسلمين من طالبت برفع حماية الرجل عنها!

وأبلغ الأمثلة هي لسيدة من سيدات الجنة، والسيدة الأولى في عهد النبوة، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كانت سيدة قومها وجمعت المال والسلطة والعقل الحكيم، ولم تستغني بذاتها عن قوامة رجل أعطته مالها ونفسها بعد ذلك، فكان صلى الله عليه وسلم نعم القوام في بيته ومع أهله.

بل أنها رضي الله عنها بقوة عقلها وحكمتها؛ كانت بعد فضل الله في ثبات زوجها، وذهاب ما فيه من روع عندما قابله جبريل عليه السلام في أول لقاء بينه وبين نبينا الرسول الكريم في الغار.

فكما جاء في صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "فَدَخَلَ عَلَى خَدِجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوَغُ، فَقَالَ لِحَدِجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ

(١٨) طه: محمود محمد، تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ص ٦٣.

(١٩) طه: محمود محمد، تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الطبعة

الثانية، ١٣٩٣هـ، ص ٦٣-٦٤.

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله، ج ١، ص ٧، رقم ٣، وقال: حديث صحيح.

(٢١) علي: الدكتور جواد علي ت ١٤٠٨هـ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الساقي، ط ٤، ١٤٢٢هـ، ج ١٦، ص ٢١.

(٢٢) نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، ص ٢١٤.

(٢٣) شحرور: الكتاب والقرآن، مرجع سابق، ص ٦٢٠.

- و القوامة ليست ولاية مطلقة على كل ما تمتلكه المرأة أو بعضه، لكنها موكلة للزوج فيما يخص دائرة الأسرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كما روى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ." (٢٤).
- ٥ قالت آمنة ودود حين: «الرجال قوامون على النساء في الأمور التي منح الله فيها بعض الرجال أكثر مما منح لبعض النساء، وبما أنفق الرجال من أموالهم، وعليه فمن الواضح أن الرجال كفئة ليسوا قوامين على النساء كفئة» (٢٥)، والمعنى أن القوامة ليست عامة لجميع الرجال، بل هي خاصة ببعض دون البعض الآخر.
- أما السياق ومناسبة الآية لما قبلها، فقد ذكر الله تعالى هنا سبب تفضيل الرجال على النساء، بعد أن بيّن نصيب كل واحد في الميراث، ونهى عن تمني الرجال والنساء ما فضل الله به بعضهم على بعض (٢٦)، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].
- ولعلني أضيف على ما سبق من رد على دعوى أبو زيد وشحرور وأمنة ودود، هو أن سبب القوامة أمران، وقد بيّنها الإمام الزحيلي في تفسيره: (٢٧)
١. وجود مقومات جسدية خلقية: وهو أنه كامل الخلقة، قوي الإدراك، قوي العقل، معتدل العاطفة، سليم البنية، فكان الرجل مفضلاً على المرأة في العقل والرأي والعزم والقوة، لذا خصّ الرجال بالرسالة والنّبوة والإمامة الكبرى والقضاء وإقامة الشعائر كالأذان والإقامة والخطبة والجمعة والجهاد، وجعل الطلاق بيدهم، وخصهم بالشهادة في الجنايات والحدود، وزيادة النصيب في الميراث، والتعصيب.
 ٢. وجوب الإنفاق على الزوجة والقريبة، وإلزامه بالمهر على أنه رمز لتكريم المرأة.
- وفيما عدا ذلك يتساوى الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وهذا من محاسن الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي في إدارة البيت والإشراف على شؤون الأسرة، والإرشاد والمراقبة، وذلك كله يتناسب مع قدرات الرجل على تحمل المسؤوليات وأعباء الحياة. وأما المرأة فلها ذمة مالية مستقلة وحرية تامة في أموالها.
- ٥ قال النيهوم: أن القوامة صناعة فقهية، حيث يذهب البعض إلى أن القوامة من صُنْع الفقهاء؛ حيث إن قول القرآن ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، هو النص الذي يستندون إليه في اعتماد وصاية الرجل على المرأة، بما يمنحه الحق في زجرها وضربها. (٢٨)
- هذا كلام مردود، وقد تم بيان شرعية القوامة في كلام الزحيلي آنفاً، وسيتم تناول ذلك بالتفصيل من خلال كتب التفسير.
- ٥ يرى النيهوم الصادق: أن لها ارتباطاً بتاريخية النزول، فمن الحداثيين من حاول توفيق الآية الداعية إلى القوامة، فألصقها بالتاريخية التي تعني، عدم صلاحيتها في عصرنا الحاضر؛ لأنها ليست حكماً ولا موقفاً مثالياً، وإنما هي مجرد وصف لحالة اجتماعية موضوعية، أقرتها الظروف الاجتماعية السائدة آنذاك، كما تدل على ذلك الصيغة التي جاءت فيها الآية، وهي صيغة جملة الخبر ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، فهي صيغة وصف حقيقة. (٢٩)
- ماهي علاقة أن تكون الجملة خبرية وبين تاريخية النص؟! فقد تكون خبرية وصالحة لكل زمان ومكان، وهذا حال غالب القرآن الكريم، الذي جاء ينقل لنا الخبر، ومنه هذه الآية.
- ٥ يرى شحرور أن تسلط الرجل على المرأة أحد مكتسبات الخطاب الديني، حيث أصبح الاستبداد بها هو القاعدة الأساسية بناء على قرار إلهي، وكأن الله تعالى قد خلق الذكر في المرتبة الأولى، وهي في المرتبة الثانية، فأعطاه الكلمة العليا؛ ليصبح السيد الأمر الناهي، وما عليها إلا تقديم فروض الولاء والطاعة، ثم عاب على الفقهاء خروجهم في كل مناسبة تخص المرأة، زاعمين بأن الإسلام كرم المرأة، والحقيقة أنها في نظرهم قارورة تحفظ النسل، أو حلوى يجب حمايتها من الذباب، ولذا ضربها إن خرجت عن سطوته، والذي أوصلها لهذا الحد من الظلم هو فاعلية الخطاب الديني في المجتمع الذكوري حسب الرؤية الحداثية.
- ٥ يرى أبو زيد أن الخطاب الديني يؤكد أن طاعة الرجل هي أهم وظائف المرأة، والتي يمكن أن تفقد بسببها كل حقوقها التي يتوهم الخطاب حصولها عليها، ومن هنا فإن الدعوة إلى طاعة المرأة للرجل تصبح محور الدعوة الإسلامية، لكنها في الواقع دعوة عامة في المجتمع المنجرح ذكورياً بتأثير الطعنات المتكررة، والعاجز عن التصدي لها، فيلجأ لممارسة سطوته على المرأة.

(٢٧) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، ج ٥، ص ٥٤.

(٢٨) النيهوم: الصادق، إسلام ضد الإسلام، ص ٢٠٧.

(٢٩) بلعيد: الصادق، القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، تونس: منشورات الحلبي الحقوقية، ط ٣، ٢٠٠٤م، ص ١١٨-١١٩.

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ج ٧، ص ٣١، رقم ٥٢٠٠، وقال: حديث صحيح.

(٢٥) ودود: آمنة، القرآن والمرأة، ص ١٢.

(٢٦) الزحيلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٤١١هـ، ج ٥، ص ٥٤-٥٥.

- ٢- مخالفة اتجاه المفسرين المتقدمين والمتأخرين
- ٣- تغيير تفسير النصوص بناء على متغيرات العصر.
- ٤- مخالفة العرف المتبع في المجتمع الإسلامي.
- ١- تهميش وإلغاء دور القوامة، والقول بحجية: مساواة المرأة بالرجل في جميع المجالات.
- ٢- قصر القوامة على الكسبية دون الخلقية.
- المبحث الثاني، المطلب الأول: مفهوم القوامة في كتب التفسير للمقدمين

من خلال استقراء لما كتبه مجموعة من المفسرين قديماً، وما تناقل عنهم، استوفني تشابه المعاني والمفردات، ولعل ذلك دليلاً على أنهم أخذوا وتعلموا من بعضهم، أو أن هذا ما كانوا يعيشونه بالفعل، وفي تلك الحقبة التي كان فيها التقارب الفكري والديني والسياسي والاجتماعي، ولذلك فإنني في هذا المطلب اكتفيت بعدد من التفسيرات التي أوضحت وأوجزت، وتجنبْتُ التكرار قدر المستطاع، مع مراعاة ترتيب مفاهيم المفسرين بالأقدمية.

قال تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ يَتَعَلَّقُونَ﴾ (النساء: ٣٤)، يعني: أمراء. عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعيه^(٣١) وقال السدي: معنى قوله: "قوامون يأخذون على أيديهن ويؤدبنهن"، قال الزُّهري: لو أن رجلاً شج امرأته، أو جرحها، لم يكن عليه في ذلك قود وكان عليه العقل، إلا أن يعدو عليها فيقتلها، فيقتل بها. (٣٢)

وكان الإمام الزُّهري رحمه الله يقول هذا ينفي حد القصاص فيما دون النفس! وهذا الرأي أراه مناقضاً لما جاء في كتاب الله تعالى، في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٥)، ولا يمكن تعطيل حد من حدود الله إلا بدليل من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة

القوامة ليست تسلطاً ولا استبداداً ولا استعلاءً للرجال على النساء كما ذكر شحرور أو حامد أو غيرهم، ولسنا بحاجة إلى المبررات والأسباب التي ذكرها، لأن القوامة في ديننا الإسلامي مبنية على الرحمة والمودة والتشاور والتي هي أحسن، وبما يحقق السكن النفسي والجسدي بين الزوجين، ويقودهما إلى تحقيق الهدف الأسمى، الذي جعله الله من أهداف الزواج في شريعتنا، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

والبيان الإلهي البديع والمعجز لم يقل "الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ" بما فضّلهم الله عليهن، بل قال: ﴿بِأَنفُسِهِمْ يَتَعَلَّقُونَ﴾، وهو تفضيل متبادل، تفضيل للرجال على النساء في جوانب وتفضيل للنساء على الرجال في جوانب أخرى.

من خلال عرض الأقوال السابقة لأصحاب الفكر الحدائي، والنقد المردف لها، نُلَخِّص نقاط الاختلاف معهم في الآتي:

١. أن أفعال الأفراد ليست تشريعاً يُبنى عليه، وليس من المنطق أن تُسقط التكليف الرباني بسبب تجاوزات بعض الرجال في الامتثال بالأحكام فكراً وعملاً، فالقوامة تكليف للرجل وليست توكيلاً مطلقاً بأن يفعل بالمرأة ما يريد.
٢. أن الحكمة من قوامة الرجل على المرأة تكميل لما يفوت من حق المرأة لو استقلت بنفسها، وأكثر ما تقوى القوامة للرجل على المرأة عند حاجتها إلى معاملة الرجال؛ لذا يحرم سفرها بلا محرم، أو خلوتها أو اختلاطها بهم؛ لأن المرأة ضعيفة بطبيعتها^(٣٠)
٣. أن سبب القوامة أمران: الأول: القوة الجسدية وطبيعة خلقه الرجل وقدرته على تحمل المهام الصعبة، والآخر: وجوب إنفاق الرجل على المرأة.
٤. أن القوامة ليست بمعنى التسلط بل هي بمعنى الحماية والحفاظ على الأسرة؛ بتكامل الأدوار بين الرجل والمرأة.
٥. أن أفضلية القوامة لا تعني أفضلية الرجل ذاته على المرأة في ذاتها.

وأخيراً: لعلمي أكتفي بهذه النقاط، بعد أن تم عرض بعض أقوال الحدائين على سبيل التبيين وتجليّة الحقيقة الشرعية لمن جهلها، وقد تم التعقيب عليها بالنقد الذي رأيته، وأودُّ أن أضيف على ما سبق بيان المنهجية المتبعة لدى الحدائين والمتمثلة في:

- ١- تحريف المعنى الشرعي واللغوي للقوامة.

الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ومركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية، القاهرة: دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٦٨٧.

(٣٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري، ج ٦ ص ٦٩٠.

(٣٠) الطريفي: عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٨ هـ، ج ٢، ص ٨٢٤.

(٣١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي الطبري ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير

المتواترة، بعيداً عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي نجدها في بعض كتب التفسير.

مفهوم القوامة عند الامام مكي 437هـ: معنى: ﴿يَمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية. أي: بفضل الرجل على النساء، كانوا قوامين عليهن بما فضل، هو جودة العقل والتمييز والإنفاق، وسوق المهر والجهاد وجواز الشهادة وغير ذلك، كله فضل به الرجل على المرأة. (٣٣)

مفهوم القوامة عند الإمام البيهقي ٥١٠هـ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أَيُّ: مُسَلِّطُونَ عَلَى تَأْدِيبِهِنَّ، وَالْقَوَّامُ وَالْقَيِّمُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْقَوَّامُ أَمْلٌ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْمَصَالِحِ وَالتَّذْيِيرِ وَالتَّأْدِيبِ. ﴿يَمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يَغْنِي: فَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ بِزِيَادَةِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَالْوَلَايَةِ، وَقِيلَ: بِالشَّهَادَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن لَّمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وَقِيلَ: بِالْجِهَادِ، وَقِيلَ: بِالْعِبَادَاتِ مِنَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْكُحُ أَرْبَعًا وَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ إِلَّا زَوْجٌ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: بِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِهِ، وَقِيلَ: بِالْمِيرَاثِ، وَقِيلَ: بِالدِّيَةِ، وَقِيلَ: بِالنُّبُوَّةِ (وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) يَغْنِي: إِعْطَاءَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ. (٣٤)

مفهوم القوامة عند الزمخشري 538هـ: السيطرة بسبب الأفضلية: حيث جاء في تفسيره الكشاف: "والضمير في بَعْضَهُمْ للرجال والنساء جميعاً، يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال، على بعض وهم النساء. وفيه دليل على أَنَّ الولاية إنما تستحق بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر. وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والكتابة. في الغالب، والفروسية، والرمي، وأنَّ منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق عند أبى حنيفة، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب وغيره". (٣٥)

مفهوم القوامة عند ابن عطية ٥٤٢هـ: القِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ، وَالِاسْتِئْذَانُ بِالنَّظَرِ فِيهِ: فَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ الْآيَةَ، قَوَّامٌ فَعَالٌ، بِنَاءٌ مُبَالَغَةٍ، وَهُوَ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الشَّيْءِ، وَالِاسْتِئْذَانُ بِالنَّظَرِ فِيهِ، وَحِفْظُهُ بِالِاجْتِهَادِ، فَقِيَامُ الرَّجُلِ عَلَى النِّسَاءِ هُوَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ، وَتَعْلِيلُ ذَلِكَ بِالْفَضِيلَةِ وَالنَّفَقَةِ يَقْتَضِي أَنَّ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ اسْتِيلَاءً وَمُلْكًا مَا. وَالْفَضِيلَةُ: هِيَ الْعَزُورُ، وَكَمَالُ الدِّينِ، وَالْعَقْلُ، وَمَا أَشْبَهَهُ، وَالْإِنْفَاقُ: هُوَ الْمَهْرُ، وَالنَّفَقَةُ الْمُسْتَمَرَّةُ عَلَى الزَّوْجَاتِ. (٣٦)

مفهوم القوامة عند القرطبي ٦٧١هـ: تدبير الرجل للمرأة وتأديبها وإمساكها في بيتها.

وقد جاء في تفسيره: أَنَّ قِيَامَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ هُوَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ، وَهُوَ أَنَّ يَقُومُ بِتَدْيِيرِهَا وَتَأْدِيبِهَا وَإِمْسَاكِهَا فِي بَيْتِهَا وَمَنْعِهَا مِنَ الزُّرُورِ، وَأَنَّ عَلَيْهَا طَاعَتَهُ وَقَبُولَ أَمْرِهِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، وَتَعْلِيلُ ذَلِكَ بِالْفَضِيلَةِ وَالنَّفَقَةِ وَالْعَقْلِ وَالْقُوَّةِ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ وَالْمِيرَاثِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: فَإِنَّ لِلرِّجَالَ زِيَادَةَ قُوَّةٍ فِي النَّفْسِ وَالطَّبْعِ مَا لَيْسَ لِلنِّسَاءِ، طَبَعَ الرِّجَالُ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَرَارَةُ وَالنُّبُوسَةُ، فَيَكُونُ فِيهِ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ، وَطَبَعَ النِّسَاءُ غَلَبَ عَلَيْهِ الرُّطُوبَةُ وَالْبُرُودَةُ، فَيَكُونُ فِيهِ مَعْنَى اللَّيْنِ وَالضَّعْفِ، فَجَعَلَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ عَلَيْهِنَّ بِذَلِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى تَأْدِيبِ الرِّجَالِ نِسَاءَهُمْ، فَإِذَا حَفِظَ حَقُوقَ الرِّجَالِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسَى الرَّجُلُ عِشْرَتَهَا. (٣٧)

مفهوم القوامة عند النسفي ٧١٠هـ: الأمر والنهي، فقد جاء في تفسير الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أَيُّ: يَقُومُونَ عَلَيْهِنَّ أَمْرِينَ نَاهِيَيْنَ، كَمَا يَقُومُ الْوَلَاةُ عَلَى الرِّعَايَا، وَسُمُّوا قَوَّامًا لِذَلِكَ. (٣٨)

مفهوم القوامة عند ابن كثير ٧٧٤هـ: الأفضلية والخيرية، فقد جاء في تفسير الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أَيُّ: الرَّجُلُ قَيِّمٌ عَلَى الْمَرْأَةِ، أَيُّ هُوَ رَئِيسُهَا وَكَبِيرُهَا وَالْحَاكِمُ عَلَيْهَا وَمُؤَدِّبُهَا إِذَا اعْوَجَّتْ ﴿يَمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أَيُّ: لِأَنَّ الرِّجَالَ أَفْضَلُ مِنَ النِّسَاءِ،

(٣٦) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت ٥٤٦هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(٣٧) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي ت ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ.

(٣٨) النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، ت ٧١٠هـ، التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، تركيا: دار الباب للدراسات وتحقيق التراث، ط الأولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

(٣٣) الإمام مكي: جعفر بن محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي الأندلسي ت ٤٣٧هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية، نسخة إلكترونية في موقع الباحث القرآني.

(٣٤) البيهقي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي ت ٥١٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير، نسخة إلكترونية في موقع الباحث القرآني.

(٣٥) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ، تفسير القرآن المعروف بتفسير الكشاف، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، تحفي حذري، المكتبة العربية السعودية: مكة المكرمة - ط ١، ١٤١٩هـ.

وَالرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ النُّبُوَّةُ مُخْتَصَّةً بِالرِّجَالِ وَكَذَلِكَ الْمُلْكُ الْأَعْظَمُ، وَكَذَا مَنْصِبُ الْقَضَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ١.

سبب القوامة عند ابن كثير ٧٧٤ هـ قوله تعالى: ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: مِنْ الْمُهَوَّرِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْكَفْلِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ، فَالرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي نَفْسِهِ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهَا وَالْإِفْضَالُ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ قِيَمًا عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَى النِّسَاءِ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. (٣٩)

مفهوم القوامة عند المحلي والسيوطي ٨٦٤، ٩١١ هـ: السلطة والتأديب، فقد جاء في تفسير الجلالين معنى قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ بمعنى: مُسَلِّطُونَ عَلَيْهِنَّ يُؤَدِّبُونَهُنَّ وَيَأْخُذُونَ عَلَى أَيْدِيهِنَّ. (٤٠)

سبب إيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ عند الإمام أبو السعود ٩٨٢ هـ:

وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيدان بعراقتهم في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه أي شأنهم القيام عليهم بالأمر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهيئي وكسبي قليل

﴿يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة إلى التصريح بالفضل والمفضل عليه أصلاً ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله. (٤١)

مفهوم القوامة عند الإمام الألوسي ١٢٧٠ هـ: لم يزد شيئاً يُذكر عما جاء في تفسير الإمام أبو السعود رحمة الله عليهم جميعاً.

المبحث الثاني، المطلب الثاني: مفهوم القوامة في كتب التفسير للمتأخرين

وقد ورد هذا الوصف في عبارات الفقهاء والمفسرين الأقدمين

ولعل بعض الرجال فهموا أنَّ القوامة تعني أنَّهم ولاية وحكام على نساءهم، فراحوا يطبقون عليهنَّ ما يخضعون له من سياسات الاستبداد التي يرونها من حكامهم ومسؤوليهم فالقوامة تتنافى مع الاستبداد، ولا تعني بحال من الأحوال التفرّد المطلق، ورفض الشورى، وإلغاء شخصية المرأة بذريعة القوامة.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ بما فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ

قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا).

مفهوم القوامة عند السعدي ١٣٧٦ هـ أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها

يخبر تعالى أن الرِّجَالُ ﴿قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإِنْفَاقِ عليهن، والكسوة والسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء. ولعل هذا سر قوله: ﴿يَمَّا أَنْفَقُوا وَحَدَفَ الْمَفْعُولُ لِيَدِلَّ عَلَى عُمُومِ النِّفَقَةِ. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها(٤٢).

لم يجئ التفضيل في الآية التفضيل في الآية، فكما أن للرجل فضل على

مفهوم القوامة عند ابن عاشور ١٣٩٣ هـ قِيَامُ الْحِفْظِ وَالِدِفَاعِ، وَقِيَامُ الْاِكْتِسَابِ وَالِإِنْتِاجِ الْمَالِيِّ.

جاءت هذه الآية تشريع في حقوق الرجال وحقوق النساء والمجتمع العائلي، فَقَوْلُهُ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أَصْلٌ تَشْرِيْعِيٌّ كُلِّيٌّ تَنْقَرِّغُ عَنْهُ الْأَحْكَامُ الَّتِي فِي الْآيَاتِ بَعْدَهُ، فَهُوَ

وَالْحُكْمُ الَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمٌ عَامٌّ جِيءَ بِهِ لِتَعْجِيلِ شَرْعٍ خَاصٍّ.

فَلِذَلِكَ فَالتَّعْرِيفُ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِلْاِسْتِعْرَاقِ. فالمراد من

(٤٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت ١٣٧٦ هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠ هـ، ص ١٧٧.

(٣٩) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، مصر، دار طيبة، ط ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤٠) المحلي، السيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد ت ٨٦٤ هـ وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ط ١، د ت، ص ١٠٦.

(٤١) أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت ٩٨٢ هـ، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، د ت، ج ٢، ص ١٧٣.

بالسعي والكدح؛ أما الحنان والرعاية والعطف فهي ناحية مفقودة عند الرجل لانشغاله بمتطلبات القوامة. ولذلك فإن الله تعالى يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها ولا يحملها القوامة بتكليفاتها، لكي تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذي خلقت له^(٤٤).

من كلام الشيخ الشعراوي -رحمه الله- يتبين أن القوامة جعلت بيد الرجل؛ لأنه فضّل على المرأة بخصائص نفسية وخلقية وعقلية كقوة النفس والطبع والحركة والكدح. وجعلت الحافظة بيد المرأة؛ لأنها فضّلت على الرجل بالإحساسات اللطيفة والعواطف الرقيقة وسرعة الانفعال والاستجابة السريعة لمطالب فلذة كبدها، وهذه الخصائص مناسبة لمسؤوليتها من حمل وإرضاع وتربية وحفظ لبيتها وأهلها ونفسها.

مفهوم القوامة عند ابن عثيمين ١٤٢١ هـ تفضيل الله سبحانه للرجال على النساء بالقوى الظاهرة والقوى الباطنة.

﴿الرَّجَالُ﴾ جمع رجل وهو جمع تكسير، ورجل هو البالغ من بني آدم الذكور، البالغ من بني آدم الذكور يسمى رجلاً، والذكر يطلق على البالغ وغير البالغ؛ ولهذا جاء في الحديث: "وَمَا بَقِيَ فَلأُولَى رَجُلٍ ذَكَرٍ"، مع أنه لو قال: فلأولى ذكر، اكتفي به، ولو قال: لأولى رجل، لخرج بذلك الصغير فلا يكون عاصباً، لكن جاءت كلمة ذكر ليبين أن الكبير ليس بشرط في استحقاق التعصيب، بل ولو كان دون الرجولة^(٤٥).

﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (قَوَّامُونَ) جمع قَوَّام، وقَوَّام صيغة مبالغة من قائم، فلو قيل في غير القرآن: الرجال قائمون على النساء، لكان المعنى دون كلمة قَوَّامُونَ؛ لأن قَوَّامُونَ صيغة مبالغة تقتضي القوامة على النساء في كل حال.

يقول: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (فَضَّلَ) زاد، الفضل هو الزيادة، أي: زاد بعضهم على بعض، والمزيد هو من؟ من المزيد؟ الرجال، والمزيد عليه النساء، إذن ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بعض هنا تعود على الرجال، ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ تعود على النساء، فما الذي فضل الله به الرجال على النساء؟ بالقوة الظاهرة والباطنة، فبالقوة الظاهرة قوة البدن؛ ولهذا تجد الرجل، بل تجد الذكر حتى من غير بني آدم تجده أقوى من الأنثى وأكبر عضلات وأشد، هذه من القوى الظاهرة، القوى الباطنة: التحمل والصبر والذكاء والعقل وما إلى ذلك، وبسبب التفضيل الجسدي القوة الظاهرة والقوة

الرَّجَالِ مَنْ كَانَ مِنْ أَفْرَادِ حَقِيقَةِ الرَّجُلِ، أَيِ الصَّنَفِ الْمَعْرُوفِ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَكَذَلِكَ الْمُرَادُ مِنَ النِّسَاءِ صُنْفُ الْإِنَاثِ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الرِّجَالُ جَمْعُ الرَّجُلِ بِمَعْنَى رَجُلِ الْمَرْأَةِ، أَيْ زَوْجِهَا، لِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، بِخِلَافِ قَوْلِهِمْ: امْرَأَةُ فُلَانٍ، يُرِيدُ أَرْوَاجَهُ وَبَنَاتَهُ وَوَلَدِيَّاهُ..

وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدِّفاع، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي، ولذلك قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وبما أنفقوا من أموالهم أي: بتفضيل الله بعضهم على بعض وبإنفاقهم من أموالهم. والمراد بالبعض في قوله تعالى: فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ هُوَ قَرِيبُ الرِّجَالِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنَ الْعُطْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فَإِنَّ الضَّمِيرَيْنِ لِلرِّجَالِ.

فالتفضيل هو المزاي الجليلية التي تقتضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذب عنها وجراستها لبقاء ذاتها. فهذا التفضيل ظهر آثاره على مر العصور والأجيال، فصار حقاً مكتسباً للرجال، وهذه حجة برهانية على كون الرجال قوامين على النساء فإن حاجة النساء إلى الرجال من هذه الناحية مستمرة وإن كانت تقوى وتضعف. وقوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ جيء بصيغة الماضي للإيماء إلى أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، فالرجال هم العائلون للنساء العائلة من أزواج وبنات. ومن بديع الإعجاز صوغ قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وبما أنفقوا من أموالهم في قالب صالح للمصدرية والموصولية، فالمصدرية مشعرة بأن القيام سببها تفضيل من الله وإفراق، والموصولية مشعرة بأن سببها ما يعلمه الناس من فضل الرجال ومن إنفاقهم ليصلح الخطاب للرفيقين: عالمهم وجاهلهم^(٤٦).

مفهوم القوامة عند الشعراوي ١٣١٩ هـ الكفالة والسعي والخدمة.

فقد جاء في كتابه عن ماهية القوامة: "إذا قيل: إن فلاناً قائم على أمر فلان، فما معنى ذلك؟ هذا يوحي بأن هناك شخصاً جالساً، والآخر قائم. فمعنى ﴿قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أنهم مكلفون برعايتهن والسعي من أجلهن وخدمتهن إلى كل ما تفرض القوامة من تكاليفات، إذن فالقوامة تكليف للرجل، والقوامة تحتاج إلى مجهود وحركة وكدح من جانب الرجل ليأتي بالأموال، يقابلها فضل من ناحية أخرى، وهو أن المرأة لها مهمة لا يقدر عليها الرجل فهي مفضلة عليه فيها.. فالرجل لا يحمل ولا يلد، ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معاً، سنجد أنهما متكاملتان، فالرجل فضل القوامة

(٤٤) الشعراوي: محمد متولي ت ١٤١٨ هـ، تفسير الشعراوي - الخواطر، مصر: مطابع أخبار اليوم، د ط، ١٩٩٧ م، ج ٤، ص ٢١٩٥.
(٤٥) ابن عثيمين: محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة النساء، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ج ١، ص ٢٨٧.

(٤٦) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣ هـ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، د ط، ١٩٨٤ م، ج ٥، ص ٣٧-٣٩.

٥. أن الله خلق الذكر والأنثى بطبيعة مختلفة عن الآخر وكلاً منهما مكماً للآخر لا منافساً له، ولن يرتقي المجتمع إلا بصلاح الأسرة التي تنبني على قوامه الرجل لأهله وطاعة المرأة لزوجها.

٦. أن الرجل بقوته والمرأة بضعفها
٧. أن من مقاصد الدين الحفاظ على الأسرة التي هي النواة الأولى للمجتمع، وكل من يسعى لإحداث خلل وزعزعة في نواة المجتمع، يجب أن يُفصح ويُحارب.
٨. أن التزام الرجل بقوامته وامتنال المرأة لذلك هو أمر تعبدي لله سبحانه.

٩. أن الحدائين ومن سار على نهجهم من دعاة اسقاط قوامه الرجل، هدفهم الأساسي هو انسلاخ الفرد المسلم من أسرته بزعة قواعد الأسرة المسلم المتمثلة في الأدوار التي يقوم بها كلاً من الرجل والمرأة.

١٠. أن من المفسرين من تأثر بالبيئة التي خرج منها فبالغ في معنى القوامه، مثال ذلك ما جاء في تفسير الطبري من قول الزُّهري: لو أن رجلاً شج امرأته، أو جرحها، لم يكن عليه في ذلك قود وكان عليه العقل، حيث أنه جعل للرجل حقّ مناقض لما جاء في شريعتنا من أحكام القصاص، ولعل هذه العبارات هي المدخل للطعن في التراث الإسلامي من قبل الحدائين وغيرهم.

وينتهي البحث الى أهمية فهم معاني القرآنية بالاعتماد على أقوال المفسرين قديماً وحديثاً، والتسليم لأحكام الشريعة بأن فيها الأصلح للفرد والمجتمع، والحذر كل الحذر من أصحاب الدعوات المسمومة، والمساهمة في نشر الخير والوعي بين أفراد المجتمع المسلم، وبيان خطورة مخططات الفكر الحدائني في تدمير أهم لبنات هذا المجتمع، وهي الأسرة التي لن تقوم إلا بصلاح الزوج والزوجة، والذي خلقهم الله من نفس واحدة، حيث قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾؛ أي: لِيَأْفَاقَهَا وَيَسْكُنَ بِهَا. وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين.

وقبل الختام فإنني أوصي نفسي وأخواني وأخواني من طلبة العلم، والجهات المعنية بصلاح المجتمع، **ببعض المقترحات التي قد تجد لها صدى ويتم تطبيقها بحول الله وقوته:**

١. إقامة ندوات وورش وبرامج توعوية لهذا الأمر، في نطاق المدارس والمؤسسات والجهات العامة والخاصة، وخاصة للمقبلين على الزواج.

الباطنة، والتفضيل الخارجي وهو الإنفاق بالمال صار الرجل أفضل من المرأة^(٤٦).

نضيف على ما سبق، بأن الله خلق الاختلاف بين الذكر والأنثى وشرّع الشرائع لحكمته بما فيه صلاحهم، فالمرأة بطبيعتها التي خلقها الله عليها تختلف عن الرجل في أمور كثيرة، بل إن هذا الاختلاف واضح وجلي منذ أن كان الجنين في الأحشاء وقبل الولادة، نجد الذكور غالباً أكثر نشاطاً وأشد حركة من الإناث، بل حتى عند الولادة يكون وزن الإناث غالباً أقل من وزن الذكور، ونلاحظ الفرق بعد ذلك في احتياج الرضيع للحليب، فالذكور معدل رضعاتهم تزيد عن معدل الإناث، مما ينتج عن ذلك زيادة في طول الجسد وقوة عضلات الطفل، فيكون جسم الذكر أقوى وأطول من جسم الأنثى، وهذا الاختلافات الفسيولوجية بين الجنسين لا تخفى على صاحب لب، ومع تطوّر العلم نرى بأن مستوى الفروقات بين الذكر والأنثى أكبر مما نشاهده، لدرجة أنه شمل الغدد والخلايا بل حتى الهواء الذي يتنفسه كلاً من الذكر والأنثى يختلف حجمه؛ حيث أن الدراسات أثبتت بأن حجم الرئتين والقصبات الهوائية عند الذكور أكبر، بالإضافة لذلك يكون القلب أكبر حجماً عند الرجال، مما يؤثر ذلك على عدد خلايا الدم الحمراء فيصبح هيموغلوبين الدم أعلى، وبالتالي قدرة الدم أكبر على نقل الأكسجين، سبحانه الخالق البارئ.

نتائج البحث وتوصياته

١. أن موضوع القوامه بين الذكر والأنثى يعد من القضايا المهمة والمثيرة للنقاش والجدل، وقد زاد هذا الأمر في الأونة الأخيرة وفي عصرنا الحالي تحديداً لما نشاهده من تطوّر في جميع المجالات أدى إلى التنافس والسباق بين الجنسين.

٢. أن مصطلح القوامه عند علماء اللغة اشتمل على عدة معانٍ، قد نعتبرها ضوابط وأسس يمكن أن نطلق عليها معايير "القوامه"، وهي: العدل، القيام، العزم، الالتزام والمحافظة، الوقوف والثبات، الاستقامة على طاعة الله، اعتدال الشيء واستوائه، عماد الشيء، فينبغي على كل رجل مكلف بالقوامه ويعتليها أن يتحلى بتلك المعايير، وبقد اختلال تلك المعايير قد تتأثر قوامته على المرأة.

٣. أن مصطلح القوامه جاء بصيغ متعددة في القرآن الكريم، بصيغة

٤. أن قوامه الرجل وأفضليته تشريع من الله سبحانه وتكليف للرجل ليس للتفاضل المطلق على المرأة، فكل منهما خلقه الله لهدف يستقيم بخلقته التي خلقه الله عليها.

(٤٦) ابن عثيمين: محمد بن صالح العثيمين ت ١٤٢١هـ، تفسير القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٠هـ، ج ١، ص ٢٨٨-٢٨٩.

٦. الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ت ١٤٠٢هـ، أوضح التفسير، مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، ١٣٨٣ هـ.
٧. الرازي اللغوي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ.
٨. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط٥، ١٤٢٢ هـ.
٩. الزحيلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ.
١٠. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله ت ٥٣٨هـ، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط٢.
١١. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ، تفسير القرآن المعروف بتفسير الكشاف، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، فتحي حجازي المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨ هـ.
١٢. أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ت ١٣٩٤هـ، زهرة التفسير، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ن.
١٣. ابن أبي زَمَنِين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المالكي المعروف بابن أبي زَمَنِين ت ٣٩٩هـ، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، مصر: الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت ١٣٧٦هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٥. أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت ٩٨٢هـ، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٥، د.ت.
١٦. شحرور: الكتاب والقرآن. الشعراوي: محمد متولي ت ١٤١٨هـ، تفسير الشعراوي - الخواطر، مصر: مطابع أخبار اليوم، ط٥، ١٩٩٧م.
١٧. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ومركز البحوث للدراسات العربية

٢. فرض عقوبات رادعة على كل من يروج أفكار تسعى لهدم المجتمع المسلم.
 ٣. تشكيل لجنة مهمة بوسائل التواصل الاجتماعي تراقب كل ما ينشره أصحاب هذا الفكر، وتنقده على مرأى ومسمع متابعيهم، حتى لا يتم الإغرار بمتابعيهم، والسير خلف أقوالهم.
 ٤. تأليف كتيبات يسهل قراءتها تحتوي على آراء المفسرين في هذا الموضوع، واختصار ما جاء في كتبهم ليسهل على الناس قراءته.
 ٥. نشر منشورات وملصقات تشيد بالدور العظيم الذي يقوم به الرجال سواء كانوا آباء أم أزواج.
- الخاتمة**

وفي الختام: الشكر لله أولاً وأخيراً؛ الذي أعانني على دراسة هذا الموضوع، ويسر لي سبحانه الوسائل والمصادر التي استفدت منها كثيراً، الذي علم القرآن، وجعله منهاج حياة وسبيل هداية، وما كان فيه من صواب فهو من الله سبحانه وتعالى، وما فيه من نقص فهو من نفسي - نعوذ بالله من شرور أنفسنا -.

اسأل الله - تعالى - أن يبارك في الجهد ويتقبل العمل ويبارك فيه، وفي النهاية نأمل من الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يعيننا في استكمال ما بدأنا في هذا العلم بحيث يتبع هذا البحث بحوث مكملة له ومصححة وجابرة لكل نقص فيه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ٢٥٦هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي ت ٥١٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير، نسخة إلكترونية في موقع الباحث القرآني.
٣. بلعيد: الصادق، القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، تونس: منشورات الحلبي الحقوقية، ط٣، ٢٠٠٤م.
٤. الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ٨٧٥هـ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨ هـ.
٥. الحبري: عزيزة، دراسة في تاريخها الإسلامي: أو كيف وصلنا إلى هذا المأزق، النسوية والدراسات الدينية، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، ط١، ٢٠١٢.

والإسلامية، القاهرة: دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

١٨. الطريفي: عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٨ هـ.

١٩. طه: محمود محمد، تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ.

٢٠. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت: ١٣٩٣ هـ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: دار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٨٤ م.

٢١. العدوي: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية المصري، سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، دروس صوتية قام بقرئها موقع الشبكة الإسلامية.

٢٢. ابن عثيمين: محمد بن صالح العثيمين ت ١٤٢١ هـ، تفسير القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٠ هـ.

٢٣. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت ٥٤٢ هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٢٤. علي: الدكتور جواد علي ت ١٤٠٨ هـ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الساقى، ط ٤، ١٤٢٢ هـ.

٢٥. ابن فارس: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني الرازي اللغوي ت ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٦. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخرزجي الأندلسي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ.

٢٧. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، مصر، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

٢٨. مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، ط ١.

٢٩. المحلي، السيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد ت ٨٦٤ هـ و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ط ١، د. ت.

٣٠. الإمام مكي: جعفر بن محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي الأندلسي ت ٤٣٧ هـ،

الهداية إلى بلوغ النهاية، نسخة إلكترونية في موقع الباحث القرآني

٣١. مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، ط ١.

٣٢. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ت ٧١١ هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

٣٣. النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، ت ٧١٠ هـ، التيسير في التفسير، تحقيق ماهر أديب حبوش، وآخرون، تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، ط الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

٣٤. نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف.

٣٥. النيهوم: الصادق، إسلام ضد الإسلام.

٣٦. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت ٤٦٨ هـ، التفسير البسيط، الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤٣٠ هـ.

٣٨. ودود: أمانة، القرآن والمرأة.

٢٩. المحلي، السيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد ت ٨٦٤ هـ و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ط ١، د. ت.

٣٠. الإمام مكي: جعفر بن محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي الأندلسي ت ٤٣٧ هـ،

المجلة الدولية للشرعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Contemporary doctrinal violations Causes and treatment. Inductive study.

المخالفات العقدية المعاصرة الأسباب والعلاج - دراسة استقرائية.

Dr. Khadija Ali Hadi AlHadi*

*Assistant Professor of Creed - Al-Qunfudhah University College (um Al-Qura University) - Saudi Arabia.

د. خديجة علي هادي آل هادي*

*الأستاذ المساعد في تخصص العقيدة - الكلية الجامعية بالقفذة (جامعة أم القرى) المملكة العربية السعودية.

E-mail: Kahudi@uqu.edu.sa

KEY WORDS

irregularities - nodal - contemporary - causes - treatment - inductive study.

الكلمات المفتاحية

المخالفات - العقدية - المعاصرة - الأسباب - العلاج - دراسة استقرائية.

ABSTRACT

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, his family, and companions.

But after ... The research aims to study contemporary doctrinal violations in terms of presenting the reasons for the existence of these violations and what led to them, and how to treat them, and to indicate the best way to address them through the Qur'an and Sunnah, tagged: (Contemporary doctrinal violations, causes and treatment).

The research contains an introduction and three sections:

The first topic: the causes of contemporary contractual violations and consists of two requirements: the first requirement: internal reasons, and the second requirement: external reasons.

The second topic: the seriousness of contemporary doctrinal violations on religion. And the third topic: the correct approach in addressing contemporary contractual violations.

Conclusion: It contains the most important findings and recommendations.

مستخلص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد ... يهدف البحث لدراسة المخالفات العقدية المعاصرة من ناحية عرض أسباب وجود تلك المخالفات وما أدى إليها، وكيفية علاجها، وبيان الطريق الأمثل في معالجتها عن طريق الكتاب والسنة، الموسوم: (المخالفات العقدية المعاصرة الأسباب والعلاج).

فالببحث يحتوي على مقدمة وثلاث مباحث:

فالمبحث الأول: أسباب ظهور المخالفات العقدية المعاصرة، ويتكون من مطلبين: المطلب الأول: أسباب داخلية، والمطلب الثاني: أسباب خارجية.

والمبحث الثاني: خطورة المخالفات العقدية المعاصرة على الدين.

والمبحث الثالث: المنهج الصحيح في التصدي للمخالفات العقدية المعاصرة.

والخاتمة: وتحتوي أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، حمداً يحمده به الأولون ويجلله به الآخرون، فهو أهل الحمد والثناء وأحق بهما، وصلوات ربي وسلامه على خليفه ومصطفاه، سيد الأولين والآخرين وسيد ولد آدم، المبعوث رحمة للعالمين كافة بشيراً ونذيراً.

أما بعد:

إن من أهم القضايا التي يجب أن يهتم ويتصدى لها أهل العلم هي المخالفات العقدية المعاصرة، والتي هي من أشد ما يحتاج إليه المسلمون عامة، وطلاب العلم خاصة، فإن انتشارها قد تسبب في زعزعة الإيمان في قلوب بعض المسلمين، فلا بد من بيان خطرها ومعرفة أسبابها حتى تتم معالجتها بشكل صحيح، ولتفادي الوقوع في المخالفات مستقبلاً.

إن هذا العصر يتسم بكثرة الاتصال المباشرة وغير المباشرة والسريعة بين الأمم بمختلف عقائدها وأفكارها، فالنظور الحديث ووسائله الذي يبهرننا يوماً بعد يوم قد ساعد في هذا الاتصال والاندماج بين الشعوب من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهذا الاتصال لا بد له من نقل معرفي بين تلك الشعوب، مما أدى لظهور كثير من المخالفات العقدية التي نحن بحاجة إلى النظر لها وتفنيدها وبيان موقع الخلل فيها ومعالجته.

ولكي نعالج تلك المخالفات علينا بالنظر إلى أسبابه والخطورة المتوقعة حدوثها منها، ثم وضع منهج صحيح في معالجة تلك المخالفات على منهج السلف الصالح.

أسباب اختيار البحث:

١. وجود مخالفات عقدية معاصرة تحتاج لبيان أسبابها وعلاجها.
٢. الحاجة الملحة للتصدي لهذه المخالفات والتعامل معها بجدية.
٣. خطورة المخالفات العقدية المعاصرة على المسلم.

أهداف البحث:

١. توضيح الأسباب التي سهلت دخول المخالفات العقدية المعاصرة للمجتمع المسلم.
٢. بيان خطورة المخالفات العقدية المعاصرة على تدين الفرد والمجتمع.
٣. بيان العلاج الصحيح للمخالفات العقدية المعاصرة وطرق التعامل معها.

منهج البحث:

منهجان: الأول المنهج الاستقرائي الذي يقوم على جمع المادة العلمية، والمنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل المادة العلمية للوصول للنتائج العلمية.

■ هيكل البحث:

تحتوي خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: أسباب المخالفات العقدية المعاصرة، ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: أسباب داخلية.

المطلب الثاني: أسباب خارجية.

المبحث الثاني: خطورة المخالفات العقدية المعاصرة على الدين.

المبحث الثالث: المنهج الصحيح في التصدي للمخالفات العقدية المعاصرة.

❖ المبحث الأول: أسباب ظهور المخالفات العقدية المعاصرة.

■ المطلب الأول: الأسباب الداخلية.

من المهم التعرف على الأسباب الداخلية التي أدت إلى ظهور المخالفات العقدية المعاصرة؛ إذ لو عولجت وتُصدي لكان للمسلمين حصن حصين - بعد الله تعالى - يمنع أي تأثير بالمخالفات العقدية الآتية من أسباب خارجية^١.

وما زال اهتمام العلماء بمعالجة كل الأسباب والشبهات النابعة من وسط البيئة الإسلامية ملحوظ من بداية عصر الإسلام، فهذا الحبيب المصطفى ﷺ حين رأى النفر الثلاث الذين استقلوا عبادة النبي ﷺ فعمد الأول إلى صلاة الليل أبداً، وعمد الآخر إلى صيام الدهر وعد الإفطار، وعمد الأخير إلى عدم تزوج النساء واعتزالهن، فسارع النبي ﷺ إلى معالجة تلك الشبه بتوضيح سنته ﷺ ورفض أي تنطع في العبادة، وقال ﷺ بعد أن أوضح سنته: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"^٢.

كذلك الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ ومواقفهم من المخالفات العقدية التي ظهرت بزمانهم، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وموقفه من منع الزكاة ومحاربة المرتدين^٣، وهذا موقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه من صبيغ الذي سأل في المنتشابه فضربه عمر رضي الله عنه حتى انزجر عما كان يفعل^٤.

وهكذا سار العلماء على هذا المنهج في معالجة كل ما يرد من مخالفة كان سببها داخلي؛ حتى لا تنقشى بين المسلمين ويتأثروا بها وتحصل بها الفتنة وتزرع العقيدة في قلوبهم، فعلى النظر في تلك الأسباب الداخلية التي أدت إلى ظهور المخالفات العقدية المعاصرة وتفنيدها حتى يسهل معرفتها ومن ثم معالجتها وكبح انتشارها وتغلغلها بين أبناء المسلمين.

وتنقسم الأسباب الداخلية إلى قسمين رئيسيين، هما:

أ. أسباب متعلقة من جهة التعامل مع الدين.

^١ انظر: ابن بطة، الإبانة الكبرى، مجموعة محققين، (دار الراية، الرياض)، ج ٢ ص ٣٢٤ و ٣٣٥، وابن وضاح، البدع، تحقيق: عمرو سليم، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ)، ص ١٥٩.

^٢ سيأتينا الحديث عنها في المطلب القادم.

^٣ صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، (دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج ٩ ص ٢.

^٤ انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ)، ج ٣ ص ٣٤٤، ومحمد باشميل، حروب الردة، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ص ٢٤.

والشفقة عليهم والإحسان بهم، العفو عنهم، والتماس العذر لهم؛ إذ هو الأصل^٧.

ويرى أهل الفقه أن من خرج عن كل هذا بغير مصلحة راجحة مقدرة عند العلماء والفقهاء عُذ ذلك من التشدد المنهي عنه في حديث النبي ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"^٨.

وقد يلتبس على البعض عدم التفريق بين التشدد في الدين والتمسك بالشريعة وتطبيق أحكامها، فالجواب عن ذلك بالافتداء بسنة الحبيب ﷺ فهو النموذج الأمثل في ذلك، وكذلك صحبه الكرام وهديهم وأهل العلم وسيرتهم العطرة. ويُعرف المتشدد والمتعمق في الدين بعلامات منها: التسرع في إطلاق الأحكام، فيمجرد أن يسمع بقضية معاصرة أو خبر أو حادث حتى يسرع بإطلاق جملة من الأحكام والدعوى الباطلة، قيل أن يثبت من الخبر ويعلم أبعاده وما يرمي إليه، ودون النظر في صاحب القضية وحاله، فيطلق أحكاماً عوجاء لا تتم لصحة بصلته.

كذلك يُعرف برفضه للنقاش والتبيين فتجده متعصب لما أطلقه من أحكام دون تثبت حتى ولو تبين له الحق، وقد يتعدى إلى الدخول في النيات والحكم على القلوب وإساءة الظن.

فالتشدد سبب رئيس في ظهور المخالفات العقدية في زمننا هذا، وبسببه ظهرت فرق كالخوارج في الزمن الأول للإسلام.

• الابتداع في الدين:

يأتي الابتداع في الدين كسبب داخلي مهم جداً في ظهور المخالفات العقدية في زمننا هذا، إذ يعتقد بعض الجهلاء أن الابتداع في الدين يجعل الدين مواكباً لزمن التطور والتقدم الذي نحن فيه، وهي من الاعتقادات الباطلة التي تؤثر في عقيدة أبناء المسلمين.

وعلياً أن نعلم أن الدين لا يحتاج إلى ابتداع وابتداء، فإنه صالح لكل زمان ومكان وموافق للعقل الصحيح، وأي ابتداع في الدين سواء في باب العقائد، أو العبادات، أو المعاملات، أو غيرها من الأحكام الشرعية يدخلنا في ظهور مخالفات للعقيدة الإسلامية ما أنزل الله بها من سلطان^٩.

ب. أسباب متعلقة من جهة التعامل مع العلم والعلماء. وتندرج تحت كل قسم عدد من الأسباب التي بدأت في عصرنا الحالي بالظهور بين أبناء المسلمين، وفي هذا المبحث نقوم بصدد التعرف عليها وبيانها حتى نتضح للقارئ ويعلم كيف ساعدت تلك الأسباب في ظهور المخالفات العقدية المعاصرة.

٥ أولاً: أسباب متعلقة من جهة التعامل مع الدين.

تندرج تحت هذا المتعلق عدد من أسباب يمكن حصرها فيما يلي:

• ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الأسباب الداخلية التي أدت إلى ظهور المخالفات العقدية المعاصرة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك المناصحة لأئمة المسلمين وعامتهم، إما ترك ذلك من باب المداينة ومراعاة المصالح على حساب الدين والعقيدة، أو من باب اليأس والتشاؤم من عدم صلاحهم^{١٠}. وترك هذا الأمر لا يوقع في المخالفة العقدية وحسب، بل يوقع في الذلة والمهانة وفساد ذات البين والفرقة بين المسلمين، فإن من الأسباب التي أدت إلى هلاك الأمم السابقة أنهم (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة: ٧٩].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم من أبواب الدين؛ فهي حماية لجناح الدين وعرضه، وقد أوصى ﷺ بالمناصحة فقال: "وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم"^{١١}، وقال ﷺ: "إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله - ﷺ ؟ قال: لله وكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم، أو أئمة المسلمين وعامتهم"^{١٢}.

فالمناصحة تزيل الحقد من القلب وهي قوة لخير دائم، كما وإنه إغدار لله تعالى ودفع لبلاء ونقمة عن الأمة.

• التعمق والتشدد في الدين:

من أعظم أسباب ظهور المخالفات العقدية التنطع في الدين، والتشدد في التضييق على الأنفس، سواء أكان في الأحكام الشرعية، أو المواقف تجاه الآخرين، وأخذ الناس بالظنة والتعامل معهم بما لا تراعيه أصول الشرع ومقاصده، فبناة الدين قائمة على الأخذ بالأحكام الشرعية مراعية في ذلك التيسير ودفع المشقة والأخذ بالرخص في مواطنها، كما وتدرئ الحدود بالشبهات والأخذ بحسن الظن بالناس،

^٥ انظر: ابن أبي الدنيا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، (مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص ٢٢، وأبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: مشهور سلمان وهشام السقا، (المكتب الإسلامي + دار عمار، بيروت + عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ)، ص ٥٢.

^٦ الإمام مالك، الموطأ، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)، ج ٢ ص ١٦٩.

^٧ سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، (دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، باب في النصيحة، ج ٧ ص ٣٠٠.

^٨ انظر: عبد المنعم أسرار، التشدد في المباحات والغلو في المستحبات، (مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، عدد ١١٧، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م)، ص ٦٧١.

^٩ صحيح البخاري، باب الدين يسر، ج ١ ص ١٦.

^{١٠} انظر: جلال الدين السيوطي، حقيقة السنة والبدعة، تحقيق: ذيب القحطاني، (مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ)، ص ٣٢.

للشروع بسبب جهله وعدم تفقهه، وكم من فرق ضلت وأضلت بسبب الجهل والتقصير في طلب العلم.

وقد جعل نبينا الكريم ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهو العلم الذي يقوم به دينه وعمله، فلا عذر لمن جهل وخاصة في زمننا هذا؛ لأن الحصول على العلم الموثوق الصحيح أصبح في متناول الجميع مع ما توصلت له التقنيات الحديثة والتطور التكنولوجي الحديث.

فعلى أولياء الأمور تعليم أبناءهم أسس الدين وأصوله، وأن يعلموا أن المرجع الأساس في ذلك هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا بد من التفقه في الدين وحثهم على فهم ما جاء به الشرع؛ حتى يتسنى لهم المشي بخطوات نيرة في طريق مستقيم.

● أخذ العلم من غير أهله:

لعل من أهم الأسباب في هذا المتعلق أخذ العلم من غير أهله؛ فكم ضل أناس في هذا الباب كان سببهم رجل جاهل تسيد منبر العلم، فظن الناس أنه صاحب علم ومعرفة، فضل وأضلهم معه، وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: "إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتنون برأيهم فيضلون ويضلون"^{١٥}.

فالحذر الحذر من أخذ العلم وخاصة الدين من غير تثبت في حال من يؤخذ منه، فمن علامات أهل العلم والفقه أنهم أهل دين وتقوى، ذو أخلاق حسنة، حريصون على الاقتداء بسنة نبينا الكريم ﷺ وبسنة السلف الصالح، كذلك لا تجده ينتسب إلى فرقة، أو طائفة، أو مذهب، أو حزب، بل تجده ينتمي للإسلام والمسلمين دون تحيز أو انغلاق على فئة معينة.

فعلى كل من أراد العلم الصحيح أن ينظر في حال من يؤخذ منه دينه، وأن يتثبت حاله؛ حتى لا يلقى في غياهب جب المخالفات العقدية.

● الاستقلالية عن العلماء أو ازدرائهم والتعالي عليهم^{١٦}:

ونقصد هنا بالاستقلالية أي انفراد بعض المتعلمين وبعض الدعاة وبعض الأحداث الصغار عن العلماء، فيكتفون بأخذ العلم عن الكتب بمجرد قراءتها وتسويغ الفهم بنفسه دون الرجوع لأقوال العلماء والسلف الصالح، من مبدأ هم رجال ونحن رجال.

ومنهج التخلي عن العلماء منهج خطير، بل قد يكون بذرة لجمع من المخالفات العقدية التي بدورها تحيل عصرنا إلى بؤرة فساد عقدي، ضف إلى ذلك أنه كان من أهم أسباب

ويتلخص الابتداع في الدين باعتقاد مالم يرد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، أو التعبد بما لم يشرعه الله تعالى ورسوله ﷺ اعتقاداً، أو قولاً، أو عملاً^{١١}.

فالابتداع خطر قائم يهدد العقيدة الإسلامية، فصاحب البدعة على خطر عظيم، فإن كل من قلده في بدعته وعمل بمقتضاها فإن عليه أوزاراً مثل أوزارهم، وعليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة، وقد صح في الحديث قول النبي ﷺ: "من سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"^{١٢}.

● العصبية:

شر وقع فيه الكثير من أبناء المسلمين في زمننا هذا، وهو العصبية والتعصب سواء أكان هذا التعصب مذهبياً أم عرقياً أم شعبياً أم قبلياً أم حزبياً وغيرها من العصبية. ولعل أسوأها وأخطرها تلك العصبية التي تجعل ظاهرها الدين وتمرر تعصبها من خلال الدين، فيفتتن كثير من الناس بها ظناً منهم أن متعلقها الدين ونصرة للدين، وفيه لبس على الناس وخطر عظيم يوقعهم في داء يصعب الخلاص منه، ونذكر هنا قول النبي ﷺ: "دعوها، فإنها منتنة"^{١٣}.

٥ ثانياً: أسباب متعلقة من جهة التعامل مع العلم والعلماء.

إن أهمية العلم ومكانته الكبيرة تجعله حاجة ضرورية في حياتنا اليومية؛ فبدونه يعم الجهل ويتفشى التخلف وتتخط الأمم، فكان ولا بد من نشر العلم والحث على التعلم، وهذا ما جاء به ديننا الحنيف الذي ابتدأ أول آيات القرآن الكريم بـ {اقرأ}، وحث على العلم ورغب فيه، كما وأتى نبينا ﷺ بتأكيد ما جاء في القرآن من تزكية العلم وأهله والترغيب به فقال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^{١٤}.

ولكن في عصرنا الحالي بدأ ثلة من أبناء المسلمين بعدم الاهتمام بالعلم وأهله، وهذا مما لا شك فيه يولد مخالفات عقدية كثيرة، فالجهل بأمور الدين وعدم التفقه الصحيح فيه يؤدي إلى هاوية من المخالفات العقدية التي لا حصر لها، فإذا غاب العلم حضر الجهل، وإذا تُرك العلماء حل محالهم الدجالون والفارغون وأصحاب الهوى والروبيضة. لهذا فإن من أسباب المخالفات العقدية المعاصرة أسباب تتعلق بالعلم والعلماء وندرجها فيما يلي:

● التقصير والتثبط في طلب العلم والتفقه فيه:

إن التقصير في طلب العلم مع إمكانية الحصول عليه هو ذنب يجب على المرء تدارك وضعه فيه والتوبة منه، فالعلم فرض واجب لا بد من تعلمه؛ حتى لا يقع المرء في مخالفة

^{١١} انظر: عيد الرووف عثمان، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ)، ص ٢٢١.

^{١٢} صحيح مسلم، تحقيق: محمد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، ج ٢ ص ٧٠٤.

^{١٣} صحيح البخاري، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ...) الآية، ج ٦ ص ١٥٤.

^{١٤} سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعة آخرين، (دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج ١ ص ١٤٩.

^{١٥} صحيح مسلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، ج ٤ ص ٢٠٥٩.

^{١٦} انظر: جمال الدين الوصابي، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، (دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ص ٥٠.

ج. وجود أقليات غربية في دول العالم العربي والعكس

إن أحد أهم أمور تبادل الفكر بين الشعوب هو وجود فئات تعتبر أقلية في البلدان الغربية أو العكس، يساهم هذا الأمر في تعزيز نقل الأفكار والمذاهب بين الأمم، كذلك تولي هؤلاء مناصب مهمة في الدول الإسلامية، فيمسي من السهل زرع أفكار يتبناها هؤلاء في الأوطان التي يقطنونها، كأمثال كثير من الدارسين في العلوم الحديثة التي تفوق الغرب فيها.

د. وجود بعض المؤسسات المشبوهة في العالم العربي

كالمؤسسات الشيوعية

هناك مؤسسات يطلق عليها أندية ثقافية أو جمعيات فكرية تساهم في نشر الأفكار الغربية في الوطن العربي، وقد تتبنى بعض الدول العربية هذه المؤسسات وتقيض عليها بالدعم.

وتنتشر هذه المؤسسات أفكارًا تحت شعارات براءة، فيندخ فيها أبناء المسلمين وينضمون إليها من باب الجهل وسحر البيان، ثم يأتي تبني الأفكار بعد ذلك، ومن أمثلة هذه المؤسسات الحزب الشيوعي الذي انضم إليه كثير من الدول الإسلامية وبعض من المفكرين العرب.

❖ المبحث الثاني: خطورة المخالفات العقدية المعاصرة على الدين.

■ تمهيد:

مما لا ريب فيه أن إرجاع أي أمر حادث للكتاب والسنة وأهل العلم الأجلاء الراسخين في العلم يسلم من الوقوع في المخالفات العقدية، وله آثار محمودة تقي بدورها من الانزلاق وراء تلك المخالفات.

وقد أمر الله تعالى بإرجاع أي أمر حادث إلى سنة رسوله الكريم ﷺ وأولي الأمر من العلماء الموصوفين بسلامة المعتقد وأصالة المبدأ، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبِطُونَ مِنْهُمْ^{١٧} وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالعلماء هم حملة الشريعة الذين فقههم الله تعالى في فهم كتابه الكريم، وفقهم لهداية الخلق وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم، الذي به تكون سعادة الدنيا والآخرة.

وكلما اتبع المرء المنهج الصحيح تكونت عنده حصانة بقي بها تلك المخالفات، ويحصل بذلك تأصيل العقيدة الصحيحة في نفسه وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، تراجع ونبذ أهل الزيغ من أهل البدع وأصحاب الأهواء والفرق الضالة، محاربة الغلو والتطرف الذي انتشر بسبب التساهل في التعامل مع المخالفات العقدية المعاصرة.

وعلينا أن نعي أن للمخالفات العقدية المعاصرة خطورة مخيفة جداً، قد تؤثر سلباً على الدين في قلوب المسلمين

افتراق كثير من الفرق عدم الأخذ بأقوال السلف، فوقعوا في شر المخالفات العقدية والتي من أهمها الافتراق، وقد أوصانا الله تعالى بأن نأخذ العلم من أهله إذ قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ويزيد الأمر سوءاً أن هنالك من يزدرى العلماء ويتعالى عليهم، بل ويحرض عدم الأخذ منهم، وهو أمر شذت فيه طائفة من أبناء المسلمين في عصرنا الحالي، وهو أمر خطير جداً من استحقاق لا يؤخذ منه فكيف إذا كان هؤلاء هم العلماء حصن هذا الدين وأهله؟!

■ المطلب الثاني: الأسباب الخارجية.

هناك أمور أخرى ساهمت في دخول ونشر المخالفات العقدية للعالم الإسلامي وأثرت في فكر بعض المسلمين وبعض المفكرين العرب، فمن هذه الأمور^{١٨}:

أ. الاستعمار:

كان للاستعمار دور كبير في نشر أفكار الغرب في العالم العربي، فتنافست الدول الغربية في استعمار العالم العربي في العصر الحديث، ونشر الأفكار السامة بين أبناء تلك الدول.

كذلك لم يكن تركيز الاستعمار فقط على الجانب العسكري فحسب، بل كان يقوم بإرفاق العلماء والخبراء والمفكرين في كل علم وفن، بخاصة في الأديان وعلوم الاجتماع والفلسفة، وكانت مهمة هؤلاء دراسة المجتمعات الإسلامية والعربية لتحديد نقاط ضعفها، ثم وضع الخطط للتغلب على نقاط القوة، واستغلال نقاط الضعف لينفذ من خلالها المستعمر تذيب الفكر الصحيح لديهم وإحلال مكانه الأفكار المخالفة.

فعلى سبيل المثال الاستعمار الفرنسي الذي قام باحتلال المغرب العربي - تونس والجزائر والمغرب - من نهاية القرن التاسع عشر حتى حوالي منتصف القرن العشرين، التي كانت فترة ازدهار العلوم الحديثة وانتقالها بسهولة وذلك بسبب وجود بعض المدارس والمعاهد والجامعات التي وضعها المستعمر في تلك البلدان.

ب. سهولة الاتصال بين الأمم والشعوب وتوفر وسائله

إن ما يعيشه العصر الحديث من تطور في وسائل الاتصال يجعله بلا أدنى شك وسيلة من وسائل انتقال الأفكار بين الشعوب، وهو ما جعل العالم قرية صغيرة، ولم تعد الأمم في معزل عن بعضها، وأمسى ما يحدث في شرق العالم يقرأه ويسمعه من في غربها.

وقد ساهمت وسائل الإعلام المختلفة في نشر أفكار الغربيين في العالم العربي، ومن ذلك الإذاعة والتلفاز وقنوات البث أو ما يسمى بالأقمار الصناعية، كذلك الصحف اليومية والمجلات العلمية.

سعود، الرياض، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ص ١٤٢ و ٢١٠، وعبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، (رابطة العالم الإسلامي، مؤسسة مكة للطباعة)، ص ٦٠.

^{١٧} انظر: غالب عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، (المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ج ١ ص ٦٧ و ١٧٠، وعلي عبد الحليم محمود وعبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (المجلس العلمي جامعة الإمام محمد بن

تعالى وسؤال العلماء حتى يتخلص منه قبل أن يتمكن منه، ويطمئن قلبه حق الاطمئنان.

• الغلو في الدين:

من خطورة المخالفات العقدية المعاصرة هي ظهور بعض الأفكار التي مؤداها الغلو في الدين والتشدد، وهي من الخطورة التي لا يشعر المرء بأنه مصاب بها؛ فهو يرى نفسه على حق وأنه متمسك بالدين حق التمسك، فيظن أنه يكون بذلك قريب من الله تعالى ومطبقاً لحمة وشرعه، وأنه لا تأخذه لومة لائم.

وقد ظهر الغلو والتشدد في الدين من عصر النبوة فهؤلاء النفر الثلاث الذين استقلوا عبادة النبي ﷺ، فنهى النبي عن فعلهم وحذر من ذلك التشدد وأكد أن من يفعل ذلك فليس منه ﷺ.

إن المنهج القرآني أتى بالنهاي عن الغلو بكافة صوره فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، فمن صور الغلو: **الغلو في الاعتقاد** كالغلو في الأنبياء والصالحين وطلب الدعاء والاستغاثة بهم، أو الغلو في التكفير والحكم بغير دليل من الكتاب والسنة، ومن صوره أيضاً **الغلو العملي** كالزيادة في عدد مرات الوضوء وزيادة العبادات أو فرض عبادات ما أنزل الله بها من سلطان^{٢١}.

• الإلحاد:

الإلحاد شر هذا العصر والذي أتاناً زحفاً من الغرب بعدما طغت الكنيسة وأدت إلى حدوث الإلحاد المعاصر، ويبني الإلحاد على أفكار منحرفة وآراء باطلة تطعن في صلب الإسلام والتوحيد بالله تعالى ووجوده؛ وما ذلك إلا لفقدان الحصانة العقدية وتتبع المخالفات العقدية التي بدورها تزلق المرء إلى الإلحاد بالله تعالى^{٢٢}.

إن الإلحاد لا يجعل للدين هيمنة على أفعال المرء وعقله، بل يجعل كل شيء مباح له دون ضوابط تردعه من فعل المنكرات، ولا يقع الإلحاد في المجتمع المسلم المعاصر إلا بسبب التفكير المنحرف وفرض واقع المجتمعات الأخرى على مجتمعنا الإسلامي وتقبله وتطبيقه، بغض النظر عن مخالفة واقعهم لواقعنا مما يؤدي إلى الوصول إلى نتائج خاطئة مبنية على مقدمات فاسدة.

وهناك خطورة أخرى للمخالفات العقدية المعاصرة^{٢٣}، والتي منها: الوقوع في السحر، البعد عن الكتاب والسنة وهجرهما، ازدياد العلماء وترك الاقتداء بالسلف الصالح، انتشار الأفكار الهدامة والفرق الضالة، الفدح في الشريعة الإسلامية.

وعلى حياتهم وحياة المجتمع؛ وتكون هذه الخطورة بؤرة فساد يقع فيها الكبير قبل الصغير إذا لم يتم التصدي لها ويتم بيانها للناس، وعليه لابد من معرفة هذه الخطورة المترتبة على هذه المخالفات؛ حتى يتبين للناس حجمها ومعرفة مدى الضرر الذي قد يقع منها إذا تتبعها المرء واعتنقها.

• خطورة دينية عقدية.

تتشكل خطورة المخالفات العقدية عامة وتضرب أساس الدين وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، فالذي يفرق بين المؤمن والكافر هو التوحيد الذي أسس له الرسول ﷺ ودعا إليه أكثر من نصف عمر دعوته؛ إذ الغاية الأسمى التي خلق الله تعالى الكون كله من أجلها هو التوحيد، فقال الحق مؤكداً هذا الأمر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إن المخالفات العقدية المعاصرة تشكل تهديداً قوياً – إذا لم تعالج ويتصدى لها – على التوحيد بالله تعالى، وتعتبر خروجاً عن القيم والأخلاق السوية السائدة في المجتمع المسلم، وقد تصل بالأمة إلى انحطاط عقدي قد يخرج الأمة من دائرة الإسلام بالكلية.

وقد ذكر المصطفى ﷺ أنه قد يأتي على الرجل حال يكون فيها مؤمن ثم يمسي كافراً^{٢٤} وما تلك إلا ما دخل قلبه من تلك المخالفات واستوطنته وهو لا يعي ما مدى خطورتها، وتتنوع هذه الخطورة بتنوع هذه المخالفات، فمنها:

• الشك في الدين:

إن من أعظم نعم الله تعالى على عباده هي نعمة الهداية والإسلام، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فمن حُرِم الهداية كالमित لا حياة له، وكسائر في الظلمات يتخبط فيها وتزلق قدمه التي حرمت الثبات والاستقرار، ومن هُدي الإسلام واستقر في قلبه فهو يمشي بخطى ثابتة لا يزعه شيء مطمئن البال والقلب.

والمخالفات عقدية المعاصرة تسلب من المرء اطمئنانه بالله تعالى وحكمه وتشريعه، فتدخل في قلبه الشك وتزعزع صدقه بالله تعالى، فيمسي المرء يتقلب بين هذا وذاك متردد في حيرة من أمره، فيصير في ظلمات قد توقعه في شرك عظيم وبلاء لا فكاك منه^{٢٥}.

فعلى المسلم الابتعاد عن برائن تلك المخالفات العقدية وعدم تعريض نفسه لها؛ فإن ذلك يوقعه في مهالك لا خلاص منها، ولو وقع الشك في قلبه عليه المسارعة إلى حكم الله

^{٢١} قال ﷺ: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا". **صحيح مسلم**، باب الحث على المبادرة بالأعمال، ج ١ ص ١١٠

^{٢٢} انظر: أحمد المبارك، **الانحراف العقدي آثاره ونتائجه**، (رابطة العالم الإسلامي)، ص ٤

^{٢٣} **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد الناصر، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج ٩ ص ٢

^{٢٤} انظر: ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ -

❖ المبحث الثالث: المنهج الصحيح في التصدي للمخالفات العقدية المعاصرة.

لا شك أن التوقي من الوقوع في المرض خير من علاجه بعد الانزلاق فيه، ولكن إن وقع المرض لابد من علاجه، فحين يُراد علاج أي مرض فقبل البدء بعلاجه والبحث عن دواء يتداوى به يُنظر في أسباب ذلك المرض من أين أتى وكيف تسلل إلى الجسد، ومن ثم صرف الدواء له بطرق معينة، إما أن يكون هذا الدواء ناجعاً يقضي على المرض تماماً، وإما أن يخفف من وطأته ومن أعراضه بقدر المستطاع، وهذا حال أي مرض سواء أكان مرضاً مادياً أو معنوياً فلا بد من معرفة أسبابه حتى تتمكن من اتخاذ العلاج الناجح.

وقد رأينا أسباب ظهور المخالفات العقدية المعاصرة في أول مبحث من هذا البحث، وعلمنا أن هناك قسمين لهذه الأسباب داخلية وخارجية، وما يهمنا في التصدي لمرض المخالفات العقدية المعاصرة هي الأسباب الداخلية؛ ويرجع ذلك إلى أنه لو تصدى لها وتمت معالجتها بطرق صحيحة مستنداً كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ وما ورد عن السلف الصالح، لكفينا وتصدينا لأي مخالفة داخلية كانت أم خارجية، فالأسباب الداخلية هي مناط البحث عن دواء لها فكلما تحسن المرء داخلياً كلما اشتد إيمانه وقوي عزمه. فمن طرق الوقاية والعلاج للمخالفات العقدية المعاصرة:

١. **التمسك بكتاب الله سبحانه وسنة المصطفى ﷺ:** وهذه القاعدة الأساس التي يتفرع منها كل علاج لكل مرض ومخالفة تمكنت من جسد هذه الأمة، فالتمسك بكتاب الله تعالى الذي يعد المنهاج الحق القويم الذي جعله الله هدى وضياء ورحمة لمن آمن به واعتصم به.^{٢٤}

ومعرفة سنة المصطفى ﷺ وهدية والتمسك بها، فمن عرفها واتبعها حق الاتباع فإنه سيهتدي بإذن الله، وسيسير على بصيرة من دينه، ومن ثم يبتعد عن المخالفات أو النزوع إليها أو الوقوع فيها، فكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حصن منيع لكل من تمسك بهما حق التمسك، وقد صدق الرسول الكريم ﷺ إذ قال: "تركك فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ".^{٢٥}

٢. **التفقه في الدين والأخذ عن العلماء الثقات:** قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فما للتفقه في الدين من فوائد جمة من فضل المتفقه في الدين على سائر الناس، ومن تأثير التفقه في خشية من الله تعالى ومعرفة حق المعرفة، فإنه أهم السبل

في تحقيق الهداية والوقاية من الوقوع في برائن المخالفات العقدية، فيتسلح المرء بالتفقه ومعرفة هدي الله سبحانه فيحصل له بذلك المعرفة في مواجهته تلك المخالفات وتفنيدها ومعرفة خطر الوقوع فيها ومن ثم التصدي لها^{٢٦}. وللالتفاف حول السلف الصالح وعلماء الأمة الأجلاء الثقات، الذين برزوا بعلمهم وتقبلتهم الأمة وعدلهم لعلمهم وأمانتهم، وهم والله الحمد كثر، فلا يمكن فقدهم بشكل من الأشكال، فمن تأسى بهم واتخذهم قدوة فقد سار على سبيل المؤمنين الذي أمرنا الله باتباعه ونهانا عن عدم سلوك سبيلهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، فالحذر من عدم اتباعهم أو التخلي عنهم وإزدرائهم، أو الشذوذ عنهم بأي وجه من الوجوه^{٢٧}.

٣. **المسارعة في معالجة المخالفات العقدية المعاصرة:** خاصة عند المراهقين والأحداث والبسطاء الغير متفقهين في الدين الذين تخفى عليهم حكمة الله تعالى في دينه، وينقصهم التفقه في فهم تلك المخالفات والنزوع إليها لشبهة تحتويها.

٤. **الابتعاد عن الشق عصا الجماعة والولوج في الحزبيات والفرقة:** فمن شأن تلك العصبية أن تسهل دخول المخالفات للنفس والعيب بها ومن ثم التمسك بها كما لو أنها وحي من الله تعالى^{٢٨}.

٥. **الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** إن أساس الدين يقوم على الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الدعوة أساسها أمرين: إما أمر بمعروف أو نهي عن المنكر، وقد اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم^{٢٩}، وحتى نتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد من الأخذ بشروطها، فلا يكون الأمر والنهي إلا بعلم صحيح وبأسلوب يتصف بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تتقبلها القلوب وتستوعبها العقول الزكية، ونكون بذلك واجها تلك المخالفات وتصدينا لها نزعنا نبتتها السيئة من التجذر في جسد الأمة الإسلامية^{٣٠}.

الخاتمة

■ النتائج:

١. وجود مخالفات عقدية معاصرة تحتاج لبيان أسبابها.
٢. أهمية معرفة الأسباب المؤدية للمخالفات العقدية المعاصرة.
٣. خطورة المخالفات العقدية المعاصرة وما تؤدي إليه من زعزعة للإيمان في نفس المسلم.

ص٣٢٣، وابن باز، **مجموع فتاوى**، أشرف على جمعه: محمد الشويهر، ج ٨، ص ٢٠٦

^{٢٩} انظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (مكتبة الخانجي، القاهرة)، ج ٤، ص ١٣٢

^{٣٠} انظر: ابن النحاس، **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين**، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص ١٢٢، وعبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، (مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ص ٤١١

^{٢٤} انظر: الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق: سليم الهلالي، (دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٥٣

^{٢٥} الإمام مالك، **الموطأ**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، باب النهي عن القول بالقدر، ج ٥، ص ١٣٢٣

^{٢٦} انظر: صالح الفوزان، **الفقه في الدين عصمة من الفتن**، (المكتب التعاوني للدعوة، ٢٠٠٥م)، ص ٨٣

^{٢٧} انظر: صالح آل الشيخ، **ضرورة التفقه في الدين**، ص ٧

^{٢٨} انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ج ٣

١٤. جلال الدين السيوطي، حقيقة السنة والبدعة، تحقيق: ذيب القحطاني، (مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ).
١٥. جمال الدين الوصابي، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، (دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
١٦. حافظ الحكمي، معارج القبول بسلم الوصول إلى الأصول في التوحيد، تحقيق: عمر أبو عمر، (دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
١٧. سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعة آخرين، (دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
١٨. سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، (دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
١٩. الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم الهلالي، (دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٢٠. صالح آل الشيخ، ضرورة التفقه في الدين.
٢١. صالح الفوزان، الفقه في الدين عصمة من الفتن، (المكتب التعاوني للدعوة، ٢٠٠٥م).
٢٢. صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، (دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
٢٣. صحيح مسلم، تحقيق: محمد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
٢٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ).
٢٥. عبد الرؤوف عثمان، حبة الرسول بين الاتباع والابتداع، (رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ).
٢٦. عبد السلام السكري، السحر بين الحقيقة والوهم، (الدار المصرية، ١٩٨٧م).
٢٧. عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، (رابطة العالم الإسلامي، مؤسسة مكة للطباعة).
٢٨. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، (مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
٢٩. عبد المنعم أسرار، التشدد في المباحات والغلو في المستحبات، (مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، عدد ١١٧، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م).
٣٠. علي عبد الحليم محمود وعبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (المجلس العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٣١. غالب عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، (المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٣٢. محمد باشميل، حروب الردة، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٤. ضرورة الابتعاد عن المخالفات العقدية المعاصرة وعدم التعرض لها.
٥. قد تصل المخالفات العقدية بالمسلم إلى الانحراف العقدي من الغلو في الدين أو الشك فيه، وقد تصل إلى الإلحاد والعياذ بالله تعالى.
٦. أهمية التمسك بالكتاب الكريم والسنة المطهرة فهي الحصن الحصين للمسلم.
٧. اقتداء بمنهج السلف الصالح في التعامل مع المخالفات العقدية.
- **التوصيات:**
 ١. دراسة منهج السلف الصالح في التعامل مع المخالفات العقدية دراسة تأصيلية.
 ٢. دراسة منشأ المخالفات العقدية المعاصرة وعرضها على الكتاب والسنة.
 ٣. توجيه طلبة العلم لتلقي العلم الشرعي على يد العلماء الأجلاء من أهل السنة والجماعة.
- فهرس المصادر والمراجع:**
 ١. ابن أبي الدنيا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، (مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
 ٢. ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
 ٣. ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
 ٤. ابن النحاس، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
 ٥. ابن باز، مجموع فتاوى، أشرف على جمعه: محمد الشويعر.
 ٦. ابن بطة، الإبانة الكبرى، مجموعة محققين، (دار الراية، الرياض).
 ٧. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مكتبة الخانجي، القاهرة).
 ٨. ابن وضاح، البدع، تحقيق: عمرو سليم، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ).
 ٩. أبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: مشهور سلمان وهشام السقا، (المكتب الإسلامي + دار عمار، بيروت + عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ).
 ١٠. أحمد المبارك، الانحراف العقدي آثاره ونتائجه، (رابطة العالم الإسلامي).
 ١١. الإمام مالك، الموطأ، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).
 ١٢. أمينة بلحسن، الانحرافات العقدية المعاصرة، (مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد الثالث عشر).
 ١٣. إيمان الرشيد، الواقع الإلحادي المعاصر.

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The Doctrine of Monotheism and its Impact on Enhancing Spiritual Tranquility Among Young People.

Dr. Siddiqah Kamel Salama Al-Digs*

*Lecturer in the Department of General Studies – Specialization in Doctrine and Da'wah – College of Arts and Human Sciences - King Abdulaziz University – Jeddah – Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: Saldigs@Kau.edu.sa

KEY WORDS

The doctrine of monotheism, Spiritual reassurance, self-confidence.

عقيدة التوحيد وأثرها في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب.

د. صديقة كامل سلامة الدقس*

*أستاذة بقسم المواد العامة- تخصص العقيدة والدعوة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز- جدة- المملكة العربية السعودية.

الكلمات المفتاحية

عقيدة التوحيد، الطمأنينة الروحية، الثقة بالنفس.

ABSTRACT

The objective of the research is to identify the impact of the doctrine of monotheism in enhancing spiritual tranquility among young people. The research used the fundamentalist approach and the descriptive approach, and included a general framework that included the introduction to the research, its problem, questions, objectives, importance and method, then three sections for the theoretical framework of the research. The first section dealt with the conceptual framework of the doctrine of monotheism, and the second section is the doctrine of monotheism and the extent of its repercussions on the Islamic personality, while the third section is concerned with the impact of the doctrine of monotheism in enhancing spiritual tranquility among young people.

The research reached several results, the most important of which was: that Islam brought an educational system keen to consolidate the principles and foundations of the correct faith, in order to organize the lives of young people in various aspects of their lives in a way that would result in their happiness in this world and the hereafter. The study also showed that the Prophet, may God bless him and grant him peace, was keen to establish in the souls of the youth of the Companions, may God be pleased with them, there is faith in God along with good deeds, performing religious duties, strengthening the connection between the servant and his Lord, as well as strengthening positive personality traits and instilling good values, in a way that helps the individual adhere to the foundations of the correct faith.

The research also confirmed that the doctrine of monotheism calls for moderation, which promotes the individual's work on adopting balanced behavior in each of the practices of the human soul, whether those related to achievements or satisfying needs, because this moderation is the living embodiment of the correct doctrine, and through it harmony with God's laws and laws is achieved in life. Creativity, and the individual needs to achieve the principles of the correct faith because it enhances hope, contentment and tranquility in himself, as it makes the soul safe and reassured.

مستخلص البحث:

استهدف البحث التعرف على أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب، واستخدم البحث المنهج الأصولي، والمنهج الوصفي، وتضمن إطاراً عاماً شمل مقدمة البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه وأهميته ومنهجه، ثم ثلاثة مباحث للإطار النظري للبحث، تناول المبحث الأول الإطار التأصيلي لعقيدة التوحيد، وتناول المبحث الثاني مبادئ عقيدة التوحيد وانعكاساتها على الشخصية الإسلامية، بينما اهتم المبحث الثالث بتوضيح أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب.

وتوصل البحث إلى عدة نتائج كان من أهمها: أن الإسلام جاء بنظام تربوي يحرص على ترسيخ مبادئ وأصول العقيدة الصحيحة، من أجل تنظيم حياة الشباب في مختلف أمور حياتهم بالشكل الذي يترتب عليه سعادتهم في الدنيا والآخرة، كما أظهرت الدراسة أن النبي ﷺ حرص على أن يرسخ في نفوس شباب الصحابة رضوان الله عليهم الإيمان بالله مع العمل الصالح وأداء الفرائض وتقوية الصلة بين العبد وربّه، وكذلك تدعيم السمات الإيجابية للشخصية وغرس القيم الصالحة، وذلك بالشكل الذي يساعد الفرد على التمسك بأصول العقيدة الصحيحة.

كما أكد البحث على أن عقيدة التوحيد تدعو إلى الوسطية التي تعزز العمل على تحلي الفرد بالسلوك المتوازن في كل من ممارسات النفس البشرية سواء تلك المتعلقة بالإنجازات أو بإشباع الحاجات، لأن هذه الوسطية هي التجسيد الحي للعقيدة الصحيحة، ومن خلالها يتحقق الانسجام مع سنن الله وقوانينه في الخلق، ويحتاج الفرد إلى تحقيق مبادئ العقيدة الصحيحة لأنها تعزز في نفسه الأمل والرضا والسكينة، فهي تجعل النفس أمنة مطمئنة.

1- مقدمة البحث:

خلق الله عز وجل الإنسان على فطرة سوية، تدفعه إلى محبة الخير والفضائل والمحسن، وكراهية الشر والمساوئ والقبائح، ففطرتهم السمحاء تجعلهم مستعدين لقبول الخير مع الإخلاص لله والتقرب إليه، فالدين الإسلامي دين الفطرة السليمة التي تحت في العديد من الآيات القرآنية على ضرورة التمسك بها، وبعد الشباب الركن الأصل الذي تبنى عليه المجتمعات الأمم، وأمل المستقبل، وهم الأجيال التي تتحمل مسؤولية بناء المجتمع وتحقيق نهضته، ولكي يكون الشباب قادرين على تحمل هذه المسؤولية، وتحقيق هذه النهضة، ينبغي أن يكونوا متمسكين بعقيدة التوحيد مؤمنين بالله سبحانه، فهي أساس الدين الإسلامي، وركيزة بناء الأمة، وإن عقيدة التوحيد لها أثر كبير في تعزيز الطمأنينة الروحية في نفوس أفراد المجتمع، وهذه الدراسة بدورها تتناول أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب، وذلك من خلال بيان مفهوم عقيدة التوحيد وأهميتها، وأثرها في تحقيق الطمأنينة الروحية، ووسائل تعزيزها.

وتميزت التربية على عقيدة التوحيد التي ربّاه النبي ﷺ للصحابية رضوان الله عليهم، بعدّة سمات جعلت منهم العباد والزهاد والعلماء والمجاهدين والقادة والزعماء، وأوجبت لهم الخيرية التي وصفهم بها الله تعالى، فقد رباهم النبي ﷺ في جو يسوده الانضباط في كافة المناحي؛ الإيماني منها، والأخلاقي، والعلمي، والسلوكي، فتحققت خيريتها مصداقاً لقوله ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم، تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم) (البخاري، ١٩٩٨م، ٦٩٧/٣٦٥٠). وينبغي على الشباب أن يسلكوا وفق فطرتهم السليمة، وأن يسيروا بخطى متزنة تراعي التوازن في تلبية الرغبات والميول، من أجل أن تنعكس عليهم استقراراً وثباتاً من أجل تكوين نفس إيمانية، متصلة بالله تعالى مطمئنة يستيقظ فيها الضمير وتعلو فيها الروح (العزام، ١٩٩٨م، ٢٦). فالعقيدة السليمة هي التي تجعل المؤمن يقف موقف الموازنة بين رغبات نفسه، ومتطلبات دينه، بين ما تدفعه إليه شهوته، وما يأمره به ربه، بين ما يمليه عليه الهوى وما يمليه عليه الواجب، بين متعة اليوم وحساب الغد، أو بين لذة عاجلة في دنياه وحساب عسير ينتظره في أخراه (الغنام، ٢٠١١م، ٦٣٠). ومن الصفات والسمات التي تميز المسلم عن غيره في المجال العقائدي الإيمان بجميع الرسل دون تفریق، فمن فرق بين رسول وآخر فأمن ببعض وكفر ببعض، أو صدق بعضاً وكذب بعضاً، كان من غير المسلمين، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

2- مشكلة البحث:

بعد صراع الثقافات الفكرية من مهددات الطمأنينة الروحية للشباب في ظل المتغيرات المتلاحقة، والتي ترتب

عليها البعد عن منهج الله تعالى وعدم العمل بما ورد في الكتاب والسنة في المجتمعات المسلمة، مما أدى إلى ظهور الحاجة إلى العودة إلى مبادئ التربية التي أرساها القرآن الكريم، ووضوحها الرسول الكريم، ذلك لأنه نظام يتناول حياة الإنسان من جميع نواحيها الروحية والعقلية والجسدية، ولما كانت التربية على عقيدة التوحيد تمثل الأساس لهذه التربية الربانية كان لا بدّ من معرفة منهج الإسلام في هذه التربية العقائدية للوقوف على بعض جوانبها، وحيث إن واقع التربية في كثير من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحالي يواجه زحفاً كبيراً من الغرب غازياً للفكر والتطبيق، فقد أدى ذلك إلى تدهور في تربية أبناء المسلمين على العقيدة الصحيحة، بالشكل الذي ترتب عليه تهاون في العقيدة وفي القيام بما يحض على الأخلاق الفاضلة والسلوكيات المقبولة، لذا فإن كل الانحرافات التي تمر بها الأمة أفراد وجماعات فإنها راجعة إلى انحراف في التصور العقدي.

ومن المعلوم أن العقيدة ليست من مستحدثات العصر، وإنما هي العقيدة التي جاء بها أنبياء الله جميعاً، ولكن لما دخلها التحريف والتزييف بفعل البشر، فكدرت صفاءها، وأفسدت توحيدها بالتثليث والشفاعات واتخاذ الأرباب من دون الله، وأفسدت تنزيهاها بالتشبيه والتجسيم، وشوهت نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان، وتبعاً لذلك فإن العلاقات بين الأفراد وخالفهم وبينهم بعضهم البعض قد خرجت عن مسارها الطبيعي لأسباب وعوامل مختلفة؛ مما أدى إلى عدم توافر القدوة الحسنة التي يقتدي بها الأفراد فيما بينهم وذلك بسبب غياب القيم العقائدية لديهم؛ وهذه العوامل جميعها قد حفزت على اختيار هذا الموضوع من أجل إيجاد آلية تستطيع من خلالها توضيح معالم التربية على عقيدة التوحيد وأثرها في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب في محاولة العودة إلى هذا الجيل الذي استطاع أن يسود العالم؛ وذلك بتعزيز الإيمان بالله ويقين الإنسان بمسؤوليته الشاملة والتي تتضمن عمارة الأرض وفق منهج الله، ومع متغيرات العصر وكثرة الانحرافات عن الصواب؛ باتت الدراسة الحالية ضرورة بحثية لها مبرراتها ومنطقيتها؛ ومما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي: ما معالم التربية على عقيدة التوحيد وكيفية الاستفادة منها في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب؟ - ما الإطار التأصيلي لعقيدة التوحيد؟

- ما مبادئ عقيدة التوحيد وما مدى انعكاساتها على الشخصية الإسلامية؟

- كيف تؤثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب؟

3- أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي توضيح أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب وكيفية الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

4- أهمية البحث:

تكتسب الدراسة أهميتها من الأهمية التي يحظى بها مفهوم عقيدة التوحيد وكيفية تحقيق الإيمان الكامل؛ الأمر الذي يزود الفرد بالقدرة على مواجهة العناصر المحيطة به على نحو فعال، كما أنه يصنف ضمن إطار التأصيل لقضايا العقيدة الإسلامية، ويمكن من خلال تناول هذا الموضوع بالدراسة، تحقيق الفائدة المرجوة من تربية أبناء المسلمين وفق عقيدة التوحيد والتي من شأنها أن تتغلب على الاتجاهات والمواقف والأنماط السلوكية السلبية كالتواكل والانهازامية والسلبية في مستقبل حياتهم والتي تعيق عمارة الأرض وتحقيق مراد الله في الكون، ومن ثم قدرتهم على أن يكونوا أفراداً نافعين في المجتمع الذي يعيشون فيه، لذا فإن البحث الحالي يبحث عن ضرورة بناء شخصية الإنسان المسلم عقيدة وسلوكاً وفكراً بصفته مكلفاً يحمل رسالة الإسلام، وكذا بناء الشخصية على أساس منهج الإسلام الذي يحميها من التبعية ويصونها من الانحراف.

5- منهج البحث:

تستخدم هذه الدراسة المنهج الأصولي التحليلي، والذي يعرف بأنه "الاستفادة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وما تتضمنه من أحكام تشريعية وتوجيهات تربوية ونفسية" (الشيخ، ٢٠١٣م، ٢٣)، في فهم مصطلح عقيدة التوحيد، كما استخدم المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعرف بأنه: "المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر التربوية والنفسية المرتبطة بالواقع المعاصر، فيدرس العلاقات بين الظواهر المختلفة، ويكشف عن أسباب المشكلات التربوية والتعليمية، وكيفية علاجها، ومن ثم تبدو أهميته في دراسة قضايا ومشكلات التربية الإسلامية"، (الشيخ، ٢٠١٣م، ٢٥٢)، ومنها مشكلة التمسك بالعقيدة الإسلامية لدى أفراد المجتمع المسلم. وحيث إن الدراسة الحالية تتناول التربية العقيدة في العهد النبوي فإنها تقوم على محاولة استنباط المنهج النبوي من خلال آيات القرآن الكريم بما تحوي من توجيهات إلهية أنزلت على النبي ﷺ في تلك الفترة ومن خلال بعض أحاديث النبي ﷺ التي تحكي أحداث ومواقف وحياتة منهج النبي ﷺ مع الصحابة رضوان الله عليهم.

6- مصطلحات البحث:

➤ عقيدة التوحيد:

➤ العقيدة في اللغة:

كلمة العقيدة من الفعل الثلاثي عقد، فإن العين والقاف والذال: أصل واحد، يدل على شد وشدة وثوق (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٨٦). فكلمة العقيدة مأخوذة من مادة عَقَدَ وهي من العقد، والتوثيق، والإحكام، والربط بقوة، تقول العرب: اعتقد الشيء؛ صلب واشتد، واعتقد بمعنى اقتنى، يقال: اعتقد ضبيعة أو مالا، أي: اقتناها (مصطفى، ١٩٩٨م، ٣١٤). وعقد قلبه على الشيء: لزمه. والخيل معقود بنواصيها الخير: أي ملازم لها، كأنه معقود فيها، فالعقيدة ما انعقد عليه القلب واستمسك به، وتعد تحويلة عنه، لا فرق في ذلك بين ما كان راجعاً إلى تقليد أو وهم، وما كان راجعاً إلى دليل عقلي (ابن منظور، ١٩٩٠، ٢٩٨-٢٩٩). وفي كتاب محيط

المحيط: اعتقد بالشيء: صدقه، وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به (البستاني، ١٩٧٧م، ٤٣). كما ورد أن العقيدة من الاعتقاد الجازم بالقلب، وأصل الكلمة من العقد، وهي شد الحبل بعضه ببعض، ونقيضه الحل (الإدريسي، ٢٠٠٢م، ٣٣). وهكذا يتضح أن مدار كلمة (العقيدة) في اللغة يدل على اللزوم والتأكد والاستيثاق والعزم المؤكد والنية وما يدين به الإنسان، فهي العهد المشدود والعروة الوثقى وذلك لاستقرارها في القلوب ورسوخها في الأعماق.

➤ عقيدة التوحيد في الاصطلاح:

هي مجموعة من قضايا الحق البديهيّة المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، يَعتدُّ عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلال (أجيور، ٢٠١٢م، ١٣). يقول ابن تيمية: إن العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، ويكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك (ابن تيمية، ٢٩/١). ومن التعريفات المعاصرة للعقيدة: التصديق الجازم بالحقائق الإيمانية الواردة في الكتاب والسنة، المتعلقة بالإلهيات والنبوات والسمعيات، تصديقاً جازماً، لا شك فيه (عاشور، ٢٠٠٩م، ٥)، ويقصد بها في هذه الدراسة: تأسيس وتأصيل الأفراد على الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية من أجل التحلي بفضائل الأخلاق والبعد عن مذموم الصفات ومن ثم الفوز برضا الله في الدنيا وجنته في الآخرة وذلك بتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى وما يتبعه من تحقيق الطمأنينة الروحية في نفوس الشباب، فالشهادتان هما القاعدة الأساسية التي يقوم عليها صرح هذا الدين، وهو الطريق الوحيد الذي يوصل سالكه إلى دار السلام والأمن والاطمئنان.

➤ الطمأنينة الروحية:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "فالروح روح الإنسان، ويقال أراح الإنسان إذا تنفس"، (ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ٢/٤٥٤)، وفي لسان العرب يقال: "الروح بالضم في كلام العرب النفخ، سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح (ابن منظور، ١٣٣٠هـ، ٢/٤٥٥)، والروح اسم للنفس، لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٣٦٩/١).

وتعرف الطمأنينة الروحية في ضوء العقيدة الصحيحة بأنها: شعور مركب يحمل في طياته شعور الفرد بالسعادة والرضا عن حياته بما يحقق له الشعور بالسلامة والاطمئنان والثقة بالنفس والهدوء والاستقرار، وأنه محبوب ومتقبل من الآخرين بما يمكنه من تحقيق قدر أكبر من الانتماء للآخرين، مع إدراكه لاهتمام الآخرين به وثقتهم فيه حتى يستشعر قدراً كبيراً من الدفء والمودة ويجعله في حالة من الهدوء، ويضمن له قدراً من الثبات الانفعالي والتقبل الذاتي واحترام الذات، ومن ثم إلى توقع حدوث الأحسن في الحياة مع إمكانية تحقيق رغباته في المستقبل بعيداً عن خطر الإصابة

ضرورة الإيمان بقول الله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (سورة الأنعام: ٨٢)، لذا فإن الناس عامة والشباب بشكل خاص بحاجة إلى بناء العقيدة لديهم من جديد، وإلى تصحيح التصور العقدي المتمثل في إفراد الله بالعبودية سبحانه فهو الإله المستحق للعبادة، الذي ينبغي أن تستقر عظمتُه سبحانه في الأعماق، فالدين الإسلامي يقوم على إفراد الله بالألوهية والعبودية وما يترتب عليهما من حسن الصلة بين العبد وربّه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس، فأتاه رجل، فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر" (البخاري، ١٩٩٨م، ٣٧/٥)، التوحيد هو الإيمان بأن الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في ملكه وتدبيره، وأنه وحده المستحق للعبادة فلا تُصرف لغيره (السعدي، ٢٠٠٥م، ٦٧).

إن من خصائص العقيدة الإسلامية أنها ربانية، من عند الله لا تتبدل ولا تتغير وهذا يطمئن النفس أنها خير للفرد نفسه، وسعادته تكمن في تنفيذها، والشقاء يترتب على تركها، فالخير والبركة والسعادة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة، وحيث إن هذه العقيدة ربانية فإنها مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم، وما دامت ربانية فإنها تشبع جوعة الفطرة للعبادة التي لا يسدها إلا منهاج الله، ولا تملأها النظم الفلسفية، ولا السلطان ولا الثراء. فبعض الناس يحتاج دوماً أن يمارس سلطة، ولا يسد ذلك إلا أن تكون لديه عقيدة ثابتة، تحيد به عن الظلم وتدفعه إلى العدل والحق الذي يتفق مع فطرته السليمة.

فالربانية تساوي بين الناس وتعصمهم من سلطان الهوى والشهوات، فهي ثابتة لكونها معتصمة بالإله مربّي باقي، قال الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: ٣٠)، وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، فالإنسان يتحرك ويتطور وينمو داخل إطار العقيدة الثابت الذي يتسع لحركة الإنسان ونموه، كما أن ثباتها يجعل الناس يحكمون إليها في ثقة مطلقة فهي لا تتغير بظروف طارئة ولا مصلحة محبذة، ولذلك فإن الطمأنينة تلف المجتمع كله بردائها (عثمان، ٢٠٢٢م، ٥١١-٥٢٨). فالإنسان مخلوق والفطرة فيه تقضي أن يخضع خضوعاً تاماً لله وحده، يسبح له ويقر من أعماق قلبه بعبوديته، ويتشرف بهذه العبودية، إذ إنه بهذه العبودية يتحرر ويصل إلى قمة التحرر، وبدونها لا يمكن أن يحس الإنسان يتحرر، فهذه العبودية لله تحرره من نفسه وهواه، وإذا تحرر الإنسان من نفسه وهواه فقد صار حراً حقيقة، وعلى العكس إذ لم يتحرر من نفسه وهواه فهو عبد تقيد الأغلال، وهذا يتنافى مع مراد الله من خلقه، فقد خلق الله الإنسان وكرمه بمسؤولية الخلافة في الأرض لإقامة شرع الله، وحتى يتمكن من هذه المسؤولية ينبغي تنشئته على الفطرة السليمة (مثقال، ٢٠٠١م، ٦٦). فالحر من اعتق من

باطضاربات نفسية أو صراعات أو أي خطر يهدد أمنه واستقراره في الحياة، والعمل على مرضاة الله والفوز بجنته. (شقيب، ٢٠٠٥م، ٦، ٧). كذلك من التعريفات التي تناولت الطمأنينة الروحية من وجهة نظر إسلامية تعريف عباس رمضان حيث عرفها بأنه: شعور الفرد بالنفس المطمئنة التي تخاف الله وتؤمن بلفائه وترضى بقضائه، ويؤدي هذا الاطمئنان إلى الثقة بالله وانتفاء المخاوف وزيادة في الثبات الانفعالي، وتولي الرقابة الداخلية على النفس ومحاسبتها، مما يجعل الفرد يشعر بالرضا والسعادة والارتياح وعدم القلق والخوف وعدم الألم، كما أن هذا الاطمئنان يذهب بالنفس إلى مراتب التقوى والفلاح وإشباع حاجة الأمن. (رمضان، ٢٠٠٩م، ٣١٤). ويقصد بها في هذه الدراسة بأنها الطمأنينة التي تجعل النفس تخاف الله وتقبل على الطاعات وتتجنب المعاصي والسيئات.

➤ الثقة بالنفس:

الثقة لغة: مصدر وثق ب، ووثق في، ووثق من، والثقة بالنفس تعني الاعتماد عليها، فهي يقين، يقصد به تحرر من الشك أو القلق أو الخوف (مختار، ٢٠٠٨، ٢٣٩٨). وتعرف الثقة في النفس بأنها: معرفة الفرد لقدراته وإمكاناته التي وهبها الله إياه، واتجاهه الإيجابي نحو ذاته المتمثل في عزة النفس، واعتماده على نفسه، وعدم شعوره بالعجز أو الفشل أو النقص أو الخوف أو الخجل في المواقف التي لا تستوجب ظهور هذه الانفعالات، ومشاركته في المحافل الاجتماعية، وقدرته على مواجهة المشكلات، في إطار التوكل على الله وحسن الظن به، دون إفراط (تكبر أو غرور أو إعجاب بالنفس) ودون تفريط (إذلال أو خضوع) (أيوب، ٢٠١٥م، ٥). وهي في هذه الدراسة راحة فردية يبتغيها قبول اجتماعي يمكن الفرد من أن يحيا حياة كريمة ويعيش في كنف القرآن الكريم والسنة النبوية من أجل عمارة الأرض والقيام بالمهام التي أوكلاها الله له.

7- خطوات السير في البحث:

المبحث الأول: الإطار التأصيلي لعقيدة التوحيد.
المبحث الثاني: مبادئ عقيدة التوحيد وانعكاساتها على الشخصية الإسلامية.
المبحث الثالث: أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب.

المبحث الأول: الإطار التأصيلي لعقيدة التوحيد:

تعد العقيدة الصحيحة الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، ولذا فقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تخلو آية في سورة مكية كانت أو مدنية من تعريف الإنسان بربه، وربط كل تصرفاته بهذه العقيدة التي تعد القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يستغني عنها بحال من الأحوال والتي تضمن للإنسان السعادة والأمن والطمأنينة والاستقرار، حيث جاء القرآن الكريم بأروع نظام تربوي عرفته البشرية متمثلاً في

الإلهية، مثل هذه التي وقع فيها الفلاسفة وبعض المتكلمين المسلمين، وذلك أنهم بالغوا في التنزيه، فلم يحمم هذا من الوقوع في النفي أو ما يشبهه.

فالمعاني الأصلية لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات تضع الضوابط التي تحمي التوحيد، وتحول دون فقد حقيقته ومضمونه، كما تمنع من تحويله إلى تجريد يخرج به من دائرة الوجود الفعلي الواقعي إلى الوجود العقلي المجرد، إن النظرة الإسلامية المتأصلة من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة للوجود والتشريع تتمركز حول التوحيد باعتباره معنى ثابتاً عميقاً وجلياً، فأما ثباته فهو كونه حقيقة راسخة يثبتها العقل وتعززها العاطفة، وأما عمقه فهو أنه خال من السذاجة والسطحية، وهو في الوقت نفسه جلي لا يغمض على عقل عاقل مهما تكن خلفيته الثقافية ومستواه المعرفي، مما يدفع إلى ضرورة القول: بأن أي شخص يقبل القول بوجود إله، فإن أيسر ما يقبله عقله في هذا الإطار هو أن يؤمن بأن إله العالم واحد (أبو زهرة، ٢٠٢٢م، ٢٥-٣٣) كامل الأسماء والصفات والأفعال رب الخير ويأتي به.

هذه العقيدة التي أثمرت في شخصية المسلم الوحدة والانسجام بين العناصر المختلفة للخلق والفكر، فلم تبد أفعاله كاليدور المتناثرة لا يجمعها جامع، ولا كالألوان المتناثرة التي لا يربط بينها رابط، كما هو حال مع من يكون كريماً مع صديقه وضييفه رقيقاً به، بخيلاً مع أهله غليظاً عليهم، أو خانعاً خاضعاً لأحجار بكاء لا تسمع ولا ترى، وفي الوقت نفسه غليظاً سفاكاً لدماء الأبرياء، قاطعاً لطريق العباد (محمد، ٢٠١٤م، ٥-٣٠).

فكرة التوحيد هي مكناً ومنجماً للإبداع، والذي تجلت بعض آياته بالفعل في الفنون الإسلامية طوال تاريخها، فإذا كان الفنان المسلم قد امتنع في الغالب عن تصوير الإنسان والحيوان في أعماله لمناقضة ذلك للتوحيد، فإن هذا الحظر لم يقده، بل أطلق خياله في ساحات أوسع، فخرجت روائع الأعمال الفنية في المساجد منابرها ومحاريبها وأعمدتها وسقفها ومآذنها وقبابها... إلخ، والقلاع والقصور والأواني والثياب... إلخ، من الكتابة والزخرفة البارزة وزخرفة الحفر، وغير ذلك، ليس هذا فحسب، بل إن للإسلام رؤية عميقة تتعلق بهذا الجانب، يمكن استخلاصها ببسر من روحه العامة، وذلك أن الله تعالى قد جعل مدار الدين كله على العقيدة، وجعل مدار العقيدة على التوحيد، وأوضح ما ينبغي على الأفراد تجاه هذا الدين، وهو الإيمان به حين قامت الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وأنه وحده القادر على الإيجاد من عدم، وغير ذلك من أركان الدين ومعانيه، واستعمال هذا المنهج في إعمار الأرض، على قواعد راسخة وواضحة كالنموذج (محمد، ٢٠١٤م، ٥-٣٠).

وبما أن القرآن العظيم ينبوع كل خير، وأساس كل بر، ومصدر كل علم، وأصل كل نعمة، فقد أنار الله به للذين التزموا الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق طمأنينة الإنسان وسعادته وراحته، والسبيل للتخلص من أسباب ومصادر القلق والتوتر، وفيه التوجيه السديد لتربية النفس وصلاحها وسعادتها، ويربي القرآن الكريم الشخصية المسلمة على

حكم الخلق إلى حكم الحق تبارك وتعالى، فالحرية في أصلها عبودية طوعية اختياريه قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فإن لم تكن عبداً لله فتلقائياً ستكون عبداً لغيره، فالحرية هي عبادة الله فوق ما سواه.

الحرية تكمن في تربية الفرد على عقيدة التوحيد تربية ربانية تعني بتنشئة تنشئة سليمة وإعداده وتكوينه كي يصبح فرداً متكاملًا من النواحي البدنية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وطبقاً لأساليبه وطرائقه التربوية، لذا يهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بتربية الفرد تربية ذات فلسفة واضحة تهدف إلى تربية إنسان عابد عامل طائع، إذ تتحقق تزكية النفس وإصلاحها بالعبادة الصحيحة (عبد الخالق، ١٩٩٩م، ٧٥)، والمقصود بالتربية الربانية مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يتلقاها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعلفه إلى أن يصبح مكلفاً، فالطفل حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على خشية منه، والمراقبة له والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لجناحه، تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتقاد على كل خلق فاضل كريم (علوان، ١٩٩٢م، ١٧٧).

لذا فإن من مقاصد التربية الإسلامية بناء الشخصية المسلمة وفق المنهج الرباني الذي شرعه الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الكريم، ويتوقف على المعلم تنمية المواهب الفطرية التي يملكها الفرد بالأساليب التربوية الصالحة من جهة، ومن جهة أخرى المساهمة في التخلص من الصفات الشريرة والاتجاهات التي لا تلائم السلوك الصحيح، ويجب أن يتنبه المربي إلى جميع الاستعدادات الكامنة داخل الفرد ويعمل على تنميتها مع مراعاة مواهبه وملكوته الخاصة. فكل شخصية إنسانية تحتاج أن تجد حظها من التوجيه والتربية والرعاية كي يتزود بمبادئ وقيم مستمدة من معتقداته وموروثاته الثقافية وتكون هذه القيم فاعلة في بناء شخصيته ومحددة لمعاملها وموجهة له في عمله وتعامله مع الآخرين (الربيع، ٢٠١٧م، ٦-١).

إن عقيدة التوحيد قد أخذت قدراً كبيراً من اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، سواء في جانبها الإيجابي الذي يتعلق بتقرير الوحدانية وإثباتها، أم في جانبها السلبي المتعلق بنفي الشريك، وفي هذا الجانب يتضح أن ثمة سوراً كاملة في القرآن قد اختصت ببيان قضية التوحيد، كما يمكن الوقوف على بعض نماذجها في سورة الأنبياء وسورة الكافرون وسورة الإخلاص مثلاً، وقد امتاز البيان القرآني لقضية التوحيد بأنه جاء اعتقاداً حياً يدفع صاحبه لفعل الخير والحث عليه، ويسلك معه الطريق السوي، والمنهج العقلي القويم؛ لأن التصور الإسلامي للتوحيد لا يتوقف عند مفهومه الفكري في نفي وجود آلهة أخرى مع الله تعالى، بل يتجاوز ذلك إلى نفي الشبه بينه وبين خلقه، من أي وجه كان هذا الشبه، دون أن يحمل هذا التنزيه التام أي شبهة نفي للصفات

وكلها من دواعي التمتع بالصحة النفسية والعقلية والبعد عن طريق الانحراف؛ لأن الله تعالى قد امتن على عباده بنعمة كلامه القرآن الكريم وجعل فيه هداية لعقولهم وشفاء لما في نفوسهم وأجسادهم من أمراض حسية ومعنوية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧] فكانت شفاء وتطهير للنفس من مشاعر البغض والحقد والحسد والغيرة والكرهية والبخل والانتقام والرغبة في الأذى، مما يثمر في النفس البشرية من إيمان بيب الطمأنينة، (عطا، ٢٠١٤م، ٤٥). فلقرآن الكريم هو كلام الله تعالى الخالق لهذه النفس، العالم بخلجاتها وأسرارها، ولذا يمكن القول بأن الثقة بالله هي الحالة النفسية الحاصلة بالثبات على منهج الله تعالى واليقين به واجتماع القلب عليه والسكينة والتحرر من القلق والمخاوف، وعندما تطمئن النفس إلى خالقها ترقى في سلم الأمان، فيحيا صاحبها حياة مطمئنة لا تعرف الخوف أو القلق بعيدة عن الاضطرابات (يحيى، وعامر، ٢٠٠٨م، ٣).
المبحث الثاني: مبادئ عقيدة التوحيد وانعكاساتها على الشخصية الإسلامية:

إن عقيدة التوحيد هي أساس الدين الإسلامي، وهي التي تمنح الإنسان السعادة والرضا في الدنيا والآخرة، فكلما قوي إيمان الإنسان بالله تعالى، وتحققت فيه مبادئ التوحيد، كلما كان أكثر سعادة ورضا، وأكثر حرصاً على العبادة والطاعة، وأكثر سعياً إلى الكمال والصالح، فعقيدة التوحيد هي الركيزة الأساسية للإسلام، وهي التي تحدد شخصية المسلم وسلوكه في الحياة، فهي التي تمنح المسلم الطمأنينة والاطمئنان، والشعور بالمسؤولية، والحب، والتعلق بالله تعالى، والالتزام بالطاعة والعبادة والأخلاق الإسلامية والقيم الإنسانية السامية. وتتضمن عقيدة التوحيد ثلاثة مبادئ رئيسية هي (الزهراني، ٢٠٢٢م، ٢٢-٤٤):

1- توحيد الألوهية: وهو الإيمان بأن الله تعالى هو الإله الحق، وأن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن له وحده العبادة والطاعة، فتوحيد الألوهية هو الاعتقاد بأن الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده، ولا شريك له، وبحق الإيمان والرضا بالله وحده، ويؤدي إلى شعور الإنسان بالطمأنينة والراحة، ويجعله أكثر حرصاً على العبادة والطاعة، ومما لا شك فيه أن لهذا المبدأ العديد من الآثار على الشخصية المسلمة والتي منها تحقيق الإيمان والرضا بالله وحده، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله هو الإله الحق، وأنه لا إله غيره، فإنه يشعر بالطمأنينة والراحة، ويطمئن قلبه إلى أن الله هو الذي يملك الكون كله، وأنه هو الذي يقدر على قضاء حوائجه، ويحميه من كل شر، ويجعل الإنسان أكثر حرصاً على العبادة والطاعة، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله هو الإله الحق، وأنه هو الذي يستحق العبادة والطاعة، فإنه يحرص على أداء

مصادر وأسباب أمنها وطمأنيتها وسكينتها وفوزها في الدنيا والآخرة، كما يقبها وبعالجها من أمراضها النفسية مثل الخوف والقلق والاضطراب قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾ (سورة الأحقاف: ١٣-١٤)، وبناءً على ذلك يتمتع المؤمن في حياته بسكينة النفس، وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، وبسمة الأمل، ونعمة الرضا والأمن، وروح الحب والصفاء، ولا ريب أن لهذه الحالة النفسية أثرها في الانتاج، فإن الشارد أو المضطرب أو القلق أو المكتئب أو اليائس أو الحائد على الناس والحياة، قلما يحسن عملاً يوكل إليه، أو ينتج إنتاجاً يفتح ويرضي (المغامسي، ٢٠٠٧م، ١٦-١٨).

كما حقق القرآن الكريم للإنسان المسلم اطمئنان نفسه المرتبط بالإيمان بالله تعالى (العقيلي، ٢٠٠٤م، ٢٣-٣٠)، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، (سورة الرعد آية: ٢٨)، فالإيمان بالله له تأثير عظيم في نفس الإنسان من حيث زيادة الثقة بالنفس، والقدرة على تحمل المشاق، وبث الأمان والطمأنينة في النفس، كما حرصت السنة النبوية على ضرورة اعتداد الفرد بنفسه والتي منها على سبيل المثال، ما ورد عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (مسلم، ١٩٩٨م، ٢٦٦٤/١٠٦٩)، فهذه إيجابية لا استسلام فيها تجعل الفرد منطلق باستمرار يتطلع إلى المستقبل، ولا يركن إلى العجز. فالشخص الواثق بربه يتميز بتحملة للضغوطات التي يتعرض لها ولديه القدرة على إدارة انفعالاته وكظم غيظه، وإلى هذا المعنى أشارت إحدى الدراسات بأن الشخص الواثق بربه يتمتع بأنه: "لا يرضى التقليل من شأنه، بل يثبت عزة نفسه ويظهر قدراته دون خوف، عندما يتعرض لبعض المواقف التي تقلل من شأنه، نتيجة عدم معرفة المتحدث معه بقدراته وإمكاناته، وحينها لا يقف مستسلماً لهذا التقليل أو التحقير، بل يحاول إظهار قدراته، ويدافع عن عزة نفسه وتقديره لذاته، ملتزماً أدب الحوار" (أبوب، ٢٠١٥م، ١٥) بطريقة ربانية ثابتة نابعة من عقيدة راسخة أصيلة.

ويزخر القرآن الكريم أيضاً بالكثير من المعان السامية والقيم الإنسانية النبيلة والتعاليم السمة الغراء والهدي الرباني الذي يحفظ للإنسان صحته العقلية والخلقية والاجتماعية والنفسية، والإيمان بكل ما جاء في القرآن يساعد على التمتع بالصحة النفسية والجسمية الجيدة والشعور بالأمن والأمان النفسي والطمأنينة الروحية والهدوء والسكينة والسعادة والراحة والمحبة والشفقة والرضا والثقة بالنفس والتوكل على الله والرجاء والتفاؤل،

والصفات العلى، فإنه يشعر بعظمة الله وقدرته، وأن الله هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع، ويجعل الإنسان أكثر تمسكاً بالقيم والأخلاق الحميدة، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فإنه يسعى إلى التشبه بالله في صفاته الحميدة، مثل العدل والرحمة والحكمة.

وتؤكد الباحثة على أن توحيد الأسماء والصفات هو إقرار الإنسان بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن لا يشبهه شيء، وهذا له أثره على الشخصية الإسلامية، فيزيد من شعور الإنسان بالقرب من الله تعالى، فهو يعلم أن الله تعالى قريب منه ويسمع دعاءه، لذا فهو يشعر بالقرب منه، وكذا شعور الإنسان بالثقة بالله تعالى، فهو يعلم أن الله تعالى هو الذي يملك كل شيء، لذا فهو يثق به ويلجأ إليه في كل شؤونه، بالإضافة إلى شعور الإنسان بالرضا بقضاء الله تعالى، فهو يعلم أن الله تعالى هو الذي يفعل ما يشاء، لذا فهو يرضى بقضائه ويصبر على بلائه، وهذا مما يزيد الطمأنينة والراحة في نفوس الأفراد.

المبحث الثالث: أثر عقيدة التوحيد في تعزيز الطمأنينة الروحية لدى الشباب:

إن الدعوة إلى التوحيد لها آثار جليلة على الفرد المسلم، فمن خلالها ينعم بمحبة الله ورضوانه، وذلك أصل السعادة وغايتها، ومنتهى آمال المؤمن في الدنيا والآخرة، فيها ينشرح صدر المؤمن، ولا يشعر بضيق نفسي، ويتحصل لديه الشعور بالعزة والتمكين والاستخلاف، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ (سورة النور: ٥٥)، كما أن الدعوة إلى التوحيد هي السبيل الوحيد للخلاص من التفرق والتحزب، وتوحيد صفوف المسلمين عامة، والعلماء والدعاة خاصة، فالدعوة إلى التوحيد توحد صفوف المسلمين، وتجمع كلمتهم على الحق والهدى (عثمان، ٢٠٢٢م، ٥١١-٥٢٨)؛ لأنها استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَلَقَدْ بَيَّنَّ فُلُوبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

إن استقرار العقيدة بأعماق النفس بجعلها عزيزة فلا تذلل، تقف أمام كل قوى الأرض، لا ترهب سلطاناً ولا تستخذي أمام صولة الملك وإغراء المال، هذه العقيدة ترفع صاحبها من أحوال الأرض ومستنقع الطين، فيقف في المرتقى السامي ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتضامن، دون استطالة ولا بغي على الناس، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه الله إليه، بهذه العقيدة أضحى الرعي الأول من الصحابة رضوان الله

العبادات والطاعات على أكمل وجه، رغبةً في مرضاة الله تعالى.

فتوحيد الألوهية هو إقرار الإنسان بأن الله تعالى هو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده، وأن لا شريك له في ذلك، ويفرض على الإنسان الالتزام بالطاعة والعبادة لله وحده، وكذلك التزام الإنسان بالأخلاق الإسلامية في جميع معاملاته، بالإضافة إلى التزامه بالقيم الإنسانية السامية.

2- توحيد الربوبية: وهو الإيمان بأن الله تعالى هو رب كل شيء، وأنه خالقه ومبدعه ومدبره ومسيره، فتوحيد الربوبية هو الاعتقاد بأن الله تعالى هو الرب الخالق الرازق المدبر، وأنه المستحق للعبادة وحده، ويمنح الإنسان شعوراً بالمسؤولية والسعي نحو الكمال، ويجعله أكثر تعلقاً بالله، ويجعله أكثر حرصاً على إصلاح نفسه ومجتمعه، ومما لا شك فيه أن لهذا المبدأ العديد من الآثار على الشخصية المسلمة والتي منها منح الإنسان شعوراً بالمسؤولية والسعي نحو الكمال، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله هو رب كل شيء، فإنه يشعر بأنه مسؤول عن نفسه وتصرفاته، وأن عليه أن يسعى إلى الكمال في جميع أموره، ويجعل الإنسان أكثر تعلقاً بالله، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله هو رب كل شيء، فإنه يشعر بأن الله هو الذي يحميه ويرعاه، وأن عليه أن يلجأ إليه في كل أموره، كما يجعل الإنسان أكثر حرصاً على إصلاح نفسه ومجتمعه، انطلاقاً من إيمانه بأن الله هو رب كل شيء، وهذا يشعره بأنه مسؤول وصاحب مهمة ودور أساسي في الإصلاح رغبة في رضى مولا.

فتوحيد الربوبية هو إقرار الإنسان بأن الله تعالى هو الخالق والمالك والمدبر لهذا الكون، وأن لا شريك له في ذلك، بحيث يعزز شعوره بالاطمئنان إلى خالقه ورازقه، فهو يعلم أن الله تعالى هو الذي خلقه ورزقه، وأنه لن يتخلى عنه أبداً، ومع هذا تبرز مشاعر لمسؤولية أخرى للإنسان تجاه خالقه، فهو يعلم أن الله تعالى هو الذي سيحاسبه على أعماله، لذا فهو حريص على الالتزام بالطاعة والابتعاد عن المعصية، فهو شعور يفرض على الإنسان التعلق بالله وحده، وإلزامه بمسؤولية تصرفاته، بالإضافة إلى التزامه بالسعي نحو الكمال على قدر استطاعته.

3- توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن له وحده الكمال في جميع أسمائه وصفاته، فتوحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد بأن الله تعالى له الأسماء والصفات التي أثبتتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله، وأنه ليس كمثله شيء، ويمنح الإنسان شعوراً بعظمة الله وقدرته، ويجعله أكثر تمسكاً بالقيم والأخلاق الحميدة، ومما لا شك فيه أن لهذا المبدأ العديد من الآثار على الشخصية المسلمة والتي منها منح الإنسان شعوراً بعظمة الله وقدرته، وذلك لأن الإنسان عندما يؤمن بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى

يؤمن بأن الله تعالى سيثيبه على أعماله، والصبر على الشدائد والمحن، وذلك لأن المسلم يؤمن بأن الله تعالى هو الذي يقدر الأقدار ويصرفها، بالإضافة إلى البذل والعطاء، وذلك لأن المسلم يؤمن بأن الله تعالى هو الذي يوسع الرزق ويرزق من يشاء بغير حساب، والسعي إلى الكمال والتميز، وذلك لأن المسلم يؤمن بأن الله تعالى خلقه في أحسن تقويم، فعقيدة التوحيد لها أثر كبير على الشخصية المسلمة، فهو يؤثر عليها في جميع جوانبها، ويجعلها شخصية صالحة متكاملة، ومن أهم آثار التوحيد على الشخصية المسلمة فتمنحه الهداية إلى طريق الحق والخير، فالتوحيد يهدي العبد إلى طريق الحق والخير، ويجعله يتبع أوامر الله ونواهيه، وتمنحه الثبات على الحق، فالتوحيد يمنح العبد ثباتاً على الحق، ويجعله لا يميل إلى الباطل، بالإضافة إلى السعادة والطمأنينة، فالتوحيد يمنح العبد سعادة وطمأنينة، ويجعله يشعر برضا الله تعالى عنه، ويزيد الفرد عزاً أن عقيدة التوحيد تمنحه الصلاح والأخلاق الحميدة، فالتوحيد ينمي في العبد الصلاح والأخلاق الحميدة، ويجعله يتعامل مع الآخرين بأخلاق الإسلام (العثيمين، ٢٠٠٧م، ١٦-١٧).

إن الشخص الواصل بربه هو المطمئن روحياً هو الموحد لله الذي يشعر بأن حاجاته مشبعة ومطالب نموه محققة، وأن المقومات الأساسية لحياته غير معرضة للخطر ما دامت في معية الله، ويتسم كذلك بالتفاعل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين وتقبل آرائهم والاستفادة منها لمواصلة النجاح والتفوق، ويتسم أيضاً باحترامه لذاته، ومعرفة قدراته وإمكاناته لتحمل المسؤولية النابعة من إيمانه بالله تعالى (مسعود، ٢٠٠٨م، ١٧-١٨)، يتضح ذلك في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (سورة الرعد: ٢٨)، فالإيمان بالله له تأثير عظيم في نفس الإنسان من حيث زيادة الثقة بالنفس، والقدرة على تحمل المشاق، وبث الأمن والطمأنينة في النفس، والإيمان الحقيقي الكامل والأمن مقترنان كما في قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (سورة الأنعام: ٨٢)، والدين الإسلامي يقدم أدلة تؤكد فعالية الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها، وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة، والوقاية من الشعور بالقلق، وما قد ينشأ من أمراض نفسية أو مشكلات تكيفية. (الشيخ، وعبد الله، ٢٠٠٩م، ١٣، ١٤).

وتتمثل أهمية الطمأنينة الروحية من الرؤية الإسلامية في تعزيز الثقة الكاملة بمعية الله ونصره، فالإنسان الذي يعرف الطريق إلى الله هو الإنسان السليم القلب، المطمئن النفس، ويعد من الأصفاء الذين قال الله فيهم (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٦٢) (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٦٣) لَهُمُ النَّجَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)، (سورة يونس الآيات: ٦٢-٦٤)، فهو الشخص الذي يثق في نصر الله لا يهتم بتدابير البشر يعلم أن مراد الله في خلقه نافذ يمثل هذا

عليهم يعيشون بحسبهم وأرواحهم في الآخرة، مع أن أجسادهم تسير على الأرض، يتحركون فوق هذه المعمورة، مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة.

إن شقاء البشرية اليوم ينحصر في تحريف العقيدة، لذا فإن ثمة أمور ينبغي أن يتقنها الشباب اليوم كي ينعموا بشخصية متزنة مستقرة، وهي ربانية هذه العقيدة وهي المنهاج الأخير للحياة البشرية إلى يوم الدين، وأن هذه العقيدة التي يقام عليها صرح الشريعة هي فقط التي تكفل سعادة الإنسان في الدين، وهي وحدها التي تجمع بين الروح والجسد في نظام الإنسان، والأرض والسماء في نظام الكون، وبين العبادة والعمل في نظام الدين، وأن الأعمال كلها والتصرفات جميعها مبنية على العقيدة وهي انعكاسات لها، وأن كل عمل لا يرتبط بالعقيدة فلا وزن له، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (سورة آل عمران: ٦٤)، هذه الأمور ينبغي أن تكون منارة الشباب الذي يبغى النجاة من الشقاء ويود الطمأنينة والسلامة والسعادة، فالإنسان كريم في هذا الدين، وتكريمه من صلب هذه العقيدة، وينبغي أن يدرك أن الحالة التي تردت إليها البشرية والدرك الذي انتكست فيه الفطرة الإنسانية والفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، والشقاء والنكد الذي مزق النفوس في كل مكان على وجه هذه الرض راجع كله إلى سبب واحد وهو الخروج عن منهج الله وعدم التحاكم إلى كتاب الله (عزام، ٢٠١٩م، ٢٣).

إن الحالة التي تعيشها المجتمعات وتشهد من خلالها فترات انتكاس وما رسخ من حقد وغيظ جعل المجتمعات على شفا بركان مهدد بكبت وقمع وخوف من المستقبل، وما تبعه من انحلال نفسي وخلق قد يؤدي إلى تدمير الحياة المادية نفسها، كما أن القلق العصبي والتمزق النفسي والأمراض النفسية والعصبية والجسدية، وقدوم البعض على الانتحار الذي أصبح ظاهرة خطيرة، بالإضافة إلى مظاهر التمرد الذي تعاني منه البشرية والذي يعبر عن حالة الحيرة والقلق والتعب التي تعيش فيها البشرية كل ذلك مرجعه البعد عن عقيدة التوحيد.

أما المسلم الذي استقرت العقيدة بداخله، وعمت حياته الثقة في تمكين الله لعباده المؤمنين الطائعين، فإنه يحيا حياة طيبة، لا يعتريه هم ولا قلق ولا نصب ولا وصب، يستظل بطمأنينة تملأ قلبه وسعادة تغمر أعماقه، يترفع بها عن الصغائر، ولا يهتم إلا بعظم الأمور، فهو لا يحب إلا في الله ويبغض في الله يخضع قلبه لله سبحانه.

إن للتربية على عقيدة التوحيد أثر على الشخصية المسلمة حيث تمنح المسلم الشعور بالأمان والطمأنينة، وذلك لأنه يؤمن بأن الله تعالى هو القادر على حمايته ورعايته، تمنح المسلم الإخلاص لله تعالى، وذلك لأنه يعبد وحده ويرجو ثوابه ويخشى عقابه، كما تمنح المسلم الشعور بالمسؤولية، وذلك لأنه يؤمن بأن الله تعالى سيحاسبه على أعماله، كما تمنح المسلم الدافع للعمل الصالح، وذلك لأنه

2- يجب على الدعاة أن يحرصوا على توعية الشباب بأن المخاطر التي تحاط بهم لا سبيل للنجاة منها إلا بالعودة إلى الله.

3 - على الدعاة أن تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة وأن تطابق أقوالهم أعمالهم باعتبارهم مرجعا للشباب وقادة لهم.

4- ضرورة حرص الأسرة المسلمة على رعاية أبنائهم وحسن توجيههم.

5- ضرورة الاهتمام بالشباب باعتبارهم البنيان الذي تعتمد الأمة عليه في بناء الحضارات ورفع راية الإسلام.

6- أهمية العناية بالتوحيد والإيمان بالغيب لما لهم من عظيم الأثر على الشخصية المسلمة.

7- إبراز الآثار الكبيرة لعقيدة التوحيد على الفرد والمجتمع.

8- أهمية الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته لما لهم من عظيم الأثر على حياة المسلم.

10- مقترحات البحث:

1- إجراء دراسة عن أساليب النبي ﷺ في الدعوة إلى الله في المجتمع المكي.

2- إجراء دراسة عن عقيدة التوحيد وانعكاساتها على المجتمع المدني.

3 - إجراء دراسة مقارنة بين المجتمعات الغربية والمجتمعات المسلمة تتناول أسس العقيدة الصحيحة وانعكاساتها على الشباب.

11- المراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن تيمية (د.ت): اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، دار الحديث، القاهرة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (١٩٧٩): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ٤، دار الفكر، القاهرة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (١٣٩٩): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ٢، دار الفكر، دمشق.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٣٣٠): لسان العرب، ج ٣، دار المعارف، القاهرة
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (١٩٩٠): لسان العرب، مج ٣، دار الفكر، بيروت.
- أبو زهرة، محمد (٢٠٢٢): عقيدة التوحيد في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة.
- آجيور، بشرى سيد محمد (٢٠١٢): التربية العقائدية للمؤمنين في سورة الإخلاص، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
- الإدريسي، أحمد بن محمد الشاذلي (٢٠٠٢): البحر المديد، ج ٣، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون (١٩٩٨): المعجم الوسيط، ط ٢، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

للفرد المسلم أهمية كبيرة، حيث يستطيع أن يتغلب على الخوف والحزن اللذان ينعصان عليه حياته، ومن ثم ينعم بمزيد من الاستقرار والراحة والهدوء. كما تتمثل أهمية الطمأنينة الروحية في اكتمال الشخصية الإسلامية والتي من علاماتها شعور صاحبها بالمحبة من قبل الآخرين، فهي أحد مصادر الهدوء والاستقرار النفسي للطلاب، كما أنها القاعدة الأساسية لبناء شخصيتهم على الاستقامة والصلاح والتفاعل الإيجابي والتقدير الذاتي والقبول الاجتماعي؛ لذا فإن الشباب يحتاجون دوماً إلى الشعور بأنهم موضع تقبل واهتمام من الآخرين، وعلى العكس فعندما يفقد الشباب مشاعر الإشباع العاطفي الرباني لديهم فإنهم لا يستطيعون مواجهة العالم الخارجي وذلك يعود لعدم منحهم شعورهم بالحب والعطف والحنان والمعبة الذي يثمر طمأنينتهم الروحية (علي، موسى، ٢٠١٣م، ١٣٠-١٣١).

8- نتائج البحث:

- 1- الإيمان بالله عز وجل والملائكة والكتب السماوية والرسول والقضاء والقدر من متطلبات العقيدة الصحيحة.
- 2- بناء العقيدة في التربية الإسلامية ليس مجرد بناء لاعتقاد أو لفكر إنساني، أو سلوك أو نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي بل هو بناء للحياة بأكملها من جوانبها وأركانها.
- 3 - تربية الإنسان على تقوى الله وتنمية الخير بداخله ينبغي أن يكون أولى الاهتمامات في الوقت الراهن.
- 4- العقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير فهي الدافعة للتخلي بالأخلاق الحسنة وهي الدافعة لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني.
- 5- أهمية التربية الوسطية والتي تعزز العمل على تحلي إنسان التربية الإسلامية بالسلوك المتوازن في كل من ممارسات النفس البشرية سواء تلك المتعلقة بالإنجازات أو بإشباع الحاجات، لأن هذه الوسطية هي التجسيد الحي لكل من الصحة والعافية والتوازن، ومن خلالها يتحقق الانسجام مع سنن الله وقوانينه في الخلق.
- 6 - بناء العقيدة في التربية الإسلامية لن يكون مكتمل الأركان إلا إذا تم الاهتمام بأثر المربي العظيم النبي الكريم ﷺ.
- 7- للدعوة إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، ونبذ الشرك والشركاء آثاراً عظيمة على الأفراد والمجتمعات تزداد قوة بقوة التمسك بهذه الدعوة.
- 8- إدراك العلاقة القوية بين قوة المسلمين واتحادهم المرتبط بمدى إيمانهم بالله.
- 9- إيمان الفرد بأن الله هو المدبر للكون وكل ما فيه يخضع له سبحانه يدعم الطمأنينة في نفوس الأفراد.

10- الإيمان بالغيب يعد محفزاً كبيراً حيث يتبعه الرضا وعدم السخط.

9- توصيات البحث:

1- ضرورة العودة إلى تطبيق عقيدة التوحيد قولاً وفعلاً في جميع شؤون الحياة.

- الأصفهاني، الراغب (١٤١٢): المفردات في فريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ج ١، دار القلم، دمشق.
- أيوب، حمدي حسن (٢٠١٥): منهج التربية الإسلامية في بناء وتعزيز الثقة بالنفس، وتطبيقاته في تربية الأبناء "دراسة تحليلية"، مجلة كلية التربية، جامعة كفر الشيخ، ع ٣، مج ٣، القاهرة.
- أيوب، حمدي حسن (٢٠١٥): منهج التربية الإسلامية في بناء وتعزيز الثقة بالنفس، وتطبيقاته في تربية الأبناء "دراسة تحليلية"، مجلة كلية التربية، جامعة كفر الشيخ، ع ٣، مج ٣، القاهرة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٨): صحيح البخاري، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية.
- البستاني، بطرس (١٩٧٧): محيط المحيط، مكتبة لبنان.
- الربيع، وليد خالد (٢٠١٧): أثر القرآن الكريم في بناء الشخصية الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
- رمضان، عباس (٢٠٠٩): "الأمن النفسي من منظور إسلامي لدى طلبة الجامعة المستنصرية"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج ١٢، ع ٢، العراق.
- الزهراني، محمد بن عبد الله بن إبراهيم (٢٠٢٢): عقيدة التوحيد وأثرها في تكوين الشخصية المتقنة والمبدعة، دار النشر جامعة أم القرى.
- السعدي، عبد الرحمن بن محمد (٢٠٠٥): العقيدة الإسلامية، دار المعرفة، السعودية.
- شقير، زينب (٢٠٠٥): مقياس الأمن النفسي (الطمأنينة الانفعالية)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الشيخ، محمود يوسف: (٢٠١٣): مناهج البحث في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي.
- عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤): تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- عبد الخالق، أحمد محمد (١٩٩٩): الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة، الإسكندرية، القاهرة.
- عثمان، أسامة عطايا (٢٠٢٢): آثار الدعوة إلى التوحيد والمخاطر الناجمة عن العدول أو التهاون في ذلك، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، ع ٧١، جامعة الملك سعود، السعودية.
- العثيمين، محمد بن عبد الرحمن (٢٠٠٧): عقيدة التوحيد وأثرها في تكوين الشخصية المسلمة، دار عالم الفوائد، الرياض.
- عزام، عبد الله (٢٠١٩): العقيدة وأثرها في بناء الجيل، بيت المقدس.
- العزام، محمد نايل (١٩٩٨م): اضطراب الشخصية وعلاجه في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
- عطا، راضي (٢٠١٤): دور الجامعة في تحقيق الأمان النفسي والاجتماعي للطلاب في ضوء الرؤية الكلية للإسلام، المؤتمر العلمي العاشر (الدولي الأول) بجامعة كفر الشيخ، القاهرة.
- العقيلي، عادل محمد (٢٠٠٤): الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
- علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٢): تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ط ٢١، دار السلام، القاهرة.
- الغنام، محمد عبد القوي شبل (٢٠١١): عقيدة التوحيد أساس للتربية الأخلاقية النظرية والتطبيق دراسة تحليلية من المنظور الإسلامي، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع ١٤٦، ج ٢، القاهرة.
- الفيومي، أحمد علي (١٩٨٧): المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت.
- مثقال، أيوب محمود (٢٠٠١): أثر التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المستقلة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
- مختار، عمر أحمد (٢٠٠٨): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة.
- محمد، نبيل فولي (٢٠١٤): التوحيد مكانته ومميزاته في العقيدة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، مج ٤٩، ع ٢، باكستان.
- مسلم بن الحجاج (١٩٩٨): صحيح مسلم، تحقيق أبو صهيب الكرمي، السعودية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية.
- المغامسي، سعيد (٢٠٠٧): أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم، مجلة جامعة الإمام، ع ٥، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.
- يحيى، أزهار قاسم، وعامر، أحمد سلطان (٢٠٠٨): الأمن النفسي لدى طالبات كلية التربية للبنات في ضوء القرآن الكريم، مجلة أبحاث كلية التربية، مج ٨، ع ١، الموصل، بغداد.

المجلة الدولية للشرعة والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The hypothesis of multiverses through the Qur'an and Sunnah (a critical doctrinal study)

Dr. Enaam bint Muhammad Aqeel*

* Associate Professor, Jeddah University, Kingdom of Saudi Arabia, College of Sharia and Law, Department of Islamic Studies.

فرضية الأكوان الموازية من خلال الكتاب والسنة (دراسة عقديّة نقدية).

د. إنعام بنت محمد عقيل *

* أستاذ مشارك، جامعة، جدة، المملكة العربية السعودية، كلية الشريعة والقانون، قسم الدراسات الإسلامية.

E-mail: e4474826@gmail.com

KEY WORDS

multiverse, parallel universes, multiverse.

الكلمات المفتاحية

تعدد الأكوان، الأكوان الموازية، الأكوان المتعددة.

ABSTRACT

Scientific hypotheses in the universe and nature are numerous and renewed. Some of them agree with the Qur'an and the Sunnah, some of them contradict the Qur'an and the Sunnah, and some of them have no evidence of agreement or Scientific hypotheses in the universe and nature are numerous and new. Some of them agree with the Qur'an and the Sunnah, some of them contradict the Qur'an and the Sunnah, and some of them have no evidence of agreement or dissent. This we stop in arguing about it, until its idea or consequences become clear, otherwise Allah will judge it on the Day of Resurrection.

In contemporary times, the hypothesis of multiple universes or modern parallel universes has been accepted in some of scientific circles, which has led to misguided infidels exploiting this hypothesis, such as atheists and others. Therefore, we find Muslim thinkers and writers who confronted atheistic ideas with complete denial without refuting or discussing the hypothesis, including Whoever gives meanings and references to some verses from the Qur'an and some hadiths and interprets them according to what he sees as the meaning and validity.

The importance of the topic is evident due to its widespread spread around the world, whether through social media or some films and series for adults and children, which have won a number of Oscars. Therefore, I saw it as important to address this topic with a scientific study that refutes the statements and clarifies them, asking Allah Almighty. Success, and determination to be guided.

مستخلص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

تتعدد الفرضيات العلمية في الكون والطبيعة وتستجد، فمنها ما يوافق الكتاب والسنة، ومنها ما يعارض الكتاب والسنة، ومنها ما لا يوجد عليه دليل بالموافقة أو المخالفة، فهذا يتوقف في شأنه، حتى تتضح فكرته أو مآلاته أو يحكم الله فيه يوم القيامة،

وفي الوقت المعاصر لاقت فرضية تعدد الأكوان أو الأكوان الموازية الحديثة قبولا في بعض الأوساط العلمية، الأمر الذي أدى إلى استغلال أصحاب الأكفار الضالة لهذه الفرضية، مثل الملحدين وغيرهم، لذلك نجد من المفكرين والكتاب المسلمين الذين جابهوا الأفكار الإلحادية بالنفي التام بدون تنفيذ أو مناقشة للفرضية، ومنهم من أعطى لها دلالات وإشارات لبعض الآيات من القرآن وبعض الأحاديث وقام بتأويلها حسب ما يراه من الدلالة والصحة. وتظهر أهمية الموضوع لانتشاره انتشارا واسعا حول العالم سواء من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو بعض الأفلام والمسلسلات للكبار والأطفال، والتي حازت على عدد من جوائز الأوسكار، لذا رأيت أن من الأهمية بمكان أن أتناول هذا الموضوع بدراسة علمية، تقند الأقوال وتوضحها، سائلة المولى عز وجل التوفيق والسداد والعزيمة على الرشاد.

تساؤلات البحث

ما حقيقة فكرة الأكوان المتوازية؟ وأول من قال بها؟

هل الأكوان المتوازية حقيقة؟

ما أقوال الفيزيائيين حول الفرضية؟

هل ذكر القرآن ما يثبت ذلك أو ينقضه؟

هل ذكر في الأحاديث ما ينقض ذلك أو يثبته؟

هل هناك اختلاف بين ما يفسره البعض لمفهوم السماوات

وبين مفهوم الكون؟

ما أسباب دعم الملحد لفكرة تعدد الأكوان؟

ما علاقته بالانفجار العظيم؟

ما علاقته بفرضية التطور؟

ما المخالفات العقدية لفرضية تعدد الأكوان؟

المبحث الأول: مفهوم الأكوان المتعددة وتاريخ نشأته:

المطلب الأول: تعريف مصطلح الأكوان المتعددة

(Multiverse))

الأكوان المتعددة هو مصطلح ذو معاني متعددة؛ حيث اقترح الباحثون فرضيات مختلفة حوله، ويشملها افتراض وجود مجموعة من أكوان متعددة لا نهائية في مناطق أخرى من الفضاء خارج كوننا الذي يمكن ملاحظته، وهي غالباً نتيجة لمحاولات تفسير رياضي فيزيائي لنظرية الكم^١، وتشير فرضية الكون المتعدد إلى أن كوننا بكل ما فيه من مئات المليارات من المجرات وعدد لا يحصى من النجوم، والذي يمتد لعشرات المليارات من السنين الضوئية، قد لا يكون الوحيد. بل قد يكون هناك عدد لا نهائي من الأكوان، وقد يكون هناك عالم مختلف تماماً، منفصل بشكل كبير عن عالمنا، ولكل منها قوانينها الفيزيائية الخاصة، ومجموعاتها الخاصة من النجوم والمجرات.

^١ ميكانيكا الكم أو ميكانيك الكم أو الميكانيك الكمي هي نظرية رئيسية في الفيزياء توفر وصفاً للخصائص الفيزيائية للطبيعة على مقياس الذرات والجسيمات دون الذرية. انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٨٦)، مجمع الفيزياء الحديثة (بالعربية والإنجليزية)، القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج. ٢، ص. ٢٤٨،

OCLC:1044656322، QID: Q115526796

^٢ انظر:

(What is multiverse theory?

By Paul Sutter published August 23, 2021
<https://www.livescience.com/multiverse/>)

وانظر موقع معهد الفيزياء الإنجليزي والاسكتلندي

(<https://www.iop.org/education/school-and-college-students/Qubit/finding-yourself-multiverse>)

^٣ فعلى سبيل المثال: قد تعيش أنت الآن كتاجر، بينما في عالم آخر نسخة منك مهندس، وفي عالم ثالث معدم أو متسول. وهكذا كل منهم يختلف عن الآخر في قراراته وتوجهاته. انظر: هل يوجد نسخة منك في أماكن أخرى؟ قناة أطلس الوثائقية

(https://www.youtube.com/watch?v=eH_8OfwILog)

^٤ انظر معجم أكسفورد، رابط:

<https://oxfordre.com/religion/display/10.1093/acrefore/9780199340378.001.0001/acrefore9780199340378-e-157>

وهناك فرضية تتفرع عنها؛ ترا أنه إذا كان هناك عدد لا نهائي من الأكوان وعدداً محدوداً من الطرق لترتيب الجسيمات (حسب نظرية الكم) في أي كون فردي، فلا بد أن تتكرر نفس الأنماط في النهاية؛ وهذا يعني أنه ستكون هناك نسخة طبق الأصل منك تقرأ نسخة طبق الأصل من هذه المقالة. ولأنه سيكون هناك عدد لا حصر له من الأكوان، سيكون هناك أيضاً عدد لا حصر له من هذه السيناريوهات الدقيقة التي تحدث جميعها في وقت واحد^٢، ولكن بأفعال وحياة ونفسية وأفعال مختلفة^٣.

وتطلق أسماء أخرى على هذه الفرضية حسب التفسير للفرضية^٤، منها: الأكوان المتوازية، والأكوان البديلة أو الأكوان الكمية أو العوالم المتوازية، أو الأكوان الفقاعية أو الأكوان اللانهائية^٥.

المطلب الثاني: تاريخ نشأة فكرة الأكوان المتعددة

تم العثور على أولى التلميحات عن الأكوان المتعددة عبر التاريخ في الفلسفة اليونانية القديمة، لذا يرى علماء الفيزياء أنها فكرة فلسفية وليست فرضية علمية يمكن دحضها تجريبياً، حيث ترى الفلسفة بأن نظام عالمنا كان نتاجاً عرضياً لاصطدام الذرات في فراغ لا نهائي وتؤدي الاصطدامات الذرية إلى ظهور عدد لا نهاية له من العوالم الموازية الأخرى الأقل كمالاً من عالمنا^٦.

أما أول استخدام لها كمصطلح فيبدو أنه كان على يد الفيلسوف ويليام جيمس، في خطاب ألقاه أمام جمعية الشبان المسيحية بجامعة هارفارد في عام ١٨٩٥، للإشارة إلى المعنى الأخلاقي الضمني للظواهر الطبيعية وليس إلى أكوان أخرى محتملة^٧.

Multiverse Theories: Philosophical and Religious Perspectives locked

Gerald Cleaver

<https://doi.org/10.1093/acrefore/9780199340378.013.157>

Published online: 22 November 2019

° انظر:

Multiverse

Written by; Anthony aquire.

Fact-checked by; the editors of encyclopedia Britannica

Last Updated: Jan 23, 2024 • Article History

6

وهي المدرسة الذرية والرواقية، بدءاً من ليوكيبوس وديموقريطوس في القرن الخامس قبل الميلاد، يليهم أبيقور ولوكريتيوس في القرن الثالث قبل الميلاد،

Siegfried, Tom (17 September 2019). The Number of the Heavens: A History of the Multiverse and the Quest to Understand the Cosmos. Harvard University Press. pp. 51–61. ISBN 978-0-674-97588-0.

7

من خلال تاريخ نشأة المصطلح نرى أنه تم استعماله قديماً من قبل الفلاسفة سواء يقصد به وجود شبيه لعالمنا أولاً، وسواء تعدد الكون متتابعاً بأن تلاشي ما قبله من العوالم أو تعدد مع بقاء العوالم السابقة، وهو ما تم التعبير عنه بمصطلح **الأكوان المتعدد** آنذاك.

أما مصطلح **الأكوان المتوازية**: فمن خلال تاريخ نشأة المصطلح نرى أنه تم استعماله مؤخراً، للدلالة على عوالم تتوازي وتتشابه مع عالمنا الثلاثي الأبعاد^{١٠}.

وفي الوقت المعاصر بالنظر للمقالات المنشورة، نرى أنه يتم التعبير عن الأكوان العديدة داخل متعدد الأكوان وتسمى أحياناً بالأكوان المتوازية Parallel Universes، مع طبيعة كل كون وما بداخله، إلا أن العلاقة بين هذه الأكوان تعتمد على النظرية المتبعة من بين عدة نظريات^{١١}.

المبحث الثاني: الأدلة على نظرية الأكوان المتعددة، وموقف الفيزيائيين منها:

المطلب الأول: الأدلة على وجود الأكوان المتعددة.

١. وجود بصمة: أي إذا حدث أن كوناً مجاوراً كان قريباً من كوننا منذ فترة طويلة، فمن المحتمل أن يكون قد اصطدم بكوننا، مما يخلق بصمة يمكن اكتشافها. ويمكن أن تكون هذه البصمة على شكل تشوهات في الخلفية الكونية الميكروية (الضوء المتبقي عندما كان الكون أصغر بمليوني مرة مما هو عليه اليوم) أو في خصائص المجرة الغريبة التي تركت في اتجاه الاصطدام، ولكن كل هذه الأنواع من عمليات البحث جاءت فارغة^{١٢}.

٢. الثقوب السوداء: أي أنه يمكن أن تكون قطعاً أثرية من أجزاء من كوننا انفصلت إلى عالمها الخاص عبر عملية تسمى النفق الكمي. ولو انفصلت بعض مناطق كوننا بهذه الطريقة، لكانت قد تركت وراءها "فقاعات" في كوننا ستتحول إلى هذه الثقوب السوداء الفريدة، والتي ربما لا تزال موجودة حتى اليوم، أي أن الاكتشاف المحتمل لهذه

وفي عام ١٩٥٤ كان هناك مرشح لشهادة الدكتوراه من جامعة برنستون اسمه: "Hugh Everett"، "هيو إيفريت" جاء بفكرة: (الأكوان المتوازية)، وهو أن هناك أكواناً تشبه كوننا بالضبط، وكل هذه الأكوان على علاقة بنا، بل ومتفرعة منا، وكوننا قد كان متفرعاً أيضاً من أكوان أخرى. ثم حدث في التسعينيات عن طريق تجربة اسمها الانتحار الكمي "quantum-suicide" (تجربة متخيلة تستخدم لإثبات أو تفنيد فكرة ما نظرياً). هذه التجربة الفكرية جددت الاهتمام بنظرية إيفريت. التي اعتبرت هراءً لسنوات عديدة. وتوجه الفيزيائيين والرياضيين إلى البحث في المعاني الضمنية للنظرية في العمق^٨.

فبعد فرضية "هيو إيفريت"، جاء "ديفيد دويتش" الفيزيائي البريطاني صاحب كتاب (نسيج الواقع أو الحقيقة) (the fabric of reality)، وبناء على فرضية "إيفريت" طرح "دويتش" فرضية تقول إن الأكوان المتعددة نشأت دفعة واحدة مع بعضها، ويُشبه "دويتش" هذا الأمر بوجود مكاتب لانهاية العدد مليئة بنسخ من الكتب التي تشترك مع بعضها بنفس محتوى الصفحة الأولى ولكن تختلف في بقية المحتويات... حيث يشرح دويتش الفرق بافتراض وجود كتابين يتحدث كل منهما عن قصة بطل يريد اجتياز أحد الأنهار، فهو في أحد الكتابين يجتازه سباحة، وفي الآخر يجتاز النهر من فوق أحد الجسور، فلكل كتاب طريقة مختلفة، أي تكون النهاية متطابقة بينما تختلف التفاصيل، وعند إعادة دمج التفاصيل مع بعضها نعود إلى نفس البداية المتطابقة أيضاً، أما إيفريت فتختلف عنده النهاية مع التفاصيل ولا يمكن العودة إلى بداية أولى متطابقة^٩.

المطلب الثالث: الفرق بين مصطلح الأكوان المتعددة multiverse ومصطلح الأكوان المتوازية parallel universe

انظر: تطور نظرية الأكوان المتوازية، مايو ١٦، ٢٠٢٣. على رابط <https://www.roleinformation.net/2023/05/parallel-universes-theory.html>

11

انظر موقع الفيزياء العالمي

MAY 13, 2014

Have cosmologists lost their minds in the multiverse? by Luke Barnes, The Conversation(<https://phys.org/news/2014-05-cosmologists-lost-minds-multiverse.html>)

١٢

وفقاً لكتاب الكون المبكر. مدونة نشرتها جامعة كوليدج لندن Eternal Inflation and Colliding Universes. <https://www.earlyuniverse.org/eternal-inflation-and-colliding-universes/> On 21 January, 2014, in Outreach, Papers, Science, by admin

The Number of the Heavens: A History of the Multiverse and the Quest to Understand the Cosmos TOM SIEGFRIED. (247-269) Copyright Date: 2019 Published by: Harvard University Press

8

انظر موقع الفيزياء العالمي

MAY 13, 2014

Have cosmologists lost their minds in the multiverse? by Luke Barnes, The Conversation(<https://phys.org/news/2014-05-cosmologists-lost-minds-multiverse.html>)

9

John Gribbin, In search of the multiverse, John Wiley&SonsLLnc,Hoboken,New Jersey,2009 p. 62, 63

١٠

انظر المراجع السابقة

هذا لأثبات التكون العشوائي للكون أي نفي وجود خالق لهذا الكون لحكمة وسبب^{١٦}.

١. نظرية الأوتار، التي ترى أن المادة لا تتكون في النهاية من جسيمات، بل من أوتار أو حلقات من الطاقة صغيرة الحجم ومهتزة بشكل لا يمكن تصوره. كان الفيزيائيون يأملون ذات يوم أن توفر نظرية الأوتار "نظرية لكل شيء" أي نظام من المعادلات التي تشرح سبب امتلاك كوننا للخصائص الدقيقة التي يمتلكها. على سبيل المثال، لماذا كتلة البروتون أكبر بمقدار ١٨٣٦,١٥ مرة من كتلة الإلكترون؟ إلا أنهم لم يجدوا تفسيراً لذلك، ولكن بدلاً من حل واحد لهذا السؤال وغيره من الأسئلة العلمية الأساسية، يبدو أن معادلات نظرية الأوتار تحتوي على عدد مذهل من الحلول الممكنة (ربما يصل إلى ٥٠٠,٨١٠، وهو واحد يتبعه ٥٠٠ صفر) لذي يرى بعض أصحاب نظرية الأوتار أن كل حل من هذه الحلول يصف كوناً مختلفاً، ولكل منها خصائصه الفيزيائية الخاصة والتي انتهت إلى إنتاج حوالي ١٠٥٠٠ كون منذ التضخم الأبدي^{١٧}.

٢. نظرية الكم التي أثبتت نجاحها لأكثر من قرن في وصف طبيعة المادة. وتشير الفرضية إلى عدد من الاحتمالات الوجودية التي تتحدى المنطق، وهي: أن الكون ينقسم إلى قسمين عند حدوث أي حدث كمي جديد، فلا تتفك الأكوان تتزايد^{١٨}.

وبشكل البعض في ذلك ويرى أن هذا يعني أن هناك نوعان من اللانهاية المحتملة في الكون المتعدد:

النوع الأول: قد يكون الكون الواحد لا نهائياً في الحجم (على سبيل المثال، في كوننا، إذا استمر الفضاء والمجرات إلى الأبد دون نهاية أو إغلاق)،

أو النوع الثاني: جميع الأكوان المنفصلة في الكون المتعدد يمكن أن يكون لا نهائياً في العدد (بغض النظر عما إذا كان أي من الأكوان أو جميعها لا نهائياً في الحجم بحد ذاتها)

يحدث مرة واحدة، إنه يحدث دائماً نتيجة لبعض ردود الفعل المتسلسلة الواسعة للغاية والمعروفة باسم «التضخم الأبدي». سيظهر كون جديد، وسيؤتي التضخم زمام الأمور، وسيوسع ذلك الكون، وسيكون لهذا الكون عدم استقرار كمي خاص به، الذي سينتج عنه المزيد من المتفرعات التي تستمر بخلق المزيد من الأكوان. يبدو الأمر أشبه بتفجير بالون في حفلة لينتج عنه بالونات لحفلات أخرى، التي ينفجر سطحها المطاطي على ما يبدو عشوائياً. هذا الموقف يبدو فوضوياً، وهو كذلك. يعتقد مؤيدو هذه الفرضية بأن التضخم الأبدي لا يمكن إيقافه، وهو معقد للغاية ويولد باستمرار أكواناً جديدة. تشير رياضيات هذا الموقف إلى أن الكون المتعدد يتصرف بصورة كسرية. انظر المرجع السابق.

¹⁷ John Gribbin, In search of the multiverse, John Wiley & Sons Inc., Hoboken, New Jersey, 2009 p.167

¹⁸ There is no empirical, scientific evidence for the Multiverse. Adam Frank. 13.8 — FEBRUARY 3, 2022. <https://bigthink.com/13-8/multiverse-no-evidence/>

What is the multiverse? May 22, 2018, 4:54 PM +03 / Updated May 22, 2018, 4:53 PM +03

By Dan Falk
<https://www.nbcnews.com/mach/science/what-multiverse-ncna876136>

الثقوب السوداء يمكن أن يشير بعد ذلك إلى وجود أكوان متعددة، وهي أيضاً من عمليات البحث التي جاءت فارغة^{١٩}.
٣. نظرية الانفجار العظيم الذي أصاب الكون منذ حوالي ١٣,٨ بليون سنة مضت. إذ يعتقد العلماء أن هذا الانفجار تسببت في حدوثه مجموعة من التغيرات العشوائية يطلقون عليها اسم رغوة الكم، وهي التغير في الجزيئات الظاهرية التي تنبثق وتخرج من الوجود. ورغم أن بعض العلماء يعتقدون أن هذه النظرية تثبت فرضية الأكوان المتعددة، يقف على الجانب الآخر بعض العلماء ممن يرون أنه ليس سبباً منضبطاً، حيث أن علم الكونيات التضخمي في كثير من النواحي يختلف عن علم الكونيات القياسي للانفجار الأعظم^{٢٠}.

وحتى لو سلمنا بأن ما يسمى الانفجار العظيم أدى إلى تكون سلسلة من الأكوان المتعددة، فلا يوجد أي عالم يقول بالتناسخ والتكرار لعالمنا بل يتمدد ويتوسع بعشوائية، كما يقولون بأنه لا يتشارك فيزياء كوننا نفسه، كما يقول "أندريه ليندي" عالم الفيزياء من جامعة ستانفورد، فقد لا يكون لأحد الأكوان جاذبية، وقد لا يدعم آخر القوى التي تمسك أو تشكل المادة ببعضها. بل هناك الكثير من الأكوان التي ولدت ميتة، التي لا ترقى إلى مستوى عالٍ مثل كوننا الذي نعيش فيه بالبيئة المناسبة، أو ما يعرف بمبدأ الأنثروبيا... والفرضية في النهاية غير قابلة للاختبار^{٢١}.

وتأمل التناقض الذي وقعوا فيه فهم يصفون مشكلة التضخم الأبدي أنه فوضوي ولا نهائي، وفي نفس الوقت يصفون كوننا الذي تكون بعد الانفجار العظيم بمستوى رقيه ومناسبه البيئة في المعيشة ما لم يرقى إليه أي كون. كل

¹³ What is multiverse theory?

By Paul Sutter published August 23, 2021
(<https://www.livescience.com/multiverse>)

¹⁴

Rupert Sheldrake, The science delusion, Hodder & Stoughton, UK company, 2013 p.94

^{١٥} آخر ورقة بحثية لستيفن هوكينغ تتحدث عن الأكوان المتعددة

7 أكتوبر ٢٠٢١. <https://www.ibelieveinsci.com>

^{١٦} التضخم الأبدي: BubbleUniverses

التضخم هو تمدد الكون بسرعة بعد الانفجار العظيم. عرض هذه النظرية لأول مرة الفلكي اليكسندر فيلنكن Alexander Vilenkin حيث اقترح أن بعض تجاويف الفضاء توقفت عن التضخم بينما استمرت الأخرى مما أدى إلى عزل الكثير من الأكوان الفقاعة. وبالتالي كوننا الذي انتهى من التضخم يسمح بتكوين المجرات والنجوم، فهو ليس إلا سوي فقاعة صغيرة في بحر هائل من الفضاء حيث يوجد بعض الفجوات التي مازالت تتمدد والتي تحتوي على هذه الفقاعات الصغيرة مثل كوننا وفي بعض تلك الفقاعات قد تختلف قوانين وإساسيات الفيزياء عنا، مما يجعل هذه الأكوان أماكن غريبة بالطبع بالنسبة إلينا.

وفي الواقع، لا يمكن أن نكون أكثر من فقاعة واحدة في محيط لا متناه من الفقاعات، وهو مفهوم يُعرف باسم «الكون المتعدد». التضخم لم

...وبناء على ذلك، فإن الكون اللانهائي حقاً يعني أن أي شيء غير مستحيل (مهما كان غامضاً) سيحدث، ويجب أن يحدث، بشكل غريب، لعدد لا حصر له من المرات. الكون اللانهائي يستمر إلى الأبد، ولا يولد اختلافات لا حصر لها فحسب، بل يتطلب أيضاً حدوث كل من الاختلافات غير القابلة للعد، لعدد لا حصر له من المرات. هذه هي الطبيعة الغريبة لللانهاية الحقيقية²⁰.

وأخيراً، تجدر الإشارة إلى أن الأنواع المختلفة من الأكوان المتعددة يمكن أن تتحد أو تتعايش. على سبيل المثال، يمكن أن تشمل الأكوان المتعددة من نوع "إيفريت" عوالم مختلفة، كل منها عبارة عن عوالم دائمة التضخم إلى الأبد، أو من حيث المبدأ، أن تخرج أكوان متعددة مستمرة أو قد ينتج كون "طفل"²¹.

ومن ناحية أخرى يدعي المدافعون عن نظرية الأكوان المتعددة أن التفسير الأبسط هو أن كوننا المرئي هو جزء من سلسلة الأكوان المتعددة وليس منفصل أو قائم بذاته²²، ومن العجيب أنهم مع قولهم بفرضية أن الكون قد جاء بنتيجة انفجار عشوائي فإنهم يقولون إن المنطق الرياضي يفرض أن يكون لدينا عدد لا نهائي من الأكوان حتى نصل إلى كون مثالي كالذي نعيش فيه، ولكن لماذا؟ لقد تم اقتراح فرضية (الأكوان المتعددة المتفاعلة مع بعضها Many Interacting Worlds) وهذه النظرية ضرورية لتفسير وجود الكون من خلال افتراض وجود أكثر من عالم_عوالم تفاعلية_، وكذلك فرضية (تعدد الأكوان Many-Worlds Theory) إنها ضرورة فيزيائية ورياضية لفهم أفضل للكون، وذلك بأن يفترض العلماء وجود عدد كبير من الأكوان أو العوالم، هذه العوالم تتفاعل مع بعضها وتتمتع بشيء من التشابه.

لذا نرا أن فريقاً يفترض الاختلاف التام بين الأكوان المتعددة إن صح افتراضها، وفريقاً آخر يقول بأنه لا بد من وجود وجه من التشابه لتحقيق التفاعلية بين الأكوان.

المطلب الثاني: موقف علماء الفيزياء من النظرية:

قام الباحث الأمريكي "ديفيد روب" في عام ١٩٩٥ بإجراء مسح بين ٧٢ من الفيزيائيين البارزين ونشر في الدورية الفرنسية Sciences et Avenir في يناير من عام ١٩٩٨، أشار إلى أن ٦٠ % تقريباً يعتقدون أن نظرية العوالم المتوازية حقيقية.

لذا نرا أن موقف الفيزيائيين انقسم إلى فريقين:

فريق يدعم فكرة الكون المتعدد، مثل: "ماكس تيجمارك" و "شون كارول" من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، و "ليونارد سسكيند" من جامعة ستانفورد، وعالم الفلك البريطاني "مارتن ريس"، بل وصل الأمر بأخرين -كالفيزيائي الأمريكي "لي سمولين"- إلى تطبيق بعض مبادئ نظرية التطور الداروينية على الأكوان المتوازية، فأدخل مفاهيم الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل البقاء على الأكوان التي تتكيف لتبقى²³.

والفريق الآخر يرفض ويشكك في النظرية، مثل: "ديفيد جروس" الحائز على جائزة نوبل من جامعة كاليفورنيا في سانتا باربرا²⁴.

و"جورج إليس"، عالم الفيزياء في جامعة كيب تاون، الذي كتب في مجلة ساينتيфик أمريكي عام ٢٠١١: "لا أعتقد أن وجود تلك الأكوان الأخرى من الممكن أن يتم إثباته على الإطلاق".

وكذلك "سابين هوسنفلدر"، عالمة الفيزياء في معهد فرانكفورت للدراسات المتقدمة في ألمانيا، التي صرحت ووصفت الجهود المبذولة لوصف الكون المتعدد بأنها مضبغة للوقت. وقالت لشبكة (NBC News MACH) في رسالة بالبريد الإلكتروني: "لا يمكن للعلم أن يقول أي شيء حول ما إذا كانت [هذه الأكوان] موجودة أم لا"، مضيفة أن الأفكار العلمية المطروحة لدعم الكون المتعدد "تتبع من نفس الحجج الرياضية الخاطئة..." وتقول: "إن الاعتقاد بوجود أكوان أخرى هو من محض التخمين، ولا يمكن الإجابة على هذا السؤال بالبحث العلمي والطرق العملية إذ أننا نعيش في كوننا الذي نعرفه ونحاول دراسته وتفسير ظواهره، ونحن «محبوسون» فيه. ولا تزال تشغلنا أمور فيزيائية واقعية وليست تخميناً، لم نتوصل حتى الآن في حلها، فنحن لا زلنا لا نعرف ما هي المادة المظلمة، ولا نعرف ما هي الطاقة المظلمة، ولا نعرف كيف حدث الانفجار العظيم؟ من «لا شيء»!²⁵.

المطلب الثالث: مناقشة الأدلة على فرضية تعدد الأكوان

أولاً: استقراء الفرضيات لا يمكن فيه الانطلاق في الاستدلال من مجهول للوصول إلى معلوم، بل من المعلوم إلى المجهول، فكل النظريات السابقة التي تم الاعتماد عليها لرصد الزمكان مجهولة وغير قابلة للرصد والاختبار.

<https://www.ibelieveinsci.com/%>

²² IBID

²³ IBID

[4] John Gribbin, In search of the multiverse, John Wiley&Sons Ltd., Hoboken, New Jersey, 2009 p.189

شارك هذا الموضوع:

²⁴ المرجع السابق

²⁵ انظر المرجع السابق

²⁰ Confronting the Multiverse: What 'Infinite Universes' Would Mean News, By Robert Lawrence Kuhn (space.com-expert-voices-banner) published December 24, 2015

<https://www.space.com/31465-is-our-universe-just-one-of-many-in-a-multiverse.html>

²¹ الأكوان المتعددة - حقيقة عملية أم مجرد فرضية؟

٩ أبريل ٢٠١٩

محمل الجد، فلا داعي لأن يكون الأمر كذلك، إذا يعني ذلك يمكن أن يكون هناك دلالة على الحياة في أكون أخرى مع اختلاف النسب الفيزيائية، وبذلك يعتمدون أيضا على المجهول للوصول إلى المعلوم، وهذا مخالف لنظرياتهم، وعلى فرض صحة وجود أكون أخرى ذات حياة، فهذا يقتضي أن تؤمنوا بما تؤمن به نحن المسلمون، فإننا نؤمن أن هناك عالم كامل الحياة في الغيب ينتظرننا، فإذا قلتم بإمكانية وجود كون آخر فيه حياة، لزمكم القول بإمكانية وجود حياة غيبية تنتظركم.²⁷

المبحث الثالث: الأدلة من الآيات والأحاديث التي أشارت للكون ومناقشة وجه الدلالة.

المطلب الأول: الآيات التي أشارت إلى معنى الكون.

أولا: كلمة السماء، وعلاقتها بالكون:

أ. معنى الكون:

الكَوْنُ: جمعه أكون، ويطلق على العالم، وهو جملة الموجودات التي لها مكان وزمان كالأجرام، مثل: "كَوْنُ كُرْوَيْ". ويطلق الكَوْنُ على: الوجود المطلق العام، والكونان: الدنيا والآخرة

وَعِلْمُ الكَوْنِ: علم يُبحث فيه عن العالم من حيث قوانينه الطبيعية التي يسير بمقتضاها. ويطلق الكَوْنُ الأعلى على الله.²⁸

ب. معنى السماء في اللغة: كل ما سما وعلا فوقنا؛ وتطلق على عدد من الأشياء، منها:

١. تطلق على المطر لأنه يعلو فوقنا، ومنها قول الشاعر:
إذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا
٢. تطلق على السقف في اللغة أحيانا، ومنه قول الشاعر:
هو المنزل النعمان بيتا سماؤه نحور الفيول بعد بيت مسروق.
٣. تطلق على السماء المعروفة التي جعلها الله سقفا مرفوعا فوقنا، فقال تعالى في شأنها:
(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) الأنبياء: 32
- وبهذا المعنى تكون السماء هي سقف الكون المحيط بنا.
٤. وتطلق على ما تحويه من مجرات وكواكب ونجوم، منها قوله تعالى:

ثانيا: استقراء الفرضيات له ثوابت أما القول بتعدد الأكوان هو مجرد تخمين تخيلي لا غير، وكل فريق يقول بعكس الفريق الثاني من ناحية الثوابت الفيزيائية، أو تضخم الأكوان وتعددتها، عشوائيتها أو تنظيمها حسب نظريات محدد كنظرية الكم وغيرها...

ثالثا: استقراء الفرضيات لا يمكن إذا كان طبيعة المجالات المفترضة غير معروفة، مثل: المجال المغناطيسي. مثل هذه المجالات يجب أن تدفع التضخم الكوني وتخلق أكونا إلى ما لا نهاية. هذه النظريات لها أساس جيد من الناحية النظرية، ولكن طبيعة هذا المجال غير معروفة، ولم يثبت التجريبيون وجودها بعد، ناهيك عن قياس خصائصها المفترضة. والأهم من ذلك، أن الفيزيائيين لم يثبتوا أن ديناميكيات هذه المجالات من شأنها أن تتسبب في عمل قوانين فيزيائية مختلفة في أكون فقاعة مختلفة.

رابعا: إن النظرية التي تنتبأ بعدد لا نهائي من الأكوان تمر باختبار رصد رئيسي. يكشف إشعاع الخلفية الكونية الميكروي عن الشكل الذي كان يبدو عليه الكون في نهاية عصر التوسع المبكر الحار. تشير الأنماط الموجودة فيه إلى أن كوننا مر بالفعل بفترة من التضخم. لكن ليست كل أنواع التضخم تستمر إلى الأبد وتؤدي إلى خلق عدد لا نهائي من الأكوان الفقاعية. ولا تميز الملاحظات نوع التضخم المطلوب عن الأنواع الأخرى. بل إن بعض علماء الكون، مثل: "ستينهاردت"، يجادلون بأن التضخم الأبدي قد يؤدي إلى أنماط مختلفة في إشعاع الخلفية عما نراه.²⁶

خامسا: هناك ثوابت فيزيائية صحيحة، قد تدل على وجود كائنات حية، حيث يؤكد "ستيفن واينبرج"، و"مارتن ريس"، و"ليونارد سسكيند" وآخرون، أن الكون المتعدد الغريب يقدم تفسيراً مرتباً لهذه المصادفة الواضحة: إذا حدث جميع القيم الممكنة في مجموعة كبيرة بما يكفي من الأكوان، فمن المؤكد أنه سيتم العثور على قيم قابلة للحياة في مكان ما... وحسب قولهم: " أن هذا يعتبر هو الخيار العلمي الوحيد المتاح، لكن ليس لدينا أمل في اختباره بالملاحظة. ومن تناقضهم في ذلك، أنهم يرون أن المعادلات الأساسية للفيزياء هي نفسها في كل مكان، مع اختلاف الثوابت فقط، ولكن يقولون إذا أخذنا الكون المتعدد على

<https://www.scientificamerican.com/article/does-the-multiverse-really-exist/>

وانظر: " البحث عن الحياة في الكون المتعدد " بقلم أليخاندرو. جنكينز وجلعاد بيريز؛ ساينتيفيك أمريكان، يناير ٢٠١٠ "Looking for Life in the Multiverse," by Alejandro Jenkins and Gilad Perez; Scientific American, January 2010.

²⁸ انظر معجم المعاني الجامع

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86/>

²⁶ انظر " مناظرة التضخم " بقلم بول ج. ستينهاردت؛ ساينتيفيك أمريكان، أبريل "The Inflation Debate," by Paul J. Steinhardt; Scientific American, April]. ليندي وآخرون يختلفون مع هذا الرأي. من على حق؟ كل هذا يتوقف على ما تفضله حول فيزياء المجال التضخمي.

²⁷ AUGUST 1, 2011.13 MIN READ. Does the Multiverse Really Exist?

Proof of parallel universes radically different from our own may still lie beyond the domain of science
BY GEORGE F. R. ELLIS

ثانياً: لا بد من تفصيل الألفاظ والمصطلحات المجملة، والقول بتعدد الأكوان فيه عدة احتمالات، لا بد من تنقيدها: إذا كان يراد بتعدد الأكوان؛ تعدد المجرات غير مجرتنا وكواكبها ونجومها، فهذا يصح خاصة مع اكتشافات العلم الحديث للمجرات الأخرى.

إذا كان يراد بتعدد الأكوان، وجود كون آخر في حياة غير كوننا، فهذا أيضاً لا ننكره، بل نؤمن بوجود كون ملئ بالحياة من الملائكة والجنة والنار، ولا يمكننا أن ننكر أو نقر وجود كون فيه حياة غير ذلك، لكننا نؤمن أن الله لا يعجزه خلق ذلك.

إذا كان يراد بتعدد الأكوان وجوب تكرارها لأي قاعدة فيزيائية أو رياضية أو فلكية، فإن الكون يشهد بتعدد واختلافه فلا يوجد مجرة تشبه الأخرى ولا كوكباً أو نجماً يشبه الآخر، ولا يلزم من اتساع الكون تكراره اطلاقاً، وإن كان لا يعجز ذلك قدرة الله.

أما مسألة قولهم بنظرية تعدد الكون التفاعلي، أي أن يكون هناك كون آخر يشبهه للحاجة للتفاعل، فإن كان العالم الإلهي فهذا نقر بحاجتنا إليه تفاعلياً ولا غنى لنا عنه ولا استغناء، أما إن كان المقصود عالماً يشبهنا من عوالم الدنيان فإن كان المقصود ما سخره الله لنا من ما في السماء والأرض، فهذا صحيح نقر به.

إذا كان يراد به وجود كون طبق الأصل لعالمنا بنفس ذوات وأسماء الأشخاص، مع اختلاف حياتهم وقصصهم ومآلاتها، كأن يكون هذا الشخص في هذا العالم صالح، ونفسه في عالم آخر يكون فاسداً، فهذا لا يمكن أن نسلم أو نقر بإمكانية حدوثه، لإننا في الإسلام نؤمن أن كل إنسان محاسب بعمله يوم القيامة، وسينادي باسمه واسم أمه ولن يكون هناك تكرار في الذوات والأسماء، ولن يكون هناك نسخة مشتركة معه، فهذا من تلبيس الملحدين، للقضاء على فكرة البعث والحساب، وكذلك تشويه فكرة الرسل والأنبياء.

وقد شاعت كثير من الأفلام التي تحكي قصة الشخص ذاته في عالمين مختلفين، منها فلم يدعى (سابرينا) وهي قصة فتاة تدعى سابرينا في أحد الأكوان هي ابنة إبليس تعيش في عالم الشياطين، وفي كون آخر هي ابنة بشر تعيش في الأرض، وفي صراع بينهما يأتي ما يسمى بعدم لياخذهما. ثانياً: معنى كلمة العالم المذكورة في القرآن وعلاقتها بتعدد الأكوان:

في سورة الفاتحة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الفاتحة 2
هذه الآية تحوي إشارة لفكرة العوالم المتعددة
Many-Worlds من خلال كلمة “الْعَالَمِينَ”، هذه

(أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^{٣٦} وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) الأنبياء 30 :

ومعنى الآية: أن الأرض والسموات بما تحويه من مجرات وكواكب ونجوم والتي تشكل مجموعها الكون الذي نعيش فيه كانت في الأصل عبارة عن كتلة واحدة ملتصقة وقوله رتقا أي: ملتصقتين إذ الرتق هو الالتصاق ثم حدث لهذه الكتلة الواحدة فتق أي انفصال وانفجار تكونت بعده المجرات والكواكب والنجوم^{٣٦}.

وأدق وصف للمادة التي نشأ منها الكون أنها دخان كما قال الله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) فصلت 11

وكذا أخبرنا الله في كتابه عن اتساع الكون بكلمة السماء، فقال سبحانه: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) الذاريات 47

والآية تشير إلى أن الكون المعبر عنه بلفظ السماء هو في حالة توسع دائم يدل على ذلك لفظ لموسعون فهو اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع وهو يفيد الاستمرار لكن القرآن لم يبين تفاصيل الاتساع وإنما أورده مجملاً. **المطلب الثاني: دلالة الآيات في مسألة تعدد الأكوان:** وقال تعالى: { مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا } [الكهف: ٥١]. قال الماوردي في (النكت والعيون) فيه وجهان؛ أحدهما: ما أشهدت إبليس وذريته. الثاني: ما أشهدت جميع الخلق خلق السموات والأرض. وفيه وجهان؛ أحدهما: ما أشهدتهم إياها استعانة بهم في خلقها. الثاني: ما أشهدتهم خلقها فيعلموا من قدرتي ما لا يكفرون معه. ويحتمل ثالثاً: ما أشهدتهم خلقها فيحيطون علماً بغيبيها لاختصاص الله بعلم الغيب دون خلقه. اهـ.

أولاً: القاعدة في التعامل مع الأمور الغيبية التي لم يرد عنها أي نقل صحيح صريح، ولم تخالف العقل والشرع، هو التوقف فيها، وعدم القول بلا علم، كما قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء 36.

وقد ذكر ابن كثير أقوال المفسرين في هذه الآية ثم قال: مضمون ما ذكروه: أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال.. اهـ.^{٣٧}

^{٣٦} تفسير ابن كثير، ٢٣٥.

^{٣٧} انظر تفسير الطبري، ص ٣٢٤.

الكلمة هي جمع كلمة "عالم" لكن ما المقصود بتلك العوالم؛

العالمين: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات والأرض، في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً.

قال بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: [الحمد لله رب العالمين] (الفتحة: ٢) ، الحمد لله الذي له الخلق كله، السماوات والأرضون، ومن فيهن وما بينهن، مما نعلم، وما لا نعلم.

وفي رواية سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس: رب الجن والإنس. واستدل القرطبي لهذا القول بقوله: [ليكون للعالمين نذيراً] (الفرقان: ١) [وهم الجن والإنس]. وقال الفراء وأبو عبيدة: العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم: عالم، وعن زيد بن أسلم وأبي عمرو بن العلاء: كل ما له روح يرتزق. [وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الفرات، يعني ابن الوليد، عن معتب بن سمي، عن تبيع، يعني الحميري، في قوله: رب العالمين قال: العالمين ألف أمة فستمائة في البحر، وأربعمائة في البر.

[وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن لله أربعين ألف عالم؛ الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها، وقال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة. قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين، كقوله: قال فرعون وما بينهما إن كنتم موقنين والعالم مشتق من العلامة (قلت: (لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووجدانيته.^{٣١}

المطلب الثالث: الأحاديث التي أشارت للكون:

أولاً: الدليل الوارد في ذلك: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) سورة الطلاق آية ١٢، مَا هُوَ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى إِذَا وَقَفَ النَّاسُ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قَالَ: "وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ لَوْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ تَكْفُرَ؟"، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: "سَمَاءٌ تَحْتَ أَرْضٍ وَأَرْضٌ فَوْقَ سَمَاءٍ مَطْوِيَّاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ يَدُورُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ كَمَا يَدُورُ بِهِذَا الْكَرْدَنِ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَزْلُ" [تتمته إلى] "سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح

كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى" (وقال البيهقي عقبه: إسناده هذا صحيح عن ابن عباس).

وقد فسر بعضهم هذه الآية يعني بأن الله تعالى خلق من كل إنسان، إنسان آخر مثله ولكن في كون آخر، وأن هذا يثبت فرضية الأكوان المتوازية.

ثانياً: مناقشة الدليل:

١/ تفسير معنى الآية

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

"أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون." ^{٣٢}

٢/ تخريج بقية الحديث

روى الطبري في "تفسيره" (٤٦٩/٢٣)، والحاكم (٣٨٢٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٣٢) عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قَالَ: "فِي كُلِّ أَرْضٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَنَحْوُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ".

وفي لفظ: (سَبْعَ أَرْضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَأَدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كِإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى). ثم روى الطبري (٤٦٩ / ٢٣) عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: "لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفرتم تكذيبكم بها."

قال البيهقي: "إِسْنَادُ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صَحِيحٌ، وَهُوَ شَأْنٌ بِمَرَّةٍ، لَا أَعْلَمُ لِأَبِي الضُّحَى عَلَيْهِ مُتَابِعًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" انتهى.

"عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَصْرَمَ الْمُزَنِيِّ، أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سَأَلَ عَنْ حَدِيثِ شَرِيكِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَنُوحٌ كَنُوحِكُمْ، وَآدَمُ كَأَدَمِكُمْ".

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْةٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَا يَذْكُرُ هَذَا، إِنَّمَا يَقُولُ: "يَنْزِلُ الْعِلْمُ وَالْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ اخْتَلَطَ، وَأَنْكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَدِيثَ" ^{٣٣}.

^{٣٢} تفسير السعدي " (ص ٨٧٢).

^{٣٣} قاله ابن قدامة في "المنتخب" (ص ١٢٥).

^{٣١} تفسير ابن كثير، ٢،

قال السيوطي رحمه الله:

" هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَرَوَاهُ النَّبِيهِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ وَقَالَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَلَكِنَّهُ شَاذٌ بِمَرَّةٍ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ النَّبِيهِيِّ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ صِحَّةُ الْمُتَنِّ كَمَا تَقَرَّرَ فِي غُلُومِ الْحَدِيثِ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَصِحَّ الْإِسْنَادُ وَيَكُونَ فِي الْمُتَنِّ شُذُودٌ أَوْ عِلَّةٌ تَمْنَعُ صِحَّتَهُ.^{٣٤}

وقال ابن كثير رحمه الله:

"مَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَلَقَّاهُ عَنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ مِنْ تَرَابٍ، وَالتِّي تَحْتَهَا مِنْ حديدٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ جِبَارَةٍ مِنْ كِبَرِيَّتٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ كَدَا. فُكِّلَ هَذَا إِذَا لَمْ يُخْبَرْ بِهِ وَيَصِحَّ سَنَدُهُ إِلَى مَعْصُومٍ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ.

وَهَكَذَا الْأَنْثَرُ الْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: " فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْخَلْقِ مِثْلُ مَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ حَتَّى آدَمَ كَادِمُكُمْ، وَإِبْرَاهِيمَ كَابِرَاهِيمُكُمْ " فَهَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ مُخْتَصِرًا، وَاسْتَفْصَاهُ النَّبِيهِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ إِنْ صَحَّ نَقْلُهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَهُ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ "^{٣٥}

المبحث الرابع: رأي الملحدون في فرضية الأكوان المتوازية، وعلاقتها بفكرة الانفجار العظيم ونظرية التطور.

المطلب الأول: علاقة نظرية تعدد الأكوان بالإلحاد والملحدون، وسبب تمسك الداروينية بها:

إن مشكلة فكرة التطور الداروينية، أولاً تكمن في تفسير الأصل المادي للحياة، وتقول بالتوالد التلقائي للحياة الأولى، ثانياً: نسبة الخلق العشوائي للطبيعة، بطريقة عمياء غير هادفة، ثم انتخاب الأفضل والأفضل، وهو أمر فلسفي لا علاقة له بالعلم.

لذا نرى أن فرضية تعدد الأكوان تتلاقح مع فرضية التطور في المادية، وكذلك العشوائية والحتمية، حيث تتشابهان في القول بأن عملية طبيعية أدت إلى نشوء أكثر الكيانات تعقيداً وجَمَلاً، هي: الكون والكائنات الحية^{٣٦}. كما أن كلا الفكرتين لم يثبت لهما أي دليل علمي

فعلى الرغم من دحض فكرة التطور وانتفاء صحتها علمياً، وتحولها إلى خرافة وفلسفة لا علاقة لها بالعلم عالمياً^{٣٧}، إلا أن التطويريون وإن كانوا يعتمرون قبعة العلم مازالوا متمسكين بها مهما خالفت الاكتشافات العلمية، وعرضها على أنها حقيقة علمية مسلم بها، لا لسبب سوى أن فكرة التطور عقيدة مؤدجلة يتمسك بها أهلها بالتلقين والتدجين^{٣٨}، بل وبينون عليها ويفرعون عليها فرضيات أخرى غير قابلة للاختبار، منها فكرة "تطور اللغة"^{٣٩}.

وهذا ذاته ما يحصل مع فرضية الأكوان المتعددة أو الأكوان المتوازية، فالمجتمع العلمي مجمع على أنها ظاهرة ميتافيزيقية، لا يرقى لأن يكون فرضية علمية، فضلاً عن النظرية العلمية! وإنما هو أقرب للخيال والتوهم الفلسفي، العاري عن الأدلة المادية والبراهين العلمية، لا يمكن رصدها، وغير قابلة للاختبار، على الأقل في الوقت الحالي^{٤٠}.

Natural selection according to Darwin: cause or effect? - History and Philosophy of the Life Sciences." 11/4/2022.VOL.44. article,13.

<https://link.springer.com/article/10.1007/s40656-022-00485-z>.

^{٣٨} يقول التطوري ريتشارد لوينتن: "إن استعدادنا لقبول الادعاءات العلمية التي تتعارض مع الفطرة السليمة هو مفتاح الصراع الحقيقي بين العلم والتصورات الدينية، نحن نأخذ جانب العلم بالرغم من سخافة الاقتراحات العلمية، وعلى الرغم من تسامح المجتمع العلمي مع مالا أساس له من الصحة... إننا مجبرون لتقديم تفسيرات مادية ولا يهم إن كانت غير بديهية، أو محيرة..."^{٣٩} انظر:

Empirical approaches to the study of language evolution
Stevan Hartmann, 3/2/2017
<http://www.replicatedtypo.com/empirical-approaches-to-the-study-of-language-evolution-pbr-special-issue/11718.html>

^{٤٠} انظر:

" Emergence of life in an inflationary universe - Scientific Reports,3/2/2020. Article 1671.
<https://www.nature.com/articles/s41598-020-58060-0>

^{٣٤} الحاوي:(1/ 462)

^{٣٥} البداية والنهاية1/42

^{٣٦}

^{٣٧} انظر فعاليات الاجتماع العلمي المعنون بـ: (الاتجاهات الجديدة في علم الأحياء التطوري)، والذي شارك فيه علماء من انحاء العالم منهم من دافع عن النموذج الحالي، ودعا آخرون إلى توسيع التوليف التطوري للداروينية الجديدة وتقديم اقتراحات بنظرة حديثة، ومنهم من دعي لأقصاء التطويرية الداروينية بالكامل،

جونثان هاندز الذي قال " لا يوجد دليل رصدي أو تجريبي يدعم تطور نوع جديد من خلال آليات الداروينية الجديدة"، وقال: "يتقدم العلم فقط من خلال التخلص من النظريات التي لا تتوافق مع الأدلة...ومن ثم تطوير نظريات جديدة.... لا يمكنك تمديد شيء مكسور". انظر مقاله بعنوان:

Is it time to drop Darwinism?

<https://www.sciencefocus.com/nature/is-it-time-to-drop-darwinism>

كما قدم التطوري النمساوي المتميز جيرد مولر استعراضاً مدمراً لأي شخص يريد أن يعتقد أن نظرية التطور مكنت من حل كل شيء، انظر:

Why an extended evolutionary synthesis is necessary
Gerd B. Müller

Published:18 August

2017<https://doi.org/10.1098/rsfs.2017.0015>

"The 21st century

ويسعى الملحدون لتقويض فكرة وجود الله، عن طريق فرضية تعدد الأكوان من خلال:

الأول: بتعظيم فكرة الكون والعالم المادي فيصبح العالم المادي غير المحدود هو الله، وذلك بالتعبير عنه بلا مجديته أو لا نهاية له، حيث يقول: كاكاليوس "... إذا كان الله غير المحدود موجوداً، فسيتم التعبير عن لا نهاية الله عن طريق العلم وإثرائه بمعنى جديد".

الثاني: تقويض الحجج المؤيدة للوجود الحقيقي لله (من خلال تقويض "حجة التصميم" الحديثة القائمة على "الخلق الدقيق" لكوننا)، وكيف يمكن لله، إذا كان هناك إله، أن يرتبط بالأكوان المتعددة؟ إذا كان المرء يؤمن بالله، أو يتساءل عما إذا كان يؤمن بالله، ... لماذا يخلق الله، إذا كان هناك إله، أكواناً متعددة لا حصر لها؟ هل يمكن للأكوان المتعددة أن توضح كيف سيكون الله، إذا كان هناك إله؟ وإذا كان الله غير موجود فماذا إذن؟ هل للأكوان المتعددة معنى...؟^{٤٥}.

المطلب الثالث: مناقشة رأي الملحد في فرضية تعدد الأكوان

الأمر الأول: قولهم بفرضية تعدد الأكوان تلزمكم بالقول بوجود الله، إننا حينما نتأمل في فرضياتهم وتساؤلاتهم، فإننا يمكننا أن ندينهم بتساؤلاتهم وفرضياتهم، حيث أن الملحد المنكرين بوجود خالق لا يقبلون المناقشة في كل ما هو من وراء الغيبيات، ولا يقبلون بأي فرضية تتعلق بوجود ذات إلهية، أو وجود غيبيات كالملائكة أو الجنة أو النار، أو أن هناك يوم قيامة بالرغم من وجود الأدلة على ذلك من خلال تواتر الكتب وإرسال الرسل، وثبوت المعجزات الخارقة. فكيف إذا يقبلون بفرضية لا أساس لها من العلم والصحة وليست أساساً قابلة للاختبار ليست هي صورة من صور الإيمان بأمر غيبي.

وأعجبني ما يقوله ليدنيهم "بول ديفيز" في تاريخ موجز للكون المتعدد: "من المؤكد أن جميع علماء الكونيات يقبلون أن هناك بعض المناطق في الكون تقع بعيداً عن متناول تلسكوباتنا، ولكن في مكان ما على المنحدر الزلق بين ذلك

المطلب الثاني: سبب تمسك الداروينية بفكرة تعدد الأكوان
في أحد تقارير نيتشر الذي نشر في فبراير ٢٠٢٠ سعى عالم الفلك "تومونوري توتاني" إلى الربط بين إمكانية حدوث التطور الدارويني وبين فانتازيا الأكوان المتعددة.. مع تأكيده على أن الأكوان المتعددة فرضية، وقال في تقريره لأن فكرة الأكوان المتعددة تجعل فكرة التطور الطبيعي الدارويني أمراً ممكناً^{٤٦}.

بل وصل الأمر بأخرين -كالفيزيائي الأمريكي لي سمولين- إلى تطبيق بعض مبادئ نظرية التطور الداروينية على الأكوان المتوازية، فأدخل مفاهيم الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل البقاء على الأكوان التي تتكيف لتبقى^{٤٧}.

والواقع حسب تصريحات كثير من علماء الفرضيات، أنه يتم صياغة الفرضيات على أنها مسلمة علمية رغم سخافة الاقتراحات، لأنها عقيدة مؤدجة ليس إلا، ومنهم عالم البيولوجيا التطورية "ريتشارد لوينتن" يقول وهو يصف حالة الالتزام الأعمى بالمادية، بغض النظر عن توفر الدعم العلمي: "إن استعدادنا لقبول الادعاءات العلمية التي تتعارض مع الفطرة السليمة هو مفتاح فهم الصراع الحقيقي بين العلم والتصورات الدينية، نحن نأخذ جانب العلم على الرغم من سخافة بعض اقتراحاته، وعلى الرغم من تسامح المجتمع العلمي مع ما لا أساس له من الصحة، فإننا مجبرون _حسب تقييدنا المسبق بالأسباب المادية_ لاختراع مجموعة من المفاهيم التي تقدم لنا تفسيرات مادية، ولا يهم مهما كانت غير بديهية، ولا يهم مهما كانت مُحيرة للمبتدئين^{٤٨}.

يقول "كاكاليوس" و"ديفيز" إن وجود عدد لا نهائي من الأكوان الجيبية الصغيرة البديلة، أو الأكوان الفقاعية، والتي يمتلك بعضها فيزياء مختلفة أو ثوابت أساسية مختلفة، فكرة جذابة. ويقول: "لهذا السبب يأخذ بعض الناس هذه الأفكار على محمل الجد، لأنها تساعد في معالجة بعض القضايا الفلسفية"^{٤٩}.

^{٤١} انظر التقرير:

Emergence of life in an inflationary universe - Scientific Reports 3/2/2020. <https://www.nature.com/articles/s41598-020-58060-0>.

^{٤٢} John Gribbin, In search of the multiverse, John Wiley&SonsLLnc., Hoboken, New Jersey, 2009 p.189-190.

^{٤٣} Should People Believe What Scientists Say? April 14, 2004

The Problem of Elite Knowledge in a Democratic Society

Richard C. Lewontin

<https://wolfhumanities.upenn.edu/events/should-people-believe-what-scientists-say>

^{٤٤} What is the multiverse—and is there any evidence it really exists?

ByNadia Drake. March 13, 2023

<https://www.nationalgeographic.com/science/article/what-is-the-multiverse>

نُشرت هذه المقالة في ٤ مايو ٢٠٢٢ .

Confronting the Multiverse: What 'Infinite Universes' Would Mean

News

By Robert Lawrence Kuhn (space.com-expert-voices-banner) published December 24, 2015

<https://www.space.com/31465-is-our-universe-just-one-of-many-in-a-multiverse.html>

^{٤٥} المرجع السابق.

على عدد من الأكوان بقصص وحياة وتوجه مختلف، لأن ذلك يقتضي هدم عقيدة الإيمان بأركان الإيمان الستة.

٣- تختلف فكرة الأكوان المتعددة عن فكرة الأكوان المتوازية وكلها لا تعدوا أن تكون فرضيات، والمعنى المعاصر لهما متقارب.

٤- لم يثبت أي دليل علمي على وجود أكوان متعددة، ولا يمكن إجراء أي رصد أو اختبار لصحة ذلك، حسب تصريحاتهم

٥- الفيزيائيون الذين يدعمون فكرة تعدد الأكوان أغلبهم من أصحاب الفكر اللاحادي، ليس لهم حاجة من العلم إلا أدلجته كي يوافق هواهم.

٦- تلتقي فرضية التطور مع فرضية تعدد الأكوان في أنها تقول بالعشوائية، والصدفة، وانتفاء صحتها علمياً.

٧- جاء على ألسنة الملحدون من الفيزيائيين ما يظهر غرورهم وتعاليمهم عن قبول الحقائق العلمية لدعم أفكارهم الإلحادية

٨- وقوع الملحدون في تناقضات تدينهم، أبرزها أن افتراضاتهم الغيبية لوجود أكوان متعددة تلزمهم بافتراض وجود ذوات غيبية كالذات الإلهية والملائكة، وغيرهم.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي بمناقشة فكرة تعدد الأكوان من قبل المعلمين والمعلمات مع طلابهم وطالباتهم لتفنيد الصواب من الخطأ فيما يتعلق بذلك

٢- أوصي بمناقشة فكرة تعدد الأكوان في البرامج الإذاعية أو الفضائية

٣- أوصي بدراسة علاقة فكرة تعدد الأكوان عند المتصوفة، ودراسة فكرة تعدد الأكوان في الأفلام والمسلسلات، وعمل استبانة لدراسة فكرتها عند المجتمع المسلم، كما أوصي بدراسة فرضية تعدد الأكوان من ناحية فرضية انفتاح العوالم الأخرى، دراسة بعض الشواهد لشخصيات شوهدت ترتدي ثياب أزمنة أخرى وغير ذلك.

وبين فكرة وجود عدد لا نهائي من الأكوان، تصل المصادقية إلى حدها الأقصى. عندما ينزلق المرء إلى هذا المنحدر، يجب قبول المزيد والمزيد من الإيمان، ويصبح أقل فأقل عرضة للتحقق العلمي. ولذلك فإن تفسيرات الأكوان المتعددة المتطرفة تذكرنا بالمناقشات اللاهوتية. وفي الواقع، فإن استدعاء عدد لا نهائي من الأكوان غير المرئية لشرح السمات غير العادية للأكوان التي نراها هو أمر مخصص تمامًا مثل استدعاء خالق غير مرئي. قد تكون نظرية الأكوان المتعددة مُلبسة بلغة علمية، لكنها في جوهرها تتطلب نفس القفزة الإيمانية⁴⁶.

الأمر الثاني:

إن القول ببقاء واستمرار الحياة دليل على تعدد الأكوان، ولو لم يكن هناك تعدد للأكوان لانتهى هذا الكون من زمن بعيد، وخاصة الحياة الذكية القادرة على البقاء والاستمرار، وهذا القول فيه جانب من التأويل الصحيح، وهو أن يكون العالم الغيبي الإلهي الذي خلق الكون وأذن باستمراره إلى أجل معلوم،

قال "ماكولين ساندورا"، عالم الأبحاث المنتسب إلى بلو ماريل: "إن بعض جوانب كوننا تبدو خاصة ومهمة لدعم الحياة، مثل طول عمر النجوم، ووفرة الكربون، وتوافر الضوء لعملية التمثيل الضوئي، واستقرار النوى المعقدة... كل هذه الميزات لا تكون موجودة عادةً إذا تم تسليمك عالمًا عشوائيًا"⁴⁷.

الأمر الثالث: يقين العلماء بعدم استحالة تعدد الأكوان وأن هناك قوة قادرة على فعل ذلك

يقول: سيغفريد: "إن الكون ليس مقيدًا بما يمكن لبعض النقط من البروتوبلازم الموجودة على كوكب صغير اكتشافه أو اختباره". "يمكننا أن نقول، هذا غير قابل للاختبار، وبالتالي لا يمكن أن يكون حقيقياً - ولكن هذا يعني أننا لا نعرف كيفية اختباره. وربما يوماً ما سنكتشف كيفية اختباره، وربما لا نفعل ذلك. ولكن الكون يستطيع أن يفعل ما يريد."⁴⁸

الخاتمة

أولاً: أبرز النتائج:

١- تعدد الأكوان مصطلح ذو معاني مختلفة، منها ما هو صحيح ومنها ما قد يكون خاطئاً.

٢- لا يوجد في الكتاب أو السنة أو الأثر الصحيح الصحيح ما يثبت تعدد الأكوان، وموقف المسلم هو التوقف، إلا إذا تضمن معنى يخالف الشريعة الإسلامية، مثل القول بوجود شخصية مشتركة ومستنسخة من إنسان، ذاتا واسما، مفرقة

⁴⁸ What is the multiverse—and is there any evidence it really exists?

By Nadia Drake
March 13, 2023

<https://www.nationalgeographic.com/science/article/what-is-the-multiverse>

نُشرت هذه المقالة في ٤ مايو ٢٠٢٢.

⁴⁶ A Brief History of the Multiverse

By Paul Davies

April 12, 2003. The newyork times.
<https://www.nytimes.com/2003/04/12/opinion/a-brief-history-of-the-multiverse.html?pagewanted=all>

⁴⁷ What is multiverse theory?

References

By Paul Sutter published August 23, 2021.
<https://www.livescience.com/multiverse#section-theoretical-evidence-of-the-multiverse>

المراجع:

Jersey,2009 p. 62, 63

تطور نظرية الأكوان المتوازية، مايو ١٦، ٢٠٢٣. على رابط

<https://www.roleinformation.net/2023/05/parallel-universes-theory.html>

الكون المبكر. مدونة نشرتها جامعة كوليدج لندن
Eternal Inflation and Colliding Universes.
<https://www.earlyuniverse.org/eternal-inflation-and-colliding-universes/>

On 21 January, 2014, in Outreach, Papers, Science, by admin

Rupert Sheldrake, The science
delusion, Hodder&Stoughton.,Uk
company,2013 p.94

آخر ورقة بحثية لستيفن
هوكينغ تتحدث عن الأكوان المتعددة
7 أكتوبر ٢٠٢١

<https://www.ibelieveinsci.com>.

John Gribbin, In search of the multiverse,
John Wiley&SonsLInc., Hoboken, New
Jersey,2009 p.167

There is no empirical, scientific evidence for
the Multiverse. Adam Frank. 13.8 —
FEBRUARY 3, 2022.

<https://bigthink.com/13-8/multiverse-no-evidence/>

What is the multiverse? May 22, 2018, 4:54
PM +03 / Updated May 22, 2018, 4:53 PM
+03

By Dan Falk.

<https://www.nbcnews.com/mach/science/what-at-multiverse-ncna876136>.

Confronting the Multiverse: What 'Infinite
Universes' Would Mean News, By Robert
Lawrence Kuhn(space.com-expert-voices-
banner)

published December 24, 2015

<https://www.space.com/31465-is-our-universe-just-one-of-many-in-a-multiverse.html>

الأكوان المتعددة - حقيقة عملية أم مجرد فرضية؟
٩ أبريل ٢٠١٩

<https://www.ibelieveinsci.com/%>

John Gribbin, In search of the multiverse,
John Wiley&SonsLInc., Hoboken, New
Jersey,2009 p.189

" مناظرة التضخم " بقلم بول ج. ستينهاردت؛ ساينتفيك
أمريكان، أبريل "The Inflation Debate," by Paul

(What is multiverse theory?

By Paul Sutter published August 23, 2021

<https://www.livescience.com/multiverse>)

موقع معهد الفيزياء الإنجليزي والاسكتلندي

(<https://www.iop.org/education/school-and-college-students/Qubit/finding-yourself-multiverse>)

هل يوجد نسخة منك في أماكن أخرى؟ قناة أطلس الوثائقية
(https://www.youtube.com/watch?v=eH_8OfwlLog)

معجم أكسفورد، رابط:

<https://oxfordre.com/religion/display/10.1093/acrefore/9780199340378.001.0001/acrefore-9780199340378-e-157>

Multiverse Theories: Philosophical and
Religious Perspectiveslocked. Gerald
Cleaver.<https://doi.org/10.1093/acrefore/9780199340378.013.157>

Published online: 22 November 2019

Multiverse, Written by; Anthony
aquirre.Fact-checked by; the editors of
encyclopedia Britannica

Last Updated: Jan 23, 2024 • Article History
1

Siegfried, Tom (17 September 2019). The
Number of the Heavens: A History of the
Multiverse and the Quest to Understand the
Cosmos. Harvard University Press. pp. 51–
61. ISBN 978-0-674-97588-0.

1

The Number of the Heavens: A History of the
Multiverse and the Quest to Understand the
Cosmos, TOM SIEGFRIED. (247-269).
Copyright Date: 2019.Published by: Harvard
University Press

موقع الفيزياء العالمي

MAY 13, 2014

Have cosmologists lost their minds in the
multiverse?

by Luke Barnes, The

Conversation)<https://phys.org/news/2014-05-cosmologists-lost-minds-multiverse.html>)

1

John Gribbin ,In search of the multiverse,
John Wiley&SonsLInc,Hoboken,New

Sciences "11/4/2022.VOL,44. article,13.
<https://link.springer.com/article/10.1007/s40656-022-00485-z>.

Empirical approaches to the study of language evolution. Stevan Hartmann, 3/2/2017

<http://www.replicatedtypo.com/empirical-approaches-to-the-study-of-language-evolution-pbr-special-issue/11718.html>

" Emergence of life in an inflationary universe - Scientific Reports,3/2/2020. Article 1671.

<https://www.nature.com/articles/s41598-020-58060-0>

John Gribbin, In search of the multiverse, John Wiley&SonsLLnc., Hoboken, New Jersey,2009 p.189-190.

Should People Believe What Scientists Say? April 14, 2004

The Problem of Elite Knowledge in a Democratic Society. Richard C. Lewontin
<https://wolffhumanities.upenn.edu/events/should-people-believe-what-scientists-say>

What is the multiverse—and is there any evidence it really exists?

ByNadia Drake. March 13, 2023

<https://www.nationalgeographic.com/science/article/what-is-the-multiverse>

نُشرت هذه المقالة في ٤ مايو ٢٠٢٢ .

Confronting the Multiverse: What 'Infinite Universes' Would Mean

News. By Robert Lawrence

Kuhn(space.com-expert-voices-banner)

published December 24, 2015

<https://www.space.com/31465-is-our-universe-just-one-of-many-in-a-multiverse.html>

A Brief History of the Multiverse. By Paul Davies. April 12, 2003. The newyork times.

<https://www.nytimes.com/2003/04/12/opinion/a-brief-history-of-the-multiverse.html?pagewanted=all>

[J. Steinhardt; Scientific American, April]. ليندي وآخرون يختلفون مع هذا الرأي. من على حق؟ كل هذا يتوقف على ما تفترضه حول فيزياء المجال التضخمي.

AUGUST 1, 2011.13 MIN READ. Does the Multiverse Really Exist?

Proof of parallel universes radically different from our own may still lie beyond the domain of science. BY GEORGE F. R. ELLIS

<https://www.scientificamerican.com/article/does-the-multiverse-really-exist/>

" البحث عن الحياة في الكون المتعدد " بقلم أليخاندرو. جنكينز وجلعاد بيريز؛ ساينتفيك أمريكان، يناير ٢٠١٠ "Looking for Life in the Multiverse," by Alejandro Jenkins and Gilad Perez; Scientific American, January 2010.

معجم المعاني الجامع

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86/>

تفسير الطبري، ص ٣٢٤.

<https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura21-aya30.html>

تفسير ابن كثير، ٢٣٥.

<https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura17-aya36.html>

تفسير ابن كثير، ٢،

<https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura1-aya2.html>

تفسير السعدي

المنتخب، ابن قدامة

الحاوي

البداية والنهاية، ابن كثير

فعاليات الاجتماع العلمي المعنون بـ: (الاتجاهات الجديدة في علم الأحياء التطوري)، والذي شارك فيه علماء من أنحاء العالم منهم من دافع عن النموذج الحالي، ودعا آخرون إلى توسيع التوليف التطوري للداروينية الجديدة وتقديم اقتراحات بنظرية حديثة، ومنهم من دعي لأقصاء التطويرية الداروينية بالكامل،

Is it time to drop Darwinism?

<https://www.sciencefocus.com/nature/is-it-time-to-drop-darwinism>

Why an extended evolutionary synthesis is necessary

Gerd B. Müller. Published:18 August 2017<https://doi.org/10.1098/rsfs.2017.0015>

"The 21st century

Natural selection according to Darwin: cause or effect? - History and Philosophy of the Life

المجلة الدولية للشرية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

Contemporary Images of Ethical Loan Financing.

Dr.Eiman Ahmed Mohamed Khaleel Al Hashimi*
*Assistant Professor-Zayed University-United Arab Emirates

من صور التمويل بالقروض الحسنة المعاصرة.

د. إيمان أحمد محمد خليل الهاشمي*
* أستاذ مساعد- جامعة زايد- الإمارات العربية المتحدة.

E-mail: dr.eimanalhashmi@gmail.com

KEY WORDS

Good loan, crowdfunding, youth projects.

الكلمات المفتاحية

القرض الحسن، التمويل الجماعي، مشاريع الشباب.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

In an era marked by escalating economic challenges and widening disparities between the rich and the poor, obtaining enough financing to transform creative ideas into sustainable projects becomes increasingly difficult. Many young people possess innovative and impactful ideas but lack the necessary funding to turn them into reality, thus risking becoming burdens on societies rather than productive forces that strengthen the economy. Therefore, it has become imperative to explore avenues for financing youth and their projects.

In this research, I will explore loans as one of the most important financing tools, discussing their legitimacy, regulations, and significance. Additionally, I will delve into methods of safeguarding loans from credit risks and provide contemporary examples from some Islamic countries, showcasing modern models of Islamic loans, whether through lending from zakat institutions or crowdfunding platforms on the internet. Through this exploration, I aim to shed light on the potential of loans as a means to empower young entrepreneurs and stimulate economic growth, thereby addressing the pressing challenges of our time.

في عصر يتسم بتصاعد التحديات الاقتصادية، وتتنوع فيه الهوة بين الأغنياء والفقراء؛ تزداد صعوبة الحصول على التمويل الكافي لتحويل الأفكار الإبداعية إلى مشاريع مستدامة أمراً متزايد الصعوبة. يمتلك الكثير من الشباب أفكاراً مبتكرة ومؤثرة، لكنهم يفتقرون إلى التمويل اللازم لتحويلها إلى واقع، مما يعرضهم لخطر أن يصبحوا عبئاً على المجتمعات بدلاً من أن يكونوا طاقات خلاقة ونشيطة تقوي الاقتصاد. ولذلك، أصبح من الضروري استكشاف سبل تمويل الشباب ومشاريعهم. وفي هذا البحث، سأتناول القروض باعتبارها إحدى أهم أدوات التمويل، وأناقش شرعيتها وضوابطها وأهميتها. بالإضافة إلى ذلك، سأتعلم في طرق حماية القروض من مخاطر الائتمان وأقدم أمثلة معاصرة من بعض الدول الإسلامية، وأعرض النماذج الحديثة للقروض الإسلامية، سواء من خلال الإقراض من مؤسسات الزكاة أو منصات التمويل الجماعي على الإنترنت. ومن خلال هذا الاستكشاف، أهدف إلى تسليط الضوء على إمكانات القروض كوسيلة لتمكين رواد الأعمال الشباب وتحفيز النمو الاقتصادي، وبالتالي مواجهة التحديات الملحة في عصرنا.

المقدمة:

تتمكن أهمية التمويل في تدفق الأموال لتحويل الأفكار إلى مشاريع إنتاجية والتي من شأنها أن تحقق التنمية الاقتصادية، والحد من الفقر، والبطالة، والركود، والتضخم، والأخذ بناصية الاستثمارات خاصة الفردية ومتناهية الصغر إلى التنمية المستدامة.

ولا غرو أن ينوع الإسلام في أدوات التمويل بين المفروض العيني كالزكاة والكفائي كالقرض في بعض صورته وحالاته والمسنون كالصدقة والهبات والوصايا... الخ، وهذا التنوع إنما يصب في دفع المجتمع إلى أن يحقق حالة فريدة من التمويل التكافلي والمستدام، والذي يعد جزء من استراتيجية الاقتصاد الإسلامي في توظيف المسؤولية المجتمعية الهادفة إلى تطور وتمكين الأفراد والمجتمع، خاصة في زمن التقلبات، والإضرابات الاقتصادية.

وفي هذا البحث سوف أعرض للقرض- كأداة من أهم أدوات التمويل- ببيان مشروعيته، وأحكامه، وأهميته، ونماذج واقعية معاصرة من بعض دول العالم الإسلامي، وبعض صور معاصرة للقرض الإسلامي سواء كان الإقراض من مؤسسة الزكاة أو التمويل الجماعي عبر منصات التواصل والإنترنت.

أهمية البحث:

١- صعوبة الحصول على التمويل الكافي لتحويل الأفكار المبدعة إلى مشاريع مستدامة؛ فقد يمتلك بعض الشباب بعض الأفكار الخلاقة والمبدعة والمؤثرة ولكنهم يفتقرون للتمويل ليتحولوا إلى عبء على المجتمعات بدل أن يكونوا طاقات خلاقة ونشطة تقوي الاقتصاد.

٢- وجود شريحة متعفة أقرب إلى الفقر، لا يستطيعون كفاية احتياجاتهم من مسكن وتعليم وصحة... الخ، يمنهم تعففهم عن طلب المساعدة أو تمويل مشاريعهم. قال تعالى " ... يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا " {البقرة: ٢٧٣}.

٣- تجدد الاجتهاد في بعض المسائل الفقهية؛ كحكم الإقراض والاقتراض من أموال الزكاة وما هي الشرائح المستحقة لهذا النوع من القروض.

٤- ظهور أنواع تمويلية معاصرة كالتمويل الجماعي الإسلامي بالقروض عبر منصات التواصل الاجتماعي، والإنترنت.

فرضيات البحث:

- ١- القرض الحسن أداة هامة من أدوات التمويل الإسلامي.
- ٢- القرض الحسن أداة تمويلية تناسب جميع شرائح المجتمع الفقيرة، والمتوسطة، والغنية.
- ٣- بإمكان مؤسسة الزكاة تمويل الفقراء بالقروض الحسنة الذين يمتلكون أفكار إبداعية وإنتاجية.
- ٣- يعتبر التمويل الجماعي باستخدام القروض الحسنة أداة تمويلية فعالة لزيادة فرص تمويل الأفراد والمشاريع.

اعتمدت في هذه الدراسة على طائفة من المناهج البحثية: استخدمت المنهج النقلي، كما استخدمت المنهج الاستقرائي، حيث قمت بدراسة كل الجزئيات والوصول منها إلى حكم عام ينطبق عليها وعلى غيرها، وعرجت على المنهج الاستنباطي الذي يقوم على إحكام العلاقة الاستدلالية بين الأصل وما يتفرع عنه فلا تصبح النتائج مجافية للمقدمات، وكذلك اعتمدت المنهج التحليلي ثم النقدي.

البحث:

تعريف القرض الحسن:

القرض في اللغة: مصدر قَرَضَ الشيءَ يَفْرُضُهُ وهو القطع، يقال قَرَضَ الشيءَ بناه إذا قطعه، والقَرْضُ ما تعطيه الإنسان من مالك ليتقاضاه وكأنه شيء قد قطعه من مالك، ويقال: إن فلاناً وفلاناً يتقارضان المدح إذا مدح كل منهما صاحبه وقد قرضه إذا مدحه أو ذمه^١.

والقرض في الاصطلاح: دفع المال إرفاقاً لمن ينتفع به على أن يرد مثله^٢.

والقرض مندوب له شرعاً، وهو من جنس التبرع بالمنافع، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

مشروعية القرض الحسن

أولاً: من كتاب الله

قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " {البقرة: ٢٤٥} -

وقال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ " {الحديد: ١١} -

فكل قرض يراد به نفع الآخرين وكفاية المجتمع إنما ثوابه على الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل ضامن لأن يخلفه للمقرض أضعافاً مضاعفه فضلاً عن المثوبة والأجر المضاعف - يقول القشيري في تفسيره: "بأن القرض الحسن ما يكون من وجه حلال ثم عن طيب قلب، وصاحبه مخلص فيه، بلا رياء يشوبه، وبلا من على الفقير، ولا يكدره تطويل الوعد ولا ينتظر عليه كثرة الأعواض، والمضاعفة (فَيُضَاعِفُهُ) في الحسنات ضاع" بعشر أمثالها إلى ما شاء الله، والأجر الكريم (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) ثواب كبير حسن والثواب الكريم أنه لا يضمن بأقصى الأجر على الطاعة وإن قللت^٣

ثانياً: من السنة النبوية

والقرض من أبواب الخير التي يتقرب المؤمن بها إلى الله؛ ولذا فإن العلماء يستدلون على القرض بأحاديث تنفيس الكرب عن المؤمنين والتفريج عن المعسرين، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي

(١) «مطالب أولي النهى» (٢٣٧/٣).

(٢) القشيري: تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، ج ١/ ٢٩٠-٢٨٧.

(٣) «لسان العرب» (٢١٨/٧).

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^٤، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^٥.

٢- عن أبي رافع رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خَبَارًا رِبَاعِيًّا، فَقَالَ: أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خَبَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً.^٦ قال النووي: "في هذا الحديث جواز الاقتراض والاستدانة وإنما اقترض النبي صلى الله عليه وسلم للحاجة"^٧.

ثالثاً الإجماع^٨

أجمت الأمة على جواز القرض قال ابن قدامة: "وأجمع المسلمون على جواز القرض"^٩ قال القرطبي: "أجمع أهل العلم على أن استقراض الدنانير والدرهم والحنطة والشعير والتمر والزبيب وكل ما له مثل من سائر الأطعمة جائز."^{١٠}

والقرض من باب الإرفاق لا من باب المعاوضات، فإن باب المعاوضات يعطي كل منهما أصل المال على وجه لا يعود إليه، وباب القرض من جنس العارية والمنيحة وإفكار الظاهر مما يعطى فيه أصل المال لينتفع بما يستخلف منه ثم يعيده^{١١}.

ولذا سماه الرسول ﷺ منيحة. فقال: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً: وَرَقًا أَوْ ذَهَبًا، أَوْ سَقَى لَبَنًا، أَوْ أَهْدَى زَقَاقًا، فَهُوَ كَعَدْلٍ رَقْبَةٍ»^{١٢}. وقوله: «منيحة ورق»، إنما يعني به قرض الدرهم، أو «أهدى زقاقًا»، إنما يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل.

وسمي قرضًا حسنًا؛ لأن المقرض يقدم منفعة ماله مدة من الزمن لغيره ويضحي بها من أجل نوال الثواب من الله عز وجل في الدنيا أضعاف ما كان يمكنه الحصول عليه من المقرض إلى جانب الثواب الأخروي^{١٣}.

حكم الزيادة المشروطة على القرض والقرض إذا اشترط في رده زيادة فقد خرج عن موضوعه وهو الإرفاق، ولقد نهى عنه رسول الله ﷺ حيث قال: «مَنْ أَسْلَفَ سَلْفًا فَلَا يَشْتَرِطُ عَلَى صَاحِبِهِ غَيْرَ قَضَائِهِ»^{١٤}.

كما روي عن فضالة بن عبيد^{١٥} أنه ﷺ قال: «كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنَفَعَةً فَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ»^{١٦}.

فكل زيادة مشروطة تشبه الربا؛ لأنها فضل لا يقابله عوض، والتحرز عن حقيقة الربا وعن شبهه واجب، هذا إذا كانت الزيادة مشروطة في القرض، فأما إذا كانت زيادة غير مشروطة فيه ولكن المستقرض أعطاه أجودها فلا بأس بذلك؛ لأن الربا اسم لزيادة مشروطة في العقد ولم توجد، بل هذا من باب حسن القضاء، وأنه أمر مندوب إليه^{١٧}، قال رسول الله ﷺ: «فَإِنْ مِنْ خَيْرٍكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»^{١٨}.

فضل القرض

١. إضافة الله عز وجل "القرض" لاسمه الأعظم ولذاته العلية في قوله تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا" تعظيماً لشأن هذه النفقة، وليبيان أثرها في تحرير الطاقات المهمشة، وإعادتها لدائرة الإنتاج.

٢. مضاعفة الأجر مع تكرار هذا المعنى في مواضع عديدة من السور القرآنية فيه دلالة على عظم دور هذه العبادة في تحقيق العبودية لله وإعمار الأرض بتمويل الشرائح الأضعف في المجتمع وتوجيهها نحو الإنتاج؛ والذي يساهم بدوره في معالجة مشكلة الفقر والحد من التفاوت الفاحش في توزيع الثروة.

٣. فهذه العبادة فيها استعلاء على القيم المادية المجردة، بإنظار المعسرين، وتقريب كربهم والصبر على ذلك؛ ولما روي عن بريدة^{١٩} رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ

(١٣) أخرجه مالك في «موطئه» (٦٨٢/٢) برقم (١٣٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٥٠/٥) برقم (١١٢٥٥) من حديث ابن عمر ب، وقال البيهقي: قد رفعه بعض الضعفاء عن مالك وليس بشيء.

(١٤) فضالة بن عبيد من نافذ بن قيس، من الأنصار، شهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الشام فنزل دمشق وبنى بها دارًا وكان قاضيًا بها في زمن معاوية بن أبي سفيان، ومات بدمشق في خلافة معاوية بن أبي سفيان ت ٥٣ هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠١/٧).

(١٥) ذكره البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٥٠/٥)، رقم (١١٢٥٢) موقوفًا على فضالة ت، وذكر ابن الملقن في «البدر المنير» أنه لم يصح فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: «البدر المنير» (٦٢٢/٦). قال الشوكاني في «الدراري المضيئة» (٣١٦/١): في الباب من الأحاديث والآثار ما يشهد بعضها لبعض.

(١٦) «بدائع الصنائع» للكاساني (٣٩٥/٧).

(١٧) «صحيح البخاري» كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون. بريدة بن الحصيب بن عبد الله، يكنى أبو عبد الله، أسلم حين مر به رسول الله ﷺ في الهجرة، وغزا مع رسول الله ﷺ مغازيه وسكن المدينة ثم رحل إلى البصرة بعد وفاته ﷺ، ثم إلى خراسان غازيًا، ثم مات بمرور سنة ٦٢ هـ في خلافة يزيد بن معاوية. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣٦٥/٧).

(١٨) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٩) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم (٣٠٠٦)، من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه.

(٢٠) صحيح مسلم - كتاب المساقاة، باب من استلف شيئاً فقضى خيراً منه، و (خيركم أحسنكم قضاء ٢٢٤/٣).

(٢١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢/١١/٣٧.

(٢٢) المغني لابن قدامة ٤٢٩/٦ (٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة ٢٠٠٣/٣/٢٤١.

(٢٣) «إعلام الموقعين» (٣٠٨/١)، دار الفكر العربي.

(٢٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٥٢/٣٠)، برقم (١٨٤٠٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٤/١٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢٥) بحث «أساليب التمويل الإسلامية القائمة على البر والإحسان»، /محمد عبد الحليم عمر (ص ٢).

بَعْدَ جَلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةً»^{١٩}.

٤. أجره كما ورد في بعض الأحاديث كعتق رقبة فقال ﷺ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً: وَرَقًا أَوْ دَهَبًا، أَوْ سَقَى لَبْنًا، أَوْ أَهْدَى زَقَاقًا، فَهُوَ كَعَدَلِ رَقَبَةٍ»^{٢٠}.

٥. ثواب انظار المعسر أن يظله الله في ظله، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^{٢١}.

٦. أنها سبب في نفيس الكرب والتيسير على المعسرين والمعونة الإلهية في الدنيا والآخرة، «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^{٢٢}.

أيهما أفضل الصدقة أم القرض:

وختلف العلماء أيهما أفضل الصدقة أم القرض؟^{٢٣}

ويرجع هذا الاختلاف لورد حديثين، يفيد ظاهرهما التعارض: الأول

وقوله ﷺ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ، فَرَأَى عَلَى بَابِهَا مَكْتُوبًا الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ»^{٢٤}. قال عبد الله بن عمرو بن العاص ب: «لَأَنْ أَقْرَضَ رَجُلًا دِينَارًا، فَيَكُونُ عَنْدَهُ ثُمَّ أَخَذَهُ فَأَقْرَضَهُ آخَرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ إِنَّمَا تَكْتُبُ لَكَ أَجْرَهَا حِينَ يُتَصَدَّقَ بِهَا وَهَذَا يُكْتَبُ لَكَ أَجْرُهُ مَا كَانَ عِنْدَ صَاحِبِهِ»^{٢٥}.

الثاني: عن عبد الله بن مسعود— رضي الله عنه— أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يُقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة^{٢٦}. فالحديث الأول يبين أن القرض أعظم أجراً من الصدقة بثمانين درجات، والحديث الثاني يبين بجلاء أن ثواب القرض على النصف من ثواب الصدقة، وأن الشخص إذا أراد أن يصيب أجر الصدقة عن مبلغ ما فإما أن يتصدق به وإما أن يقرض هذا المبلغ مرتين اثنتين. وهذا فعلاً ما فهمه بعض رواة هذا الحديث.

والذي أراه أن هذا التعارض مدفوع بأن الأفضلية تتحقق بشروط منها إخلاص النية لله، وقوة الأثر المترتب عليهما أي أن تعطى للأحوج، وتعدى النفع للآخرين مع استمراريته؛ قال الله عز وجل: "مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ

حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" {البقرة: ٢٦١}

فالصدقة، والقرض من الإنفاق في سبيل الله والله يضاعف لمن كان مخلصاً، ومن تحرى الأحوج في صدقته وقرضه، ومن كان نفعه متعدداً مستمراً. كأن تتصدق على فقير مدقع بأداة حرفة تغنيه وأهله فهذه صدقه أفضل من قرض أثره منقطع، أو أن تقرض شخصاً مبلغاً لتمويل مشروع يغنيه وأهله عمره كله فهذا نفع متعدٍ ومستمر لمحتاج، فهذا أفضل من صدقة لا تغني صاحبها ولا تكفيه.

حكم القرض الحسن التكليفي

الأصل في القرض في حق المقرض أنه قربة من القرب لما فيه من إيصال النفع للمقرض وقضاء حاجته وتقريب كربته، وأن حكمه من حيث ذاته (القرض الحسن) النذب^{٢٧}، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه

"وإن كان أصل الحكم على الترغيب والنذب إلا أنه يدور مع الأحكام التكليفية الخمسة بحسب الوقائع واختلافها، فتارة يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً أو مكروهاً، أو حراماً.

يكون القرض واجباً في حق المقرض إن كان محتاجاً إليه لسد ضرورة من ضروريات

حياته أو حياة من يُعيل، ولم يجد غير القرض سبيلاً لسد هذه الحاجة.^{٢٨}

بل هو من فروض الكفايات لما له من آثار اقتصادية عظيمة على الفرد والمجتمع، يقول الدكتور سالم بن إبراهيم السويلم: "هذا النوع من التمويل فرض كفاية على المجتمع الإسلامي، ومع ذلك لم يحم به من يكفي حتى الآن. فهو فريضة غائبة عن ساحة الاقتصاد الإسلامي اليوم. وقد أجمع العلماء على أن أعمال البر والمعروف، كإطعام الجائع وسقي العطشان وإغاثة الملهوف وفك الأسير ونحوها، فرض كفاية على المسلمين. ومعنى كونها فرضاً على الكفاية أي أنه إذا قام بها من يكفي من المسلمين سقطت عن الباقيين، وإلا أثم الجميع. فهي واجب على المجموع وإن لم تكن

(٢٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب القرض، برقم (٢٤٣١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٧٠/٣): إسناده ضعيف، فيه خالد بن يزيد ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي وأبو زرعة وغيرهم. (٢٥) أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٠/١٣)، برقم (١٠٧٥١).

(٢٦) أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٠) واللفظ له، وابن حبان (٥٠٤٠)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (١٥٩/٤)، وحسنه الألباني، راجع صحيح ابن ماجه.

(٢٧) ابن قدامة: المغني، ج ٦، ص ٤٢٩،

(٢٨) الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ، ج ٢، ص ٨.

(١٩) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب انظار المعسر، برقم (٢٤١٨)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٦٥/٣): إسناده ضعيف.

(٢٠) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٥٢/٣٠)، برقم (١٨٤٠٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٤/١٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم (٣٠٠٦)، من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه.

(٢٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٣) «حاشيتا قليوبي وعميرة» (٣٢٠/٢).

الرهن هو لغة: الثبوت والدوام، يقال: ماء رهن، أي: راكم، ونعمة راهنة، أي: دائمة.

وشرعا: توثقه دين بعين يمكن استيفاءه منها أو من ثمنها.^{٣٥} قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ" {البقرة: ٢٨٣}، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ، وَرَهْنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ.^{٣٦}

٤. كفاية: هي لغة: الضم، وحكى ابن القطاع كفلته وكفلت به وعنه وتثليث الفاء.

وشرعا: ضم ذمة لكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة مطلقا بنفس أو بدين أو عين كمغصوب ونحوه ٣٧، على وجه التوثيق^{٣٨}

قال تعالى تعالى: "قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" {يوسف: ٧٢} - وقال تعالى: "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" {آل عمران: ٢٧}،

قال رسول الله ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأُشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ يَعْنِي: السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى" ^{٣٩}

٥. وللمقترض أن يحفظ أمواله بالتأمين التعاوني التأمين لغة: مأخوذ من الأمانة، وهي ضد الخيانة فيقال: أمنه تأميناً وائتمنه واستأمنه، وفي لغة الفقهاء يعنون به قول أمين، فيقولون أمين، أمنت على الدعاء تأميناً، أي قلت عنده أمين، ومعناه استجب.^{٤٠}

والاصطلاح: عقد تأمين يجتمع عدة أشخاص معرضين لأخطار متشابهة فيدفع كل منهم اشتراكاً معيناً وتخصص هذه الاشتراكات لأداء التعويض المستحق لمن يصيبه الضرر، وإذا زادت الاشتراكات على ما صرف من تعويض كان للأعضاء حق استردادها، وإذا نقصت طوّل الأعضاء باشتراك إضافي لتغطية العجز أو أنقصت التعويضات المستحقة بنسبة العجز، وأعضاء شركة التأمين التعاوني لا يسعون إلى تحقيق ربح، بل إلى تخفيف الخسائر

فرض عين على كل أحد. ويدل على ذلك قوله تعالى: "كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَخَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٨)" {الفجر: ١٧-١٨} ^{٢٩}.

ويكون مندوباً له إذا زادت كفة المصالح على المفسد مثاله تحسين الأحوال المعيشية وزيادة التجارة والاستثمار لمن يجيدهما وإقامة المشاريع الاستثمارية والخدمية التي تسهم في تطور وتنمية المجتمع -

ويكون مباحاً إذا استوت المصالح مع المفسد وغالباً ما تكون في القروض الاستهلاكية، للإعانة على ظروف الحياة المعيشية خاصة إذا علم من نفسه القدرة على السداد. يقول زكري الأنصاري في أسنى المطالب: "وبجوز القرض لمن علم في نفسه الوفاء، وإلا لم يجز؛ إلا أن يعلم المقرض أنه عاجز عن الوفاء"^{٣٠}، ويكون مكروهاً، مثاله "إذا غلب على ظنه أنه يصرفه في مكروه"^{٣١} - وقد يكون حراماً قد مثاله "يحرم كما إذا غلب على ظنه أنه يصرفه في معصية" ويحرم على غير مضطر الاقتراض إن لم يرج وفاءً من سبب ظاهر ما لم يعلم بحاله، أما المضطر فيجوز إقراضه وإن لم يرج الوفاء، بل يجب وإن كان المقرض ولياً كما يجب عليه بيع مال محجوز من المضطر المعسر"^{٣٢}.

ويحرم على القادر المماثلة في سداد الدين؛ لقوله ﷺ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، فَإِذَا أَتَيْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيُتْبِعْ» ^{٣٣}، وقوله ﷺ: «لِيُؤَادِ يُحِلُّ عِرْضَهُ، وَعُقُوبَتُهُ» ^{٣٤}.

كيفية حماية القرض من مخاطر الائتمان

لحماية القرض من مخاطر الائتمان لا بد من

١. كتابة الدين وتوثيقه، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ" {البقرة: ٢٨٢} -
٢. والإشهاد عليه قال تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى" وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا" {البقرة: ٢٨٢}، وقوله تعالى "فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ" وكفى بالله حسيباً {النساء: ٦} -

٣. وطلب الضمانات الكافية من رهن

اللي: المَطْلُ، والواجدُ: الْغَنِيُّ. «غريب الحديث» لابن الجوزي (٣٣٦/٢). وعرضه: شكايته، عقوبته: حبسه. «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٨٤/١).

(٣٥) الروض المربع بشرح زاد المستقنع مختصر المقنع: منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١ هـ)، المحقق: أ. د. خالد بن علي المشيقح، د. عبد العزيز بن عدنان العبدان، د. أنس بن عادل اليتامي، دار ركائز للنشر والتوزيع - الكويت ط ١، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٠ م

(٣٦) رواه البخاري كتاب البيوع باب شراء النبي ﷺ، ٢ / ٢٢٩ حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، محمد أمين، الشهير بابن عابدين [ت ١٢٥٢ هـ] الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار الفكر - بيروت، ٥ / ٢٨١

(٣٨) المبسوط محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣ هـ، مطبعة السعادة - مصر، ودار المعرفة - بيروت، لبنان، ١٦٠/١٩

(٣٩) أخرجه الترمذي (١٩١٨) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٦٠٠٥) باختلاف يسير-

(٤٠) «المصباح المنير»: (١٨/١).

(29)

https://www.aleqt.com/2009/11/07/article_259181.html

(٣٠) «أسنى المطالب» (١٤٠/٢).

(٣١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شمس الدين، محمد بن محمد، الخطيب الشربيني [ت ٩٧٧ هـ] حقيقه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود: دار الكتب العلمية ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ٣/٢٩.

(٣٢) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» للرملي (٢٢١/٤).

(٣٣) أخرجه البخاري، كتاب الحوالات، باب: الحوالة وهل يرجع في الحوالة؟ برقم (٢٢٨٧)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة، برقم (١٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره، برقم (٣٦٢٨)، والنسائي، كتاب البيوع، باب مطل الغني، برقم (٤٦٨٩)، من حديث الشريد بن سويد، وقال ابن الملقن في «البدل المنير» (٦٥٦/٦): صحيح.

هذا النحو، كما ذهب جمهور الشافعية إلى جواز إعارة الغازي وابن السبيل ما يركبون عليه من أموال الزكاة ثم استرداده منهم^{٥٠}.

٢- تعدد اتجاهات النظر الفقهي في مسألة توقف الإجزاء على التملك، من العلماء من قال: يتوقف الإجزاء على التملك. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لِذَلِكَ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقالوا بأن الله تعالى أضاف جميع الصدقات إلى المستحقين بلام التملك، وأشرك بينهم بواو التشريك، فدل على أنه مملوك لهم مشترك بينهم^{٥١}، وأنه تعالى أضاف فيها الصدقات إلى الأصناف الأربعة الأولى بلام الملك، وإلى الأربعة الأخيرة بـ(في) الظرفية، للإشعار بإطلاق الملك في الأربعة الأولى وتقييد الملك في الأخيرة، حتى إذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجع، بخلاف الأولى^{٥٢}.

ومن العلماء من قال بأن الأصناف الأولى ملاك لما عساه أن يدفع إليهم وإنما يأخذونه تملكاً، فكان دخول اللام لانقائهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يكون لما يصرف نحوهم ولا يصرف إليهم، ولكن يصرف في مصالح تتعلق بهم^{٥٣}. ومن العلماء من قال بأن اللام في أية الصدقات ليست للتملك، وإنما هي لام الأجل، كقولك: هذا السراج للداية، والباب للدار^{٥٤}، أو للاختصاص، وهذا المعنى يسري على كل الأصناف المستحقة للزكاة، فتأخذ دون أن تملك^{٥٥}؛ قال ابن حجر: إن اللام في قوله ﴿لِذَلِكَ﴾ لبيان المصرف لا للتملك^{٥٦}.

وفي هذا الرأي الأخير متسع لمثل هذا الحكم، ولكننا نقول إن الإقراض إنما أجاز على سبيل الاستثناء؛ لأن الإرفاق بالفقراء من مقاصد الزكاة، وعليه فإن الأولى أن ندفع لهم هذه الأموال، لا أن يقترضوها، ولكن لما ضافت هذه الأموال عن الوفاء بحاجة هؤلاء الفقراء أجاز الفقهاء المتأخرون هذه القروض من أموال الزكاة حماية لهم من الفقر ومن اللجوء إلى القروض الربوية.

ويؤكد هذا ما قررته الندوة الفقهية الثامنة عشرة لبيت الزكاة الكويتي المنعقدة في لبنان.

أولاً: الأصل عدم جواز الإقراض من مال الزكاة سواء من مالك المال أو من الجهة التي فوضها ولي الأمر بجمع الزكاة وصرفها على مستحقيها^{٥٧}.

ثانياً: يجوز الإقراض من مال الزكاة استثناءً بالضوابط الآتية:

١ - ألا يوجد مستحق حاضر للزكاة وقت الإقراض.

التي تلحق ببعض الأعضاء، فهم يتعاقدون ليتعاونوا على تحمل مصيبة قد تحل ببعضه^{٥٨}.

والتمويل بالقروض الحسنة نظام متبع في الدول المتقدمة مثل بيت التمويل الأمريكي (Lariba) الذي يتبع الأساليب الإسلامية في التمويل، ومكتب الائتمان التركي وبنك جرامين ببنجلادش، وتقوم هذه المؤسسات بجذب الأموال اللازمة للإقراض بما لها من قدرة تنظيمية ومؤسسية، ثم تقدمها في صورة قروض حسنة لأصحاب المشروعات متناهية الصغر بعد دراسة حالاتهم، ويمكن لهذه المؤسسات أن تستقطع مبلغاً من القروض لإدارتها استناداً إلى ما سبق ذكره بالجواز الشرعي لهذه المسألة^{٥٩}. حكم إقراض الفقراء من أموال الزكاة

هذه المسألة من المستجدات المعاصرة التي لم يرد فيها نص، ولم يتناولها العلماء المتقدمون، ولكن المتأخرين أجازوها على سبيل الاستثناء للضرورة، وهي ضيق الموارد واتساع دائرة الفقر والبطالة وانتشار الإقراض الربوي، ولهذه المسألة مدخل فقهي:

١- أن الإيتاء الزكوي له صور متعددة، وأنه لم يقتصر على التملك التام المستقر للأموال، بل قد يكون منفعة، وهو مستفاد من جملة من الأحاديث الشريفة، فقد روي عن أنس أن ناساً من عرينه اجتوا المدينة، فرخص لهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها^{٦٠}.

استنبط ابن حجر من هذا الحديث: أن للإمام أن يخصص بمنفعة مال الزكاة دون الرقبة صنفاً دون صنف بحسب الاحتياج^{٦١}، ويستدل أيضاً بقوله ﷺ: «... وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَطْلُمُونَ خَالِدًا قَدْ اخْتَبَسَ أَنْزَاعَهُ وَأَعْنَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^{٦٢}، ويقول الصنعاني: وحمل الإمام البخاري معناه على أنه جعلها زكاة ماله وصرفها في سبيل الله، وهو بناء على أنه يجوز إخراج القيمة عن الزكاة^{٦٣}.

ويقول ابن حجر: أما خالداً فكان متأولاً بإجزاء ما حبسه عن الزكاة^{٦٤}، وعنه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم أجاز لخالد أن يحاسب نفسه بما حبسه فيما يجب عليه، وهو طريقة البخاري^{٦٥}.

ويقول العلامة الذهلي: وفيه- أي الحديث- شيان؛ جواز أن يعطي مكان شيء شيئاً إذا كان أنفع، وأن الحبس مجزئ عن الصدقة^{٦٦}، وقد يكون الإيتاء في صورة خدمة تقدم كالتعليم والعلاج والدعوة إلى الله والذب عن الإسلام، وهذه ضرورات لا تتحقق مقاصد الزكاة إلا بالقيام بها على

(٥١) «المجموع شرح المذهب» (١٦٥/٦)، «تحفة الحبيب على شرح الخطيب» (٧٩/٣).

(٥٢) «غاية البيان شرح زيد بن رسلان» (٤١٧/١)، «أسنى المطالب» (٣٩٣/١)، «تحفة الحبيب» (٧٩/٣)، «حاشية البيجرمي» (٣٦٠/٣).

(٥٣) «تفسير روح المعاني» (١٢٤/١٠)، «البحر الرائق» (٢٥٩/٢)، «تفسير الفخر الرازي» (٩٠/١٦).

(٥٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٥٢١/٢).

(٥٥) «تفسير المنار» (٥٠٨/١٠)، «أحكام القرآن» لابن العربي (٥٢١/٢).

(٥٦) «فتح الباري» (٣٣٢/٣).

(٥٧) موقع صندوق الزكاة في لبنان

http://www.zakat.orglibrary.

(٥٨) استثمار أموال الزكاة ودوره في تنمية العالم الإسلامي بك د إيمان أحمد خليل رسالة دكتوراة ص ١٠٨

(٥٩) بحث: «أساليب التمويل الإسلامية القائم على البر والإحسان» أ. د/محمد عبد الحليم عمر (ص ٥)، مركز صالح كامل- جامعة الأزهر.

(٦٠) سبق تخريج الحديث ص ١٤٩.

(٦١) «فتح الباري» (٣٦٦/٣).

(٦٢) سبق تخريج الحديث ص ١٥٨.

(٦٣) راجع: «سبل السلام» (٦٥/٣) دار إحياء التراث.

(٦٤) «فتح الباري» (٣٣٣/٣).

(٦٥) المرجع السابق (٣٣٤/٣).

(٦٦) «حجة الله البالغة» (٥١١/١).

(٦٧) «تحفة المحتاج» (١٦٨/٧)، «مغني المحتاج» (١٨٧/٤)، «حاشية الجمل» (٦٠٥/٤).

٢ - أن يوثق المقرض القرض برهن يكافئ، أو كفيل ملى، أو اعتبارهما من الضمانات المعتبرة^(٥٨).

لكنني أختلف في جزئية صغيرة مع هذه الفتوى، وهي اشتراط ألا يوجد مستحق حاضراً للزكاة، إذ كيف يستقيم هذا المعنى والمقرض من مستحقي الزكاة؟! والأصل أن تعطى له هذه الأموال لا أن يقرضها. ثم إن هذا القرض صورة من صور الإنفاق الضروري والفوري لتحقيق مصالح ضرورية وهي توفير وسيلة عمل أو أداء حرفة بأموال هذا القرض ثم استردادها من هامش من الربح، فلا يستقيم هذا المعنى إلا لضرورة أولى من هذه الضرورة كمن أشرف على موت من جوع أو عطش، أو أن يكون هذا القرض زائداً على استحقاقه، أي أنه قد أخذ من أموال الزكاة ما يفي بحاجته.

وفي هذه الحالة لا فائدة من اشتراط أن يكون المقرض من مستحقي الزكاة لأخذه ما يفي حاجته، ولقد استفادت بعض مؤسسات الزكاة من جواز التمويل بالقروض الحسنة من تمويل بعض طلبة الجامعات والمعاهد التطبيقية في الكويت وغير القادرين على دفع رسوم الدراسة والتعليم بإمدادهم بهذه القروض على أن يردوها لمؤسسة الزكاة بعد إتمام الدراسة والالتحاق بالعمل^(٥٩).

أما بنك ناصر الاجتماعي فإن الإدارة العامة للقروض هي التي تمنح القروض بدون فوائد بضمان المرتب أو المعاش، وهذه القروض نوعان: قروض إنتاجية عينية لمن يريدون البدء في مشروعات صغيرة يتعيشون منها لتزيد إنتاجيتهم ويرتفع مستوى دخولهم من خلال تغيير أنماط الإنتاج، للوصول بالتطور العلمي والتكنولوجي إليه. والنوع الثاني هو: قروض حسنة اجتماعية في مناسبات عديدة كالزواج والمرض والحالات الطارئة الملحة ودخول المدارس، وذلك بغرض تخفيف المعاناة عن الأفراد، وللمساهمة في حل مشاكلهم والوقوف بجانب المواطن في حالات العسر.

ومن الجدير بالذكر أن بنك ناصر الاجتماعي يطبق أسلوب القرض الحسن في صورة تمليك وسائل ومستلزمات الإنتاج للمشروعات متناهية الصغر، وبلغت قيمة التمويل الذي قدمه البنك بهذه الصورة منذ عام ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٩ حوالي ٢٥ مليون جنيه^(٦٠)، وكذا بنك جرامين في بنجلادش^(٦١).

اقتراض مؤسسة الزكاة لحاجة مصارفها الشرعية

يجوز لمؤسسات الزكاة أن تقترض لتغطية احتياجات مصارفها الشرعية إذا دعت الحاجة لذلك، لما روي عن أبي رافع ت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خَبِيرًا رِبَاعِيًّا^(٦٢)، فَقَالَ: أَعْطِهِ إِيَّاهُ إِنَّ جَبَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»^(٦٣).

وفي الحديث دلالة على جواز استسلاف الإمام الفقراء إذا رأى بهم خلة وحاجة، ثم يؤديه من مال الصدقة إن كان قد أوصل إلى المساكين^(٦٤). قال ابن حجر^(٦٥): وللإمام أن يقترض على بيت المال لحاجة بعض المحتاجين ليوفي ذلك من مال الصدقة. وقال قاضي القضاة ابن جماعة^(٦٦): فإن ضاقت مصارف بيت المال فللسلطان أن يقترض على بيت المال ما يصرفه في مصارفه، وهو يوفي ذلك إذا اجتمعت أمواله^(٦٧).

وفي «الفتاوى الهندية»: على الإمام أن يجعل بيت المال أربعة؛ لكل نوع بيتاً، لأن لكل نوع حكماً يختص به لا يشاركه مال آخر، فإن لم يكن في بعضها شيء فللإمام أن يستقرض عليه مما فيه مال^(٦٨).

نماذج معاصرة للتمويل بالقرض الحسن:

١. في بنجلادش

لقد أسهم بنك جرامين ومؤسسه الأستاذ الدكتور محمد يونس إسهاماً ريادياً في الحد من الفقر، ومهما أشدنا بذلك الإسهام؛ فإننا لا نبالغ بالحقارة به، وقد أرسى بنك جرامين ومؤسسه الدكتور محمد يونس، اللذان حصلوا على جائزة نوبل لعام ٢٠٠٦ نموذجاً للتمويل الأصغر تتم محركاته من خلال واحدة من أبرز شبكات العالم لمنظمات الائتمان بالغ الصغر الخاصة بالفقراء. ويوجد الآن ستة وثمانون برنامج من برامج الائتمان، والادخار المحاكية لبنك جرامين في ثمان وعشرين دولة. وقد صارت الخصائص الأساسية لنموذج جرامين خصائص قياسية للتمويل الأصغر، مثل تنمية الأعمال الحرة بين الفقراء، وإقراض الجماعات اعتماداً على الكفالة المتبادلة، والقروض الصغيرة المتكررة. ونظراً لانتشار الفقر في العالم الإسلامي، بدأت منهجية جرامين بشكل طبيعي في جذب مساندي التمويل الإسلامي الذين تجمعهم وحدة الهدف. ... نظام جرامين فهو يولي اهتماماً جماً بمراقبة تعليم الأطفال والإسكان والصرف

(٦٤) «مراقبة المفاتيح» (١٠٥/٦).

(٦٥) «فتح الباري» (٥٧/٥).

(٦٦) شيخ الإسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ولد ٦٣٩ هـ، ولي قضاء مصر وقضاء الشام، وجمع له مع الخطابة مشيخة الشيوخ، وتدرّس العادلية مع الرياسة والديانة والصيانة والورع وكف الأذى، وله التصانيف الفائقة النافعة، توفي بمصر ٧٣٣ هـ، ودفن في القرافة. راجع: «البداية والنهاية» (١٦٣/١٤).

(٦٧) «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام» لابن جماعة (١٥١/١)، دار الثقافة - قطر، الدوحة ١٤٠٨ هـ.

(٦٨) «الفتاوى الهندية» (١٩١/١).

(٥٨) نقلاً عن موقع صندوق الزكاة في لبنان

<http://www.zakat.org.lbnany>.

(٥٩) «المواد العلمية لبرنامج التدريب على تطبيق الزكاة» (ص ٥٨٢).

(٦٠) المرجع السابق (٣٦٨).

(٦١) بحث: «أساليب التمويل الإسلامية القائمة على البر والإحسان للمشروعات الصغيرة» أ.د/محمد عبد الحليم (ص ٦).

(٦٢) خياراً رباعياً: الخيار الجيد المختار، والرباعي يقال للذكر من الإبل إذا طلعت رباعيته رباعياً، وللأنثى رباعية، وذلك إذا دخل في السنة السابعة. «النهاية في غريب الأثر» (٢/٤٦٢).

(٦٣) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً ف قضى خيراً منه، برقم (١٦٠٠).

(قرض حسن) بروح تسودها الأخوة الإسلامية يؤدي في ظلها المتطوعون معظم الأنشطة. ولا يوجد تمويل من الجهات المانحة الدولية أو المؤسسات المالية. وتدور جميع الأنشطة حول المساجد وتستدعي تفاعلاً حثيثاً مع المجتمع. ولا يوجد للبرنامج مكاتب مستقلة، بل تصرف القروض وتسترد في المسجد مما يوفر من التكاليف العامة. ويعتمد البرنامج على التمويل الجماعي والفردى دون ضمان بناء على الكفالة المتبادلة. وتصرف القروض في المسجد، مما يضيف المزيد من القداسة على القسم الذي يؤديه المقترض عند تعهده برد الدين في تاريخ استحقاقه.

في باكستان تم استخدام القرض الحسن في المبادرات الخيرية لدعم المساعي الخيرية لتقديم قروض بدون فوائد لتغطية نفقات التعليم والرعاية الصحية. توضح دراسة الحالة هذه كيف يمكن استخدام القرض الحسن كوسيلة لتعزيز الرعاية الاجتماعية ودعم القضايا النبيلة بطريقة مستدامة.^{٧٢}

٥- (تجربة أمان اختيار (بماليزيا):

تعتبر تجربة مكافحة الفقر في ماليزيا من أبرز التجارب التي حققت النجاح على مستوى العالم الإسلامي الذي يعيش ٣٧% من سكانه تحت خط الفقر، فقد استطاعت ماليزيا خلال ثلاثة عقود (٢٠٠٠-١٩٧٠م) تخفيض معدل الفقر من ٥٢,٤% إلى ٥,٥%؛ وهو ما يعني أن عدد الأسر الفقيرة تناقص بنهاية عقد التسعينيات إلى أكثر من ثلاثة أضعاف عما كان عليه الحال في عقد السبعينيات. وقد تم إعداد مشروع أمانة اختيار بماليزيا كتطبيق لمنهجية مصرف جرامين لاستهداف فقراء النساء الذين لا يملكون حتى المنازل ويتحملون مسؤولية عائلية، ويقعون تحت خط الفقر. وقد اعتمدت منهجية الإقراض على مجموعة وسائل مثل بنك جرامين، ويتم تقديم المنتجات التي يمكن توضيحها في الجدول التالي:

أنواع المنتجات المقدمة من خلال مؤسسة أمانة اختيار بماليزيا

الصحي ومياه الشرب النظيفة وقدرة الفقراء على استيعاب الكوارث ومواقف الطوارئ. ويساعد نظام جرامين المقترضين على بناء صناديق المعاشات الخاصة بهم، وغير ذلك من أنظمة التوفير. وفي حالة وفاة المقترض لا يتطلب نظام جرامين من العائلة سداد القرض.^{٦٩}

٢. قرض الإسلامي من بنك ناصر الاجتماعي القرض الإسلامي المقدم من بنك ناصر هو قرض حسن بدون فوائد يعطى لثلاث حالات قرض بنك ناصر للزواج بدون فوائد قرض بنك ناصر أصحاب الظروف الاجتماعية الحرجة مثل الفقراء والعجز والمرض ويشترط هنا توافر تقديم بحث اجتماعي عن طريق هيئة الشؤون الاجتماعية. قرض بنك ناصر لمن صدر عليهم أحكام حبس بسبب عدم سداد الديون المستحقة الدفع ويشترط هنا تقديم شهادة من المحكمة توضح تفاصيل قرار الحبس لهم.^{٧٠}

٣. في إندونيسيا

صميم نموذج للتمويل الأصغر لا يتميز بالتكامل فحسب بل يستخدم المعالجة الروحية كشكل هام من أشكال التدخل. وفي إندونيسيا تشكل مؤسسات بيت المال والتمويل شبكة تتكون من أكثر من ٢٠٠٠ مؤسسة تقدم خدماتها لملايين الفقراء الإندونيسيين المسلمين. وهذه المؤسسات تلقى الدعم من منظمات مختلفة من بينها بنوك إسلامية وبنك "بركريدتان راقبات سيري ما تلقى الدعم أحياناً من منظمات إسلامية مثل نهضة العلماء والمحمدية التي تضم حالياً ما يزيد على مائة مليون عضو. أما تعتبر صناديق الزكاة جزء لا يتجزأ من مؤسسات بيت المال والتمويل. وهي تختلف عن الكثير من برامج ومشاريع التمويل الأصغر الإسلامي التي تقدم منتج واحد فقط (مثل المrabحة أو القرض الحسن) التي توجد في أماكن أخرى، فإن الحافظات التمويلية لمؤسسات التمويل الأصغر الإسلامي تمتاز بالتوازن المعقول واحتوائها على مجموعة من ٤-المنتجات – تقوم على المضاربة والمشاركة والمrabحة والإجارة والقرض الحسن.^{٧١}

٤- يوجد في باكستان أحد نماذج التمويل الأصغر التي أثارت اهتماماً كبيراً بين المراقبين، وهو نموذج "أخوات". ويتم التمويل في صورة قروض صغيرة منعقدة الفائدة

https://caf.journals.ekb.eg/article_127329_475c6958fc64aa494e372264f815c0a7.pdf

^(٧١) تنمية التمويل الأصغر الإسلامي التحديات والمبادرات، المعه د الإسلامي للبحوث والتدريب عضو مجموعة البنك الإسلامي للتنمية.

<https://www.findevgateway.org/sites/default/files/publications/files/mfg-ar-islamic-microfinance-development-challenges-and-initiatives-25871.pdf>

^(٧٢) (<https://fastercapital.com/arabpreneur>)

^(٦٩) تنمية التمويل الأصغر الإسلامي التحديات والمبادرات، المعه د الإسلامي للبحوث والتدريب عضو مجموعة البنك الإسلامي للتنمية.

<https://www.findevgateway.org/sites/default/files/publications/files/mfg-ar-islamic-microfinance-development-challenges-and-initiatives-25871.pdf>

^(٧٠) آليات تفعيل دور القرض الحسن في البنوك الإسلامية لعلاج مشكلة البطالة في مصر د. نشوى محمد عبد ربه قسم الاقتصاد والمالية العامة كلية التجارة جامعة طنطا - ب ١٠٢.

نوع النشاط	التوظيف	الهدف
قروض اقتصادية	قروض تقدم لتمويل مشروعات اقتصادية متناهية الصغر ويعتمد الاستمرار في القرض على اعادته بشكل مستمر	تمويل الأنشطة وزيادة الدخل
قروض تعليمية	قروض تقدم الى العائلات بهدف زيادة تنمية المهارات التعليمية قدراتهم التربوية والتعليمية لهم وأطفالهم	تنمية المهارات التعليمية
قروض متعددة الأهداف	- قروض استهلاكية مثل قروض اعادة التسكين	تحسين الوضع
صندوق الحماية الاجتماعية	لتأمين بغرض الحماية من المخاطر مثل الحرائق والأمراض المزمنة والوفاة	توفير الحماية الاجتماعية

قيمة القرض عن ربع ما في الصندوق عند الطلب، وأن يحصل العضو المقترض على كفيل شخصي من داخل أعضاء الصندوق. والأولوية تعطى للحاجات الضرورية والحالات الإنسانية المستعجلة كالعلاج والتعليم.^{٧٤} التمويل الجماعي الإسلامي: مفهوم التمويل الجماعي:

يقصد بالتمويل الجماعي، طلب الدعم المالي لمشروع ما من خلال ما يسمى بمنصات التمويل الجماعي.

ويتم هذا عن طريق الإنترنت بهدف التسويق لفكرة أو مشروع ما والحصول على ممولين للدعم مقابل نسبة من الأرباح لمدة معينة أو بعض المكافآت التي يمنحها صاحب المشروع أو الفكرة للممول.^{٧٥} أنواع التمويل الجماعي:^{٧٦}

وفقاً للتطبيقات المعاصرة للتمويل الاجتماعي كأداة لجمع الأموال وتقديهما في عدة أشكال ويمكن تقسيمها إلى أربع أنواع:

١. التمويل الجماعي القائم على التبرعات Donations based crowd funding
٢. التمويل الجماعي القائم على المكافآت Reward based crowdfunding
٣. التمويل الجماعي القائم على إقراض النظراء Peer to Peer lending funding P2P
٤. التمويل الجماعي القائم على الأسهم Equity-based crowdfunding

مفهوم التمويل الجماعي الإسلامي: الالتزام بجمع التمويل من جهد جماعي من الأصدقاء والعائلة والعملاء والمستثمرين الأفراد (أو المتبرعين) - عبر الإنترنت بشكل أساسي عبر منصات متوافقة مع الشريعة (وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية)، وذلك بالحرص على القيم الأخلاقية

المصدر - تجارب دولية - استراتيجية التصدي لمشكلة الفقر - دورية ربع سنوية - مركز المعلومات ودعم القرار - مجلس الوزراء - القاهرة - ٢٠٠٣ ص ٨ م وقد ساهم هذا المشروع في زيادة معدلات التنمية على المستوى المحلي وذلك عن طريق خلق العديد من فرص العمل وزيادة الدخل لنسبة كبيرة من المجتمع تقع تحت خط الفقر، ونجحت مؤسسة أمانة اختيار في

مساعدة الفئة المستهدفة مما أدى إلى خروج ٩٩% من الأفراد من دائرة الفقر. علاوة على ذلك تهدف هذه المشاريع الى مساعدة الأفراد على زيادة دورهم في عملية صنع القرار وخاصة في القضايا محل اهتمامهم والقضايا المجتمعية مثل: ١. زيادة في مشاركة الأفراد في المجتمع وخاصة في مؤسسات المجتمع المحلي.

٢. اعتماد الأفراد على الذات، خاصة في الحصول على الموارد اللازمة لتمويل المشروعات وسبل تسويقها. ٣. زيادة قدرات تلك المؤسسات الصغيرة الناشئة، حيث تساهم برامج الدعم في زيادة قوتها ودورها في المجتمع المحلي، وكذلك القيادة المحلية.^{٧٣}

٦- تجارب مؤسسة القرض الحسن تجربة إخوة الكويت: يعتبر صندوق الأخوة الكويتي نموذجاً من نماذج مؤسسات القرض الحسن التكافلية، وهو صندوق عملي وفعال، أنشئ الصندوق في ٢٠٠٧م -

تقوم فكرة الصندوق على مساهمة بمقدار خمسة دنانير شهرية ثابتة من قبل الأعضاء، ويهدف إلى إقراض الأعضاء حصرياً بدون فائدة، أو أي أغراض أخرى تحددها لجنة الصندوق، ولهذا الصندوق شروط وضوابط من أن يسدد العضو جميع ما عليه من مستحقات سابقة وألا تزيد

العالمية، الأردن-9802 file:///C:/Users/z9606/Downloads/9802-214-002-023.pdf

^{٧٥} (مجلة القضاء، العدد الثالث عشر، التمويل الجماعي - دراسة فقهية تطبيقية، د. أحمد بن هلال الشيخ

^{٧٦} (مجلة آراء للدراسات الاقتصادية والإدارية، منصات التمويل الجماعي كأداة بديلة لتمويل المؤسسات الناشئة، خلفاوى بسمه-لايت محمد محمد، ٢٠٢٢/١٢/٣١

^{٧٣} (آليات تفعيل دور القرض الحسن في البنوك الإسلامية لعلاج مشكلة البطالة في مصر د. نشوى محمد عبد ربه قسم الاقتصاد والمالية العامة كلية التجارة جامعة طنطا ب ١٠٠.

https://caf.journals.ekb.eg/article_127329_475c6958fc64aa494e372264f815c0a7.pdf

^{٧٤} (جاني نبيه الله يوسف - مؤسسة القرض الحسن ودورها في معالجة مشكلة الفقر دراسة تحليلية. رسالة دكتوراة جامعة العلوم الإسلامية

منذ عام ٢٠١٥ وقد قامت بمضاهاة مستثمري التجزئة من أكثر من ٥٠ دولة في حملات الاستثمار المؤثر، والتي ركزت في البداية على التطوير العقاري للإسكان الاجتماعي وجمع الأموال مؤخرًا لمشاريع سلسلة التوريد للشركات الصغيرة والمتوسطة ذات الشعبية الكبيرة.

تدير Ethis Group منصات تمويل جماعي أخلاقية وإسلامية في كل من ماليزيا وإندونيسيا وقريبًا في بلدان أخرى. وتشمل هذه المنصات Ethis Malaysia و Ethis Indonesia - GlobalSadaqah.com.

تركز الصدقة العالمية على التمويل الاجتماعي الإسلامي. فهي تساعد على مطابقة الأموال الخيرية مثل الصدقة والزكاة (شكل من أشكال ضريبة الثروة) والوقف (شكل من أشكال الوقف لأغراض دينية) من كل من المؤسسات العامة والمالية مثل البنوك الإسلامية. يتم تقديم التبرعات لحملات خيرية عالية التأثير.

LaunchGood.com

هو أكبر منصة للتبرعات الإسلامية في العالم ومكافأة لمنصة التمويل الجماعي الإسلامية ومقرها الولايات المتحدة. اعتبارًا من مارس ٢٠١٨، جمعت ٣٥ مليون دولار أمريكي في أكثر من ١٠٢ دولة ومولت ٣٢٧٤ حملة، مع التركيز بشكل كبير على حملات جمع الأموال الشخصية، مع جمع الأموال أيضًا للإغاثة في حالات الكوارث والمساعدات الإنسانية في مناطق النزاع. كما أنشأت مؤخرًا مكتب تمثيلي لها في ماليزيا.

Beehive

تعد شركة Beehive، وهي شركة إلكترونية ومؤسسات مقرها في دبي، أول منصة للإقراض من نظير إلى نظير (P2P) في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تخضع لرقابة سلطة دبي للخدمات المالية. باعتبارنا شركة رائدة في مجال التكنولوجيا المالية، فإننا نستخدم التكنولوجيا المبتكرة لربط الشركات التي تسعى للحصول على تمويل سريع وبأسعار معقولة بشكل مباشر مع المستثمرين الذين يمكنهم المساعدة في تمويل نموها.

Sherka

هي منصة تدعم رواد الأعمال لتمويل مشاريعهم الناشئة من خلال تمويل الحشود التي تعتمد على شبكة من المستثمرين الموثوق بهم. تمكن المنصة أعضاء شبكتها من توزيع رؤوس أموالهم بين الشركات الناشئة المتعددة بناءً على اختياراتهم، مما يؤدي إلى محفظة متنوعة من استثمارات بدء التشغيل تقلل من التعرض للمخاطر بشكل عام.

ومعايير المسؤولية الاجتماعية وتضمن توزيعاً عادلاً للمزايا والمسؤولية الاجتماعية بين كل الأطراف في التعاملات المالية وأهم جانب يركز عليه التمويل الإسلامي المشاركة في الربح والخسارة، أو يتجنب التمويل الجماعي الإسلامي كل الفوائد على القروض، و الترويج للمواد المحظورة مثل القمار والكحول ولحم الخنزير وأي عناصر أخرى محظورة في الإسلام^{٧٧}

النموذج القائم على القرض الحسن: تهدف منصة التمويل الجماعي تحفيز ودعم الأسر وأصحاب المبادرات من الشباب للقيام بمشاريع مصغرة هدفها تحسين دخولهم، وتقديم منتجات وخدمات للمجتمع، تسد احتياجاتهم دون الاعتماد على المساعدات والهبات، حيث يتم تقديم قروض حسنة ضمن منصة التمويل الجماعي بقدر الاستطاعة وتوجه إلى صاحب مبادرة أو أسرة لديها مشروع إنتاجي أو خدمي بسيط ويتم تسديد أصل القرض بعد نجاح و ثم يأتي مشروع ثان يتم تمويله بنفس الطريقة، وبهذا نضمن دوران رأس المال بين المشاريع المختلفة والموجهة للفئات المحتاجة. وقد اعتبر مجلس الخدمات الإسلامية IFSB، التمويل الجماعي في تقريره لسنة ٢٠١٧ حول الاستقرار المالي أنه يمثل جوهر التطور في النظام المالي الإسلامي وقد اعتبر المجلس خمس منصات شرعية للتمويل الجماعي. متواجدة ضمن نطاق دول منظمة التعاون الإسلامي

- مجموعة Ethics

- منصة Lunchgood.com

- منصة Beehive الإمارات .

- منصة Shekra مصر .

أمثلة مختارة لمنصات التمويل الجماعي الإسلامية والمسلمة في ماليزيا، ولمحة موجزة عن نماذج التمويل الجماعي

١. مجموعة ETHIS

تم تأسيس Ethis كنادي استثماري خاص في سنغافورة في عام ٢٠١٤ قبل الانتقال إلى ماليزيا، ومؤخرًا في أواخر عام ٢٠٢٠ مُنحت أول رخصة تمويل جماعي للأسهم الماليزية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية من قبل هيئة الأوراق المالية في ماليزيا.

Ethis هي شركة رائدة معترف بها على نطاق واسع في هذا المجال ، بعد أن فازت بالعديد من الجوائز والأوسمة على مدار السنوات القليلة الماضية.

تقع غالبية أعمال المجموعة في إندونيسيا، حيث حصلت على موافقة تسجيل تمويل P2P المطلوبة بشدة من هيئة الخدمات المالية في عام ٢٠١٩. تتواجد Ethis في إندونيسيا

^(٧٧) مجلة البحوث الإدارية والاقتصادية، التمويل الجماعي الإسلامي كآلية مستحدثة لتمويل المؤسسات الناشئة في الدول العربية: الفرص والتحديات، فارس طارق-رضا موسى-سليم قصار ، ٢٠٢١/٦/١.

التوصيات:

قروض حسنة ضمن منصة التمويل الجماعي بقدر الاستطاعة وتوجه إلى صاحب مبادرة أو أسرة لديها مشروع إنتاجي أو خدمي بسيط ويتم تسديد أصل القرض بعد نجاح وثم يأتي مشروع ثان يتم تمويله بنفس الطريقة، وبهذا نضمن دوران رأس المال بين المشاريع المختلفة والموجهة للفئات المحتاجة.

١. تشجيع المؤسسات التطوعية والخيرية الإسلامية والبنوك والمصارف الإسلامية على تمويل مشاريع الشباب المبتكر بالقروض الحسنة.

٢. مراجعة بعض الفتوى للبنوك والمصارف الإسلامية الخاصة بالقروض الحسنة والتي تخرجها عن مفهومها الشرعي

٣. العناية بمشاريع الشباب وتسهيل تمويل مشاريعهم بالقروض الحسنة.

٤. تشجيع المؤتمرات والأبحاث العلمية التي تسهم في ابتكار أدوات تمويل -تتوافق مع ضوابط التشريع - تمكن الشباب من تحقيق طموحهم وما يملكونه من عبقرية وإبداع.

النتائج والخاتمة:

١. القرض الحسن أداة هامة من أدوات التمويل الإسلامي؛ وهو جزء من استراتيجية الاقتصاد الإسلامي في توظيف المسؤولية المجتمعية الهادفة الى تطور وتمكين الأفراد والمجتمع.

٢. اتفق الفقهاء المتقدمين والمتأخرين على أن القرض إذا اشترط في رده زيادة فهو ربا؛ لقوله ﷺ «كُلُّ قَرْضٍ جَرٌّ مَنفَعَةٌ فَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الرِّبَا».

٣. بعض العلماء قدم القرض على الصدقة المسنونة لورد بعض الآثار بذلك، ولما لها من دور في تحرير الطاقات المهمشة، وإطلاق الأفكار الخلاقة

٤. الأصل في القرض أنه قربة من القرب لما فيه من إيصال النفع للمقترض وقضاء حاجته وتقريب كربته، وأن حكمه من حيث ذاته (القرض الحسن) النذب، والندب إلا أنه يدور مع الأحكام التكليفية الخمسة بحسب الوقائع واختلافها، فتارة يكون واجبا، أو مندوبا، أو مباحا، أو مكروها، أو حراما.

٥. من وسائل حماية القرض من مخاطر الائتمان، الوثائق بالكتابة، والإشهاد، والرهن والكفالة، التامين التعاوني... الخ.

٦. لما شح كثير من الناس عن اخراج زكواتهم ×وأضافت هذه الأموال عن الوفاء بحاجة الفقراء أجاز الفقهاء المتأخرون الإقراض من أموال الزكاة بشروط حماية لهم من الفقر وحماية من اللجوء إلى القروض الربوية.

٧. يجوز لمؤسسات الزكاة أن تقتصر لتغطية احتياجات مصارفها الشرعية إذا دعت الحاجة لذلك.

٨. التمويل بالقرض الحسن من أنجح الأساليب التمويلية التي مارسها البنوك والمؤسسات الزكوية والتطوعية الإسلامية المعاصرة للحد من الفقر والبطالة.

٩. من نماذج القروض المعاصرة النموذج القائم على التمويل الجماعي للقرض الحسن لتحفيز ودعم الأسر وأصحاب المبادرات من الشباب للقيام بمشاريع مصغرة هدفها تحسين دخولهم، وتقديم منتجات، حيث يتم تقديم

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The places in which the Almighty's saying (So We answered his call) were mentioned with an objective interpretation About prophets Noah and ayuwb, peace be upon them, are examples

Dr.Lulwah bint Abdullah bin Ahmed Bakhit *

*Associate Professor um Al-Qura University - Specialization in interpretation and sciences of the Qur'an.

E-mail: labakhit@uqu.edu.sa

المواضع التي ذكر فيها قوله تعالى { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ } تفسيراً موضوعياً الأنبياء نوح وأيوب عليهما السلام أنموذجاً.

د. لولوة بنت عبد الله بن أحمد بخيت *

* أستاذ مشارك بجامعة أم القرى - تخصص تفسير وعلوم القرآن.

KEY WORDS

places, response, interpretation, Noah, ayuwb.

الكلمات المفتاحية

المواضع، الاستجابة، تفسير، نوح، أيوب.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

The research aims to clarify that God Almighty is close to us, hears our supplications, and responds to us, and if we contemplate the supplications of the prophets in the Qur'an, we will notice that God answered their supplications in Surat Al-Anbiya, and the secret of that is that they were hastening to do good deeds and supplicating humbly, with fear and greed.

The importance of the topic and the reasons for choosing it: The honor of serving the Book of God Almighty, and learning about some of its secrets. The honor of knowledge is equal to the honor of its subject. There is nothing more honorable than studying the Holy Qur'an and extracting some of its guidance and guidance.

The research consists of an introduction, two sections and a conclusion, and is based on the inductive and analytical method.

Results: One of the reasons for prayers being answered is devotion, supplication, and showing weakness and lack in the hands of God Almighty.

When God Almighty gives, he is astonished by His giving, because nothing on earth or in heaven is impossible for Him - and turning to God Almighty in supplication with one of His beautiful names and attributes appropriate to the situation of the supplicant is more effective and more effective in supplication and quicker in answering.

يهدف البحث إلى إيضاح أن الله عز وجل قريب منا يسمع دعاءنا، ويستجيب لنا، وإذا تأملنا دعاء الأنبياء في القرآن تلاحظ أن الله استجاب دعائهم في سورة الأنبياء والسر في ذلك أنهم كانوا يسارعون في الخيرات والدعاء بخشوع وخوف وطمع. أهمية الموضوع وأسباب اختياره: التشرف بخدمة كتاب الله تعالى، والاطلاع على بعض أسرار شرف العلم بشرف موضوعه. فلا أشرف من مدارس القرآن الكريم واستخراج بعض ما فيه من الهدايات والتوجيهات.

ويقع البحث في مقدمة، ومبحثين وخاتمة، ويقوم على المنهج الاستقرائي والتحليلي.

النتائج: أن من أسباب استجابة الدعاء التفرغ والابتغال وإظهار الضعف والافتقار بين يدي الله تعالى.

أن الله تعالى إذا أعطي أذهل بعبثائه، لأنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء - والتوجه إلى الله تعالى متضرعاً بأحد أسمائه الحسنی وصفاته المناسبة لحال الداعي أجدى وأبلغ في الدعاء وأسرع في الإجابة.

المقدمة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازي لها بما عملت، سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، أحمده تعالى وأشكره، وأنتي عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أما بعد،

فيقول الله تعالى في محكم آياته) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [البقرة: ١٨٦] وهذا يدل على أن الله قريب منا يسمع دعاءنا ويستجيب لنا، وإذا تأملنا دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن نلاحظ أن الله قد استجاب كل الدعاء ولم يخذل أحداً من عباده، وبعدما ذكر الله تعالى دعاء أنبيائه واستجابته لهم قال عنهم: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠]

ومن هذه الآية الكريمة نستطيع أن نستنتج أن السر في استجابة الدعاء هو أن هؤلاء الأنبياء قد حققوا ثلاثة شروط وهي:

(١) المسارعة في الخيرات (٢) الدعاء بطمع وخوف (٣) الخشوع لله تعالى.

وقد جاء في القرآن الكريم استجابة الله لبعض أنبيائه بقوله: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} لنبي الله نوح ونبي الله أيوب، - عليهما السلام - وتلك الأدعية وردت في سورة واحدة هي سورة الأنبياء وهي مدار بحثي الذي سأكتب فيه بعنوان:

((المواضع التي ذكر فيها قوله: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} تفسيراً موضوعياً))

وسأل الله عز وجل التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. التشرف بخدمة كتاب الله تعالى، والاطلاع على بعض أسرار. شرف العلم بشرف موضوعه. فلا أشرف من مدارسة القرآن الكريم واستخراج بعض ما فيه من الهدايات والتوجيهات.

٢. كثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في هذه الآيات؛ مما يجدر بكل طالب علم الاستفادة منها، وبذل الجهد في استخراجها.

٣. ما نراه اليوم من العجلة وقلة الصبر وغلبة الهوى من جراء الغفلة والبعد عن تدبر القرآن فلعن ذلك تذكيراً لنفسي ولمن يطلع عليه فينتفع به

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثاً تفرد بهذه الآيات. أما الأنبياء فهناك العديد من الكتب التي تفردت بها ولا سبيل لحصرها:

(١) دعاء الأنبياء والصالحين للشيوخ محمد متولي الشعراوي جمع وإعداد سعيد عثمان، الدار العالمية للنشر ط ١، ١٩٩٨م
(٢) أدب الأنبياء مع الله في الدعاء دراسة في ضوء القرآن الكريم، د/ حسن بن نجح العجمي بحث في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق المجلد ٣٤ العدد ٢ - أبريل ٢٠٢٢م.

ما تميز به البحث:

١. الأبحاث السابقة تتحدث عن دعاء الأنبياء عامة ولكن هذا البحث يتناول إجابة دعائهم.

٢. ربطت الآيات بقصص الأنبياء ثم فسرتها تفسيراً موضوعياً.

منهج البحث:

١. استخدمت المنهج الاستقرائي لجمع مادة البحث العلمية، ثم المنهج التحليلي في تحليل هذه المادة وصياغتها، ووضعها في سياقها المناسب للبحث.

٢. عند استشهادي بجزء من آية من كتاب الله في صلب البحث حرصت على كتابة اسم السورة ورقم الآية،

٣. عزوت الأحاديث إلى مظانها فما وجدته في الصحيحين اقتصرته عليه، وإلا رجعت لكتاب من الحديث وبينت درجته.

٤. رجعت إلى كلام أهل العلم في كتب تفسير الآيات، والتعليق عليها.

٥. وثقت الأقوال من مصادرها التي رجعت إليها.

٦. اكتفيت بتعريف الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

٧. لم أترجم للأعلام - وهم قليل - طلباً للاختصار بما يتناسب مع حجم البحث.

المبحث الأول: استجابة دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الأول: نداء نوح عليه السلام ربه عز وجل:

نادى نوح عليه السلام ربه قال تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ) [الأنبياء: ٧٦-٧٧] ومعنى: {من قبل} (أي من قبل إبراهيم ومن ذكر معه) (١) وقوله: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) [الصافات: ٧٥-٨٢]

(أن نوحاً دعا ربه على قومه لما عصوه. فالنداء هنا هو: نداء الدعاء لله، والاستغاثة به، كقوله: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح: ٢٦] وقوله: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) [القمر: ١٠] (٢)

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت ط ١٤١٤ هـ. ٢٠٣/٦.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة بيروت ط ١٤١٥ هـ. ١٦٩/٤

المطلب الثاني: سبب استجابة الله عز وجل لنداء نبيه نوح عليه السلام الآيات:

(وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٧٧}) [الأنبياء ٧٦-٧٧]

(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {٧٨} سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ {٨٢}) [الصافات ٧٥-٨٢]

استجابة الله عز وجل لنداء نبيه نوح عليه السلام:

نادى نوح عليه السلام ربه قال تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ) وقوله: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) فرد الله عليه نداءه بقوله: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) وقوله (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) ومعنى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) (مِنْ قَبْلُ) (أي من قبل إبراهيم ومن ذكر معه) (٣)

سبب استجابة الله عز وجل لنداء نبيه نوح عليه السلام

١. كان عبداً مؤمناً بالله وحده (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) [الصافات: ٨١]

٢. كان محسناً (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [الصافات: ٨٠] (أي يبقى عليهم الثناء الحسن) (٤)

٣. كان عبداً شكوراً (ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الأنبياء: ٣]

اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكوراً، فقال بعضهم الله بذلك لأنه كان:

١. (كان كثير الشكر) (٥)
٢. (كَانَ عَبْدًا شَكُورًا يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ وَلَا يَرَى الْخَيْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ إِذَا لَيْسَ ثَوْبًا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِذَا نَزَعَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: شَكَرُهُ إِذَا أَكَلَ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْأَكْلِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: لِأَنَّهُ كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى طَعَامِهِ.) (٦)

٣. (كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني. وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء

أظمأني. وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني. وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني. وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية، ولو شاء حبسه. وروى أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به، فإن وجده محتاجاً أثره به) (٧)

٤. (وعن مجاهد قال: إنه لم يجد ثوباً قط إلا حمد الله، ولم يبل ثوباً قط إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة، وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا.

٥. وقال قتادة، قال الله لنوح (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ذكر لنا أنه لم يستجد ثوباً قط إلا حمد الله، وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوباً أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به، وأواري به عورتني.

٦. وقال أيضاً: كان إذا لبس ثوباً قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: (الحمد لله) (٨).

المطلب الثالث: الكرامات التي أكرم الله عز وجل به نبيه نوح عليه السلام

١. (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) وقوله: (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) نجاه الله وأهله المؤمنون منهم، من الغرق (بالطوفان، وقيل: أدبته قومه وأصل الكرب الغم الشديد) (٩).

٢. (وَنَصَرْنَاهُ) (نصراً مستتباً للانتقام والانتصار) (١٠) للانتقام من قومه السوء، (فلم يترك منهم أحداً بل أغرقهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم بسبب إصرارهم على الذنب) (١١). وتكذيبهم له وما يصدر منهم إليه من أنواع الأذى.

٣. (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) (عن قتادة رضي الله عنه قال: فالناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام) (١٢) (وذلك لأن الله أهلك الكفرة بدعائه، ولم يبق منهم باقية، ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل، ولم يبق إلا أولاده. قال سعيد بن المسيب: كان ولد نوح ثلاثة، والناس كلهم من ولد نوح) (١٣).

٤. (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ثناء حسناً جميلاً آخر الدهر) (١٤) (والسلام هو:

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار احياء التراث العربي بيروت د.ت: ٤/٢٩٩

(١٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود: ٤/٢٩٩

(١١) ينظر فتح القدير للشوكاني: ٥/٦٨

(١٢) ينظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور، للسيوطي، دار الفكر، بيروت د.ت: ٨/٣٣٨

(١٣) ينظر فتح القدير للشوكاني: ٦/٢٠٣

(١٤) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٤٢٢هـ: ٥/٤١٨

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤/١٦٩

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٤٢٣هـ: ١٥/٩٠

(٥) لباب التأويل للآخازن، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٥هـ: ٤٠/١٣٨

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠/٢١٣

(٧) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١٤٠٧هـ: ٢/٦٤٨

(٨) ينظر: جامع البيان للطبري: ١٧/٣٥٤

الثناء الحسن، أي: يثنون عليه ثناءً حسناً، ويدعون له، ويترحمون عليه^(١٥).

المبحث الثاني: استجابة دعوة أيوب عليه السلام.

المطلب الأول: نداء أيوب عليه السلام لربه عز وجل.

(وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) [الأنبياء ٨٢-٨٤]

(وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) [ص: ٤٤: ٤١]

(أنه شكا ضعفه وضره استعطافاً لرحمته)^(١٦)

(حكى الحسن البصري: أن أيوب آتاه الله مالاً وولداً فهلك ماله، ومات أولاده، فقال: ربّ قد أحسنت إليّ الإحسان كلّهُ، كنتُ قبل اليوم شغلني حبُّ المالِ بالنهار، وشغلني حبُّ الولد بالليل، فالآن أفرغ لك سمعي وبصري وليلي ونهاري بالحمد والذكر)^(١٧).

المطلب الثاني: استجابة الله عز وجل لنداء نبيه أيوب عليه السلام.

الآيات:

(وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {٨٣} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ {٨٤}) [الأنبياء: ٨٣-٨٤]

(وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ {٤١} ارْجُضْ بَرْجُوكَ هَذَا مُتَغَسِّلًا بَارِدًا وَشَرَابًا {٤٢} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ {٤٣} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّهُ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {٤٤}) [ص ٤٤-٤١]

استجابة الله عز وجل لنداء نبيه أيوب عليه السلام:

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) [الأنبياء ٨٤]

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) (السين والثناء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بإثر كلامه وكشفنا ما به من ضرر، إشارة إلى سرعة كشف الضر عنه.

والكشف: مستعمل في الإزالة السريعة)^(١٨)

(رفعنا ما به من شدة)^(١٩)

سبب نداء أيوب عليه السلام لربه عز وجل، ووصف الداء الذي أصابه:

(أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء ٨٢ - ٨٤] (كان بلاء أصابه في بدنه وأهله وماله)^(٢٠)

(أنه ابتلي بإصابات لحقت أمواله متتابعة فأتت عليها، وفقد أبنائه السبعة وبناته الثلاث في يوم واحد، فتلقى ذلك بالصبر والتسليم. ثم ابتلي في جسده وتلقى ذلك كله بصبر وحكمة وهو يبتهل إلى الله بالتمجيد والدعاء بكشف الضر. وتلقى رثاء أصحابه لحاله بكلام عزيز الحكمة والمعرفة بالله،

وأوحى الله إليه بمواظبة. ثم أعاد عليه صحته وأخلفه مالا أكثر من ماله وولدت له زوجة أولادا وبنات بعدد من هلكوا له من قبل.

وقوله: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) والمس: الإصابة الخفيفة. والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف)^(٢١)

((أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) والضر بضم الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزل، أو في ماله من نقص ونحوه. وفي قوله تعالى: (وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) التعريض بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمة تعريضاً بسؤاله، وكون الله تعالى أرحم الراحمين لأن رحمته أكمل الرحمات لأن كل من رحم غيره فإما أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة أو دفعاً للرقعة العارضة للنفس من مشاهدة من تحق الرحمة له فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وإما رحمته تعالى عياده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية)^(٢٢)

ودعاء أيوب المذكور ذكره الله في سورة "الأنبياء" من غير أن يسند مس الضر أيوب إلى الشيطان في قوله: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأنبياء ٨٢-٨٤] وذكره في سورة "ص" وأسند ذلك الشيطان في قوله: (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [ص: ٤١-٤٤] والنصب على جميع القراءات معناه: التعب والمشقة والعذاب: الألم. وفي نسبة ما أصابه من المشقة والألم إلى الشيطان في سورة "ص" هذه إشكال قوي معروف. لأن الله ذكر في آيات من كتابه: أن الشيطان ليس له سلطان على مثل أيوب من الأنبياء الكرام. كقوله: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٩٩} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ {١٠٠}) [النحل ٩٩-١٠٠]^(٢٣)

(وأن أيوب نسب ذلك في "ص" إلى الشيطان. ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله. ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العافية الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب، لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنتشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء، فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل، وهلاك المال لأسباب متنوعة. ولا مانع من أن يكون جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء وقد أوضحنا جواز وقوع الأمراض والتأثيرات البشرية على الأنبياء)^(٢٤)

((أَنِّي مَسَّنِيَ) ص: ٤١-٤٤]: حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه

(٢٠) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: ٤/ ٢٣٧

(٢١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٩٢/ ١٧

(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٩٣/ ١٧

(٢٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: ٤/ ٢٣٨

(٢٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: ٤/ ٢٤٠

(١٥) ينظر فتح القدير للشوكاني: ٦/ ٢٠٣

(١٦) ينظر: النكت والعيون للماوردي، دار الكتب العلمية دت: ٣/ ٩٠

(١٧) ينظر: النكت والعيون للماوردي: ٣/ ٩٠

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٩٣/ ١٧

(١٩) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي، دار الفكر ببيروت دت: ٣/ ١٣٧

العليل إلى الطبيب، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها، فإذا صحَّ أن يسمى صابراً مع تمني العافية وطلب الشفاء) (٣٣)

وصف الله عز وجل نبيه أيوب عليه السلام في كتابه: (وَأَنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) {٤٤} [ص ٤١ - ٤٤] (وروي أن أيوب عليه السلام كان برا تقيا رحيمًا بالمساكين، يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، شاكرا لأنعم الله تعالى) (٣٤)

(وَذَكَرَ لِلْعَابِدِينَ) (يعني: عظة للمطيعين؛ وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليعتبروا به، لأن أيوب عليه السلام لم يفتر عن عبادة ربه عز وجل في بلائه) (٣٥)

وصف الله عز وجل لنبيه أيوب عليه السلام العلاج في كتابه:

(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) {٤٢} [ص ٤١ - ٤٤]

(هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (أي: هذا ماء تغتسل به وتشرب منه، فيبرأ باطنك وظاهره، وتتقلب ما بك قلبه. وقيل: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله، وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها) (٣٦)

(قال أيوب: كان الركض برجلي أشد على من البلاء الذي كنت فيه. قال ابن عباس: لما قال الله تعالى له: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) ففعل، فانفجرت عين اغتسل منها فصاح جسده. ثم قيل له: اركض برجلك ففعل، فخرجت عين فشرب منها، فالتأم ما في جوفه) (٣٧)

(قيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهره بدنه دابة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت، ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ)) (٣٨)

(أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) قاتاه جبريل عليه السلام فقال (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) فرجع إليه حسنه وشبابه) (٣٩)

(وعنى بقوله (مُغْتَسَلٌ): ما يُغْتَسَلُ به من الماء، يقال منه: هذا مُغْتَسَلٌ، وغسول للذي يُغْتَسَلُ به من الماء. وقوله

وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب. وقيل: الضر في البدن، والعذاب في ذهاب الأهل والمال. فإن قلت: لم ينسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلمه الله على أنبيائه ليقضي من إيتاعهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟ قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبته إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه) (٢٥)

(أَنِّي مَسْنِي) (ص: ٤١-٤٤): والضرُّ شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما) (٢٦)

(استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه) (٢٧)

(عن قتادة رضي الله عنه في قوله (بُنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [ص ٤١-٤٤] [ص: ٤١-٤٤] قال: (بُنُصْبٍ) الضر في الجسد (وَعَذَابٍ) قال: في المال) (٢٨).

كم كانت مدة بلائه:

(«إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا يُعَوِّدَانِهِ وَيُعْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرْوَحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبُ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ لَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَكْثِفُ مَا بِهِ. ثُمَّ رَاحَا إِلَيْهِ فَلَمْ يَصْبِرَا، حَتَّى ذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ) (٢٩)

(في هذه الآيات المذكورة سؤال معروف، وهو أن يقال: إن قول أيوب المذكور في "الأنبياء" في قوله: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرِّ) وفي "ص" في قوله: (أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)

كيف وجده صابراً وقد شكاً إليه ما به واسترحمه؟

١- (وَأَنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يدل على كمال صبره) (٣٠)، (وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) علمناه صابراً) (٣١).

٢- (أن ما صدر من أيوب دعاء وإظهار فقر وحاجة إلى ربه، لا شكوى ولا جزع) (٣٢) (والشكوى إلى الله عز و علا لا تسمى جزعاً، ولقد قال يعقوب عليه السلام: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ) [يوسف: ٨٦] وكذلك شكوى

(٣١) ينظر: الكشف: ٢٥/٦

(٣٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٨/٤

(٣٣) ينظر: الكشف: ٢٥/٦

(٣٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥/١٥

(٣٥) ينظر: بحر العلوم: ١٣٧/٣

(٣٦) ينظر: الكشف: ٢٤/٦

(٣٧) ينظر: بحر العلوم: ١٣٦/٣

(٣٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/٤٣٢،

تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٧/٤

(٣٩) ينظر: الدر المنثور: ٤١٦/٨

(٢٥) ينظر: الكشف: ٢٤/٦

(٢٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/٤٣٢

(٢٧) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/٤٣٢

(٢٨) ينظر: الدر المنثور: ٤١٤/٨

(٢٩) ينظر: بحر العلوم: ١٣٦/٣ والحديث أخرجه الطبري

(١٦٧/٢٣) وأبو يلعى (٢٩٩/٦) (٣٦/٧) والبزار في كتاب علامات

النبوة باب: أيوب حديث (٢٣٥٧/١٠٧/٣)، من حديث أنس وقال الهيثمي

في المجمع (٢١١/٢) رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال

الصحيح

(٣٠) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٨/٤

(رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) [ص ٤١-٤٤] (وَذِكْرَى
لِلأُولَى الْأَلْبَابِ) (أَنَّ الْهَيْبَةَ كَانَتْ لِلرَّحْمَةِ لَهُ وَلِتَذْكِيرِ أُولَى
الْأَلْبَابِ، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم
في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم)
(٥٠) (تذكيراً للعابدين أي الذين يعبدون الله لأنهم هم
المنتفعون بالذكرى). (٥١).

(والذكرى: التذكير بما هو مظنة أن ينسى أو يغفل عنه، أي
وتنبيهها للعابدين بأن الله لا يترك عنايته بهم). (٥٢)
(أما قوله تعالى: (يَا وَجْدَانَا صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ). عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال: أيوب عليه السلام رأس
الصابرين يوم القيامة) (٥٣)

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وأصحابه أجمعين، وبعد،
من خلال ما سبق توصلت إلى اهم النتائج على النحو التالي:
أولاً: أن سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبيه نوح عليه
السلام فيه سلوى لكل من بعده من الأنبياء والرسل، وسلوى
لكل اتباعهم ومن ساروا على نهجهم أن من أنقذ نوحاً ومن
معه وأغرق الأرض كلها من أجلهم قادر على حفظهم
وتأييدهم ونصرهم، ما داموا لله عاملين، وللتضحية باذلين.
ثانياً: يتجلى في دعاء النبي أيوب عليه السلام حسن اختيار
الدعاء، وحسن الافتقار والتواضع لله تعالى، والتوسل
بصفاته، مع الحرص على التأدب في نسبة المرض أو الفقر
أو أي نوع من أنواع الابتلاءات إلى المولى سبحانه، مع أن
كل ذلك مقدر منه.

ثالثاً: أن من أسباب استجابة الدعاء، والتضرع والابتهال
وإظهار الضعف والافتقار بين يدي الله تعالى.

رابعاً: أن الله تعالى إذا أعطى أذهل بعبثائه، لأن سبحانه
وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

خامساً: التوجه إلى الله متضرعاً بأحد أسمائه الحسنی
وصفاته المناسبة لحال الداعي إحدى وأبلغ في الدعاء،
وأسرع في الإجابة

المصادر والمراجع:

١. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،
المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى
(المتوفى: ٩٨٢هـ)، بيانات الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت
٢. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف:
محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني
الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، بيانات الناشر: دار الفكر

(وَشَرَابٌ) يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه
يسمى مغتسلاً (٤٠)

المطلب الثالث: الكرامات التي أكرم الله عز وجل به نبيه
أيوب عليه السلام.

(فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ) [الأنبياء ٨٢-٨٤] (فكشف عنه
جميع ما به من الضر) (٤١).

(وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) [الأنبياء ٨٢-٨٤]، (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ) [ص
٤١-٤٤] (أي كشفنا ما حل به من ضر في جسده وماله
فأعيدت صحته وثروته.

والإيتاء: عطاء، أي أعطينا أهله، وأهل الرجل أهل بيته
وقرأته. وفهم من تعريف الأهل بالإضافة أن الإيتاء إرجاع
ما سلب منه من أهل، يعني بموت أولاده وبناته، وهو على
تقدير مضاف بين من السياق، أي مثل أهله بأن رزق أولاده
بعد ما فقد، وزاده مثلهم فيكون قد رزق أربعة عشر ابناً
وست بنات من زوجه التي كانت بلغت سن العقم) (٤٢).

(وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ) [الأنبياء ٨٢-٨٤]، (وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ) [ص
٤١-٤٤] (ووهبه أهله ومثلهم معهم) (٤٣) وأنه آتاه أهله،

وآتاه مثلهم معهم رحمة منه جل وعلا به) (٤٤). (قال ابن
مسعود: رد الله إليه أهله الذين أهلكهم بأعيانهم، وأعطاه
مثلهم معهم. قال الفراء كان لأيوب سبع بنين وسبع بنات
فماتوا في بلائه، فلما كشف الله ضره ردَّ عليه بنيته وبناته
وولد له بعد ذلك مثلهم، قال الحسن: وكانوا ماتوا قبل أجالهم
فأحياهم الله فوفاهم أجالهم، وأن الله أبقاه حتى أعطاهم من
نسلمهم مثلهم) (٤٥).

(كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك)
(٤٦)

(قال مقاتل: ولدت امرأة أيوب منه سبعة بنين وثلاث بنات
قبل البلاء، فأحياهم الله تعالى؛ ثم ولدت بعد كشف البلاء
سبعة بنين وثلاث بنات، فذلك قوله: {وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ}. وقال
الكلبي: ولدت سبعة بنين وسبع بنات، فنشروا له، وولدت
امراته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات؛ ويقال: آتاه الله عز وجل
أهله في الدنيا، ومثلهم معهم في الآخرة. وروى وكيع، عن
ابن سفيان، عن الضحاك: أن ابن مسعود بلغه أن مروان بن
الحكم قال: {فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَبَشِّرْهُ بِبَنٍ}

{فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَبَشِّرْهُ بِبَنٍ} أي أهلاً غير أهله. فقال ابن
مسعود: لا بل أهله بأعيانهم ومثلهم معهم) (٤٧)

عن قتادة (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال: قال الحسن
وقتادة: فأحياهم الله بأعيانهم، وزادهم مثلهم) (٤٨)

((وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما
ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفاً
في السؤال) (٤٩)

(٤٠) ينظر: جامع البيان: ٢١٠/٢١

(٤١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٧/٤

(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٣/١٧

(٤٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٤٠/٤

(٤٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٧/٤

(٤٥) ينظر: النكت والعيون: ٩١/٣

(٤٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٣٢/٤

(٤٧) ينظر: بحر العلوم: ١٣٧/٣

(٤٨) ينظر: جامع البيان: ٢١١/٢١

(٤٩) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٣٢/٤

(٥٠) ينظر: الكشف: ٢٤/٦

(٥١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٣٧/٤

(٥٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٣/١٧

(٥٣) ينظر: الدر المنثور: ٤١٦/٨

١٤١٥هـ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيانات الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٢. تفسير فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، بيانات الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤

١٣. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، بيانات الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨

١٤. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيانات الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ

١٥. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، بيانات الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ عدد الأجزاء: ٤

١٦. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيانات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٧. تفسير النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -، عدد الأجزاء: ٦، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

١٨. سنن الترمذي، المؤلف: أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، بيانات الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء

١٩. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، بيانات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ٤، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

للتباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٣. تفسير بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، عدد الأجزاء: ٣، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي

٤. تفسير التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، بيانات الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)

٥. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيانات الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

٦. تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، بيانات الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المحقق: هشام سمير البخاري ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٧. تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، بيانات الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس

٨. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: أبو الحسن، المعروف بالخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، بيانات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٩. تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، بيانات الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨

١٠. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، بيانات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦

١١. تفسير زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:

المجلة الدولية للشرعية والدراسات الإسلامية

International Journal of Sharia and Islamic Studies



مجلة علمية - دورية - محكمة - مصنفة دولياً

The relationship between moral values and the Arab origin A Fundamental Study.

DR. MEZNAH, ABD AL-AZIZ, ALLUHAYDAN *
General Authority of the Affairs of Al- Masjid al-Haram and the Prophet's Mosque.

E-mail: gmazna5000@gmail.com

علاقة القيم الخلقية بالأرومة العربية دراسة تأصيلية

د. مزنة بنت عبد العزيز بن علي اللحيدان *

*الهيئة العامة للعناية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي - وكيل
الرئيس العام للشؤون العلمية والأكاديمية النسائية - عضو هيئة
التدريس بكلية المسجد النبوي.

KEY WORDS

Values - Morals - Origins

الكلمات المفتاحية

القيم - الأخلاق - الأرومة.

ABSTRACT

مستخلص البحث:

In the Name of Allah, the Rahman the Merciful Praise be to Allah, and May the blessing and peace be upon our prophet Mohammed, his family and his companions. After that:

This research title is: "The relationship between moral values and Arab origins: a fundamental study". It depended on several approaches; the fundamental & deductive approaches are the most important ones. It contains an introduction, Two sections, and a conclusion. As for introduction, it started by explaining the objectives of the research, its importance, approaches, limits, and its strategy. The First section dealt with the definition of values & morals in language, terminology, and moral values as a term that has been widely used. And as for the second section: it addressed an explanation of the significance of Arab origins on ethical values, through defining their concept & significance for moral values. Finally, as for conclusion, it contains the fruit of this research: It showed the study findings and recommendations.

The study came up with several results that can be summarized in Two axes, the First: from the fundamental aspect: where the scope of values is more likely to be based only on the good side than any other thing, taking into consideration the implications of the upright law, language, & imposing. As for the second axis; the deductive aspect: where the content of values is extracted through their meanings in Arabic language; to assure the great connection between them and Arabic language being the most unique language as it is the language of sense and meaning.

While the recommendations suggested the necessity of turning to vertical research instead of horizontal as it gives more growth in thinking and avoiding repetition & recurrence. Regarding the importance of providing field research related to the effects of moral values; we suggest a study that is related to examining reality in societies and how to benefit from the heritage of scholars in explaining it.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد :
فهذا بحث بعنوان: " علاقة القيم الخلقية بالأرومة العربية: دراسة تأصيلية". اعتمد في بنائه على عدة مناهج أهمها: المنهجان التأصيلي والاستنباطي. وقد جاء في مقدمة ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة فتناولت بيان أهداف البحث وأهميته ومنهجه وحدوده وخطته، فأما المبحث الأول: فتناول التعريف بالقيم والخلق في اللغة والاصطلاح والقيم الخلقية باعتبارها مصطلحاً قد شاع استعماله، وأما المبحث الثاني: فتطرق إلى بيان دلالة الأرومة العربية على القيم الخلقية، من خلال بيان مفهومها، ودلالاتها على القيم الخلقية. وأما الخاتمة ففيها ثمرة هذا البحث؛ إذ تظهر فيها نتائجه وتوصياته.

حيث خرج بعدة نتائج يمكن أن توجز في محورين، الأول: من الناحية التأصيلية: حيث يترجح اختصاص القيم بالجانب الطيب الحسن دون غيره باعتبار دلالات الشرع القويم واللغة وحكم العقل. أما الثاني: فمن الناحية الاستنباطية: حيث يستخرج فحوى القيم من خلال مدلولاتها في اللغة العربية؛ ليتأكد كبير الارتباط بينهما وعظم تميز لغة العرب بكونها لغة الحس والمعنى .

في حين جاءت التوصيات بضرورة الاتجاه إلى الأبحاث العامودية بدلاً من الأفقية؛ فهو يعطي نماء أكثر في التفكير وخصوصاً من الإعادة والتكرير. مع أهمية تقديم أبحاث ميدانية تتعلق بآثار القيم الخلقية؛ دراسة تتعلق بالنظر في واقعها في المجتمعات وكيفية الاستفادة من تراث العلماء في بيانها.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله فرقاناً وبين فيه حدوده وأحكامه تبياناً وأمر فيه بالتحاكم إليه وجعله للناس إماماً وبرهاناً، هو الحجة الدامغة والحكمة البالغة من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، جدد الله به دعوة السماء، وأحيى به سنة الأنبياء، ونشر بدعوته الهداية وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

القيم الخلقية ضرورة إنسانية لازمة لحياة المجتمعات؛ إذ إنها توضح كيفية علاقة الأفراد فيما بينهم، فتقوم على زرع روح المودة والتعاون والإخلاص والوفاء والرحمة، ونبذ العداوة والكرهية والبغضاء؛ فتسود من خلالها الطمأنينة والأمان والانسجام.

ولذا فإن التحلي بالقيم الخلقية من أسباب النجاة في الحياة الدنيا والفوز بالجنة، يقول تعالى: (وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت: ٣٥]، فصاحب الأخلاق والفضائل قريب من ربه محبوب إلى الأخيار من حوله، يحمد أهل الأرض والسماء من كافة مخلوقات الله تعالى. وسوف نتحدث في بحثنا هذا عن مفهوم القيم الخلقية وعلاقتها بالأرومة العربية، وأرجو من الله أن يوفقني بإخراج هذا البحث بصورة تفيد طالب العلم وتكون إضافة مفيدة للمكتبة الإسلامية.

أهمية البحث:

التعرف على القيم الخلقية، وعلاقتها بالأرومة العربية ذلك أن للعرب شيم عظيمة أقرها الإسلام ودعا إليها.

منهج البحث:

يستند البحث على المنهج التأصيلي الاستنباطي الذي يقوم على بيان مفهوم القيم الخلقية وعلاقتها بالأرومة العربية.

أهداف البحث:

- التعرف على القيم في اللغة والاصطلاح.
- التعرف على الخلق في اللغة والاصطلاح.
- التعرف على مفهوم القيم الخلقية.

- بيان علاقة القيم الخلقية بالأرومة العربية.

حدود البحث:

يقصر البحث على الحدود الموضوعية في بيان التعريف بالقيم الخلقية وعلاقتها بالأرومة العربية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسة علمية سابقة تناولت هذا الموضوع والله أعلم.

المطلب الأول: مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم القيم في اللغة: القيم في اللغة جمع قيمة، وهي من الفعل قام بالأمر يقوم به قياماً فهو قوام وقائم^(١)، واستقام الأمر اعتدل، وقومته: عدلته^(٢)، وفلان قائم بكذا: إذا كان متمسكاً به مداوماً وثابتاً عليه^(٣)، وقومت السلعة واستقيمتها: إذا ثمنتها^(٤)، وقوام الأمر: عماد الأمر وملاكه^(٥)، أي: قواماً لهم يقوم به معاشهم ومعادهم^(٦). "واستقام فلان بفلان، أي: مدحه وأثنى عليه"^(٧).

وبهذا يتبين أن لفظة "قيمة" في اللغة تدور حول معان عدة هي: الاعتدال والاستقامة والعدل والاستمرار والثبات، والتمن والقبول والمدح والنظام والعماد والأساس، وجميعها معان محمودة مرغوب فيها يتكون من مجموعها معنى القيم في صورة متعقلة متميزة عن غيرها. ثانياً: القيم في الاصطلاح: تعددت التعريفات المتعلقة بمصطلح القيم ومن أهمها ما يأتي:

- **القيم:** "صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال والأفعال وفي الأخلاق"^(٨).

- **القيم:** "صفة الأشياء من حيث إنها جديرة بشيء قليل أو كثير من التقدير"^(٩).

- **القيم:** "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكير وتأمل ويعتقد بها اعتقاد جازماً، تشكّل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز"^(١٠).

- **القيم:** "مقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها"^(١١). وعند ملاحظة معاني القيمة في الاصطلاح يتضح أنها ذات اعتبارين:

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: "قوم"، (ص: ٦٩١).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة: "قوم"، (٣١٨/٣٣).

(٣) المعجم الفلسفي، لمراد صليبي، مادة: "قيم"، (١٥١/١).

(٤) فلسفة القيم، رزفير، بول جان، (ص: ٦).

(٥) تعلم القيم وتعليمها، للجلاد، (ص: ٥٥).

(٦) القيم وطرق تعلمها، لفؤاد على العاجز؛ عطية العمري، (ص: ٦).

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، مادة: "ق" وم"، (٥٢٠/٢).

(٢) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة: "قوم"، (ص: ١١٥٢).

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: "قوم"، (٥٠١/١٢).

(٤) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة: "قوم"، (ص: ١١٥٢).

(٥) ينظر: الصحاح، للجوهري، مادة: "قوم"، (٢٠١٧/٥ - ٢٠١٨).

المطلب الثالث: مفهوم القيم الخلقية

جاء مفهوم القيم الخلقية عند الباحثين بتعريفات عدة، ولعل من أهمها ما يأتي:

١. **القيم الخلقية:** "مجموعة الأخلاق التي تصف نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"^(١٦).

٢. **القيم الخلقية:** "تلك المعايير الأخلاقية الإسلامية التي تسيّر حياة الفرد والمجتمع، ويمكن باتباعها أن يصل إلى درجة الكمال"^(١٧).

٣. **القيم الخلقية:** "القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقى الفاضل عند المسلم؛ ليصبح سجيّة وطبعاً يتخلّق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل"^(١٨).

ومما سبق يتبين أن التعريفات الاصطلاحية للقيم الخلقية ذات ضيق واتساع وتماثل واقتراب؛ ذلك أن منها من جعلتها مرادفة للأخلاق، ومنها من كشف التمايز فأوسع النطاق فجعلها مثلاً وأحكاماً وتصورات.

وعند التدقيق والتأمل يتضح أن من جعلها مرادفة للأخلاق، يمكن أن تُستحب عليه قاعدة إطلاق الجزء على كل معناه، وقولهم العرف يحل محل الاصطلاح؛ ذلك أن معنى الخلق لغة واصطلاحاً لا يتماثل مع القيم تماماً؛ فمكمن الخلق الطبيعية الإنسانية، بينما القيمة القاعدة والأساس الذي تقوم وفقه هذه السجية. وعليه فالقيم مثال معياري لا يُطلق على شخص بعينه وإنما يقوّم بناء على مدى قربته منه. فالقيم بهذا لا حد لها، وكيف لا وهي الحد الذي يُقاس عليها. فالخلق مع القيمة إذن بمثابة المرأة التي لا يمكن أن تتجاوز تفاصيل الصور التي تعكسها، وإنما بقدر صقلها بقدر ما تقترب منها. ومن هنا أمكن أن يُقال: مقصود القيم الخلقية: "عماد الأخلاق وكمالها الذي تحتكم إليه قرباً وبعداً". وهي مقياس تقوم وفقه الأخلاق ويميّز صحيحها من سقيمها، فهي معنى معنوي غير حسي لا يمكن تجسيده البتة كما الشريعة والعقيدة؛ ولهذا فلا يمكن أن تُطلق القيم الخلقية بحقيقتها على كائن من كان البتة سوى على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، مظهر القيم الخلقية من تستمد منه مقياسها ووفق شمانله معيارها.

وبملاحظة المعنى الاصطلاحى للقيم والأخلاق يُلاحظ أن القيم الخلقية تشتمل خاصيتين: الأولى: الأصالة؛ فالقيم الخلقية موضوعها الأصول الخلقية التي تتفرع منها بقية الأخلاق.

الأول: باعتبار أن الشيء يكتسب قيمته باعتبار خارج عنه وليس منه عينه، أحرز ذلك القدر فيه. وأما الثاني: باعتبار أن الشيء يكتسب قدره باعتبار عينه، فالعبرة بنفاسته الصادقة في نفسه بغض النظر عن أحوال بيئته وإقبال نفوسهم إليه.

وعليه فالاعتبار الأول: أمكن تسميته المعنى السطحي للقيمة؛ وذلك لتعلق المعاني الظاهرة به من مدلول القيم كالقبول والدوام دون المعاني الأصلية التي لأجلها استحقت التقدير والاحترام؛ بينما الآخر جدير بأن يسمى المعنى الحقيقي والجوهري للقيمة. ذلك أنه شمل الدلالات الاشتقاقية للقيمة؛ وعليه أمكن أن يقال إن القيم في الاصطلاح: **الأصول والمبادئ التي تبني عليها شؤون الحياة وتنظم، وإليها ترجع الأمور وتحتكم.**

المطلب الثاني: مفهوم الخلق في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم الخلق لغة: "الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة"^(١٩).

ثانياً: الخلق اصطلاحاً: "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"^(٢٠).

وعليه فحقيقة حسن الأخلاق: انبعاث الخلق من صفاء الباطن، بسرور يصحبه حال انبثائه، وكأن الأخلاق تأبى حيازة من لا يحييها، حالها حال ما نظمه الشاعر^(٢١):

وقل من ضمّنت خيراً طويته

إلا وفي وجهه للخير عنوان

يلقاك وهو مع الإحسان معتز

وقد يُسيءُ مُسيءٌ وهو منان

شكرٌ ولكنّه من شيمه كُرمّت

لا من كؤوس تعاطاهنّ ندمان

تعتاده هزة للحدود بينة

فيه إذا اعتاده للعرف لهفان

ريح تهبُّ له من أريحته

يهتز للبلل عنها وهو جذلان

يهتز حتى تراه هزة طرب

هاجته كأس رنونة وألحان

يجود حتى يقول المفرطون له

قد كاد أن يخلف الطوفان طوفان^(٢٢)

(١٦) لسان العرب لابن منظور، مادة: "خلق"، (٨٦/١٠).

(١٧) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٥٣/٣).

(١٨) ينظر: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن

عاشور رحمه الله، (٢٢٢/١).

(١٩) ديوان ابن الرومي، (٣٧٥/٣).

(٢٠) المدخل إلى القيم الإسلامية، لقميحة، ص: (٤١).

(٢١) القيم الإسلامية في التعليم وأثارها على المجتمع، لأمين الحق، ص: (٣٣٧).

(٢٢) القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، للمناع، ص: (٢٤).

الثانية: الكمال؛ بمعنى أن القيم الخلقية كمال ذلك الخلق على التمام.

ليكون من ذلك انسجام الأصالة مع الكمال والذي لا يكون لغير الخلق في الإسلام، والذي يعني إفاضته بصنوفه من الأخلاق؛ فهي منه لكنها غيره ولا تكون إلا منه، وكأنه النهر الذي تتفرع جداوله ثم تعود إليه دون أن ينقصه تعدادها أو تتأثر أصالته بتنوعها.

وعليه فالقيم الخلقية لا تنسجم مع غير دين الإسلام الذي شرع الأخلاق ووضع الميزان، وهكذا بقية قيم الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [الروم: ٣٠].

وعليه فالقيم الخلقية تتسم بسمات تكون متحققة في كل قيمة خلقية وبها تُعرف وتُميز عن غيرها، وهي كما يأتي: **السمة الأولى: الذاتية:** ويُقصد بها ذاتية القيم الخلقية من ناحية صدورها، أي أنها تُعنى بذات الإنسان وسلوكه مع نفسه بالدرجة الأولى. ومن ناحية حضورها: فيمكن تقييمها في الإنسان على حدة، أي في حال كونه بمفرده ليس مجتمعاً. **السمة الثانية: الشفافية:** أي أنها قيم تتميز بوضوح عال في نفس صاحبها لا يعرف حقيقة تمثلها فيه -بعد الله- مثل متخلقها؛ لذا كان المنافقون أبعد الخلق عن القيم الخلقية، فهم يفقدون ركنًا رئيسًا هو المحك في تمييز صحيحها من سقيمها.

السمة الثالثة: الاستمرارية: بمعنى أن القيم الخلقية غير منفكة عن صاحبها، تفيض منه دون أن يستدعيها، معتاد عليها، وبتلقائية يأتيها، وهي سمة وشرط في أن معًا؛ ذلك أن القيم الخلقية لا توصف بكونها قيمًا أخلاقية إن كانت تزول حينًا وتأتي آخر.

المطلب الأول: مفهوم الأرومة العربية

"الأرومة: أصل كل شجرة. وأصل الحسب: أرومته، والجميع: أروم وأرومات" (١٩). "وأرومة الرجل: أصله" (٢٠). "وقال زهير: لهم في الذاهبين أروم صدق، وكان لكل ذي حسب أروم. والأرام: ملتقى قبائل الرأس. ورأس مؤرم: ضخم القبائل" (٢١). "والأورم: الكثير، يقال: ما أدري أي الأورم هو، أي: أي الناس هو" (٢٢). وعلى هذا فإن الأرومة العربية تختص بمن كان لسان العرب منطقهم، ومن أرض أهلها سلالتهم.

وحين أتى الإسلام غدت الأرومة العربية أوسع دلالة وأظهر معنى، وأتم بيانًا وأكمل منهجًا؛ امتزجت مع الإسلام فنقلها من سنن الألسنة في تقلبها واندثارها، إلى قوام الرسالة في عمومها ودوامها، أكسبها بحق الأرومة ذاتها؛ ولعل مما يبين عظم هذا التأثير ما جاء في الحديث الصحيح حين سئل النبي ﷺ ث قيل، يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أَتْقَاهُمْ» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فَيُؤَسِّفُ نَبِيَّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَهَّوْا» (٢٣).

فهاتان الخبريتان اللتان شهد بهما النبي صلى الله عليه وسلم لعلها تكون من معالم التطور الدلالي الجامع بين الأصليين (اللساني والديني).

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون" (٢٤). "ولمن تخلق بأخلاق العرب وأتقن لسانهم والتبس بعوائدهم وأذواقهم اقترب من هذه المزية وهو معظمها، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من دخل في الإسلام فهو من العرب»" (٢٥).

المطلب الثاني: دلالة الأرومة العربية على القيم الخلقية

هناك دلالات متنوعة على دور الأرومة العربية في القيم الخلقية، ولعل من أهم ما يبرهن على ذلك أمران هما: **أولاً: الأصالة الذاتية:**

فطرائق معيشتهم الحياتية واعتزالهم المزاحم المدنية سلمهم من الحفاظ التي تكون بين الأمم المتجاورة؛ فتنزع عوائدهم وتؤثر في ذوقهم؛ فأبقت فيهم تلك الاستقلالية بقايا من الفطرة أورثتهم عقولاً راجحة قد سلمت من أفن الرأي عند المجادلة، فكانوا أدكى الأمم عقولاً وأسرعها أفهاماً وأشدّها وعياً وأطولها تذكراً، وأفصحها ألسنة وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظها (٢٦).

ثانياً: سلامة السليقة:

أسهمت أصالة الأمة العربية الذاتية في سلامة سليقتهم الجبلية؛ فأورثت في نفوسهم تقديم المعاني النفسية على المظاهر المادية؛ فقد كان العربي معروفاً بالشجاعة وإباء الضيم وإكرام الجار. يحذرون الإهانة أكثر مما يحذرون عذاب النار، ويتسابقون إلى نيل مكارم الأخلاق، ويناضلون عنها، وكفى أحدهم شرفاً أن يعد من أصحاب تلك الخلال (٢٧).

(٢٣٧٨)، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، (١٨٤٦/٤). واللفظ له.

(٢٤) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، (١/٥١٩).

(٢٥) التحرير والتنوير، (٤/١٥٩).

(٢٦) ينظر: التحرير والتنوير، (١/٣٩)، (٢٧/١٨٩).

(٢٧) ينظر: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله، (١/٢١٨).

(١٩) العين، للخليل بن أحمد، مادة: "أرم"، (٢٩٦/٨).

(٢٠) جمهرة اللغة، لابن دريد، مادة: "روموي"، (١٠٦٨/٢).

(٢١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: "أرم"، (١٥/١٢).

(٢٢) تاج العروس، للزبيدي، مادة: "أرم"، (٢٠٩/٣١).

(٢٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٣٣٨٣)، كتاب

أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ [يوسف: ٧]، (١٤٩/٤). ومسلم في صحيحه، ح

ومما يدل على عمق الفضائل الخلقية في الجبلية العربية الأصيلة؛ إرساله تعالى خير رسله وخاتمهم من الأمة العربية ذات دلالة عظيمة على اختصاصها من بين كافة الأمم بهذه المنقبة العظيمة التي ما استحققتها إلا لمزية تتخلل لبناتها قد حباها الله إياها؛ "فكان من الحكمة أن يظهر هذا الدين القويم وسط أمة تمسكت بهذب من الفضائل واستبقت صباية من ماء المروءة ترقق في إناء شريف من طينة الحرية الطاهرة. تلك هي الأمة العربية، أمة أحاط بها من طبيعة إقليمها واق حفظ عليها سلامة الفطرة، وصان عقول أهلها عن الذهول عن كل سمات المدنية والفضيلة"^(٢٨).

ولعل هذا من آثار الاصطفاء الرباني الأول؛ إذ اصطفاه الله تعالى لتكون أرضها محل البيت الحرام ومأوى أفئدة العالمين؛ لتتربى هذه الأمة في بقايا من الحنيفية السمحة ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ [الحج: ٧٨]؛ ليكون ذلك الفضل مرعى للفضائل ومحلاً للشيم والمكارم، فعرفت قريش بالسقاية، وكرم الوفادة لقاصدي البيت الحرام.

ليجتمع لهم بذلك مبدأ العلم والعمل معاً؛ ذلك أن "سبب هذا الفضل -والله أعلم- ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح. والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزاً للمعاني، جمعاً وفرقاً، وأما العمل: فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة"^(٢٩).

من هذا يتضح أن الأرومة العربية تُعنى بذات الشخصية العربية بأحاسيسها ووجدانها ووقارها وذاتيتها التي تعد في مجموعها أرضية خصبة لتلقي الرسالة الإلهية من أجل تغيير واقعها في مختلف علاقاتها مع خالقها سبحانه وجماعتها والكون الذي يحتويها، يقول الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الجمعة: ٢].

وعليه فإن مزية الأرومة العربية قبل الإسلام كمزية الأجساد في مظاهرها؛ فلما جاء الوحي كان لها حياة وروحاً، يقول الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ

تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى: ٥٢]، ومن هنا فإن الأفضلية التي يتغنى بها العربي غير المسلم اليوم في الحقيقة رداء زور؛ كونها تتعلق بالشعاع دون النور. ولعل من هذا الاعتبار جعل أهل العلم من دخل إلى الإسلام ناله فضل العرب وإن لم يكن منهم؛ ذلك أن شرف العلم من شرف المعلوم؛ إذ "إن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب"^(٣٠).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فبفضل من الله تعالى وإعانتة وتوفيقه، تمت كتابة هذا الموضوع علاقة الأرومة العربية بالقيم الخلقية" وقد تم الخلوص إلى أهم النتائج وأبرز التوصيات، وذلك كما يأتي:

أولاً: النتائج:

- يترجح اختصاص القيم بالجانب الطيب الحسن دون غيره باعتبار دلالات الشرع القويم واللغة وحكم العقل.

- يستخرج فحوى القيم من خلال مدلولاتها في اللغة العربية؛ ليتأكد كبير الارتباط بينهما وعظم تميز لغة العرب بكونها لغة الحس والمعنى.

ثانياً: التوصيات:

- الاتجاه إلى الأبحاث العامودية بدلاً من الأفقية؛ فهو يعطي نماء أكثر في التفكير وخلصاً من الإعادة والتكرير.

- ضرورة تقديم أبحاث ميدانية تتعلق بآثار القيم الخلقية؛ وذلك من خلال اختيار قيمة منها ودراستها من مؤلفات الأئمة كالذهبي أو ابن الجوزي دراسة تطبيقية واقعية تتعلق بالنظر في واقعها في حياة الأفراد والمجتمعات وكيفية الاستفادة من تراث العلماء في بيانها.

- يمكن استخراج دراسة علمية تبين أثر البيئة العربية في سلامة العقلية الإسلامية: دراسة تحليلية، " ابن تيمية أنموذجاً".

وفي الختام أحمد الله وأشكره سبحانه وهو أهل للحمد والشكر على نعمه العظيمة وآلانه الكريمة، فله الحمد جلّ وعلا وتقدس حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله - وحده، وما كان فيه من خطأ أو نقص فهو من نفسي ومن الشيطان، وأستغفر

(٢٩) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، (٤٤٧/١).

(٣٠) فقه اللغة وسر العربية، للتحالبي، (ص: ١٥).

(٢٨) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله، (٣١٨/١).

- الله لأ، وأتوب إليه، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
- فهرس المراجع والمصادر**
- إحياء علوم الدين، للغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، د.ب، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
 - تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، محمد بن محمد، د.ب، (د.م: دار الهداية، د.ت).
 - تعلم القيم وتعليمها، للجلاد، ماجد بن زكي، ط٢، (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).
 - تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
 - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للبخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: الناصر، محمد زهير، ط١، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
 - جمهرة اللغة، لابن دريد، محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧هـ - ١٤٠٧م).
 - جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله، جمع وتحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط١، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
 - ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت: دار العلم، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
 - العين، للفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي، د.ب، (د.م: دار الهلال، د.ت).
 - فقه اللغة وخصائص العربية، للمبارك، مازن، ط٢، (د.م: دار الفكر، د.ت).
 - فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، عبد الملك بن محمد، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، (د.م: إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
 - فلسفة القيم، لرزفبر، بول جان، ترجمة: عادل العوّاء، ط١، (لبنان: عويدات للنشر والطباعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
 - القاموس المحيط، للفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
 - القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، لأمين الحق، محمد، (بنغلادش: دراسات الجامعة الإسلامية العالمية "شيتاغونغ"، المجلد التاسع، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
 - القيم الإسلامية والتربية، لأبو العينين، علي بن خليل، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
 - القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، للمانع، مانع بن محمد، ط١، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٦هـ).
 - لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
 - المدخل إلى القيم الإسلامية، لقميحة، جابر المتولي، ط١، (القاهر: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ).
 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، د.ب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م).
 - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، عياض بن موسى، د.ب، (القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، أحمد بن محمد، د.ب، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).
 - المعجم الفلسفي، لصليبيبا، جميل، د.ب، (لبنان، دار الكتب اللبناني، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
 - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: الداودي، صفوان عدنان، ط١، (بيروت: دار القلم - الدار الشامية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

الملصقات العلمية



التعريف بعلماء الحضارة الإسلامية من خلال الأنشطة اللاصفية

الدكتور ناصر بن عيسى بن أحمد بن محمد البلوشي الزهراني

الأستاذ بجامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة، Dr.nbed@gmail.com



المقدمة:

الحمد لله الذي رفع قدر العلم وعظمه، وخص به من خلقه من كرمه، وصلى الله وسلم وبارك على معلم البشرية، وهادي الإنسانية إلى طريق الخير والعلم والحضارة، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدجى رضي الله عنهم أجمعين، أما بعد:

فإن العلماء هم سادة الناس وأهل الذكر، وورثة الأنبياء وأمناء الرسل، وسراج العباد ومنار البلاد، وينابيع الحكمة ونجوم الهدى، وقد أنجبت الحضارة الإسلامية العديد من العلماء في مختلف العلوم والمعارف، في الدين والترجمة، والطب والصيدلة، والفلك والرياضيات، والنبات والحيوان، والجغرافيا والتاريخ، واللغة والأدب، ولهذا كان من الوفاء لهؤلاء الأجداد، نشر سيرهم العطرة والتعريف بإنجازاتهم العلمية: ليفتخر أبناؤهم بهم من بعدهم ويسيروا على درجهم ويستأنفوا حضارتهم المجيدة.

وهذا عرض موجز عن تجربة لنشاط لاصفي في وسائل التواصل الاجتماعي لطلبة جامعة زايد، قصد به التعرف بعلماء الحضارة الإسلامية وأهم إنجازاتهم العلمية، لجعل الحديث عنها في خمسة نقاط:

أولاً: أهمية الأنشطة اللاصفية:

تعد الأنشطة اللاصفية فرصة لتعزيز المهارات لدى الطلبة؛ وذلك لما تنبئه من اكتشاف المواهب الشخصية، والقدرات الإبداعية، والاستمتاع باكتساب المعرفة والعلم، وخدمة أفراد المجتمع بكل نافع ومفيد.

ولا ريب أن الأنشطة اللاصفية لها أثر في تعزيز المعرفة لدى الطلاب، إذا أحسن توظيفها، سواء أكان ذلك من خلال الإلقاء والتحدث، أو البحث والكتابة والتلخيص، أو النشر والتعليم.

ثانياً: فكرة النشاط:

ابتكرنا نشاطاً لاصفياً يخدم أفراد المجتمع المحلي والعالمي، من خلال تكليف الطلبة في مساق الحضارة الإسلامية بإنشاء حسابات لعلماء المسلمين في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تم تكليف كل طالب بإنشاء حساب على تويتر أو الانستغرام باسم عالم مسلم من العصور الوسطى، والتعريف به وإنجازاته العلمية، وقد تم إنشاء واحد وثلاثين (٣١) حساباً في تويتر، وتسعة وثمانين (٨٩) حساباً في الانستغرام، بإجمالي مئة وعشرين (١٢٠) حساباً.

ثالثاً: أهداف فكرة النشاط اللاصفي:

١. اكتساب المعرفة وتعزيزها لدى الطالب، وذلك من خلال البحث والقراءة والاطلاع على سيرة العالم، بحيث يتعرف الطالب على الإسهامات العلمية للعالم المسلم الذي كلف بدراسته.
٢. نشر المعرفة، بحيث يخدم الطالب مجتمعه من خلال نشر سيرة العالم والتعريف بإنجازاته وإسهاماته العلمية؛ وذلك ليطلع ويستفيد أفراد المجتمع والجمهور العام من سيرة العالم.
٣. تعرف الطالب على قوانين نشر المعرفة في وسائل التواصل الاجتماعي في الدولة، حيث تم إطلاع الطلاب على قوانين النشر وميثاق قيم وسلوكيات المواطنة الرقمية الإيجابية وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي.

خامساً: نماذج من النشاط في منصة تويتر (X حالياً):



رابعاً: نماذج من النشاط في منصة (الانستغرام):





منظومة التنمية الاقتصادية المستدامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أ.د. إيتونيسيا بنت خالد محمد حسون - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - ikhassoun@gmail.com
جامعة الملك عبد العزيز - جدة / المملكة العربية السعودية - 1445 هـ / 2023 م



معوقات التنمية المستدامة الاقتصادية

- 1 الاحتكار يؤدي إلى عدم الاستقرار الاقتصادي ويسبب في قلة المنافسة ورفع الأسعار يؤدي إلى تفاقم الفجوات الاقتصادية بين الأثرياء والفقراء
- 2 نقص التمويل والاستثمار في البنية التحتية والصناعات الرئيسية
- 3 الفقر وعدم المساواة في الدخل عائقين كبيرين
- 4 نقص في المهارات البشرية الضرورية لدعم النمو الاقتصادي والابتكار
- 5 الصراعات والحروب تضر بالبيئة وتعيق التنمية الاستثمارية

المقدمة



إن استخدام المفاهيم الإسلامية لدعم أهداف التنمية الاقتصادية المستدامة من خلال تحقيق التوازن بين الاقتصاد والبيئة والاجتماع وتعزيز القيم والأخلاق في الأعمال الاقتصادية تعكس الرؤية الإسلامية للتنمية الاقتصادية المستدامة وتشدّد على التوازن بين التنمية الاقتصادية والبيئة والاجتماع والقيم الإسلامية وتهدف إلى تحقيق الرخاء الشامل للمجتمع وتحسين جودة الحياة بشكل عام ، وأساس منظومة القيم الاقتصادية قيمة الاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَأَمِلُوا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَنْفُسَهُمْ مِّنْ خَلْقٍ مَّشْتَكِلِينَ فَبِمَا قَالُوا آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَخَرٌ مُّجْتَمِعٌ﴾ سورة فاطر

الحلول لمواجهة التنمية المستدامة الاقتصادية



1. فرض الزكاة والصدقات وتشجيع الوقف وتوجيه الثروة لدعم المشروعات الاجتماعية والتنمية لمساعدة الفقراء.
2. مكافحة الاحتكار والفساد بجميع أشكاله والقضاء عليه وتعزيز الأخلاقيات والزاهة في الأعمال يساهم في تحسين الاستثمار والثقة في الاقتصاد.
3. فتح باب الفرض الحسن وتحريم الربا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَحْرِضُ اللَّهَ فَرْضًا خَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهٗ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ سورة البقرة: 249
4. تشجيع ريادة الأعمال والاستثمار بما يتوافق مع القواعد الشرعية لدعم المشروعات التي تخدم المجتمع وتوفر فرص عمل. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ سورة النساء: 5
5. تعزيز القيم والأخلاق: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَّوْكَأُ الْيَحْيَىٰ وَالْيَزَانُ بِالْمِثْقَلِ إِلَّا يُنْفَخُوا فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة الفرقان: 24-25
6. تعزيز التعليم للأفراد والمجتمعات: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ تَرَجَاتٍ﴾ سورة البقرة: 178
7. تطوير المهارات البشرية لتحسين فرص العمل: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعها)
8. دعم التعاون بين الأفراد والمؤسسات المجتمعية من خلال مشاريع تضامنية وتعاونية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ سورة المائدة: 2
9. دفع الصراعات الداخلية بالالتفاف حول ولي الأمر لتحقيق جودة الحياة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء: 59

النتائج

- 1 توجيه الجهود نحو تحقيق التنمية المستدامة بشكل يتوافق مع القيم والمبادئ الإسلامية، لتحسين جودة الحياة.
- 2 التشجيع على دعم الفقراء والمحتاجين والمشاركة الاجتماعية.
- 3 الالتزام بالوسطية وعدم الإسراف والأمانة والعدالة، واستخدام الموارد بطريقة مسؤولة لتحقيق التوازن بين الاقتصاد والمجتمع
- 4 التشجيع على تعزيز التعليم والبحث والتطوير والابتكار لتطوير التكنولوجيا وتحسين جودة الحياة.

منهج البحث



استقراني استنتاجي

أهداف منظومة القيم الاقتصادية الإسلامية المستدامة



1. العدالة الاجتماعية: قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة البقرة: 177
2. القيم والأخلاق: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة الفرقان: 24
3. الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية تحت مفهوم الأمانة والمسؤولية: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ لَنُؤْتُوا﴾ سورة البقرة: 29
4. تعزيز التعليم والريادة والابتكار: وحث على منع الإفساد فيها قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة البقرة: 195
5. تعزيز التعليم والريادة والابتكار: قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ يَنْظَرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة البقرة: 186
6. المشاركة المجتمعية في صناعة القرار: قال الله عز وجل في التشجيع على العمل والتعاون: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة: 197
7. التكافل الاجتماعي: قال الله عز وجل: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ سورة البقرة: 177
8. (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة)



العمل التطوعي والجهود الدعوية وقت الأزمات والكوارث الطبيعية

عائشة بنت محمد بن سعد القرني – aalqame@kau.edu.sa

أسنادة العقيدة والدعوة المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية



أهداف الدراسة

بيان صفة العمل الدعوي عند حلول الكارثة. فالكوارث متتابعة متسلسلة على مر الأزمان، ولا يكاد يمر عام من الأعوام إلا وفيه كارثة طبيعية فمع كثرة الكوارث الطبيعية يتوجب على الدعاة في عصرنا الحاضر أن يستفيدوا من الجهود الدعوية بمختلف وسائلها وأساليبها.

من ثمرات الجهود الدعوية في الكوارث

- 01 الدعوة ومساعدة المنكوبين تهذب الشخصية وتضيف إلى الإنسان حب العطاء.
- 02 الجزء الأخروي الذي وعد الله سبحانه وتعالى.
- 03 تساهم الدعوة في النكبات في جعل المجتمع أكثر اطمئناناً وأكثر ثقة.
- 04 يتيح العمل الدعوي في الكوارث للإنسان تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها.
- 05 يشعر الإنسان بقدرته على إحداث تغيير للأفضل ونقله للكثير من الضحايا.

نتائج الدراسة

- 01 أهمية الجهد الذي يُبذل من الأفراد أو المؤسسات الدعوية في الحالات الاستثنائية نتيجة للأحداث المفاجئة التي تقع في البيئة للحد من الخسائر البشرية والمادية والمعنوية عبر الأساليب والوسائل الدعوية.
- 02 أثر الدعوة إلى الله في أثناء حدوث الكوارث البشرية والطبيعية أثر كبير حيث إنها دعوة وقت تأثر الناس واستعدادهم النفسي لقبول الحديث عن أساسهم وفاجعتهم.

توصيات الدراسة

- 01 تشجيع العمل التطوعي وقت الأزمات وتقديم المساعدات لمن يحتاجها.
- 02 تكثيف البرامج الدعوية من خلال الإعلام الواعي وبعده من اللغات، مع توحيد الجهود الدعوية والعمل على شمولية أكبر للعمل الدعوي.
- 03 الارتقاء بمستوى العمل الدعوي والإغاثي بحيث يتواءم مع التطور المتطرد في العالم والاستفادة من كل التقنيات الحديثة.

المقدمة

إن الأرض وما عليها من كائنات حية تتعرض لكوارث طبيعية وصناعية مختلفة منها: البراكين، والزلازل، والسيول والفيضانات، والتصدعات الأرضية، وانزلاق الصخور، وزحف الرمال، والقحط والجفاف، والأعاصير وغيرها من الأحداث التي تقع في البيئة خارج نطاق الإنسان. ويختلف منظور الناس نحو الكوارث نظراً لاختلاف دينانهم ومعتقداتهم وتفاوت هذه الكوارث في قوتها وخطورتها والخسائر البشرية والمادية التي تنتج عنها، فمعها البسيط المحدود التأثير ومنها العنيف المدمر. ولقد أُنذرتنا الله تعالى من الكوارث على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم: **لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن وتكثر النهج والمرج** صحيح البخاري.

منهج الدراسة

01 استقراني

02 تحليلي

دور الداعية وقت الكوارث

- 01 تصحيح النية قبل بداية العمل ثم جعل الداعية شعاره العمل الدائب مع الصبر الجميل على مواجهة الكوارث باختيار الطرق المناسبة لإيصال دين الله عز وجل.
- 02 على الداعية أن يتزود بالزاد العلمي المناسب، حتى يستطيع به أن يوصل الدعوة إلى المصابين بالكارثة.
- 03 إيجاد البديل الصالح عما تقوم به الجماعات التنصيرية وغيرها في هذا المجال.
- 04 جوانب الدعوة التي على الدعاة أن يجعلوها ضمن اهتمامهم هي الموضوعات الدعوية المتعلقة بالعقيدة، والشريعة، والأخلاق.
- 05 حضور دورات تدريبية لتدريب الكوادر والأفراد العاملين في الدعوة على التعامل الصحيح والمناسب وقت الكوارث.
- 06 إقامة فعاليات وأنشطة ترفيهية لضمان استقطاب المدعوين.
- 07 توزيع استبيان لكافة الفئات في المجتمع (متطربين، متطوعين، متبرعين) للوقوف على الآراء والمقترحات، وبالتالي يقيم العمل ويتجاوز السليبيات.



حكم التسويق الشبكي (الهرمي) "دراسة فقهية"

د. جميلة بنت عادل بن سعد فته - jm.1411.jm11@gmail.com
الأستاذ المساعد بقسم الشريعة بجامعة الطائف - المملكة العربية السعودية



أهمية الدراسة:

- 1- انتشار التعامل بالتسويق الشبكي والترويج له.
- 2- حاجة الناس إلى التعريف بالتسويق الشبكي وبيان أنواعه وحكمها.



أسئلة الدراسة:

- 1- ما حقيقة التسويق الشبكي (الهرمي)؟
- 2- ما أنواع التسويق الشبكي؟
- 3- ما الحكم الفقهي للتسويق الشبكي؟

- 1- بيان حقيقة التسويق الشبكي (الهرمي)، وسبب تسميته بذلك.
- 2- إبراز أنواع التسويق الشبكي (الهرمي) وبيان حكمها.



أهداف الدراسة:

أهم خصائص التسويق الشبكي:

- 1- شراء المنتج ولو لمرة شرط للحصول على العمولة.
- 2- التوظيف للامحدود للمسوقين في سلسلة لا نهاية لها.
- 3- لا تهتم بالمنتجات بقدر اهتمامها بتوظيف المسوقين.



منهج الدراسة: الاستقرائي الوصفي



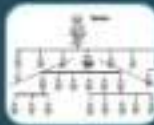
- 2- نظام المصفوفة: لا تُشترط موازنات الأهم كسب عدد من المشتركين.



- 1- النظام الثنائي: حتى يربح المسوق لابد من حفظ الموازنة بين القسمين.



- 4- نظام بونزي: يقوم على الخداع مع الوعد حتى تنكشف اللعبة ويهرب صاحبها.



- 3- نظام الانفصال: عندما تصل شبكة المسوق لحجم مبيعات معينة يفصل كل فرد عن مجموعته، ويُعوّض بدوافع تشبه مكافأة نهاية الخدمة.



- 5- التسويق الشبكي عبر الرسائل المتسلسلة: تتم بإرسال رسالة لشخص تطلبه أن يبعثها لآخر وفق طريقة معينة، والنتيجة الحصول على أموال طائلة إن أصبح الاسم في أول القائمة.

أنواع التسويق الشبكي:

- 6- اتفق الفقهاء على جواز التسويق الشبكي بشرط: ألا يشترط شراء السلعة مقابل الحصول على الحافز، فيحقق لكل مسوق أخذ العمولة على تسويقه سواء اشترى السلعة أم لا؛ وأن يخلو المنتج من المحاذير الشرعية
- 7- التسويق الشبكي بالنظام الثنائي أو المصفوفة وقع الخلاف فيه، والمترجح والله أعلم التحريم؛ لقاعدة: أن ما تردد بين الغنم والغرم أو بين الانتفاع والخسارة يدخل في باب الغرم الممنوع وهذه المعاملة منه، فالمقصود من المعاملة هو العمولات وليس المنتج، كما تتضمن الربا بنوعيه، وأكل الأموال بالباطل
- 8- حذرت وزارة التجارة والاستثمار بالمملكة العربية السعودية من هذه المعاملة واعتبرت نشاطها نشاطاً مضللاً كما أوصتهم بالإبلاغ عن يقوم بالتسويق بهذه الطريقة وذلك بالاتصال على مركز البلاغات.

نتائج الدراسة:

- 1- حقيقة التسويق الشبكي تتمثل في شركات يتلخّص نشاطها في إقناع الشخص بشراء سلعة، وإن أتى بعمله آخرين فله عمولة معينة على كل عميل، وكلما زادت طبقات المشتركين حصل الأولون على عمولات أكثر قد تبلغ آلاف الريالات.
- 2- من شعاراتها: (هل تحب أن تصبح مليونيراً؟).
- 3- سُمّي شبكياً؛ لأن التعامل به يُوجد شبكة من العلاقات.
- 4- سُمّي بالهرمي؛ لأن التعامل به يوجد بناءً كبناء الهرم، وبالتالي فإن التسويق الشبكي مرادف للهرمي، والعبارة بالحقائق وليست بالمسميات.
- 5- لا خلاف بين الفقهاء في تحريم التسويق الشبكي بصورة نظام بونزي والتسويق الشبكي عبر الرسائل المتسلسلة؛ لوجود الغرر والغش والتدليس والربا وأكل الأموال بالباطل.

أهم المراجع:

- 1- عقد التسويق الشبكي في مراقي الفقه الإسلامي، د. هادي حجازي.
- 2- مع المعاملات المالية المعاصرة، د. سعد الطلق.
- 3- مرقب وزم التجارة والاستثمار بالمملكة العربية السعودية.

- العناية بدراسة النوازل وإفراد مؤلفات ميسرة فيها.
- إفراد دراسات في كل نوع من أنواع التسويق الشبكي.



العمل التطوعي في ضوء رؤية ٢٠٣٠

إعداد

د. العنود بنت عويضة بن عوض الحربي

enoudharbi@gmail.com

٥١٤٤٦ / ١٤٤٥

مؤتمر المدينة المنورة
الوطني للشريعة والتراث
الإسلامية ونورها في
مواجهة القضايا المعاصرة
المملكة العربية السعودية -
المدينة المنورة



الفترة ٢٤-٢٦ شوال
١٤٤٥ الموافق ٥-٣ مايو
٢٠٢٤

المقدمة

إن العمل التطوعي عامل أساسي في بناء المجتمع، ونشر التعاون بين أفراد- وهو ممارسة إنسانية، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح منذ أن خلق الله الأرض وما عليها. وبعد التطوع رمزاً من رموز تقدم المجتمعات وازدهارها، فالمجتمع كلما كان فاعلاً في الأنشطة التطوعية، أدى ذلك إلى زيادة تقدمه ورفاهه، فالأنشطة التطوعية من أهم معالم التنمية الاجتماعية. ويعتبر المجتمع السعودي من المجتمعات العربية التي لها إسهاماتها المشهود في مجال العمل التطوعي والخيري، حيث تأتي المنظمات التطوعية والخيرية في هذا المجتمع لتمثل ركيزة أساسية تقوم عليها برامج الرعاية والتنمية الاجتماعية ليس فقط لسد احتياج الفئات الأولى بالرعاية والأكثر احتياجاً، ولكن لتحقيق التنمية المنشودة في المجتمع. لذلك كان العمل التطوعي ضمن أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠، بل يعد من أهم أهدافها الرئيسة لتحقيق الرؤية المستقبلية، ونظراً لأهمية العمل التطوعي في المجتمع فقد تم تخصيص مجموعة من الأهداف في رؤية المملكة ٢٠٣٠ من أجل تطوير هذا القطاع التعاوني ولقد أعلنت الرؤية خمسة أهداف فيما يخص العمل التطوع وهي: الوصول إلى مليون متطوع في عام ٢٠٣٠، توفير البيئة المناسبة لتنمية العمل التطوعي، تحفيز أكبر عدد من المتطوعين للاشتراك بها، الاهتمام باليوم العالمي للتطوع الذي هو الخلق ٢٥ ديسمبر من كل عام.

مفهوم العمل التطوعي

قال تعالى: (مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا قَبِلْهُ خَيْرٌ لَهُ) - البقرة/١٨٤، قال الأزهري: (مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا، وَأَصْلُ فِيهِ يَتَطَوَّعُ فَأَدْعَمَتِ النَّاءُ فِي الْعَاءِ، وَيُقَالُ: تَطَوَّعَ لِبِذَا الْأَمْرِ حَتَّى تُشْتَطِفَهُ، وَالتَّطَوُّعُ: تَقْدِيمُ الْعَوْنِ وَالنَّفْعِ إِلَى شَخْصٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ أَشْخَاصٍ، يَهْتَاجُونَ إِلَيْهِ، دُونَ مَقَابِلٍ مَادِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ).

ويسمى بالتطوع لأن الإنسان يقوم به طواعية دون إجبار من الآخرين على فعله.

وقد حث الإسلام على التطوع في الكتاب والسنة النبوية، فقد جاء القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على التطوع، ففي قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، ففي هذه الآية تجسدت معنى التطوع بين أفراد المجتمع المسلم، وحث على القيام بكل عمل يؤدي إلى البر والتقوى والمجالات عديدة بين الناس سواء مادية أو معنوية.

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الناس أنفعهم للناس).

أهداف البحث



منهج البحث: ١- المنهج الوصفي

نتائج البحث

ساهمت منظمات العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية في خدمة المجتمع، وهو ما عرف بالمؤسسات الغير ربحية، والتي كان لها دور في خدمة المجتمع والتنمية.

تضمنت رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ أفضل الممارسات التطوعية لدعم العمل التطوعي.

للعمل التطوعي أهمية كبيرة في بناء الفرد والمجتمع.

توصيات البحث

أهمية نشر ثقافة العمل التطوعي بين أفراد المجتمع ومؤسساته

استحداث أنظمة تنظم العلاقة بين أطراف العمل التطوعي وتحدد حقوقهم وواجباتهم

تعزيز قيم الانتماء الوطني والعمل الإنساني والمسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع وبخاصة فئة الشباب

تنمية قدرات المتطوعين وتوجيههم نحو الأولويات الوطنية

المراجع

العلم الكريم
https://www.bsr.gov.sa/media-center/news/280120242
نظام العمل التطوعي

توجيهات العمل التطوعي في الجامعات السعودية، د. حبيبة الصبيح، جامعة أم القرى، ٢٠١٨.
أهمية العمل التطوعي في المجتمع المسلم، محمد العاصم، كلية العلوم والآداب، جامعة القصيم، مجلة كلية الشريعة / نجلية، عدد ٢٢ / ٢٠٢١.



مؤتمر المدينة المنورة الدولي للشريعة والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة



عنوان البحث: أحكام استخدام الذكاء الاصطناعي في رعاية كبير السن وضوابطه الشرعية

د. أحلام محمد عقيل

جامعة الملك سعود للعلوم الصحية - جدة

akeela@ksau-hs.edu.sa

أهمية البحث

- 1- يحلّ الكبير في السن أهمية بالغة تلزم الباحثين معرفة حكم رعايته بالذكاء الاصطناعي.
- 2- الحاجة لدراسة الأخلاقيات والضوابط المتعلقة برعاية الذكاء الاصطناعي لكبير السن.
- 3- أهمية استنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع إثباتاً لصلاحيّة الشريعة في كل زمان ومكان.

أهداف البحث:

- 1- التّأصيل الشرعي لحكم الذكاء الاصطناعي في رعاية الكبير في السن
- 2- دراسة ماهية العقد وشروطه بين الذكاء الاصطناعي والكبير في السن
- 3- تحديد الأخلاقيات والضوابط الشرعية المتعلقة برعاية الذكاء الاصطناعي لكبير السن،
- 4- دراسة موجبات المسؤولية والضمان.
- 5- معرفة جهود المملكة العربية السعودية في تطوير وإعمال هذه التقنية لرعاية الكبير في السن.

تساؤلات البحث:

- 1- ما حكم استخدام الذكاء الاصطناعي في رعاية الكبير في السن؟
- 2- ما هي ضوابط استخدام الذكاء الاصطناعي لرعاية الكبير في السن؟
- 3- ما الذي يترتب على إحقاق الذكاء الاصطناعي الضرر بالكبير في السن من مسؤولية؟

النتائج

- جواز رعاية الذكاء الاصطناعي لكبير في السن لغلبة مصالحه وحاجة كبير السن له مع اعتبار الأخلاقيات والأحكام الشرعية
- ينبغي تحديد نوع العقد مع الذكاء الاصطناعي سواء إجارة أو بيع أو عارية، وشروطه المتبعة
- الضمان على من هو مسؤول عن الكبير في السن والمسؤول عن الذكاء الاصطناعي في حال الإهمال والتقصير
- لا يستطيع الروبوت أن يحل محلّ الصّحّيين، ولا تغطية الجانب العاطفي ولا الأسري؛ بل شريكاً ومساعداً لهم.

المباحث

المبحث الأول

مفهوم الذكاء الاصطناعي ورعاية كبير السن وحقوقه

المبحث الثاني

استخدامات الذكاء الاصطناعي لرعاية كبير السن

المبحث الثالث

أحكام استخدام الذكاء الاصطناعي في رعاية الكبير في السن وضوابطه الشرعية

المبحث الرابع

الآثار المترتبة على استخدام الذكاء الاصطناعي في رعاية الكبير في السن

التوصيات

أهمية إجراء الدراسات والبحوث على هذه الفئة ليتمكننا من اعداد وتقديم الأخلاقيات الشرعية تجاههم

التأكيد على أن مشاريع الذكاء الاصطناعي يجب أن تتطور وفق معايير وضوابط أخلاقية مضبوطة ومصاغة بشكل صارم ينبغي تخريج مسائل المسؤولية والضمان المتعلقة بجناية الروبوت والجناية عليه، وتطبق على أحكام المسؤولية والضمان التي نص عليها الفقهاء في باب جناية الحيوان.

أهمية تحديد المعايير التي تضمن احترام حقوق الإنسان والشفافية والمسؤولية والمساءلة، كما يجب على المستخدمين أن يكونوا على دراية بالفوائد والمخاطر المحتملة للذكاء الاصطناعي في مجال صحة الكبير في السن.



صاحبة المبادرة: منيرة صياغ فالح العمري
إدارة تعليم المدينة المنورة
اسم المدرسة: متوسطة عائكة بنت الوليد
البريد الإلكتروني: misktaiba@gmail.com

فن القراءة - الطلاقة في القراءة



فكرة المبادرة



بدأت المبادرة بتاريخ

١٤٤٤/٥/٢٩ هـ

وانتهت ١٤٤٤/٧/٢٤ هـ

بعد تأمل لحال ثلثي مستوى الطالبات أثناء القراءة أتت فكرة تدريس متن القاعدة المدنية للطالبات لتعزيز مهارات القراءة وتحسين المخارج والنطق الصحيح عند الطالبات الضعيفات وذوات الصعوبات تحت مسمى (فن القراءة) وتشجيع الطالبات المتميزات والمتفوقات تحت مسمى (الطلاقة في القراءة) واستعين في ذلك بمعلمات متمكنات من حلقات المسجد النبوي لتدريس المتن بشكل حضوري داخل المدرسة وعن بعد باستخدام التقنيات الحديثة.



مبررات المبادرة



تقوية اللسان عند القراءة

السلامة من اللحن عند القراءة
لا سيما عند قراءة القرآن الكريم

الاستفادة من متن القاعدة المدنية
في التدريب على حسن الخط

الاستفادة من متن القاعدة المدنية في إتقان
القراءة الصحيحة والتمكن من الطلاقة في القراءة

تطبيق الطالبات على القاعدة عن طريق قراءة
كتاب الله تعالى مما يساعدهن على تقوية القراءة

الاستفادة من متن القاعدة المدنية في التدريب على الكتابة
وتشجيع الطالبة على كتابة الكلمات والعبارات وتكوين
الجمال القصيرة لتقوية ملكة الكتابة وتكوين حصيلة لغوية

باب المد الطبيعي

باب الألف بعد واو الجماعة

باب الفاء المربوطة

باب اللام الضمنية والشمسية

باب قراءة الكلمات

باب مصطلحات رسم المصحف

باب الأعداد

وبعد الأبواب هي:

باب الحروف الهجائية

باب الحروف مع الحركات والسكون

باب الحروف مع التنوين

باب الحروف مع الشدة والحركات

باب الحروف مع الشدة والتنوين

باب همزة الوصل وهمزة القطع

دراسة متن القاعدة المدنية والتي
تتلخص في شرح الثلاثة عشر
باباً بطريقة تعينها

حلقات ثلاثة للقرآن الكريم

١ محاضرات
لتلقيحة وتنويع

٢ إتمام قراءة سورة الكهف كاملة
ومراجعة كتاب القاعدة المدنية

٣ لقاءات علمية

٤ حلقات ثلاثة للقرآن الكريم

٥ دراسة متن القاعدة المدنية والتي
تتلخص في شرح الثلاثة عشر
باباً بطريقة تعينها

٦ مسابقات

٧ لقاءات علمية

٨ إتمام قراءة سورة الكهف كاملة
ومراجعة كتاب القاعدة المدنية

٩ محاضرات
لتلقيحة وتنويع

النواتج المتحققة



الشركاء: وكالة شؤون المسجد النبوي متمثلة في حلقات المسجد النبوي



الاستشراق ودعوى الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية في مصر
(أحمد أمين وتوفيق صدقي نموذجان)
بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الاستشراق بجامعة طيبة

الباحثة: لولوه بنت خالد الحميد

البريد الإلكتروني: lolo_k_h@hotmail.com

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة باعتبار السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، مع محاولة بعض المستشرقين أو بعض المفكرين في مصر تحديدا إقصاءها من دورها التشريعي، وتعنّي الدراسة بتتبّع منابع ظهور هذه الدعوى في العصور الأخيرة في مصر، والإجابة عن التساؤلات حول دور المستشرقين في هذه القضية، والرد على الشبهات والأباطيل التي لحقت بالسنة النبوية، بطريقة علمية موضوعية على ضوء منهج أهل السنة والجماعة، وإبراز الحقائق في مواجهة هذه الادعاءات.

هدف الدراسة:

توضيح معنى إنكار السنة، وبيان حكم إنكارها، وموقف الإسلام من الاقتصار بالقرآن عن السنة.

التعرف على بعض أعلام المستشرقين وبعض مناصريهم في مصر، والذين أصبحوا تبعاً للمستشرقين في ترديد أقوالهم.

بيان قبعات العلم المزيفة التي يلبسها حملة لواء إنكار السنة للاستتارة خلف المنهج الصحيح للبحث العلمي، لكنهم حقيقة مضلون لمنهج البحث العلمي.

كشف العيوب في كتابات منكري السنة التي غالباً ما يكون لها اتصال وثيق بانعدام النزاهة العلمية والموضوعية واقتراثها بالكذب والتدليس.

نتائج الدراسة:

1. أن الدراسات الاستشراقية للسنة النبوية التي ازدهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، استطاعت أن تكون فكرة مشوهة عن السنة النبوية عند الأجيال اللاحقة.
2. تمجيد العقل وتقديمه على النقل، واتخاذ السبيل الوحيد لإثبات النصوص الشرعية، أمر لا يقره الإسلام، لأن الأصل في المسائل الشرعية أن تكون مبنية على النقل.
3. كل من أبهر من أبناء المسلمين بالحضارة الغربية وحاول تقليدها، تأثروا بالمظاهر المادية لهذه الحضارة، ولم يتعمقوا في أمرين: فهم المشاكل التي تواجه الغرب وخاصة عند فصل الدين عن الدولة، وعدم فهم الدين الإسلامي والجهل بطبيعته.

موضوع الدراسة وقصيتها المحورية:

خُصص البحث لإجلاء دور المستشرقين في إحياء دعوى الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة في مصر، مستعنيين بأبناء الإسلام أنفسهم، خاصة ممن يدعون لأنفسهم العلم بالسنة النبوية، لنقّة العامة بهم، وانجرافهم وراء أفكارهم، وإبراز طرقهم في ذلك، وأن منها إبرازهم لأفكار ومعتقدات الفرق المنحرفة عن منهج الإسلام القويم.

منهج الدراسة:

النقدي

التحليلي

فصول الدراسة:

الفصل الأول:

دعوى المستشرقين الاستغناء بالقرآن عن السنة.
المبحث الأول: بدايات ظهور دعوى الاستغناء بالقرآن الكريم كمدخل في الطعن بالسنة النبوية.
المبحث الثاني: الاستشراق الحديث ونظرته للسنة النبوية.

الفصل الثاني:

أحمد أمين وتوفيق صدقي وأرائهما في السنة النبوية
المبحث الأول: أحمد أمين وأهم آرائه تجاه السنة النبوية ومناقشتها.
المبحث الثاني: توفيق صدقي وأهم آرائه تجاه السنة النبوية ومناقشتها.

توصيات الدراسة:

1. التسلح بالكتاب والسنة لدحض جميع الشبه حول السنة النبوية.
2. استشعار عالمية الإسلام وعظمته، من قبل المسلمين والدارسين للدراسات الاستشراقية، وصيانة المعتقدات الدينية من التحريف والتزوير.
3. توصي الدراسة باستثمار الجانب الإيجابي الاستشراقي المنصف للسنة النبوية، والترحيب به وإبرازه في المؤتمرات والمحافل الاستشراقية، وترجمة هذه الأعمال ونشرها.



العلاقة بين العلم والدين بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي _ دراسة نقدية
بحث مقدم لبليل درجة الماجستير في تخصص الثقافة الإسلامية من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة أم القرى
إعداد الباحثة / ريم عبد الرحمن مسفر الغامدي room_1441@hotmail.com
إشراف / أ. د. : يونس عمر ملال _ الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى سابقاً

موضوع
الدراسة

الحاجة إلى بيان أهمية
العلم للدين ، وعلاقة
الدين بالعلم ، وماهية
الممارقات في العلاقة
بين الفكر الإسلامي
والفكر الغربي ومآلات
تلك الممارقات ، ودور
العلاقة في الحماية
الفكرية والأمن العلمي
والمعرفي

أهمية
الدراسة

١/ توضيح مفهوم العلم والدين من وجهة نظر
المفكرين الإسلاميين والغربيين
٢/ وضع إشكالات العلاقة بين العلم والدين في
المفكرين في دائرة التحليل والنقد
٣/ بيان آثار الصور الغربي للعلاقة بين العلم والدين
على الواقع الإسلامي

فصول
الدراسة

التمهيد: التعريف
بمصطلحات الدراسة على
النحو التالي: ١/ مفهوم
المفكر الإسلامي والغربي
٢/ مفهوم العلم والدين في
الفكر الإسلامي والغربي
الفصل الأول: تناولت
نشأة العلم والدين وتطورهما
في الفكر الغربي ،
واستعرضت العلاقة بين
العلم والدين ودراساتها
دراسة تحليلية ونقدية
الفصل الثاني: العلاقة بين
العلم والدين في الفكر
الإسلامي ودراساتها دراسة
استقرائية ونقدية
الفصل الثالث: تناولت فيه
العلم والدين في سياقين
حضاريين مختلفين ، وبيان
أثر إسقاط المفهوم الغربي
للعلم والدين على الواقع
الإسلامي ، وأثر تقييد
المفهوم الصحيح للعلم
والدين في الواقع الإسلامي

المنهج التحليلي _ مناهج الدراسة _ المنهج النقدي

أهداف
الدراسة

نتائج
الدراسة

"أتفق أغلبية العلماء المعاصرين على انعدام التناقض بين
الدين والعلم ، إلا أنهم يختلفون في تحديد مجال كلاً من العلم
والدين
"أن مسائل الإسلام للعلم جزء من قراءة نقدية للعلم
منعقدة المصادر والتوجيهات
"لا تربط علاقة العلم بالدين بالترف المعرفي ، بل أنه
مطلب ضروري لارتباطهم بالخطب الاجتماعي والثقافي
"يوجد صدام بين العلم والدين في الفكر الغربي ، ولكنه
صدام متعلق بالأشخاص وليس بالعلم والدين
"العلاقة بين العلم والدين خاضعة تاريخياً لمحاولات
اجتماعية ومعرفية ، مما أسهم في تعدد القيم وتحولها .

"توضيح مفهوم العلم والدين في
المفكرين
"إبراز العلاقة بين العلم والدين
في المفكرين عرضاً ونقداً
"تحديد موقف الإسلام والفكر
الغربي من العلم والدين
"بيان أهمية العلم بالنسبة للدين
والعكس
"بيان الآثار والمآلات المعرفية على
فصل العلم عن الدين ، واستغناء
الدين عن العلم

التوصيات

توصي الباحثة بما يلي : الاستزادة من دراسة العلاقة بين العلم والدين في عدة قضايا مختلفة ، إثراء المكتبة العلمية
لتعميق العلاقة بين العلم والدين ومناقشتها بشكل أكثر توسعاً ، دراسة الجهود الثقافية للمؤسسات الداعمة للفكر
والدين والعلم وإبراز الدور التي تقوم فيها تلك المؤسسات لإيضاح أهمية العلم للدين والعكس كذلك ، عقد
اللقاءات والندوات والمؤتمرات لإبراز دور العلم في مواجهة الجهل والتوعية تجاه مضامين التجهيل الفكري والمعرفي ،
وإيضاح أهمية العلم بالنسبة للدين في زيادة الوعي الفكري والمعرفي تجاه أغوار التضليل والتطرف والاحتراف العقدي
وغيره .



الصفة الكاشفة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير

الباحثة: هيفاء ركاكرار إشراف: أ.د. إيمان عبد الرحمن مغربي
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أمّ القرى - المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: SHARAFYA23@HOTMAIL.COM



1 فكرة البحث

1

جُمِعَ ماورد في القرآن الكريم من الصفات والقيود غير المؤثرة في الحكم، التي أطلق عليها المفسرون الصفة الكاشفة أو نحوها من الإطلاقات المرادفة لمعناها: كقولهم: لا مفهوم له، أو خرج مخرج الغالب أو غير ذلك، ثم دراستها وبيان أثرها في التفسير؛ لما لذلك من أهمية في ضبط فهم النص القرآني، واستنباط الأحكام والهدايات منه، والاحتراز من الخطأ في تفسير كلام الله عز وجل.



3 منهجية البحث

3

الطريقة العلمية الجامعة بين الاستقراء والاستنتاج



أسئلة البحث

1. ما مدلول الصفة الكاشفة؟
2. هل عثر المفسرون على الصفة الكاشفة بألفاظ أخرى؟ وما هي هذه الإطلاقات المرادفة لمعناها؟
3. ما أنواع الصفة الكاشفة الواردة في القرآن الكريم؟
4. ما أثر معرفة الصفة الكاشفة في تفسير القرآن الكريم؟
5. ما الأسباب والأغراض التي دلت عليها الصفة الكاشفة في القرآن الكريم؟
6. ما الموانع التي منعت من اعتبار بعض القيود التي جاءت في القرآن الكريم؟



5 التوصيات

5

2

بحث موضوع تخصيص الشيء بالذكر مع دخول غيره فيه، وبحث موضوع أسلوب الحصر الادعائي.

4 أهم النتائج

4



1. مصطلح الصفة الكاشفة لم يظهر عند المتقدمين بهذا اللفظ، ولكن كان مُستعملاً عندهم بتعابير أخرى، تؤدي المعنى نفسه، وكان من أوائل من ذكر مصطلح الصفة الكاشفة المفسر ابن عادل رحمه الله (ت775هـ)، في تفسيره (اللباب).
2. أكثر من ذكر مصطلح الصفة الكاشفة من المتأخرين الطاهر ابن عاشور رحمه الله (ت1993هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير).
3. لم أجد تعريفاً للصفة الكاشفة إلا عند بعض المعاصرين، فاستقرأت أقوالهم وبيئتُ عليها وعلى الأمثلة التي درستُها تعريفاً للصفة الكاشفة أنها: كلٌ قيد لم يُعتبر مفهوم مخالفته لمانع أو لفائدة، وهو التعريف الإجرائي للبحث.
4. للصفة الكاشفة أنواع كثيرة من الألفاظ والنواكيب، منها: النعت، والشرط، والحال، والجار والمحرور، والظرف، والبدل أو عطف البيان.
5. للصفة الكاشفة أثرٌ جليٌّ في تفسير القرآن الكريم ومن ذلك: فهم الآية على الوجه الصحيح، وردُّ الأقوال الخاطئة في التفسير، وبيان أهمية معرفة طرق التفسير.
6. يُذكر موضوع "الصفة الكاشفة" في كتب علوم القرآن (البرهان والإتقان) بتسميات أخرى، مثل: صفة لازمة، تخصيص الشيء بالذكر وغيرها.
7. تُذكر بعض كتب النحو الصفة الكاشفة في الكلام حول أغراض النعت.
8. تُدرج الصفة الكاشفة في كتب أهل المعاني ضمن: الإطناب، وأسلوب عكس الظاهر، الذي هو نفي الشيء بفي لازمة.
9. يُردُّ موضوع الصفة الكاشفة في كتب أصول الفقه عند الحديث عن شروط إعمال مفهوم المخالفة.
10. جاءت الصفة الكاشفة في كثير من الآيات لأغراض بلاغية، كالتبيين، أو التحذير، أو المدح أو الذم والتنبيه، أو التعظيم، وهذه الأغراض يتبناها كثير من المفسرين، ومن أهم من اعتنى بذلك الطاهر ابن عاشور (ت1993هـ).
11. بلغ عدد الأمثلة مئة وثلاثة أمثلة، منها أربعة أمثلةٍ ترجّح فيها تأثير القيد على الحكم، وثلاثة عشر مثلاً محتملة.



المراجع

6

1. بلغت (245) مرجعاً، من أهمها:
1. جامع البيان، لابن جرير الطبري.
2. المحرر الوجيز، لابن عطية.
3. أحكام القرآن، لابن العربي المالكي.
4. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.
5. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.
6. أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي.
7. التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور.



للتواصل:

إيميل: SHARAFYA23@HOTMAIL.COM

واتس أب: 00966559908496

مؤتمراتنا للعام 2024-2025م

**مؤتمر مكة الدولي الثاني
لدراسات الخمينية - الأنظمة
والاتجاهات الحديثة**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 29 ربيع الثاني 1446 هـ
الوافق 1 - 3 نوفمبر 2024م

**المؤتمر الدولي الثاني لتأهيل وصقل
المعادات التربوية والأكاديمية لتحقيق
التميز الشخصي والمهني في
القطاعات المتخصصة**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 24 - 26 ربيع الأول 1446 هـ
الوافق 27 - 29 سبتمبر 2024م

**مؤتمر المدينة المنورة الدولي
للشريعة والدراسات الإسلامية
ودورها في مواجهة القضايا**



فندق كراون بلازا - المدينة المنورة
خلال الفترة من 24 - 26 شوال 1446 هـ
الوافق 3 - 5 مايو 2024م

**مؤتمر مكة الدولي السادس للغة
العربية وأدائها اللغة العربية
والتحول الرقمي والاستدامة**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 3 - 6 رجب 1446 هـ
الوافق 3 - 6 يناير 2025م

**المؤتمر الدولي للفرجة المدنية
والرياضة - الرياضة مستقبل وطن**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 5 - 7 جمادى الآخرة 1446 هـ
الوافق 8 - 10 ديسمبر 2024م

**مؤتمر جدة الدولي الثاني
للفنون والتصاميم**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 13 - 15 جمادى الأولى 1446 هـ
الوافق 17 - 19 نوفمبر 2024م

**المؤتمر الدولي الخامس لتطبيقات
الثقافة الاصطناعية في تطوير
التعليم الرقمي بالهاتف العربي**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 11 - 13 ذو القعدة 1446 هـ
الوافق 11 - 13 مايو 2025م

**مؤتمر مكة الدولي الرابع
لدراسات الإسلامة ودورها في
خدمة الإنسانية**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 27 - 29 شوال 1446 هـ
الوافق 28 - 30 أبريل 2025م

**المؤتمر الدولي الخامس
للتعليم في الوطن العربي
مستكبات وحلول**



فندق راديسون بلو السلام - جدة
خلال الفترة 8 - 10 شعبان 1446 هـ
الوافق 9 - 11 فبراير 2025م



إثراء المعرفة ... اسم يجمع بين احترافية الأداء وجودة المؤتمرات والنشر العلمي في عالمنا العربي

ترخيص

إدارة وتنظيم

للتسجيل والاستفسار

الهيئة العامة
للمعارض والمؤتمرات

مركز إثراء المعرفة
للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي

www.kefeac.com
kefeac@gmail.com
[@kefeac1](https://www.facebook.com/kefeac1)
00966535744944

المجلات العلمية الصادرة عن مركز إثراء المعرفة

يصدر عن مركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي العديد من المجلات العلمية المحكمة والمصنفة دولياً، التي تعمل وفق نظام (ISI) منها على سبيل المثال:

عنوان المجلة	رئيس التحرير	الترخيص	الرقم الدولي المعياري (ISSN)
المجلة الدولية للبحث والتطوير التربوي	أ.د. مرضي بن غرم الله الزهراني	111489	1658-9580
المجلة الدولية للغة العربية وآدابها	أ.د. ظافر بن غرمان العمري	111486	1658-9572
المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية	أ.د. عبد الله بن محمد آل الشيخ	111487	1658-9564
المجلة الدولية لتكنولوجيا التعليم والمعلومات	أ.د. عائشة بنت بليهش العمري	111488	1658-9556



www.journal.kefeac.com